JANUARY – MAY 1937

يناير الى مايو سنة ١٩٣٧

# المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

منشئها

الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر

المجلد التسعون

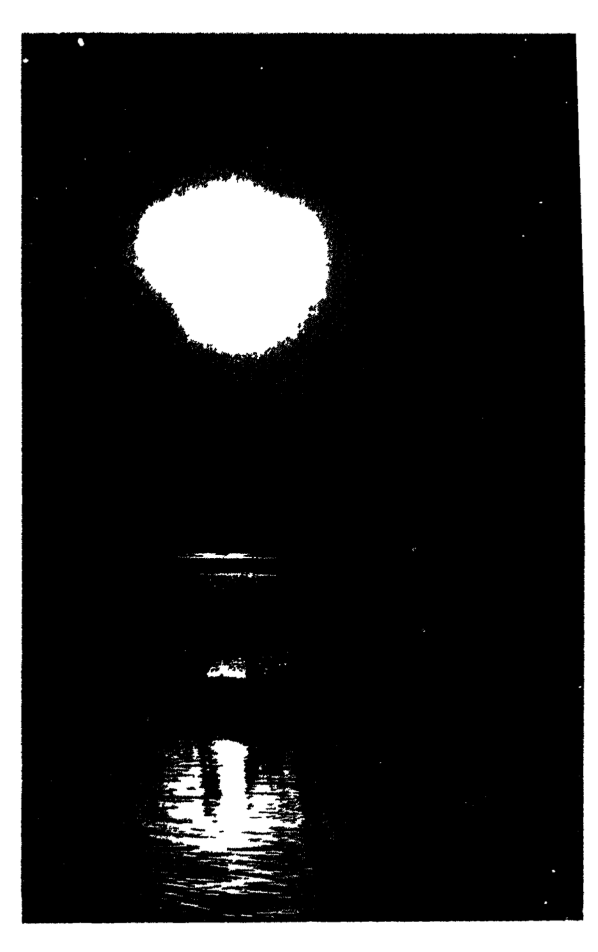
# AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

Editor FUAD SARRUF

VOL. 90

Founded 1876 By Drs Y. Sarruf & F. Nimr



الغروب على النيل

[ صورة الدكتور احمد موسى ]

# المقتطف

الجزء الاول من المجلد التسعين

١ ابريل سنة ١٩٣٧ — ١٨ شوال سنة ١٣٥٥


اثر في حدمة الانسان

# الغدد والحياة

## مشاهد رائعة من المباحث الحديثة

### في علم المفرزات الداخلية

— ١ —

في سنة ١٤٧٤ ناص ديك في مدينة بال فاستولى الهلع على قلب صاحبه فاسأ الحكام فحوكم الديك متهماً بالسحر فحكم عليه بالاعدام حرقاً  وفي سنة ١٩٢٣ أي بعد انقضاء اربعة قرون ونصف قرن على حادثة الديك ، اعلن العلامة كرو Crew احد اساتذة جامعة ادنبره ان دجاجة سوداء تحوّلت ديكا بفرز نطفاً منوية  ولكن قوله هذا لم يحدث حدثاً ما ، لان اللثام كان قد اميط خلال نصف القرن الاخير عن طائفة من اسرار الشق sex في الطيور والمواشي بل وفي الانسان كذلك ، بتقدم علم المفرزات الداخلية (اندوكرينولوجي endocrinology)

وفي الولايات المتحدة الاميركية رجل "ناهز الثمانين الآن ، يدعى آبل John Jacob Abel عاش خلال هذا الانقلاب بل وكان احد زعمائه لانهُ اوّل من حضّر خلاصة نقية لاحد هذه المفرزات

ولد آبل في قرية على مقربة من مدينة كليفلند من والدين هاجرا الى الولايات المتحدة الاميركية من فورتمبرج بالمانيا  لم يكن بين اسلافه من ناحية ابيه او من ناحية امه من اشتهر بالعلم . فنشأ فتىً عاديًّا وتلقى العلوم كسائر الفتيان الاميركيين ، فلما كان مدركاً غادر الكلية

الذي كان يتلقى العلم فيها ليرأس مدرسة انشئت في لابورت بولاية انديانا حيث درّس اللغة اللاتينية وعلمي الطبيعة والكيمياء ولكنهُ لم يلبث طويلاً هناك ، فانتظم بعد ثلاث سنوات في جامعة مشغن وتخرج منها وهو في السادسة والعشرين من العمر وكان في خلال ذلك قد عني بتطبيق الطب على القانون الجنائي فعزم على دراسة الطب والقانون ولكنهُ اتصل وهو في جامعة جونز هبكنز بالعالم الفسيولوجي نيول مارتن Newell Martin فاستهواهُ البحث في الكيمياء الفسيولوجية

ثم رحل الى اوربا فقضى سبع سنوات يتلقى العلوم من اساطينها -الطب السريري والجراحة والباثولوجية وعلم الاعصاب وعلم امراض العيون والكيمياء الحيوية وفي سنة ١٨٨٨ أحرز رتبة دكتور في الطب M D من جامعة ستراسبورج

في خلال هذه السنوات ، نبه الى نوادر الانقلاب في علوم الطب فذكر قول پراسلسس اذ قال « ان في جسم الانسان صيدلية خفية وطبيباً متوارياً عن العيون يصنع الأدوية ويصفها ويستعملها بحسب ما تقتضي الحال ولو لم يخلق الله تلك الصيدلية وهذا الطبيب لما أحدثت مساعي جميع الأطباء ولعجز أي مخلوق على البسيطة عن الحياة » كان پراسلسس قد أبعد بمباحثهِ علمَ الكيمياءِ عن السعي الى تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب ،وعن البحث عن اكسير الحياة ، وبيّن ان الكيمياءَ هي الطريق السويُّ الى تطبيق حقائق الطب على حاجة الانسان

فأحسَّ آبل صدق هذه الكلمات ، واقتنع بأن معرفة الطبيعة والكيمياء معرفة صحيحة ، ولا سيما طبيعة السوائل الجامعة في الجسم والانسجة والأعضاء ، وكيمياءَها ، تساعد على فهم وظائفها وان هذا الفهم يضيف أداة جديدة فعَّالة الى جعبة الطبيب أي ان آبل ، رأى بعين بصيرتهِ في أواخر العقد التاسع من القرن الماضي ، كيف يمكن ان يحول كيمياء الأعشاب والاملاح ، الى الكيمياءِ الفسيولوجية ، كيمياءِ الانسجة والأعضاء في الجسم الحيّ

وكان آبل لا يزال في فينا ، يتلقى ما يستطيع تلقيهِ من علوم الطب ، إذ هزّ العالم الاستاذ رون سيكار بتجاربهِ العجيبة كان رون سيكار خليطاً عرقياً من العالِم المدقق والخياليّ المثاليّ ولد في جزيرة على شاطىء افريقية من أم فرنسية وأب أميركي فنظم الشعر وألف المسرحيات ثم مارس الطب وذهب الى نيويورك وهو يظن انهُ أحمق ، فزوج فتاة تمت الى دانيال وبستر الخطيب الأميركي المشهور بنسب ، وتقلد منصب أستاذ الامراض العصبية في جامعة هارفرد ثم انتقل أستاذاً للفسيولوجيا في كوليج ده فرانس ، فلما بلغ السنة الثانية والسبعين من عمرهِ ، أحسَّ بدبيب الشيخوخة يدبُّ فيهِ ، وكان لهُ رأيٌ بأن مفرزات الخصيتين تعيد نشاط الجسم وتحول دون ما يصيب الانسجة من الهرم ، فعزم ان يمتحن بنفسهِ صحة رأيهِ هذا

وفي ٣١ مايو سنة ١٨٨٩ قرَّر امام جمعية علماءِ الحياة انهُ حقن نفسهُ تحت الجلد بخلاصة

مائية من المفرزات التي هررها حصيتا كلب وقال ان هذا العلاج قد صدّ أثر الشحوحة عنهُ واستعاد نشاطهُ وتورّدت وجناهُ وتحسنت ذاكرتهُ أما بحّاث اليوم فيرجحون ان ما شعر بهِ رون سكار لم يكن الاّ وهماً لان التجارب الدقيقة التي جرت في العهد الاخير بالحقن لم تثبت ما قال ، ولكن تجربتهُ على كل حال ، كانت مستهل بحث جديد ، صاغ لهُ الاستاذ كلود برنار — وهو العالم الذي احتل منصب أستاذ الفسيولوجيا بعد رون سيكار — كلمة ستهوي وكانت تلك الكلمة « المفرزات الداخلية internal secretions »

— ٢ —

لما عاد آبل الى أميركا دعي الى جامعة مشيغن ليكون أستاذاً للصيدلة فيها ، على ان ينفق كلّ وقتهِ اما في تعليم الموضوع وإما في البحث العلمي فلما انشئت كلية الطب بجامعة جونز هبكنز سنة ١٨٩٣ انتقل اليها أستاذاً للصيدلة ورئيساً لقسم الكيمياء الفسيولوجية

بدأ آبل بحثهُ الخاص بتحليل البول وكان أول من فصل الحامض الكربامك من جسم الانسان

واذ كان يبحث في تركيب المادة الملونة في بشرة الانسان قرأ تجربة طريفة قام بها عالمان من علماء الانكليز اوليفر وشافر فعلم من وصف تجربتهما ان خلاصة مائية من الكظرين (شرف) اي الغدتين الادرينالين ، اذا حقنت في عروق حيوان رفعت ضغط دمهِ ثم وردت الانباء بان عالمين بولونيين اثبتا الحقيقة نفسها على حدة فعزم في الحال ان يواصل البحث حتى يفوز بتحضير المادة التي تفعل هذا الفعل ، نقية من الشوائب

والكظران غدتان صغيرتان صفراوان قائمتان فوق الكليتين ويبلغ وزن كل منهما في الانسان البالغ اربعة غرامات وكان اول من وصفهما عالم مشرّح ايطالي يدعى برطولوميو اوستاكي وذلك في سنة ١٥٦٣ وكان العلماء يعلمون بعد اكتشافهما ان مقداراً كبيراً من الدم يجوزهما ولكن وظيفتهما ظلت سرّاً مغلقاً

اقبل آبل على عمله وهو يعلم انهُ لا بدّ لهُ من كميات كبيرة من هذه الغدد لاتمام تجاربهِ فاختار غدد الغنم لسهولة الحصول على ما يحتاج اليهِ منها وكان يتناول هذه الغدد ويصنع منها شرائح رقيقة ثم يجففها بعرضها لحرارة درجتها ستون بالمائة من المئوي ثم يذيب المادة الذائبة التي فيها بالايثر فيحصل على مسحوق رمادي اللون يرفع محلولهُ المائي ضغط الدم في الحيوان

وفي سنة ١٨٩٧ تمكن آبل بمساعدة البرت كروفورد من تحضير خلاصة نقية من الشوائب او تكاد تكون نقية في شكل مركب سلفات المونوبنزويل وهذا المركب هو اول مركب حضّر

لمقررات احدى العدد الصم وأعلن آبل ذلك في ٦ مايو ١٨٩٧ لجمعية الاطباء الاميركيه الا أن المادة التي حصَّرها لم تكن المادة الصافية التي ترفع ضغط الدم بل كانت مركبًا منها واذ هو ماض في البحث عن طريقة يمكنهُ من تحصير المادة الصافية زاره كيماوي ياباني يدعى جوكيشي تاكامين وذلك في خريف سنة ١٩٠٠ فطلب اليه ان يطلعهُ على طريقتهِ وان يريهُ المركب الذي حصرهُ فأصغى تاكامين بعنايه الى شرح آبل ثم عاد الى معمله الخاص في نيوجرزي وبعد قليل تمكن من عزل المادة الصافية باحداث تعديل يسير في طريقة آبل فتسنى لهُ ان يحصر البلورات الاولى لهذه المادة ودعاها ادرينالين وشرع يبيعها وقد تمكن ستولز Stolz بعد انقضاء خمس سنوات على عمل تاكامين من تحصير هذه المادة بالتركيب الصناعي في مصنع للاصباغ بالمانيا فكان عملهُ هذا نهاية تامة لمباحث الفسيولوجيين والصيدليين والكيميائيين الحيويين مدة خمسين سنة

هل يشطأ آبل الى اثبات انهُ سابق لتاكامين ؟ ذلك ما احمع اصدقاؤهُ عليهِ ولكنهُ أبى كان في وسعهِ حينئذٍ ان يصيب ثروة وافرة ، لشدة إقبال الناس على ما كان يعرض في السوق من خلاصات العدد المختلفة ولكنهُ رفض أن يسخر المكتشفات العلمية للنفع الخاص فقال في سنة ١٩١١ انهُ لقي احسن الجزاء عن عملهِ عند ما قبل الاسم الذي اختاره هو للمادة التي اشتهرت بالادرينالين ذلك انهُ كان قد اختار لها اسم ابنفرين ( اللفظ من اصل يوناني يعني فوق الكليه ) فاعترف بهذا الاسم اعترافاً رسميًّا في قائمة المواد الطبية (فرماكوبيا) الاميركيه

واهمُّ من هذا كلّه ان الطبَّ اصاب في هذه المادة ، عقاراً يمكن القلب الضعيف من المضي في عملهِ بعد ان يبلغ حاله الاعياء وحياة الوف من الناس تمد كلَّ سنة من الموت باستعمالهِ ثم ان فعلهُ في قبض جدران الاوعية الدمويه يحول دون النزف في الانف والاذن والحلق ويقف النزف الحادَّ ويمنع التشنج في النزلة الشعبية

لم يقف العلماء في بحث الادرينالين عند هذا الحدّ فاكتشف كنُن ( ... ) سنة ١٩١٠ ان الكترين يزيدان ما تفرزانهِ من هذه المادة عند ما يعرَّض الجسم لانفعال عنيف وهي مادة البطل والجبان يؤثر في الاول فيقدم وفي الثاني فيحجم ويفر من النزال وبهذا فسرت العادة القديمة في بعض الشعوب البدائية وهي عادة الجنود ان يأكلوا الكلى قبل القتال ولكي يتأكد كنن من هذا الرأي امتحنهُ امتحاناً بديعاً في هرَّة اخذ من عروق الهرة وهي ساكنة مطمئنه قليلاً من الدم وحقنهُ في قطعة من عضله المعدة في ارنب فلم يلاحظ اي تأثير لهُ في قبض العضلة ثم اتى بكلب شديد النباح وواجه الهرَّة بهِ فأخافها وأغضبها ، فاخذ كنن من عروقها وهي منفعلة هذا الانفعال العنيف قليلاً من دمها واعاد تجربتهُ بعضلة الارنب . فوجد العضلة تنقبض انقباضاً ظاهراً فثبت ان الادرينالين زاد افرازه في

الدم في حالة الاهمال عند ما دخل الكلب الناع الحجرة ولكنه لم يكتف بهذا بل احب ان يرى نتيجة فعل الادرينالين في عضل الهرة نفسها فقدم لها غداء فيه املاح البزموت ، حتى يمكن من رؤية حركة العضلة بالاشعة السينية فلما دخل الكلب ، هاجت الهرة رأى انقباض العضلات نتيجة ثم حصل على النتيجة نفسها بحقن هرة بمحلول يحتوي على جزء من الادرينالين في ٢٠ مليون جزء من الماء

والمعروف الآن ان جزءاً من مليون جزء من الغرام من الادرينالين يرفع ضغط الانسان البالغ عشرة مليمترات

## — ٣ —

واذ كان آبل مكبّاً على البحث في الادرينالين ، اعلن اكتشاف مفرز داخلي آخر وقد كان هذا الاكتشاف نتيجة البحث عن الاسلوب الذي تعتمد عليه الغدة الحلوة (البنكرياس) في افراز عصارتها الهضمية كان بافلوف الفسيولوجي الروسي المشهور احد العلماء الذين تصدّوا لهذا البحث ، فاعتقد ان هناك اسلوباً عصبيّاً بالغاً من التعقد درجة تدق معرفتها عن عقل الانسان ولكن عالماً يدعى بايليس Bayliss كان في المعمل الفسيولوجي التابع لجامعة لندن وكان لهُ مساعد يدعى ستارلنغ Starling فشرعا في دراسة هذا الموضوع وكان عملهما الاول ان يقطعا جميع الاعصاب الواصلة الى الغدة الحلوة ومراقبة افرازها ، فدهشا عند ما تبين لهما انها ماضية في الافراز بعد قطع الاعصاب واذن فالاسلوب ليس عصبيّاً قال ستارلنغ لبايليس انهُ كيميائي

ولكن من يأخذ بالرأي اذا لم يستند الى تجربة ؟ فاعدّا معدات التجربة وشرعا فيها في ١٦ يناير من سنة ١٩٠٢

فثبت لهما من الامتحان ان الخلايا التي تغطي جدار القسم الأول من المعى الصغير تفرز مادة كيميائية تدخل الدم من دون قناة معيّنة تسير فيها وتتصل بالحلوة فتحملها على افراز عصارتها الخاصة بالهضم

وأطلق ستارلنغ على هذه المادة اسماً انكليزيّاً مركباً من كلمتين معناهما « رسول كيميائي » chemical messenger وصاغ هاردي W. B. Hardy لها اسم Hormone من أصل يوناني معناهُ « أحرّك » أو « أثير » وقد استعمل هذا اللفظ على وجوه شتى في اللغة العربية فعرّبهُ بعضهم فقيل « هرمون » و « هرمونات » وترجم بعضهم لفظي ستارلنغ واكتفى أحياناً باستعمال لفظ «رسول» و «رسل» واقترح الدكتور محمد شرف بك تخصيص لفظ « تور » بهِ والجمع « أتوار » ، ومعناهُ الرسول بين القوم ولعلّ لفظ تور والجمع أتوار حين ما نستعمل لكلمة

هرمون لان فيه معنى الرسول وعدم استعماله لهذا المعنى المألوف يمكننا من تخصيصه للمعنى العلمي
والتوْر نطلق الآن على كل مادة كيميائيه هرر في ناحيه من نواحي الجسم وتتصل بالدم مباشرةً من دون قناة وتسير فيه الى مختلف اطراف الجسم مؤثر في الجسم تأثيراً عامًّا فاذا تكلمنا الآن عن الجهاز العصبي في الجسم وحده كذلك ان نتكلم عن الجهاز الكيميائي او التوْري لانهُ من أساليب الطبيعه في محاولها ربط أعضاء الجسم وتنسيق اعمالها

بعد ذلك حضّرت خلاصة قوية من هذا التوْر دعيت « سكرتين » ( من secrete اي يفرز » فاستعملها بايلس وغيره في تجربة تجارب أخرى ، فصبّ عليه معارضو تشريح الحيوانات للبحث الطبي جام غضبهم وسخريتهم حتى اضطرّ ان يرفع على سيدة قضية قذف ربحها ووهب المال الذي حُكم لهُ به تعويضاً لاحدى الجمعيات الخيرية

ومما يذكر ان هذا التوْر لم يحضر نقيًّا بعد كما حضر الادرينالين ، مع ان بعضهم زعم في سنة ١٩٣٣ انهُ فاز بذلك

— ٤ —

وانقضت على اكتشاف السكريتين اثنتا عشرة سنة قلما اكتشف توْر آخر ففي يوم عيد الميلاد من سنة ١٩١٤ أعلن العالم كندل E. C. Kendall اكتشافه للتوْر المعروف باسم ثيروكسين وهو توْر الغدة الدرقيه

كان البحث عن هذا التوْر طريفاً وعراً مرصوفاً بحطام الطرقات المهدّمه ومع ان ما يوجد منهُ في الجسم في وقت ما لا يزيد على قدر يسير جدًّا ، الاّ انهُ كاف لتمييز الذكيّ عن الابله والحي النشيط عن الضعيف المهدّل السائر الى القبر بدأ كندل بحثهُ في معمل الباثولوجيا في مستشفى سانت لوقا بمدينة نيويورك سنة ١٩١ فقرّ وهو شاب سلماء العالمين العدم والحديد ، ولكنهُ سار الى غرضه على اكتاف عشرات من الباحثين بل مئاتهم

وصف احد الاطباء الانكليز قبل مائة وخمسين سنه ثلاثه اعراض مرضيه — جحوظ العينين وخفقان القلب وتضخم العنق مقترن في الظاهر بتضخم الغدة الدرقيه لنائمة على جانبي الحنجرة والقصبة ويبلغ متوسط وزن الغدة الدرقية في الانسان البالغ اوقيه ( ounce ) ورؤيتها مستطاعة بمرآة وكان يعرف المرض الذي يحدث هذه الاعراض باسم « مرض بزدو » في المانيا وباسم « مرض غريف » في انكلترا وحوالي سنة ١٨٥ درس طبيب انكليزي آخر طائفه من المصابين بالكرتينيسم ومن اعراضه البلادة العقلية فوجد هذه الحالة مقترنة بمرض غددهم الدرقيه او ضمورها التام والمصابون بهذا المرض كانوا معروفين في القرون السابقة

فعرف ان في بلدة ورنل Boril وسكانها لا يزيدون على ١٤١٢ نفساً ١٩٠ مصاباً به . بطونهم منتفخة مهدلة وعيونهم باردة جامدة ، وليس في اي عمل يعملونهُ دلالة نشاط او بارقة رجاء . جاب الطب في معالجتهم وماتوا على الغالب قبل بلوغ العاشرة من العمر . وفي سنة ١٨٥٨ بدأ الباحثون يجرّبون هذه التجارب في الحيوانات ليعلموا حقيقة الصلة بين الداء وحالة الغدة الدرقية . فوجدوا انهُ اذا سُلّت الغدة من حيوان مات ، فثبت ان هذه الغدة لا بد منها للحياة

ولكن العالم حذر والحكم بان ازالة الغدة الدرقية سبب الموت لا يمكن ان يصبح مبرماً حتى تعاد التجربة ، ولما أكد المجرّب ، انهُ لم يسل من جسم الحيوان اي عضو حيوي غير الغدّة الدرقية ، وأعيدت التجارب بالقرود . وعني المجربون بان لا يسلّوا منها الا الغدة الدرقية ، فوجدوا ان القرود لم تمت ، ولكنها اصيبت باعراض كاعراض المصابين بضعف هذه الغدّة — وهي اعراض الجرح (شرف) اي «مكسيديما» وهو ينتج عن ضعف هذه الغدّة او نقص افرازها ومن اعراضهِ علاوة على البلادة العقلية كثافة البشرة وجفافها وانخفاض حرارة الجسم وضعف الفعل الحسي . ثم جرّب طبيب سويسري تجربة من هذا القبيل فوصل الى النتيجة نفسها ولكن الطبيب السويسري عوّض الذي سلّت غدتهُ الدرقية ، باعطائهِ قطعاً من درقيات الغنم وخلاصات منها ، فتحسنت حالتهُ قليلاً ثم توفي ويرجح ان الباعث على وفاتهِ اختلاط الخلاصة التي اعطيها بشوائب

فكانت هذه النتائج ، باعثاً على موالاة البحث والتجربة ، فصنع احد اطباء انكلترا خلاصة من الغدة الدرقية محلولة في الغليسرين وحقن بها امرأة مصابة « بالجرح » فنجت من الموت وعاشت حتى بلغت الرابعة والسبعين من العمر وبعد ما توفيت سنة ١٩١٩ كانت قد استنفدت خلاصة الغدد الدرقية في ٨٧ خروفاً

ومع ذلك لم يكن احد يدري كيف تحت هذه النجدة من الموت

فكانت الخطوة التالية ان بومان Baumann تمكن من استخلاص مركب يوديّ Iodine من خلاصة الدرقية فأثبت بذلك ان اليود عنصر اساسي في مادة الدرقية الفعّالة . فاعاد اكتشافهُ هذا الى الذهن استعمال الحشائش البحرية في معالجة الجحوظ (العوار) من قرون متعدّدة كان الناس في تلك الايام ، على شواطىء اميركا الجنوبية ، يجمعون حشائش البحار ويحمصونها ويستعملونها في علاج العوار . ثم ان سكان كولومبيا بجنوب اميركا كانوا يستعملون مياه بعض الينابيع في هذا العلاج ايضاً . وقد ثبت الآن ان في الحشائش المذكورة وفي مياه تلك الينابيع يوداً

الا ان المركّب الذي حضرهُ بومان كان غير متقن الصنع . فتعيّن على الباحثين ان يسعوا الى تحضير المادة الفعالة في الغدة الدرقية نقية صافية . ومضت السنون والضالة لا تزال ضالةً . وكان

الفئاة يعرفون ان هذا الغدد الذي هرره الدرقة يزيد اعمال الجسم الحيوية فاستعملت هذه الحقيقة لقياس قوّة الخلاصات التي تستخرج من الغدة ولكن القياس لم يكن دقيقاً وإذن فالحاجة تقتضي قياساً ادقّ وفي سنة ١٩١٢ اكتشف عودرناتش Gudernatsch ان الشراغيف (مغلوف) وهي صغار الضفادع اذا غذيت بمقادير يسيرة من خلاصة الدرقية تحولت الى ضفادع تامة النمو تحولاً سريعاً بل بلغ من سرعة هذا التحوُّل انها اصبحت ضفادع تامة النمو وهي لا تزال في حجم الذبان ولما كان اول تحوّل في هذه الضفادع قصر ذيلها، ولما كانت هذه الناحية من التحوُّل تتبع مقدار الخلاصة التي تغذّى بها، اتخذ العلماء من سرعة قصر الذيل في الشراغيف مقياساً لقوة خلاصات الدرقية وصفائها

على اكتاف هؤلاء العلماء وعشرات غيرهم سار كندل الى هدفه توًّا، فاستخلص الثيروكسين نقيًّا صافياً استعمل في تجاربه ثلاثة اطنان من غدد درقية عصية استلّت من المواشي الذبيحة فاستخلص منها ٣٥ غراماً من المركّب الصافي ثم اخطأ كندل اولاً في تقرير تركيب هذه المادة من الوجهة الكيميائية، ولكن هرنغتن وبارجر توصلا في سنة ١٩٢٧ الى صنع بلوراتها بالتركيب الصناعي وقد امتحن الثيروكسين الصناعي، بكل اسلوب من اساليب الامتحان والتجربة بحقنه في المصابين بالجرح ومراقبة تأثيره، فثبت انهُ لا يختلف عن الثيروكسين الذي المستخلص من غدد الغنم والانسان

وكذلك افضى اكتشاف وظيفة الغدة الدرقية واستفراد مادتها الفعالة وتركيب تلك المادة بالتأليف الصناعي، الى نصر جديد في كفاح الانسان ضد المرض ويغلب على الكرتنسم والمكسيدما والغوتر وغيرها من الحالات المرضية التي ترتدُّ الى خلل في الغدة الدرقية ولمبد العقل (cretinism) صبح بالثيروكسين نشيطةً، والمصاب بالجرح يتحوّل به من بدن ورماح وجفاف في البشرة شخصاً جديداً سعيداً وبه شعلة الحياة، والمصاب بنشاط الغدة الدرقية التي تفرز في دمهِ من مادتها اكثر مما يجب فيزيد سرعة اعماله الحيوية زيادة غير سوية، يعود الى الهدوا بازالة الغدة كلّها او بعضها والمصاب بالغواتر البسيط فتنتفخ عنقهُ ويحفظ عناه بعض الحظوظ، تخف فيه هذه الاعراض باضافة املاح فيها يود الى طعامه ولقد استعملت خلاصة الدرقية في علاج الذبحة الفؤادية Angina Pectoris وضعف القلب الناشيء عن الاحتقان فأفادت بل ان الطبيبين بلومغارت Blumgart ورلين Berlin من اطباء بوسطن عالجا بعض هؤلاء المصابين بازالة الغدة الدرقية تماماً واعطاء من ازيلت غدتهُ هكذا خلاصتها بحقن ولكن بمقدار، وفقاً لما يحتاج اليهِ منها

[في العدد القادم نتناول البحث سائر الغدد وأحدث ما يقال فيها]

للشاعر المهندس علي محمود طه

# عودة المحارب

## أنشودة افريقية

« الى الذين مهروا الحياة بقدس الموت »

إمرحي يا وحوشُ في الغابِ حولي      واهتفي بالدمِ المكلّلِ نصلي

وارقصي يا نجومُ فوقي شعاعاً      واتبعي يا جبالُ في الارضِ ظلّي

واصدحي يا جنادلَ النهرِ تحتي      فأنا شهدُ مائكِ المنْهلّ

واحملي يا رياحُ صوتي الى الـوادي وصيحي بكلِّ حَزْنٍ وسهل

وارقصي يا رُبَى إليّ وأدني      زهراتٍ من عُشْبكِ المخضّل

ضمّخي من عبيرها ونداها      قدَماً لم تطأكِ يوماً بذلّ

عرفتْ بالجراحِ من مخلبِ الليـث وأنيابِ كل أفعى وصِلّ

واسمعي بالغرام يا نسمةَ الليـل وكوني إلى الأحبّةِ رسلي

إنّ في حومةِ الصيالِ ناراً      ضوّأتْ لي على مضاربِ أهلي

رقصتْ حولها العذارى وغنّتْ      فأغاني شبابها المستهلّ

صوتُ إفريقيا ووحيُ صباها      ونداءُ القرونِ بعدي وقبلي

باسمها الخالدِ امتشقتُ سناني      بيدٍ تحصدُ الخطوبَ وتُجلي

وشربتُ الجحيمَ من كلِّ شمسٍ      نارها تُنضجُ الصخورَ وتُغلي

وقهرتُ الحياةَ حتى كأني      قدَرٌ تكتبُ الحتوفُ ويُملي

يا عذارى القبيلِ إنّ للمجـد على جبهتي صواحبُ [illegible]

[illegible] روحي الظامي وحسب جراحي      رشفةٌ من عيونكنّ النُّجْلِ

وابتساماتكنّ فوق شفاهٍ      بمعاني الحياة كم أومأتْ لي

حين ألقي ذوابلي على باب كوخي      وأمامي على ذراعيّ طفلي

وأمامَ [illegible] [illegible] لأجلو [illegible] في [illegible] الصارم [illegible]

# المارستانات العربية

للدكتور سامي حداد
عضو الكلية الجراحية الاميركية وأستاذ
استاذ العلوم الجراحية بجامعة بيروت الاميركية (١)

من تصفح تاريخ المارستانات العربية لا يسعهُ الاَّ ان يعترف بانها مظهر باهر من مظاهر الثقافة العربية ومفخرة من مفاخرها وكان اول ما اتصل العرب بهذا النوع من العمران قبل الاسلام فان الحرث بن كلدة الثقفي زوج خالة النبي العربي الكريم وابنهُ النضر قد زادا البلاد في طلب العلم فوصلا في ايام كسرى أنو شروان الى جنديسابور من اعمال فارس وتعلما الطب في مارستانها الذي كان يديره نطس اطباء النساطرة(١١) ولا شك في ان الكثيرين من العرب الذين جاءوا بعد الحرث وابنه قد حذوا حذوهما فألموا بادارة المارستانات وفهموا منافعها واغراضها في تخفيف آلام البشرية فعادوا الى بلادهم واسسوا في اول فرصة سنحت لهم معاهد شبيهة بها

مما يؤسف له انهُ لم يصلنا الاَّ القليل عن وصف هذه المعاهد واساليب ادارتها وغير ذلك من اخبارها التي نشوق اليوم الى معرفتها ولكن ما نعرفهُ عنها كاف لينبئنا بان الخلفاء والحكام واولي الامر قد ادركوا ما لهذه المعاهد من الشأن مما دفعهم الى بذل العناية في تشييدها والانفاق عليها بسخاء فائق والسعي في توفير ما يلزم لها لتؤدي الغرض المقصود منها ففاقت اذ ذاك كل ما سبقها من المعاهد وصارت موضوع اعجاب الكثيرين من الرحالين الذين أفاضوا في مدحها في كتب اسفارهم وشيِّد اكثرها في المدن الكبيرة الآهلة العامرة كمكة والمدينة وبغداد ودمشق وطرابلس وحلب وانطاكية والقاهرة ومدن المغرب والاندلس

وبذلت العناية التامة في انتقاء المواقع الصحية الملائمة فمن جميل ما ورد في هذا الصدد « أن عضد الدولة لما همَّ بانشاء المارستان العضدي ببغداد استشار الرازي في الموضع الذي يجب

---

(١) المقتطف جرى المؤلف على الطريقة المتبعة بين علماء العرب في الاسناد فوضع بياناً في آخر رسالته بالمراجع التي اعتمدها ورقماً لكل مرجع ، لكي يتحاشى التكرار في الحواشي ، والرقم الذي يظهر في المتن يشير الى كتاب معين في بيان المراجع ، وهو بيان سينشر في ختام هذا البحث النفيس

ان يبنى فيه فأمر الرازي بعض غلمانه ان يعلق في كل ناحية من نواحي بغداد شقة لحم ثم اعتبر الناحية التي لم يتغير ولم يسهك (يخنز) فيها اللحم بسرعة فأشار بأن يبنى فيها المارستان وكان كذلك » اه [٣١] « ولما ملك صلاح الدين الايوبي الديار المصرية واستولى على القصر، كان فيه قاعة بناها العزيز بن المعز في سنة ٣٨٤ هـ (٩٩٤ م) جعلها صلاح الدين مارستاناً لأنه كان يقال ان فيها طلسماً يمنع دخول النمل اليها » اه [١٨]

اختلفت انواع المارستانات باختلاف العناية التي وضعت لها قال « الوليد بن عبد الملك كان اول من اتخذ مارستاناً في دمشق وذلك سنة ٨٨ هـ (٧٠٦ م) حين كانت الحاجة ماسة الى انشاء ملاجئ لحبس المجذومين فيها ومنعهم أن يخرجوا على الناس وأقام لهم هذا المأوى وأجرى عليهم الارزاق » اه [١]

وكان للعرب عناية فائقة بالمجانين والزمنى والعجزة والعميان يخصصون لهم المعاهد بانواعها في فاس وقد وصف سدني ابن العباس التي للمجانين والزمنى وفي مراكش ووصف سدني ورحلات الرواة الاحاديث واعمالهم [ ] فأين الفرق بين معاملة العرب لمن احتل عقلهم الدهر ووقع بهم الرزايا والمصائب من معاملة الافرنج في القرون الوسطى لمثلهم فانهم كانوا يحرقون المجانين ويذيقون المجانين اصناف العذاب فيلاقون أجلاً عاجلاً

وقد اهتم اولو الامر بمن كانوا يعيشون بعيداً عن العمران والمدن الكبيرة لصعوبة السفر وتعذر وسائل النقل فهيأوا لهم مارستانات نقالة تنتقل اليهم وتقوم بحاجاتهم « في ايام عضد الدولة كتب الوزير علي ابن عيسى الى سنان بن ثابت رئيس الاطباء توقيعاً يقول فيه — « فكرت في من في السواد من اهله ، وانه لا يخلو من ان يكون فيه مرضى ، لا يشرف متطبب عليهم ، لخلو السواد من الاطباء . فتقدم ، مد الله في عمرك ، بانفاذ متطببين وخزانة للادوية والاشربة يطوفون في السواد ويقيمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة اليه ويعالجون من فيه من المرضى ثم ينقلون الى غيره » اه [٢٣]

ولم يحرم المسجونون والمحرومون حظ العناية بأجسادهم في ايام سجنهم قال الوزير علي بن عيسى نفسه الى طبيبه المار ذكره توقيعاً آخر يقول فيه — « فكرت ، امد الله في عمرك ، في امر من في الحبوس وانه لا يخلو مع كثرة عددهم وجفاء أماكنهم ان تنالهم الامراض لوهم معوقون عن التصرف في منافعهم ولقاء من يشاورونه من الأطباء فيما يعرض لهم فينبغي ان تفرد لهم اطباء يدخلون اليهم في كل يوم ويحمل اليهم الأدوية والأشربة ويطوفون في سائر الحبوس ويعالجون فيها المرضى ويريحون عللهم» اه [٢٤] وكل ذلك جرى في القرن الثالث الهجري

وكان للحشم الحظ الوافر من هذه الوسائل الطبية فذكر عن عز الدين ابو نصر احمد ابن حامد لما تولى منصب الاستيفاء في أيام مغيث الدنيا والدين محمد « انه من جملة مستدعاياته في

الجيز جعل للعسكر السلطاني مارستاناً يحمل آلاته وخيمة وأدوية والأطباء والمرضى فيما يحتي » اه(١٥) وفي رواية أخرى أربعون جملاً وقد جعل عزيز الدين العلاء أبا الحكم المغربي طبيباً على هذا المارستان (٥)

وكانت توجد المستوصفات وخزانات الشرابات والأدوية للاسعافات الاولية والحوادث الفجائية . منها ما أسسه احمد بن طولون فانه أول من أنشأ مستوصفاً من هذا النوع أقامه في مؤخر الجامع الطولوني « ووضع فيه خزانة شراب فيها جميع الشرابات والأدوية وجعل عليها خادماً وأقام فيها طبيباً يجلس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة » اه (٨)

أما المارستانات العمومية فشيد بعضها خاصةً لهذا الغرض على أحسن هندسة وترتيب وأوفى اتقان والبعض الآخر كان في بادىء الأمر قصوراً فخمة تحولت الى ما يوافي حاجات المارستان

ولم يكن يراعى في هذه المارستانات الفرق بين غني وفقير وكبير وصغير وحقير اذ انها فتحت ابوابها للجميع على السواء ويعامل الجميع فيها أحسن معاملة ويكل ما يمكن من الاعتناء والدقة ومن الأدلة على ذلك ما ذكره الظاهري حيث قال — « وفي دمشق مارستان لم يُرَ مثله في الدنيا قط واتفقت نكتة أحببت ذكرها وهي اني دخلت دمشق في سنة ٨٣١ هـ (١٤٢٧ م) وكان بصحبتي شخص عجمي من أهل الفضل والذوق واللطافة وكان قاصداً الحج في تلك السنة فلما دخل المارستان المذكور ونظر ما فيه من المآكل والتحف واللطائف التي لا تحصى قصد اختبار حاله فتصاعف وأقام به ثلاثة أيام ورئيس الطب يتردد عليه ليختبر ضعفه فلما جس نبضه وعلم حاله وصف له ما يناسبه من الاطعمة الحسنة والدجاج السمين والحلوى والاشربة والفواكه المتنوعة ثم بعد ثلاثة ايام كتب له ورقة معناها ان الضيف لا يقيم فوق ثلاثة ايام وهذا في غاية الحذاقة والظرافة وقيل ان المارستان المذكور منذ عمر لم تطفأ فيه نار » اه

وكانت هذه المارستانات كاملة العدة والعدد وفيها الاسرة الكاملة الكسى والأثاث المطاوة خصصت فيها ابهاء وحجرات للرجال وغيرها للنساء ولكل من الامراض على انواعها وجرت فيها المياه بغزارة وأفرد فيها مكان لطبخ الطعام وآخر لاعداد الادوية

ولكلٍّ منها اوقاف دارة ومنابع رزق ينفق منها عليها عن سعة وكانت تحت مراقبة شديدة لتأمين نفقاتها حتى لا يقع حيف على المرضى الذين يلجأون اليها ذكر ثابت بن سنان في تاريخه عن والده سنان وكان رئيس المارستان العضدي ما يأتي — «وكانت النفقة على المارستان الذي لبدر المعتضدي بالحرم من ريع وقف شجاع ام الخليفة المتوكل على الله وكان الوقف في يد ابي صقر وهب بن محمد الكلوذاني وكان قسط من ريع هذا الوقف يصرف الى بني هاشم وقسط منه ينفق على المارستان وكان ابو الصقر يتحمل على بني هاشم مالهم ويؤخر نفقه المارستان



صورة ما يظن أنه موقع المارستان الذي بناه الوليد بن عبد الملك بدمشق

( [illegible] الدكتور [illegible] )

ونصفها فكتب والدي الى ابي الحسن علي بن عيسى يشكو اليه هذه الحال ويعرفه ما لحق المرضى من الضرر بذلك وقصور مايقام لهم من الفحم والمؤن والدثار وغير ذلك عن مقدار حاجاتهم فوقع على ظهر رقعته الى ابي الصقر توقيعاً صورته -- أنت اكرمك الله معف على ما ذكره وهو غليظ جداً والكلام فيه معك خاصة فما يقع منك وبلزمك وما احسبك تسلم من الاثم فيه وقد حكيت عني في الهاشميين ولا لست اذكره وكيف تصرفت الاحوال في زيادة المال او نقصانه ووفوره اوقصوره فلا بدّ من تعديل الحال وفيه بين ان تأخذ منهُ وتحمل للمارستان قسطاً بل هو احق بالتقديم على غيره لضعف من يلجأ اليه وعظم النفع به عرفني أكرمك الله ما النكتة في قصور المال ونقصانه في تخلف ففقة المارستان هذه الشهور الماضية وفي هذا الوقت خاصة مع الشتاء واشتداد البرد فاحتل بكل حيلة لما تطلق لهم واحمل حتى تدفأ من في المارستان من المرضى والممرورين بالدثار والكسوة والفحم وتقام لهم القوت وتسهل لهم العلاج والخدمة واخبرني عما نكون منك في ذلك وأنفذ لي عملاً تدلني على حجتك وأعين بأمر المارستان فضل عنايته ان شاء الله تعالى » اه (٢) فأمل

وكان منصب ناظر المارستان من اجل المناصب وأعلاها « وكانت بالديار المصرية عادة النظر فيها من اصحاب السيوف لاكبر الامراء » (١٩) اه « وبدمشق لنيابة السلطنة وهي من اجل نيابات المملكة وارفعها رتبةً » اه (٢)

وتوفر عدد الخدمة والمشتغلين للمرضى بالمارستان فتأمنت بذلك راحتهم ومن ادهش ما ذكر انهُ اقيم لبعضها المؤذنون الذين كانوا يحيون الليالي بالترتيل [illegible] الله بحرسانه بصوت رخيم وأطلق على هؤلاء لقب « مؤنس الغرباء او المرضى » [illegible] لا يقدر ان ينام ولا يجد في كل الاحيان من يحيي الليل لاجله كان [illegible] في تسبيح الباري تعالى في ساعات الليل الاخيرة (١)

ومما هو جدير بالذكر ان أكثر هذه المعاهد [illegible] ويقام بجوارها حمام ومكتبة فكأن اولي الامر ارادوا بذلك ان تكون جميع هذه [illegible] الخيرية متجاورة متلاصقة ليصير من مجموعها وحدة كاملة على مداواة الاجسام والنفوس [illegible] للرقي المدني والديني معاً

وكانت رتبة رئيس الاطباء في المارستان من الدرجة الاولى في مناصب الدولة وكان لكلّ منها رئيس واطباء عديدون وجرّاح وكحّال وفاصد وصيدلي وكان عمل رئيس الاطباء الاشراف على اعمال المارستان وامتحان سائر الاطباء وسمح لكلٍّ منهم ان يعمل في دائرة اختصاصه متى نجح في امتحانه والاجازات الطبية قديمة العهد في تاريخ الطب العربي واول مانجدها في أيام الخليفة المقتدر بالله « الذي جرى في مارستانه في بغداد غلط على رجل

من العامة من بعض الاطباء فات الرجل فامر المقتدر بالله وزيره ابراهيم بن محمد بن بطحا ان يمنع سائر المتطببين من التطبب الا من امتحنه سنان بن ثابت وأذن له بذلك وكتب له رقعة بخطه بما يطلق له من الصناعة فسار الاطباء الى سنان وامتحنهم واطلق لكل منهم ما يصلح ان يتصرف فيه وذلك في سنة ٣١٥ هـ « (٩٢٧ م) » اه [٢٦] ولنا مثال آخر من هذا النوع في عهد الملك العادل نور الدين زنكي فانه فوض الى ابن ابي حاجة « النظر في امر الكحالين واعتبارهم وان من يصلح منهم لمعالجة امراض العين ويرتضيه يكتب له خطه بما يعرفه عنه » اه [٢٧]

اما معالجة المرضى ومعالجتهم فكانت تجري في المارستان على الصورة الآتية —

كان الاطباء تجلس على دكة وتعاين المرضى في ايام معينة من الاسبوع فيكتب لمن يستوصف منهم اوراقاً يعتمدون عليها ويأخذون بها من المارستان الاشربة والادوية التي يصفونها لهم اه [٢٨]

« ومن كان بحاجة الى الاستشفاء يسجل اسمه في سجل المارستان وينزع ثيابه ويلبس ثياب المارستان ويوضع في سرير خاص وكل يوم يدور الاطباء على المرضى ويفقدون أحوالهم ويدبرون أمورهم وبين يديهم المشارفون والقوام لخدمة المرضى فيكتبون لكل منهم ما يلزمه من المداواة والتدبير فلا يؤخر عنه ولا يتوانى في شيء من ذلك » اه [ ] وكان الدليل على شفاء المريض مقدرته على أكل فروج ورغيف خبز وأمر له بالانصراف واعطى بدله ثياب ونفقة تكفيه مدة بعد خروجه من المارستان

وكانت في كثير من هذه المارستانات غرفة خاصة فيها مكتبة تحوي على الكتب الطبية يجلس فيها الرئيس وسائر الاطباء بعد الفراغ من معالجة المرضى ويجلس التلامذة امامهم ويذاكرون في كيفية الاستدلال على الأمراض وعلاجها ما وصف ويكتب للمرضى ثم يبحثون في كثير من الأمراض ومعالجتها [ ] وكانت المارستانات توفر هذه الوسائل معاهد علم يتلقى فيها التلامذة العلوم الطبية علماً وعملاً

## مارستانات دمشق

ذكر التاريخ انه كان بدمشق خمسة مارستانات وربما كان هناك أكثر منها لكن لم يذكر شيئاً عنها الأول مارستان الوليد بن عبد الملك الثاني المارستان الدقاقي الثالث المارستان النوري الرابع المارستان القيمري الخامس المارستان الركني

### مارستان الوليد بن عبد الملك

اندثرت معالم هذا الأثر وذهب البعض الى ان موقعه خارج أحد أبواب دمشق المعروف بباب شرقي قرب ما يدعى اليوم « الاعاطله » ومعالمه عبارة عن بناية لبن متداعية ذات غرف

صغيرة جداً قليلة النوافذ معدومة كل الوسائل الصحية ظل يحبس فيها المجذومون الى آخر شهر ايلول من سنة ١٩٣٦ م وقد ادرك اولو الامر عدم ملاءمة هذا الموقع لايواء المرضى فبنوا مؤسسة جديدة خارج دمشق نقلوهم اليها والاعاطلة اليوم مهجورة والى ناحيتها الشرقية الجنوبية آثار قديمة هي عبارة عن حائط يبلغ طوله نحواً من خمسة عشر متراً مبني بحجارة ضخمة عريضة وفيه فتحة بابين كبيرين وقد طمر التراب هذا الحائط الى منتصف فتحة الابواب وفي جنوبه طريق وشماليه ساحة واسعة تبلغ مساحتها نحواً من الف متر مربع فيها بقايا أعمدة رخامية ضخمة والى الجهة الشمالية من هذه الساحة بستان فسيح الارجاء فهل هي بقايا هيكل قديم حوّله الوليد الى مارستان ام الامر غير ذلك ؟ ان البحث لم يصل بنا الى معرفة الحقيقة

## المارستان الدقاقي

ذكر هذا المارستان بعدة اسماء هي العتيق والقديم وباب البريد والنوري الصغير فهل ياترى هذه الاسماء هي لمارستان واحد ام لاكثر من واحد ؟ فان دقاق بن تتش الذي يظن انه منشيء هذا المارستان عاش في القرن الخامس الهجري ولكن ورد ذكر هذا المارستان في حوادث القرن الرابع[١٠] ويذهب العلموي[٢] والعماد[١٦] الى انه من عمارة الامويين وان الذي عمره معاوية بن ابي سفيان او ابنه يزيد وهذا لا يتفق مع قول المؤرخين الذين سبقوا العماد واتفقوا على ان اول من أسس مارستاناً في دمشق هو الوليد بن عبد الملك[١] ولا يخفى ان الوليد أتى بعد معاوية

اما موقعه فكان غربي الجامع الاموي المشهور تحت المنارة الغربية الى الجنوب من المراحيض في سوق المسكية ويفصل بينه وبين الجامع سوق الذهبين بقي عامراً الى اوائل القرن التاسع الهجري وقال العماد والعلموي ان اول من خرب معالمه وجعله بيتا ابو الفضل الاخنائي ، ثم ملكه بعده اخوه برهان الاخنائي ، ثم سكنه الشيخ كمال الحمصي ، ثم اتصل بالناس كتخدا عيسى باشا فعمره وغير معالمه وقد ذكر ابن جبير في رحلته « وبها (اي بدمشق) مارستان قديم وحديث والقديم هو غربي الجامع المكرم » اه[١١] وقال ابن ابي أصيبعة في ترجمة رشيد الدين ابن خليفة « وفي الخامس من المحرم سنة ٦١٥ هـ استدعاه (اي رشيد الدين) الملك العادل ابو بكر ايوب لما سمع بتحصيله وسيرته وولاه طب المارستانين بدمشق اللذين وقفهما الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي » اه[٣١] وفي ترجمة عز الدين السويدي قال « وخدم ايضاً في المارستان باب البريد» اه[٣٢]

# أقوى من الزمن

لفكتور هوجو

منذ مسّت شفاي كأسك المترع ياحبيبتي
وألقيت بوجهي الشاحب على راحتيك الرقيقتين
واستنشقتْ روحي أعماق نفسك، وهيأتْ
ينابيع أزهارها ونسّمتْ نادر عطرها المستخفى
الآن تحت هذي الظلال

أومنذ تلك اللحظة السعيدة التي
سمعتُ فيها الى كلماتك الطافحة بأسرار قلبك
ومنذ رفت شفتاك على شفتيّ وحنت عيناك
على عينيّ بين دموعك وابتساماتك

ومنذ أحسست على جبهتي تحدُّر لمحة واحدة من شعاع
نجمكِ الخابي الآن، واضطرب نهر حياتي لورقة واحدة
ساقطتها عليهِ ازهار أيامك

منذ ذلك ياحبيبتي تعاظمتُ الزمن وأنا الآن أهتف
بالساعات المتعلقة العابرة سيري في طريقك
واسرعي خطاك فلن تدركي الشحوب،
وهرولي الى الوهدة المظلمة بكل ما جمعت من أزهارك الذابلة
فاني احتفظ في نفسي بزهرة لن ينال قطافها أحد

ان اجنحتك الخافقة قد تصيب كأسي المفعم بالحب
ولكنها لن تكفأه، فشفاي بدأن تحمره !
ان في قلبي ناراً لا تستطيع بردك ان تطفئها
وفي نفسي حبّاً فلن تستطيعي قهري على نسيانه !

# حول الجامعة

## تلخيص رأي الفيلسوف هويتهد

لاسماعيل مظهر

نظام الجامعات يكاد يكون نظاماً غربياً بحتاً ، اخذ الشرق يدخله منذ زمان غير بعيد واذا قضينا بأن نظام الجامعات غربي ، فليس من قصدنا ان نقضي بأن الشرق قد تجرد من فكرة اقامة البحث والدرس العلمي والادبي والفلسفي على معاهد تربى عقول النشء الحديث في امة من الامم كذلك لست اريد ان أقول إنّ الشرق قد تجرد من المذاهب المدرسية التي قامت بين جدران معاهد خلال ازمان مديدة بل اريد ان اقضي بأن فكرة « الجامعة » باعتبارها فكرة « حرة » أحدثت نظاماً جديداً من الدرس واسلوباً حديثاً في البحث الحرّ ، هي من مخترعات العصر الحديث

انحصرت المعرفة في العصور القديمة في التاريخ بين جدران المعابد والهياكل حيث تفرد الكهان ورؤساء الدين بالعلم دون بقية الناس ، وحرصوا على ان يكون العلم وقفاً عليهم ، يظلّ قاصراً على فئة من الفئات لم تتعدّها وقد استنشق العلم شيئاً من ريح الحرية في المدنية اليونانية حيث قامت الأكاديميات من حول فلاسفة عظام كسقراط وأفلاطون وأرسطو ، فلم يفرقوا بين الناس في تلقي العلم ، بل اوسعوا في افق الدرس العلمي والفلسفي في حين ان ارسطو رغماً عن هذا قد اوصى بأن تكون الفلسفة العليا وقفاً على الخاصة ، وان العامة يكفي فيهم ان يكونوا ملمين ببعض مبادىء المعرفة الماماً اوليّاً

فلما انتشر الدين المسيحي اقتصرت المدارس على المعاهد التي أقامها آباء الكنيسة واقتصر العلم فيها على ما سمي حين ذاك « بالعلم السلفي » المحصور في التفاسير التي فسرت بها الكتب المقدسة وفي المبادىء الغراماطيقية واللغوية التي ساعدت على وضع تلك التفاسير وعلى منطق أرسطو كأساس لضبط العقل عن الخطأ وعقب ذلك انتشار الدين الاسلامي فاقتصرت معاهده على تدريس

المبادىء التي وضعها الفقهاء في التفسير والحديث والأصول وبقية فروع العلم الثانويه التي كانت تتخذ أساساً للوصول الى التوسع في تلك الأسس العلمية ، كما عرفت في ذلك العهد وكما تعرف الآن في كثير من معاهد العلم الاسلامى

اما فكرة « الجامعه » باعتبارها معهداً حرًّا قائماً على فكرة حرة ، فبدأت تتكوّن في اوائل القرن السابع عشر ، عندما بدأ كوبرنكوس وغاليليو نشأن مذهبهما العلمي في نظام الكون ، وعندما بدأ جوردانو برونو بنشر حريه الفكر

غير ان تحرير الفكر تحريراً حقيقيًّا لم يبدأ الا بعد ان تحدّد الاسلوب العلمي الحديث في اواسط القرن التاسع عشر ، وبعد ان ظلّ العراك بين الاوضاع والتقاليد القديمة وبين الفكرة الحديثة ، سجالا اكثر من قرن ونصف قرن من الزمان وهذا التمهيد التاريخي ضروري لمن يريد ان يستوعب هذا البحث استيعاباً نستعين به على فهم حقيقة الفكرة من « الجامعه » ، وقد بدأنا نتخذها اساساً لتقدمنا العلمي

***

ان كثرة الجامعات والتوسع في اختصاصها من الاحداث الظاهرة في الحياة الاجتماعيه في هذا العصر ولقد اشتركت جميع الاقطار في نتيجة هذه الحركة ، وعلى الأخص امريكا التي تمتاز على غيرها من هذه الناحيه امتيازاً يوليها الشرف على ان غناء الجامعات العلميه في عدد الكليات والمعاهد التابعه لها وفي اتساع احجامها وتخالط نظاماتها الداخليه ينطوي على خطر قد يمكن ان يقضي على موارد النفع التي ننتظر منها اذا لم نفهم تمام الفهم حقيقة الوظائف الاوليه التي يجب ان تؤديها الجامعات في خدمة الامة

ولا يجب علينا ان نبالغ في جدّة هذه المدارس العمليه فانهُ قد مرّ عهد من الزمان اقتصرت فيه الجامعات على درس الحرّفات الشريفه فان جامعه « سالرنو » في ايطاليا مثلا ، وهي أقدم الجامعات الأوربية ، قد وجهت غالب همها الى درس الطب كذلك نجد في انكلترا ان جامعه كمبردج قد أنشأت كليه سنه ١٣١٦ لغرض خاص بها هو تخريج « كتبة نعينون في خدمة الملك » وقد خرّجت الجامعات رجالاً درسوا اللاهوت والطب والمحاماه والهندسة فالحاجات العمليه في هذا العصر من المهن التي تحتاج الى مقدرة عملية فائقه ، ولهذا نقدر انها تستحق ان تشغل مكاناً في هذا السباق العملي اما جدّة هذه الفكرة فمنحصرة في ان الزمان الذي نتمنى فيه جامعات معهد عملي ، واساليب العمل المختلفة فيه ، لا تزال في طور التجربه من هنا نضطر الى الكلام تعميماً لا تخصيصاً ، في المبادىء التي يجب ان تقوم عليها هذه المعاهد

تكوّن الجامعات من معاهد للدرس، ومعاهد للبحث. اما السبب الاول الذي يسوّغ وجود الجامعات فليست بحده في نقل المعرفة من رأس الاستاذ الى رؤوس الطلبة، ولا في الفرص التي تهيأ لاعضاء الكليات المختلفة لكي يبحثوا ويفحصوا عن الحقائق ان هذين الغرضين يمكن تحقيقهما في معاهد أقل من الجامعات نفقة. فالكتب رخيصة الأثمان، وطريقة «التلمذة» في الدرس معروفة ومنذ اخترعت الطباعة في القرن الخامس عشر، لم يبق للجامعات ما يسوغ وجودها، اذا اقتصرت وظيفتها على مجرد التلقين واعطاء المعلومات. اما الدواعي التي حفزت الامم الى تكوين جامعاتها فقد حدثت بعد ذلك التاريخ، وقد ازدادت في العصر الحديث قوة

اما المسوّغ الذي تقوم عليه «الجامعة» فينحصر في أنها تحفظ بالصلة القائمة بين المعرفة وبين ما يذوق الناس من طعم الحياة اذ توحّد بين الصغار الذين يتعلمون والكبار الذين يعملون باعمال تصوري في الدرس والبحث. ان الجامعات تدلي بمعلومات للمتعلمين بين جدرانها، ولكنها تدلي بها بطريق تذكي التصوّر. وفي هذا ينحصر وظيفتها التي يجب ان تقوم بها للحياة. اما جوّ القلق والاضطراب الذي تخلقهُ ذلك الاعتبار التصوري، فهو الذي تكيّف المعرفة. هنالك لا تصبح اية حقيقة ما، مجرد حقيقة عارية عن المعنى. انها تكون حقيقة تلابسها جميع ممكناتها واحتمالاتها انها لا تضحي عبئاً ثقيلاً على الذاكرة. بل تصبح مدعاة باعثاً على الاثارة والنشاط، مثيراً للخيال. تصبح الشاعر الذي يعبر عن احلامنا، والمهندس الذي يرتب اغراضنا ويرسم غاياتنا كذلك لا فرق بين التصور وبين الحقيقة. لان التصور يكون طريقاً لبيان الحقيقة. إنهُ يستخرج المبادىء العامة التي تطبق على الحقائق كما هي موجودة، ثم يلجأ الى استعراض عقلي لكل الاحتمالات المتنوعة التي تساير تلك المبادىء

وهذا مما يساعد الباحثين على ان يكوّنوا تصوراً عملياً في دنيا جديدة عليهم. فضلا عن انهُ يحفظ لهم ما يتذوقون من طعم الحياة، وما يصون به من ألوانها الكثيرة، مما تفرقهم اليه من العمل على سد أغراضهم واشباع مطامعهم

ان الشباب قوّة متصورة. فاذا قوي التصوّر بالمران التام، أمكن في الغالب الاحتفاظ بنشاط التصور مدى الحياة. اما مأساة الحياة الكبرى، فينحصر في ان الذين هم أقوياء التصور يكونون قليلي الخبرة، والذين هم كاملو الخبرة، يكونون ضعاف التصوّر. ان الحمقى اذا يعتمدون على التصوّر دون المعرفة. اما الادعياء فيعتمدون على المعرفة دون التصوّر. لهذا ينحصر وظيفة «الجامعة» في ان ترأب الصدع القائم بين التصوّر والخبرة

أما النتيجة التي تستطر من هذا فهي ان يزود الشباب منذ فتوتهم بالخبرة العملية التي يحرزها الشيوخ في شيخوختهم. وبهذا تكون الوظيفة التي تقوم من اجلها الجامعات محصورة في الحصول

على معرفة قائمة على التصور فاذا لم تقم الجامعة على أساس « التصور » فهي ادنى لا شيء ، او على الاقل تكون معدومة النفع

« التصور » مرض معد في حين انهُ لا يمكن ان يقاس بالوصف والقدم ، ولا يمكن ان يوزن بميزان اداتهُ الرطل او الاوقة ، حتى يستطيع ان يجرعهُ اساتذة الكليات لطلبة العلم جرعات سائلة او يفرضونهُ عليهم حقناً تحت الجلد انهُ ليس شيئاً من هذا انهُ شيء لا يمكن ان تنقل الى طلبة كلية نشأ اساتذتها بعيدين عن فكرة تشرب العلم من طريق التصور وأني ان اثبت بهذا فانما اكرر القول بمشاهدة من اقدم المشاهدات فمن الى سنة مثّل الاقدمون للعلم بشعل مضيء ينتقل من يد الى اخرى خلال الاجيال وما هذا المشعل المضيء الا « التصور » الذي اتكلم فيه الآن إني لاعتقد ان كل ما في النظام الجامعي من فوضى ينحصر باشادة معاهد تضيئها نور التصور وهذا لدى الحقيقة مشكلة المشاكل في التعليم الجامعي فاذا لم نعنَ بدرس هذه المشكلة ، واذا لم نقم التعليم في الجامعات على هذا الاساس ، فان الجامعات على كثرتها في هذا الزمان ، ستخفق حتماً في الوصول الى النتائج التي ننتظرها منها

إن اتحاد التصور والدرس يحتاج الى بعض التسطرنة والتحرر من القيود ومن متاعب الحياة ، مع قليل من الخبرة المنوعة ، ومعاونة عقول اخرى مشبعة الفكرات كثيرة المعارف كذلك هو يحتاج الى استهواء التطلع والاعتماد على النفس القائم على البحث والزهو بما احرزت الجماعة القائمة من تقدم في فروع المعرفة كما ان التصور لا يمكن ان يختار دفعة واحدة ثم يخزن آخراً ثم يحتفظ به في صندوق من الثلج تستولد منهُ كلما دعت الحاجة فان حياة قائمة على الدرس [illegible] هي طريقة تعرف منها كيف نعيش ، وليست سلعة من السلع التجارية تباع ثم تشرى وا [illegible] تباع من الانتفاع بهذه الحالات ومن الاحتفاظ بها في كثير من الكليات التي استكملت كل المعدات الضرورية للعلم ، تستخلص الوظيفة الحقيقية التي نشأ من اجلها جامعة [illegible] الجامعات ونعني بها المعاونة على الدرس من ناحية والبحث من ناحية اخرى فانك اذا اردت ان [illegible] اقوياء التصور ، شجعهم اذن على البحث ، وساعدهم على ان يكوّنوا احساس [illegible] العقلي على الصغار الذين تعلموهم ، في ذلك العهد الذي تكون التصور فيه اشد ما يكون [illegible] عمر الشباب والقوة ، عندما تكون قوى العقل قد احدثت تدلف الى نظام الا [illegible] الباحثين يعبرون عن آرائهم لعقول نشيطة مرنة مندمجة في الدنيا الحاوية بهم . [illegible] في عهد التحصيل العملي يتوج جهده بالاتصال بعقول [illegible] الخبرة العملية ذلك لان التعليم في الواقع ليس الاّ نظاماً يواجه به الانسان خطورة الحياة ، كما ان البحث مخاطرة [illegible] لهذا وجب ان تكون الجامعات موئلاً للمخاطرة والاقدام تعاوناً بين الشيب والشباب

# ١ – كلية الآداب

حديث الدكتور طه حسين بك

عميد كلية الآداب

وجه مكتب تحرير المقتطف الى الاستاذ الدكتور طه حسين بك عميد كلية الآداب السؤالين التاليين

اولاً – ما هو القسط الذي قدمهُ كلية الآداب لنهضة الفكر في مصر خلال السنوات العشر الماضية ؟

ثانياً – ما هي الصورة المثالية التي تريدونها لكلية الآداب ؟ فتفضل بالجواب التالي

— ١ —

أثرت كلية الآداب في تطور الفكر المصري تأثيراً واضحاً جدًّا يبدو في ناحيتين هامتين في طريقة تصور الأشياء والحكم عليها وفي الحياة العملية ، دائما

وفي الانتاج وعلى الرغم من غرابة هذه الكلمة ، فانها بالنسبة لنا حقيقة واقعة فالطلبة والمتخرجون انتجوا في ميدانهم كمترجمين ومؤلفين وصحفيين ، وكذلك بالطبع انتج اساتذتهم

واريد ان اعرف مدرسة أخرى في الشرق كله ، وصلت في فترة قصيرة الى ما وصلنا اليه وقد نكون ، في فترة السنين العشرة الماضية امتصصنا — كما تقول — خير ما في المعاهد السابقة لنا من مقومات ولكن أليس «الامتصاص» في ذاته دليلاً على القوة والحياة

فان اردت بعض مثل ، على ما تحب نسدله ، فلنعلم أن اللغة العربية مدينة الآن لكلية الآداب باحسن تاريخ عمل حتى الآن للحياة العقلية في القرنين الاول والثاني للهجرة ولولا ان احمد امين عمل في كلية الآداب . لما انتج هذا الانتاج الذي تخرب عن تحقيقه القرون الماضية كلها

واوجدت كلية ، الآداب شيئاً اسمهُ التنقيب عن آثار مصرية ، خالصة ، وآثار اغريقية ،

ورومانية ، وهي وحدها التي اوجدت اشتراك المصريين العلمي في علوم الآثار والانثروبولجي وما قبل التاريخ

وكلية الآداب هي التي اوجدت اول التآليف العلمية العربية في الجغرافيا ، فكتابا حوض النيل ، وسكان هذا الكوكب من أحسن الآثار التي تجمع بين اللذة العلمية والادبية وإني اتحدى اي مدرسة اشتغلت بالعلوم الجغرافية ووصلت إلى مثل ما وصل اليه قسم الجغرافيا عندنا

ويخيل إليّ ايضاً ان كلية الآداب هي اول معهد أظهر في العربية ترجمة ادبية لفوست وهرمان ودوروتيه لجوته عن الالمانية مباشرة ، لا نقلاً عن لغة اخرى ثم ان كليتنا هي التي انشأت معهد الآثار الاسلامية ، ولم يكن موجوداً قبل الآن ، ولاول مرة في تاريخ مصر أوجدت كلية الآداب الدراسات القديمة اللاتينية واليونانية لتساهم في الكشف والاستفادة من أعظم حضارتين فكريتين في العالم القديم

ولا يمكن أن ننسى أن كلية الآداب ساهمت مساهمة خطيرة في الحركات الادبية العامة لم يكن لمعهد آخر، فقد انفردنا بالعيد الالفي للمتنبي ، في اسبوع انشأناه لدراسته دراسة وافية واكثر من هذا انتجنا كتابين احدهما للدكتور عبد الوهاب عزام ، والثاني لي سيظهر قريباً ولولا كلية الآداب ما فكرت في دراسة المتنبي والكتابة عنهُ

وهناك في خارج الكلية نشترك الاساتذة اشتراكاً جديًّا في الحياة العلمية العامة . الطلك تعلم ان الذي يقوم بتحقيق كتاب السلوك وطبعه هو الدكتور زياده احد اساتذة التاريخ كما ان لمعهدنا قسطاً وافراً في توجيه السياسة التعليمية العامة، بما نقدمه في لجان وزارة المعارف من آراء وما نشترك فيه من كتب ومقررات للدراسات الثانوية والخاصة

وكلية الآداب هي التي مثلت مصر في المؤتمرات العلمية المختلفة التي تمس الآداب فقد مثلنا في مؤتمرات المستشرقين ثلاث مرات تمثيلاً رفع المكانة الأدبية للبلاد كلها وكذلك اشترك الأستاذان مصطفى عبد الرازق والخولي في مؤتمرات تاريخ الاديان واشترك الاستاذان مصطفى عامر وعوض في مؤتمرات الجغرافيا والسكان

وكلية الآداب هي أول معهد أدخل في روع الحكومة والشبان فائدة الرحلات الى البلاد الشرقية ، فقامت من أساتذتنا وطلابنا رحلات الى الشام والعراق ، وأرسلنا من ينوب عن معهدنا في حفلات الفردوسي بطهران

وهناك أمر خطير جداً لا يعرفه الناس تماماً حتى الآن فبعثة الجامعة الى بلاد اليمن مشروع من مشاريع أحد المتخرجين من قسم الجغرافيا الدكتور حزين وقد وصلت الى نتائج هامة جداً

أولها — الاكتشافات الجيولوجية ذات القيمة الخطيرة وكذلك الاكتشافات المتعلقة بالحشرات وأنواع النباتات

ثانياً — أحضرت البعثة معها نحو مائة وخمسين نقشاً أثرياً جديداً ستتخذها أحد أعضاء البعثة موضوعاً لرسالة دكتوراه

ثالثاً — ملأت البعثة ( اسطوانات ) للهجات جنوب اليمن ، وهو العمل الأول من نوعه في هذه الناحية

وفوق هذا وذاك أظهر أعضاء البعثة انهم على استعداد تام لاقتحام الاخطار ، فقد أدركهم من المرض والآلام ما يدرك عادة المغامرين في سبيل الغايات الكريمة وشعروا جميعاً بلذة هذا الألم لتحقيق أغراضهم العلمية

هذا ما يتصل بالأساتذة ويمكن ان تراجع في مكتبة الجامعة قائمة الكتب التي أنفقت عليها كلية الآداب وعاونت على ظهورها

وأما ما يتصل بالطلاب والمتخرجين بالنشاط الفكري ، فاترك لله حدث ( وهو من خريجي الكلية ) احصاءه ، فهو أعرف به [1] ولا ننسى رسائل الماجستير والدكتوراه ، ولعل كليتنا هي التي عرفت المصريين والشرقيين بالشهادة ، وقدمتها لهم مطبوعة منقحة

وفي سنة ١٩٣٢ اشتركت كلية الآداب في الحركة العلمية الصرفة حين اخرج عميد كلية

(١) يشير الدكتور طه الى مجهودات الهيئات الجامعية التي تعمل على نشر الثقافة العامة مثل لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية ولجنة الجامعيين لنشر العلم ولجنة التردي ومجهودات موفقة لكثير من الطلاب والمتخرجين في التأليف والترجمة والصحافة

للآداب من كليته فنهض الجامعيون بهمتهم الخطيرة للذود عن كرامة الجامعة واستقلالها وقاوموا الحكومة شهراً وضربوا في ذلك أمثالاً لن تنسى وكان لهذه الثورة تأثير خطير في التفكير الجامعي للشبان

واما الرقي العام للأمة فقد شاركت فيه كلياً مشاركة واضحة ، فهي التي فتحت ابواب التعليم العام للفتيات ، وفيها الآن ١٨٧ فتاة تشتغلن في جميع اقسام الكلية كما أنها خطت خطوة أخرى بأن ادخلت ضمن هيئة تدريسها ثلاث سيدات هنّ الآنسة سهير القلماوي ( للغة العربية ) والسيدة درية فهمي ( للغة الفرنسية ) والآنسة فاطمة سالم ( للدراسات القديمة ) وهن يدرّسن الطلاب والطالبات

والنتيجة ان لطلبة كلية الآداب واساتذتها ان يفاخروا بأثر كليتهم في هذه المدة القصيرة ، وان ينتظروا ان تعظم هذه الآثار كلما مضى الزمن ، ولا يحفلوا بما يقول الكاشحون ، فالقافلة تمضي موفقة على الرغم من المصاعب التي تلقاها ، وهي تعتمد على هذه المصاعب لان قيامها شرط اساسي لنجاحها فهي الامتحان الذي تروّضها ، وتعلمها ، وتمحص رجالها تمحيصاً وهي لا تريد النجاح السهل انما تريد النجاح العسير الذي يبعث الشجاعة والثقة ، بالنفس والامل في المستقبل ، وما يحقق الرجولة التي تحتاج اليها مصر في هذا العهد الجديد

***

— ٢ —

الذي أرجوه وأعمل لتحقيقه هو ان تؤدي كلية الآداب الى اغراض ثلاثة

الأول — احياء قديما المصري والعربي

الثاني — تحقيق الصلة الواضحة القوية ، بيننا وبين الحضارة الغربية

الثالث — اظهار أوربا على ما يجب ان تعرفهُ من استعدادنا الصحيح للحياة الخصبة والمساهمة في ترقية الحضارة الانسانية ومهما تبلغ كلية الآداب من تحقيق هذه الاغراض فلن ترضى ، ولن يرضى رجالها طلاباً ، واساتذة لان الرضى آية الخمول والجمود ، وهما أبغض الأشياء اليها

# ٢ — كلية الحقوق

حديث الدكتور السنهوري

عميد كلية الحقوق

— ١ —

س — أي شأن يستطيع أن يكون لكلية الحقوق في تمصير القانون ؟

ج — أعتقد أن كلية الحقوق تستطيع أن يكون لها شأن كبير في تمصير القانون . فأساتذة القانون هم أكثر الناس اتصالاً بالقانون . وإذا أريد تمصير القانون تمصيراً يقوم على أساس صحيح ، فلا بد أن يسبق هذا التمصير حركة فقهية يرفع لواءها أساتذة القانون ، لينيروا الطريق أمام العاملين ، ويكونوا طلائع هذه النهضة المباركة .

واول ما يجب أن نفكر فيه لتمصير القانون هو بحث الأساس الذي يقوم عليه هذا التمصير . وينبغي أن نلتمس هذا الأساس فيما يتصل بنا أوثق الاتصال ، في تقاليدنا [illegible] ، وفي تاريخنا القديم . فنحن إذا كنا عالة على الفقه الأجنبي في الوقت الحاضر ، فقد كنا أمة فقيهة [illegible] الأركان . فأطلال امبراطورية ، من أضخم الامبراطوريات التي عرفها العالم ، [illegible] ولا يزال الفقه الإسلامي حتى اليوم ثابتاً في وجه الزمن [illegible] بل جديداً ، ولم يخلق [illegible] فما علينا إلا أن نرجع إلى تراث أجدادنا ، فننفض عنه [illegible] ، ونقدم للعالم [illegible] شيئاً من صنع [illegible] ، ويكون عنصراً جديداً في [illegible] لدى [illegible] جهود الأمم على إقامة [illegible]

وينبغي أن نعرف أن الفقه الإسلامي لا يقل في إحكام صناعته ولا في [illegible] لا [illegible] ، عن الفقه الروماني [illegible] على تطوراته [illegible] لا يقل في الرقي ولا في مجاراة التطور عن أحدث التطورات القانونية التي يعرفها الغرب في العصر الحاضر .

[illegible] أن نعرف أن [illegible] في حاجة إلى جهود [illegible] للناس في [illegible] وحركة إحياء الفقه الإسلامي يجب أن تمر في نظري على مرحلتين (المرحلة الأولى) مرحلة للدراسة والبحث . وفي هذه المرحلة [illegible] كتب الفقهاء في المذاهب المختلفة ، [illegible] دراسة عميقة ، ونرتبها على أسلوب يتفق مع طرائق البحث الفقهي التي اهتدى إليها فقهاء الغرب . (و) مرحلة [illegible] مرحلة الاجتهاد والابتكار . وفي هذه المرحلة نخطو خطوة حرية

بالفقه الاسلامي ، فيفتح باب الاجتهاد الذي أقفل منذ زمن طويل ، لغير ما سبب ، الا ركود الحركة الفكرية في الشرق ، والا هذا الخمول الذي سقط في وهدته العالم العربي

والفقه الاسلامي ، منذ وضعه مؤسسوه ، مبني على فكرة الاجتهاد والقول [illegible] الاجتهاد [illegible] هذا الفقه انكار صريح للأسس التي بني عليها وما دام الاجماع مصدرا من [illegible] [illegible] هذا الاجماع [illegible] اختلاف الامة والجيل ، فقد كفل الاجماع للفقه الاسلامي دوام التطور وحياة [illegible]

وبعد ، فلي ان أنتهي من الاجابة على هذا السؤال ، أن أزيل وهماً قد [illegible] القارئ [illegible] في الرجوع الى الفقه الاسلامي شيء من الرجعية [illegible] في [illegible] العلماء الاجلاء [illegible] الاجنبية فقد [illegible] أن [illegible] نرجع الى [illegible] [illegible] ان [illegible] أحدهم بأحكام تخالف أحكام [illegible] [illegible] ان الفقه الاسلامي اذا درس على النحو الذي أشرت اليه أمكن أن [illegible] [illegible] وفي [illegible] أحدث النظم العربية المعروفة في الوقت الحاضر ويكون [illegible] [illegible] القارئ ولا أكون مبالغاً اذا قلت ان الدول العربية [illegible] تستمد منه أشكالاً [illegible] أرقى منها في غيره من النظم الأخرى ولما كان العلم لا وطن له ، والعلماء [illegible] [illegible] اذا وفينا للفقه الاسلامي هذا المستقبل الزاهر

— ٢ —

س [illegible] الوقت الذي يمكن فيه لمعهد العلوم القانونية في مصر ان [illegible] العالمي [illegible] ، [illegible] في ذلك [illegible] الآن [illegible] في المجلات المنظورة [illegible]

ج أعتقد ان الوقت الحاضر صالح للمساهمة في رقي الفقه العالمي [illegible] [illegible] ان ننشط لذلك . وان [illegible] له ما استطاعت من عدة وخير سبيل تسلكه هو الاشتراك في المؤتمرات العلمية ، وان تقدم الى هذه المؤتمرات أبحاث فيها [illegible] مبتكرة وأفضل ان تتناول هذه الابحاث [illegible] خاص مسائل من الفقه الاسلامي على النحو الذي قدمت في الاجابة على السؤال الاول

[illegible] أن [illegible] ان توثق كلية الحقوق صلاتها العلمية بكليات القانون [illegible] [illegible] في [illegible] العربية ، كبغداد ودمشق ، معاهد للقانون [illegible] [illegible] الاخرى وواجب [illegible] كلية الحقوق بمصر ان تصل بهذه المعاهد اتصال تعاون ، وان [illegible] [illegible] والطلبة على وجه يكفل للعالم العربي ان يسير في نهضته الفقهية متكاتفاً [illegible] وأرى ان [illegible] الا [illegible] من التوجه ناحية الشرق العربي لا يقل عما تكسبه من الاتجاه صوب الغرب

# ٣ — كلية الهندسة

حديث الدكتور عبد الرحمن الساعاتي

وكيل كلية الهندسه

بادئ بالترحيب أسئلة المجلة الغراء وأشكر لحضراتكم الرغبة في حديث اليوم [illegible] على تتبع تطور التعليم الهندسي في مصر وتسرني أن أجيب بالآتي

- ١ -

عن السؤال الأول وهو « ما هي أهم الابحاث الهندسية التي تقوم بها معهدكم الآن [illegible] هذا [illegible] في [illegible] الاعمال [illegible] خلال السنوات العشر [illegible] هو مدى [illegible]

[illegible] — ان [illegible] من كلية الهندسة [illegible] اولاً [illegible] اليوم [illegible] في [illegible] من [illegible] المصالح و[illegible] وسؤالكم منصب على [illegible] الاعمال [illegible]

عرض الكلية الاول [illegible] الحديث في ذلك يطول لذلك [illegible] هذه [illegible] الابحاث التي قامت بها معامل الكلية وطبقت نتائجها فعلاً في مصر

(١) أبحاث معمل الري — الغرض منها الوصول الى أنسب شكل [illegible] الاعمال الري الخاصة [illegible] قناطر وحرانات وسحارات وهدارات [illegible] وذلك [illegible] لهذه الأعمال [illegible] قام الاساس [illegible] من عدة [illegible] القناطر [illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible] الري [illegible]

التصميمات [illegible] القناطر [illegible] الأعمال [illegible]

الرياح [illegible] وتفسيره [illegible] الدخاوى وغيرها كذلك [illegible]

[illegible] الأبحاث

[illegible]

[illegible] ادوارها

[illegible] الاعمال [illegible]

من معرفة مدى تأثير المياه في قعر المجرى وحوافه وتأثير منشآت الري في سير المياه ونحو ذلك من تيارات مختلفة وفيضان للمنسوب الخ ونحو ذلك الحقائق التي أدخلناها [illegible] عملية

(٢) معمل ابحاث الأساسات وابحاث الخرسانة — الى عهد غير بعيد (منذ عشر سنوات تقريباً) لم تكن لعلم الأساسات ضوابط غير القواعد التجريبية ويرجع الفضل في [illegible] على أسس علمية الى جهود الاستاذ ترزاكي الذي أنشأ أول معمل لاختبار تربة الاساسات [illegible] فيينا وقد كانت كلية الهندسة في طليعة الكليات التي أخذت عنهُ وعاونته في هذا السبيل لاكتشاف قواعد علمية يمكن تطبيقها على أساسات المباني المصرية فأنشأت منذ ثلاث سنوات [illegible] ولما كان هذا الموضوع لا يمكن حله باجراء أبحاث داخل المعمل فحسب بل لا بد [illegible] علمية مع القيام بتجارب على مختلف المباني كبيرها وصغيرها فالبحث [illegible] المهندسون ولا المقاولون داخل الحكومة أو خارجها [illegible] المباني بالرغم من التأكد بأن نتائج هذه الابحاث تحفظ [illegible] ولا [illegible] المباني [illegible] بالرغم من ان نتائج هذه الابحاث [illegible] سلطة المهندس [illegible]

ومع ذلك فقد أمكن مع الوقت تذليل تلك العقبات [illegible]

وعشر [illegible] من أكبر مباني القاهرة والاسكندرية وغيرها من مدن القطر [illegible]

وفي داخل المعمل تجري تجارب على نماذج من التربة [illegible] الى حساب مقدار هبوط هذا المبنى وكميته [illegible] لاجهاد التربة [illegible] تأثر المياه بهذا الهبوط أو عدم تأثره [illegible] وقد [illegible] نتائج المعمل [illegible] للاساسات في مصر [illegible] الى [illegible] هامة في [illegible]

[illegible] الاساسات [illegible] تلك الابحاث [illegible] الكلية [illegible] وهذه الاساسات [illegible] الهندسة [illegible] هذا المعمل

(٣) [illegible] الآلات [illegible] ١٩٣٦ [illegible] ص ٤٤ [illegible]

[illegible]

الكرى والأمثلة على ذلك كثيرة نكتفي منها بذكر بحث بكنسون في نظرية الكهرباء المغناطيسية المرحيا وقد ظل هذا البحث لا ينتفع به عدة سنوات ولكنه أدى بعد ذلك الى اختراع الراديو ... من الصناعات التي تعد الآن في مقدمة الأعمال الهندسية ويدخل في نطاق هذا النوع أبحاث الدكتور ... والدكتور كوسائل الأساسين بالكلية ولعلي أتمكن في فرصة أخرى من ايراد شيء عن بعضها لقراء مجلتكم الغراء

— ٢ —

عن السؤال الثاني وهو « يطالب الكثيرون بتمصير الدراسات الهندسية ووضع بعض نواحيها ... بصفة تلائم ظروفنا العملي وحاضرنا الفني فما هو رأيكم في ذلك » ؟

أقول — لقد ... الطرق المتبعة في تكوين المهندسين بدليل ان المناهج والنظم المتبعة في جميع ... تكاد تكون واحدة ومع ذلك لا ... الكلية ان تكون الدراسة ... ملائمة لحاجات البلاد ... وتوجه عناية اعظم الى الدراسات التي ... تلك الحاجات الخاصة بصلة ... من العلوم بهذه البلاد فهذا غرض سام ... الكلية وهي دائبة على ... تدريجيًا بقدر المستطاع دون طفرة ولا ابطاء

وقد تم ذلك في العلوم التي تسهل وجود مراجع عربية لها او التي لها ... عربية مثل علوم الري والمساحة والرياضة الابتدائية

... الكلية بالناحية العملية من الدراسة سواء اكان ذلك في معاملها أم عن طريق الرحلات والزيارات لأهم الأعمال الهندسية ولا نغرب عن البال ان ... من المهندس أن نعنى بهذه الناحية ... مع عدم تضحية شطر عظيم من الجانب النظري ... الا اطلنا مدة الدراسة اطالة كبيرة وفي الكليات يجب ان نوفي اولا دروس ... الاساسية ثم تخصص ... بعد ذلك من الوقت ... العملية ... تكسب في ميدان العمل ولا ندرس ... الكليات ... والمدارس الفنية ... ما كان ... ومتوضحًا المبادئ الأساسية ...

وأملي أن تطرد بتقدم الكلية ... للجامعة ... والارتباط ... التي تسهل ... باختلاط طلاب الكليات ...

... اذا اقتصر ... المهندس على الناحية ... عندما يمارس ... من الوجهة الثقافية العامة لذلك ... طلبة الهندسة ... في الآداب ... لان التثقيف العام من ... بعد الان ان في حياته للاطلاع ... من السنوات

# ٤ – كلية التجارة

حديث [illegible]

عميد كلية التجارة

..

## أسئلة الطالب

(١) ما هي أهم فروع الثقافة التي تقدمها كليتكم لطلابها

(٢) هل هناك صلة بين معهدكم وبين نظائره من المعاهد الغربية

(٣) ما هي مدى المساهمة التي قدمتها كلية التجارة [illegible] الاقتصادية المصرية

(٤) ما هي الصورة المثالية التي ترجوها لكلية التجارة في عهدها الحاضر [illegible]

*

[illegible]

كان – ولا يزال – [illegible] من الاسلام [illegible] في المستقبل [illegible] وإدارتها لذلك كانت [illegible] الدراسات [illegible] يوم [illegible] العرم [illegible]

وقد أحدث [illegible] العلوم [illegible] وعلم ادارة الاعمال [illegible] الاقتصاد [illegible] الاقتصاد [illegible] والسياسية والقانونية

واليك [illegible] الاقتصاد [illegible] رياضة تجارية [illegible]

اقتصاد اجتماعي اقتصاد زراعي — نظام الصناعة الحديثة اعمال المصارف بورصات البضائع والاوراق المالية — صناعة وتجارة القطن التأمين الاعلان علم نظريات الحكومة الخ

ولئن كان علم الاقتصاد يدرس ايضاً في مصر في كلية الحقوق كما هي الحال في فرنسا الا ان دراسته في كلية التجارة أوسع وأعمق ، كما انها مدعمة فيها بمجموعة من علوم اخرى تجارية وجغرافيه وتاريخية تمت الى علم الاقتصاد بصلات قوية لذلك كانت كلية التجارة هي التي تعد بحق المعهد الاقتصادي في مصر ، ومنها وحدها يتخرج الاحصائيون في العلوم الاقتصادية والتجارية

وتعني كلية التجارة عناية خاصة باللغتين الانجليزية والفرنسية ، فتكثر من عدد حصصهما في سني الدراسة الاربع وتقلل من عدد الادلة في فصولها الى أدنى حد وتجعل الامتحان فيهما احباريا في كافة السنين ، وفوق هذا فهنالك طائفة كبيرة من المواد التي تدرس باللغتين الانجليزية والفرنسية

*

الاجابة عن السؤال الثاني

لا شك في ان هناك صلة وثيقة بين كلية التجارة في مصر وبعض المعاهد العلمية التي تناظرها في البلاد الغربية وهذا ما تنم عليه الحقائق الآتية

(١) انهُ روعي في نظام كلية التجارة في مصر ان تكون على غرار مدرسة العلوم الاقتصادية في لندن ومدرسة العلوم السياسية في باريس ، وذلك مع ملاحظة احوال البيئة المصرية وكثير من المواد التي تدرس في المعهدين الانجليزي والفرنسي لها مثيل في المعهد المصري

(٢) ان أعضاء هيئة التدريس في المعهد المصري تخرجوا جميعاً من الجامعات الاوربية وقضوا بين جدرانها سنين طويلة وتشبعوا بنظم المعاهد هناك وطرائق التدريس فيها ونشروا رسائلهم وبحوثهم العلمية الاولى في ظل تلك المعاهد ، كما ان منهم من يحتفظ بصلاته الشخصية ببعض أساتذته الاوربيين السابقين ، فيكاتبهم من وقت لآخر ويستطلع رأيهم في بعض بحوثه العلمية التي يعدها للحصول على درجة أعلى

(٣) ان جميع اعضاء هيئة التدريس في هذه الكلية ينتمون الى بعض الجمعيات الاوربية التي تعنى بشئون التعليم التجاري كالجمعية الدولية للتعليم التجاري . وهم بوساطة الاجتماعات السنوية التي تعقدها هذه الجمعية والمجلات والنشرات الدورية التي تصدرها يقفون على حركة التعليم التجاري وتطورها في بلدان العالم المختلفة

ان كلية التجارة في مصر قد احدث منذ العام الماضي نوفد بعض ١٠ ر ـيا في اثناء العطلة بعثات صيفية الى بعض البلاد الاوربية للوقوف على التطورات الاخيرة في بعض العلوم ... كفن الاعلان والبيع والتأمين، وزيارة المعاهد والشركات الخاصة ...

***

الاجابة عن السؤال الثالث

تشعر الهيئة المشرفة على التعليم في كلية التجارة بأن في عنقها رسالة خطيرة يجب ان تؤدى ... احسن وجه، هي ايجاد الكفاءة المصرية التي تستطيع ان تعمل في دوائر الاعمال ... فمصرها بعد ان ظل العنصر المصري مقصيًّا عنها زمناً طويلاً ... القومي ابوابا جديدة بما تؤسس من مشروعات و ... اليوم بأن عدداً كبيراً من خريجيها يشغلون مختلف الوظائف الهامة ... على عواتقهم تقوم صرح هذه المؤسسة القومية العظيمة ... ذلك ... المجالس الجديدة أخيرا

وقد كانت الوظائف ... معروفة ... خريجي ... التجارة ... في ... المعاهد الاخرى، وظف ... في وزارات الحكومة ومصالحها ... الآن أرقى الوظائف ... و ... ان تكاثر عددهم في ... الوظف في الحكومة ... يديرون ابواب ... لا ... الطرق، ومن ... وانهم ادارة معهم ... بعض الرجال المؤولين يؤيدونهم ... نظر مديري هذه الشركات ... واخيهم ... اسماء ... الذين يعملون ... الخريجين ان يعهد الى بعض الوظائف في هذه الشركات ولكن ... يرتطمون بعقبتين كبيرتين (الاولى) ان المرتبات التي تعرضها هذه ... قليلة لا تتناسب مع درجتهم العلمية ومقامهم العالية (الثانية) ان هذه الشركات ... خريجي المدارس الاجنبية ... الفرنسية، وذلك لان ... وأعمالها المختلفة لا تزال باللغة الاجنبية على انه ... في بعض اللغات الاجنبية ... لا نمانع في ذلك ... علومه كلها باللغة ... والذي ... تقوم اطفاره و ... ان الوقت قد حان لكي ... الشركات ... بمخاطبة المصريين و ...

القوميه مما ليس له مثيل في اي بلد مستقل آخر ، وللحكومه في هذا الميدان مجال واسع للتدخل كما ان شيئاً من الاعلان عن قيمة الدراسه في معهدنا ورقي مستواه العلمي قد يكون كفيلاً باقناع هذه الشركات بان تدفع الى الخريجين اجوراً معادل ما سوف يؤدونه لها من خدمات جليلة

ونحن نعتقد اعتقاداً راسخاً أنهُ متى تقدَّمت السنون واكتسب خريجو كليه التجارة من التجارب قسطاً كافياً — ومعظمهم لا يزال في مستهل حياته العلمية — فسوف يظهر منهم رجال أقوياء يقدمون على انشاء المشروعات الاقتصاديه الخطيرة التي تفتقر اليها البلاد ، ويوجهون اقتصادياتها في الاتجاه الصحيح ، ويكونون هم قادة الحركة الاقتصادية في مصر

***

## الاجابه عن السؤال الرابع

نرجو لكليه التجارة في عهدها الجامعي اطراد التقدُّم والرقي ، وان تكون بحق في الشرق كله أكبر معهد للدراسات التجارية والاقتصاديه يرد مناهله من جميع الاقطار الشرقية الشبان الأقوياء الذين يريدون ان يزجوا بأنفسهم في ميادين الاعمال الاقتصادية المنتجه فينافسون ويزاحمون وينجحون

ونرجو من الناحيه العلميه ان تخطو المعهد خطوات جديدة في البحث والتأليف واخراج أدق البحوث في الموضوعات التجارية والاقتصاديه ، وتنظيم المحاضرات العامه لنشر الثقافة الاقتصاديه بين الجمهور

ومن الناحية العمليه نرجو ان يزيد الاتصال بين رجال التعليم في هذا المعهد وبين رجال الاعمال البارزين ، فيكون لهؤلاء ممثلون في مجلس الكليه يمدونه بآرائهم العملية فيما نعالج من مسائل وما يرسم من خطط دراسية ، ويوجهون نظره بالاخص الى انواع الدراسات التى تهم في الحياة العمليه اكثر من سواها والى الصفات والملكات التي يجب بالاخص تنميتها فى طالب التجارة ، وان يتفضلوا من وقت الى آخر بالقاء بعض المحاضرات على طلبه المعهد ويقابل ذلك من الجهة الاخرى ان يكون من اساتذة المعهد اعضاء فى اللجان الفنيه التي تؤلف في مختلف الوزارات لمعالجه بعض شئون الاقتصاد القومى ، كما يكون منهم مستشارون فنيون لبعض الشركات ومراقبون لحساباتها واعضاء فى مجالس ادارتها ، وبذلك يستطيعون ان يكونوا دائمي الاتصال بالحياة العملية ولكي يشرحوا آراءهم النظرية في ظل التجارب الشخصيه والإحوال الاقتصادية الحالة ومن ثمَّ يرفع مستوى دروسهم ويزيد نفعها لطلابهم

# ٥ — كلية الزراعة

## حضرت محمد توفيق الحفناوي بك

عميد كلية الزراعة

— ١ —

كلية الزراعة معهد علمي بدأ صغيراً وسار في نواحي النمو على مرور الزمن فتناولتهُ يد الاصلاح والتعمير والتوسع وشملتهُ روح التجديد ولا يزال هذا المعهد متابعاً نموه ولما يبلغ الغرض الذي يتوخاهُ لهُ بعد

ذلك ان أي معهد علمي يبدأ حياته متواضعاً إثر فكرة طارئة أو إحساس عميق بضرورته فان كان وليد الفكرة الطارئة أو البحث السطحي يغلب فيه أن يولد ميتاً اما ان كان إنشاؤه نتيجة شعور صحيح بأن وجوده لا بدّ منهُ ليسدّ نقصاً في احدى نواحي النشاط العام للبلاد فانهُ لا يلبث أن يسوّغ وجوده وأن يقوم كالبنيان الراسخ فوق أساس ثابت الدعائم وأن تدب فيه روح الحياة فيكبر بتوالي الايام ويزيد الاقبال عليه والانتهال من مورده

وقد كان هذا شأن معهدنا إذ بدأ كمدرسة زراعة أنشأها المغفور لهُ محمد علي باشا وجلب لها الاخصائيين من الأجانب بقصد إدخال الأساليب الحديثة في الزراعة فواجهت هذه المدرسة حملات قوية من دعاة الرجعية وقد إختفت من الوجود مدّة وأخيراً غالبت هذه الحملات واستقرّت بالحيزة متواضعة بقصدها كثيرون من الاجانب لدراسة الزراعة المصرية على ان هذه المدرسة لم تلبث ان سوّغت وجودها بما صادفت من النجاح في تجاربها الزراعية التي شاركت فيها الجمعية الزراعية وكانت تصدر باسم الهيئتين مجلة شهرية كما ان خريجي المدرسة المذكورة إنتشروا في مختلف الأوساط الزراعية فأفادوا فائدة كبرى

لهذا اتجهت أنظار أولي الامر الى العناية بهذه المدرسة والرقي بمستوى التعليم فيها فكان من ذلك أن أصبحت في سنة ١٩١١ مدرسة عالية

وتابع المعهد بعد ذلك سيره حثيثاً ملتمساً وسائل النهوض ولكن لم يحاول خريجوهُ ان يوجهوا أنظارهم الى ما وراء أفق الوظائف والتوظف ولم يكن في ذلك عيب أو غضاضة بل كان أمراً طبيعيًّا في ذلك الوقت إذ تعددت المصالح الزراعة الحكومية كمصلحة الاملاك ووزارة

الاوقاف وديوان الخاصه الملكية فضلاً عن مصلحه الزراعة نفسها التي أصبحت وزارة منذ سنة ١٩١٣ لما للاعمال التي تقوم بها من الشأن الكبير في خدمة البلاد . كانت الوظائف الزراعية شاغرة بهذه المصالح تستمد خريجي المدرسة عاماً بعد عام ، بل كثيراً ما كانت تزيد عن عـــددهم

على أنهُ عقب استقرار الامور بعد الحرب العالميه نشط معهدنا من عقاله ودبت فيه روح جديدة تمشياً مع النهضه التي سرت في شرايين الحياة في مصر وكان من نواحي هذا النشاط إيفاد البعوث للخارج حتى تقوم بالتدريس فيما بعد إخصائيون في مختلف المواد التي تدرس بالمدرسة

وقد عاد كثير من أعضاء هذه البعوث وأخذوا بالتدريس وبالبحث في جميع الفروع الزراعية وقامت المدرسة في الوقت نفسه بالاستعدادات المناسبه لقبول عدد من الطلبة أكبر مما كانت تقبله من قبل فكان ذلك عهد تجديد في العلم الزراعي العالي إقترن في نفس الوقت بشدة اقبال الاهالي على ادخال أبنائهم المدرسة اذ أحسوا بفائدة التعليم بها

وعلى الرغم من أنهُ لم يمض عدة اعوام بعد على بث روح البحث والاستقراء في المدرسة فان ما تمَّ في هذا الصدد يدعو الى الفخر والايمان برسالة هذا المعهد الكريم

وكان بعد ذلك أن خطت المدرسة خطوة أخرى إذ أُلحقت بالجامعة المصريه وأصبحت « كلية الزراعة » في العام الماضي فكان هذا إقراراً بعظم نفع هذا المعهد وحافزاً لتنشيط البحث العلمي

***

— ٢ —

ورساله الجامعة هي رسالة البحث عن الحقيقه المجردة من كل غرض أو قصد والآن يقع على عاتق كلية الزراعه نصيبها من هذا البحث وذلك في حدود مهمتها وهي نشر الثقافه الزراعة في بلد أُحدث فيه الزراعة المكان الأول منذ اقدم عصور التاريخ

على أن ما قامت به الكليه من الابحاث في الفترة الوجيزة التي ذكرناها لم يغفل فيها الناحيه العلمية التطبيقية بل كانت مصلحة المزارع المصري رائدها ويقينها فقسم الزراعة بالكليه يقوم بعمل تجارب على المحاصيل المختلفه بغرض الوصل لمعرفة أصلح طرق الزراعه أو أنسب مقدار من التقاوي أو أوفق مسافة تزرع فيها النباتات للحصول على أكبر محصول من غله الارض كما أنهُ من آن لآخر يجرّب كثيراً من المحاصيل التي لم تدخل بعد في عداد المحاصيل المصرية وذلك لمعرفه درجه صلاحها في مصر

ومجاراةً للتوسع الحالي في غرس الحدائق وللرغبة البادية في الاتجاه بمركز مصر الجغرافي وإيصالها بالأسواق الأوربية كبلاد مُصدِّرة لأنواع الفواكه والخضروات المختلفة فإن قسم فلاحة البساتين التابع للكلية يقوم بتجارب عن إدخالها أصناف جديدة من الفاكهة كما أنه يجرّب زراعة بعض النباتات الاقتصادية والطبية ودراسة أوفق الطرق وأحسن المواعيد للزراعة ومقدار صلاحيتها لمصر

ولما كانت البلاد تفقد سنويًا جزءًا من محصولها لفعل الأمراض بها فإن قسم النبات بالكلية يبحث كثيراً عن طرق الإبادة التي تسببها بعض الفطريات وقد تمكن فعلاً من تخليص كثير من الحدائق عن بعضها

وللعلاقة الوثيقة التي للبكتريا بمحاصيل الحقل والحيوانات الزراعية بل وصحة الإنسان أيضا فإن قسم البكتريا يقوم بفحص الألبان المعروضة للبيع في الأسواق لتعيين مقدار نظافتها وعدد الميكروبات التي بها ونوع هذه الميكروبات كما أنهُ يبحث عن أنجع الوسائل التي تؤدي الى نظافة اللبن وقد جرّب فعلاً لهذا الغرض طريقة الحليب الميكانيكي

ومن المعروف أن للكيمياء تطبيق واسع في الزراعة ولذا تعددت نواحي دراستها في الكلية فهناك تجارب تقوم على بحث موضوع السماد وعلاقته بالتربة المصرية وهناك تجارب أخرى عن مادة المكونين التي اتضحت فائدتها في مقاومة الحشرات وأمراض النباتات وهناك تجارب أيضاً عن تحليل بعض المواد التي تستعمل في غذاء الحيوانات لمعرفة قيمتها الغذائية ومقدرة الحيوانات المصرية على تمثيلها

ولما كانت البلاد تستورد سنويًا مقداراً كبيراً من الجبن وسائر منتجات الألبان رأت الكلية دراسة هذا الموضوع بغرض إدخال عناصر جديدة في صناعة الألبان بمصر ولذا قام قسم الألبان بتجارب عن صناعة بعض أنواع الجبن التي تستورد من الخارج بكثرة مثل الجبن الرومي وصادف نجاحاً في ذلك على أن القسم المذكور يصنع أنواعاً أخرى من الجبن الأوربي مقلدة طبقه وذلك مثل النوع المسمى كريم ... ير أو الشدر وغيرها وقد صادف بعض هذه الأصناف إقبالاً في الأوساط المصرية

وهناك كثير من الظروف تصعب فيها تعبئة الفواكه والخضروات ونقلها بعيداً عن ذلك من أجل إهتمت الكلية بدراسة الطرق المجدية لإيجاد مسحات موحدة فعلا قام [illegible] الزراعة بحث طرق الحفظ والتعبئة وإستخراج الشراب وتقطير الزيوت العطرية

ونظرا لما عليه حالة الحيوانات المصرية من التأخر والخلط فإن قسم تربية [illegible] يعمل جاهدا على تحسين هذه الحيوانات ورفع مستوى الإنتاج منها ولذا وجه الاهتمام الى تكون

سلالة خاصة بانتاج اللبن من الماشية الدمياطية والى تكوين سلالة نوعية للعمل من الماشية البلدية والى رفع مستوى الادرار ونسبة الدهن في لبن الجاموس وتعمل القسم ايضاً على تكوين سلالات ممتازة من الأغنام الاوسيمي ومن انواع الدواجن المحلية ووفق نجاحاً في ذلك وسيأتي يوم قريب يمكن لهذا القسم ان يوزع حيوانات جديدة للتربية كما انه وجه عناية خاصة لادخال بعض انواع الماشية الأجنبية المعروفة بجودتها في اللحم واللبن ولا زال يواصل تجاربه فيها حتى يصل الى نتائج ثابتة قد تكون لها أثر في الانتاج الحيواني في المستقبل

وتعمل الكلية على نشر الابحاث التي تتم دراستها في مختلف الاقسام وذلك في المجلات الزراعية او التي لها علاقة بالابحاث المنشورة وقد نشرت مجلة الفلاحة التي تصدرها جمعية خريجي الكلية بعض هذه الأبحاث منها بحث عن زراعة فول السويا وبحث آخر عن فواكه مستوردة من الخارج وبحث عن الماشية والعناية بانتاجها وبحث عن البرسيم كغذاء لماشية اللبن في مصر وآخر عن تأثير سنة الأقارب في الدجاج وبحث عن تأثير الفيتامينات في درجة نمو « الكتاكيت » وغير ذلك من الموضوعات الاخرى

هذا ويسرني أن أنوه بالمجهود الذي يقوم به كثير من أساتذة الكلية فانهم لا يقصرون مهمتهم على التدريس ونشر الابحاث الحديثة فقط بل يقومون ايضاً بحركة تأليف في موضوعات اختصاصهم ولا شك ان هذا عمل له قيمته لانه يعمل الثقافة الزراعية من وسط الكلية المحدود الى وسط أوسع وأعم كثيراً وتتبين فائدة هذا العمل اذا عرفنا ان المؤلفات الزراعية التي وضعت باللغة العربية قليلة جدًّا تكاد تعد على الاصابع وقد صدر فعلا من هذه المؤلفات كتاب الخضروات، وكتاب الفواكه وانشاء مشاتلها وبساتينها ، وكتاب تاريخ فلاحة البساتين ، وكتاب حدائق الفاكهة ، وكتاب حدائق الازهار، وكتاب الزراعة المصرية، وكتاب النبات ، وكتاب تقسيم النباتات، وكتاب علم النبات ، وكتاب الكيمياء الزراعية ، وكتاب المساحة، وكتاب علم الحشرات الاقتصادي، وهناك عدة مؤلفات أخرى على وشك الظهور منها كتاب الوراثة ، وكتاب اصلاح الاراضي الزراعية ، وكتاب الخواص الطبيعية للأراضي الزراعية ، وكتاب مساحة الاراضي المصرية

وكثير من أقسام الكلية التي تهم جمهور المزارعين تفتح أبوابه لهم وترحب بهم ويتصل باستمرار بمن يرغب الاسترشاد به او زيارته او التمرين به وخصوصاً قسمي الألبان وتربية الحيوان وقد بدأ قسم الصناعات الزراعية يحذو حذوهما أيضاً

وتدعى الكلية للاشتراك في المعارض الزراعية سوا كانت خاصة او عامة وتلبي الدعوة لعرض ما تعده لهذه المعارض او لحضور التحكيم وتوزيع الجوائز وقد كان للكلية مكان بارز في المعرض الزراعي الصناعي العام سنة ١٩٣١ غير انها رأت ألاّ تقدم معروضات في معرض سنة

١٩٣٦ رغبة منها في إفساح المجال امام المباريات الشخصية ولذا اقتصرت الكلية على الاشتراك في هيئات التحكيم في المعرض المذكور وقد أقيم في العام الماضي المؤتمر الزراعي المصري الأول فساهم فيه كثير من اساتذة الكلية على انهُ اذا نظرنا نظرة واسعة الى تنظيم هذا المؤتمر ومباحثه وأعماله نرى أنهُ قام على اكتاف رجال الكلية سواء في ذلك خريجوها الذين يعملون خارجها ومدرسيها الحاليين

هذه هي اعمال الكلية في ماضيها صفحات فخار ومجد يتلو بعضها البعض

* * *

— ٣ —

على ان امام الكلية الشيء الكثير قبل ان تتم رسالتها كاملة فليس للعلم حد يقف لديه وقد وضعنا نصب أعيننا تقدُّم الزراعة في هذا البلد وسنقوم بنصيبنا كاملاً وربما قال قائل أن الوضع الحالي في كلية الزراعة أصله ومنشؤه إزدياد عدد الطلبة المتقدمين للدخول فيها ممن لا يجدون محلاً في الكليات الاخرى وليس أبعد من هذا الفرض عن الحقيقة إذ الواقع أن البلاد تقدر فائدة التعليم الزراعي العالي حق قدره وتضعهُ في مركزه اللائق به رغبة منها في حفظ ثروة البلاد وفي زيادة مواردها وتعدد محاصيلها وليس عندي دليل على صحة ما أقول أقطع وأقوى من ان الحكومة تفكر تفكيراً حديثاً في انشاء كلية ثانية للزراعة بل أنها وعدت فعلاً بذلك في خطاب العرش الاخير

ولقد إزداد عدد الطلبة الذين يتخرجون الآن عاماً بعد عام زيادة فوق حاجة الوظائف بمراحل كبيرة وعندي أن هذه حركة مباركة لانها ستلقي بخريجي معهدنا الى العمل الحر والى معاركة الحياة العملية ولقد عنيت الحكومة بأمرهم فعلاً وفكرت في مستقبلهم وفي الاجتماع بتعليمهم فوضعت مشروعاً لاقطاعهم اراضي يستغلونها بمساعدتها المالية حتى تصبح ملكاً لهم بعد مدة من الزمن وهذا المشروع في حد ذاته محك كبير لقدرة خريجي الكلية على ابراز مقدراتهم وتبرير وجودهم وتستفيد منهُ الدولة فائدة كبرى بتعمير مناطق لم تكُ عامرة وحماية صغار المشترين جميعاً بشدة الحاجة اليها في عهدنا السياسي الحاضر كما ان الخريجين سيستفيدون منهُ من دراساتهم من خبرة المصادر المعروفة في البلاد ألا وهو مالكيه الاراضي وسيفيدون منهُ أدبياً كثيراً من صفات الرجولة كالجلد على مكافحة الحياة حلوها ومرها ووضع الامور في وضعها الصحيح مشتان بين حياة الوظيفة وحياة العمل الحر كما ان الشعب سيفيد منهُ زيادة في ايراد كثير من أفراده وعائلاته وسيجد المزارعون امامهم في الاقطاعات المشار اليها قدوة حسنة تجمع بين العلم والعمل وتقف امامهم مرآة لروح العصر الحديث روح الانتفاع بجميع عناصر الطبيعة في الزراعة

# ٦ — جامعة القاهرة الاميركية

### حديث الدكتور رسل جولت

### عميد كلية الآداب فيها

---

قد يستغرب القرّاء لاول وهلة ان يفسح المجال لكلمة معهد اهلي صغير، بين اقوال عمداء كليات الجامعة المصرية العظيمة. ولكن وجه الغرابة يزول اذا تذكرنا ان عمل المعهد العلمي الاهلي في جميع انحاء العالم، ليس منافسة معاهد الحكومة بل تكميل عملها. فالمعاهد التعليمية الاهلية لا تستطيع ان تحلّ محل الحكومة في تربية الشعب لان التربية في المقام الاول من شأن الحكومة حتى في الولايات المتحدة الاميركية، حيث تكثر الجامعات والمدارس الاهلية نجد ان معاهد الحكومة هي اساس التربية العامة. الا ان المدرسة الاهلية في العالم قاطبةً، تقوم بعمل حيوي، تستمدُّ حيويتهُ من طبيعة تكوينها، وهو عمل قد يتعذر القيام به في مدارس الحكومات ففي انكلترا والولايات المتحدة الاميركية نجد جامعات اكسفرد وكمبردج وهارفرد وييل وكولومبيا تحمل من تبعات الزعامة العلمية قسطاً اكبر من كثير من جامعات الدولة

وقد اتجهت جامعة القاهرة الاميركية منذ انشائها الى تحديد خطتها حتى لا تنافس مدارس الحكومة من جهة، ولتكون نوع التربية التي ينالها طلاّبها ذا ميزة خاصة، ولذلك وضعنا نصب عيوننا ثلاثة اهداف

اولاً ان نجرب التجارب بأساليب جديدة من التربية، رأينا فيها فائدة لمصر وللبلدان العربية اللغة في الشرق الادنى

ثانياً طبع طلاّبها بطابع حرية الفكر وحرية البحث واستقلال الانشاء

ثالثاً طبع طلابها بطابع الشخصية الممتازة والخلق العالي

ضروب جديدة من التربية — عنيت المدارس الاهلية في مختلف الاقطار باستحداث اساليب جديدة في التربية وتجربة تجاربها والواقع ان مدارس الحكومة يصعب عليها هذا التجريب لان الحكومة تفضل في الغالب ان تحافظ على الحالة الراهنة. واذا رأت ان تحدث تغييراً كان تغييراً بطيئاً. فهي تمنعها من التجربة. ولعلّ أبلغ الامثلة على ذلك ما تمّ في المانيا قبل الحرب الكبرى. فالمدارس الاهلية. التي من مستوى المدارس الثانوية، منحت حرية واسعة النطاق في تجربة اساليب جديدة من التعليم فأسفرت التجربة عن المدارس اليومية في الريف

وقد عنيت جامعة القاهرة الاميركية بتجربة سلسلة من التجارب، في عدة الآداب منها، تتعلّق بمناهج الدراسة، والتمرين الفردي في معامل البحث، والدراسة القائمة ... مراجعة المؤلفات في المكتبة، وانشاء حلقات للبحث والمناقشة، وتعيين مستشار من خاص ... الجامعة لكل فصل من الفصول، والامتحان الرياضي الاجباري، والتربية الرياضية الاجبارية ... وتعليم الحسي وغيرها

وقد أسفرت هذه التجارب، عن نتيجة تفخر بها، وهي تتجلى في ان طلابنا القدماء ومتخرجينا ومفتشي الوزارة، قد انشأت جوّاً خاصًّا ما

ولم تكتف بتجربة التجارب بأساليب جديدة من التربية، بل سعينا الى انشاء فصول جديدة تدرس فيها موضوعات تهمّ ابناء الشرق الادنى خاصة فللطلاب الذين يحصلون الى الفوز برتبة بكلوريوس في الفنون والعلوم، أعددنا برنامجاً في العلوم الاجتماعية، يشتمل على علم النفس الحديث، والحضارة المعاصرة، وعلمي الاجتماع والاقتصاد، وعلم السياسة والعلم ... المقابلة، وتاريخ الشرق الأدنى، ومشكلاته المعاصرة بل لعل أهم ما عنيت جامعتنا باحداثه في هذا الصدد، قسم الصحافة، الذي يعدّ طلابه اعداداً نظريًّا وعمليًّا ... الصحافة العربية، وذلك لاننا نعتقد ان صحافة أمة قوة من القوى العاملة على ... البلاد ورفع مستواها العقلي ولما كانت المعاهد العالية في الولايات المتحدة الاميركية، قد وضعت ... في تنظيم كليات الصحافة كان من الطبيعي ان تقدم جامعتنا على تجربة من هذا القبيل ... في قسم الصحافة، يتلقى العلوم العامة في العلم والتاريخ والاجتماع والاقتصاد والعلم ... وعلاوة على ذلك يتلقى دروساً نظرية وعملية في تنظيم أعمال الصحف ... من جميع الوجوه، ومن بواعث سرورنا أننا ننتظر حضور الدكتور ... الصحافة في جامعة سيراكوس الاميركية، في فبراير القادم ليلقي سلسلتين من ... صحفية، وليشترك معنا بخبرته الواسعة كصحافي وعميد، في تنظيم قسمنا الجديد

وقد جرّبت جامعتنا كذلك تجربة جديدة في تربية المعلمين فمدرسو المدارس ... يستطيعون، ان يتلقوا في جامعتنا دروساً في فنون التربية والتعليم، بعد الظهر ... اتمام الدراسة واجتياز الامتحان للفوز برتبة بكلوريوس في التربية

وهذا القسم يديره أساتذة متضلعون من علوم التربية الحديثة كفلسفة التربية وعلم النفس التربوي، وادارة الفصول، والاحصاءات التربوية، والتربية المقابلة وغيرها

[ البقية في باب مكتبة المقتطف ... ١٢١ ]



# سميراميس

## مسرحية

بقلم اديب فرنسا الكبير

**بول فاليرى**

فى ثلاثة فصول موسيقى «ارثور هونجار» مثلت أولاً على مسرح « الاوبرا » فى باريس ١١ مارس سنة ١٩٣٤

« حقوق النقل محفوظة للمترجم بإذن المؤلف »

ومن يجهل اديب فرنسا الاكبر «بول فاليرى» الشاعر الذى احدث بطريقته الفنية تحولاً كبيراً فى ارباب الادب فهو يعقل قبل كل شىء لا يرى فى خضوع الشعر لهذا العقل غضاضة ، وهو مهندس فى افكاره دائماً هندسياً ، فلا يزداد الا روعة ، لا يرى ان عمل الشاعر مقتصر على التعبير عن خلجات فؤاده وخطرات نفسه وانما همه ان يعبر عن الافكار ويرى فى شعره عاطفة صافية تسرع الى ما وراء الطبيعة وهو لا يأخذ بيدها ليغمضا اراء عاطفة انسانية ، وانما يرفعها لتقف ازاء روح الوجود

والذين قرأوا «المقبرة البحرية» والزورق الفنى قد لهم تفكير هذا الشاعر الرمزى الذى تحلقه العقل لحمله وقد اردنا ترجمة هذه المسرحية للقراء ليروا لونا جديداً من الادب الجديد دعا به العنون الجميلة كلها من رسم وموسيقى وشعر ولحن تضافرت جميعا وتعاون على رفع الانسان الى عالم تحلله الفكر العميق وما سميراميس الا فكرة سامية من فلسفة الشرق الى ملتقى فيها كل شىء متآلفا حتى الاقتصاد « خليل هنداوى »

---

**الأشخاص**

سميراميس الأسير اربعة منجمين

ملوك اسرى كهان ديركو وصيفا الملكة جنود خدم

الزخرفة — زخرفة المكان وأردية من وحى تمثل روح الآثار القديمة ، يمازجها شيء من الروعة والرهبة الفخمة

# بابل

## العجلة

زخرفة الفصل هنالك بهو واسع ، وأبواب صماء ، نرى عن الشمال صنماً ضخماً للربة « ديكرتو » على الهيئة الوحشية وجهها وجه امرأة وبدنها بدن سمكة ونرى عن اليمين — إزاء الصنم — عرشاً منصوباً على هيئة ديوان تتألف أجزاؤه من أسراب حمائم ذهبية ، وعلى جوانب الصنم منارات ومصابيح مختلفة تُنار في أوقاتها

يرتفع الستار فاذا المشهد مظلم رائع ، واذا بالضوء يتسرب رويداً رويداً وهنالك بعض اشخاص من عمال القصر يتلون ويتنقلون ويتخلل هذا المشهد ضرب من الرقص الايمائي مدى لحظات قصيرة

دخول الاسرى تتعالى في خارج المشهد لجة تمتزج بها أصوات الأبواق ، فيتحرك الاشخاص فجأة ، وتفتح الابواب بشدة فيدخل الملوك الأسرى مصفدين بالأغلال في سبيل ضيق يحيط به الجنود ، يجثون ويركعون ونرى سيماء الخزي عليهم ثم يشمل السكون ويطول الانتظار

دخول الملكة ها هنا تخالج الموسيقى جوًّا جديدا محفوفاً بالامرة والكبرياء وتبدو الملكة على عجلة حفيفة عليها حرس الحارس وامامهم المتورة يجر هذه العجلة ثمانية ملوك اسرى مصفدين بسلاسل من ذهب تطل سميراميس من قلب مجالها السوداء ، بيدها رمح ذهبي وعلى كتفيها نشرت حمائم من ذهب اجنحتها وعلى وجهها خوذة تحجب جله وهي مستوية على حامية عاجية مبسوطة على هيئة سمكة تأخذ المدق بيد وبالأخرى تتناول قوسها فتسكن كل حركة بدخولها وتصبح اللحظة لحظة احتفال

الملوك المقهورون الويل ابناء الويل لنا

والخزي لآلهتنا الصماء !

يا للمجد الخادع !

يا للضحايا المسفوح دمها باطلاً !

— ١ —

تحل حرم الملوك ويتقدموهم تماطه لتترعوا على درجات العرش وتقدم الحنود منعصين على بعض الأسرى حتى يكون من هذه الأجساد الذليلة بساط مفروش من اليمين الى الشمال والجواري منطرحات حول العرش

— ٢ —

تهبط الملكة من محلها في جلال وتتجه نحو عرشها واطئة أجساد الأسرى

— ٣ —

تجرد الجواري الملكة من سلاحها وتكسوها زينتها الملكية وعلى العرش تسطع الانوار ثم تنزل الحالات الى العرش وتقوم بوظائف حملة دائرة و ... المرآة والتاج وغيرهما ، وخلال ذلك توقع الموسيقى ألحاناً تلائم هذا المشهد ... سميراميس من زينتها وتقعد كالنائمة وبيدها صولجانها

— ٤ —

الكهان والحنود يرقصون والعبيد يدخلون حاملين أوثان المغلوبين على أمرهم ، على هيئة مسوح مختلفة لها وجوه حيوانات ، فتلقى أمام الربة « ديكريتو » فتعزف الموسيقى لحناً مفجعاً ، يمزج بعض حركات عنيفة الشكل ، ثم تشير اليه كي تقطع هذه الأوثان وتحطم تماثيلها

٥

روّعت هذه اللحظة احد الملوك الأسرى فرفع رأسه ونظر الى هذا المشهد وخلال لحظة الملكة وحسب انه رافعة صولجانها حاقد في ... احد الجلادين تقطع عنقه ، تحت رأسها على ذراعيه فتسكن جأش الحنود وهي قد ساقها جمال الاسير فدغدغت جدائل شعره وروعت رأسه بها وتأملته طويلاً ثم ألقته يجثو على ركبتيه وهي لا تزال قابضة على ناصيته وأعطت الحراس صولجانها فحملوه راكعين خاشعين أمرت سميراميس الأسير بأن ينهض وغدائر شعره في يدها وما زالت تشدُّ به حتى أسحت به ناحية وتركتهُ جامداً كالمعتوه لا يتحرّك أحدث تمتحهُ

باشاه دقيق ، بحس دراعيه وكاهيه وبأمره بأن يدور حولها دات اليمين ودات الشمال ، ويبهي امسحانها باتسامه رضا فيها معاني الحشيه وحل اد داك قيود اسيرها فيقف مكتوف اليدين واجماً ساهماً ، لا يدري ما اصبع به وهنا تخمد الانوار وتنطوء المصابح ، ويعسى عرو، الملكة ظلام لا يتبيّن الناظر ما وراءه الا نساء بها ساحه المشهد الاول تسطع بضوء خاص ينوي الملكة رفق وحنان على قدمي أسيرها ، تمرغ وجهها على ركبتيه وترنو اليه بخشوع وغرام وهو قد دهعته الخوف وثاب اليه هدؤه وأخذ يمر بيده على رأسها وعلى فمه ترتسم ضحكة صامته ، والستار آخذ في الهبوط

وهو ستار شفاف رقيق رسمت على ملاءته المطرزة طيور مختلفه ، ترى عن يساره حراس القصر مدججين بالسلاح وهم يرحون امامهم الملوك المصفدين ، وترى حملة الطعام والشراب والثمار والعطور فوق الحامل يحفون الى حيث اسحى الجيشان ، وخلال دلك يقوم الهارجون بضروب من الرقص ثم يرتعش الستار قليلا قليلا ثم يهتك كأنما النسيم اراحه فيهدأ الهارحون عن رقصهم ويتوارون وراء الاستار

## الفصل الثاني

نحن في اعماق الفصل ، وعلى جوانبه ستر رشفافة مزخرفه ، يرفع الستار عن جناح من الحدائق المعلقه وفيه سرير واسع عالي ساند على شكل هرم والليل قد لف الكون ، وفي الجناح شمعدان ضخم تشتعل بالعطور والطيوب وحوله مائدة مشحونة طعاماً وثماراً معاقه سلاسل عاطه يسهل تناولها

في قلب هذا الليل الناوح يرى العاشقين هرى يرى الحبيبين على السرير وقد تشابكت منهما الأيدي ، ولس على بدن سميراميس الا حليها واسرها يرتدي ثوباً ارجوانياً ويعانقان طويلاً

الجوقه سميراميس ، ايتها الجارة الجبارة

ها أنت داهله في الحب

بدنك عذب بين يدي العاشق الحالم

وهسك الكبيرة تهاوى على اللذات

سولو في قلب الليل
ان نحن الا انت وأنا
لا ملك ولا ملكة
في قلب الليل

في قلب الليل
هناك هو هي
انما نحن شيء واحد
في قلب الليل

انما نحن شيء واحد
لا ملك ولا ملكة
وفرح واحد
في قلب الليل

— ١ —

سيسقط الرجل ويتظاهر بالهرب من الملكة وتقعُ رجعاً على ركبتيها بين المساند
سقط ويتظاهر بالنوم فتدنو اليهِ تعطف وتلثم عينيهِ وتحمل لمسةُ لمساً رقيقاً ، وتحنو
عليهِ حنوًّا رقيقاً لتوقظهُ

— ٢ —

تناول رجاجة عطر رشها عليهِ وتدهن يديه وساقيهُ ، ثم تناول ثماراً وكأساً
ليأكل ويشرب تخدمهُ كأمة ، وتلثم يديهِ وقدميهِ وتدور بها خاضعة لهُ متراخيه
عنده قد شلّ الحب كل قواها

— ٣ —

ينظر اليها ضاحكاً فرحاً بما ملك ، سدي قوّة الرجل الذي انتصر يحدثها
ويراها كأنها من سقط المتاع فيذكر كيف مسهُ أول عهدها بهِ فيعطيها رأسه
فتهره وتضحك في وجههِ ضحكة وحشية همجية ثم تدفعهُ عنها وتشد عليهِ حتى تضعهُ
تحت قدميها وهي خلال ذلك مضطربة محسطه فيرفع يده يريد ان يهوي عليها وفجأة

نسود السكون وسميراميس يتبدل وجهها ويرجع الى الوراء وتجمع نفسها كأنها وحش ضارٍ ابدى رائبةً للوثوب ابتسم الرجل ابتسامة ازدراء وضحك والانوار الدهشة استحالت انواراً لها لون الدماء هرّ كمها وقبض عليها نكلتا يديهِ محاولا التغلب عليها فاستجمعت قواها وانفضت نفسه وزلفت بين يديهِ كالافعى وعادت الى وجهها سيماء الحرب فقذفت بهِ بعداً وطرحتهُ على اسفل السرير حيث تدحرج دليلاً وصاحت صيحة اجابها عليها عواء وزئير، وظهر على الأثر فريق من الحراس والحارسات كانوا يرحفون من احشاء السرير، ويخرجون من اطواء الطنافس وثنايا الاستار، فهووا على الرجل وكلوهُ، والرجل في حالة اضطراب

توارى الجمع وظهرت الملكة مرتدية غلالة سوداء حاملة بيدها حربة شرعتها نحو صحتها، وغادرت سريرها وشمل الظلام ولا يزال النور يألق على الستار المرتخي شيئاً فشيئاً، ولا تزال العين تلمح طائفة من الحراس يحملون جثة الاسير ولهم لحن يوحي الطفر وخلال ذلك تبدو سميراميس وقد حملت مصباحاً مشعلا واخذت تتقدم

## الفصل الثالث

رفع الستار عن مرصد مشيد على قمة برج أُقيم لرعي الكواكب وعابديها فيه أربعة وجوه ضخمة هي «سيد» وهو ثور له وجه انسان و«نيرجال» وهو اسد له وجه انسان و«اوسور» وهو انسان و«نابيح» له رأس نسر وكان الوقت قبل الفجر والنجوم لا تزال تتألق حتى اذا لمع لامع النهار وقع النظر سريعاً على مشهد فيهِ انهار وغابات ومدن ودخان

هنالك أربعة منجمين يحلون الأزياء، كأنهم في عيد السهي سحري يرعون بأسماء الآلهة يترنمون وينادون آلهتهم، ويدلون أوصافهم

المنجم الاول يا روح بعل، يا ملك الاقطار

الجمع اذكر

المنجم الثاني ياروح «سان» يا واة الاقطار

الجميع اذكر

المنجم الثالث يا روح «ايسار» يا عادة الجحافل

الجميع اذكر

المنجم الرابع النهار يشرق والنسر يعود والحمامة تسرع مصرحة بدماء الحب تعود بسعد كبور الحياة ألا ان الحب يورث الموت

الجميع سميراميس ! أيتها الألوهة ،
سميراميس ، أيتها القادرة ؟
يا قوّة الآلهة ،
يا وردة السماوات ،
ترفقي بي يا سميراميس

، وهنا ينطرحون ثم تدخل سميراميس في اعماق الهيكل ، وهي بردائها الاسود ، ورأسها محجوب بالشفق ، وبينا هي تشد هذا الشفق على رأسها تنظر الى السماء نظرة عميقة وتحيي المنجمين ثم تدور على نفسها برفق وترقص رقصة النجوم ثم تقول

سميراميس أيها الصرح ، يا صرحي ويا سمائي
يا صرحي الذي رفعتهُ وسمكتهُ
أيها البرج السامق ، يا صنع يدي
يا زهرة قدرتي المصرحة بدماء الدراري
يا هيكل السماء ، حيث أرتل مدائحي
ان الحمامة تحلق فوقك ، على علاء النسر
على قمتك أسكر بالكواكب
واستحم بالبرد السماوي الذي ينساب الى النهار

برد السماء الإلهي يبلل الروح كالسيف
ويخمد الحب في النفس ويسعدها من السعادة

ها هنا لا ذبول ولا حنان فاتر
والورد ان هو الا ذكرى خالية المعاني
ولكن — هنا — تتجلى القدرة وحدها

أُحبك ياسمائي ، يا هيكل الهياكل الذي من اجله آتي ومن اجله أعود

سميراميس وهل أكثر صدقاً وطبعةً من الاهواء والقسة بأبيها من شق بأنهُ جميل!
وهل اكثر صدقاً وطبعةً من رجل يعلل نفسه « بأن ملكة تهب نفسها
وحسدها ان هي إلاّ امرأة مستعبدة ذليلة »
لقد كان جميلاً حقاً ،
كم رقصت من أجله بلذة ، ومن أجلي أيضاً
ويجلس على الاورير ، وصوت بعيد يحمل اليها صدى أغنيه بسيطة
لا يدرك كلماتها ، تستغرق الملكة في حلم حزين ثم تأخذ ترقص بهوى ،
ثم تكف عن رقصها بغتة !
« سميراميس طاهرة انها قلت »
يا نفسي نفيها ، يا سميراميس وحدها !
ما ذا ؟ ان هذا الراعي الذي تتفاوح أغنيه بما لا أدري من روح الحب
هل ألّف اغنيه على الملكة ؟
وهل سم الكآبة الناعم المسكوب في هواء الفجر يقدر ان يعودني قسراً
الى الضعف الانساني ؟
لا يا سميراميسي يا قادرة على الحياة وحدها معتزلة !
ليس لي شبه ، ولا أريد حياة ولا موتاً
امراميز مبهمة تعلن اليقظة ، والشمس ترسل اشعتها ، تضيء المدينة ،
سقوفها ، ومحاريبها اللامعة سميرامس تلمح نفسها وتقف موقفاً جليلاً
ها أنت
ها قد بدا السيد يختال في مجده
بدا من يعطي ومن يأخذ ، ومن يولّد ومن يبيد
يطهر ويضرب ويضع كل شيء منسجماً في نظامه
يجمع الفضاء والارض والانظار والافكار
سلاماً يا سيد الزمان !
لا اريد سواك مرآةً لي
اني أقدم نفسي كاملة الى معرفتك الملهمة

سميراميس ولا ترى — في سميراميس لا سرًّا ولا ظلاً من احلك

[ تكشف عن بدنها وتصبح عاريه كما ظهرت في الفصل الثاني ]

ايها الاله لا اعرف سواك !

يا اله الآلهة ، لا احد غيري وغيرك

أُريده بكل قواي

[ ترقى على الافريز ]

كم أروح !

كم أروح هنا ريح السلطة المطلقة الصافية

أرى وأروح — في الاعالي — كل ما صنعت

الرغبة بركبي والهوان رفعني

ان فاي أوسع حدوداً من ممالكه

وليس هنالك صرح — مهما شمخ وتعالى — أستطيع ان أكشف

من علوه حدود نفسي

أُريد ان أكون عظيمة حتى يأتي رجال العصور الآتية ويشكوا في وجودي

أُريد ان أكون قوية جميلة حتى يروا فيَّ خليقة رومانية ساميه

أليس المجد الأعظم هو نصيب الآلهة الذين لا يُبصرَون !

سيقولون عن سميراميس — ألاَّ وجود لها — انها آلهه

[ تنزل وتمر تحت الهيكل ، وبحركة من مشيها الفتان تبث لحظة كأنها

في صلاة ثم ترقى درجات الهيكل ]

والآن سأنام على حجارة هذا المعبد

وسأُصلي للشمس وهي في حدتها حتى تُحيلني بخاراً ورماداً ، وحتى

تنطلق — حرة من نفسي في هذه اللحظه — هذه الحمامة التي غذيتها

بكثير من المجد والكبرياء

[ وهنا تمددت سميراميس على حجر الهيكل واشتعلت بأفراحها وغدت مشعلاً

من النور الباهر طوال لحظه صاب خفيف يحيط بها ثم يرتفع متوثباً ثم

يتمزق عن حمامه تطير ، ولا يزال المعبد الفارغ يسطع في الشمس ]

# الكيمياء الصناعية (1)

## معجزات علمية أغرب من الخيال

بقلم عوض جبري
[عن مجلة العلم العام الاميركية]

﴿الحرير الصناعي﴾ ليتخيل القارئ كرة من الخيط، تزن رطلاً واحداً فقط من نسيج رفيع جداً. فإذا ما نشرت تلك الكرة، امتدت من المحيط الاطلنطي الى المحيط الهادي قاطعة أميركا من الشرق الى الغرب. فهذه احدى العجائب الكيميائية التي عرضت حديثاً في مدينة كنساس بولاية ميسوري بأميركا، عند اجتماع الكيميائيين، ليبادلوا أعمالهم بعضها ببعض. وهي أحدث ضروب الحرير الصناعي. اذ الثوب الذي يُصنع منهُ، يباح اخفاؤه في قبضة الكفّ

ولا شك في أن الذين صنعوا الكرة المشار اليها، بالوسائل الكيميائية، قد بزّوا دودة الحرير لأن رفع خيطها، ثلث رفع الحرير الطبيعي. وكان تحسين وسائل تنقية عجينة الخشب، التي تقوم مقام المادة الاوليه في الحرير الصناعي، ثم تحسين المحلولات الكيميائية والآلات المستعملة في صنع ذلك الحرير، متحدة بعضها ببعض، كفيلين بخلق تلك الكرة

فغدا المرء يعروه الدهش من مبتدعات الكيمياء الصناعية، كما يؤخذ من مطالعة قصص كتاب الف ليلة وليلة، العربي المشهور. وأصبحت الدار واللباس والمركبة، بل كل ما يحيط بك من اللوازم تستفيد من صناعة الكيميائيين

﴿السكر من نقع الذرة﴾ وتبين لهم أن الماء الذي ينقع فيه الذرة، عند صنع نشاء الذرة، يتولد فيه سُكّر، ذو خاصتين غريبتين. فيكون حلواً في حالة النقاوة. ولذا شرع بعضهم يجربونهُ في العيادات ليجعلوه بدلاً للسكر العادي في غذاء المصابين بالبول السكري. وتصير ذلك النقع نفسه مادة مفرقعة أقوى من النيتروجلسرين اذا ما عولج بالحامض النيتريك. ولا

(1) كتبنا في عجائب الكيمياء الصناعية مقالاً بعنوان «الفحم حجري من السكر» نشر في مقتطف مارس سنة ١٩٢٩ ومقالاً آخر بعنوان «الفضلات الزراعية ومنافعها» في مقتطف مارس سنة ١٩٣

يحتاج الى أية مادة كيميائية هامدة عند تحضيره للاستعمال فالنتروجليسرين وهو سائل متفجر جداً يحل بعض المواد الصلصالية لتصلح استعماله كدناميت ولكن « ديناميت الذرة » صلب بذاته ويتوقع الخبراء الذرع به الى تكسير الاحجار في محاجرها ، والى حفر الحفريات وشق الانفاق ويقدر المطلعون انه يتسنى الحصول على مليون رطل من السكر كل سنة، كفضالة تتخلف عند صناعة النشاء وذلك بالطريقة الكيميائية الجديدة التي ابتدعها الأستاذ ادوارد بارتو Bartow رئيس الجمعية الأميركية الكيميائية

﴿ بديل الهواء الطبيعي ﴾ وقد دَّس الدكتور ولرد هرشي الأستاذ بكلية مكفرسن في مكفرسن بولاية كنساس أن جرأة الكيميائيين، لا تحدُّ إذ أذاع أنهُ وُفِّقَ لبديل هوائيٍ أصلح للرئات البشرية من الهواءِ الطبيعي !!

ولا يخفى على القراء ان الهواءَ الذي نستنشقهُ مؤلف من النتروجين والأوكسجين ومقادير يسيرة من الهليوم وغيره من الغازات الجويه النادرة ، ولذلك رأى الدكتور هرشي أن يمتحن الغازات الأخرى ليقدر مبلغ صلاحيتها للحياة فحبس طائفه من الجرذان والأرانب الرومية والسنانير والقردة في حجر زجاجية محكمه الاغلاق وجعل يشممها غازاتٍ ومزيجات من غازات مختلفة بوساطة أنابيب ، فأدرك أن الهواء الطبيعي التي يأتي في المرتبة الثانية من مراتب الغازات الصالحة للنفس !! إذ استطاعت الحيوانات المشار اليها ، الحياة ، واكتساب القوَّة ، في مزيج غازي مركب من الهليوم والاوكسجين . فأثبت بذلك ان المرضى بالأمراض التي تسبب صعوبه التنفس هم الأَولى بستفيدون من ذلك الاكتشاف قبل غيرهم

﴿ الصمغ المرن الصناعي ﴾ ولا بدَّ أن المشغوفين بركوب السيارات سيهتمون بمشكلتين خطيرتين ، وهما العجلات والوَقود وذلك من جراءِ المكتشفات الجديدة إذ وافتنا الانباء من امريكا بأن علماء الكيمياءِ الصناعية قد تمكنوا من صنع مطّاطٍ صناعي، آخذين بآحد الأميركيين الذين سبقوهم في ذلك الميدان ففي مدينة « ديب ووتر بوينت » في ولايه نيوجرسي مصنع لصنع الصمغ المرن (المطّاط) ينتج مليون رطل في السنه ويقول المحققون إنهُ ذو خصائص يتفوَّق بها على المطّاط الطبيعي تفوقاً عظيماً ، وذلك من عدة وجوه ، وان ذلك المطّاط الصناعي سوف يحل في الحروب محل الطبيعي كله

ومخترع المادة الاساسية لتركيبهِ هو القس نيولند (الاستاذ بجامعه نوتردام) J A Neuwland وقد نال من أجله وسام Nichols نيكولس وهو من أسمى الجوائز الأميركية لعلم الكيمياء وتؤلف المادة الأولية المشار اليها من الاسيلين العادي وتسمى فينيلاسيتيلين Vinylacetylened ومما قالهُ الكيمياوي الذي منح الجائزة الى ذلك الأب المخترع عند فوزه « ان ميدان البحث

العلمي لا حوج الى شجاعة أكثر مما تقتضيها ساحة الوعى» وهذا قول لا مرية فيه اذ يعلم الخبراء علم اليقين مبلغ الخطر العظيم الذي يستهدف لهُ كلٌّ من مارس التجارب في مشتقات الاسيتيلين ، وهي مواد دقيقة شديدة التفجر

ومع علم الأب نيوولند بفداحة الخطب فقد خاطر بحياته مرات لا تحصى في قيامه بالتمحيص الذي أسفر عن ظفره ، بذلك الظفر المبين

﴿ البنزين الصناعي ﴾ ومن المواد الجديرة بالذكر في هذا الباب « استخراج البنزين من الفحم الحجري » وقد تمَّ في كل من انكلترا والمانيا، حيث أنشئت لهُ مصانع ضخمة . أما في ولايات أميركا المتحدة فان مسألة مزج البنزين بالكحول ، واتخاذ ذلك المزيج وقوداً للسيارات ، قد رجحت مثاراً لمناظرات عنيفة تدور رحاها بين علماء الكيمياء اذ يقول انصارها انها ستفيد الزراع فوائد مالية عظيمة وذلك من بيع مقادير كبيرة من محصولات الذرة التي تزيد على حاجتهم اذ يستطاع بالكيمياء ، تحويلها كحولاً وان مزج الكحول الذي يستقطر من الذرة بتلك الطريقة ، بمقدار كبير من البنزين ، يجعله وقوداً صالحاً للسيارات مثل البنزين الصافي ، هذا اذا لم يفقهُ في الاقتصاد وتوليد القوة الدافعة

وعلى حين تتشعب آراء العلماء الكيميائيين في مبلغ الاستفادة من ذلك المزج المزمع تجربته ، يؤكد خبراء دائرة المناجم في حكومة الولايات الاميركية المتحدة ، ان المزيج نفسه وقود صالح جدًّا للسيارات ، بشرط واحد فقط وهو اختراع محركات خاصة ملائمةً كل الملاءمة

وعلى كل حال ستهيأ الفرصة لاصحاب السيارات وسائقيها للحكم بأنفسهم على صلاحيته من عدمها، اذ أُنشئ مصنع في مدينة اتشسن في ولاية كنساس يستقطر كل يوم ١٠٠٠ غالون كحول من الذرة ، على ان تستعمل للمزج بالبنزين المعتاد وتصير وقوداً للسيارات يباع بالثمن عينه الذي يباع به البنزين المألوف

﴿ مسجلات الفوتوغرافية ﴾ وسيسمع المشتغلون بالتصوير الضوئي بالحادث الاتفاقي الذي حدث من عهد قريب لاربعة شبان من الباحثين في الكيمياء كانوا يحضرون طائفة من المحلولات الفوتوغرافية فدهشوا إذ رأوا ان ورق الطبع المغشّى بذلك المحلول ، ولّد لوناً اسود في أجزاء الصورة التي يجب ان تكون بيضاء ، ولوناً ابيض حيث يتوقع ان تكون اسود فبحثوا الموضوع جداً ، فتبين لهم انهم قد عثروا على قاعدة لصنع نوع جديد من المواد يصلح للمصورين بالضوء، اذ تسهّل التقاط الصور الضوئية التقاطاً مباشراً دون الاحتياج الى استخراج صورة سلبية ، بمثابة خطوة متوسطة وان ذلك المحلول الذي « المستحلب » الجديد تصلح ايضاً لالواح الفلم واللوحات الفوتوغرافية والورق وتم تحليله بأساليب ومحلولات ثابتة

﴿ فلزات حديدة ﴾ وقد نكشفت لعلماء الكمياء في محتبراتهم ، فلزات حديدة ، حيث استطاع الكيمائيون في معهد ملاون Mellon Institute للمباحث الصناعية في مسرح بولايه بسلفانيا ، صنع شفرات فاخرة لموسى الحلاقة المأمونة وذلك من مزيج فولادي اخترع لذلك القصد اذ خلطوا طائفة من المعادن، بعضها ببعض ، ثم استخرجوا منها خليطاً طبيعيًّا يحل محل الرصاص في الوقايه من الاشعة القوية التي تنبعث من الراديوم وهو خليط مؤلف من الحديد والالبوميوم والنكل والكوبلت ومنهُ تصنع الآن اقوى المغنطيسات الدائمه المغنطه، في العالم وكذلك يستعمل منهُ الفولاد النقي الذي يجمع بين الرونق والقوة لصنع مركبات السكك الحديدية

وبلغ من كثرة تنوع الاخلاط الفولاديه الحديدة المدهشة التي لا ينقطع سيل اختراعها ، ان علماء الكيمياء انفسهم ، يلاقون الصعاب في منافسه بعضهم بعضاً ، ابتغاء السبق في ذلك المضمار

وزعت المؤسسة الهندسية في مدينة نيويورك ، في حصر الاخلاط الفولادية والحديدية المشهورة ، الآن دون سواها ، حصراً سهل المنال ، فعينت ١٥ رجلاً ليفحصوا جمع الكتب الفنيه في العالم ، وينقلوا منها ما يعثرون عليه من ذلك القبيل ، ليضعوا له فهرساً عامًّا

ويرى المحققون أن ذلك العمل الجليل لم يسبق له نظير في تاريخ العلم ومن اغرب ما يروى في هذا الصدد أن معلومات علماء الكيمياء في الحديد نفسه ، يسيرة اذ الحديد النقي يكاد يكون حديث خرافة وقد ثبت من عهد قريب أن الحديد الذي نعرفهُ ، انما يحمل شبهاً طفيفاً بالحديد المحض وذلك حينما استعمل الباحثون بالتجارب انقى انواع الحديد بتسخينها بلهب الهدروجين فكشف لهم ان الحديد الذي حصلوا عليه ، لا يصدأ في الاوكسيجين والماء النقيين وان تعرضا لهما شهوراً

﴿ الصبغات الطريفة ﴾ واسفرت مباحث العلماء وتجاربهم في الصبغات عن انواع منها غير مألوفه إذ أعلن الكيميائيون البريطانيون اكتشاف صبغة زرقاء حديدة لتستعمل دهاناً للحيطان والخشب ، ومداداً للطبع والمعروف الآن ان الالترامارين Ultramarine الذي اكتشف في سنه ٤ ١٧ والازرق البروسي الذي اكتشف في سنة ١٨٢٦ هما الصبغان اللذان تستعمل منهما الصبغة المشار اليها ، وهي لا تحتوي على الصفات المرغوب فيها اي اللمعان والقوة والثبات مهما تعرضت للضوء والحرارة والاحماض والقلويات وغيرها من المواد المذيبة

اما الصبغة الحديدة وهي المسماه «ازرق موناسترال الثابت Monastral » فيقال انها تحتوي على المزايا التي يحتاج اليها كل امرىء وعدا ذلك ، يقال انها افضل الالوان الزرقاء للطباعه الملونة ونستدل مما ذكرناه من الامثلة، على مبلغ فوز علماء الكيمياء وتأثيره في كل فرع من فروع المعيشة

﴿ الاثاثات المنزلية ﴾ ومما احدثهُ أولئك العلماء الكيميائيون من الانقلابات المدهشة ، في البيوت ، التدرج في صنع الاثاثات الخشبية إذ أن الاشياء التي مازالت تصنع دائماً من الخشب أو

المعادن ، ومنها حرائش الراديو واغطية المباني ، عدت تصنع من مواد صناعية تسمى بالمحائش وهذه يركبها الكيميائي في مختبره وهي في عرف الخبراء ، فاتحة لميدان رحب ، وسيغضها صنع المنضدات والكراسي والاسرة ، من تلك المحائش المتلالئة التي يسهل الاحتفاظ بها نظيفة ، ويصعب تعرضها للخدش او التشويه اما في وقتنا الحالي ، فلا نتوقع ذيوع استعمال هاتيك المصنوعات الصحية ، عن ارتفاع اثمانها قليلاً عن أشباهها التي تؤخذ من المواد الطبيعية

ويرى وليم هاينر الخبير النيويوركي الكيميائي انهُ اذا انخفض سعرها قليلاً ، انتشر استعمالها انتشاراً رائعاً

﴿ الزجاج اللين ﴾ والزجاج ايضاً مع شدة الحاجة اليهِ في صنع النوافذ ، وتفوقهُ في ذلك السبيل ، فلهُ منافس جديد وهي بهِ المواد الشفافة التي من فصيلة المحائش ومع ان منافسها في البيوت ما زالت موضعاً للجدل ، فقد تجلت بعض مزاياها المرغوب فيها ، ومنها المرونة التي تسمح بثنيها حتى تصير منحنيات تصلح لنوافذ الطائرات وقد نشأ من المحسنات الكيميائية الحديثة التي قام بها العلماء في الزجاج المستعمل في اواني الطبخ النموذجية التي توضع في الافران ، التمكن من صنع اوانٍ من الزجاج تقاوم الحرارة مقاومة فائقة لاجل الطبخ على رأس الموقد

﴿ الاستغناء عن حرارة البخار ﴾ وشرع الكيميائيون يخترعون طريقة لتحل محل البخار في اجهزة التسخين واساسها مركب اصطناعي يعرف باسم دفنيل diphenyl وهي مادة كيمياوية تمتّ الى عطر الخبرة الاوركية الصناعي ، تتحول بخاراً عند درجة ٥ فرنهيت ولما كانت تلك المادة تحفظ بالحرارة اكثر من البخار ويمكن رفع حرارتها الى درجة عظيمة ، دون احداث ضغط خطر ، فقد استعملت هذه المادة الجديدة في كثير من الصناعات

﴿ التبريد المنزلي ﴾ واتجهت عناية المهندسين الكيميائيين ايضاً الى مسألة التبريد المنزلي فاتخذوا مادة « الثلج الجاف » أي الحامض الكربونيك المجمَّد ، للتبريد في الاقاليم الحارة ، حيث تكون مصانع الثلج نائية عن امكنة الاستهلاك وحيث لا توجد الكهربائية ولذلك يوضع الثلج الصلب في صندوق داخلي معزول لكيلا تحدث الحرارة حدوثاً خشناً حداً ، والاَّ فدرجة حرارته البالغة ٩ ١ ورنهيت تحت الصفر تجمد محتويات الصندوق جميعها ثم أن تأثيره الجليدي الذي يعمل بوساطة رقاص معدني على الصندوق ، يتسنى بطريقه لتبقى درجة حرارة المثلجة في الحدود المرغوبة والمنافع التي تستخدم فيها ذلك المبرّد القابل للتبخر ، منفعة عرضية وهي تكوُّن غاز الحامض الكربونيك في باطن المثلجة الذي يقال انهُ يعيق نمو البكتيريا ويحول دون انتشار روائح الاطعمة

# تمدد الكون

منشؤه ومصيره

لنقولا الحداد

## المتناهي واللامتناهي

قبل ظهور نسبية اينشطين كان الفلاسفة اذا ساقهم التفكير الى سعة الكون لا يرون بداً من الاستسلام الى نظرية اللانهاية فيقولون الكون مادة ومساحة (مكاناً) غير متناه اي انهُ مكان لا نهاية له واجرام سابحة فيهِ لا نهاية لعددها واذا خطر لواحد ان يذهب الى ان هيولى الكون (مادته) قدراً معيناً قامت الاعتراضات في سبيل خاطره واذا سئل صاحب هذه النظرية اين موقع المادة المعينة القدر في فسحة الكون غير المتناهي، لم يُحِرْ جواباً لانهُ لا يقدر ان يعين موضعاً في رحبة الكون التي لا نهاية لها ما دامت خالية من اي شيء آخر يعتبر كعلامة يقاس من عندها الابعاد وبناء على هذا العجز عن الجواب حكم الفيلسوف «كنت» بانهُ لا يمكن ان توجد مادة معينة المقدار في رحبة الوجود غير المتناهية واذن فالهيولى غير متناهية في رحبة الوجود غير المتناهية ايضاً

ولكن العقل البشري يحار في اللامتناهي، كما انهُ لا يستطيع ان يتصور حدوداً للمتناهي ليس وراءها شيء فهو بين المتناهي واللامتناهي حيران ما دام يعتمد على الصور فقط واما اذا لجأ الى العلم فقد يجد ما ينقذه من الحيرة، ولا سيما اذا صرف ذهنه عن الصور واعتمد على منطق العلم فقط

بقيت مسألة اللانهاية لغز الوجود الى ان انحلت للعقل البشري «بنسبة الحادث» ودعمها «ناموس النسبية» فاتضح للعقل النير ان الكون، وان كان غير متناهي المكان، لا يمكن ان يكون غير متناهي المادة، بل لا بد ان تكون المادة فيه قدَراً معيناً يشغل فسحة معينة من المكان وبعد هذه الفسحة خلاءٌ غير محدود يصح ان يكون ما نسمونهُ «العدم»

وفحوى برهان اينشطين صاحب نظرية النسبية على هذا القول هو ان الكون اذا كان

مكاناً غير متناهٍ تشغله سُدُمٌ واجرامٌ وشموسٌ وسيارات لا نهاية لعددها وحسب مقتضى ناموس الجاذبية الذي لا مناص من فعله فيها جميعاً ان تتحرك هذه الاجرام في المكان اللامتناهي بسرعات اعظم جدًّا من سرعاتها التي نعرفها الآن بل بسرعات فوق حد التصوّر — تجاوز سرعة النور وهو امر مستحيل بحسب ناموس النسبية الذي كشف عن ان سرعة النور هي منتهى السرعة في الوجود، ولا يمكن ان تفوقها سرعة والجسم الذي تفوقها سرعته يفنى

بحسب برهان اينشطين هذا (وقد شرحتهُ في كتابي النسبية) يستحيل ان تكون اجرام المادة غير متناهية العدد او المقدار، بل هي قَدَر معين في رقعة معينة من رحاب المكان غير المتناهي فالحيز الذي تشغله هذه الاجرام هو ما نسميه علماء اليوم «المكان» space واما ما وراءه فخلاء يسمى «العدم»

## حصر الكون الهيولي

وهنا يتبادر الى ذهن القارئ ان يسأل اي شكل هندسي يحد هذا الحيز الماديّ؟ أمكعّبٌ هو ام كرة ام لوح مستطيل مستقيم ذو طول وعرض وسماكة؟

والجواب بحسب برهان اينشطين انهُ ليس شيئاً من ذلك وانما هو لوح سميك ولكنهُ غير مستقيم بل هو منحنٍ من جميع جهاته بحيث تلتحم حواشيه بعضها ببعض فيصبح بشكل كرة فارغة تامة الاستدارة (او الكروية) او بيضية الشكل (بشكل البيضة) وايشطين يرجح الشكل البيضي لاعتبارات لا محل لشرحها هنا واذن فهو بشكل بيضة فارغة والاجرام في قشرتها

ولتسهيل التصور على القارئ فيما يلي من بحثنا نفرض هذا الحيز المادي كرة فارغة الجوف اي ان جوفها خلاء عدم كالخلاء الذي حولها واجرام المادة سابحة في جلدة هذه الكرة من سُدُم او نجوم كبحر ما — كلها سائرة متساوية في اتجاه واحد في جلدة الكرة بقوة الجاذبية المتبادلة بينها

ولما اعلن اينشطين هذه النتائج من بحثه عن حجم الحيز المادي قال ان هذا الحجم بما فيه من هيولى (مادة) منذ الازل والى الابد لا يزيد ولا ينقص ولا يضيق ولا يتسع اي انهُ وعاء (بالشكل الذي تقدم وصفه، جلدة كرة) تتوزع فيه المجرات وتتحرك دائرة على محاورها متدحرجة فيه باتجاه واحد وقد حسب الحاسبون عدد ما فيه من كهارب وما يقابلها من بروتونات فاذا هي $10^{79}$ اي واحد الى يمينه ٧٩ صفراً وأمثل ا

ولكن ما ظهر بحث اينشطين هذا حتى ظهر من ارصاد هَبل Hubble في مرصد جبل ويلسون في كاليفورنيا ان المجرّات والسُّدُم تتباعد باستمرار بعضها عن بعض كانها تتشتت في الفضاء الخالي ودرس دي سِتر de Sitter ارصاد هَبل درساً دقيقاً وبرهن ان حجم الكون

الذي وصفهُ ايشطين بكونه ثابت المقدار اي لا يتسع ولا يضيق انما هو آخذ بالاتساع وغير ثابت على سعة واحدة، وان كانت المادة التي تشغله لا تزيد ولا تنقص اي ان الاجرام التي فيه تخرج عن حدوده التي قرَّرها اينشطين ولذلك يضخم حجم الكون كل هنيهة من الزمن

لم يعين دي ستر de Sitter متى ابتدأ حجم الكون هذا يتضخم — لم يقل كم كان نصف قطره (الراديوس Radius) حين ابتدأ يتضخم بل اقتصر على القول انهُ آخذ بالتضخم واما في ذلك الحين نشر العالم البلجيكي الاب لومتر Lemaître رسالة بهذا البحث برهن فيها ان الكون سريع ينفسح منذ نشأ لان كوناً كهذا الذي وصفهُ اينشطين ثابت التوازن لا يمكن ان ينشأ متوازناً ويبقى متوازناً الى الابد بل لا بد ان يبتدئ كبيراً متقلصاً رويداً او صغيراً ممتداً رويداً وهذا يقتضي انهُ لم ينشأ كرة فارغة كما وصفهُ اينشطين على حالة الحاضرة بل كان كرة صغيرة جداً كثيفة، ثم جعلت تنفسح تدريجاً، كأنَّ قوة فيها تدفع اجزاءها بعضها عن بعض الى خارج محيطها حتى فرغت من الداخل واصبحت كجلدة كرة مطاط كما هي الآن ولا تزال تنفسح كما قال دي ستر

فالكون ابتدأ كما برهن الاب لومتر

وهو الآن كما برهن اينشطين

ومستقبله كما وصف دي ستر

ولما علم اينشطين بارصاد هبل الى اثارت أفكار دي ستر وفريدمان ولومتر وغيرهم رحل الى اميركا لكي يقف على ارصاد هبل بنفسه ويتأكد صحتها فلما شاهد مشاهد ودرس ما درس هناك عاد مقتنعاً وغيَّر رأيه في حجم الكون وجعل يدرس حالة [illegible] بحث عن قاعدة رياضية له وان كان قد عزَّ عليه وعلى سواه ان يتحقق اصل [illegible] واما فرض لناموس جاذبية [illegible] وهي ان قوة الدفع عن المركز [illegible] اقوى من قوة الجذب الى المركز [illegible] وسمى الزائد في قوة الدفع «الدفع الكوني» [illegible] وحسب مقداره فاذا هو قدر ثابت [illegible] بالنسبة الى نصف قطر الكون مهما تمدد

## سرعة نشأت المجرات

كان هبل في مرصد ولسون اول من اكتشف سنة ١٩٢٩ ان المجرات تبتعد عنا بسرعات مختلفة وان ابعدها أسرعها (لسبب سنعلمهُ فيما بعد) وحتى سنة ١٩٣١ كان قد اكتشف سرعة ٩ مجرَّة منها ٨٥ تتباعد عنَّا و٥ تقترب الينا على ان اقتراب هذه المجرَّات الخمس ناقص

في الظاهر نظرية انفتاح حجم الكون التي تقضي ان جميع المجرات تتباعد بعضها عن بعض ولكن اقترابها يمكن تعليله بامرين معاً الاول ان هذه المجرات الخمس اقرب المجرات التسعين الينا ونحن رصدناها من نظامنا الشمسي ووراعي خط النور الينا من ارضنا لا من مجموع مجرتنا جملة فاذا راعينا سرعة نظامنا الشمسي ( ٢ الى ٣ كيلو متر بالثانية) في فرض المجرة كما نحن نعرف الى تلك المجرات اكثر ما هي بعد عنا ولكن لو راعينا خط الرصد من مجرتنا عموماً لا من نظامنا الشمسي خصوصاً لرأينا انها كغيرها تبتعد عنا والثاني ان منطقة مجرتنا واقعة بين منطقة هذه المجرات ومركز الكون ونحسب ناموس التسارع هي اسرع منها في مجرى العوالم الكونية فاذا كانت المجرات الخمس الدانية الينا تجري امام مجرتنا فمجرتنا تجري وراءها اسرع منها ولذلك تظهر لنا مقتربة الينا والحقيقة ان مجرتنا مسرعة اليها اذن اقتراب المجرات الخمس من بين التسعين لا ينقض نظرية ان جميع المجرات تتباعد متشتتة كما سنشرحهُ جليًّا فيما بعد

وكان سلفر Slipher من ناحية اخرى يرصد المجرات ايضاً ويستخرج سرعاتها فاستخرج سرعة ٤٠ مجرة ، منها ١٢ مجرة تتباعد بسرعة ٨ الى ١٨٠ كيلومتر بالثانية وهوماسون Humason في مرصد ويلسون اكتشف سرعات هائلة ، منها سرعة مجرة في خط الجوزاء (جمني Gemini) تتراجع بسرعة ٢٥ الف كيلو متر بالثانية وهي تبعد عنَّا ١٥ مليون سنة نور ولا ريب ان هناك مجرات ابعد من هذه واعظم سرعة

واذا جعلنا مجرتنا مركزاً ورسمنا حولها غلافاً كرويًّا على بعد مليون سنة نور عن هذا المركز كان ما اكتشفهُ الارصاد وراء هذه الكرة ٨ مجرة تتباعد تاركة وراءها خلاء لا يحتله مجرات اخرى غيرها بعدها

وقد استخرج هبل من مجموعة ارصاده للمجرات قانوناً لسرعتها ، وهو أن معدل السرعة ٥٥ كيلومترا في الثانية لكل مليون فرسخ (اعرفه .....) والفرسخ ٣٫٢٦ سنة نور اذن المجرة التي على بعد ٣٢٦٠٠٠٠ سنة نور عن مجرتنا تتباعد عنها بسرعة ٥٥ كيلو متراً بالثانية هذا قانون تقريبي وقد يكون الخطاء فيه نحو ٢ في المائة ويزعم آخرون ان معدل السرعة لكل مليون فرسخ يتراوح بين ٥ والف كيلو متر بالثانية

ثم حسبوا ان تباعد المجرات المستمر على هذا النحو يجعل ابعادها تتضاعف كل ١٣ مليون سنة نور

## كيف يتسع حجم الكون

والآن نشرح بقدر الامكان كيفية انتفاخ الكون الناشيء عن تشتت المجرات وتباعدها بعضها عن بعض

لنفرض ان في جلدة الكرة التي تسبح فيها المجرات ملازمة لها قوّة دافعة تمطها الى الخارج فالطبع تبقى المجرات فيها ملازمة لها فماذا نرى بعد اعطاطها ؟

لتسهيل الفهم تصور الكرة الكونية بالوناً أبيض من المادة المطاطة كالبالون الذي يلعب به الاحداث وتصوّر سطحه مرقطاً بنقط سود على ابعاد متساوية فيما بينها ثم تصوّر انك نفخت هذا البالون الى ان زاد حجمه أي زاد نصف قطره (الراديوس) نحو ربعه أو ثلثه فماذا ترى ؟ ترى ان النقط السود قد تباعدت بعضها عن بعض نحو ثلث المسافة فيما بينها ايضاً وانما تبقى نسبة التباعد بينها واحدة اي متساوية كما كانت قبلاً ثم ماذا ترى ايضاً ؟

اذا كان بين كل نقطة وأخرى سنتمتر قبل المط فبعده تصبح المسافة بين النقطة الواحدة والنقطة المجاورة لها سنتمتراً وثلث السنتيمتر فقط وبينها وبين الثالثة سنتيمترين وثلثين، وبينها وبين الرابعة ٤ سنتيمترات بدل ٣ سنتيمترات وهلمّ جرّاً

على هذا النحو تصور الكرة الكونية قد انتفخت في مدة معينة، وبه نفهم كيف ان المجرات كلما كانت بعيدة عنا رأيت لنا اسرع مع ان تباعدها بعضها عن بعض متماثل بالنسبة الى المركز الكوني ولو كنا في اية مجرة من مجرات الكون لكنا نرى هذه الظاهرة بعينها اي ان المجرة القصوى عنا اسرع ابتعاداً من القربى الينا — بالنسبة لنا ولكن ليس بالنسبة الى مركز الكون

لا يقتصر هذا المط والانتفاخ على حجم الكرة فقط بل يلحق جلدتها ايضاً اي انها فيما هي تنتفخ، جلدتها نفسها تسمك على نسبة ثابتة بين نسبة الراديوس الفراغي الداخلي الى الراديوس الخارجي واحدة هذا ما اكتشفهُ اينشطين ومنهُ استخرج قيمة ثابت الدفع الكوني Cosmical repulsion constant واضاف هذا الثابت الى معادلة الجاذبية النيوتونية

## سير الشعاع في محيط الكون

ولكن أخبرني ان شعاعة نور تصدر من اي جرم تطوف الكون هكذا ؟ ام انها تعبر الفراغ الداخلي من جسم الى جسم متخذة اقرب مسافة (اقليدوسية) ؟

والجواب انها لا تستطيع ان تعبر ذلك الفراغ (بحسب هندسة اقليدوس) لان الجو الجاذبي في جلدة الكرة الكونية التي نحن بصددها اقوى جدّاً منهُ في الفراغ الداخلي فلا يدعها تعبر الى ذلك الفراغ بل يضطرها ان تسير في الحيز الكوني (الجلدة) متخذة خطّاً منحنياً كالحنائهِ وقد برهن اينشطين انحناء خط النور في الجو الجاذبي وايدت الارصاد برهانه

وهنا قد يخطر في بال القارئ هذه الفكرة وهي ان اشعة النور التي تصدر من اي مكان تطوف حول الكون وتعود بعد ٣٢ الف مليون سنة الى حيث صدرت فلو استطاع انسان ان يخترع مرصداً قويّاً جدّاً بحيث يمكنهُ ان يتبين بهِ الاشباح عن هذا البعد السحيق لامكنهُ

ان يرى برصده هذا بعد ٣٢ الف مليون سنة (عمر طويل) طيف ظهره أحقيق هذا التصور ؟
نعم انهُ حقيق اذا كان حجم الكون ثابتاً لا يتسع ولا يضيق كما حسبهُ ايشطين اولاً
ولكن اذا كان الكون ينفسح كما قال دي ستر ولومتر فالشعاعة لا تعود الى حيث صدرت لان مصدرها ابتعد من مكانهِ وابتعد كثيراً هذا هو رأي العلاَّمة السر ارثر أدنغتون ولكن لهذا الخاطر ملاحظة وجيهة على هذا الرأي ، مع الاحترام الكلي للسر ارثر أدينغتون، تؤيد الخاطر الاول لنفس السبب الذي سمّيته بهِ ادنغتون وهو نعم ان الكون منفسح ومصدر الشعاعة منتقل من مكانهِ في الفضاء المطلق ولكنهُ غير منتقل من مكانهِ في الحيز الكوني المنفسح نعم ان الطريق الدائري الذي سلك فيهِ النور استطال وابتعد عن مركز الكون ولكن شعاع النور ما زال ملازماً هذا الطريق بحكم الجو الحادبي كما تقدم القول فسيّان عنده انفسحت دائرة هذا الطريق او تقلصت فهو سائر فيها ملازماً لها في حالة تمدُّدها
واما متى علينا ان نحسب حساب مسير المجرة ( التي صدرت منها الشعاعه ) في مجرى التضخُّم الكوني المتتابع فهذا المسير لا يغير اتجاه مصدر الشعاعة وانما يبعده عن قفاها من ورائهِ او يقربهُ الى قفاها من امامهِ

## كيف ابتدأ تمدد الكون وكيف ينتهي

نعود الآن الى كيفية ابتداء تمدد الكون بحسب نظرية لومتر المفهوم من نظريتهِ التي ايدها بالمعادلات الرياضية المستنده الى المعلومات عن ظاهرات الطبيعه والى الارصاد الفلكية — ان الحيز الكوني ابتدأ مجمعاً كثيفاً جدًّا حيث تكونت الهيولى فيهِ كهارب وبروتونات وهي تدور دورات محوريه ودورات مركزيه اي ان افرادها كانت تدور على محاورها وجماعات منها تدور على محاور مجموعاتها ثم لما صارت تبتعد عن المركز بقوة « الدفع الكوني » شرعت الجماعات تدور حول مركزها وكلها تدور حول المركز الاصلي وما زالت تبتعد حتى اصبح ماحول المركز فراغاً وما زال الفراغ يتسع وقشرتهُ الهيولية تمطُّ الى ان انفجر فتمزقت جلدتهُ الى مجرات كما تنفجر فقاعة الصابون اذا تماديت في نفخها ثم انفلتت كلٌ منها عن الاخرى واتسعت الرحاب بينها لتباعدها هي وانما بقيت قوة الجاذبية بينها كامنة لحفظها في غلاف الحيز الكوني ولا يزال هذا الحيز ينفخ على هذا النحو برأي لومتر وفريدمان ودي ستر الى ان ينفجر انفجاراً آخر يتضعضع فيهِ توازنه الحالي ، وتتشتت المجرات شتتاً فوضويًّا وتتشرد في الفضاء اللامتناهي في هذه الحالة تصبح التباعد بينها أسرع فأسرع الى ان يتجاوز سرعة النور فلا تعود المجره الواحدة ترى طيف المجرة الاخرى لان نور هذه لا يدركها
ثم ماذا ؟

في رأي بعضهم ومنهم السر جيمز جينز حينئذٍ تكون اجرام الكون قد دابت او قاربت الذوبان بفعل التشعع الذي تطلق به القوة وتتلاشى الذرات في فوتونات وحينئذٍ قد تعود ذريرات الهيولى الى تجمع آخر كتجمعها القديم لكي تعيد عملية تكوين الكون ، اما طبق الاصل او على نمط آخر الله اعلم كيف يكون

## هل التمدد عام ؟

بقيت نقطة جوهرية قد تلوح في خاطر القارىء المفكر وهي اذا كان « الدفع الكوني » سنة الوجود كسنة الجاذبية افلا يعمل عمله في المجرات نفسها ثم في الكوكبات العمودية ثم في النظم الشمسية ( ان كان ثمت نظم اخرى غير نظامنا الشمسي ) كما يعمل في كرة الكون بجملتها ؟ واذا كان يعمل عمله فيها فلا بد اذن ان تنفتح احجام المجرات بدورها وتنفتح احجام الكوكبات وحجم النظام الشمسي ايضاً وبالاحتمال يكون هذا الانفساح عامًّا على نسبة واحدة لكل جماعة مادية على قدرها

اجل ان هذه الملاحظة وجيهة جدًّا ولكن الواقع يناقضها قد تقول اريني كيف يناقضها فاقول ان هذه النظرية قاتلة نفسها بنفسها لانهُ لو كان الانفساح او التمدد عامًّا بنسبة واحدة لكل سديم وكل جرم في كل جماعة مادية على قدرها لما كنا ندركه تاماً ولا نحس بهِ ولا بغيره لانهُ حينئذٍ يتمدد المتر الذي نقيس بهِ والذراع والباع والكيلو متر والجزيء والذرة والكهرب والكرة الارضية والشمس والسيارات وبالتالي اجسامنا نفسها تتمدد وعقولنا تتمدد اونظرنا تتمدد الخ فكيف نستطيع ان نميز هذا التمدد اذا لم يبق شيء في الوجود لم يصبهُ هذا التمدد لكي نقيس عليهِ ؟

فكون ارصادنا تدلنا على ان الاجرام تتباعد بعضها عن بعض هو دليل واضح على ان الاجرام والمواد نفسها على اختلاف احجامها لم تتمدد بنسبة تمدد الحيز الذي تتحرك فيهِ فالمجرات تتمدد اقل من تمدد الحيز الكوني وكوكباتها Constellations تتمدد اقل منها والانظمة الاخرى اقل فأقل كلما تجاوزنا الى الاجسام الصغيرة حتى انك تجد بعضها لا تزال في دور التقلص

حاشية — نلفت نظر القارىء الى ان هذا البحث وامثالهِ من المباحث التي تطمح فيها العقل البشري الى استكناه اسرار الوجود لا تعتبر في حكم المؤكد لان المعلومات العلمية والارصاد والاكتشافات التي بنيت عليها ليست حقائق راهنة بل هي تقريبية وربما يتيسر لاهل العلم ان يؤكدوها او ينقحوها او ينقضوها بنظريات اصح منها مما يستجد عندهم من معلومات اقرب الى الحقيقة وفوق كل ذي علم عليم شبرا نقولا الحداد

# الحضارة الحثية

أقدم آثار آسيا الصغرى وسوريا الشمالية

بقلم قيصر صادر
عضو جمعية العاديات السورية

[ اشتمل الجانب الاول من هذا المقال التاريخي النفيس على بحث في البعوث الحفرية التي بحثت عن آثار الحضارة الحثية في آسيا الصغرى وشمال سوريا من ايام لاروك الفرنسي سنة ١٧٢٢ الى الآن ثم تلت ذلك كلمة في أصل الحثيين وحواضرهم الأربع في آسيا الصغرى وهي كوثر وبارا وزلبا وحاتوشا ( راجع مقتطف ديسمبر ١٩٣٦ صفحة ٥٥٤ - ٥٥٩ ) وفي ما يلي نظرة في فتوحاتهم وفي عاصمتهم كركميش المشهورة المحرر ]

عكف خلفاء الملك عيا على اتباع سياسة التوسع في بلاد اللوبين الذين دلت الآثار على رسوخ قدمهم في آسيا الصغرى منذ ٢٥ سنة ق م فاجتاحها الحثيون القدماء في القرن التاسع عشر ق م ونخص منهم بالذكر الملك تورهانا خليفة عيا الأول وأولاده ياريايا و انا جلما وقد تبين من حل رموز بعض الكتابات الحثية انه كان هنالك مملكة حصينة اسمها نورتشا جدا دوجها ملك حي يدعى بلابارنا وأخمد من الشعوب التي استعبدها فيها فصار اسمهُ بمثابة لقب يطلق على جميع الملوك الحثيين الذين تعاقبوا على العرش من بعده كلقب الاغسطس والقيصر اللذين عند الرومان فوسعت تخوم المملكة الحثية كثيراً على عهد هذا العاهل البطل ثم حذا حذوه كل من الملكين حاتوشيل الأول ومورسيل الاول فافتتحا سوريا الشمالية وتوغلا فيها وقد كانت حلب في ذلك العهد البعيد عاصمة مملكة مستقلة حصينة فرعاها حاتوشيل الاول رعاية واسعة وأغدق عليها النعم بالنظر الى مركزها الجغرافي ومطامعه الاستعمارية في البلاد المجاورة فزهت في أيامه وازدادت ازدهاراً ولكن خليفته مورسيل الاول ما لبث ان ندم على خطة

انتاش هذه المملكة التي قويت شوكتها وأخذت تطمع في توسيع حدودها خاصة جيرانها الحثيين الالداء فزحف عليها بجيوشه الجرارة ودمرها تدميراً بعد ان أسر مليكها وبعثهُ سجيناً الى عاصمته حاتوشا ثم واصل زحفه على بابل في القرن الثامن عشر ق م وكان ملكها يدعى سامصوديانا من ملوك السلالة البابليه الاولى التي تحدّر منها حمورابي الشهير فاكتسح الملك الحثي مدينة النور في تلك العصور وسلب معالمها وعكف عنها راجعاً الى عاصمتهِ بكنوزٍ لا تحصى فازدادت حاتوشا منذ ذلك العهد غناءً وعمراناً وأصبحت قاعدة الحثيين الكبرى حتى اضمحلال أثرهم من آسيا الصغرى وقد عثر في مكتبتها العامرة على لائحة تضم أسماء أحد عشر ملكاً خلفوا الملوك المتقدمي الذكر بيد انهُ لم يتسنَّ لنا بعد ان نقف على أعمالهم الاَّ واحداً يدعى تلابينو عاش في القرن السابع عشر ق م فقد اضطرّ هـذا الملك على ما تخبرنا المخطوطات القديمة ان يقضي معظم عهد ملكه جاداً وراء أقوام همجيه انتشروا في شمالي مملكتهِ انتشاراً مخيفاً فأبلى في محاربتهم بلاءً حسناً وقمع فتناً عديدة كانت تثيرها الشعوب المستعبدة طلباً لتحررها من قيود الاستعمار الحثي والخلاصة ان عهده كان عهد شؤم وشدَّة وهو يعزو ذلك في اعتراف لهُ الى المأساة التي أحاطت بظروف تسنمه العرش اذ لم يتوصل اليهِ الاَّ بعد ان أباد جميع منافسيهِ ومحى أثرهم ثم ندم على فعلهِ وخشي عقابها فعفا عن سائر خصومهِ الذين نجوا في قيد الحياة تكفيراً عن سيئاتهِ ونظم مجلساً عالياً للتأمين على خلافة الملك من بعده وفاقاً لقواعد الوراثه الشرعية وهنا تنقطع عنا اخبار الحثيين ردحاً يقرب من ثلاثة احقاب فاصله بين سنه ١٦٨ وسنة ١٤٥ ق م اذ لم يعثر على أثر يدلنا على حوادثهم في هذا العهد الخالي بين كل المكتشفات المتواصله الى يومنا فعسى ان تأتينا الحفريات القادمة بما يسد هذا الفراغ على انهُ يلوح من قرائن الحال حدوث كسوفٍ للسلطة الحثيه خلال هذه الفترة وانحدار في صفوفها مما سمح للساميين ان يلغوا صفاف العاصي وللمصريين ان يغزوا بلاد كنعان من غير ان يصدوا بمقاومه جديرة بالذكر

بيد انهُ ما عتمت تلك الدولة العظيمه ان استعادت صولتها على عهد تودهاليا الثاني الذي دشن عصور النهضة بفتوحاتهِ الموفقة في أواخر القرن الخامس عشر ق م وكان لهُ في تاريخ المملكة الحثية شأن خطير ومما ذكر لهُ انهُ استعاد في سنة ١٤٢ و م مملكه حلبا اي حلب الى حوزة الحثيين بعد ان خرجت عنهم زمناً طويلاً ثم عقبهُ في الملك حاتوشيل الثاني الذي أحرز انتصارات باهرة في سائر مدن سوريا الشماليه

اما خلفه تودهاليا الثالث فقد مني بانكسارات شديدة حملت ابنه على قتله لانتشال المملكة من وهدة الخراب التي اشرفت عليها فصعد على العرش من بعده الدرغام سوبيلوليوما (١٣٤٧ – ١٣٨٧) ق م وهو اكبر ملك في سلالة الملوك الحثيين وأعزهم شأناً وقد وقفنا على معظم الحوادث

الخطيرة التي جرت على عهده فضل المعاهدات التي عقدها مع الدول المجاورة ودوّنها على الواح خالدة والحروب التي نقش موقع انتصاراته فيها على الانصاب الحجرية ، تلك التي عثر عليها البحاثة الاثري كافيناك واستدل منها على ان هذا الملك وغل في سوريا حتى بلغ اقصى حدودها منتهزاً وقوع الشقاق في صفوف محاربيه ثم استولى على مدينة عيسوى القائمة على ضفة الدجلة الشمالية شرقي ملاطية وتحالف مع مليك علشة الواقعة في شمالي عيسوى وطوق ممالك الحوريين والميتانيين ودانت له بلاد كثيرة نخص منها بالذكر كركميش ثم زحف على بلاد كنعان واجتاح بطريقهِ قطنا فدمرها وحارب جيوش مدينه قادش وامد جنوده حتى اوغاريت المعروفة برأس الشمراء قرب اللاذقية التي كانت مستعمرة مصرية في ذلك العهد

## بين المصريين والحثيين

وقد جاءت رسائل تل العمارنة شاهدة صراحة على ما بلغ اليهِ هذا الملك العظيم وعلاوةً على ما تقدم ابانت تحريره مقاطعة عرفى الفرات من حكم الدولة الميتانيه بحنكةٍ ودهاء دون ان يلجأ الى سفك الدماء وبينما كان يعد عدته للقيام بغارةٍ على مستعمرات مصر في سواحل سورية طرأت اضطرابات خطيرة في آسيا الصغرى بين سنة ١٣٧٨ وسنة ١٣٥٨ق م اضطرتهُ الى ان يشخص اليها وثنى عن تلك الحملة التي كان ناويها على انهُ ما لبث بعد اخماد تلك الاضطرابات ان عاد الى سورية وقمع حروباً اهلية كانت قائمة في بلاد الميتانيين وتوج على هذه المقاطعة صهره ما تيعودا ثم اقام احد ابنائه المدعو بياسيل ملكاً على كركميش وآخر ملكاً على حلب فحصّن بذلك تخوم مملكته من غارات العدو وذاع صيته في مشارق الارض فبلغ مسامع ملكة مصر ارملة الفرعون آي خليفة توتنخ آمون آخر ملوك السلالة الثامنة الذي خلفتهُ المسه في العام الثاني من ملكه فبعثت تتوسل اليه ان يوفد اليها احد ابنائه ليجعله قرينا لها وخاطبتهُ بهذا التعبير « مات زوجي ولم يخلف وارثاً للعرش وقد قيل لي ان اولادكم كثيرون فما ضركم لو بعثتم لي واحداً منهم لاقترن بهِ وآمن من خشية الاضطرار الى الزواج من احد عبيدي » فلم يرتح سبيلوليوما الى طلبها واوفد احد عماله ليستوثق منها فاردفت تخاطبه برسالة ثانية قائلة « لمَ شككتم بحسن طويتنا وظننتم انا اياكم خادعون لو كان لي ابن لما تذللت الى العرش قلت لكم ان زوجي قد مات ولم يخلف وارثاً للملك فاعطوني واحداً من اولادكم الكثيرين لاجعله زوجاً لي وأبوئهُ عرش مصر ثقوا اني لم اكتب الى احدٍ غيركم ألعله يحسن لديكم ان اتزوج من احد عبيدي » فاختار عندئذٍ سبلوليوما احد ابنائه واوفده اليها ليكون ملكاً على مصر ولكنهُ قبل ان يتسنم ذلك الشبل الحثي عرش الفراعنة حيكت حوله دسيسة اغتيل فيها بيد اثيمة ونادى

حوراحب نفسه ملكا على وادي النيل فصدق عندئذٍ سوبيلوليوما ملك الحثيين وكتب رسالة وصلت مستورة لا نديا نشكو فيها من اغتيال ابنه من الشكوى ويوعد مصر بالانتقام وكلف ابنه اربوفسا الذي كان نائب ملكه ان يأخذ بثأر اخيه وقد تباهى الحثيون عقب ذلك بأنهم انزلوا بالمصريين عقاباً اليماً على انه لم يدم ملك اربوفسا طويلاً فاعتلى العرش اخوه مورسيل الثاني سنة ١٣٤٧ ق م وكانت الملكة ارملة سبيلوليوما على قيد الحياة تحمل لقب « ام الاله » كما سنراه في سياق الحديث عن انظمة الحثيين وعقائدهم الدينية فلم تبرح مع كبرها التي ما عتمت ان ماتت مسمومة عام ١٣٤٠ ق م فأقصى الملك عندئذ امه عن العرش وعين لها محلاً للاقامة ووفّر لها فيه كل صنوف الرفاهية بيد انها لم تلبث ان ماتت هي ايضاً بعد كبتها بقليل فخامر الريب الظنون في ان تكون قتلت ولاً اذ نرى حاتوشيل الثالث خليفة مورسيل الثاني يستغفر الآلهة عن هذا الإثم ويتنصل منه برغم انهُ كان صغيراً لا يعي

ويتخلل هذه البرهة نشوب ثورات دموية في الممالك الحثية وقيام الشعوب المغلوبة على ملكها مما اقلق مضاجعه فاصابهم بنصال حادة وقوي في النتيجة على قمع ثوراتهم وقسمهم وارجعهم الى السكينة وولّى احد اولاده على كركميش واين عمه على حلب ثم انهمك في مطاردة البرابرة الذين عشوا شمالي غربي اسيا الصغرى فدارت بين الطرفين رحى حرب عوان انتهى فيها الجيش الحثي بلاءً مجيداً وبعد وفاة هذا الملك عام ١٣٢٠ ق م اشتبك الحثيون بحروب عنيفة مع المصريين على عهد مواتلو بن مورسيل الثاني وستي الاول فرعون مصر مما تحوّلت معهُ سياسة الدولة الحثية تحوّلاً جديداً فاضطرت الى موالاة الدول المجاورة والتحالف معها بغية التغلب على هؤلاء الاعداء الالداء

وقد نشبت معظم المعارك بين الطرفين في قادش الواقعة جنوبي بحيرة حمص وقد كانت هذه المدينة في حيازة الحثيين بمثابة حصن يسد خطى العدو المصري عن التقدم شمالاً غير ان مواتلو اندحر عندها في سنة ١٣٠٨ ق م كما تشير الى ذلك مسلة اقامها فرعون مصر قرب البحيرة تذكاراً لانتصاره عليه واكتشفها مسيو بيزار في اثناء حفرياته سنة ١٩٢١ في ذلك الموقع المسمى اليوم تل نبي مند فرينا نقوش هذه المسلة الفرعون ستي يتقبل عكاز النصر من الآراميين وقد وقف خلفه الاله سوتخ الاسيوي وآلهة قادش الموالية لمصر على ان قادش لم تلبث طويلاً في أيدي المصريين بل عادت الى الحثيين على الرغم من انهما كهم في تلك الآونة بالقضاء على الفوضى التي تفشت في سائر مستعمراتهم والخسائر التي منوا بها في شمال مملكتهم

ومما تخبرنا به الكتابات الهيروغليفية ونقوش مصر الخالدة ان رعمسيس الثاني الذي ملك من سنة ١٢٩٨ حتى سنة ١٢٣٢ ق م خرج في اوائل عهده يتفقد ممتلكاته في سوريا فلما وصل الى

نهر الكلب عند مدخل بيروت التي كانت منتهى حدود البلاد الخاضعة لسلطنه نقش ذكرى مروره على صخرة نافرة في الجبل ونظر الى الشمال فتاقت نفسه الى الاستيلاء على سائر السواحل العامرة كجبيل واوغاريت ( رأس الشمراء ) وغيرها مما كان تحت سطوة النفوذ الحثي فادرك موانلو مآربه الاستعمارية واستثار حمية مختلف الشعوب القاطنة في الانحاء السورية بما فيها البرابرة والعشائر الرحل الذين كان دأبهم الغزو والسلب وحشد منهم جيشاً لجباً ضمّ اليه ٣٥ ٠ عربة وكمن لخصمه بالمرصاد وراء حصون قادش فتقدم رعمسيس الى الشمال فاتحاً في طليعة جيشه السود في ربيع سنة ١٢٩٤ ق م وبلغ ابواب قادش وبينما كان يتحفز لاقتحام هذه المدينة خرج عليه الجيش الحثي وباغته مباغتة لانه لم يكن يحسب ان يتلقاه الا عند ابواب حلب فالتحم الفريقان بحرب سجال ابيدت فيها مقدمة الجيش المصري عن بكرة ابيها وكادت تقضي على البقية الباقية لو لم ينصرف همّ البرابرة الى نهب الغنائم التي تركها المصريون وراءهم فانتهز رعمسيس هذه الفرصة الثمينة وجمع فلول جيشه ثم استنجد بالفينيقيين المقيمين في السواحل الموالية له واعاد الكرة على عدوه فانقض عليه كالصاعقة واحرز النصر ببسالة منقطعة النظير فسقطت اشلاء الحثيين بالالوف صرعى في السهول والذين ولوا الادبار غرقوا في مياه العاصي فخلد رعمسيس هذه الموقعة الكبرى بنقشها على جدران الكرنك واعمدة الاقصر حيث تشاهد حصن قادش في جزيرة تحيط بها مياه العاصي وحامية الحثيين على اسواره وترى ثمةَ فرق من الحرس خارجةً من الحصن تهاجم العدو ويسرةً رجال يعنون بانقاذ امير غريق هو مليك حلب ونقش في أسفل تلك المشاهد مواكب فرسان الحثيين واقفين يمنةً ومواكب فرسان المصريين يسرةً كأنهم متأهبون للنزال ومع انحدار الحثيين ثانيةً بقيت قادش في حوزتهم

وبينما كان موانلو يستجمع قواه لخوض غمار حرب جديدة وافاه اجله سنة ١٢٩٢ ق م فخلفهُ اورحي تشوب الذي ملك من سنة ١٢٩٢ الى سنة ١٢٨٥ ق م ثم خاتوشيل الثالث وقد بدأ عاهل الاشوريين سلمنصر الاول ( ١٢٦ — ١٢٨ ) يعلل نفسه على عهد هذا الملك بالبلاد الحثية العامرة بعد ان قويت شوكته وامتد نفوذه الى حدود الدول المجاورة فخشي الحثيون بأسه واتقوا شر الوقوع تحت رحى حرب طاحنة فراحوا يوطدون دعائم السلم بينهم وبين مصر ليتفرغوا لمناجزة عدوهم الجديد ففاوضوا رعمسيس بالصلح مفاوضة الند للند وعقدوا معهُ في سنة ( ١٢٧٨ ) ق م معاهدة تحالف استوت فيها شروط الفريقين على قاعدة واحدة وصار فرعون مصر يلقب عدوه اللدين بالامس باحسن الالقاب مثل « يا اخا الشمس » وقد عثر على نسختي هذه المعاهدة المتبادلة بين الملكين الكبيرين فوجدت احداهما محفورة بالخط الحثي على لوح من الفضة ومهورة بطابع الملك خاتوشيل الثالث والاخرى مكتوبة على الآجر باللغة

المصرية مقرونة بترجمتها الى البابلية توقيع فرعون مصر وتلخص بنودها الطويلة في ان الفريقين يتبادلان في سنة ٢١ من ملك رعمسيس الاوزار عهد السلام بينهما ويتعاهدان بمواصلة العلائق الطيبة بين الطرفين وتعيين الحدود بينهما وعدم التنازع عليها وتأييد منطوق المعاهدات الجارية بين الاسلاف ثم يلتزم كل منهما بضرورة التعاون المشترك لصد غارات العدو المداهمة وتأديب العصاة وطرد الملتجئين من العبيد الهاربين وبوجوب المحافظة المتبادلة على نظام الخلافة في الملك ويتنزلان في ختامها لعنة الف آلـه مصري والف آخر حثي على كل من يجسر ان يعبث بها ويستمطران العطف والبركة على من يتقيد بنصوصها وقد وجد في النسخة الفضية على كل من صفحتيها صورة الملك والملكة يحميهما الآلهة الحثية [1] ومما مكن اواصر الصداقة بين الطرفين زواج رعمسيس الثاني من ابنة خاتوشيل البكر سنة ١٢٦٦ ق م ودعوته حماه الى زيارة مصر واهدائه تحفاً ثمينة تعادل ما حملتهُ لهُ عروسه معها ويلوح من رسائل الثناء والشكر التي كانت تبعث بها هذه العروس الى ابيها التي كانت ملكة احدى المقاطعات الحثية انها قضت حياة سعيدة بجوار زوجها المصري وقد قال العالم الاثري الاستاذ موره ان مصر اكبرت نعمة هذا القران واشادت بذكره ونقشت صور حفلاته على جدران معبد ابي سنبل لاتقائها بذلك غائلة حرب ضروس

## العاصمة كركميش

اذا أخذنا بما اكتشف في اعماق اطلال كركميش من الماعون المنحوت من الصوان يرتقي ما عهد هذه المدينة الى الأزمنة التي قبل التاريخ فيظهر ان شعباً لا يزال مجهولاً اختطها في ذلك العصر الصواني العريق في القدم ثم تنقلت الى ايدي شعوب عديدة حتى انتهت الى الحثيين في القرن الخامس عشر ق م كما ألمعنا الى ذلك في سياق الحديث عن فتوحاتهم وقد أخذت هذه المدينة منذ الاحتلال الحثي تتقدَّم سريعاً في معارج الحضارة بالنظر الى موقعها على ملتقى طرق القوافل التجارية حتى تفوَّقت على سائر الحواضر الحثية رقيًّا وعمراناً وأصبحت مع توالي الايام تعد من اكبر العواصم الحثية ومن أهم مراكزهم الحربية في محاجزة الأشوريين لانها كانت على ضفة الفرات بمثابة مفتاح سوريا من جهة المشرق ولذلك بالغ الحثيون في مناعة تحصينها وسموها كركميش بمعنى حصن الاله كمش

وما كاد نسطع نجم هذه العاصمة الجديدة حتى اخذت مملكة خاتوشا القديمة تنحط انحطاطاً عاجلاً الى ان ادركها الفناء في القرن الثاني عشر ق م كما يؤخذ من بعض الاسانيد الاشورية وتعزى علة اضمحلالها الى الشأو الرفيع الذي بلغتهُ من الرقي والعمران في ايام مجدها مما جعلها مطمح انظار ملوك اشور الاقوياء وقبلة مطامعهم فناصبوها العداء زمناً مديداً وحملوا عليها حملات

(١) راجع مقتطف اكتوبر ١٩٣٦ صفحة ٣٢٨ مقال الدكتور حسن كمال فيه تفصيل هذه المعاهدة

شعواء لم تقو على مقاومتها طويلاً بسبب خيانة حاميتها التي كان معظمها من عناصر منافرة تضمر لسادتها العصيان فلما انتهزت فرصة ضعفهم نكلت بهم وولت الادبار ففككت عندئذٍ روابط وحدة المملكة وسارعها عوامل الشقاق فتخاذلت قواها واستسلمت للغزاة الذين سلبوا كنوز قصورها وقوضوا اركان معابدها وطمسوا معالمها تحت اطلال الردم

فلما مني الحثيون بهذه الخسائر الفادحة آنست الشعوب الرازحة تحت نير عبوديتهم ضعفاً في كيانهم فثارت عليهم ثورتها الكبري محررة نفسها من نير استعمارهم فتمزق بذلك شمل المملكة الحثية في اسيا الصغري وسرعان ماطغى عليها الاشوريون وساموا من بقي فيها من الحثيين صنوف الذل والعذاب فاضطر هؤلاء أن يهاجروا الى الجنوب ويتحصنوا في مملكتهم الجديدة فازدادت كركميش على اثر هذه الهجرة ازدهاراً

ولعل ذلك كان آخر لمعة لحضارتها الحثية المشرفة على الانطفاء اذ لحق الاشوريون باولئك المهاجرين وتغلغلوا تدريجاً في احشاء المملكة الجديدة قصد الاستيلاء عليها بالسياسة والدهاء بعد ان تغلبوا على معظم البلاد المنتشرة في سائر الانحاء السوريه ودليلنا على ذلك ان مصر قد استعرفت في سنه ١١١٠ ق م الملك الاشوري تغلات فلاصر الاول سيداً على سوريا وفلسطين وما بين النهرين على ان كركميش ظلت ثابتة القدم في المقاومة شامخة الرأس في الحصار عدة احوال حتي اذلها اشور ناصربال الثاني في سنه ٨٧٦ ق م على عهد مليكها سنغارا فسقطت عندئذٍ الدولة الحثية من اعالي المجد الى هاوية الفناء ولم تبقَ من جيوشها الجرارة غير فلول سعثرت بعد محاولات فاشلة وباد ذكرها من تاريخ الامم

وقد حفظت لنا اطلال كركميش في طياتها اثراً نفيساً من البرونز يريبنا سنغار آخر ملك حثي يقدم لنا ملك اشور القاهر ابنهُ مع مغانم بلاده وهو منكوس الرأس خضوعاً وخجلاً

فيستنتج مما تقدم ان اولئك الحثيين المتحدرين من العرق الآري قد شغلوا دوراً خطيراً في حضارات الشرق وكانوا على غاية من القوة وحب الاستقلال فهاموا بالحروب ودوخوا شعوب آسيا الصغرى وسوريا الشمالية وشادوا في ديارها مملكة عظيمة ثم قاوموا اقوى دول الأرض على عهدهم وحملوها على خطب ودهم ومفاوضتهم بالسلم مفاوضة الند للند

وبعد ما دالت دولتهم في الشمال جنحوا الى التحصن في جنوبي مملكتهم وناجزوا اعداءهم الاقوياء احيالاً طويلة من غير ان يتطرق اليأس الى قلوبهم فذادوا عن كيانهم حتى الرمق الاخير ثم لما انهارت صروح مملكتهم تركوا وراءهم آثاراً خالدة منها كركميش ذات القلاع المنيعة والابراج الضخمة التي ظلت بعد اندثارهم قرونٍ شاهداً صراحاً على ما بلغتهُ همتهم من الرقي والعمران

# مفردات النبات

من اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الدمياطي



## الكُرُنْب العاديّ

وجاء في بعض المراجع انهُ (الكُرُنْب) و(الكَرَنْب) و(بقلة الانصار)[1] وفي الشام (الملفوف)

عشب يعيش سنتين دائم الاخضرار أوراقه لحمية على نوع ما ملتوية أو منحنية الى خلف أو اعلى أو ذات فصوص وتكون ملساء في صغرها تكسوها مادة كالغبار خضراء تضرب الى الزرقة وهذه الاوراق تجتمع في رأس يتفاوت في حجمه بين جوزة الهند العادية الى ما يزيد عرضه عن ياردة وأزهاره صفراء

اسمه العلمي ( Brassica oleracea, L. capitata ) ( براسيقا او لراسيا قبيتاتا ) [2] وفصيلته الصليبية ( Cruciferae ) ( كروسيفرية )

وبالانجليزية ( garden cabbage, white cabbage, common or drumhead cabbage )

والفرنسية ( chou cabus , chou pomme a feuilles lisses, chou blanc )

وهو شائع في أنحاء المعمورة ومحبوب في مصر يزرعهُ أهلوها كثيراً لاستعمالهِ في الطبخ أو في السلاطة أو في المخللات

وتجود زراعته في الأرض الطميّة الخصبة بكمية وافرة من السماد العضويّ القويّ كالقمامات المتحللة في المجازر ( السلخانات ) ومن الدم المجفّف الى غير ذلك

---

( ١ ) وفي بعض المراجع انها القرنبط او القنبيط

( ٢ ) يرجع الفضل في البحث عن الأصل في اشتقاق كلمة براسيقا ( Brassica ) اسم جنس الكرنب الى العلماء النوابغ فسوس ( Vossius ) وراى ( Ray ) ودالشان ( Dalechamp ) وغيرهم فهم الذين قالوا بأن ذلك الاسم من اصل ( سلتي ) هو كلمة برسيق ( bresic ) بمعنى كرنبه

أما أشهر أصنافه في مصر فثلاثة وهي (البلدي) و (الأحمر أو الفرنسي) [1] و (المطبَّقة) ومن هذا الأخير صنفان اسمهما بالفرنسية ( chou de Brunswick à pied court ) و ( chou Quintal d' Alsace )

وأما الكرنب البريّ واسمهُ العلمي ( Brassica oleracea, L ) (براسيكا اولراسيا) وبالانكليزية ( wild cabbage ) والفرنسية ( chou sauvage ) وهو الذي ينبت بطبيعتهِ على هضاب الشواطئ البحرية في جنوب انكلترا وجهات مختلفة في شمال أوربا فانهُ يندر وجود اشباه لهُ في عالم النبات لما قد تولّد عنهُ من الاصناف الكثيرة التي تختلف عنهُ في أشكالها وخواصها اختلافاً شديداً لاسيما اذا قارناه بالكرنب الأحمر والقرنبيط مثلاً وجدنا الاختلاف كبيراً فيما بينهُ وبينهما على الرغم من انهُ تعسر الأصل الذي تولّدا عنهُ هما وأصناف أخرى بطرق الفلاحة من قديم الزمن وهو نبات يعيش سنين أو تعمر ساقه نحيفة قائمة ترتفع الى قدم أو قدمين أوراقه خضراء تضرب الى الزرقة السفلى منها كبيرة عريضة قلبية الشكل حافاتها ذوات فصوص والعليا اصغر منها عديمة الاعناق (جالسة) وليس لهُ رأس البتة وأزهاره صفراء فاتحة تشبه أزهار الخردل البرّي المعروف في مصر (بالفرِلّة) أو (بكَسَر العيضْريت) المسمى علميًّا ( Brassica Sinapis, Vis ) (براسيكا سينابيس) أو ( Sinapis arvensis, L ) (سينابيس اروِنسس) وبالانكليزية (wild mustard or charlock) والفرنسية ( moutarde sauvage, moutarde des champs, seneve des champs, sanve, sanve )

## القَرَنْبيط أو القُنَّبيط

صنف تولّد ايضاً عن الكرنب البريّ وأهم فارق بينهُ وبين الكرنب على الاطلاق أن نورتهُ تضخم وتصير رأساً يضرب الى البياض وهو الذي يؤكل منهُ فقط

اسمهُ العلمي ( Brassica oleracea, L botrytis cauliflora ) (براسيكا أولراسيا بوتريتيس قوليفلورا) وبالانكليزية ( cauliflower ) والفرنسية ( chou—fleur )

شائع كالكرنب في انحاء المعمورة وهو من الخضر المرغوب فيها كثيراً في مصر وأوربا يطهى أو يحفظ ضمن المخللات وتجود زراعته في الارض التي يزرع فيها الكرنب بحيث تخصب بالمقدار نفسه الذي يسمد بهِ الكرنب

(١) ويسمى علمياً في بعض المراجع ( Brassica oleracea, L rubra ) (براسيكا اولراسيا روبرا) وبالانكليزيه ( red or pickling cabbage ) والفرنسيه ( chou rouge ) واكثر استعماله في المخللات ويطبخ أحياناً

## البروكولي

صنف من القرنبيط تضخم زورته وتصير لحمية وهي التي تؤكل فقط كالقرنبيط

اسمهُ العلمي ( Brassica oleracea, L. botrytis asparagoides ) ( براسيكا اولراسيا بوتريتس اسپرغويدس ) أو ( Brassica oleracea, L. botrytis pompejana ) ( براسيكا اولراسيا بوتريتيس پومپانا ) أو ( Brassica oleracea, L. botrytis cymosa ) ( براسيكا اولراسيا بوتريتيس سيموزا ) وبالانكليزية ( brocoli or broccoli )والفرنسية (chou - brocolis) شائع كالكرنب العادي ويزرع في مصر احياناً ولكنهُ مرغوب فيهِ كثيراً باوربا يستعمل في الطبخ أو يحفظ في المخللات

## الكرنب اللفتي أو الاورجيّ

ويقال لهُ في مصر ( ابو ركبه ) صنف من الكرنب تتضخم ساقه وتصير لحمية وهي التي تؤكل منهُ فقط

اسمهُ العلمي ( Brassica oleracea, L. caulo rapa ) ( براسيكا اولراسا قولورابا ) أو ( Brassica oleracea, L. gongylodes ) ( براسيكا اولراسا غونغيلودس ) وبالانكليزية ( knol-khol, kohl-rabi, turnip rooted cabbage ) والفرنسية ( chou-rave )

شائع كالكرنب وكان لا يستعمل قديماً الا علفاً للغنم والبقر باوربا ولكنهُ الآن نظراً الى قيمته الغذائية يفضلونهُ عن اللفت في فرنسا ويعطونهُ علفاً لتسمين الماشية المجترة وبخاصة ماشية الحليب لانهُ يحسّن لبنها وزبدها اذا اكلت منهُ كما وأنهُ من الخضر المرغوبة يزرع في البساتين ويطهى عادةً في الحساء ( الشوربه ) وطعمه كاللفت تقريباً

وهو من جهة اوراقه صنفان ذو اوراق خضراء وذو اوراق ارجوانيه والاول هو المفضل أما اصنافه المزروعة في مصر فثلاثة معروفه بالاسماء الفرنسيه الآتيه

( chou - rave blanc hatif de Vienne ) و ( chou — rave blanc ordinaire ) و ( chou- rave violet hatif de Vienne )

## الكرنب مجعّد الورق

ويقال لهُ في مصر ( الكرنب المحرفش ) وهو صنف من الكرنب الا أنهُ مجعّد الورق

اسمهُ العلمي ( Brassica oleracea, L. bullata major ) (براسيكا اولراسيا بولاّتا مايور ) أو ( Brassica oleracea, L. sabauda ) ( براسيكا اولراسا سابودا ) وبالانكليزية ( Savoy cabbage ) والفرنسيه ( chou pommé frisé و chou de Milan, chou de Savoie )

شائع كالكرنب العادي ويزرع كثيراً في اوربا ومصر لاستعماله في الطبخ الى غير ذلك

## كُرُنب بروكسيل

صنف من الكرنب يمتاز بالكرنبات الصغيرة (البراعم) التي تنبت في آباط جميع الاوراق الموجودة على ساقهِ الاصلية وهذه الكرنبات هي التي تطهى وتؤكل

اسمه العلمي (Brassica oleracea, L. bullata gemmifera)(براسيكا اولراسيا بولاتّا جمّيفرا) و (Brassica oleracea, L. sabauda gemmifera)(براسيكا اولراسا سابودا جمّيفرا)وبالانكليزية (Brussels-sprouts) والفرنسية (chou de Bruxelles)

شائع كالكرنب العاديّ ويزرع قليلاً في مصر ولكنهُ مرغوب فيه عند الافرنج

## الكُرُنب الصيني

وهو في لغة الصينيين (يا كشوي) (Pak choi) و (پتساي) (Pe tsai) ويكون أقرب شبهاً الى الهندباء والخس منهُ باصناف الكرنب مع أنهُ كرنب حقيقي أوراقه غير محددة القمة ذات فصوص ريشية مسننة الحافة وأزهاره صفراء

اسمهُ العلمي (Brassica campestris, L. var. chinensis) براسيكا كمبسترس شيننسيس) او (Brassica chinensis, L) (براسيكا شينسيس) او (Brassica sinensis) (براسيكا سينسيس) وبالانكليزية (Chinese cabbage) والفرنسية (chou de Chine)

يزرع في الصين موطنه واشتهر زمناً طويلاً في فرنسا وايطاليا وجنوب اوربا وانتشرت زراعته في غير هذه البلاد ما عدا مصر في اوائل القرن العشرين وأهل فرنسا يسلقون اوراقه ويأكلونها أما في بلاد الانكليز فكثيراً ما تطهى عروق الاوراق فقط وتؤكل كما تؤكل الهليون وقد تصنع من الاوراق سلاطة جيدة بدلاً من الخس والهندباء

## الكُرُنب الاخضر

ويقال لهُ في مصر (المشرشر) صنف تولّد ايضاً عن الكرنب البري

اسمـهُ العلمي (Brassica oleracea, L. acephala) (براسقا اولراسا آسفالا) او(Brassica oleracea, L. sabellica) (براسيكا او لراسيا سابلّـيكا) او (Brassica oleracea, L. fimbriata) (براسيكا او لراسيا فمبرياتا) وبالانكليزية (borecole, kail, curly greens) والفرنسية (chou vert)

شائع في اوربا ونادر في مصر واهل فرنسا يجعلون اغصانهُ علفاً لماشيتهم

# حيوانات مشهورة

## وصحة أسمائها

للمرحوم الدكتور أمين المعلوف

هي حيوانات مشهورة لكن رسمها أو التعبير عنها في غالب الأحيان خطأ وهي قليلة جداً تعد على أصابع اليد فرأيت أن أنشرها هنا مع صحة رسمها فإنهُ لا يليق بالجرائد اليومية ذكرها على خطإها فالجرائد جعلت لتعليم الناس لا لتضليلهم والآن أبدأ بالسباع وهي ستة فقط وأوردها مختصراً ثم أتلوها بأربعة من سباع الطير

أسد وأسماؤه كثيرة　　　Lion

والعامة في مصر والشام تقول السبع وهو المفترس من الحيوان مطلقاً فالأفصل أن لا يقال السبع إلاّ بمعناها الحقيقي كما في سورة المائدة « وما أكل السبُع » فمعناها هنا المفترس من الحيوان كالأسد والنمر والفهد والذئب وغيرها

ببر　　　Tiger

والبعض يقولون نمر هندي وفهد وكلاه خطأ فجماعة السيما يقولون فهد وهم ليسوا من علماء الحيوان في ما أعلم ويقول غيرهم نمر مخطط واللغة لا تجيزه لأن النمر لا يكون إلاّ أنمر أي مرقّط ويكفي أن الببر وارد في كليلة ودمنة لابن المقفع والكلمة سنسكريتية معربة والمعرب كالعربي في حكمهِ فالمسو كلمصو كان لفظه الببر وبعض الجرائد تقول النمر خطأً والكلمة فصيحة فلماذا لا نستعملها

نَمِر ونِمر ونَمْر　　　Leopard or Panther

سمي بذلك للنُّمَر التي فيهِ أي الرُّقط والبعض يقولون نمر مرقط فإن النمر لا يكون إلاّ أنمر

فكلبة نمر نقطها مرقط أو أنمر وهناك نمر أسود وهو نمر أسود والنمر التي فيه حبية حداً فيظهر كأنه أسود وفي حديقة الجيزة واحد منه

فهد Hunting leopard or Chita

وهو سبع بين الكلب والنمر مرقط كالنمر وأظافره منفرجة لا تجتمع كالخلق كما في النمر وليس لمخالبه أكمام كمخالب النمر فهو بذلك كالكلب

وَشَق Lynx

سبع أملح طويل القوائم قصير الذنب في أعلى أذنيه جمّة من الشعر الأسود وهو أكبر من عناق الارض وأصغر من النمر فتّاك سفّاك للدماء ولعله الشيب وقد انقرض من الشام والعراق

عناق الأرض Caracal or Red Lynx

سبع بين القط والكلب أحمر اللون في أعلى أذنيه شعرات سود اسمه بالفارسية سياه گوش وبالتركية قره قولق ومنه اسمه الافرنجي ويقال له في السودان أم رشات لهذه الشعرات السود في أعلى أذنيه وهو حمل المطرحد ا ربى واحد منه أو أكثر في حديقة الجيزة وعناق الارض ليس العزير كما في بعض المؤلفات

سباع الطير أي الجوارح ذكرت السباع المشهورة وصحة ترجمتها وأنا ذاكر الآن سباع الطير المشهورة وصحة ترجمتها وهي ما يأتي

عُقاب مؤنثه تقع على الذكر والأنثى جمعها أعقب وعقبان وعقابين Eagle

طائر من سباع الطير لا يقع على الجيف الا اذا عضها الجوع قوية المخالب مسرولة اي في ساقيها ريش لها منسر أعقف لسمت به بالشعواء واللقواء لتعقفه وزيادة أعلاه على أسفله

نسر Vulture or Griffon vulture

طائر من سباع الطير لكنه ليس من عتاقها يقع على الجيف وقلما يصيد وهو أعظم من العقاب شرهٌ نهم رغيب له منسر معقف في طرفه فقط ولا ريش في رأسه وعنقه بل فيهما زغب أبيض قصير وهو عاري الساقين بخلاف العقاب فانها مسرولة الساقين والرجلين وهو المعروف بالنسر عند العرب من عهد جاهليتهم الى يومنا ويعرف بالنسر عند المتكلمين بالعربية من المغرب الأقصى الى العراق ومن سورية شمالاً الى اليمن جنوباً

ومن دواعي الأسف ان الطائر الاول مترجم في الوراة الانكليزية والفرنسية خطأ وحقه ان يترجم بالكلمة الثانية اي النسر وهو صواب في الترجمة العربية والاصل العبراني . وقد جرى الكتاب على هذه الترجمة المغلوطة الى يومنا فقولهم النسور المصرية اي الطائرات خطأ اذا كانوا يريدون بها الكلمة الأولى وحقهم ان يقولوا العقبان المصرية وقولهم فرخ النسر لابن نابليون خطأ وصوابه فرخ العقاب كذلك راية قريش والفرس والرومان والفرنسيس في زمن الامبراطورية وغيرهم فجميع هذه الألفاظ حقها ان تترجم بالعقاب ويقال وسام العقاب لا وسام النسر وهو وسام مشهور عند الالمان ثم ان طائرة الملك غازي اسمها العقاب لا النسر فالملك القرشي لا يمكن ان نسمي طائرته بالنسر وان قيل ان هذين اللفظين قد ترجما بالنسر والعقاب من قبل فقولنا الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور أقول ان هذا القول لا يقال عن العقاب والنسر لان هذا الطائر الذي نسميه في أيامنا بالعقاب وفي أيام الجاهلية وفي كتب اللغة والطائر الذي نسميه بالنسر وفي أيام الجاهلية وفي كتب اللغة نسميهما الا نكابر كما تقدم ولا يجوز غير ذلك هذا وقد أسهبت في في العقاب والنسر في س ٩٢ و ص ٢٥٩ من معجم الحيوان و مد ٢٨ سنة في المقتطف المجلد ٣٤ ٥٣٧ وما بعدها ويسرني ان بعض المعاجم أصلحت خطأها ولكن بعض معلمي المدارس والجرائد لم تعلم ان تصلحهُ فالعقاب والنسر صحة ترجمتهما كما تقدَّم ولا يجوز غير ذلك ولعلّ سبب خطأ هذه الترجمة هو انهُ ليس في اليونانية الا كلمة واحدة تعبر بها عن العقاب والنسر وهي أيتوس فجاءت في الترجمة السبعينية للتعبير عن النسر وجرت على ذلك الترجمة الانكليزية والفرنسية وقد أصلحوها حديثاً في الترجمة الانكليزية المنقحة فان كان الاحبار تعاونوا على ترجمتهم من زمن الملك جيمس فهل من شروط المعاهدة ان يكونوا متواطئين مثلهم ولا يخفى ان ابن البيطار لم يخف عليه ذلك فترجم الإكسيت بحجر النسر وحجر العقاب وهو أتوس باليونانية انظر مادة ١٣ و ٦٤١ و ٦٤٢ من الترجمة الفرنسية

كاسر العظام Bearded vulture or Ossifrage or Lammergeier

ولهُ أسماء أخرى ذكرتها في المقتطف قبلاً وفي معجم الحيوان ص ١٤٣ و ص ٢٥٩

رَخمة Egyptian vulture or Pharoah's hen

بالفتح طائر أبقع أصغر المنقار وهو في عرف علماء الحيوان نوع من النسور يعرف في المغرب ومصر والسودان وكتب اللغة بهذا الاسم ، أما في لبنان فيسمونهُ الشوحة وهي الحدأة على الأصح هذا شيء يسير من سباع الطير وهي أربعة طيور ولا يعسر تعلم صحة ترجمتها

سنة ١٣٤٥ الى عبد العزيز ابن السعود ملك الحجاز ونجد ووضعوا بلادهم تحت حمايته

وظل الامام يحيى يحاول الاستيلاء على عسير وعلى مخلاف نجران المحمي بالحجاز ونجد من قبل وتفاقم الخلاف من جراء ذلك بينهُ وبين الملك عبد العزيز ونشبت الحرب في سنة ١٣٥٢ وتقدمت الجيوش السعودية في تهامة اليمن حتى الحديدة وتاحل فاضطر الامام يحيى اذ ذاك للتسليم بالحدود التي ذكرناها في مقدمة مقالنا ، وفض الامر باهلاك عسير ونجران من اليمن نهائيًّا

﴿ أقسام اليمن قديمًا ﴾ كان اليمن قبل الاسلام ينقسم الى مخاليف والمخلاف كما قال ياقوت في معجم البلدان بمنزلة الكور والرساتيق ولكل مخلاف اسم يعرف بهِ وهو قبيلة من قبائل اليمن اقامت بهِ وعمرتهُ فغلب عليهِ اسمها فمن المخاليف التي ذكرها ياقوت ابين ولحج وسحان وشنوة والمعافر واليحصبين والعود والسحول ورعين وحيشان ورداع ومآرب وريمة وذمار وغيرها وكل مخلاف تحتهُ محافد ومدن وقرى

وفي صدر الاسلام قسمت اعمال اليمن على ثلاثة ولاة فوالٍ في الجَنَد[1] ومخاليفها وهو اعظمها ، ووالٍ في صنعاء ومخاليفها وهو اوسطها ، ووالٍ على حضرموت ومخاليفها وهو ادناها وفي العصور الاسلامية المتوسطة قامت في اليمن وتداولت الحكم دول او الاصح دويلات عديدة كان اكثرها في تهامة ونجد كالائمة الزيدية في الجبال ودولة الائمة كانت اطولها عمرًا ودخل العثمانيون اليمن في القرن العاشر ، ولكن لم يلبثوا الا قرنًا حتى غادروه مرغمين ، وظلوا يتحينون الفرص لاسترداده ، اعتقادًا منهم ان اليمن دعامة الجزيرة العربية وحصن الحجاز الحصين وان بدون الحجاز واليمن لا تتم الدعاء للخلافة الاسلامية وفي القرن الماضي سنة ١٢٨٨ فتحوا عسير على يد قائدهم ، وفي سنة ١٢٨٩ فتحوا صنعاء ومعظم جبال اليمن وكل تهامة ، فدانت لهم هذه البلاد واطلقوا عليها ( ولاية اليمن ) وما زالوا حتى اخرجتهم نتائج الحرب العامة سنة ١٣٣٧ ، وسنأتي على تفصيل ذلك في النبذة التاريخية

***

﴿ اقسام اليمن في العهد العثماني والعهد الامامي الحاضر ﴾ كان اليمن في عهد العثمانيين تؤلف ولاية واسعة تشتمل على اربعة الوية غير الذي تقدم ذكره والوية صنعاء والحديدة وتعز وكان كل من هذه الالوية يشتمل على اقضية ومدة على نواح عديدة ، في كل ناحية مئات من القرى والعزل ( جمع عزلة ) فكان الحكم في الولاية الوالي وفي الالوية المتصرف وفي الاقضية قائم المقام وفي النواحي المدير وكانت مساحة هذه الالوية والاقضية والنواحي عظيمة واتعادها

(١) الجند بلدة قرب تعز ولعل ولايتها اذ ذاك كانت تشمل التهائم واليمن الاسفل كله

شاسعة تزيد عن امثالها — في نهية ولايات الدولة وتتطلب تقسيمها الى اصغر من ذلك وتكثير عدد الاقسام وقد اقترح هذا سنة ١٣١٩ الوالي حسين حلمي باشا المشهور بحسن ادارته ولكن لم يلبّ اقتراحه ومما يجدر ذكره ان يد العثمانيين لم تصل الى شرقي اليمن الاعلى وشماليه ولا جنوبي اليمن الاسفل فظلت مآرب وصعدة ونجران وشهران وقعطبه العدر وماحولها من القبائل العاتية كحاشد وبكيل وارحب وذو حسين وامثالها تحت سلطة الائمة او المشائخ المحليين وكذلك كان الحال في اراضي المحميات التسع في اليمن الاسفل التابعة لمستعمرة عدن كما تقدم ذكره

***

هذا وقد كان لواء صنعاء (قضاء صنعا) تتبعه نواح اسمها بلاد البستان، بلاد الروس، بني بهلول، بني الحارث، بني حشيش همدان، سنحان، ارحب، نهم، خولان، الحدا ثم (قضاء حراز) وقاعدته مناخه ونواحيه حراز ومصحق وعرو وتوح وحجيلة ثم (قضاء كوكبان) وقاعدته الطويلة ونواحيه كوكبان والمحويت وشبام ثم (قضاء آنس) وقاعدته ضوران ونواحيه آنس وعتمة وجبل شرق وجهران ثم (قضاء حجه) وقاعدته حجة ونواحيه حجة وبني عوام وشهادرة ومسور وعصار ثم (قضاء ذمار) وقاعدته ذمار ونواحيه ذمار ومغرب عنس ثم (قضاء ريم) وليس فيه نواح ثم (قضاء رداع) وقاعدته رداع ونواحيه رداع وسوادية وجبن ثم (قضاء عمران) وقاعدته عمران وفيه ناحيـة عيال سريح وكان في لواء الحديدة (قضاء الحديدة) ونواحيه الحديدة وجزيرة قمران وجبل برع وحماش ثم (قضاء زبيد) وقاعدته زبيد ونواحيه زبيد وحيس ووصاب العالي ووصاب السافل ثم (قضاء اللحيه) وقاعدته اللحيه ونواحيه اللحيه وزهرة ثم (قضاء الزيديه) وفيه ناحيـه بني قيس ثم (قضاء جبل ريمه) وقاعدته ريمة ونواحيه ريمة والجعفرية وكسمه وسلفيه ثم (قضاء حجور) ونواحيه محابشة وعاهم وحمس وقارة وحرض وشاش ثم (قضاء بيت الفقيه) وفيه احياء مزروعة من قبيلة الزرانيق ثم (قضاء باجل) ونواحيه باجل والمحدان وكان في لوا تعز (قضاء تعز) ونواحيه تعز وتربة الحجم وقماعرة ومقبنة وذي شراق ثم (قضاء إب) ونواحيه إب ومخادر. ثم (قضاء عُدين) ونواحيه عدين وحبيش ثم (قضاء قعطبه) ونواحيه جبل مرس ونادرة وجشا ثم (قضاء الحجرية) ونواحيه الحجرية وقبيطة وحيش ثم (قضاء مخا) وليس فيه نواحٍ

وقد ابقى الامام يحيى معظم هذه الاقسام على حالها وأقام عليها حكاماً سماهم (عمال) جمع كلمة «عامل» التي كانت مستعملة في العصور الاسلامية الغابرة وهؤلاء العمال يمثلون الامام ويمثلونه

نسبة مصغرة في سلطتهِ ودواعي ابهته وهم يسيرون على نهج حلاله ونهج تلك العصور في الحكم الاقطاعي المطلق

***

﴿ المساحه والسكان ﴾ لم تتس لولاة الترك وضباطهم ولا لجوّالة الافرنج وبحاثهم — وعدد هؤلاء كان قليلاً — ان يضبطوا مساحه اليمن السطحيه ويعرفوا عدد نفوسه ، ويضعوا خريطه صحيحة لالويه واقضيته ذلك لتعذر هذا العمل في الزمن الماضي الطافح بالفتن والحروب واستمرار هذا التعذر في الزمن الحاضر لرغبة الامام بقاء بلاده في نجوة عن الكشف والبحث وكل المساحات والاعداد والخرائط الانكليزية والتركية التي رسمت وطبعت انما هي اعتبارية سماعيه لا يصح الركون اليها الاّ للاستئناس فحسب[1] فالترك كانوا يعتبرون ولاية اليمن بألويتها الاربعة التي ذكرناها بين درجات ٢ و ٢١.٣ من العرض الشمالي و٣٣و٤٣ من الطول الشرقي وكانوا يقدرون طولهُ من الشمال الى الجنوب ٧٧٥ كيلومتراً وعرضهُ من الغرب الى الشرق ٣٥ كيلومتراً وان مساحة اليمن السطحيه تبلغ على التقريب ٢٣٥ كيلو متر مربع .

اما عدد نفوس اليمن فقد اختلفت فيهِ الاقوال فالمعاجم ودوائر المعارف الروسية والانكليزيه تقدره تارةً بمليون وتارةً بمليونين ونصف وهذا قليل ، لان اليمن اكثر بلاد الجزيرة العربية عمرانا وسكانا

والترك[2] يقدرونه تارةً باربعة ملايين وتارة بثلاثة بما فيهِ لواء عسير اما اليمانيون[3] فيبالغون الى الخمسة عشر مليونا والتقدير التركي الثاني هو الاقرب الى الصحه حتى في يومنا ذلك لان اليمن لم يحو ولا يمكن أن يحوي اكثر من ثلاثه ملايين ، لقلة أراضيه الزراعيـة ومرافقه الحيوية كما سوف نذكره ، ولانفصال لواءِ عسير عنهُ ، ولان الحروب والفتن الماضية أهلكت حرثهُ ونسله كثيراً فانقصت قطينه وهذه وان زالت في عهد الامام يحيى الاَّ انه قام مقامها كثرة وفيات الاطفال وتوالي الامراض العادية والسارية بحكم فقدان الاطباء وحرمان وسائل الاستشفاء ناهيك البؤس والشقاء الضاربين أطنابهما

دمشق للبحث بقيه

---

(١) قاموس الاعلام لشمس الدين سامي

(٢) شمس الدين سامي في قاموس الاعلام وحسين حلمي باشا في لائحته الاصلاحيه (٣) عبد الواسع الواسعي في تاريخ اليمن




كواكب الادب الاسبانى

## لوبي ده فيجا

(١٥٦٢—١٦٣٥)

# لوبي ده فيجا

( ١٥٦٢ — ١٦٣٥ )

احتفلت اسبانيا في العام الماضي ، وشاركتها البلدان الاميركية الاسبانية الثقافة وجميع البلدان التي عرفت الادب الاسباني معرفة درس واطلاع فقط، بانقضاء ثلاثة قرون على وفاة الشاعر والمؤلف الدرامي الاسباني المشهور لوبي ده فيجا ...
فألقيت المحاضرات عنهُ وعن شعرهِ في اشهر جامعات العالم ومثلت طائفة مختارة من مسرحياتهِ على غير مسرح واحد وفي غير بلاد واحدة

تتراوح عدد الروايات المسرحية التي الّفها هذا الشاعر الفذ في حصره ووفرة نتاجه، من ١٥ رواية الى ١٨ رواية تضاف اليها مئات من الفصول والمقطوعات بل الف واحداً وعشرين مجلداً كبير من مجموعة آثارهِ الباقية قبل ان تصل الى المسرحيات لذلك وصفهُ سرفانتس مؤلف دون كشوت بقولهِ « فلتة الطبيعة » ولم يكن من النادر ان يوصف بقولهم « لوبي العلوي » اشارة الى نسبهِ المسوح وانتظامه في سلك الكهنوت بعد وفاة زوجتهِ الثانية سنة ١٦١٢

كان ده فيجا حينئذٍ في أوج مجدهِ الأدبي ونحن اذ ننظر اليهِ من خلال ثلاثة قرون نعرف ان مكانتهُ الأدبية معروفة بكتاباتهِ المسرحية ولكنهُ كان في نظر قومهِ طوداً من الادب تشبهُ مكانتهُ في أسبانيا مكانة فولتير في فرنسا في عصره لقد طوى النسيان قصائده الفروسية والرهبنة وأناشيدهُ وأغانيهُ ، بعد ان أحاطت اسمهُ في حياتهِ وبعد مماته هالة من المجد ، مكّنتهُ في ذلك العصر الاقطاعي من ان تعامل أسيادهُ وأمراءهُ معاملة الند للند فوق سيّما — وكان يغدق عليهِ المال ويحميهِ من سنة ١٦٠٥ الى وقت وفاته — كان صديقه الحميم ، ورسائل لوبي اليهِ تدلُّ على رفع الكلفة بينهما لولا عبارات قليلة هنا وهناك ، كان من المألوف استعمالها في مخاطبة الاشراف

لما ولد لوبي ده فيجا كان قد انقضت سبعون سنة على اكتشاف العالم الجديد. كانت المستعمرات الاسبانية ممتدة في شرق الارض وغربها وكانت امبراطوريتها الامبراطورية البريطانية في هذا العصر، لا تغيب عنها الشمس. وكان ادب اسبانيا في المرتبة العليا [illegible] شتى البلدان يفاخرون بعروبة اللغة الاسبانية والتحدث بها وكذلك مهد الطريق لظهور شاعر عظيم يتغنى بامجاد هذه الدولة العظيمة وحضارتها، وكان لوبي ذلك الشاعر

ولد في ٢٥ نوفمبر سنة ١٥٦٢ وكان والده قد احترف تطريز الانوال وورثها عنه بعدما هبط مدريد من الحدود الاسبانية في مقاطعة استوريا. وكان من [illegible] من وافر الذكاء الانساني وفي الخامسة من عمره كان يستطيع ان يقرأ اللغة اللاتينية الايطالية ولما كان لا يستطيع الكتابة في هذا السن كان يملي اشعاره على رفاقه في المدرسة ويجزيهم عن تعبهم نصيباً من فطوره. فلما اصبح قادراً على استعمال الريشة لرسم الكلمات، انبجس نبع الشعر من صدره فكتب وهو في الحادية عشرة من عمره مسرحيته الاولى وكانت رواية رعوية ثم تلتها مسرحيتان اخريان وهو في الثانية عشرة من عمره ثم نظم بعد ذلك مسرحية ذات ثلاثة فصول، وجرى على ذلك في سائر مسرحياته واصبح تأليف المسرحية من ثلاثة فصول مبدأ سنّة الاداء في اوربا في اواسط القرن الثامن عشر

ولعلّ اول ما يخطر للقارئ ان يسأل لماذا انحصرت عبقرية لوبي ده فيجا في حدود بلاده فلم ترسل اشعتها الى ما وراءها. ولماذا اكتنفت الاجيال [illegible] تلك الشهرة العالمية التي اسبغتها على مواطنه سرفانتس

والواقع ان شهرته لم تنحصر كل الانحصار في حدود بلاده فقد كان زوار مدريد من كبار الاجانب يسعون اليه وكان القصّاد الرسوليون [illegible] [illegible] لدى حبر [illegible] الاعلى في روما [illegible] ان البابا اوربان الثامن ارسل اليه شهادة تحمل لقب دكتور في اللاهوت في سنة ١٦٢٧ ولكنه مع ذلك لم يصب نصيبا من الشهرة العالمية الممتدة الذكر مع كل حال، على نحو ما اصاب سرفانتس بكتابه دون كيشوت واساس الباعث على ذلك في رأي النقاد ان ده فيجا كان ادنى مقاماً من سرفانتس في عالم الادب الاّ ان عبقريته وان كانت من طبقة عبقرية نده كانت تختلف عنها

فسرقاسس كان فيلسوفاً واقعيًّا فكان النثر الغالب الطبيعي الذي فرع فيه مآثر عبقريته وأما ده فيحا وكان رحلاً تقادفه العاطفة العنيفة والانفعال الشديد تعلي فرحل شعوره علياناً دائماً وهو يطلب منفذاً فلا يجد منفذاً الا في الشعر الطلق الفسيح القوي المدفوق هنا بين سطور قصائده وفي حوار مسرحياته رسم الحب والاسف والحقد والغيرة والامل والطموح فقد عاش طوال حياته وكأنه مجنح محلق في سماء لا تمت الى الحقيقة الواقعة بصلة فالشعر في كتابه والنفس كانا توأمين فمن العلمي ان يحصر شهرة شاعر فذ له من بلاده وأدبها الممتاز بميزات الايقاع والرجع الخاص ذلك ان ترجمة الشعر أصعب مما لا يقاس من ترجمة النثر، وقراءة الشعر أصعب على النفس من قراءة النثر الملآن بدرر الحكمة العالية أو النقد اللاذع والنكتة البارعة

قال مريميه ما معناه « أن لوبي هو المثل الاتم على روح عصره، فقد عرفت نفسه ضروب من الشعور المتباين من الصوفية الى الفروسية، ومن الورع الى الغزل، ومن التهور الى الحكمة لقد احس في قرارة نفسه، كل ما احسته الفرس في عصره، وعاش حياة متنقلة من الحرب الى البيت الى الكنيسة، لذلك استطاع ان يصور أتم تصوير مهزلة الحياة الانسانية المفجعة، ويفوق في تصويرها أيما آخر من الكتّاب »

## مسرحيات لوبي

لم يبق من مآثر عبقريته على مر الزمن غير ٤٧٠ مسرحية و ٥٠ مقطعاً فاذا حاول الباحث ان يصنفها عجز عن ذلك، لان تعريف المهازل والمآسي لا ينطبق عليها ولذلك يفصّل الاسبانيون ان يقسموها ثلاثة اقسام اولها قسم المسرحيات التي تعالج موضوعاً منتزعاً من الحياة اليومية واشخاصها من الناس الذين نراهم ونعاشرهم كل يوم وثانيها مسرحيات اشخاصها ملوك وامراء وثالثها مسرحيات القديسين

ولكن هذا التقسيم لا يشفي غليلاً، ولا هو يتناول اعمال لوبي من اساسها، ذلك ان الصفة الغالبة على مسرحياته حوك الدسائس، ولا سيما ما كان منها خاصًّا بالحب وفيها سرور ملكاته وبراعته وحياله لان هذا الصنف من مسرحياته كان من ثمرات حياته وقد كان غرضه ان يبهج الناس ويحركهم لا ان يعلمهم ويعظهم وقد بسط طريقته في قصيدة نظمها سنة ١٦٠٩ عنوانها الفن الجديد لتأليف المهازل او الفن

المسرحي الجديد ومما قالهُ فيها « تأمرني بان اضع قواعد الفن الدرامي ولكني لم أؤلف الاَّ وانا مهمل قواعد هذا الفن فعندما اريد ان أؤلف مهزلة (كوميديا) اضع جميع القواعد في خزانة واقفلها ثلاثاً واكتب وفقاً للقواعد التي اخترعها اولئك الذين يريدون ان يحوروا تصفيق الجماهير ولما كان الجمهور هو الذي يدفع ثمن هذه السخافات فمن العدل ان نقدم لهُ ما يطلبهُ » ولكنهُ مع ذلك ، اهتمَّ في فقرات تاليه بعد اعترافهِ عن احترامهِ للقدماء واعتراضهِ على ذوق المحدثين (في عصرهِ) بوضع قواعد يراها اساسية في الفن المسرحي اهمها

١ — مزج المضحك بالمحزن ٢ — وحدة العمل اي يجب ان يهمل المؤلف جهدهُ من الحوادث ٣ - جعل الدرامة في اقصر وقت ممكن ٤ جعل الدرامة ثلاثة فصول على ان تكون حوادث كل فصل - اذا امكن - - مما يقع في يوم اي جعل الوقت الذي تستغرقهُ حوادث الدرامة ثلاثة ايام ٥ - ان لا تعرف نهاية الدرامة الاّ في المشهد الاخير ومن اوائلهِ إخداع المشاهد بالاشارة الى نتائج محتملة هي غير النتيجة الحقيقية ٦ — لكن الاسلوب سهلاً على ان يرتفع عندما يتكلم الملك او من كان صاحب مقام في مواقف الارشاد او التحذير

ولو لم تكن لوبي مسرحيًّا مطبوعاً لما أحدثهُ جميع قواعد الدنيا ففي مسرحيتهِ « الملك خير القضاة » مزج بريشة ساحرة بين المضحك والمؤسي ، وفي مسرحيتهِ « المحبوب المجهول » يسير في تسلسل حبكة الرواية وكأنهُ من ابرع الكتاب المعاصرين في قصص الجرائم وكشفها وفي مسرحيتهِ « اكتشاف العالم الجديد » يسيطر بفهمهِ وخيالهِ على موضوع متسع النواحي ، لا يمكن حصرهُ او حصر جزء منهُ في حدود فصول ثلاثة

## الملك خير القضاة

موضوع هذه الرواية منتزع من تاريخ اسبانيا ولكنهُ حوَّل القصة اليسيرة فيهِ من حكاية وهمية بسيطة تظهر فيها عدل الملوك ، الى مسرحية اخاذة فيها حب وشهوة، وفيها توسلٌ وظلم وجنون وحكمة ، وفيها فوق كل هذا عدل الملك الفونسو السابع كان سانشا فلاحاً ينتمي الى اسرة قديمة عريقة وكان يحبُّ الفيرا ابنة سيدهِ

الفلاح بوبو فيادله الفير الحب وتسمح له ان يطلب يدها من ابيها فيوافق هذا على الزواج، لانه يحب الشاب ويعطف عليه ويرى فيه فضائل الاجتهاد وحب العمل ولكنه يطلب اليه ان يذهب الى سيد المقاطعة دون بلّو ده بيرا وان يطلب اليه من باب الخضوع الاقطاعي، ان يأذن له في تزوج الفير

فيذهب سانشا الى ده بلو على رغم منه فاذا السيد شاب يقطن قصراً فخماً مع شقيقه فليسانا ولكنه غير محبوب ولا محترم من مزارعيه فيوافق السيد على طلب الفلاح ويمنحه الاذن في الحال، ويعده بانه يقدم اليه هدية زواج، مؤلفة من عشرين بقرة ومائة رأس غنم بل علاوة على ذلك بارل ووعد بان يشرف حفلة الزواج في الليلة نفسها وكان يصحبه في زيارته هذه رجل يدعى بيلاخ وهو ماجن ابدع المؤلف في تصويره اذ جعل حديثه خليطاً من الاقوال الحكيمة والمجون، السخيف على نحو ما تجد في بعض مسرحيات شكسبير

تمت معدات الحفلة واقبل الدون بلو في عربته ولم يبق الا ان يصل القسيس لاتمام عقد الزواج ولكن دون بلو يرى الفير، فتفتنه جمالها، فيبتدع عذراً لتأجيل حفلة الزواج الى مساء الغد، وبعد ما يأوي كلٌّ الى فراشه، يخطف الفتاة الفير بواسطة خدم مسيرين له

فاذا كان الفصل الثاني رأينا الدون بلو في قصره، وشقيقته مهالة عليه بافدع النقد على ما فعل ثم يدخل الفلاح بوبو والفتى سانشا في طلب الفتاة، فيتصنع دون بلو جهل مكانها ولكن الفير تظهر من وراء ستار، ويثور غضب السيد، فيأمر خدمه بطرد الفلاحين ضرباً بالعصي وعندئذ يعزم سانشا، بعد اشارة حميه، على ان يذهب الى الملك الفونسو السابع، ويطلب منه ان يحميه من عسف دون بلو وتحكمه فيذهب اليه بصحبة بيلاخ الماجن، ويستأذن في الدخول عليه فيأذن، فيعطيهما الملك كتاباً الى دون بلو فيه ما يلي

عند ما تصل كتابتي هذه اليك تعيد، من دون مداورة، الى هذا الفلاح المسكين المرأة التي سلبته إياها واذكر ان الامراء الصالحين لا يعرفون الا وهم بعيدون عن عيبه، وانه ليس ثمة أمير لا يناله عقاب الملك مهما يبعد عنه أنا الملك

ولكن دون بلّو، ما كاد يرى هذا الكتاب، حتى أرغى وأزبد، ورفض

ان يتابع، فيعود ساتشا الى الملك ويخبره بما كان فعزم الملك ان يذهب بنفسه لتوقيع العقاب عليه بعد حمله على احترام اوامره

ساتشا — انك يا سيدي بالغ في اكرام خادمي ارسل احد قضاتك لكي يحكم بالعدل في رعاياك

الملك - ان الملك خير القضاة

ثمّ الاتفاق على ان يتبع ساتشا وسلاح عن الكشف عن شخصية هذا القاضي فيصل الملك الى مقاطعة دون بلو متخفياً فيحط رحاله عند بوبو والد الفتى، فحسبه هذا قاضياً عادياً ويطلب الملك سراً الى احد حاشيته ان يحضر سيفاً وحلاّداً ثم يذهب بنفسه الى قصر دون بلّو ويقول لاحد خدمه

الملك المتكلم - ابلغوا دون بلّو بأني اريد ان اخاطبهُ

الخادم - واذا سألني عمن قال لي ذلك فماذا اجيب

الملك المتكلم - انا

الخادم الدس لك اسم آخر

الملك المتكلم كلا

فعند ما يرفض دون بلّو ان يستقبله يعلمهُ بانهُ احد قضاة القصر فيستقبلهُ ويحدثهُ متشامخاً عليه، محتقراً إياه

دون بلّو - يظهر انك لا تعرفه يا انا ان احداً لا يجرؤ على القاء القبض عليّ، الا اذا كان الملك نفسهُ

الملك المتكلم ادن ايها الخائن — انا الملك

فتصطكّ ركبتا دون بلو، ويحاول ان ينال سماحه، ولكن الملك يريد العدل فيحتم على دون بلو ان يمنح الفتى لقب زوجته وان يترك لها نصف ماله ثم يأمر باعدامه

فصاح سلاح هذا الملك

وصاح ساتشا - الملك خير القضاة



# سير الزمان

---

## نضال خفي في اليابان

وتأثيره في توجيه سياستها

---

## الزواج المورغاني

لامين العريس

---

## قوى الدفاع الاوربية

اقسامها وقوتها وطرق سطيمها



انزال الجنود من
الطائرات بالمظلات
الواقية في روسيا



الجنود في الميدان
يواجهون الغارات
الحربية بالكمامات
الواقية

# نضال خفي في اليابان

## وأثره في توجيه سياستها

ان قوات الدفاع في اليابان اشبه ما يكون بدولة داخل دولة لها اغراضها الخاصة في حلبة السياسة الداخلية والخارجية ، وليس في وسع اية وزارة ان تتجاهلها ومما عزّز هذا الموقف التقاليد التي جرى عليها اليابانيون ، والامتيازات الدستورية الممنوحة لقوات الدفاع . وتوازن القوى السياسية في البلاد

فالضابط الياباني ، وريث الفارس الياباني في العصور الوسطى (الساموراي) يحوطهُ احترام الجمهور وتقديرهُ ولرؤساءِ اركان الحرب في الجيش والاسطول حق الاتصال اتصالاً مباشراً بالامبراطور ، وهذا في نظرهم اعتاقهم من الخضوع للسلطة البرلمانية ثم إنَّ من القواعد المرعية الخاصة عندهم أن وزير الحربية يجب أن يكون جنرالاً ووزير البحرية اميرالاً ، وهذا يقوي النفوذ العسكري في داخل الوزارة ، لانهُ من المتعذر اقناع ضابط كبير ، من ضباط الجيش أو الاسطول ، بالاضطلاع وزيراً في وزارة ما ، اذا كان يشتم من طريقة تأليفها رائحة المعارضة ولو معارضة يسيرة لاغراض الجيش والاسطول وقد تعزَّز هذا الاتجاه منذ احتلّت اليابان منشوريا سنة ١٩٣١ ومنذ حدثت حوادث الاغتيال في فبراير الماضي التي ذهب ضحيتها فريق من الوزراء هذه الحوادث كانت مظهراً بارزاً للنضال الدائم بين المتطرفين والمعتدلين في اليابان

### بين المتطرفين والمعتدلين

في الناحية الواحدة نجد قوات الدفاع فالجيش ولاسيما صفوفه المتوسطة وصغار ضباطهِ ، متأثر تأثراً غامضاً بشعور مناهض للرأسمالية ومشبع بروح التطرف الاجتماعي اما الاسطول فأقل عناية بالمشكلات الاجتماعية ، ولكنهُ متفق مع الجيش على تأليف جبهة واحدة في ما يتعلّق بالمناهج الصناعية ولا سيما ما كان منها متصلاً بالخطط العسكرية ، راغباً في تأكيد افلاتهِ من قيود السيطرة المدنية ، مشدّداً في وجوب زيادة الاموال التي تنفق عليهِ من الميزانية العامة ويؤيد الاسطول والجيش طائفة من الجمعيات المطبوعة بطابع القومية المتطرفة

اما فريق المعتدلين فيشمل كبار ساسة اليابان ، من امثال البرنس سايونجي والكونت ماكينو والغريب ان شيوخ ساسة اليابان أقرب الى التساهل والحرية والاعتدال من الكهول والعالب ان الباعث على ذلك ان معظمهم قضى جانباً من حياتهِ في اوربا واميركا ، اذ كانت اليابان دولة ناشئة واذ كانت فلسفة الاحرار غالبة في تلك البلدان سواء في السياسة او في الاقتصاد ويمكن ان

المدنية وممثلي رجال المال والاعمال يعهدوا بان يقوموا لاغراض الجيش والاسطول اكثر وزن في تعيين خططهم السياسية

وليس بالامر الجديد في اليابان ان يتدخّل اقطاب الدفاع الوطني في تحديد النهج السياسي لذلك اعترضوا على بعض الذين اختارهم رئيس الوزراء الجديد، كوكي هيروتا، ليكونوا وزراء في وزارته، فتخلى عنهم مسلماً للجيش والاسطول بمطالبهما وفي رأس هذه المطالب تعزيز قوى الدفاع الوطني وتوجيه السياسة الخارجية توجيهاً فعَّالاً مستقلاً

اما تعزيز الدفاع الوطني، فيعني زيادة ما يخصص لقوى الدفاع في ميزانية الدولة بلغ ذلك في سنة ١٩٣٢ نحو ٢٢٨ مليون ين للجيش و٢٢٧ مليون ين للاسطول، وقد اطردت الزيادة في مخصصاتهما حتى بلغت ٥٠٨ ملايين ين للجيش و ٥٥١ مليون ين للاسطول وهذا المبلغ اقل قليلاً من ٤٧ في المائة من دخل الحكومة

ومع ذلك نرى الجيش والاسطول يطلبان المزيد وقد دفع وزير المالية السابق تاكاهشي، بحياته ثمناً لمعارضته في هذه الزيادة (كان الوزير تاكاهشي احد الذين اغتيلوا في فتنة فبراير ١٩٣٦) وقد اقترحت مقترحات متعددة للعثور بهذا المال منها تحويل بعض القروض الداخلية على نحو ما فعلت انكلترا وفرنسا واميركا فتوفر الفرق بين الفائدة التي تدفع الآن والفائدة المخصصة في القروض المحوَّلة ولكن ذلك لا يكفي ويرجّح الكتاب الماليون، ان الدكتور ايشي بابا وزير المالية الحالي، مضطر الى فرض ضرائب جديدة من ناحية او عقد قروض لتغطية العجز في الميزانية وكلاهما محفوف بالخطر فالضرائب قد تفضي في العالب الى رفع زيادة نفقات المعيشة فالى المطالبة بزيادة الاجور فالى زيادة نفقات الانتاج، وهذا يسلب اليابان معظم ما كانت تمتاز به في تجارتها الخارجية ومنافسة الدول الأخرى اما اصدار قروض لتغطية عجز الميزانية فالمجمع عليه ان الوزير تاكاهاشي ذهب فيه الى ابعد حدّ معقول

ولكن قوى الدفاع لا تنثني عن المطالبة بهذه الزيادة ولا بدّ من ارضاء اقطابها بأنه طريقة من الطرق وهي تعني خاصة تعزيز سلاح الطيران والقوى الميكانيكية في الجيش وتستند في مطالبها هذه الى حشد السوفييت قوة كبيرة حديثة المعدات في الشرق الاقصى اما الاسطول فيستند الى انتهاء المعاهدات البحرية في المحيط الهادىء وعدم العقد بقيود بحرية جديدة في تأييد ما يطلبهُ من تعزيز الاسطول

## اتجاه الجيش والاسطول

الجيش والاسطول متفقان على هذا ولكنهما يختلفان من حيث الغرض المباشر الذي يجب ان تتجه اليه سياسة اليابان الآن فالجيش يريد ان يوجّه عناية خاصة الى شرق آسيا على

محاذاة اليابان اي الى شمال الصين واما الاسطول وزعماؤه فيؤثرون ان تلتفت اليابان الى الجنوب فهم يوجهون انظار الماليين من اليابانيين الى ان المناطق الاستوائية غنية بمواد الغذاء، وبالخامات اللازمة للصناعة، كالبترول والقطن والحديد والقصدير والقصب وغيرها وقد صرّح قائد الاسطول الياباني الاميرال سانكيتي تاكاهاشي امام جماعة من ارباب الصناعات في اوساكا بان « تقدم اليابان الاقتصادي يجب ان يتجه الى الجنوب على ان تكون قاعدة هذا التقدم اما جزيرة فورموسا واما الجزائر المشمولة بالانتداب الياباني فبعد ذلك تصبح جزائر غينيا الجديدة وبورنيو وارخبيل سليب في دائرة الاسطول الياباني »

ولا ريب في ان البواعث الاقتصادية على التوسع الياباني في الجنوب اقوى منها على التوسع الياباني في شرق اسيا الشمالي فنصيب اليابان من تجارة الهند البريطانية وجزائر الهند الشرقية الهولندية واستراليا وزيلندا والفيلبين وملايا وسيام قد زاد من ١٨٫٧ في المائة سنة ١٩٢٩ الى ٢٨٫٤ في المائة سنة ١٩٣٤ وذلك لان سكان معظم هذه البلدان فقراء في العالم ويفضلون بضائع اليابان الرخيصة على غيرها ثم ان المهاجرين اليابانيين يفضلون الاقاليم الدافئة على الاقاليم الباردة تشهد بذلك احصاءات المهاجرين الى شمال منشوكو والمهاجرين الى الجزائر الاستوائية المشمولة بالانتداب الياباني

ولكن التوسع على برّ اسيا اقل خطراً من التوسع في الجنوب ، من الناحية السياسية فمنشوكو حقيقة دولية ولو لم تعترف بها معظم الدول حتى الآن وليس ثمة اي دليل ، على ان توسع اليابان في منغوليا ، يلقى مقاومة كبيرة ، ما زال هذا التوسع الى الشمال من نهر الاصفر اما في الجانب الجنوبي من المحيط الهادىء ، فأي عمل يفضي الى الاعتداء العسكري يقابل ولا ريب بمقاومة عسكرية كبيرة من جانب الدول التي لها مصالح تجارية وسياسية هناك نعم ان جزائر الهند الشرقية الهولندية لا تقوى على مقاومة اعتداء اليابان ، ولكن المجمع عليه بين الكتّاب السياسيين ، ان اعتداء اليابان على جاوى او بورنيو بمثابة اعتداءٍ على الامبراطورية البريطانية

ولو أن اليابان عقدت ميثاق عدم اعتداء مع روسيا ، لاطلقت يداها في الجنوب يقابل ذلك انها لو انها وقفت موقفاً مسالماً من انكلترا والولايات المتحدة الاميركية لاطلقت يداها في شرق اسيا الشمالي ولكنها لم تفعل هذا ولا ذاك والغالب ان الباعث الاكبر على اخفاق السياسة اليابانية في ذلك ، ان احساس احد الجنسين يعني تفوق الجيش على الاسطول او الاسطول على الجيش ، وتغلب نفوذه على سياسة البلاد ومع ان الجيش والاسطول في اليابان متفقان على مطالب معيّنة تهمهما جميعاً الاّ انهُ لا يسهل على زعماءِ احدهما على ان يسلّم لزعماءِ الآخر بالانفراد بالسيطرة على مقدّرات البلاد

في زوايا العصور

# الزواج المورغاني

أو غير المتكافىء

لامين الغريّب

---

تحت الافرنج كلمة مخصوصة للزواج الذي يعقد بين شخصين غير متكافئين كأن يكون الرجل نبيلاً عالي الاصل والمرأة حقيرة فدعوهُ الزواج المورغاني نسبة الى مورغانا الجنية التي تنزلت في عهد الخرافة الوثنية الى الاقتران بواحد من بني البشر وقد عرفنا لهذه الكلمة مرادفاً مشتقاً عند الاتراك في لفظ «داماد» فقد اعطوه لكل رجل عادي غير «ازرق الدم» تيسر لهُ أن يصاهر الاسرة السلطانية اما العرب فلم نجد بعد في كتبهم كلمة تدل على هذا النوع من الزواج ولا ندري أكان سبب هذا الاهمال عندهم ان ملوكهم لم يزوجوا بناتهم لمن كان دونهم ام بلغت المساواة عند العرب حداً لم تدع فرقاً بين الاسر وعلى كل حال احتقر الافرنج هذا الزواج المورغاني أو الدامادي حتى وصفوهُ بالزواج الاعسر ودعوه «شبه زواج» او زواجاً «تحت الورد» وأبى جمهور الشعب احترامهُ حتى عومل في الامور العامة عاملاً معاملة زواج غير شرعي

مع ان الكنيسة المسيحية باركتهُ لانها وهي نحوله روحية، لا تفرق بين النفوس ولا ترى للملك امامها افضلية على الرعايا فهي تعد الاولاد شرعيين لكل زواج تعقده اما الاشراف انفسهم من الافرنج فلا يسمحون لهؤلاء الاولاد بان يحملوا اسم والدهم العائلي والقابهُ او يرثوا عرشهُ وثروتهُ واملاكهُ، اللهم الا ما تم باتفاق خطي خاص بين الاب والام عند عقد الزواج

ومعلوم ان نطاق الزواج بين الاشراف والنبلاء يضيق احياناً حتى يضطر بعضهم الى الاقتران بأقرب الانسباء والدم المغذي من نفسه لا بد أن يضعف وتنقص وتفقد خواصهُ الحيوية فلم يجدوا بدّاً من التساهل في امر هذه الزيجات وعند وقوعها غضوا الطرف عنها تسامحاً مع الطباع البشرية لكنهم حرموها كلّ اعتراف رسمي وجعلوا من يلتجأ من الاشراف اليها يخسر في الحال حقوقهُ الشرعية في العرش أو ما يماثلهُ من الميراث ومنعوا الاولاد الداخلين منها من أن يُحسبوا منهم ويعدوا منهم او مثلهم وكل ذلك لاجل حفظ الدم — في رأيهم — نقيّاً طاهراً في الاسر النبيلة غير مختلط بقطرة واحدة غريبة

مثال ذلك ان النبيل الصحيح في نظر ابناء بوربون وهبسبرج كان من يستطيع ان يعد ستة عشر جداً من جدوده على الوجهين، كلهم من ذوي الشرف الصميم ولما سلم النمسويون برف الارشيدوقة

ماري لويز الى نبوليون الاول كان ذلك منهم تنزلا وتضحية ً سلك الفتاة على هيكل المصلحة السياسية

في عام ١٩١٤ اطلق زنكيب السربي في سراجيفو الرصاص على الارشيدوق فرنز فرديناند ولي عهد النمسا وزوجته فقتلها واشعل الحرب العالمية التي التهمت في الدنيا كلها الاخضر واليابس ومع ان هذه الميتة المروعة ألبست جميع البشر ثوب الحداد في ما بعد ، لم يسمح النمسويون بدفن الارشدوق القتيل بالحفاوة المعتادة لمثله ، لمحض ان زوجته ُ صوفيا المقتوله معهُ كانت شريكته ُ في الدفن وهي لا تستحق في نظرهم المظاهر الكريمية التي حصتها القوانين والتقاليد بمن هم في مكانهِ فضوا بذلك عليهِ كيلا تنال امرأته عن طريقهِ شيئاً لا تستحقهُ

ولم تكن زوجة الارشيدوق حقيرة بحد ذاتها لـكنها لم تكن من مرتبة سموهِ الامبراطوري وقد توصلت بذكائها وحكمتها الى رفع مكانتهـا في اعين النبلاء النمسويين حتى رقاها صاحب العرش فرنسيس يوسف من رتبة كونتة الى دوقة وسمح لها بحضور حفلات البلاط الرسمية على ان تتخذ لها مقاماً في صف التشريفات ، بعد كل سيدات الاسرة المستريحة مع ان مقام زوجها ولي العهد ، لو هي كانت من ذوات الدم الماهي في الزرقة لخوَّلها ، بسبب موت الامبراطورة ، مركز ربه القصر بلا منازع وكان زوجها عند اقترانهِ بها قد تخلى عن حقوقه في وراثة العرش لـكن لطافتها وحسن سلوكها ما لبثا ان أعادا اليه ذلك الحق ،على ان يُحرمهُ اولادها في ما بعد

كانت صوفيا هذه كونتة بوهيمية فقيرة من اسرة شوتك ، ولكن متعلمة اديبة تعمل مربية لثمانية اولاد في قصر الارشيدوق فريدريك فأحبها فرنز فرديناند الذي جعلهُ مصرع ابن عمهِ رودلف في ما يرلنج وارثاً للعرش وكان قبل رؤيتها يكره الزواج ويرفض الدعوات المتوالية عليهِ من قصور الملوك لهذا الغرض واقترن بها متنزلاً بمحض ارادتهِ عن كل حق لهُ في العرش لـكنها اجتهدت كثيراً في مراعاة الاصول المرسمة واتنهاز الفرص السانحة دون استعجال الحوادث ولا استبطاء الامور المرهونة باوقاتها ولما استملها اخيراً الامبراطور غليوم الثاني الالماني زوجةً لولي عهد النمسا وصرف النظر عن كل الملحوظات المختصة بها ادرك الناس ان لها في الدوائر العليا معاونين كباراً يشدون ازرها ويكفي ان بوهيميا باسرها وجدت بمحض الامل في ان تجلس فتاتها يوماً على العرش الامبراطوري عاملاً تستزيدها احلالاً لهذا العرش وتعلقاً بهِ

ومن المعلوم ان الامبراطور فرنسيس يوسف لم يسترح طول عمره من تأثير الصدمة الهائلة التي اصابتهُ بمصرع ابنه رودلف الذي كان انسان عينهِ فلم يجسر احدٌ على مفاوضتهِ في موضوع الخلافة بعد تصريحهِ مرةً بأن «موضوع الخلافه لا يُطرح للبحث الاَّ بعد موتي ومن عادة الذين لا يجدون مطمعاً في العيش ان يعيشوا طويلاً » وقد صدق في حدسهِ فعاش طويلاً

حدّاً ولعلهُ كان في قلبهِ يلوم نفسهُ على معارضتهِ لرودلف في هواه ويتمنى لو عاش هذا الولد كما يشاء مقترناً بمحبوبتهِ الوضيعة على ان يلقى هذه النهاية الرائعة ويضيف الى سلسلة بلايا المسرحيين حلقة جديدة

كان رودلف قد اقترن دون محبة بالاميرة ستفاني ابنة ليوبولد الثاني ملك بلجيكا ولم تستمل هذه العروس عسلكها عواطف احد من سلالة هبسبرج ولاسيما زوجها فقد صادفتهُ نفرتها (الصحيحه الاساس) وزادتهُ نفوراً منها، وابتعاداً عنها، حتى تحول ميلهُ عنها أخيراً الى بغض شديد لها وصار يأنف محض رؤيتها ويشمئز من سماع صوتها فلما رأى الكونتة فتسيرا ابنة احدى الاسر المقبولة في البلاط النمسوي طار لبهُ وعميت عيناه الا عنها، وغرق في بحر حبها الى قمة رأسهِ وفكر طويلاً في التخلص من امرأتهِ والاقتران بها ففاوض أباه الشيخ في التخلي عن حقوقهِ في العرش وطلب من قداسة البابا اذناً خاصاً بالطلاق من ستفاني فأبى عليهِ الحبر الاعظم ذلك طبعاً كما وبخهُ أبوهُ على هذه الفكرة السقيمة توبيخاً صارماً وبعد ذلك ذهبت الكونتة فتسيرا لزيارتهِ في مقر الصيد والقنص في مايرلنج فلم يخرج احدٌ منهما حيًّا

ومع ان الامبراطور عرف حالاً وقائع الفاجعة التي طلت طول عهده مكتومة عن العالم لم يجد قراراً نحو احد مكتفياً بابعاد الاشخاص المطلعين على تفاصيلها الى اماكن نائية حيث ضمن العرش لهم معاشاً جيداً لقاء الصمت الابدي التام فلعلّ الامبراطور المفجوع بابنهِ أراد معاونة ولي العهد الجديد في أمر أباهُ على وحدهِ وتكلمهُ بنفسهِ وكان بالطبع يشعر بيد القضاء والقدر التي جعلت بعد هذه الفاجعة الوارث الجديد لعرش النمسا من الصنف الذي فقد تجاهه الوحيد بنفسه

وبالطبع لم يَسمح فرنسيس يوسف لاحد بتحويل رأيهِ لكنهُ على كل حال لان بعد الفاجعة واذا ذكرنا انهُ كان على صوفيا شوتك ان تغلب على مسامح سنين ارشيدوقاً وارشيدوقة يتقدمونها تماماً، وعلى اصول تقضي ارجاع ثلاثة سنة من الحدود الى الوراء، وعلى التنزل الرسمي العلني من زوجها عن كل حقوقهِ، عرفنا اهمية المعمعة التي كان على هذه المرأة ان تخوضها لكن ركب السري وضع لكل هذه الامور حدًّا في صيف ١٩١٤

***

وفي عام ١٩٠٩ مات ليوبولد الثاني ملك بلجيكا جد الملك ليوبولد الثالث الحالي فانكشف بعد موتهِ سر زيجة المورغانية بالبارونة دي فوغان هذه المرأة الداهية في الذكاء كانت حقيرة الأصل ابنة بواب فقير اقترنت اولاً بضابط صغير فلم تسعد بزواجها وعاشت مدة طويلة عيشة غير مرضية ومع ذلك تمكنت بدهائها وسحر عينيها من التسلط اخيراً على قلب ليوبولد بعد ما احتوش وتصلب وكان من ادهى رجال عصره في الادارة والسياسة والتجارة

ولم يقف معهُ عند حد الحب والغرام بل اجبرتهُ على الاقتران بها بحسب نواميس الكنيسة فصار اولادها منهُ شرعيين واستولت بالتالي على جانب كبير من ثروته الواسعة ، مع ان لويولد الثاني كان من اشهر المتلاعبين بقلوب النساء في عصره ، وقد انشأ بعض من اجمل النساء واذكاهن علاقات سرية به وبالطمع طمحت كثيرات منهن الى المقام الذي تفردت البارونة دي فوغان بالاستيلاء عليه

والزواج المورغاني يحفظه البلاط عالناً سريًّا ، تفادياً من الاقاويل الملازمة لهُ والصعوبات الممكن تكديسها في سبيله على ان هذا الكتم يثير دائماً في اذهان العامة ريباً واشباهاً بما يخالف القوانين مع انهُ في واقع الحال ليس خالياً من القداسة الكنسية كما رأيت لكن الشعب لا يكتفي بذلك بل يمشي في احترامه على التقاليد والعادات ودونك دليلاً على ذلك

عندما اقترن الغرندوق بولس الروسي بالسيدة بسلكور اسرع القيصر نقولا الثاني الى طرده من روسيا فعاش مدة طويلة في باريس منفيًّا من بلاده مع ان نافيهُ المتحكّل نفسهُ كاد في صباه يعقد لنفسه مثل هذا الزواج فقد ولع حلالتهُ قبل ان صار ذا جلالة براقصة بولندية واستولدها صبيين تعلما على نفقته في مدارس باريس ولم تسمح لهما بدخول روسيا بينما والدتهما كانت حرة في الدخول والخروج واخيراً شاد لها قصراً في بطرسبرج سنة ١٩٠٦ اما الكنيسة الارثوذكسية فلم تعترف بتاتاً بذينك الولدين حال كونها اعترفت بزيجة الغرندوق بولس وعلى الرغم من ذلك ظل الغرندوق بولس مع زواجه المقدس مطروداً من الهيئة الاجتماعية بينما القيصر نقولا مع زواجه غير الشرعي بالراقصة البولندية ظل مبجلاً مطاعاً

ولا بدَّ ان القيصرة اليكس التي ولدت لنقولا الثاني اربع بنات قبلما اتحفتهُ بولد قضت اعواماً طوالاً تتحسر على كون زوجها قد ولد صبيين من سواها وهي لا تلد غير البنات

وقد انتبه القارئ طبعاً الى أن ما حدانا الى طرق موضوع الزواج المورغاني هو طلب ادوارد الثامن ملك انكلترا أن يعقد لهُ زواج كهذا على السيدة واليس ورفيلد مطلقة ارنست سمبسون وزوج آخر قبلهُ وأن المستر بلدوين رئيس الوزارة قال في مجلس الامة لمؤيدي رأي الملك ان مثل هذا الزواج غير ميسور في القانون البريطاني

وهو ادرى طبعاً بما يوجد ولا يوجد في دائرة القانون اما نحن فنعلم ان الملك جورج الرابع ، عم الملكة فكتوريا الشهيرة ، وكان يدعى « اول سيد في اوربا » The First Gentleman in Europe اقترن بالسيدة فتز هربرت ، وطلقها واقترن قبل ارتقائه الى العرش بالاميرة كارولين اوف برنسويك ويؤثر عنها انها هي ايضاً لم تطق معاشرتهُ فعادت الى منزلها في فرنسا ولم تعد الاَّ عند ما لاح لها بارق امل بان تصير ملكة لكن زوجها كان يمقتها وقد

حاول تطليقها عبثاً ولما اقبلت يوم حفلة التتويج الى وستمنستر لتشترك واياهُ في الجلوس على العرش أقفل الباب في وجهها ولم يسمح لها بالدخول والملك جورج الاول اقترن بالدوقة اوف كندل وهي ذات دم غير ملكي والملك وليم الثالث اقترن بالكونتس اوغسطا فون هوروك الالمانية

ثم ان جد الملكة ماري الوالدة الحالية البرنس تك ابن ملك فرتمبرج اقترن بكونتس هنغارية فرامتا طل عدة اعوام غير معترف بهِ ثم قبلت بعد ذلك وجعلت دوقة تك وصار ابنها دوقاً واقترن بالاميرة ماري ادلائيد وابنتهما الاميرة ماري هي الملكة الوالدة في انكلترا اليوم

ومما يستحق الذكر في هذا المجال ان الاميرة فكتوريا ابنة شقيق الملك ادوارد السابع احبت السير الكسندر رمزي شقيق ارل دلهوزي الحالي ولم يكن على الاطلاق كفؤاً لها فتخلت عن ألقابها ومقامها واقترنت بهِ ، رافضة يد الفونسو الثالث عشر ملك اسبانيا الذي عاد فاقترن بابنة عمها الاميرة فكتوريا أينا

ثم ان جورج الخامس ملك انكلترا والد الملك الحالي كاد يقع لهُ في اوائل صباه حادث يقرب من الرجات المورغانية والمصدر الذي نستقي معلوماتنا منهُ لا يفصلها بصراحة بل يكتفي بالاشارة الى ان جدتهُ الملكة فكتوريا كانت وقتئذٍ في قيد الحياة وللقلوب المتحدرة منها وثاق كان شديداً جدًّا في عهدها فاستدعتهُ ولم تشدّد عليهِ النكير كما فعل فردرك يوسف النمسوي بوحيده بل ذكرتهُ بلهجة حازمة بسمو مقامه والواجبات التي عليهِ لشخصيتهِ المحترمة اولاً في عيون الناس ولاولئك الناس ثانياً ولاجداده العظام وللتاريخ الانكليزي ثالثاً وارتهُ السهولة في ان يختار لنفسهِ رفيقة حرية بان تجلس يوماً على عرش بريطانيا العظمى وهكذا ثاب الى الفتى النافع رشاده ، وسدَّ المنفذ المفتوح في قلبهِ للهب الناكر المتقد حوله

وكان ابيل فردريك بابن ابناء الامبراطور الالماني غليوم الثاني ناوياً ان يقترن باحدى راقصات برلين لولم يتدارك الامر والده ويرسلهُ الى فرقة عسكرية مخيمة في روبوت على شاطئ البلطيك فمكث هناك ستة اشهر ثم ارتد الى والده قائلاً انهُ تاب عن حب الراقصات جمعاً ويقترن باية اميرة يختارها جلالتهُ له وبعد اربعة اسابيع احتفل باكليلهِ سنة ١٩٠٦ على صوفيا شرلوت غرندوقة اولدنبرج لكنهُ لم يكد يكمل شهر العسل حتى هبت في قرارة قلبهِ عاديته الكامنة في البدن ، واحيا ليلة ساهرة لبعض الراقصات لم تحضرها الغرندوقة طبعاً لانها كانت في الطريق عائدة الى بيت ابيها

فاستدعاه غليوم اليهِ سرًّا ، ويقال انهُ ضربهُ ضرباً مبرحاً جعلهُ يهرب من امام ابيه احمر الوجه مهتاجاً وعلى كل اصلح الامبراطور بين الزوجين فتصالحا وعاشا كما يمكن الى ان نشبت الحرب العالمية فانتظم الامير مع اخوتهِ في صفوف الجيش وعملت صوفيا في الصليب الاحمر

وبعد الحرب تغيرت الاحوال والمراكز فلم يكترث احدهما للآخر وتبادلا تهمة الخيانة الزوجية وانتهى بهما الامر الى الطلاق في دسمبر ١٩٢٦ وكانت صوفيا هذه اشد الناس ابتهاجاً بسقوط حكم هوهنزولرن لانهُ جعل طلاقها ممكناً من دون اذن الامبراطور لان غليوم الثاني كان صارماً جدًّا في هذه الامور، صرامةً لان فيه بعد سقوطه عن العرش الى حد انهُ أجاز لنفسهِ الزواج بعد قليل من وفاة الامبراطورة التي كان يحبها حبًّا جمًّا

ومن حوادث هذا النوع في المانيا ان الأمير يواكيم البرت البروسي ابن حاكم برنسويك أحبَّ الممثلة صلرر فدرى أبوهُ بعزمهِ على الاقتران بها فسجل في وصيتهِ الاخيرة مادة تشترط عليهِ في حالة زواجه هذا غير نبيلة ان يتخلى عن قسطهِ من ميراثهِ الكبير فلكي يتطال الامير يواكيم فعل هذه الوصية أخذ الفتاة الى لندن حيث استأجر نبيلاً نمسويًّا فقيراً يدعى البارون فكتور فون ليبرح فعقد لهُ عليها لقاءَ مبلغ معين من المال وبعد الاكليل على الاثر افترق العروسان كلٌّ في سبيلهِ فعادت الصبية الى المانيا تطلب من محاكمها الطلاق من زوجها الشرعي النبيل النمسوي بحجه هجره اياها واهماله أمرها لكن الامبراطور غليوم الثاني درى بالأمر وكان رضاه بمقتضى قانون أسرة هوهنزولرن الخاص ضروريًّا لجعل الزواج بين أفرادها شرعيًّا — حتى ان كان الاكليل كنسيًّا فرفضُ ذي الجلالة يجرحه ويلغيهِ — فأصدر الامبراطور أمرهُ قبل اصدار المحكمة حكمها بالطلاق، بنفي البارونة النمسوية فون ليبرح من المانيا بحجة انها أجنبية غير مرغوب فيها وأرسل في الوقت عينه الامير يواكيم الى احدى المستعمرات الالمانية القصية في افريقيا في مهمة عسكرية

فمضى الامير مكرهاً لكنهُ بعد اثني عشر شهراً من مكاتبات سرية بينهُ وبين حبيبتهِ التي بسمو رضاها في عينهِ على رضى كل الاباطرة ومن جرى مجراهم، فرَّ من معرّهِ من دون إذن ولحق بها في أوربا فلم يسع الامبراطور عند ذلك الاَّ طرده من الجيش الالماني ومن المانيا جمعاءَ مشيراً الى سفرائهِ بالاشعار الى الحكومات الأجنبية كي تمنعهُ الكريم المعتاد للذين في مراتبهِ

ولم يكن هذا الأمر مهمًّا لديهِ، فقد تخلص من حرمان أبيهِ من الميراث العظيم ونال قسطهُ الوافر من المال المتروك وعاش مع زوجته المحبوبة خارج المانيا بترف وسعادة، الى ان خلع الشعب عن العرش الالماني ذلك الامبراطور المتحكم في حظهِ فصار حرًّا مع زوجتهِ التي لا تحمل امرأة أميرة بحسب اصول النبلاءِ المشروعة والمسجلة في تقويم غوتا

ولا شك ان الناس قد رحبت صدورهم اليوم عن ذي قبل واصبحوا لا يشاركون الاسر النبيلة في كل آرائها في الزيجات المورغانية، وادركوا مع الشاعر العربي

ان الفتى من يقول ها انذا ليس الفتى من يقول كان ابي

# قوى الدفاع الاوربية

أقسامها وقواها وطرق تنظيمها

— ٢ —

## فرنسا

يحق لفرنسا ان تفخر بين الدول الاوربية بأقوى جيش بري في اوربا الغربية وأعظم قوة جوية وأكبر مجموعة من الدبابات والمدافع وبأنها شيدت أقوى الاستحكامات على حدودها الشرقية وسمو صناعة المؤونة والذخيرة عندها وبأنها تحفظ بقدر كبير جداً من الذهب الاحتياطي وبمعاهدات ومواثيق ومحالفات تربطها بدول صديقة كروسيا وبولندة وتشيكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا ورومانيا وبريطانيا العظمى

ان الجيش الفرنسي في مقدمة الجيوش الاوربية عدداً وسلاحاً وقد نشرت مجلة « ريفودي دوموند » مقالها الخطير الذي كتبهُ المارشال بيتان عملت الحكومة الفرنسية بآرائهِ التي دوّنها في هذا المقال وكان المارشال قد دعا فيهِ الى مد أجل خدمة مجندي سنة ١٩٣٥ لان مجندي سنة ١٩٣٦ سيكونون اقل من المطلوب لنقص المواليد في فرنسا أثناء سنة ١٩١٥ وهو النقص الناشيء عن الحرب الكبرى ويعتقد المارشال بيتان « ان مجندي سنة ١٩٣٧ و١٩٣٨ و١٩٣٩ سيكونون أقل من المطلوب كذلك لان نقص المواليد في فرنسا استمر حتى نهاية الحرب العظمى وكان من آرائهِ التي صرح بها ايضاً في مقالهِ « ان هناك سبيلاً واحداً الى منع الحرب وهو ان نكون أقوياء وقانون جعل الخدمة العسكرية سنتين هو الاجراء الوحيد الذي يستطيع ان تطمئن الفرنسويين وحلفاءهم وتضعف أماني الخصم وتعزز السلام الاوربي تعزيزاً عظيماً »

وفي منتصف شهر نوفمبر ١٩٣٦ نشرت المجلة المذكورة مقالاً للجنرال « فيجان » القائد العام للجيش الفرنسي سابقاً حذّر فيهِ فرنسا من جيش المانيا الذي اصبح الآن من القوة بحيث يستطيع القيام بهجوم فجائي بعقبهُ بحرب خاطفة ثم قال ان الجيش الفرنسي يجب ان يكون متأهباً لمواجهة تهديدين متواليين ذلك ان فرنسا لا تستطيع حشد قواها على الحدود لان هذا يشل حركة الامة الداخلية كما أنها لا تستطيع تحويل الخدمة الاجبارية الى خدمة تطوعية في الجيش

ورأى الجنرال « فيجان » ان حل هذا الموقف يتم بالطرق الآتية

اولاً ان تكون جنود الحصون والقلاع مستعدة في كل وقت لتعبئة أقصى قوة لحماية الاستحكامات المشيدة

ثانياً انشاء وحدات متحركة كبيرة وان تكون ميكانيكية في المناطق الواقعة على الحدود
ثالثاً ايجاد قوة متحركة من الجنود مكونة من وحدات كبيرة يمكن جعلها متأهبة للعمل في أسرع وقت

ولكي يمكن الوصول الى انشاء هذا النظام يقتضي ان يزاد عدد المجندين من ١٢٠ ألفاً الى ٢ الف وأن يخفض سن الافراغ الى حد يسمح بزيادة خمسين الف جندي وتعديل مدة الخدمة حتى يتيسر تحسين الدرس العسكري

هذا هو رأي آخر لاحد قادة فرنسا المبرزين ولا ندري الى اي حد انتفع بها بين المشورتين الفنيتين من الناحية الفرنسية الوطنية لمقاومة الخطر

ومع ذلك فان فرنسا لا بد ان تكون مطمئنة ودليل ذلك ما صرح به المسيو دالاديه وزير الدفاع الوطني يوم ٤ نوفمبر ١٩٣٦ أمام اللجنة الحربية في مجلس النواب بشرح مكانة فرنسا الحربية قائلاً أنهُ يدعو الى الاطمئنان وان موقف المانيا ومقامها الحربيين لا يدعوان الى ارتياح المانيا نفسها وصرّح بأنها لن تتمكّن قبل مرور عام من اتمام مشروعات التجنيد ومع ذلك في نيته تجنيد الشبان الفرنسي في سن الثامنة عشرة كما نوى في الوقت نفسه انشاء معهد للأبحاث العلمية للدفاع عن فرنسا ولم نستطع ان نخفي تقدُّم ادخال الوسائل الميكانيكية الحديثة في الجيش الألماني والتطوُّر السريع في انشاء الطرق والسكك الحديدية في منطقة حوض الرين وهذا مما يشجع الألمان على القيام بمفاجأة سريعة وعقدت الحكومة الفرنسية النية على ان تنفق على زيادة وسائل الدفاع البري والجوي والبحري في السنوات الأربع المقبلة مبلغاً يقدر ، ، ١٨٢٠٠ جنيه

وفي الوقت نفسه نرى المستر لويد جورج السياسي الانجليزي قد ألقى خطاباً سياسيًّا خطيراً قال فيه ان فرنسا أقوى الدول الأوربية في العالم اليوم وانها تنعم بجيش مدرب يبلغ عدده خمسة ملايين جندي وان المانيا لا يمكن ان تبلغ مبلغ فرنسا من حيث التدريب العسكري الا بعد سنوات لأن الجندي لا يكون جنديًّا بكل معنى الكلمة الا بعد تدريب متقن وعناية كبيرة

ولا ندري صحة هذا الرأي فقد قال بعضهم ان لويد جورج يحاول تسويغ موقف المانيا من سياسة التسلح باظهار فرنسا بمظهر الدولة القوية الخطرة !

والجمهورية الفرنسية لها أملاك واسعة تحتفظ فيها بقوات عديدة من جميع الاسلحة فان لها في الجزائر ومراكش وتونس وافريقيا الغربية الفرنسية وافريقيا الاستوائية الفرنسية ومدغشقر والصومال الفرنسي وريبيون والهند الفرنسية وكالدونيا الجديدة والهند الصينية وغيانا وغيرها من جزر المحيط الهادي وكذلك لها في بلدان الانتداب سوريا ولبنان وكامرون قوات مؤلفة من جميع الأسلحة

وبلغ مساحة فرنسا ٥٥١٦٠٠ كلو متر مربع وعدد سكانها ٤٢ مليون نسمة وجيشها يبلغ عدده في وقت السلم ٦٤٢٦٨٧٥ من هؤلاء ٢١٣٦٠٠ من جنود المستعمرات ومن السهل عليها ان تعبىء في وقت الحرب ما لا يقل عن أربعه ملايين جندي

والخدمة العسكرية اجبارية في فرنسا وهي مقسمة الى ١٨ منطقه عسكريه على رأس كل منطقة ضابط برتبه جنرال يتولى قيادة القوات العسكرية للجيش والقوات الاقليمية وهو مسئول عن الاقتراع والتدريب العسكري والتعبئه في منطقه بمساعدة هيئة قيادته ومكاتب تجنيد منطقه ومراكز التعبئة فيها أما قوات المستعمرات فتتبع كلٌّ منها نظامها الخاص بها وتتألف العناصر العسكرية العليا للقيادة والادارة الخاصين بالجيش من الهيئات الآتية

١ — المجلس الحربي الأعلى ويتألف من وزير الدفاع والحرب رئيساً لهُ ورئيس هيئة اركان الحرب العامه وكيلاً ومارشالات فرنسا وعدد من قواد الفرق الذين في الاستدعاء لا يزيد عددهم على الاثني عشر وهؤلاء الاعضاء يعينون بقرار رسمي في أول كل عام

٢ — هيئه القيادة العليا يرأسه رئيس هيئة اركان الحرب

٣ — هيئة التفتيش العام الدائمة لجميع الأسلحة كالسواري والمشاه والمدفعية والنقل والمهندسين وقوات المستعمرات

٤ — هيئه اركان حرب الجيش يرأسه وكيل المجلس الحربى الأعلى

٥ — وزاره الدفاع الوطنى والحرب

٦ — ادارة الجغرافيا العسكريه

٧ — عدة لجان ومجالس للبحث في أعمال السكك الحديدية العسكريه والمرفوعات وصناعة الذخائر وما أشبه والعلم العسكرى ليس مركّزاً في باريس وحدها بل هو موزع كالجيش في جميع انحاء فرنسا وان كانت أهم معاهده في باريس مانذكره كالآتى

مدرسة الدراسات العسكريه ( Ecole n... ... ) المدرسه الحربيه العليا المدرسة الحربية الخاصة بسان سير مدرسه الفنون العسكرية مدرسة المهندسين المعدمين في فرساي مدرسة الادارة الحربيه في فنسان ومركز تدريب السيارات في مونتلو مدرسه الرياضه البدنية في جوانفيل مدرسة الطب العسكري مدرسه المدفعية في فونتنبلو مدرسه الدبابات والمدرسة العليا لصناعة الأسلحة في بوبو مدرسة المواصلات والاشارة في فرساي

وبجانب هذه المعاهد الحربيه هناك فى روان ومتز وتور وليون ومارسليا وباريس والجزائر عدة مدارس فنيه أخرى تمد الجيش بالضباط الفنيين وكذلك بعدد ضخم من ضباط الصف

ويمكن تلخيص عدد القوات العسكرية الفرنسية في البيان الآتى

المشاة وتتألف من ١٣٨ آلايا و ٣٨ أورطة مستقلة

الدبابات وتتألف من ١٢ آلايا و ٥ أورط مستقلة و ٤ بلوكات مستقلة وصف

الخيالة وتشمل على ٦٥ آلايا و ٨ مجموعات مستقلة و ٥ أورط مستقلة و ١٢ بلوكا

والمدفعية وتشمل على ٧٩ آلايا و ٥ مجموعات مستقلة و ١١ أورطة مستقلة وتسعة بلوكات

وبطاريات أما المهندسون فيكونون ١٢ آلايا وأربع أورط مستقلة

وقوة الطيران الفرنسية من أقوى قوات الدفاع الجوية في أوربا إن لم تكن الدولة الثانية بعد روسيا فعدد الطائرات العسكرية البرية والبحرية في فرنسا ومستعمراتها لا يقل عن ٥٤ طائرة قتال وتدرس من عدة طرازات وتبلغ قوتها أربعين الف جندي وضابط وهذه القوة العددية لا تشملها الزيادة الجديدة التي قررتها وزارة الطيران الفرنسية منذ شهرين بمعدل خمسين في المائة وبذلك تصل عدد الطائرات الحربية الى نحو عشرة آلاف طائرة وتحتاج هذه الزيادة إلى الف ضابط جديد ولقد أقر مجلس الوزراء الفرنسي تلك الزيادة وصدق على الاعتماد اللازم لها ومقداره خمسون مليونا من الجنيهات

## روسيا

وهذه حليفتها روسيا نشرت فيها حركة التجنيد والتدريب العسكري من بحر البلطيق الى المحيط الهادي بنشاط مدهش ونظام دقيق ومنذ أسبوعين سمح ستالين للجنرال كليمنت فوروشيلوف قائد الجيش الأحمر باستخدام كل ما يلزم من الوسائل لانشاء أعظم آلة حربية عرفها التاريخ الى اليوم وصرح الاميرال « أورلوف » في بيان له انه في خلال ثلاث سنوات سيكون لها ٧١٥ غواصة و ٣ سفينة حربية و ١٧٥ سفينة حربية للسواحل و ٥١٠ طائرات للاسطول ومائة بطارية ضد الطائرات ومائة قاعدة بحرية وقد زادت ميزانية أعمال الدفاع الى ١٤٫٨١٥ مليون روبل ذهب

فترى ان روسيا تستعد استعداداً مدهشاً للحرب المقبلة ويسيطر النفوذ العسكري على جميع المصانع والمعاهد الاقتصادية والمعامل الفنية بحيث تجعلها خاضعة لمصلحة البلاد الحربية في اي وقت وقد نقل أخيراً مراسل جريدة « الديلي اكسبرس » في وارسوفيا مشروعاً حربيًّا واسع النطاق لأعداد الجيش البري والبحري والجوي في روسيا بغية ان تصبح أعظم آلة حربية كما قلنا وقد ذكر المراسل ان أساس المشروع خمسة أمور جوهرية

اولاً بناء سلسلة من الحصون طولها الف ميل على محاذاة حدود روسيا البولشفية من الشرق والغرب على مثال خط ماجينو الفرنسي

ثانياً مضاعفة عدد قوة الجيش الحاضرة في سنتين حتى تصير ثلاثة ملايين رجل

ثالثاً زيادة سلاح الجو حتى تصير ثلاثة اضعاف ما هو عليه الآن

رابعاً انشاء ادارة حربية جديدة تحت اشراف فورشلوف قومسير اعمال الدفاع

خامساً نقل مصانع السلاح والذخيرة من اماكن تستهدف فيها الآن لغارات الاعداء الى مقاطعات في داخلية البلاد

ويجب ان لا ننسى ان روسيا تستطيع تعبئة ١٧ مليون جندي في وقت الحرب

ان الجندية في روسيا البولشفية شرف عظيم لا يناله الا الحائزون على قسط من التعليم والذين يبرهنون على صدق وطنيتهم واخلاصهم للنظام السوفيتي وينص دستور الشعب على ان العمال والفلاحين فقط هم الذين لهم الحق في الدفاع عن اتحاد السوفيت بحمل السلاح اما ابناء الملاك السابقين وشبان الطبقات الثرية من الفلاحين فيعفون من الخدمة العسكرية الاجبارية لان الخدمة العسكرية والدفاع عن اتحاد السوفيت شرف لا يناله ولا يسمو اليه هؤلاء ولكن اذا نشبت الحرب دعي هؤلاء اي ابناء الملاك والفلاحين الاغنياء الى الصفوف للقيام بالاعمال الثانوية وراء ميادين القتال والجيش الاحمر ليس سلاح دفاع فقط بل ان التدريب العسكري الذي يناله رجالهُ ليس هو الناحية الرئيسية فيه مع ما لها من الشأن ذلك لان الجيش اصبح في نظرهم مدرسة واسعة النطاق تمكنهم من غرس المبادىء الشيوعية في اعماق النفوس وتربية الجيش الاحمر ترتكز على ثلاث نواح هي

١ — الناحية الحربية بتدريب الجنود على القواعد العسكرية وفهمها وتنفيذها

٢ — الناحية الثقافية بتعليم الاميين قواعد الكتابة والقراءة وتوسيع معارف المتعلمين منهم

٣ — الناحية السياسية بتعليمهم أساليب الحزب الشيوعي وقواعد خططه السياسية والاجتماعية ليكونوا عند عودتهم دعاة لها في المزارع والمصانع والقرى

وروسيا اكبر دول العالم مساحة فهي تبلغ ٢١٫١٧٦ كيلو متر مربع وعدد سكانها لا يقل عن ١٧ مليون نسمة وتحادي حدودها حدود دول البلطيق وبولنده ورومانيا وتركيا وايران وأفغانستان والصين ومنشوكو ويبلغ عدد الجيش البولشفي ١٫٣٠ جندي بخلاف القوات الاقليمية ويشرف على الاعداد العسكري في الجمهورية قوميسيرية الدفاع عن الشعب وتتألف من اثنى عشر مصلحة وادارة حربية أهمها هيئة اركان الحرب العامة والقوات الروسية موزعة على احدى عشر منطقة عسكرية

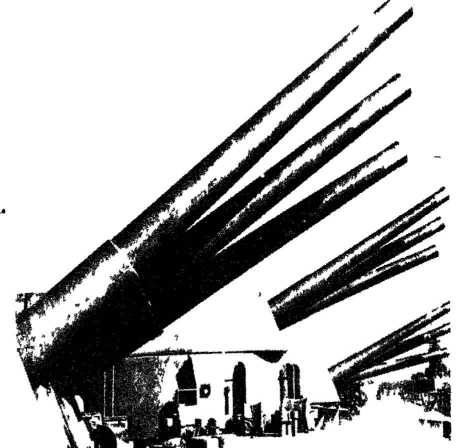
وتشتمل كل منطقة عسكرية من المناطق المذكورة على العناصر الرئيسية الآتية

هيئة اركان الحرب للمنطقة — الادارة السياسية — قيادة القوات الجوية — ضباط قيادة الاسلحة المختلفة — قائد خدمة المهمات — قيادة القسم الطبي — قيادة الطب البيطري

وأهم المدارس العسكرية في روسيا هي



جندي يقيس المسافة بآلة
دقيقة قبل اطلاق المدفع



مدافع مشرعة من
احدى البوارج

١٥ مدرسة للمشاة مدة الدراسة فيها ثلاثة اعوام ونصف
٤ مدارس للخيالة ومدة الدراسه فيها كالمشاة
٤ مدارس للمدفعيه ومدة الدراسه فيها اربع سنوات ونصف
مدرستان للمهندسين ومدرستان للاشارة ومدرسة الاسلحه الفنيه والمواصلات والطوبوغرافيا العسكرية وفرقه الوحدات المدرعه ومدةالدراسه في جميع هذه المدارس اربع سنوات ونصف سنه وهناك ايضاً ١٣ اكاديمةعسكرية للضباط العظام عددطلبها ١٦٠٠٠ طالب ومدة الدراسه فيها خمسة اعوام وتشتمل بعض الجامعات على كليات للدراسه الحربية كالحقوق والآداب وعدد هذه الكليات كان ست كليات في عام ١٩٣٦

وبجانب المدارس الخاصه بالجيش مؤسسات أخرى تشرف عليها قوميسيريه الحرب وتقوم بالتدريب العسكري الاجباري للذكور والاناث وتعرف هذه المؤسسه باسم ( ) رؤساؤها من الضباط العظام في الجيش الاحمر وهذه المؤسسة تقوم بالآتى

١ — ترقيه المعارف العسكريه بين طبقات العمال الذين أتموا الخدمه العسكرية في الجيش العامل ووحدات المقاطعات

٢ — التدريب العسكري والسياسي للشبان الذين يرغبون فيالانتظام في الجيش قبل حلول ميعاد خدمتهم العسكريه والشبان الصالحين للخدمه العسكريه الذي لم يجندوا لسبب من الأسباب

٣ — تحسين المعارف العسكرية لتلاميذ المدرسه الحربية

٤ — التدريب العسكري الابتدائي والتمرين الرياضي في المدارس حيث التعليم العسكري غيراجباري

٥ — تعليم الفتيات العاملات المبادىء العسكريه والاعمال الحربية في مؤخرة وحدات الجيش وفى المقدمه

٦ — تدريب قوات الاحتياط السنوي

ولما كانت الحروب الغازيه ذات شأن عظيم فقد عهد الى مدرسة الكيمياء العليا في موسكو في تدريس الكيماويين الحربيين من الوجهة الفنيه وقسمت البلاد الى قيادات عسكرية للغارات . وقد كان تدريب الجيش الاحمر في استعمال الأسلحه الغازية والوقاية منها يتم في مدارس حربيه خاصه فتغير هذا النظام أخيراً ، استبدل تدريب الجنود في ميادين خاصة على تمرينات عمليه موافقة لمعامله الجنود والنقطه الجوهريه في الأمر هي ان التمرينات تتم بواسطة غازات سامة حقيقيه كاطلاق غاز الكلوريد وغاز أدمسيت الأميركي وتسميم بقاع شاسعة « بغازالخردل »

أما العناية بالدفاع ضد الغارات فقد وضع في أعلى مكان من الاستعداد الحربي ولم يقتصر هذا

الدفاع على الدوائر الحربية بل مدّاً الى السكان فوزعت عليهم جهازات واقية من شر الهجمات الغازية وقد قال فورشيلوف « لقد توصل علماؤنا الى ايجاد قناع واقٍ من الغازات بلغ حد الكمال وتقرير استعماله في الجيش وسيحتاج الى عدد هائل من هذه الاقنعة اذ ليس علينا ان نمدّ بها كل جندي فقط بل وكل عامل وكل فرد من السكان في المناطق الواقعة وراء خط القتال »

ولقد أدخل الروس أسلوباً جديداً في القتال شاهده الملحقون العسكريون للدول اثناء مناورات فريق من الجيش البولشفيكي في اوكرانيا منذ شهرين تقريباً وهو انزال الجنود بأسلحتهم الكاملة بواسطة المظلات الواقية وقد تمكنوا بهذه الوسيلة من إنزال جنود أورطة كاملة بعتادهم وراء خطوط المدافعين وليس من شك في أن إدخال هذا النوع من أساليب القتال سيكون لهُ أثر واضح في الحروب المقبلة التي ستشاهدها القارة الاوربية

والطيران الروسي في طليعة القوات الجوية التي يعمل لها حساب كبير فروسيا تملك خمسة آلاف طائرة وعدد رجالها لا يقل عن خمسين الفاً خلا قوات الجو الاحتياطية

## بريطانيا العظمى

قد تكون انكلترا بين الدول الاوربية القليلة التي ما زالت الى اليوم تتبع التجنيد الاختياري في خدمة الجيش والبحرية والطيران ولذلك تعاني الجيش الانكليزي اليوم مشكلة تنفرد بها بين قوات الدفاع الاوربية وهي مشكلة التجنيد وقد اهتمَّ القوم بحث هذه المسألة بحثاً جدياً بين جدران وزارة الحربية وعلى صفحات الجرائد واقترحت حلول كثيرة كان منها زيادة المرتبات للجنود وتعديل الزي العسكري وتحسين الحالة في الثكنات وتعليم الجنود بعض الحرف اثناء الخدمة العسكرية ووعدهم بتشغيلهم في صناعاتهم بعد انتهاء خدمتهم العاملة

ان مدة الخدمة العسكرية في الجيش البريطاني اثنا عشرة سنة منها مدة تراوح بين الثلاثة والسبعة أعوام في الخدمة الفعلية بحسب نوع السلاح (مشاة او خيالة او مدفعية) وقد بلغ الجيش الانكليزي هذا العام العدد الآتي

١٤٧٬٠٣ من هؤلاءِ ١٤٤٬٣٨٣ جنود بريطانيون و٢٦٤٧ جنود المستعمرات والوطنيين وكان في الهند ٥٧٬٥٢٤ وعلى هذا الاعتبار فان عدد الجيش الانكليزي البريطاني هو

٤٬٥٥٤ ٢ ضابطاً وجندياً وهو يشمل على خمس فرق ولواء مشاة ولواء دبابات ولوائين خيالة وجيش التريتوريال (القوات الاقليمية) وهي اشبه بقوات المليشيا ويتلقى أفراده التدريب العسكري لمدد محدودة في السنة في معسكرات خاصة وعدده ١٨٤٬٢٦٥ وهو يشتمل على ١٤ فرقة مشاة ولوائين خيالة وجيش الاحتياط ويتألف من الجنود الذين انتهت مدة خدمتهم العملية

ويستدعون لحمل السلاح عند الحاجة وعددهم ٠ ١٢١٦٢
وجيش الاحتياط الملحق او المكمّل (Supplementary) وعدده ٢٥٦٢٩٧
وفي البيان التالي مجمل قوات الجيش الانكليزي

| | | | |
|---|---|---|---|
| الجيش الانكليزي النظامي | ١٤٤٦٣٨٣ | القوات الأقليمية | ١٨٤٦٢٦٥ |
| قوات الوطنيين في المستعمرات | ٢٦٦٤٧ | جيش الهند | ٥٧٦٥٢٤ |
| الاحتياط | ١٢١٦٢ | هيئة اركان الحرب | ٩٦٥ |
| الاحتياط الملحق | ٢٥٦٢٩٨ | المجموع | ٥٣٧٦٣٩٢ |
| المليشيا | ١٦١٠ | | |

وكان عدده في العام الماضي ٥١٨٦١٧٤ أي ان الجيش الانكليزي زاد خلال العام ٦ ٢ نفراً وقد زادت الاعتمادات الخاصة بالجيش الانكليزي خلال عام ١٩٣٦ مبلغ ٤٦١٧٦٦ جنيه وهذا المبلغ لا يشمل على ر١،٥٥٠ جنيه اقتضتها طوارىء النزاع الايطالي الحبشي فيكون مجموع الاعتمادات لميزانيه الجيش الانكليزي قد وصلت اثناء العام المذكور الى ر٤٩،٢٨١ مقابل ٠ ر٤٣،٥٥٠ جنيه في العام السابق

وخلال العامين ١٩٣٧و١٩٣٨ ستتحول معظم وحدات الجيش الانكليزي الى قوات ميكانيكية وقد تمت منشآت قضت بها ضرورة الدفاع عن الامبراطورية في مصر والصين ومالطه وقبرص علاوة على ما سيتم خلال الأعوام بعد عقد المعاهدة المصرية الانكليزية وقد اعتمد مبلغ نصف مليون جنيه للاعمال التمهيديه في قاعدة سنغافورة التي ينتظر ان تكون أهم القواعد البحرية في الامبراطورية البريطانية وستزداد حاميتها ايضاً كما ستزداد في الصين و سيلان والسودان وفلسطين ومالطه وأعمال الدفاع في الجزر البريطانية في نشاط عجيب وأهمها في وولش وشستر وتم انشاء ثكنات جديدة في بيرهام وادنبرة ووارمنستر وأعمال الدفاع الجوي في ليشفيلد ووارلي

ويشرف على جميع أعمـال الدفاع في الامبراطورية البريطانيه مجلس دائم للـدفاع الامبراطوري وهو ذو صبغه استشاريه محضه ويرأس جلساته رئيس مجلس الوزراء ومن يدعوهم من الوزراء والمستشارين الاخصائيين في المسائل التي سيجري البحث فيها وأهم الذين يدعون لهذا المجلس رئيس مجلس النواب ووزراء الماليه والخارجية والمستعمرات وحكومات التاج والهند وأميرال البحرية ووزير الحربيه والطيران ورئيس هيئة اركان حرب البحرية ورئيس هيئه اركان حرب الجيش والطيران والسكرتير الدائم لوزارة الخارجية

كما ان هناك ايضاً مجلساً للجيش يرأس أعماله وزير الحربية

والجيش الانكليزي موزع في انحاء بريطانيا وشمال ارلنده ويبلغ عدد المناطق العسكرية فيها

ستًّا والمستعمرات البريطانيه والدول المشموله بالاسداب الانكليزي ومصر وفي البيان التالي توزيع القوات الانكليزية في العالم —

| | | | |
|---|---|---|---|
| جبل طارق | ٢٦٦٦٩ | عدن | ٢١٦ |
| مالطة | ٣٦٤٧٩ | جزر مورشوس | ١١٩ |
| برموده | ٤ ٩ | سيلان | ٣٦٩ |
| جمايكا | ٦٦٩ | الملايا | ٤٦٣٨٦ |
| قبرص | ١٩٣ | الصين | ٧٦٦٢٤ |
| فلسطين | ١٦٩٧ | الهند | ٥٧٦٥٢٤ |
| مصر | ٩٦٥٩٦ | الجزر البريطانية | ١١٣٦٤٦٦ |
| السودان | ١٦٨٦٥ | المجموع | ٢ ٤٦ ٥٤ |

اما التعليم العسكري في بريطانيا العظمى فمقصور على المعاهد الآتية

١ - اكاديمية ساندهرست الملكية لتخريج ضباط المشاة والخيالة و... تعليم ... ان

٢ اكاديمية وولويش الملكية لتخريج ضباط المدفعية والمهندسين

٣ كلية اركان الحرب في كمبرلي ... في كويتا ... الدراسة ... وعدد طلبها لا يتجاوز المائتين والغرض منها تعليم الضباط الذين لهم الدراسات العالية في علوم العسكرية

٤ - مدرسة الضباط العظام ومقرها الوقتي في «شيرنس» لتعليم ... ومدتها ثلاثة أشهر وتعقد فرق الدراسة ثلاث مرات سنويًّا وتشمل برامجها الدروس ... العالي ... الكبيرة والتعليم النظري والعملي الخاص بقيادة القوات من جميع الأسلحة

اما قوة الطيران الملكيه فتشتمل على الاعمال الآن على ٢٫٥ طائرة ... من ... الانواع قاذفات القنابل والمحاربة والتمرين ... والقوات الجوية الانكليزيه موزعه ... والسواحل البريطانيه والشرق الادنى (شرق الاردن وفلسطين) والعراق ... البحر الابيض المتوسط ومصر والشرق الاقصى ويبلغ عدد رجال القوا ... ٣٠ ...

ويجري العمل الآن بسرعة عجيبة في سبيل تعزيز السلاح الجوي ... طائراته وعدد رجاله وانشاء احتياطي كبير من الضباط والجنود للاستعانة بهم وقت ال...

اما دولة ايرلندة الحرَّة فيزيد عدد سكانها على ثلاثة ملايين قليلاً ومساحتها ٦٩ الف كيلو متر مربَّع وجيشها من احدث الجيوش الاوربية يبلغ عدده اليوم ١١٫٤٥٣ ضابطاً وجنديًّا وللجيش كلياتهُ ومدارسهُ العسكريه ، ولكن قوة الطيران فيه صغيرة لا تزيد على ١٨ طائرة قوتها ٥٤١ حصانًا منها اربعة فقط صالحة للاعمال الحربية ا كولونل L





## العلامة فرويد

### في الثمانين من عمره الحافل

كما نقول ان لا كرامة لنبيٍ في وطنه ولكن امداد الحياة البشرية متصل بتقدم العلوم وبطبعها فسح المجال امام رواد الأفكار الى زيادة في حياتهم نوجهٍ عام تمهد لهم السبل لاعتراف الناس فضلهم بل ان الشيخوخة في ميادين الفلسفة والعلم تقترن عادةً سلطة محببة مع ان الفيلسوف او العالم يكون في الغالب قد تخطى السن التي يستطيع فيها ان يضيف شيئاً جديداً الى كنوز المعرفة

الا ان فرويد وقد بلغ الثمانين يشذ عن عن ذلك ان السنين لم تنل ما في بحثه من جدة ولا مالا باسمه من سلطان ان ذكره لا يزال يثير عواصف من النقد والاعجاب في آن والناس ما برحوا منذ ظهرت نظرياته يوالون فيه ويعادون وليس تعليل ذلك بعيد المنال فالطريق المفروش الممهّد للباحث في العلوم الطبيعية والكيميائية محرم بعض التحريم على رواد العلوم النفسية والاجتماعية لان الاولين تفضي مكتشفاتهم ومخترعاتهم الى رفع مستوى الحياة ورخائها حالة ان الآخرين لا يستطيعون ان يضيفوا الى ارتقاء الانسان شيئاً يلمس ويظهر ويسمع كالنظارة والمصباح الكهربائي ووسائل المخاطبات الكهربائية وليس ثمة شيء يخشاه الناس ويتحصنون به كالبحث الصريح في شؤون الحس والضمير فالناس يفقهون من هذه المباحث وكان معتقداتهم الخاصة بهذين الموضوعين اركان ينهض عليها صرح الحضارة، فاذا بدلت او تحولت انهار ذلك الصرح على رؤوسهم بل لقد يسري اليهم شيء من الريب اذا علموا ان اساتذة الطب و النفس اكبوا على دراسة فرويد وكتاباته ولا يبعدان يستنكروا كل سعي من شأنه ان يفضي الى تأثر النظام الخلقي والعلمي بتعاليمه

كان خصوم فرويد اسرع من اصدقائه الى ادراك ان سر مكانته العالمية في سطوِ تعاليمه الخاصة بالاصلاح الاجتماعي والادبي ان الكشف عن حقائق الطبيعة نتيجة العقول الحرة المدربة على البحث الساعية الى زيادة

سلطة الانسان على الطبعة وعلى النفس ولذلك لا نستطيع العلم ان يقف بمعزل عن المشكلات الاجتماعية والنفسية العامة بل ان علم كل عالم ينطوي على تبعة تحمل صاحبه على السعي الى استخدام علمه في سبيل الحرية والعقل اللذين لا تقدم للعلم من دونهما وقد كان هم فرويد واتباعه ان يستعملوا مكتشفاتهم في سبيل تحرير الانسان من الاستعباد للكبت والتقاليد والمحرمات فنظريته النفسية تنطوي على آراء تهدم النزعات التي تقوم عليها النظم الفاشستية كالخضوع لزعيم واحد هو بمثابة شيخ القبيلة في العصور البدائية اذ كان كاهناً ومشرعاً وقائداً في آن لذلك خطر في المانيا على اي كان ان يكون من اتباع فرويد

الا ان كل هذا لم يحل بين فرويد وحياة هادئة مطمئنة فمن اقوال الفرنسيين التي صارت مثلاً ان الامة السعيدة لا تاريخ لها ولكن هذا القول اصدق اليوم على العالم المبدع منه على الامم ولد فرويد سنة ١٨٥٦ في ما يعرف الآن بتشكوسلوفاكيا من والدين يهوديين ودرس الطب والفسيولوجية في فينا حيث انشأ عيادة خاصة بالطب النفسي Psychiatry في سنة ١٨٨٦ بعد سنة قضاها في باريس تلميذاً لشاركو واشترك مع جوزف برويرا Breuer في وضع اساليبه الخاص بمعالجة الحالات العصبية حوالي سنة ١٨٩٣ وشرع بعدها في نشر سلسلة من الكتب والرسائل تحتوي على بحوث في العلاج وقواعد لنظرية سيكولوجية جديدة فلما نشر كتابه (تفسير الاحلام) سنة ١٩٠٠ طار صيته كل مطار واصبح مقدم علماء النفس على بر اوربا وبعد نشر كتابه «وراء مبدأ اللذة» سنة ١٩٢٢ اتجه فكره الى النواحي البيولوجية والفلسفية التي تقتضيها نظريته

***

ليس في جلده ما يستوقف النظر فهو يرغب عن الجدال مع انه اشترك في وقت ما في جدال سكولوجي عنيف مع العلامتين يونغ وادلر ولكنه الآن وقد ناهز الثمانين يجتنب كل هذا لقد انقضى الزمن الذي كان تلاميذه ومريدوه يعتبرونه معصوماً عن الخطأ وكل ما يرجوه نحوه الآن ان لا يشهد وهو على قيد الحياة حرباً كبيرة في ميدان عام !

ان جانباً كبيراً من علم السيكولوجيا الحديث يرجع الى تعاليمه الخاصة بالباعث الجنسي وتأثيره في الحياة والامراض العصبية وشفائها بالتحليل النفسي وقد تسربت تعاليمه الى الادب فأصبح غير قليل من القصص التي كتبت وتنشر الآن قائماً على قواعد التحليل النفسي وصلته بالحالات العقلية والجسدية والاعمال العامة بالباعث الجنسي وكثيره بل ان طائفة من كتب السير الحديثة قامت على هذا المبدأ ونخص بالذكر منها كتاب «ماري انطوانت» الذي كتبه الكاتب الالماني المبدع ستيفان زويج

## هل يستطيع العلم ان ينقذ الحضارة

رأي السر رتشرد عريغوري

اذا درس عالم من علماء الحشرات وكر نمل ووصف طائفة دعي بحثه علماً ولكن اذا درس باحث آخر المجتمع الانساني درساً قائماً على النقد وبأسلوب البحث العلمي انكر عليه ان بحثه هذا علم

ان علماء الطبيعة والكيمياء طالما ترددوا في التسليم بأن الاقتصاد والسياسة نظراً وعملا والتاريخ والاجتماع من العلم الا ان الصوت أخذ يرتفع من دوائر العلم بأن على العلماء الذين مكَّنوا الانسان من السيطرة على قوى الطبيعة يجب ان يوجهوه الى استعمال هذه القوى استعمالاً يتفق مع سلامة المجتمع وارتقائه

وقد كتب السر رتشرد غريغوري محرر مجلة نايتشر مقالاً قال فيه ان الواجب يقضي على رجال العلم بأن يبذل كل ما في وسعه لاستعمال القوى التي يمكن منها الناس، استعمالاً نافعاً والا فان العالم مصيره حتماً الى كومة من الرماد

ان تأثير العلم في المجتمع بلغ مرتبة تصح عندها ان نقول ان البحث في البيولوجيا الاجتماعية أهم كثيراً من البحث في موضوعات العلوم الطبيعية المحضة كتركيب الذرّة وغيره

ومن بواعث السخرية في الحضارة الحديثة ان تأثر المجتمع بوسائل الانتاج الكثير لم يكن زيادة الرخاء والرفاهة بل زيادة الفاقة والشقاء والانحطاط بعض اساليب العلم والاختراع الى دركات القتل والتدمير

ولما كان العلم قد وسع من سيطرة الانسان على قوى الطبيعة فعليه ان يتحمل التبعة الناشئة عن ذلك ولكن المهم ان الاسلوب العلمي الذي استعمل في كشف اسرار الطبيعة والسيطرة على قواها يجب ان يستعمل في دراسة المجتمع والسعي الى حل مشكلاته

ان نظام التوزيع الاقتصادي لا يزال قائماً على قواعد ترتد الى ما قبل العصر العلمي ولا تصلح لهذا العصر الذي اصبحت آيتهُ الكثرة في الانتاج لا القلة

ان في مكنة العلم ان يجهز الامة بكل ما تحتاج اليه وفقاً لزيادة عدد الناس ولارتفاع مستوى معيشتهم ولكن استعمال هذه القوى على خير وجه ليس امراً مقرراً ولا نعرف بداهةً بل يجب ان يكون نتيجة البحث والمعرفة والروح التي يقتضيها الاسلوب العلمي

## أحدث انواع الفيتامين

يدعى « سترين » وفوائده

اذا خلا الطعام من فيتامين ( C ) أصيب آكل ذلك الطعام بمرض يدعى الاسكربوط

وكانت السفن في قديم الزمان تنقل في محاربها زجاجات تحتوي على عصير الليمون لان أياماً

وأسابيع كانت سعصي فلما يرل التحارة الى مرفأ يأحدون منهُ طعاماً يحتوي على هدا الفيتامين فيعوصهم العصير مما يحتاحون ، هم لا يدرون ما هو تماماً

والظاهر ان ثمار جميع اشجار الموالح تحتوي على هذا الفيتامين ولكن الفلفل الاحمر المشهور في المجر باسم باريكا اغنى النباتات بهِ ولذلك عمد اليهِ الاستاذ سانت حورحي احد اساتذة جامعة سغيد بالمجر فاستخرج منهُ فيتامين ا [illegible] صافياً

من اعراض الاسكربوط نزف الدم في اللثة والبشرة وفي بعض الاحوال لا يقف النزف ولو استعمل حامض حاص بذلك او لو استعمل فيتامين ا [illegible] نفسه ولكن استعمال عصير الليمون او عصير الباريكا لا يحدث في منع النزف فقرر الاستاذ سانت حورحي انهُ لا بد من وجود شيء آخر في الليمون والباريكا غير فيتامين ا [illegible] وعلى ذلك بدأ بحثهُ بمعاونة ارا [illegible] من الباحثين فأفضى البحث الى اكتشاف فيتامين جديد وسم بحرف P الفرنجي

استخرج الاستاذ سانت حورحي من مقدار من الليمون يزن ٢ كيلو غرام ما وزنه غرامان من المركب الجديد ولكنهُ خال من اي اثر من فيتامين ( ) ودعاهُ باسم « سترين »

وميل البشرة الى النزف مما يمكن قياسه بتصحيح مربع اي « شفط » وبالاختبار ثبت ان فيتامين ( ) لا يؤثر في الاوعية الشعرية من حيث مقاومتها للنزف ولكن الفيتامين الجديد ( اي سترين ) يزيد مقاومتها ولذلك لا ينحصر استعماله في الاسكربوط بل في حالة تصاب بها البشرة ببقع حمر ناشئة من ضعف الاوعية الشعرية التي يجري فيها الدم حيث تظهر هذه البقع فيحقن صاحبها بمحلول مقدارها من ٢ مليغراماً الى ٤ مليغرامات من السترين فتزول البقع

## جائزة نوبل الكيميائية

### الاستاذ دبي وبحث المحلولات

منحت جائزة نوبل الكيميائية في سنة ١٩٣٦ للاستاذ [illegible] مدير معهد القيصر فلهلم لعلم الطبيعة ببرلين واستاذ الطبيعة في جامعة لندن شين وهو صاحب نظر مشهور في علمي الكيمياء والطبيعة يعرف باسمهِ واسم مريكة فيها العا [illegible] هكل [illegible] وبها يمكن الكيميائيون من قياس قدرة الاتصال الكهربائي في محلول موصل للكهربائية قياساً دقيقاً وبتطبيقها ظهر ان تركيب الماء الحرئي اقرب الى تركيب البلور منهُ الى تركيب البخار

ولهُ علاوة على ذلك مباحث دقيقة جداً في العوازل insulator الكهربائية قائمة على

وكرة طريقه في توزيع الشحنه الكهربائية في جزيء متعادل

فمعظم الجزيئات تحوي على قدر متعادل من الكهربائيه الموجبه والكهربائية السالبة ولكن توزيعها في الجزيء ليس متعادلاً بل تميل الى التجمع على رأيه ، في طرفي الجزيء فتغلب السالبة في احدهما والموجبه في الآخر فاذا عرّض سائل فيه جزيئات من هذا القبيل لفعل حقل كهربائي اتجهت الجزيئات الى جهة الطاقه الكهربائيه التي تؤثر فيها ،وهذا تغيّر من خواص ذلك السائل الكهربائيه فالمهندسون من ناحيتهم يهمهم ما يصيب هذه الخواص الكهربائيه من التغيّر وكيف يتم وما بواعثهُ وعلماء الطبيعة المحضة يهمهم كل ما يتعلّق بتركيب الجزيء الأساسي

ومن مباحثه الاساسية ، طريقه ادق من طريقة اينشتين في معرفة قدرة الجوامد على امتصاص الحرارة فالمادة الجامدة الواحدة تختلف قدرتها على امتصاص الحرارة باختلاف حرارتها فاذا كانت باردة جدًّا ، اي اذا كانت حرارتها تقع مئات من الدرجات تحت الصفر ، قلّت قدرتها على امتصاص الحرارة حتى تكاد تكون معدومه وطريقة ديي تمكن الباحثين من قياس هذه القدرة ، وهي علاوة على فائدتها العلمية المحضة لها فائدة صناعية ، لم تكن مقصودة بالذات اولاً

## زلال البيض لوقف النزف

الهموفيليا اسم مرض وراثي، اهم اعراضهِ الميل الى النزف عند ما يصاب صاحبهُ بجرح خارجي او داخلي ، فلا يستطاع وقف النزف ثم يفضي الى الموت وقد قرأنا في التيمس والمورنغ بوست ان طريقة جديدة لوقف النزف في المصابين بالهموفيليا قد اكتشفت قوامها استعمال زلال البيض على ما روت جريدة اللانست الطبية

كان احد الباحثين في شفيلد معنيًا بالبحث في موضوع لا صلة لهُ بالنزف ولا بالهموفيليا فوجد انهُ اذا اخذ زلال البيض وخلطهُ ببرومور البوتاسيوم ووضعهُ في مستنبت خاص على درجة ٣٧ مئويه مدة ثلاثة ايام ، اصبح في المستطاع استخلاص مادة من هذا الخليط ، اذا اضيفت الى الدم في انبوب من انابيب التجارب خثّرتهُ على طريقه معيّنة

فوجب بعد ذلك تجربة هذه المادة بالناس ، وتطوّع لذلك طائفة منهم ، فجربت التجارب بهم ، فأسفرت عن ان حقن هذه المادة تجعل تخثر دمهم أسرع مما هو عادة ، وعلاوة على ذلك ثبت ان الحقن بها لا يؤثر أي تأثير ضار

وكانت الخطوة التاليه ، امتحان هذه المادة في المصابين بالهموفيليا ، فظهر ان المدة التي تقضي قبل التخثر تقصر بعد الحقن بهذه المادة ولكن من المشهور عند الاطباء ان المدة التي تقضي قبل التخثر في المصابين بالهيموفيليا

كثيرة النفاب والاحتلاف فعمد الباحثون الى تجارب ادق ومنها تجربة باحد المصابين اذ قلع ضرسه اذ المعروف ان قلع الاضراس في المصابين بالهيموفيليا عمل محفوف بالخطر لئلاَّ يفضي النزف الى الموت فحقن بعضهم بهذه المادة ثم قلع ضرسه فثبت ان قلع اضراس هؤلاء بعد حقنهم بها يحميهم من خطر محتم وموت محتمل

## التغلب على ميكروب الستربتوكوكس

ميكروب الستربتوكوكس يدخل جسم الانسان من انفه وحلقه ويقيم فيه عند ما يأنس ضعفاً في مقاومته فيحدث التهاب الحلق او «الحمى الحمراء» او الحمى القرمزية او حمى النفاس وغيرها من الامراض المميتة

وقد قرأنا الآن في رسالة العلم الاسبوعية ان عالمين اميركيين من علماء جامعة جونز هبكنز استعملا مادة كيماوية في مكافحة هذا الميكروب فأصابت نجاحاً باهراً في ١٧ حادثة من ١٩ حادثة جرباها فيها علاوة على تجارب متعددة في الفئران

وهذه المادة توجد في شكلين اولهما محلول احمر قاني يستعمل حقناً تحت الجلد ويعرف باسم برونتوزيل (Prontosil) والآخر قرص من مسحوق ابيض لا طعم له يشبه قرص الاسبرين ويؤخذ عن طريق الفم ويدعى برونتيلين Prontylin اي انهما ليسا مادة واحدة ولكنهما مادتان متقاربتان جداً من ناحية التركيب الكيماوي وتصنعان في شركة الاصباغ الالمانية

ان المادتين لا تفتكان بميكروبات الستربتوكوكس ولكنهما تضعفان الميكروبات فتصبح لقمة سائغة لكريات الدم البيض فتتغلب عليها لذلك قال احد مكتشفي هذا العلاج ان استعمال هذه المادة لا يفيد في المصابين الذين اشفوا لان مقدرتهم على مقاومة الميكروبات حتى بعد إضعافها لا تكون كافية للتغلب عليها

*

## الدرق وعنصر البورن

اكتشف في سنة ١٩٣٢ مرض يصيب البقر فيضعف ويهزل وحار الباحثون في سببه الى ان وفقوا اخيراً الى اكتشاف سببه وهو نقص عنصر البورن Boron من التربة التي يزرع فيها فهو من هذا القبيل كمرض الجحوظ (اي الغواتر عند ما تجحظ العينان وتتضخم الرقبة) الذي يرجع نقص سببه الى نقص عنصر اليود وقد لوحظ ان المناطق التي يكثر فيها هذا المرض في سويسرا يقل في تربتها وهوائها عنصر اليود هذا وان الذين يعيشون على شواطئ البحار قلما يصابون به لان في ماء البحر وهوائه اثراً من هذا العنصر الحيوي

## السمك والفلور في الماء

عنصر الفلور قريب من عنصر الكلور المستعمل في تعقيم الماء في المدن بعد تصفيته من الشوائب وهو يستعمل في شركة مياه القاهرة لهذا الغرض ايضاً

وقد يتسرب عنصر الفلور الى الماء فاذا شرب الاطفال ماء فيه قليل من عنصر الفلور اصيبت اسنانهم ببقع غريبة واذاً فلا بد من امتحان الماء حتى يثبت ان ليس فيه اي اثر من آثار الفلور

وقد وجد الدكتور « هب » احد علماء معهد كاليفورنيا التكنولوجي ان السمك الذي يعيش في ماء فيه عنصر الفلور تصاب اسنانه ببقع شبيهة بالبقع التي تصاب بها اسنان الاطفال فاذا استطاع ان يربط بين مقدار الفلور الذي في الماء والبقع التي تصيب اسنان السمك فقد يستطاع بعد ذلك الاعتماد على السمك في كشف الفلور بدلاً من الاعتماد على الامتحان الكيمياوي المعقد

*

## جدار خلايا النبات وشعوره

يوجد من تجارب اجراها الدكتور لوميس Loomis في احد المعاهد الاميركية العلمية بمدينة سانت لويس ان جدار خلية البصل يفقد عند انتقاله من الحياة الى الموت مقدرته على عكس الاشعة التي فوق البنفسجي فالخلايا الحية في صورة مصورة بهذه الاشعة تكون سوداً واما الخلايا الميتة فتكون بيضاً

فدرجة الشفوف لهذه الاشعة في الخلايا يستعمل الآن مقياساً او قاعدة لتشخيص الموت فيها وعليه يعتمد هذا الباحث في ناحية من دراسة تركيب المادة الحية من الناحية الطبيعية الكيمياوية

*

## الدروع المثقبة

أثبت احد المخترعين الاميركيين ان الالواح الفولاذية التي تصنع منها دروع الدبابات والبوارج والطائرات تكون امنع على رصاص البنادق اذا جعلت مثقبة . وقد جرب تجاربه في فلادلفيا امام خبراء الحربية والبحرية فأطلق الرصاص من مسافة خمسين ذراعاً على لوح من مادة معينة وسمك معين فاخترق الرصاص اللوح ثم اخذ لوحاً مثقباً من المادة نفسها وكان سمكه اقل قليلاً من اللوح المبسوط وأطلق عليه الرصاص من المسافة نفسها فلم يخترقه بل انحرف عن سطوح الثقوب وهذه الثقوب ليست مستديرة بل حادة الزوايا وانحراف سطوحها بعضها على بعض ٤٥ درجة فاذا اصابها رصاصة لم تصبها عمودياً بل تصيبها منحرفة وتزلق على السطح المنحرف ويضيع معظم فعلها

### الضوء الازرق وانحناء النبات

للالوان المختلفة في الضوء تأثير مختلف في سرعة نمو النبات وقد ظهر حديثاً من تجارب جربها الدكتور كارر من علماء المعهد السمثصوني الاميركي ان بعض هذه الالوان الضوئية اذا وجه الى بذور آخذة في الانبات حملها على الميل بعضها الى بعض أو على الابتعاد بعضها عن بعض

وقد زرع الدكتور كارر بذوراً من نبات الشوفان ثم عرضها لاضواء مختلفة الالوان فوجد ان البذور المعرضة للضوء الازرق تميل بعضها الى بعض علاوة على ميلها الى جهة الضوء اما الضوء الاحمر فكان تأثيره على عكس ما تقدم اي ان البذور ابتعدت بعضها عن بعض بتأثيره ثم ان البذور التي عرضت للضوء البرتقالي فاقت خضرتها خضرة البذور المجاورة لها اي التي لم تعرض لهذا الضوء والبذور المعرضة للضوء الازرق المخضرّ اشد خضرتها

وقد كانت جذور هذه النباتات على أطولها حيث عرضت البذور للنور الازرق وعلى أقصرها حيث عرضت للنور البرتقالي

### أدق الانابيب صنعاً

تصنع الآن انابيب دقيقة جدًّا من النيكل لتستعمل في حقن تحت الجلد وقد بلغ من دقة هذه الانابيب انهُ يمكن ادخالها من سم الخياط ( ثقب الابرة )

*

### اسراع النمو في النبات بهرمون

في معهد فسيولوجيا النبات التابع لاكاديمية العلوم بمدينة كيف وهي عاصمة اوكرانيا عالم كبير يدعى شولوبن

هذا العالم اكتشف طريقة يمكن بها تعجيل النمو في بذور النبات وهي طريقة سهلة وليس ما يمنع تطبيقها في الزراعة

كان بعض الباحثين في نمو النبات يعلمون انه اذا اعيق انبات البذور بعدم اعطائها الماء كافياً او بتعريضها لحرارة اقل من الحرارة اللازمة ثم اذا وضعت هذه البذور في تربة ذات رطوبة وحرارة كان انباتها وازهارها واثمارها أسرع من العادة

خطر للعالم شولوبن ان يجد تفسير هذه الظاهرة فقال في نفسه لعل الجنين في البذور وهو يستجمع القوة للانبات من دون ان يتاح له . يجمع مقداراً من هرمون النمو اكبر من المقدار الذي يتاح للجنين الذي ينبت انباتاً عاديًّا فأخذ بذوراً جافة ونقعها بسائل يحتوي على هرمون النمو فكانت النتيجة في الشوفان كما توقع على ما اذاعهُ في مجلة اكاديمية العلوم الاوكرانية فقد تأخر انبات هذه البذور قليلاً ثم اسرع نموها فأزهرت نحو اثني عشر يوماً قبل بذور اخرى لم تبلَّ الاَّ بالماء

## الماء الثقيل والاعمال الحيوية

يعلم القراء ان ذرات الايدروجين صنفان وان وزن احدهما ضعف وزن الآخر والماء الذي تدخل الذرات الثقيلة في تركيبه يعرف بالماء الثقيل وقد نال الاستاذ يوري الاميركي جائزة نوبل الكيمياوية جزاء له على اكتشافاته في هذا الموضوع

هل الماء الثقيل كالماء العادي في تأثيره في الاحياء ؟ أحد العالمان كري وربلس من اساتذة جامعة كولومبيا طائفة من بات دي حلبة واحدة وقسماها قسمين وضعا أحدهما في ماء ثقيل والآخر في ماء عادي فثبت لهما ان عمل التركيب الضوئي في الأولى (اي الطائفة التي في الماء الثقيل) أبطأ جدًّا منهُ في الثانية وان النسبة ٤ الى ١

*

## قاذفة قنابل جبارة

صنعت في بريطانيا طائرة جبارة من قاذفات القنابل وصنعت رسومها وبدئ واستحسن في اول من سنة ويحظر ان تصنع كثير على غرارها ولا تزال تفصيلات بنائها سرًّا مكتوماً ولكن مما يعرف عنها ان المسافة بين طرفي جناحيها ١٢ قدماً وهي مجهزة بمحركين من طراز برستول بغاسوس قوة كل منهما الف حصان وفيها طوابي متحركة وفي الطوابي مدافع تستطيع بحركتها في كل جهة ان ترمي كل جزء من اجزاء الطائرة وفي باطنها رفوف صفت عليها قنابل متفاوتة في حجمها ومما تمتاز بهِ هذه الطائرة على غيرها من الطائرات انها ليست قصيرة اللون بل طليت طلاء يجعلها خافية عن البصر عندما تكون محلقة في الفضاء

*

## البرد يؤثر في العقل أولا

جرب السرجوزف باركروفت الاستاذ في جامعة كمبردج تجربة خطرة ولكن نفسه ذلك أنهُ دخل غرفة باردة شديدة البرد وخلع ملابسه ولبث فيها حتى كاد يموت برداً وقد قال ذلك لكي يراقب تأثير البرد في جسمه وعقله فوجد ان العقل يتأثر اولاً بالبرد فيفقد صفة الاقدام والاحساس بالحياء من تعرض الجسم لانظار الناس وهو مجرد من الملابس

*

## مدفع رشاش لطلق غاز الدمع

من الغازات الحربية غاز يستعمله رجال البوليس في تفريق المظاهرات او تعقب بعض اللصوص يثير اغشية العين المخاطية فينهمر منها الدمع وقد سمع من عهد قريب مدفع يطلق قنابل هذا الغاز. والفكرة في انهُ على قاعدة المدفع الرشاش ولكن بدلاً من ان تكون قذائفه مرصاصات فانها تكون محوية على غاز الدمع الذي يعرقل اعمال الجناة والمجرمين والمتظاهرين من دون ان يضر العيون ضرراً باقي الاثر

# مكتبة المقتطف

كتابان في علم النفس

١ — الشخصية تأليف محمد عطيه الابراشي
٢ — خلاصة علم النفس تأليف احمد فؤاد الاهواني

— ١ —

الاستاذ محمد عطيه الابراشي ، خريج جامعتي اكستر ولندن واحد مفتشي وزارة المعارف المصرية ، من الشبان المصريين الذين جمعوا الى نشاط الشباب حكمة الكهول فهو لا يني عن البحث والتنقيب وكتابة الرسائل وتأليف الكتب ، علاوة على عمله الفني بالوزارة ، لانه يحس ان له في الحلبة التي تخصَّص فيها ، رسالة يؤديها وهذا كتاب « الشخصية » أحدث ما اهداهُ الينا من آثاره

نعم انهُ افرد فصلاً خاصًّا بهذا الموضوع في كتاب « علم النفس » الذي ألَّفهُ بالاشتراك مع الاستاذ حامد عبد القادر ولكنهُ رأى بعد ذلك ان « موضوعاً كالشخصية يحتاج الى كثير من التفصيل والتمثيل » فوضع هذا الكتاب

منهاج البحث بسط المناصر [illegible] والعقلية والاجتماعية والخلقية ، التي تتألف منها الشخصية وضرب الامثال على ذلك من سير العظماء والحكماء في الشرق والغرب وهذا البسط يشغل على نحو النصف الاول من الكتاب [illegible] النصف الثاني ، وان انواع [illegible] الشخصية العادية التي تمثل في القوّاد ورجال الاعمال والشخصية الخلقية او الفكرية [illegible] في العلماء والفلاسفة ، واوصاف كل منها او الفرق بين النوعين ، وبواعث [illegible] والفصل الاخير في اضطراب الشخصية وانقسامها

والكتاب من اوله الى آخره ، ممتع لمن يريد مجرد المطالعة ، و [illegible] ان ينطوي على شخصيته ضوء العلم الحديث [illegible] ان في وسع احد ان يطالع فصلاً من فصوله ، الا ويرى نفسهُ مدفوعاً الى تحليل نفسهِ وان من يطالع كيف كان انتصار روزفلت الحاسم في الانتخابات الاخيرة ، مع ما تألب عليه من الخصوم ، وكيف عزي ذلك الى نفوذ شخصيته وأخذها بألباب الجماهير ، يدرك ان موضوع الشخصية مما يجب ان يعنى به في عهدنا الجديد ، وان هذا الكتاب اول كتاب طبع على حدة باللغة العربية في هذا الموضوع ، وهو من اجل الكتب فائدة عقلية وعملية

— ٢ —

اجاد الاستاذ احمد فؤاد الاهواني مؤلف «خلاصة علم النفس» في قوله في مفتتح الكتاب «والحياة التي نقصدها هي حياة الانسان في صلته بالمجتمع الذي يعيش فيه، لانهُ لا يعيش منفرداً، ولا يمكن ان يعيش الاَّ في مجتمع يتصل افرادهُ ويتساعدون، وتتضارب مصالحهم، وتختلف غاياتهم ويخرجون من هذه المعركة الحامية بما ينشدونهُ من الحياة وهو حفظ الحياة اولاً، ثم السعادة ثانياً «واذاً لكي تصل الى الاحتفاظ بكيانك، وتوفير السعادة في الحياة يجب ان تدرس الميدان الذي تنزل فيهِ، لتحقق مطالبك، وتنجح في اغراضك، وهذا الميدان هو افراد المجتمع، الذين ستحتك بهم في اعمالك، وتختلف واياهم في اغراضك، وتحتاج اليهم لمعونتك والعطف عليك، وتسخرهم في تنفيذ غاياتك، وتستغلونك في تنفيذ غاياتهم ولن تصل الى هذا كلّهِ الاَّ بالضوءِ تلقيهِ على سلوك الناس، حتى تعرّف سبلهم، وتدرك اغراضهم وتلائم بين نفسك ونفسهم، وتوفق الى الطموح الى المثل الاعلى الذي تنشدهُ في الحياة والمصباح الذي ينير حجب النفوس، ويزيل ما يغشيها من ظلام كثيف هو علم النفس الحديث . »

جميع النظريات السيكولوجية، من الاستبطان الى التحليل النفسي، الى الرأي النموذجي الى السلوكي، الى غيرها من الآراءِ والمذاهب، انما ترمي الى شق طريق تمكننا من الوصول الى غاية واحدة، هي معرفة نفوسنا ونفوس الناس الذين نتصل بهم كلَّ يوم وقديماً قال احد علماءِ اليونان «إعرف نفسك» ولا يزال قولهُ هذا من أبعد الغايات التي يتجهُ اليها الانسان في طلب الحكمة

الفصل الأول من الكتاب تلخيص موفق لموضوع علم النفس وميدانهِ ومناهج البحث فيهِ واذا لاح للقارىء بعد مطالعة هذا الفصل، ان مناهج البحث مختلفة، ومتناقضة أحياناً، فلأن علم النفس لم يلقِ عنهُ تمائم الخرافات ويعلن استقلالهُ بعرض وأسلوب الاَّ من عهد قريب وكأن هذه السطور يذكر الاستاذ وليم مكدوجال احد اعلام البحث النفسي الحديث، عندما وقف في منصة الرآسة في قسم علم النفس بمجمع تقدُّم العلوم البريطاني في تورنتو سنة ١٩٢٤ وأعلن « استقلال علم النفس » فتلمس الطريق أمرٌ لا بدَّ منهُ في علمٍ يتناول أعقد الموضوعات وما يزال في مهدهِ وبعد ذلك تتوالى فصول الكتاب، متناولة نواحي مختلفة من الحياة العقلية، من الشعور وصلتهِ بالجهاز العصبي، الى الغرائز، الى العادة، الى الارادة، الى التخيل والتصوُّر الى الى وكل ذلك في تبويب واضح وأسلوب جزل واسناد دقيق

والى الذين طالعوا الطبعة الأُولى من هذا الكتاب، نقول ان الطبعة الثانية التي بين أيدينا، أوفى وأتمّ من الأولى، لان المؤلف لم ينِ منذ ظهرت الطبعة الاولى، عن اتمام البحث ومتابعة التقدُّم المطرد في هذا العلم الحيّ السائر الى الامام بخطوات الجبارة

## قصة الكفاح بين روما وقرطاجنة

ألفه … [illegible]

صفحاته ٣٢١ … قطع وسط

في تاريخ البشر اخبار حروب ومعارك نشب نيرانها بين عنصرين من عناصر البشر او بين حضارتين تقومان على قواعد متناقضة من قواعد الحكم والاجتماع، فكان الفوز النهائيّ في تلك الحروب او المعارك حدًّا من حدود التاريخ، حدل عنده عنصر وتسوّد آخر كما في معركة متوروس، او ضعفت مدنية وزهت اخرى كما في معركة ماراثون، او كسف فكرة ونصر اخرى كما في معركتي سراتوغا وجتسبرج في الحرب الاهلية الاميركية

ويذكر كاتب هذه السطور انهُ لما درس التاريخ القديم وكان موضوع الدرس في احد الايام يدور من حول معركة ماراثون التي فاز فيها اليونان على الفرس، وقف الاستاذ هنيهةً ليمكن في عقولنا نتائج تلك المعركة، التي تحسب من معارك التاريخ الفاصلة وذكر اهم نتائجها وفي مقدمتها اندحار نظام الحكم السائد في الشرق ممثلاً في فارس وخضوعها لعاهل مطلق، امام قواعد الحكم الديمقراطيّ ممثلاً في دويلات اليونان وقال انهُ لو فاز الفرس في ماراثون لسيطر حكامهم على اليونان، ولما كنا شهدنا في التاريخ تلك النهضة الفنية الفكرية التي تحسب وليدة النشاط في الحياة اليونانية الحرّة

كذلك يقال في معركة ... التي هزم فيها هسدروبال اخو هنبال فكان ... فوز روما على قرطاجنة في ... العالم المعروف حينئذٍ قال الاستاذ ... المؤرخ الاميركي المشهور ... في احد كتبه التاريخية وعنوانهُ «العصور القديمة» ان النزاع بين روما وقرطاجنة لم يكن نزاعاً ... تسعى كل منهما الى السيطرة على الارض والانفراد بالسيادة في ... البحر المتوسط، بل كان صراعاً كذلك بين عنصرين كبيرين من عناصر البشر، هما ... والعنصر السامي، وما كانت روما وقرطاجنة سوى مقدمتي ... المصطفين للقتال على جانبي البحر المتوسط وقد روي ان هنبال صاح عندما رأى ... هسدروبال تدحرج امامهُ «قرطاجنة انني اشهد الحداثك»

والظاهر ان المؤلف ... يأخذ بهذا الرأي فالاستاذ محمد فريد ابو حديد يقول في مقدمة الكتاب «ويلوح لي ان المؤلف الفاضل لا يذهب مع اصحاب الرأي المتقدم فانهُ وان علم ان قرطاجنة لها رحم بالساميين لا يجعلها ممثلة الشرق في نزاع الاجناس بل ينظر نظرة اخرى ... فهو لا يتعصب لها ولا يراها تمثل مثلاً من امثلة الشرق العليا بل انهُ لينظر الى المثل العليا لروما على انها اقرب الى تمثيل مثل الانسانية عامة»

ثم يقول الاستاذ ابو حديد « وهو يتحدث عن حوادث نضال قرطاجنة وروما حديث من يريد ان يتغلغل دون السطح ليبحث من تحته عن عظة تنفعنا في حاضرنا ، فهو يريد ان نوجه انظارنا الى ان قرطاجنة قد فنيت لانها كانت جديرة بالفناء ، وان روما قد بقيت ونمت لانها كانت جديرة بالبقاء والنمو ثم هو يشير لنا وهو يسير في حديثه الى الاسرار التي أهّلت كلاً من المدينتين الى مصيرها وجعلتها جديرة بما نالها »

فالكتاب بحث يجمع بين التاريخ والاجتماع والادب على أوفى وجهٍ وجديرٌ بأن يكون من الكتب التي تقرّب التاريخ الى نفوس القرّاء

## تاريخ المسأله المصريه

### من سنه ١٨٧٥ الى سنه ١٩١٠

ترجمة من الانكليزية الى العربية الاستاذان عبد الحميد العبادي ومحمد بدران الطبعة الثانية في ٤٣٢ صفحة

عودتنا لجنة التأليف والترجمة والنشر المؤلفة من افضل اساتذتنا العاملين لنشر الثقافة وخير البلاد باخلاص وهدوء ووفاء — اخراج الكتب الممتازة المفيدة ومن أحدث ما أخرجتهُ هذا الكتاب والباب الاول منهُ وعنوانهُ — انتهاب مصر — يذكر الوسائل القاسية والاغراض الملتوية التي احدثت بها انكلترا وفرنسا في معاملة الخديوي اسماعيل اثر عجزه عن توفية اقساط الدين الذي استدانهُ من الماليين الاوربيين وكان هؤلاء الماليون من المساعدين لهُ على التورط في استدانتهِ والاسراف في انفاقهِ — وأدّت الى ارهاق المصريين واعيان اسماعيل باشا صديق ناظر المالية حينذاك وعزل الخديوي — والباب الثاني منهُ وعنوانهُ احتلال مصر ذكر استمرار الوسائل الحكمية المؤلمة وما ادت اليه من استمرار النفوس ونشر الدسائس ونشوب الثورة العرابية لمقاومة التدخل الاجنبي ولانصاف الوطنيين وتصدي الانكليز لاخمادها وتحقيق غرضهم منذ فتح قنال السويس باحتلال مصر وفي الباب الثالث وعنوانه — ادارة مصر — ذكر الآثار المادية لسياسة كرومر الاقتصادية وضعف الآثار الادبية للادارة الانكليزية — وفي الفصل الرابع ، الانعهد كرومر من الرجعية في ادارة مصر واخفاق السر الدن غورست المعتمد الانكليزي الذي حل محل اللورد كرومر في قتل الحركة الوطنية الذي كان يتزعمها حينذاك الشهيدان مصطفى كامل ومحمد فريد — ومحاولة مد امتياز قنال السويس ورفض الجمعية العمومية المصرية مشروع هذا المد

والكتاب مملوء بالحوادث والعبر التي يجب علينا نحن المصريين مداومة درسها وتذكرها والاستفادة من العظات التي تنطوي عليها ونحتاج اليها في تسديد ادارة حكومتنا ومعاملتنا للاجانب لذلك اود ان يقتنيه كل مصري يعتني بشؤون حكومته ووطنه الالفي

## النتائج السياسيه للحرب العظمى

ألفه الاستاذ المؤرخ رمزي مور « Ramsay Muir » وترجمه الى العربيه الاستاذ محمد بدران

رمزي ميور في طليعة المؤرخين المعاصرين بدأ حياته كمحاضر عام ١٨ وعين استاذاً للتاريخ الحديث في جامعة ليفربول عام ١٩٠٦ ثم انتخب عام ١٩١٣ استاذاً في جامعة مانشستر ولما انتخب عضواً في البرلمان الانكليزي عن الاحرار عام ١٩٢٣ استقال من الجامعة ثم انتخب رئيساً لاتحاد الاحرار الوطني وقد اشتهر الاستاذ « رامزي مور » العميق في ابحاثه التاريخية والسياسيه وله عدة مؤلفات نفيسه لا غنى عنها للمؤلف والمؤرخ أهمها « توسع أوربا » (١٩١٧) والتاريخ البريطاني (١٩٢٨) والنتائج السياسيه للحرب العظمى الخ الذي نقله اخيرا الاستاذ محمد بدران ناظر مدرسة بنبا قادن الابتدائيه وعنيت بنشره لجنة التأليف والترجمه والنشر

والكتاب خلاصة تاريخ العالم في دور من ادوار الانتقال الذي نصفه المترجم بأنهُ لا يكاد يختلف عن الفوضى في شيء ثم اضاف اليه المترجم فصلاً من عنده شرح فيه النزاع الصيني والياباني والمسألة الحبشية والحركة النازيه وما وقع في البلقان والشرق الادنى من احداث ومشكلات ومعاهدات

فهو يصف الروح القوميه تلك الروح التي جعلت الشعوب تشعر بما بينها من روابط اللغة والجنس والتقاليد وأساليب الحياة وتحس « بوحدتها » وتعتز بقوميتها ويصف المدنية الصناعية واثرها والنزعة الاستعمارية التي تعد من العوامل القويه في تغيير شكل العالم والروح العسكريه التي أملت على الشعوب اعتقادها ان القوه الحربيه هي مصدر القوة والعظمه ويصف قيام الديمقراطيه قبل الحرب الكبرى واخيراً الدعوة الى الحركة الدوليه

ويصف المؤلف بعد التسويات السياسيه التي أعقبت الحرب الكبرى ورسمت خريطة جديدة لأوربا واحدثت التغيرات المعروفه خارج القارة ويتكلم ايضاً عن التطورات الكبرى التي أحدثتها الحرب في شعوب العالم فقد رأيناها تقضي على سيادة الطبقات الحاكمه القديمه بما قامت تنظم اجتماعيا جديده وتلك الفروق الاجتماعيه ومنحت الطبقات العامله حظا اكبر من الثروه والسلطان وكانت من نتائج الحرب المحسوسه اقامة ديموقراطيات سياسية تامه في معظم الدول الاوربيه وتغيير اساليب الحياة وأعيد توزيع الثروه بين الطبقات كما انقلب النظام الاجتماعي في روسيا من أساسه

لكن هذه التغيرات أعقبتها خيبة امل واضطراب مما ادى الى قيام فريق من الزعماء في وجهها كما حدث في ايطاليا وألمانيا والبرتغال وبعض دول البلقان وأقاموا حكومات ديكتاتوريه

جديدة على أنقاض الحكومات الديموقراطية وتكلم المؤلف عن العلاقة الجديدة ، بين اوربا والعالم الاسلامي عقب الحرب فقد وصف سلطان الدول الاوربية الذي كان آخذاً في الاتساع وقامت دول جديدة على انقاض الحكومات القديمة كما حدث في تركيا وايران والعراق وبلاد العرب بعضها تكوّن بالفعل وبعضها في دور التكوين بعضها تام الاستقلال وبعضها تشرف عليه اوربا

وبحث المؤلف ايضاً حوادث الهند وقلاقلها وافكار احزابها المتعددة التي تسود هذه القارة الواسعة وكذلك تكلم عن انقضاء السيادة السحرية القديمة التي كانت تتمتع بها اوربا في بلاد الصين مع نمو الفوضى في انحائها تلك الفوضى المخربة التي نلقاها في كثير من البلاد خارج اوربا

***

وقد يكون الفصل السادس من هذا الكتاب أنفس ما بحث بعناية وهو الفصل الخاص بتبدل مركز بريطانيا كما يراه رجال كثيرون فليس في العالم كله شعب أثرت الحرب في مصائره كما اثرت في بريطانيا وما نجم عن حربها وترابطها من الشعوب المؤتلفة في انحاء العالم وقد كان اهم ما انتجتهُ الحرب ضعف الروابط التي تؤلف بين اعضاء الامبراطورية فأصبحت الاملاك المستقلة تطلب لنفسها حق تعيين سفراء من قبلها لدى الدول الاجنبية كما عينت كل من كندا وارلندا سفيراً لها في واشنطون وطالبت هذه الاملاك ايضاً بحق عقد معاهدات مستقلة مع الدول الاجنبية فرأينا حكومة جنوب أفريقية تعقد معاهدة مع المانيا اعترفت بها بريطانيا ونص في معاهدة لوكارنو صراحة على ان بريطانيا وحدها هي التي ترتبط بالتعهدات الدولية في هذه المعاهدات وان الاملاك المستقلة لا شأن لها بها وبهذه الطريقة أصبحت الامبراطورية التي بقيت بعد الحرب شيئاً ... يمكن تسميته بمجموعة الدول التي تؤلفها تكاد تكون مستقلة لا يربطها إلا في خضوعها اسميًّا للتاج واحد

ويرى الجنرال «سمطس» وهو من أعظم ساسة الامبراطورية ، ان الحركة اللامركزية في الامبراطورية وصلت الى أبعد حد حتى أصبحت انحلالاً حقيقيًّا وهو يدعو الى تقوية الرابطة بين اجزاء الامبراطورية ويجب ان لا يسمح لها بهذا الانحلال التدريجي

والكتاب مكتوب بأسلوب مشوق يغري بمطالعته ومزود بالخرائط الموضحة فهو جدير بالترحيب والتحبيذ ونرجو ان يكون الكتاب مقدمة لغيره ومشجعاً للمؤلفين الذين يكتبون في الشئون السياسية المعاصرة ( )

## المآسي التاريخية الكبرى

تأليف حسن الشريف — مطبعة الهلال — صفحاتها ٢٨٦ قطع المقتطف

ما أكثر ما يجدهُ الباحث من المآسي والعبر بين جدران القصور وفي زوايا التاريخ ، فاذا انقاد لهُ في وصفها قلم رشيق وعلم واسع كان حديثها من أمتع الاحاديث وألذّها وأعظمها فائدة ، نقرأ كالروايات الموضوعة ، مع ان خيال الروائي قد لا يجرؤ على ابتداع مواقف تبلغ في غرابتها بعض ما تبلغهُ حقائق التاريخ ثم انها تلقي ضوءًا كشّافاً على احوال العصور والملوك والملكات والمقرّبين والمقرّبات وعاداتهم الاجتماعية والخلقية ، فتكشف من الحقائق ما هو جدير بتدبّرنا في سبيل العبرة والعظة

وقد تمَّ كلّ هذا للاستاذ حسن الشريف ، فجاءت فصول هذا الكتاب آية في بابها فالفصل يملأُ في الغالب نحو خمس عشرة صفحة في المتوسط ، فيها من التفصيلات القدر الكافي لفهم الموضوع ، وقد اختارها المؤلف من مطولات كثيرة ليست في متناول كل قارئ، ثم ساقها في اسلوب بارع كلهُ تشويق وإغراء بمواصلة المطالعة ففيها اندمج فن المؤرخ بفنّ الروائي

هنا قصة النضال بين ملك انكلترا شارل الاول ونواب شعبهِ ، وهو نضالٌ بين الملكية المطلقة والملكية المقيّدة ، أفضى الى حرب اهلية فالى محاكمة الملك واعدامهِ فاذا طالع القارئ هذا الفصل ، طابت لهُ المقابلة ، لما وقع حديثاً في انكلترا ، في سبيل الدفاع عن الحقوق التي اكتسبتها الامة من ملوكها ورسّخها بالممارسة، صانها بالتقاليد وادرك كيف تتماثل الاغراض وتختلف الاساليب

وهنا قصة المركيزة ده برانفيليه، وهي السيدة التي سمّمت والدها وشقيقيها وعاشقها في سبيل تحقيق شهواتها وحبّذا الحال لو ان الاستاذ حسن الشريف اضاف الى ثنايا قصتها ، شيئاً عن نفسيتها الاجرامية كما يكشف عنها علم النفس الحديث ، فانهُ لو فعل لاضاف الى قصة الرواية التاريخية فائدة السعود الى ناحية من نفس « اكبر مجرمة في التاريخ »

هنا ريشليو ولويس الرابع عشر وبوربونات وفاي والملكة اورتانس والامبراطورة اوجيني — جمع هؤلاء وغيرهم بروحون ويجيئون في هذه الفصول ، تقودهم الرغبات والشهوات، في جوّ حافل بالدسائس تدبر وتحاك خيوطها ، هنا وهناك وراء الامر في ايديهم، وليس بالنادر ان تكون حادث يسير في امر خاص باعثاً على انقلاب عظيم او ثورة او حرب

ولا ريب عندنا — ونحن في عصر تحتاج فيه افراداً وامة الى دراسة التاريخ وتدبّر حوادثه — ان الاستاذ حسن الشريف قد ادّى خدمة الى الامة في هذه الناحية من حياتها العقلية ، باصداره هذا الكتاب الذي يحبب الجمهور بالمطالعات التاريخية

## هدايا دار الهلال

### ١ — فاروق الاول

من بواعث الفأل والاستبشار ان نستقبل العهد الجديد ، وبين أيدينا كتاب في نشأة حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول ، ومظاهر طبيته العاليه ، وعطفه العظيم ، وذكائه المتوقد ، وتدينه العميق ، ووطنيته الصادقة ، لان ملكاً متصفاً بهذه السجايا الخلقية والعقلية العالية ، خير قدوة لشعب ، ينظر الى المعاهدة التي عقدت وأبرمت أخيراً ، على انها مفتتح لا نهاية ، مفتتح عهدٍ جديدٍ من الكفاح لا من القناعة ، كفاح ضدّ الضعف والجهل والتواكل ، وفي سبيل الصحة والقوّة ، والعلم والابتكار ، والاستقلال الاقتصادي نسيهِ عاليا ونشاطها

ولقد أجاد المؤلف الاستاذ طاهر الطناحي ، في تصوير هذه النواحي العاليه ، في حضرة صاحب الجلالة مرتداً بها الى أصولها من الوراثة والتربيه في كنف المغفور لهُ والدهِ العظيم وأجادت دار الهلال كذلك في اخراج الكتاب، زاهي الرونق طبعاً وتصويراً

### ٢ — كمال اتاتورك

لا يسع احداً زار تركيا الحديثه ، زيارة بحث ودرس الآن ان يعترف بان كمال اتاتورك صاحب الفضل الاول في تحديد معالمها ، واغتصاب استقلالها بحدّ السيف ، وبطم حكومتها الجمهورية ، ونافخ روح الحياة في شيبها وشبانها ، ورجالها ونسائها على السواءِ ان طابعهُ الشخصيّ في كل مجمع ومدرسة وكل ملجأ ومستشفى بل في كل مزرعة حديثةٍ تجربة فيها وسائل الاشجار ، ومصنع جديد يحاول ان تستغني بهِ تركيا عن ان تكون عالةً على الغرب

وكيف اتيح لرجل فرد ان يتغلب على السوس ينخر في عظام « مريض اوربا » المشهور، ويدحر ما تألب عليهِ من القوى داخل البلاد وخارجها وما هي الاقدار التي نهضت بها هذا الرجل من ضابط في الجيش التركي القديم ، الى مقام زعيم من اكبر الزعماء في العصر الحديث؟

انك تجد كلّ هذا مفصلاً تفصيلاً دقيقاً في كتاب كمال اتاتورك الذي ألّفهُ الاستاذ محمد محمد توفيق ان الكتاب قصة رجل وتاريخ امة نشت بعثاً جديداً وفيهِ علاوة على ما في التاريخ الحيّ من اغراء وتشويق ، عبر وحكم لمن يعنون بالبناء والانشاء

### ٣ — هنري الخامس

نقلنا في عددٍ سابق ( دسمبر صفحه ٥٤٤ ) جانباً من كلمة كتبها الاستاذ سامي الجريديني مقدمة لترجمة هنري الخامس وهي من امهات مسرحيات شكسبير ، وفيها جمع المزايا التي اصبح بها امير مسرحيي العالم على الاطلاق — حكم في اقوال الحكماء والمجانين استخلصها عقل نفذ الى اسرار الحياة ، وصور لطبائع الناس رسمها قلم ساحرٌ صادق استشفّ جانبهُ ما وراء الظواهر من خفايا

وترجمة شكسبير لا تتاح الا لاصحاب الاحاطة والعمق في فنون ادبه واسرار فنه والذين أسمح لهم البيان وانقاد القلم والاستاذ سامي الجريديني تناول هذه الرواية ، وغيرها من آثار هذا الشاعر الخالد ، في طليعة هؤلاء في لغتنا العربية

## علم الآثار

تأليف الاستاذ جاردنر وترجمة الاستاذين محمود حمزه الامين بالمتحف المصري والدكتور زكي حسن الامين بدار الآثار العربية ١٨٠ صفحة من القطع المتوسط على ورق صقيل وعشرون صورة

هذه هي الرسالة الرابعة من سلسلة المعارف العامة لخلاصة العلم الحديث التي تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر ، لنشر الثقافة الصحيحة بين جمهور القراء ، والمطالع لهذا الكتاب يرى انه على صغر حجمه بالقياس الى ما تشمله من الدراسات قد جاء مستوفياً للافكار التي وضع من اجلها فعلم الآثار كما قال المترجمان في الرسالة التي نحن بصددها الآن «استعراض سريع لتاريخ علوم الآثار وللنتائج التي توصل اليها المنقبون والاثريون»

[illegible] الكتاب وصف شامل لاعمال رجال الآثار ، واتصال فنون الآثار بالتاريخ ودراسة الآثار في بلاد اليونان وغيرها ، ودراسة الاحجار الكريمة ، و[illegible] وعلم الاساطير ، وأحدث المكتشفات الاثرية في القطر المصري ، وبلاد ما بين النهرين ، كما تناول البحث في الكتاب مستقبل علم الآثار وغير ذلك مما يراه القارئ مبسوطاً بين دفتيه

واننا نرى لزاماً علينا ان نشير الى صغر الصور الايضاحية الى حد ان بعضها مطموس لا فائدة منه لمن يريد التعرف على علم الآثار [illegible] الطالب على وضوح الصور وحسن بيانها للتفاصيل والدقائق

كما اننا نشك في ان تكون الصورة رقم ١٥ الملكة [illegible] [illegible] [illegible] وهي كلها [illegible] اسرع الى [illegible] باخراج الكتاب وكم كنا نود [illegible] اكثر [illegible] علم الآثار المصرية حتى يكون الكتاب مستوفياً للغرض الذي اخرج من اجله وهو تثقيف الناشئ الشرقي عموماً والمصري خصوصاً [illegible] يترجمان ، ولكن هذا كما نرى لا يمكن ان [illegible] دون تحقق هذه الغاية حتى ولو كانت الدقة مقصورة على وضع مؤلف خاص بالفن المصري ولا نلاحظ لتسمية الرسالة بعلم الآثار [illegible] افاضة الآثار الاغريقية وحدها

واننا وان كنا قد لاحظنا ان الكتاب لم يلم الالمام العلمي الشامل في اختصار [illegible] الآثار بعضها عن بعض وطريقتها الواردة في كل منها ، الا اننا من ناحية اخرى لا يمكن ان ننكر هذا المجهود القيم الذي بذل في كتاب نود ان يكون حلقة في سلسلة طويلة من المعارف العامة التي تعمل اللجنة على نشرها

الدكتور احمد موسى

# حديث الدكتور بيل جولت

[تابع صفحة ٤٠]

وقد أخرجت الجامعة من نحو ثماني سنوات أول مجلة عربية رفيعة في التربية وهي « مجلة التربية الحديثة » وخصّصت صفحاتها للبحث العام في التربية الحديثة واقتباس المبادىء النيرة وتطبيقها على مشكلات التربية في الشرق الادنى فأصبحت هذه المجلة بادارة الدكتور امير بقطر مرجعاً نعترف بفضله في موضوعها في العالم العربي

ولعلّ اشهر الاساليب التي جربناها في التربية العامة ، هي المحاضرات التي ينظمها قسم الخدمة العامة ، كلّ سنة ويشترك فيها عشرات من قادة الرأي والفكر ويحضرها الوف من محبي العلم والادب

ثانياً — ان المعهد الاهلي في جميع أنحاء العالم مشهور بطبيعة طلابهُ بطابع حرية الفكر والبحث والنقد والتقدّم في الميدان الديمقراطية ، تستند الى هذه الحرية حتى في الولايات المتحدة ، المشهورة بمعاهدها الحرة ، تجد الحرية على أوسعها في المعاهد الاهلية ، بل ان العراقيل التي اعترضت سبيل الحرية ، كانت اقوى في معاهد الدولة منها في المعاهد الخاصة

وقد عني اساتذة جامعتنا بانشاء تقليد الاستقلال الفكري في طلابنا ولا سيما طلبة الفصول العالية وعلى وجه خاص في العلوم الاجتماعية والفلسفة وآداب النفس والدين ، معتمدين على اساليب تحفز الى البحث والنقد وتكوين الرأي السليم وقد بلغ من عنايتنا بهذا الاسلوب ان بعض طلابنا الذين تخرجوا وطلبوا العلوم العالية في معاهد اخرى لا ينون عن الاعتراف لنا بما جنوهُ من الفائدة في ميدان البحث الحرّ والتقاليد الديمقراطية من أمثل القواعد في الاسلام ، ومصر الآن ، ديناً وسياسة بلاد ديمقراطية وتربية حرية الفكر والبحث والنقد في طلبتنا ، على ان تفضي هذه الحرية الى الحكم السليم ، من أهم ما تستطيع ان يقوم بهِ معهد ، في هذه البلاد

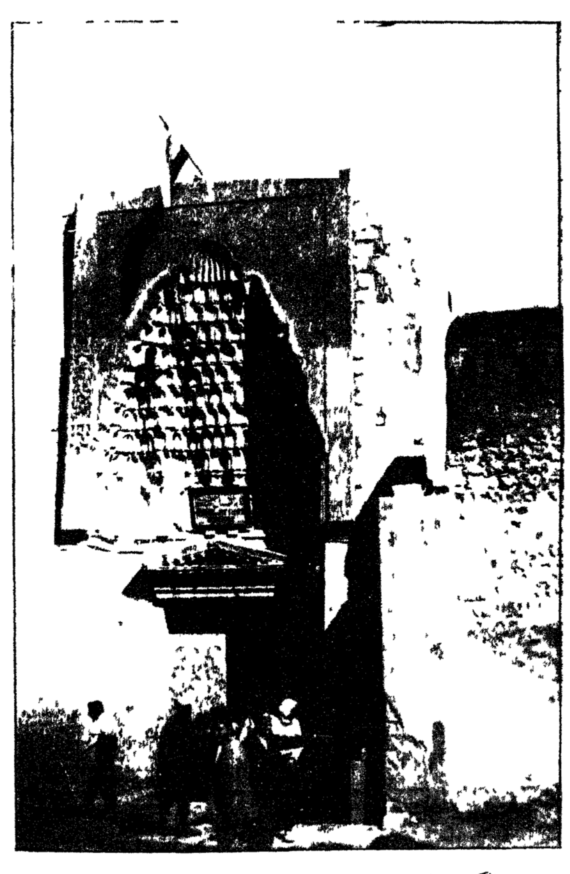
ثالثاً — ان تربية الشخصية وانماء الملكات والصفات الخلقية العالية من اهم ما تؤديهِ المعاهد الاهلية لطلابها فالفصول الصغيرة ، والاتصال اليومي بين المدرس والطالب ، في حجرة الدراسة وميدان اللعب وبهو الاجتماع ، تجعل من المعهد الاهلي قالبا يفرغ فيهِ خلق الطالب اما المعاهد التي تبلغ فيها الطلاب بضعة آلاف فقد صرفت النظر عن السعي سعياً خاصًّا الى التكوين الخلقي وقد ظهر كتاب يدعى الانكليز وانكلترا ، اثبت فيهِ صاحبهُ ان الفساد والارتكاب الفاشيين في حياة انكلترا العامة قبل نحو مائتي سنة ، زالا بفعل التكوين الخلقي العالي في مدارس انكلترا الاهلية وجامعة القاهرة الاميركية في جميع اقسامها ، تعلّق شأناً خطيراً على ضرورة الاتصاف بالصفات الخلقية العالية فالاجتماعات الروحية العامة ، والصلات الديمقراطية بين المدرسين والطلاب ، وتعيين مستشار خاص لكل فصل من الفصول ، ودروس الفلسفة وآداب النفس والديانة — جميع هذه تشيء جوًّا يمكن ان تغرس فيهِ المبادىء الروحية والخلقية العالية في نفوس التلاميذ

هذه نواحٍ من الغرض العالي الذي نطلع اليهِ وهذا بعض ما نبذلهُ حتى الآن في هذا السبيل

# فهرس الجزء الاول من المجلد التسعين



---



تصوير الدكتور سامي حداد

مدخل المارستان النوري الكبير في دمشق

( انظر مقال المارستان النوري الكبير صفحة ٢٠٦ )



الجزء الثاني من المجلد التسعين

١ فبراير ١٩٣٧ — ١٩ ذي القعدة سنة ١٣٥٥

# السماء والارض

## مجتمعان في المطياف

### المرقب والمطياف يسبران حقيقة الاجرام النائية

ان تاريخ الارض ومصيرها مرتبطان بتاريخ الشمس ومصيرها هذه حقيقة أدركها الانسان ، ادراكاً عاماً، منذ أشرق في ذهنه نور الإدراك ولكن ألوفاً من السنين انقضت قبلما خطر له انهُ قد يجد في ذلك الأتون المحتدم تفسيراً لبعض المشكلات العلمية التي تعصّتهُ كيف السبيل الى دراسة بناء الشمس ، وهي تبعد عنا ثلاثة وتسعين مليوناً من الأميال ، وقطرها أقل من مليون ميل قليلاً ( ٨٦٤٠٠٠ ميل ) وحجمها يفوق حجم الارض الف الف مرةّ ، وحرارتها تتراوح من ٦٠٠٠ درجة مئوية على سطحها الى نحو ٤٠ مليون درجة مئوية في باطنها

ليس بالعجيب ، والمصاعب هي ما هي ، ان تظهر أمنية كهذه الامنية ، متعذرة على ذكاء الانسان وحلمه الواسعة. وكأن الفيلسوف أوغست كونت كان يفكر في هذا عند ما قال « ثمة أمور لا بدَّ للانسان من أن يبقى جاهلاً لحقيقتها مثل معرفة تركيب الشمس والاجرام السماوية من ناحية الكيماوية » ان ذلك الفيلسوف الكبير ، لم يدرك ، والعلم الحديث لم يزل

في مهدهِ ، ان النبوّ العلميّ عمل محفوف بالخطر ذلك ان الانسان بفضل المرقب والمطياف والمطياف الشمسي المصوّر وغيرها من وسائل البحث الحديث ، جاءَ بالكواكب الى سطح الارض وحلّل ماءها وعرف عناصرها وقاس درجات حرارتها وبردها

في تاريخ هذا البحث الفتّان ، يومان خالدان بينهما نحو قرن من الزمان أولهما يوم حلّ نيوتن الفيلسوف الطبيعي الأشهر ضوء الشمس الى ألوانهِ السبعة وثانيهما يوم تمكّن كيرشوف الالماني ، من البحث في تركيب الشمس وكأنهُ يبحث في تركيب جسمٍ كيماويّ في المعمل

كان قد سبق الاكتشاف الذي تمّ للعالمين الالمانيين ، مكتشفات كثيرة مهّدت لهُ السبيل . ففي سنة ١٨٠٢ ، تحوّل ولستن Wollaston أحد أعضاء الجمعية الملكية بلندن من ممارسة الطب الى البحث في الطبيعة والكيمياء وبدأ يدرس طيف ضوء الشمس جنباً الى جنب مع ضوء الشرارات الكهربائية والغازات المضيئة وكان عرَّض الضوء المحترق لغاز من الغازات في شق ضيق ، فصوَّر طيفهِ ، أي بالألوان التي يتألف منها فتبين لهُ ان الضوء الساطع من لهب غاز من الغازات ، يحدث طيفاً تقطعهُ خطوط لامعة ثم ثبت لهُ ان لكل غاز خطوطاً يتميز بها وتختلف عن خطوط الآخر ، فبخار الصوديوم يحدث خطاً لامعاً اصفر اللون ، وبخار البوتاسيوم يحدث خطًّا لامعاً بنفسجيّ اللون

في هذه الملاحظات ، بدء علم من أشهر العلوم الحديثة وأعظمها فائدة في الفلك والطبيعة والكيمياء ، نعني علم الحلّ الطيفي

فما [illegible] او اكثر قليلاً ، على مكتشفات ولستن حتى عني رجل الماني يدعى فرونهوفر Fraunhofer وكان صانع نظارات ولا علم لهُ بمكتشفات ولستن ، بالبحث من هذا القبيل . فأوصله [illegible] الى اكتشاف ظاهرة جديدة لاحظها ولستن اولا وهي رؤية خطوط [illegible] الشمس فصنع خريطة لطيف الشمس ، ورسم في مناطقها الملونة [illegible] خطًّا اسود ، شاهدها فيها

هو ذا اكتشاف ظاهرة كبيرة الشأن ، ولكن فرونهوفر صانع النظارات ، عجز عن فهمها كان قد جال في خاطره ، ان هذه الخطوط صلة بطبيعة الضوءِ ، ولكنهُ لم يرَ سبيلاً الى تعليلها [illegible] اربعين سنة ، وهذا الاكتشاف [illegible] ثم جاء انكليزي يدعى ستوكس Stokes

وكشف بنسن مصباح لفهم هذه الخطوط فهماً صحيحاً ذلك انه وجد انه اذا احرق ضوء الشمس بخار ملح يدخل الصوديوم في تركيبه ، ظهر في الطيف ذلك الخطان الاصفران ، مكان الخطين اللامعين اللذين يظهران في الطيف المولد من ضوء بخار الصوديوم ، اي ان بخار الصوديوم امتص من ضوء الشمس اللون الذي يطلقه هو ، وبالتالي تحول الخطين الاصفرين ، خطين مظلمين وبذلك فهمت خطوط فروهوفر السود وادى ذلك الى القول ، ان الابخرة التي في الفضاء بين الشمس والباحث تمتص من ضوء الشمس الخطوط الملونة او اللامعة التي تحدثها في الطيف ، تاركة في الطيف خطوطاً مظلمة

وفي السنة ١٨٥٩ وهي السنة التي نشر فيها كتاب داروين في « اصل الانواع » صنع كيرشوف وهو في معمل بنسن الكيمياوي في هيدلبرج ، آلة جديدة يبين بها العناصر بمراقبة خطوطها ، وأطلق عليها اسم سبكترسكوب ، اي آلة الطيف وقد ترجمها بلفظ «مطياف» يؤخذ الضوء — في هذا الجهاز — من اي مصدر متوهج ، فيمرّ في شق ضيق ثم تجمعه عدسات خاصة في شعاعة واحدة قبل ان تخترق موشوراً يفرقه الى الالوان التي تتألف منها ، وهذا هو الطيف . الطيف يظهر على لوحة خاصة في المطياف ، حيث دوّن طول الامواج الخاصة بكل لون من الالوان فيستطيع الباحث ان يقول ارى في طيف هذا الضوء كذا خطوطاً في منطقة اللون الاصفر ، وكذا خطوطاً في منطقة اللون البنفسجي ثم عمد كيرشوف الى ضوء الشمس فحمله خلال بخارات عناصر ومواد مختلفة ، ولم يحاول حلاً طيفياً ومراقبة الخطوط السود التي تظهر في نطاق الالوان المختلفة ، وأفضى به بحثه هذا الى اكتشاف ناموس عام هو الآتي «ان غازاً متوهجاً يمتص من أشعة الضوء المنطلقة من مصدر حام للضوء تلك الامواج التي يطلقها هو» فالحديد مثلاً اذا احمي حتى يصبح في حالة بخارية ووضع بين الشمس والمطياف ، امتص من ضوء الشمس الذي يخترقه الامواجَ التي يطلقها هو ، فاذا حلّ ضوء الشمس بعد ذلك في المطياف ظهرت خطوط مظلمة ، في المنطقة التي تظهر فيها الخطوط اللامعة الخاصة بالحديد

وما كاد يذاع هذا الاكتشاف ، حتى أدرك العلماء مغزاه هذا المصباح ، يفتح لهم المغاليق من اسرار السماء ، ويدلّهم على تركيب الابخرة التي تحيط بالشمس فالسماء والارض التقتا في

فعمل كيرشوف دل في مطاويهِ . وقد بلغ من حماسة العلاَّمة هلمهلتز ان قال « ان هذا الاكتشاف قد أثار من اعجاب الناس ما لم يثره اكتشاف آخر لانهُ يمكننا من الصعود الى عوالم كانت ابداً محجَّبة عنا » ولا ريب في ان فكر هلمهلتز كان متجهاً ، عند ما فاه بهذا القول ، الى بناء الشمس والكواكب

وكذلك مضت نبوءة الفيلسوف كونت . ان هذه الخطوط المظلمة في طيف الشمس ، تدل على وجود أبخرة معدنية وغير معدنية فيها . ذلك انا اذا عرفنا الخطوط المظلمة التي يمتاز بها عنصر من العناصر التي على الارض ، أمكننا بامرار ضوء الشمس في بخار ذلك العنصر ، ان نعرف ، هل هو داخل في تركيب الشمس او لا . ولولا الجدال الذي اثارتهُ نظرية التطوُّر العضوي التي نشرها داروين في كتابهِ ، لما انصرف اهتمام الناس حينئذٍ عن اكتشاف خطير ، كاكتشاف كيرشوف هذا

ومن ثمَّ انكبَّ كيرشوف على دراسة هذه الخطوط المظلمة عدداً وموقعاً فبحر الحديد والكلسيوم والمغنسيوم والباريوم والنحاس والسترنتيوم والزنك والصوديوم والنكل والكروم والكادميوم والمعدن [illegible] وفلزات اخرى في حرارة الضوء القوسي وسنع خرائط للخطوط اللامعة في طيفها ثم قابل تلك بمواقع الخطوط المظلمة في طيف ضوء الشمس ، منتبهاً الى المواقع التي توافق فيها الخطوط اللامعة بالخطوط المظلمة ، فاستدلَّ من الخطوط اللامعة الخاصة او المميزة لعنصر ما ، على وجود ذلك العنصر في الغلاف الغازي الذي يحيط بالشمس ، وهو مما أكد لنا ان [illegible] من [illegible] في تركيب [illegible] مركَّب على سطح الارض

وبذلك ولد علم الطبيعة الفلكي [illegible] المعروف الآن باسم [illegible] هذا [illegible] أثار [illegible] كثيرين من العلماء فأقبلوا على دراسة الشمس والنجوم [illegible] في تركيبها [illegible] العناصر الداخلة في تركيب الارض ولم يعثروا في خارج [illegible] على عنصر واحد [illegible] الارض [illegible] فأقاموا الدليل على الوحدة [illegible] ان الانسان وسائر الاشكال الحية والجامدة ومادة الشمس والكواكب [illegible] والعوالم المجرية في رحاب الكون النائية ، قوامها جميعاً العناصر الكيماوية التي نعرفها

ولكن قبل انقضاء سنة ١٨٦٨ اعلن اكتشاف أثار الخواطر . ذلك ان باحثين ، لاحظا

ظاهرة جديدة ولكن كلاًّ منهما لاحظها على حدة كان احدهما المسيو بيير جول سيزار جانسن الفلكي الفرنسي ، وكان معدًّا لرصد كسوف كلي في [illegible] والآخر نورمن لكير احد كتاب وزارة الحربية البريطانية حينئذ فلاحظ كل منهما خطوطاً لامعة في طيف الشمس وكان «لكير» أسبقهما الى القول بان هذه الخطوط اللامعة لا تماثل خطوط اي عنصر معروف على الارض فكان ذلك عرساً ، لانهُ اذا صحَّ عنى ان في الشمس او في اكليلها عناصر ليست على الارض فأطلق على هذا العنصر اسم هليوم (وهو مشتق من هليوس وهو لفظ يوناني يعني الشمس) وقد ظلّ هذا العنصر مجهولاً في الارض الى منتصف العقد الاخير من القرن الماضي اذ اكتشفهُ رمزي الكيماوي الانكليزي . ومن العجيب ان سبيلهُ الى اكتشافهِ كان اسلوب الحلّ الطيفي فقد درس في طيف مركب كان يعالجهُ خطوطاً تقع من الطيف حيث الخطوط الخاصة بالهليوم — العنصر الشمسي — فأدرك ان الهليوم موجود في الارض وبالحلّ الكيمياوي تمكن من استفرادهِ وهو الآن من اهم المواد الغازية ولاسيما في البالونات ، لانهُ خفيف وغير قابل للالتهاب

وقد كشف حتى الآن نحو ستين عنصراً في الشمس وكل منها لهُ ما يماثلهُ على الأرض

كانت سنة ١٨٦٨ التي كشف فيها عنصر الهليوم في الشمس تاريخاً ذا شأن في دراسة الشمس من نواحيها الطبيعية لان العلامة جورج الري هال وُلد فيها ، وهو أحد نوابغ هذا العلم وباعث الحياة والنشاط فيه بمخترعاتهِ ومكتشفاتهِ الباهرة

كان من حسن الطالع لهذا الفتى ان يكون أباهُ في [illegible] — مدير شركة مصنع للرافعات — فلما نشأ راغباً في البحث العلمي وجد [illegible] والده [illegible] هذه الرغبة ، وأثنى عليهِ وشجعهُ ولما ان الفتى رآه ميالاً الى البحث الميكروسكوبي في الصغر [illegible] ابتاع لهُ اداة والى دراستهُ نظريهُ [illegible] وكذلك سائر الفتى في ابحاثهِ العلمية [illegible] الطبيعية والكيماوية ، وكان والده في كل منها مرشداً حكيماً ، مشجعاً على الاستزادة يجود بما يحتاج اليهِ من أدوات البحث والتجريب . أخيراً جاء علم الفلك [illegible] ، فأقبل عليهِ بكل ما في [illegible] وجسمهِ من شغف وقوّة

وكان لا يزال في السادسة عشرة من عمره عندما ابتاع له والده مرقباً تلسكوباً — على سطح الدار ، فقرّر الفتى بعد ذلك ان ينفق حياته في دراسة الاجرام السماوية ، ولكنه أدرك من بدء حياته العلمية ادراكاً واضحاً الهدف الذي سعى ان يسير اليهِ . قال ان رصد الاجرام واحصاءها وتدوينها في الخرائط عمل لهُ قيمة عظيمة ، ولكن ما ابتغي، هو سلسلة من التجارب تسير بنا خطوة خطوة في ترقية العلم الجديد المعروف بعلم الفلك الطبيعي astrophysics وهو دراسة الاجرام الفلكية بالمطياف spectroscope والمطياف الرسّام spectrograph قرأ كتابيّ لكير في الحلل الطيفي وطبيعة الشمس وكتاب يونغ في الشمس ، فاذكت مطالعتها حماستهُ فصنع مطيافاً بنفسهِ وجرّب بهِ تجاربهِ الاولى بطيف اللهب والشرر ثم بطيف الشمس

وكان في جامعة جونز هبكنز الاميركية عالم طبيعي من الطبقة الاولى يدعى رولند ( Henry A. Rowland ) وكان هذا العالم قد ابتدع طريقة يمكنهُ بها تخطيط لوح من الزجاج او المعدن ، خطوطاً دقيقة متلازمة متوازية حتى يمكن من صنع ٢٤ الف خط متوازية متساوية البعد بعضها عن بعض في ما مساحته بوصة مربعة فالزجاج المخطط بهذه الطريقة يفعل في حل ضوء الشمس الى الالوان المركب منها فعل الموشور الزجاجي وبهِ استعان رولند على صنع خريطتهِ المشهورة لطيف الشمس ، واليهِ استند هايل في حلّ بعض ألغازها

كانت الشمس في نظر العلماء حينئذٍ محاطة بطبقات من الغازات الشفافة أعمقها طبقة تعرف باسم «فوتوسفير» [illegible] وهي ذات الضوء وفوقها طبقة [illegible] وفوقها الاخرى العناصر [illegible] «الطبقة المعاكسة» وطبقة ثالثة وفوقها الاخرى [illegible] الجو [illegible] والهيدروجين والكلسيوم [illegible] هذه طبقة تعرف [illegible] [illegible] الاميال وكان يركب هذه الطبقات [illegible] وكانوا جميعاً يحسب الحمراء

وكان في جامعة [illegible] في ذلك الوقت [illegible] للفلك يدعى [illegible] انتشر الى علم الفلك ، فأصبح في طليعة الفلكيين الاميركيين الذين عنوا بناحية [illegible] والكبير في الحلّ الطيفي فحجّ اليهِ هايل الشاب ، ورأى في مرصده مشهداً من مشاهد الطبيعة الرائعة

نعي الالسنة المندلعة من قرص الشمس ، فجزم امره هناك وقرر ان يصرف همة حياته في البحث الفلكي

كانت هذه الالسنة تندلع من قرص الشمس بسرعة ٢٥ ميلاً في الثانية وتمتد الى بعد ٤٠ الف ميل فسأل نفسه كيف تكون هذه الالسنة ومن اين تستمد هذه النيران الهائلة الوقود وما تأثيرها في الارض أسئلة كان العلم لا يملك حينئذٍ الاجوبة الشافية عنها قال هايل في نفسهِ « ان هذه البوتقة النارية قد تمهّد لنا السبيل لمشاهدات وتجارب ، لا امل لنا بمثلها في معاملنا على سطح الارض» حيث يتعذّر علينا الفوز بدرجات عالية من الحرارة والضغط تقارب درجاتهما على سطح الشمس

كان فاسياسوس قد ذكر في سنة ١٧٣٣ انهُ شاهد ألسنة الشمس وهو يرصد كسوفاً كليًّا ثم وصفها بايلي الانكليزي وصفاً دقيقاً بعد مشاهدتها في اثناء رصدهِ لكسوف كلي وقع في ٨ يوليو سنة ١٨٤٢ وكان بايلي هذا سمساراً وفلكيًّا هاوياً ومع وصفهِ الدقيق لما شاهد عجز عن فهم سرها فعزاها هو وغيرهُ من علماءِ ذلك العهد الى القمر ، الاَّ انَّ التدقيق في دراستها في اثناءِ كسوف وقع في سنة ١٨٦ أثبت انها تندلع من الشمس لا من القمر

ولكن اذا شاء العلماء ان يفهموا هذه الظاهرة العجيبة ، فلا يسعهم الاكتفاء برصدها ثواني معدودة عند وقوع كسوف كلي ، ولا بدَّ من ابتداع وسيلة تمكنهم من دراستها في كل ساعة من ساعات النهار ، وذلك بحجب الضوء الباهر المنبعث من قرص الشمس هذه المسألة حشَّرت هايل وهو لا يزال طالباً في معهد ماساشوستس التكنولوجي وكان جانسن قد بحث في الموضوع فبين في طيفهِ خطوطاً لامعة عرف انها خاصة بأحد الألسنة المندلعة من قرص الشمس ، فصاح اني أستطيع ان ارى هذه الخطوط في غير وقت الكسوف ، وبتغيير موقع مطيافهِ تمكن من تخطيط صورة لسانٍ منها وعرف انهُ في الغالب مكون من الايدروجين لان خط الايدروجين كان أبرزها في طيفهِ ثم أقبل هجن على الطريقة نفسها فوسع الشق الذي يدخل منهُ النور فتمكن من رؤية لسانٍ كامل كأَنهُ يراهُ من نافذة

ثم حاول يونغ بعد ذلك ان يصوّر احدى هذه الالسنة بالمصوّرة الصوئية فكانت الصورة غير واضحة وأهمل التصوير كوسيلة من وسائل البحث في هذه الظاهرة الشمسية ولكن هايل اكبّ على البحث

عن طريقة عكمهُ من هذا التصوير وكان هدفهُ الفور تصوير انرص الشمس والالة ... منهُ وان تم له ذلك في رابعة النهار وكان في احد الايام ... كهربائية في شكاعو اذ خطرت له طريقة ... ان هذا الخاطر نفسهُ كان قد خطر لغيره من الباحثين وان احداً لم ... تحقيقه

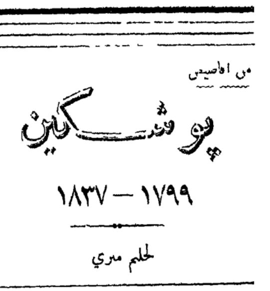
كان الخاطر بسيطاً قال هايل ... من الورق المقوى وامسك به بين عمل ومصباح كهربائي ... الموشح فاذا هزرت الشق بان تلك الاسلاك ... بعضهُ بين الشق المذبذب والعين يحجب عنها كل الضوء الا ... واحد

وعلى أساس هذا الخاطر صنع هايل جهازه الشهير المعروف باسم ... او مصوّرة الطيف الشمسي Spectroheliograph بعد ما لاقى مصاعب لا توصف في صنعه ... عليها براعته وذكائه ومثابرته وفي ٧ مايو سنة ١٨٩١ تمكن هايل من ان يصور صورة واضحة لاحد ألسنة الشمس في رابعة النهار بجهازه هذا

فلما ظهَّر الواح التصوير ... عاد عليه الفرح فأراها لصديقيه واستاذيه ... يونغ وروولند ... من دون الطريقة الجديدة ونجاحها ... على يدي هايل وهو ... في العصر الحديث

بل ان هذا الجهاز كان فاتحة عهد جديد في دراسة الشمس ... وما داع ... حتى دعاه ... السير وليم هجنس ... العلوم البريطانية ان يعرض صوره هذه على اعضاء المجمع وكان من الحاضرين العالم الفرنسي هنري الكسندر ديلاندر مدير مرصد الفلك الطبيعي في مودون ... من الاجتماع عائداً الى مرصده حيث والى مباحثه ولم ... شهور حتى ... الى وصل الى كل ما قاله هايل

هو ذا الابواب قد فتحت ... المطياف والصوّرة الطيفية والعلماء ان يقفوا عند تصوير ألسنتها ... بل لا بد من مهاجمة وجهها لكشف ما تخفيه من اسرار وراء ذلك الضوء الباهر ... وغرائب ما كشفوه عليه وفيه موضوع بحثنا القادم



من اقاصيص

# پوشكين

## ١٧٩٩ — ١٨٣٧

لحلمي مري

اذا ما بدأت القصة وجدنا في بيت « نارموث » الضابط في حرس القصر يجتمع وطائفة من اصدقائه في ليلة شتوية حيث يلعبون الورق ولقد ظلوا الى الخامسة صباحاً ولما تناولوا بعد طعام العشاء فأما الطعام فقد أعد واحتلف اللاعبون الى المائدة يلتهمونهُ التهاماً فاذا ما بدأت « الشمبانيا » تصب في الأقداح فقد حمي سهم النقاش وطمى وانك لتسمع احدهم يسأل « سورين » عماه ربحه فيقول لهُ « انهُ خسر كالمعتاد اذ ليس لهُ حظ وسوف يظل هادئاً لا يضطرب على انهُ كثيراً ما يخفق في لعبه » ويقول لهُ احد الضيوف « وما رأيك في هرمان » وهو يعني احد الضباط من فرقة المهندسين « انهُ لم يلمس في حياته ورقة من ورق اللعب بل لم يراهن ولكنهُ شغوف بأن يجلس الينا حتى الساعة الخامسة في الصباح وهو يلعب »

فاجابه هرمان إن الورق لشغلي كثيراً على انني لن اجازف بضياع حاجة في سبيل منفعة غير محققة

وتحدث تومسكي قائلاً « ان هرمان رجل الماني دأبه الاقتصاد وهو لا يخفي على شيء من العجب ولكن الشخص الذي لا استطيع ان افهمهُ او استرعوره هو جدتي « الكونتيسة آنا فدوروفنا »

فصاح به الضيوف جمعاً « وكيف كان ذلك » ؟ فأجاب « لستين عام مضت زارت جدتي وزوجها باريس ، لقد أباح لها جمالها الرائع ان تصبح حديث الناس فلقد كان بعضهم يتسابقون وراء عربتها لكي يروا اليها وليروا « زهرة روسيا » تلك التي افتتن بحبها « الكردينال ريشليو » ذلك الوزير العظيم الذي أوشك من فرط هيامه بها أن ينتحر وكانت جدتي تشهد الموائد الخضراء فخسرت مرة مبلغاً كبيراً للدوق أورليان ولما عادت الى منزلها أخبرت جدي بذلك وطلبت اليه وفاء المبلغ وكان يخشاها ويفرق من سطوتها وبأسها وينزل منها منزلة العبد للسيد غير انهُ لما سمع بخسارتها الفادحة تجاوز حده وأفهمها في شيء من الرفض أن ما يحمله من اوراق يثبت ان وجودهما في تلك الفترة في باريس كلفهما قرابة نصف مليون في مدى

ستة أشهر وان ذلك مما يحمله ايضاً على الرفض البات فبعد ذلك اطمته على صيام أدبه اطمه كادت تصمه وبامت تعرل عنه تلك الليلة وفي الصباح أعادت عليه الطلب فوجدته على الرفض مصراً ولما استطع أملها من ناحيته أخذت تفكر في الخلاص من ذلك المأزق فتذكرت رجلا سلا كانت روى عنه احاديث كثيرة هو الكونت سان جرمان وكان معروفاً عنده الدهاء وكانوا يزعمون انهُ مكتشف «اكسير الحياة» و «حجر الفلاسفة» ومهما يكن من أمر هذه المزاعم فلقد كان رجلا خلاب الحديث فاتن المؤانسة وجيهاً في كافة المجالس والمجتمعات وكانت جدتي تعلم انهُ ثري فأزمعت أن تلتجئ اليهِ واستدعته فأسرع اليها وحدثته عن قسوة زوجها ووحشته وقطع عبارة وطرحت عليهِ أعباء حاجتها الفادحة فأطرق الرجل مليا ثم قال اني قادر على امدادك بالمال ولكن اعلم انك لن تستريحي بعد ذلك حتى تديه الي وكأنك تنتقلين من مأزق لأوقعك في آخر وعلى ذلك فسأطلعك على وسيلة تستردين بها خسارتك عن طريق المقامرة

قال جدتي ولكن ياعزيزي الكونت اني لا املك من المال شيئاً وكيف أقبل على اللعب وانا مفلسة؟ فقال سان جرمان «لا حاجة بك الى المال تصغي عليّ الأسماع»

ثم افضى اليها بسر عرف من لو نعرفه اي منا أو نشتريه بكل ما نملك من ثروة فدهش السامعون لهذا النبأ واشتد بهم الرغبة في المعرفة وأشعل تومسكي سيجاره وشرب تدخين ثم استأنف الحديث قائلاً «في مساء ذلك اليوم ذهبت جدتي الى قصر فرساي للمقامرة وافسح الدوق اورليان اللعب فاعتذرت جدتي عن دينها له اعتذاراً لطيفاً ثم بدأت تلعب ضده فاختارت ثلاث ورقات ولعبتها واحدة تلو الاخرى وربحت الثلاث جميعاً فاستردت بذلك ما كانت قد خسرتهُ في الليلة السابقة مشفوعاً بارباح طائلة»

قال أحد الضيوف «من يحب ان يكون لك جدة كجدتك ثم يفوتك ان تستخرج منها هذا السر العظيم» «هذا ضرب من المحال لقد كان لجدتي أربعة بنين أحدهم والدي وهم من الاغنياء مقامر ومع ذلك فقد أبت ان تبوح لأيهم بذلك السر على ما فيه لهم من نفع وجدوى ولكن عمي الكونت ايفان اتش حدثني الحديث الآتي وهو ان المرحوم تشابلتسكي الذي مات فقيراً بعد أن خسر الملايين على المائدة الخضراء فقد مرة ثلثمائة الف روبل وكاد يجن حزناً وغماً ورثت له عمتي فأعطتهُ ثلاث ورقات وأمرتهُ أن يلعبها على التوالي فأخذت عليهِ عهد الله وميثاقه ان لا يبوح بالسر وان لا يعاود اللعب بعد ذلك ما عاش فمضى تشابلتسكي الى خصمه ولاعبه فأخطر على الورقة الأولى خمسين الف روبل فربحت ثم ضاعف المبلغ على الورقة الثانية فربحت وضاعف على الثالثة فربحت وبذلك استرد فوق ما كان قد خسره والآن ايها السادة قد آن لنا ان ننصرف فقد آذن الفجر ان يلوح والديك ان يصيح » فشرب الجمع سؤر أقداحهم وتوادعوا ثم انصرفوا

— ٢ —

كانت الكونتس العجوز عمة تومسكي جالسة في غرفة التواليت امام مرآتها ومن حولها ثلاث وصائف يقمن بخدمتها وكانت الكونتيس قد فقدت كل أثر من آثار جمالها الغابر ولكنها لم تفقد عادات شبابها المدثر من التجمل والزينة وكانت تجلس قرب النافذة وصيفة لها حسناء تشتغل على منسج التطريز تلك هي « ليزا فيتا » التي كانت تسدد نظرها نحو النافذة من حين الى حين ثم ألقت نسيجها وأطلت من النافذة ولم تكن الا برهة حتى ارتفع لها في اقصى الطريق شبح فتى في زي الضباط المهندسين فاحمرّ وجهها خجلاً وتناولت نسيجها واستأنفت عملها على المنسج وفي هذه اللحظة عادت الكونتيس العجوز مستكملة اللباس والزينة وتحدثت الى ليزا فيتا في ان تأمر الخدم باعداد المركبة ليخرجا في نزهة ولقد قامت الفتاة عن منسجها متثاقلة الخطا كمن به ذهول ووقفت حائرة فلمحت الكونتس هذا فقالت « ليزا فيتا ماذا بك وما خطبك؟ أبك صمم أم ذهول؟ نادي الخدم ومُري باعداد المركبة في الحال »

انطلقت ليزا فيتا مسرعة وفي هذه الاثناء دخل أحد الخدم فقدم للكونتس بضعة كتب هدية من الامير « بول الكسندروفتش » ودعت الكونتس وصيفتها لقراءة ما بالكتاب فاذا بدأت ان تقرأ فقد شعرت الكونتيس بأن موضوع الكتاب لا يعنيها لا نه سخيف ومن سقط المتاع ولقد أنبت الكونتيس وصيفتها لتأخرها في ارتداء ملابسها وعابت عليها تكرارها الأخير عند خروجها

كانت الكونتيس متغيرة المزاج لم يهدأ لها بال فما كادت « ليزا فيتا » تصل الى غرفتها حتى هبت الكونتيس الى جرس الغرفة تقرعهُ قرعاً مستمرًّا فهجم ثلاث وصائف من باب وخادم من باب آخر وصاحت الكونتس قائلةً « لقد أصبحت في قصري لا أطاع أو يسمع لي قول [illegible] أين ليزا فيتا ؟ ألا خبروها اني [illegible] في انتظارها » وهنا عادت ليزا فيتا تحمل معطفها وقبعتها فقالت الكونتيس لقد طال غيابك يا ليزا فيتا واراك تكثرين من امر الزينة والتجمّل اكثر مما ينبغي ومن تريدين ان [illegible] ؟ ثم ما رأيك في جو اليوم ؟ ارى انهُ يوم عاصف فقالت ليزا فيتا كلاّ يا سيدتي انهُ يوم هادىء ساكن الريح وقال ذلك جميع الخدم ايضاً وقالت الكونتيس انهُ يوم قمطرير عبوس ألا تحسون الريح والبرد القارس أغلقوا الحجل [illegible] فلا سبيل الى الخروج اليوم فتألمت الوصيفة ليزافيتا لهذه الحياة المليئة بالمناقضات الأليمة

— ٣ —

قبل وقوع هذه الحوادث بأسبوع كانت ليزا فيتا جالسة الى نافذتها في صباح يوم جميل تطرز على منسجها فحانت منها التفاتة الى الطريق فوقع بصرها على فتى من فرقة الضباط

المهندسين وكان واهناً لا يبدي حراكاً تطلع النظر الى نافذتها فكبست رأسها وأقبلت على عملها وبعد خمس دقائق أطلت ثانية من النافذة فاذا الفتى الضابط لم يبرح مكانهُ ولا يزال موكلاً طرفهُ بالنافذة ولما لم تكن من شأنها مغازلة الضباط الناظرين الى نوافذها فقد شغلت بعملها في شيء من النشاط ومضت ساعتين كاملتين من دون ان ترفع رأسها ثم دق جرس الغداء فنهضت وتركت نسيجها ثم حانت منها التفاتة الى الطريق فاذا الضابط لا يبرح موقفهُ فاشتد عجبها من ذلك وبعد الغداء عادت الى النافذة وهي تحمل شكًّا وقلقاً وتطرب ولكنها لم تجد للضابط أثراً فصرفت من ذهنها شبحهُ ونسيتهُ

وبينا هي تهم بالركوب مع الكونتيس بعد ذلك بيومين أبصرت الضابط نفسهُ خلف باب المركبة متلثماً تتوقد عيناه السوداوان من خلال لثامه فأوجست منهُ خيفة لغير علة واضحة وأخذت مجلها من المركبة والرعب يرجف أوصالها ولما عادت الى المنزل اسرعت الى النافذة فاذا الضابط في موقفه القديم يديم النظر اليها فارتدت منغصة وتملكها نوع غريب من الشعور لم تدرك لهُ معنى ومن ثمَّ فصاعداً لم يمضِ يوم الاَّ ظهر ذلك الضابط تحت النافذة في الساعة المعهودة فنشأ بين الفتاة وبينه نوع من التعارف الصامت والصحبة الخرساء وكانت اثناء عملها على المنسج تحس بجيئه وتشعر بروحه ثم ترفع رأسها الى طلعته وجعلت نظراتها تزداد على مرّ الايام وكان الفتى قد فطن الى هذا فارتاح اليه وكأنهُ يرسل من عينيه معاني الشكر والعطف وكانت الفتاة تبصر احمرار وجههِ كلما تلاقت الحاظهما وبعد اسبوع بدأت تبتسم لهُ

ولعل هذا الحديث يفهمنا ان ذلك الفتى هو « هرمان » الذي ورد ذكره في أول هذه القصة وعرفت أنهُ من فرقة الضباط المهندسين

— ٤ —

كان هرمان ابن رجل الماني استوطن روسيا وتجنس بالجنسية الروسية [illegible] وورث عن أبيه ثروة لا بأس بها [illegible] شديد الاقتصاد في النفقة [illegible] وكان [illegible] الحشمة والوقار [illegible] المطامح والمطامع [illegible] قوة عزيمته وحزمه [illegible] لشهواته فكان من فرط [illegible] المقامرة لم يمس ورق اللعب قط وكانت قصة [illegible] أثرت في نفسه اشد تأثير فاشغلت خاله فجعل يسهر الليالي لا يفكر في غير ذلك ثم [illegible] حتى عرف مكانهُ وأبصر الفتاة [illegible] وهي تطرز على منسجها فأزمع ان [illegible] كأنه ذلك ليجدها سلماً للوصول الى [illegible] الكونتيس لكي يعرف سر الورقات الثلاث منها طوعاً او كرهاً ثم كان من أمر وقوفه ازاء النافذة ومجالسة النظرات للفتاة وتحديقه اياها ما كان

حدثنا في ان الكونتيس بعد ان امرت باعداد المركبة عادت فأمرت ثانياً بفك الخيل

ولكنها ما لبثت ان امرت باعدادها ثانياً وكذلك لم تكد ليزا تفرغ من خلع معطفها وقبعتها حتى أُمرت بلبسهما ثانياً وخرجت مع سيدتها للنزهة ولم تكد العربة تبدأ في السير حتى لمست يد ليزا فيها يدٌ أخرى والقت فيها ورقة فأخفتها في قفازها وطال طول النزهة لا تسمع ولا تعي ولا تفهم وكلما ألقت عليها الكونتيس سؤالا -- وما كان أكثر ما تسأل -- اجابتها اجابة بالصمت وإما هو شر من الصمت من جواب سخيف خارج عن الموضوع حتى ضجت الكونتيس وانهالت عليها سباً وشتماً

ولما عادت ليزا في ختام النزهة اسرعت الى فض تلك الرقعة التي وصلتها من هرمان فاذا بها قطعة من عاطفة وهيام سداها الحشمة ولحمتها الادب وطربت لهذا الطرب كله على ان سرورها كان مشوباً بنوع من القلق والاضطراب لأن ماطها لاول مرة الشاب عرب بعلائق سرية خصوصية وقد كان في شدة جرأة ذلك الشاب ما اخافها وأزعجها فأخذت تعتب نفسها على طيشها وتهورها ولم تدر ماذا تصنع أتهجر النافذة والجلوس اليها فتقطع آمال الشاب بهذا الجفاء ؟ أم ترد اليه رسالته فتيئسه أم تجيبه بجواب تعبر فيه ؟ وبعد طول الحيرة والتردد حررت له الرقعة الآتية « لاشك عندي ان غرضك شريف والى لا اود ان تؤديني بخروجي أو سيرتي الى سمعتي عبر اني لا أحب ان تكون بدء تعارفنا بهذه الطريقة التي تسلكها »

ولما ظهر هرمان في اليوم الثاني تحت النافذة ألقت الرقعة على الطريق فسرعان ما التقطها وذهب بها الى محل حلوى ففض غلافها فألفى داخلها رسالة مردودة والجواب عليها وكان قد توقع ذلك فانقلب الى داره وذهنه مشغول بما كان يدبره من الدسيسة ولقد أرسل لها فتاة حائكة بعد ثلاثة أيام برسالة منه فقضتها وهي ترجو ألا تكون من عزم الطالب بدين ولقد أحبت ان تنكر الرسالة متجاهلة صاحبها ولما كان هرمان لطالب انما هو قصد ارجعتها وفاتحة هذا الطالب وصاحت قائلة ان تلك الرسالة لم تكن لها فقالت لها الفتاة واذا كانت ... كان ينبغي أن تردها الى صاحبها فارتبكت ليزا ... وقالت ... ألا تأتيني بأية رسالة أخرى وخجلت من رسالة ان هذا عار عليه ... الذي ... مثل هذه الصدمة فأحبت ليزا الا تعرف ... ابدا ... والعناية والاستهلاك فكانت تتحكم على غير ... اراده ... الخالي المرود الذي لا يرده شكاً أو شدة ... أما الفتاة ... هذا ... الحائرة فأدعت وانسكبت ولم تعد تقوى على رد تلك الرسائل ... حتى ... فيها ... على رسائله ... ودعوتها تزداد على الايام اطمئناناً واستئناساً ... لا ... ان الهوس ... ذات صباح بالرسالة الآتية « في هذه الليلة ... السهرة وستشهد الكونتيس هذه الحفلة وستظل معها هناك الى الساعة الثانية ... وستبقى في المنزل حالياً الا من

البواب وهذا دأبه الناس فاطرق المنزل الساعة الثانية عشر فاذا عثر بك أحد في الساحة فاجعل حجتك السؤال عن الكونتيسة وارجع بسلام ولكن من المنتظر ألا يعثر بك أحد فاصعد الى غرفة الكونتيس تجد بها حاجزاً خلفهُ بابان فافتح الباب الايسر يؤدي بك الى دهليز في اقصاه سلم يفضي الى غرفتي فانتظرني بها »

وفي الساعة الثانية عشر صعد هرمان سدة الباب ودخل الساحة المشرفة بالمصابيح الوضاءة ولم يجد أثراً للحارس فرقى السلم حتى بلغ حجرة الكونتس التي بها مضجعها فألفى في احدى زواياه شبه محراب مزداناً بصور القديسين وتماثيل القديسات سيره مصابيح من الذهب الابريز وحول الحجرة نمارق وأرائك عليها وثير الوسائد وقد بهتت اصباغها لتقادم العهد ورقمت عليها يد القدم سطور الوحشة والكآبة وكان على احد الجدران صورتان من صنع المصورة الباريسية المشهورة « ليبرا » احداهما تمثل رجلاً ربعة بادناً أشقر يناهز الاربعين في حلة عسكرية خضراء هو « روح الكونتيس المتوفى » والصورة الاخرى تمثل الكونتس في صباها وفي جوانب الغرفة تماثيل شتى من الشبه والخزف والصيني وساعات وصناديق بها حلى وزخارف ومراوح وشتى اصناف من اللعب والتحف

وقف هرمان خلف الحاجز فألفى لدى ظهره سريراً من الحديد وعلى يمينه باب المقصورة الخاصة بالكونتس وعلى يساره الباب المؤدي الى الدهليز ففتحه فأبصر السلم المفضي الى حجرة الوصيفة ليزا [illegible] ولكنهُ أغلقهُ وثاب مكانه مرّ الوقت بطيئاً وكان السكون سائداً وظل هرمان واقفاً مستنداً الى رف الموقد الخامد ودقت الساعة الواحدة ثم نصفاً ثم اثنتين واذ ذاك سمع وقع حوافر وصرير عجلات من أقصى [illegible] فاعتراه رجفة شديدة [illegible] المركبة ثم وقفت وسمع حركة الوصائف [illegible] [illegible] المصابيح وألقت أضواؤها ودخلت حجرة الكونتس [illegible] [illegible] [illegible] اللعب [illegible] على كرسي وهي أشبه بالاموات [illegible] الحاجز فأبصر ليزافيتا [illegible] وقد [illegible] الباب الأيسر [illegible] في السلم المؤدي الى حجرتها فأحسَّ نوعاً من الالم والندم على [illegible] اياها وغدره بها [illegible] ما لبث ان [illegible] قلبه وكتم صوت ضميره وعاد الى جموده

خلعت الكونتيس ثياب الزينة وارتدت جلباب النوم وجلست الى المائدة بعد ان صرفت الوصائف واطفأت المصابيح الا قنديلاً ضئيلاً خامد الشعاع وكانت الكونتيس مصابة كالعجائز بالارق فلبثت مكانها من المائدة صفراء الوجه والبشرة كانما غمست في حوض من الكركم تحرك شفتاها وتترجح يمنة ويسرة وكانت عيناها الكليلتان الشقيتان تنمان على ذهول وتدله

وكأن اهتزاز جفنيها رعدة كهربائية منبعثة من أحشائها ولكن وجهها المتعب تحرك بغتة فوقف ارتعاش الشفتين وبدت أمارات الحياة في عينيها ماذا جرى ؟ لقد ظهر امامها رجل غريب مجهول وقال هرمان لها « لا تخافي لست لصاً لقد جئت اسألك حاجة » فنظرت اليه العجوز في صمت كأنها لم تفهم مقالته وظن هرمان انها مبتلاة بالصمم فأدنى فمه من أذنها وأعاد ما قاله فبادرت العجوز في صمتها

وقال هرمان « ان في مقدورك اسعاد حياتي وترفيه عيشي ففي استطاعتك ان تسمي لي ثلاث ورقات من ورق اللعب » وهنا سكت هرمان اذ بدا له ان العجوز بدأت تفهم كلامه وكأنما كانت تعالج سكرة من سكرات الألم أو الموت ثم تعالج نفسها حتى ان تهيء له جواباً فقالت له « لم يكن ذلك الا من باب المزح والفكاهة »

فأجابها هرمان « كلا ان الامر جد لا هزل فيه اذكري صاحبك تشابلتسكي الذي اقلت عثرته وفرجت غمه وأعنته على استرداد خسارته ألا تستطيعين تسمية هذه الورقات » فبادرت العجوز في سكوتها وهنا جثا هرمان راكعاً تحت قدميها وقال « لمن تدخرين هذا السر لذريتك واحفادك وقد أغناهم الله بنعمته بالثروة الطائلة والنعمة الفسيحة رحماك انها الكريمة واذا كنت تعرفين شعور الحب — حب العاشقة لعشيقها والام لرضيعها والشفقة لشيء ما فأني استحلفك بعواطف العاشقة والوالد والشفقة وبكل ما هو مقدس في الحياة الا ما أجبت دعائي وقضيت حاجتي »

كان ذلك والكونتيس صامتة لا تبس فبعد ذلك ثار هرمان وصاح « سالتك من عجوز شوهاء لأرغمنّك على الكلام ارغاماً وأخرج مسدساً من جيبه وبدت علامات القلق على العجوز فرفعت يديها كأنها تحاول اتقاء القذيفة واسلمت على ظهرها وبقيت مسلوبة النطق والحركة فصاح هرمان وقبض على يدها أجيبي انى اسألك المرة الاخيرة أجيبي ما هي الورقات الثلاث ؟ » فلم تحر جواباً وتأمل هرمان في وجهها فاذا هي جثة لا حراك بها

كانت ليزا فيتا جالسة في غرفتها وقد ضمت ذراعيها الحاسرتين على صدرها العاري وقد أرسلت الخادم ألا تعود بعد أن سألتها مراراً عما يمكنها أن تقضيه لها من حاجة وكانت تحمد الله كثيراً لان هرمان لم يحضر واسلمت على مقعد لتراجع ذكرى الحوادث الاخيرة فلقد انقضت ثلاثة أسابيع عند ما لمحت هرمان من النافذة ثم شرعا يتراسلان انها لا تذكر انها حدثته لساناً بلسان ولكنها عرفت اسمه من امضائه على الخطاب وانها لتذكر المصادفة الغريبة ألا وهي ان في تلك الليلة الراقصة وتومسكي يرقص معها بعد ان تنحى عن الرقص مع البرنسيسة بولينا بدأ يذكرها بحبها لهرمان وهي تذكر هذا الحب فيقول تومسكي لها « ان هرمان شخص

وماتشكي وله وجه كنابليون وحس كمفستوفلس ولعل ضميره يحمل وزر ثلاث جرائم ولماذا علت وجهك تلك الصفرة ؟

بعد فترة دخلت الاميرة واسا وسيدتان وتحدثت الاميرة مع ابراهام بوشكين ثم خرجت ووصيفتاها وتركن الشاب ... كتاب تومسكي شارد الفكر لا ... ... حال أو يهدأ لها شعور وفيما هي في هذه الحال اذا ... ... فدخل منها هرمان فدهشت في شيء من العجب عن امره وحييها انه كان في حجرة الكونتيس ولقد تركها وهي جثة بلا روح فقول له يا الله ماذا تقول ؟ فجلس هرمان وقال انهُ يخشى ان يكون هو السبب وأصغت الفتاة الى حديثه وفرائصها ترتعد وقص عليها ما كان من امره مع الكونتس فعرفت مرماه وسبب هدفه وفهمت ان تلك الرسائل الغرامية وان هذا الحب لم يكن مصدرها الخير والحب لذاته ولكن مصدرها الجشع وانها لم تكن الا آلة صماء في يد سارق أثيم فذرفت دموع الندم مرة حارة وجعل هرمان ينظر اليها صامتاً وقلبه نهب الوساوس الاليمة

وقالت ليزافتا انك لوحش ضار وبدأ الصبح يتنفس وقامت ليزافتا فأرشدتهُ الى السلم السري وقد ضغط على يدها الباردة مودعها ولما اتكأ هرمان في مساء اليوم التالي الى غرفته انطرح على مقعد بها ... دون ان ... ثانية فاستغرق في النوم ولما أفاق من هجعته كان الليل قد خيم فألقى ... على ارجاء الغرفة وانهُ لكذلك اذ دفع عليهِ باب الحجرة ودخلت امرأة في ... بيض ... واذا هي الكونتس قائلة لهُ بصوت ثابت « لقد جئتك على غير ارادة مني ولكن امرت ان اجيء ... اذا لعبت الورقات الثلاث الآتية على التوالي -- كل واحدة في ليلة ثم لا ... والورقات هي ثلاثة وسبعة وآس ولكن لا بد من ان تروج من ليزافتا ... »

لما ماتت الكونتس كان هرمان ممن دعوا لأداء العزاء في الكنيسة ... تلو الصلاة ويستغفر الله فيما فعلهُ من اثم ... ارتكبهُ من جرم واخترق الصفوف وأول نحو النعش ونظر الى الجثة فاذا الكونتيسة تلوح عليها انها تنظر اليه في شيء من السخرية فاستولى عليهِ ذعر فارتد فزعاً ووقع مغشيًّا عليهِ اما ليزافتا فخرجت من الكنيسة وهي تحمل ألماً مبرحاً مرجحة مهمومة

— ٥ —

كانت هنالك جمعية في موسكو يرأسها شيكالنسكي وهي تضم جماعة المقامرين وفي ذات ليلة قدم هرمان في صحبة تومسكي وبدأ تومسكي يقدم هرمان الى شيكالنسكي وانضم هرمان الى جماعة المقامرين ودارت رحى الميسر وانتهى الدور الاول وبدأ شيكالنسكي يوزع الورق فقال هرمان له أتسمح لي ان آخذ ورقة فانحنى شيكالنسكي راضياً وقال هرمان « اريد

الاشراك » وكتب ارقاماً بالطباشير على ظهر ورقه فقال صاحب المائدة « على اى مبلغ يا سيدي معذرة فأني قصير النظر » فقال هرمان « على سبعة وار بعين الف روبل اعني كل ما ورثته عن ابى » وبعد سماع هذه الكلمة اسمعت جميع المقامرين الصرخة ، ولم يصدقوا اذانهم ولبثوا فترة في ذهول ودهشة وقال تومسكي فى نفسه حقا لقد تورط هرمان فى فكرته وخواطره في عمله وقال شكالنسكي « هذا مبلغ باهظ فلم يسبق ان جازف مقامر باكثر من مائتين وخمسين روبل دفعة واحدة » فقال هرمان قد يكون قولك حقا ولكن أيقبل الرهان على هذا المبلغ ام لا ؟ فانحنى شيكالنسكي قبولاً وقال « اسمح لي مع مزيد ثقتي بتصريح اصدقائى انى لا أقامر الا على النقد الحاضر ولكن محافظة على اللعب اطلب اليك ان تضع المبلغ على ورقك » فأخرج هرمان صكوكاً اعطاه الى شيكالنسكي وألقى هذا نظرة عليه وأوقفه بورقه هرمان وشرع ينثر الورق فظهر على اليمين « تسعه » وعلى اليسار « ثلاثه » وقال هرمان ان ورقه رابحة فأظهر الجمع تحمسهم ودهشتهم وعبس وجه شيكالنسكي غير ان ابتسامته لم تفارق ثغره ودفع له مبلغ ربحه وفي اليوم الثانى اشترك هرمان فى الدور الثانى وبدأ ينثر الورق على رأس ماله وأرباح الامس فظهر على اليمين « عشرة » وعلى اليسار « سبعة » وهى الرابحة فصح المقامرون وبدأ القلق يساور شيكالنسكي وناول هرمان ارباحه الجديدة وغادر المكان وفي اليوم الثالث ترك الجمع اماكنهم وأحاطوا بمائدة هرمان وقد وقف ليلعب مع شيكالنسكي وهو على شدة تأثره لم يزل يفتر ثغره عن ابتسامته الطبيعة فناول كل منهما رزمة من الورق وشرع شيكالنسكي يوزع ورقه فبداه ترتجفان فصاح هرمان على ورقة « هذا هو الآس ! لقد ربح » فأجابه شيكالنسكي فى شيء من الهدوء والاحترام لا يا سيدي ان الذي فى يدك ليس الآس ولكنه « ملكة البستوني » وقد خسرت فانتفض هرمان ونظر الى الورقه فوجدها « ملكة البستوني » ولكن من الذى غير الورقة تلك لا شك قوة شيطانيه وأعاد النظر الى الورقه فاذا بها صورة الكونتس وهي تبتسم له وتغمز له بعينيها في هزء وسخرية فصاح وقد ملكه الرعب « الكونتيس العجوز » « الكونتيس العجوز » وشرع شيكالنسكي يجمع ارباحه وانت هرمان فاقد الحركة برهة من الزمن واستأنف شيكالنسكي اللعب مع المقامرين اما هرمان فقد جن وهو الآن نزيل احدى الملاجىء الخاصه بمرضى العقول لا يعي قولاً أو يفهم أمراً ولسانه دائم الترديد « ثلاثة سبعه ثلاثه سبعه ملكة البستوني »

وروجت ليزافتا ايفانوفنا من فتى رشيق ممن كانوا في خدمه الكونتس وعاشت معه في كنف السعادة ورغد العيش

# قسم الطفيليات [1]

## حديث الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك

اسناد الطفيليات في كلية الطب

متى انشيء قسم الطفيليات في كلية الطب، وما هي دائرة نشاطه؟

١ — منذ انشاء مدرسة الطب في سنة ١٨٢٧، كان موضوع البحث في الطفيليات من أهم ما اشتغل به أساتذتها، ومن أهم البحوث التي قاموا بها، والاكتشافات التي عثروا عليها لان أمراض البلاد الحارة الكثيرة الانتشار في مصر يرجع سبب أغلبها الى الطفيليات ولكن في السنوات الأولى من تاريخ المدرسة كان البحث في الطفيليات عملاً مشاعاً بين كثير من الاقسام ولم يكن له قسم خاص بالذات وأهم الاكتشافات في القرن الماضي كان حوالي سنة ١٨٥

في ذلك التاريخ، وبالتحديد في سنة ١٨٥١ اكتشف الاستاذ تيودور بلهارس الاستاذ في مدرسة الطب المصرية في ذلك الوقت الديدان المشهورة باسمه والمسببة لمرض البلهارسيا الذي تصيب في الوقت الحاضر ٧٥ / من المصريين وكذلك اكتشف استاذه الاستاذ جريسنجر الذي كان ناظراً لمدرسة الطب في ذلك العهد اكتشافاً من أعظم ما تم في تاريخ طب البلاد الحارة اذ انه بين لاول مرة علاقة ديدان الانكلستوما بالمرض المعروف بالانيميا المصرية او الرهقان المصري ووجد فيما بعد ان هذا المرض يصيب نصف سكان الكرة الارضية وكذلك اكتشف بلهارس عدداً كبيراً من الطفيليات لأول مرة وفي السنين الاخيرة من القرن الماضي بدأت أعمال الطفيليات تركز في قسم التاريخ الطبيعي بمدرسة الطب وكان الاستاذ فيها المرحوم عثمان باشا غالب وله بحوث هامة واكتشافات تعدت دائرة الطب إلى دائرة الزراعة، فاكتشف دودة القطن وغيرها وبعد ان ترك عمله في المدرسة لأسباب لا داعي لذكرها أنشيء في مدرسة الطب لاول مرة كرسياً لعلم الديدان الطفيلية وهو من أقدم الكراسي في العالم في هذا العلم ويرجع تاريخه الى سنة ١٨٩٦ وقد شغله اذ ذاك العالم العالمي المرحوم الاستاذ ارثر لوس الالماني وإبان قيامه بالعمل اكتشف جملة اكتشافات تعد في الدرجة الأولى في أمراض البلاد الحارة وعلم الطفيليات فهو الذي اكتشف ان عدوى الانكلستوما تصل الى الانسان بطريق الجلد مما كان موضع الدهشة في العالم كله ووجد فيما بعد ان هذا طريق عدوى كثير من الطفيليات مثل البلهارسيا وقد الغي هذا الكرسي التاريخي عند اعلان الحرب العالمية نظراً الى جنسية الاستاذ لوس وترك شاغراً يقوم بالتدريس

---

(١) اذاعة دار في ٩ فبراير ١٩٣٧ عن « معاهد العلم العالي » في مصر

فيه بين آونة وأخرى أشخاص بعد رن لمدد قصيرة من الجيش البريطاني، ومن وزارة الزراعة وبعد الحرب ألحق قسم الطفيليات بقسم الباثولوجيا حيناً من الزمن وبعدئذ انتدب له الأستاذ الحالي (الدكتور خليل بك) من الخارج وبعدئذ ضم عند تعيين الدكتور خليل بك أستاذاً لعلم الحياة الى هذا القسم أي ان الحالة صارت الى ما كانت عليه أيام المرحوم عثمان باشا غالب وظل الأمر كذلك الى ان انشئت الجامعة وحوّل قسم الحياة الى كلية العلوم، فصار قسم الطفيليات قسماً مستقلاً الى الوقت الحاضر

— ما هي أهم النتائج العلمية لقسم الطفيليات في عهده الجامعي؟

كان من نتيجة انشاء قسم الطفيليات في العهد الجامعي ان ابتدىء بتدريب عدد من الشبان النابهين في الفروع المختلفة في علم الطفيليات وهي في الوقت الحالي ستة اقسام والسياسة الجامعية ترمي الآن الى وجوب ايجاد باحثين من الاخصائيين في كل قسم منها وهذه الأقسام هي

١ — علم الطفيليات ذات الخلية الواحدة (البروتوزوى)

٢ — علم الحشرات الطبية

٣ — الديدان — النيماتودا

٤ — الديدان الشريطية

٥ — الديدان الخيطية

٦ — الفطريات التي تصيب الانسان

وقد قام كل واحد من الاخصائيين في هذه الأقسام المختلفة بعمل أبحاث وابداء واسع جداً في مصر لمجهوداتهم ومجهودات الآخرين ومن الصعب حصر جميع المؤلفات والرسائل العلمية التي نشرت في العهد الأخير في مجالات مثل ... ولكن اهم الاكتشافات من وجهة العلاج ومقاومة الامراض الطفيلية في مصر هي ما يلي

١ — علاج البلهارسيا بالمركب الجديد «الفؤادين» الذي كان نتيجة أبحاث مشتركة بين اطباء قسم الطفيليات ... ومعهد الأبحاث ووزارة الصحة الذي ... الطفيليات ايضاً — والاخصائيين الكيمائيين في معامل باير بألمانيا وقد استمرت هذه الأبحاث ... سنوات

٢ — ادخال سمك الجمبوزيا الى مصر لمقاومة انتشار الملاريا وهذا السمك موطنه الاصلي اميركا الوسطى ونقل الى اسبانيا وايطاليا لهذا الغرض وأمكن ادخاله وتربيته واكثاره في مصر من سنة ١٩٢٦ ولا يزال مستعملاً وقد أصاب استعماله نجاحاً وافراً من النجاح

٣ — اكتشاف البعوض الناقل للملاريا وداء الفيل في مصر وتحديد نوعه واماكن توالده وبذلك أمكن مقاومته

٤ — اكتشاف تاريخ حياة الدودة التي تصيب الانسان في الامعاء وتسبب نوعاً من الاسهال او الدوسنطاريا اسمها ( هتروفس — هتروفيس ) وقد كانت هذه نتيجة ابحاث مستمرة استغرقت عشر سنوات

٥ — اكتشاف مناطق في القطر المصري موبوءة بالقرحة الشرقية ، ( اللشمانيا ) وتقرير الطريقة الحديثة ، في العلاج

٦ — ادخال علاج الانكلستوما برابع كلورور الكربون في القطر المصري ووضع التعليمات وتقرير الجرعات اللازمة لذلك

— هل للعمل في قسم الطفيليات صلة بالمشروعات التي ترمي الى اصلاح حال الفلاح في القرى المصرية ؟

— قد روعي منذ بدء العمل في قسم الطفيليات بكلية الطب في مصر عدم الاقتصار على المسائل النظرية البحتة كما يعمل في بعض المعاهد في البلاد الأخرى بل انتهزت الفرص في كل وقت للاستفادة من الابحاث العلمية البحتة، وتطبيقها والانتفاع بها، في المعالجة ومنع الامراض وسبب ذلك ان الابحاث وتطبيقها في جميع فروع الطب متيسرة وتدور بكفاءة ممتازة واستعداد عظيم في كثير من الامم الاوربية والاعتماد في مثل بلادنا هو على الاستفادة من النتائج التي يتوصل الباحثون اليها في الخارج

ولكن الامراض المتوطنة في مصر ليست موضع اهتمام كبير في البلاد الاوربية ولا ينفق عليها من الاموال كل ما تحتاج اليه ولا ينشأ لها من المعاهد ما يناسب اثرها في البلاد الحارة والذي يقوم بمثل هذه الاعمال هي البلاد ذات المستعمرات التي تنتشر فيها بعض هذه الامراض ولذلك كان من الواجب علينا في مصر أن نقوم بعمل الابحاث اللازمة للتخلص من الامراض المتوطنة في البلاد المصرية خصوصاً وان للعوامل المحلية تأثيراً عظيماً في انتشارها وتوطنها وأثرها في [illegible] السكان كفاءتهم العقلية والبدنية وهذا الواجب لا يمكن ان يقوم به إلا مصريون [illegible] جهودهم [illegible] هذا العمل وهو ما نرجو أن نكون قد وفقنا اليه بعض التوفيق في قسم الطفيليات بكلية الطب ومعهد الابحاث في وزارة الصحة

وهذه الابحاث [illegible] تنظر الى طبيعة العلل في القرى ودراسة جميع العوامل المحلية التي تساعد على انتشارها ومن طرق الاصلاح ولذلك ننشر من وقت وآخر آراءنا في مقاومة هذه الامراض في القرى المصرية ووجه الاصلاح في نفس القرى خصوصاً من وجهة توفير الماء الصالحة للشرب والتخلص من الفضلات الخ لأن هذه هي العوامل ذات الأثر الاول في انتشار امراض الطفيليات

# دار الكتب المصرية

## حديث الدكتور منصور فهمي بك

مدير دار الكتب

---

١ — ما هي أهم الاعمال التي توجه اليها دار الكتب العامة في مصر ؟

يبدو لي ان أول مهمة لدار الكتب المصرية ان تعمل جهدها لحفظ تاريخ البلاد ، بحفظ جميع الكتب والوثائق الخاصة به ، وكل ما يتصل بمصر وما يمت اليها ، وعلى الأخص ما يصلها بتاريخها العربي ، وبما يناسب مقامها الخاص كزعيمة للعروبة بين اقطارها وباحياء الآداب العربية ونشر موسوعاتها

والمهمة الثانية للدار ان تهيء جوًّا للبحث العلمي الخاص بحياة البلاد الاجتماعية وتاريخها الأدبي لكي يتسنم منه شباب الباحثين المصريين

والمهمة الثالثة هي ان تنظم الصلات العلمية بين المحيط الفكري في مصر وبين المحيط الفكري في البلدان الاخرى وتكون الدار طريق اتصال بين البحاث المصريين ، ونظرائهم من الاجانب

وقد بدأ هذا الاتصال يتحقق ، فان الكثيرين من علماء العرب والمستشرقين يغشون دار الكتب للتزود بمعلومات شتى في التاريخ والادب وغيرهما ، لانهم يرون في دار الكتب المصرية اغنى مكتبة من نوعها في الشرق

وقد شجعنا بوالي امال هؤلاء العلماء ... الرابط الفكري المنشود بين البحاث المصريين ، والاوربيين

وزيادة على ذلك فان مصر تعد من أغنى بلاد العالم بوجود الأجانب فيها من شتى الاجناس وشتى الطبقات وهؤلاء الاجانب المحليون ، في حاجة الى تثقيف انفسهم بالاقبال على الكتب المختلفة المحفوظة في الدار ولا شك ، انه بتيسير سبل التثقيف العام لهم في بلادنا ننشيء لهم نوعاً من الوطن الفكري فيشعرون نحونا بشيء من عرفان الجميل وقد نستغل هذه الحالة ، فننشيء في بلادنا المضياف نوعاً من التآلف والتآخي بين المثقف الاجنبي المحلي ، وبين المثقف المصري ، وفي هذا مايحقق لنا لوناً من ألوان الرابط الانساني المنشود

وكل ما قدمت تسابر مهمة الدار العامه ، وهي نشر أنواع الثقافات اشتى المعريات والاساليب بين المصريين كافه ، وهم يعلمون الآن ، وسيأ كدون غداً ان القراءة الحديه الميسرة هي الحامعه العظمى الحالبه من كل قيد الا قيد الرغبه ، وان الرغبة في القراءة الصالحه تخرج حتماً ناضجاً موفور الاحساس بنفسه وبجماعته

ولست أشك ان هذا الاتجاه الذي توجه اليه دار الكتب ، يحتاج الى مزيد العنايه بالدار نفسها ، وهي بحاجه ، الى بناء يتسق وهذه المهام المتعددة ، ويحتاج الى مال ينفق في سخاء للحصول على الوثائق والكتب وغير ذلك مما تصور جانبا الفكريه والاجتماعيه في ماضي مصر وحاضرها

وأملي وطيد في ان تقدر الامه والحكومة معاً ضرورة هذه العنايه الواجبه

***

٢ — يقال ان المتعلمين المصريين اليوم اقل اقبالاً على القراءة الحديه من غيرهم في الامم الاخرى فما هو رأيكم في هذا القول وما هي أهم الفوارق بين الشباب المثقف الآن ، والشباب المصري الذي كان يعيش قبل ربع قرن ؟

— دلت خبرتي على ان اكثر الشباب المحدثين في مصر، وفي غيرها ، يميلون الى القراءات السهلة البسيطه ، ويغرمون بالمجلات والصحف الماجنه

ولعلّ بعض اصحاب الصحف انفسهم كانوا عاملا كبيراً في ذلك لدأبهم على استغلال حب الفكاهه الغريزي في الانسان ومحاولة تحويل الآراء والافكار الى فكاهات وعلى ذلك قد تعوّد الشباب الحاضر قلة الصبر عند القراءات الميسرة الجديه

اما في مصر فأظن ان علماءنا وكتابنا لم يوفقوا توفيقاً كبيراً في جذب الجمهور المثقف الى المستوى المنشود من العمق ، وكم كنت اتمنى ان تكثر عدد الكتّاب الذين تتوفر فيهم الدقه في الكتابه ، والثروه في التفكير الشخصي ، وحسن البيان

واني ألاحظ ان كتّاب الجيل الماضي الذين قضوا وأذكر على سبيل التمثيل قاسم امين ، ومحمد عبده ، وفرح انطون ، وشميل ، والبارجي ، وصرّوف ، والبستاني ، وزيدان ، والكواكبي ، واحمد فارس ، والحصري ، وحفني ناصف ، والسيد البكري ، وابراهيم المويلحي ، ومحمد المويلحي ، وحمزه فتح الله ، وحسن توفيق ، وغيرهم رحمهم الله ، كانوا اساتذة لجيل جاء من الشبان ، لم يلههم زخرف الحياة الاجتماعية من سينما ورياضه وحياة سياسية مورعه ، عن التوفر

على القراءة والدرس الجدي، فسح عن اساتذة هؤلاء الكتاب جيل هو الذي نعيش اليوم متجاوزاً مرحلة الشباب وهذا الجيل نشرف على جيل جديد لم يستقر قراره الثقافي بعد ولم يتجه وجهة معقولة ففريق منه يؤمن بالغرب ايماناً شديداً، ويبرع الى التجديد دون احتياط، وفريق يؤمن بالقديم ويود ان يفني فيه

واني أرى ان أولئك، وهؤلاء اي انصار الغرب بكل ما فيه، وانصار القديم بكل ما فيه، يسرفون على انفسهم وعلى من يتصل بهم من العسير، بل من المستحيل أن تتحول البيئة المصرية الى بيئة اوربية، تتجاهل ماضيها الثقافي ومن المستحيل ايضاً ان تعيش مصر في ثقافة القديم الذي طواه الزمن

اما ما هو الطريق الذي ينبغي ان نسلك، وان يكون قبلة للجيل الجديد، فهذا ما لا سبيل الى وصفه او تحديده الآن تحديداً دقيقاً لأن الحالة وحدها هي التي تشمه والحاجات الاجتماعية للامة هي التي تعده على اني ارجو ان يكون للجيل الناشيء من اساتذة ثقافة تعدهم الطراوة والابتكار القائم على الشعور بالشخصية وعلى النقد الصادق والتقدير الصحيح لكل ما في الثقافتين القديمة والحديثة من شرّ او خير

ثم اني بعد ما قدمت أعود الى دار الكتب وأقول انه من حق الخدمات العلمية الخالصة التي تطمع الدار في تحقيقها ان توفر لها ولرجالها الادوات اللازمة، والحق المهم باعداد الامكنة التي تصلح لايواء العلماء والباحثين، وتيسير سبيل البحث لهم

ولا نريد، اذا ما سرنا شوطاً بعيداً، في تحقيق هذه الغايات، ان تكون العاصمة وحدها هي مستقر هذه الجهود النشيطة، بل نطمع في ان يسري نشاط الدار الكبرى من القاهرة الى الاقاليم، فتصل من حياتها حياة في المكتبات الاقليمية تخدم قضية الثقافة العامة، وتحبب هؤلاء الساكنين بالمدن الصغيرة في القراءة وقد ييسر هذا توحيد الاشراف على دور الكتب وربط بعضها ببعض

***

وانه ليروقني على ذكر نشر المكتبات وحسن الاشراف على مهامها ان أوجه النظر الى ان اتجاه التربية الحديثة في البلاد التي نهتدي بها يشعر بالعناية بأمر التثقيف والتعليم عن طريق المكتبات وأظن انه سيكون لهذا السبيل شأنه في المستقبل القريب ولذلك لا أغالي اذا كنت ألح في طلب العناية بأمر المكتبات عناية تظهر في حسن الاشراف وحسن تخير الكتب وتيسير ما يحدث أثراً صالحاً في القراءة الراقية وهو ما تعمل له الآن دار الكتب بعناية الله تعالى ومعونة أولي الامر

# دار العلوم

## حديث صادق جوهر بك

### ناظر مدرسة دار العلوم

••

### الأسئلة

١ — نريد معرفة ملخص سريع عن تاريخ دار العلوم العليا منذ نشأتها حتى الآن ، مع بيان عدد طلابها ، ومتخرجيها

٢ — هل اتصل معهدكم بمعاهد الدراسات الشرقية في الشرق والغرب ، وما هو نوع هذا الاتصال

٣ — ما هو سر النضال بين الأزهر والجامعة المصرية ودار العلوم ، وإلامَ ينتهي ؟

٤ — ما هي النتائج العلمية والأدبية التي وصل اليها معهدكم خلال دراساته الطويلة ؟

***

تلك هي الأسئلة التي وجهها الينا «المقتطف» ، ونحن نشكر لهُ في شخص محرره عنايته بتدوين تاريخ المعاهد العالية المصرية ، وما أشد حاجة الناس اليها في هذا الوقت ، وهي فكرة حميدة

ولعلّ أهم الأسئلة بعد السؤال الأول - هو السؤال الرابع ، وما كان أغنانا عن الخوض فيهِ لبداهتهِ ، لولا رغبة المحرر في استجماع المواد التي سبق نشرها عن المعاهد الأخرى بالمجلة

وها نحن أولاء نذكر شيئاً عن الأسئلة الأربعة

— ١ —

﴿ دار العلوم ﴾ اسم أطلقهُ المرحوم علي مبارك باشا مدير « ديوان المدارس » في عهد المغفور لهُ الخديو اسماعيل باشا سنة ١٨٧١ على المدرج « الاهيار » [?] بسراي درب الجماميز الذي كان يحتفل فيهِ بالامتحانات السنوية امام سمو الخديوي أو نائبه ترغيباً في طلب العلم وتنشيطاً للمتعلمين إذ ذاك

رأى — رحمهُ الله — أن يشغل هذا المدرج فيه أيام السنة بالقاء دروس عالية عامة على طلبة الفرق العالية بمدارس الهندسة والحقوق والمساحة

ونظراً لما تجدد من المكاتب الأهلية « المدارس » وحاجتها الى معلمين ذوي كفاية للقيام بوظائفهم — فكَّر في انتقاء فرقة منتخبة من طلبة الأزهر الشريف تعيَّن لهم مدرسون للتدريس في هذا المكان المسمى « دار العلوم »

ويقال ان الغرض الذي رمى اليه المرحوم علي مبارك باشا من إنشاء دار العلوم والعناية بها ، هو تقريب مسافة الخلف بين معلمي اللغة العربية في المدارس وهم من الازهر الشريف ، وزملائهم من مدرسي الجغرافيا والكيمياء وغيرها

فأراد أن يتزود الفريق الأول من العلوم الكونية ما يبعده عن المغالاة والحرج في العقائد ، وما يساعده على أداء مهمته ومزاولة عمله على الوجه المرضي ، وقد تم له ما أراد

وصار العمل بذلك سنة ١٨٧٢ حيث انتخب من الطلبة اثنين وثلاثين طالباً شكلت المدرسة منهم ومن خمسة من المدرسين كان من بينهم ثلاثة من مشهوري علماء الازهر الشريف ووضعت المدرسة تحت ملاحظة المرحوم حامد بياري افندي وكان معاوناً بدار الكتب المجاورة لدار العلوم

وبذلك تكون دار العلوم أول مدرسة بمصر أنشئت لتخريج المعلمين

لم يكن للمدرسة يوم انشائها مكان إلاّ تلك الردهة المدرجة التي كانت تسمى « دار العلوم » وبقيت بها حتى انقسمت الى فصول دراسية سنة ١٨٧٤ فنقلت الى الجانب القبلي من سراي درب الجماميز ثم نقلت من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٨٣ الى درب الجنينة ثم عادت الى درب الجماميز حتى سنة ١٨٩٧

وفي أول اكتوبر سنة ١٨٩٧ نقلت الى بعض حجرات من الجانب الشمالي بمدرسة المبتديان « الناصرية » وكانت في المكان الذي به المدرسة السنية الآن

وفي سنة ١٩٠٠ شيد لها بناء مخصوص من طبقة واحدة في مكانها الحالي من حي المنيرة وكان يحيط به أراضٍ زراعية وبساتين فنقلت اليه من أول اكتوبر سنة ١٩٠١ وفي سنة ١٩٠٤ بني فوقها طبقة ثانية توسعاً لنطاق أعمال المدرسة، ولما أنشئت بجهة الإنشاء أنشئت مجهز نهاسة ١٩٢ احتاج الامر الى توسيع بنائها فأضيف اليه جزء عظيم حوى مطعماً ومطبخاً وثلاثة مدرجات في الجزء الشمالي الشرقي خلفها

وقد بقي اسم « دار العلوم » علماً على تلك المدرسة من وقت افتتاحها حتى اول مارس سنة ١٨٩٥ حيث سميت « مدرسة المعلمين الناصرية » وأسندت إدارتها الى حضرة امين بك « باشا » سامي واستمرت بهذا الاسم حتى سنة ١٩٠٢ وهي السنة التي أنشئت فيها الجمهرية فعاد اليها الاسم القديم « دار العلوم »

وقد أخذت المدرسة تسير في طريق الرقي الطبيعي حتى وصلت الى ما هي عليه الآن ، إذ أصبحت تضم بين جدرانها من الطلاب ٤٥٧ طالباً ومن المدرسين ٣٨ مدرساً ولها ناظر ووكيل وضابطان وكاتبان

وقد بلغ عدد المتخرجين فيها حتى آخر العام الماضي ٢٤٣٥ منهم ١٤٣ تخرجوا في سنة ٣٥ — ٣٦

اما المواد الدراسية فكانت دعامتها العلوم الشرعة والعلوم العربيه وفنون الأدب وعلوم التربيه مع بعض المواد الضرورية لثقف المعلم كالعلوم الرياضة والطبيعة والاجتماعيه مضافاً اليها لغة أجنبية « التركية او الفرنسية او الانكليزية » ومن تعليم اللغة الاجنبية أخيراً اختياريًّا وأوله إجباريًّا وقدحدفت الرياضه منها بعد انشاء الجمهرية واضيفت اليها اللغات السامية

واما الاساتذة الذين تولوا تدريس المواد المختلفة فكانوا من أشهر اقطاب العلم والادب في مصر، نذكر منهم الفيلسوف الكبير المغفور له الشيخ حسن الطويل والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده والاديب المعروف الشيخ حسين المرصفي واللغوي الشهير الشيخ حمزه فتح اللهوالاستاذ اسماعيل بك رأفت في التاريخ والجغرافيا الخ الخ وجمهرة أساتذتها الآن ممن تخرجوا فيها

وقد استمر اختيار طلابها من طلبة الأزهر الشريف بامتحان يعقد لهم عند الدخول، حتى انشئت تجهيزيه دار العلوم سنة ١٩٢ لتغذيتها، وحصلت أول فرقة منها على شهادة الدراسة الثانوية « قسم ثان » سنة ١٩٢٤ فكونت القسم العالي من السنة المكتبية ١٩٢٤ — ١٩٢٥

واستمر العمل على ذلك حتى بدء السنة الدراسيه الحاضرة ١٩٣٦ — ١٩٣٧ حيث أُتيح لحمله الشهادة الثانوية بالجامعه الازهرية ان يلتحقوا بها وذلك بعد الغاء التجهيزيه للمرة الاخيرة سنة ١٩٣٥

ومما تجب الاشارة اليه ان فريقاً ممن أتموا الدراسة بمدرسة القضاء الشرعي طلبوا ان يدخلوا امتحان « دار العلوم » للحصول على « المعادله » في العلوم التي لم يدرسوها فقبل طلبهم وادوا الامتحان سنه ١٩٢٥ وسنه ١٩٢٦ وما بعدها كما ان كثيراً من طلبه المدرسه المذكورة قد ألحق بالدار بنظام خاص

وفي سنه ١٩٢٤ انشيء بالمدرسه قسم مؤقت من حاملي عالمية الازهر الشريف بجانب الاقسام الأخرى بالمدرسه

ومما يجدر ذكره انهُ يوجد الآن بين طلاب المدرسة نحو ٥٠ طالباً من الاقطار الاسلاميه المختلفة يعنى بالأشراف عليهم أستاذ من أساتذة الدار

وقد حصل على اجازة التدريس في السنوات الثلاث الأخيرة من هؤلاء الطلبة ٢٦ طالباً منهم عشرة فلسطينيون، وسوري، وأردني، وحضرمي، وسبعه عراقيون، وسومطرتان، وملايوي، وطرابلسي، وتونسي، ومراكشي

هذا وترمي الدار ان تسن للدراسة خطة جديدة تساير النهضه القائمة الآن وترمي الى توسيع افق الطلبه في الثقافه العلميه وتوجيههم في الفرق النهائية الى التخصص في اللغه العربية

وعلوم التربية ، وسيكون أساس هذه الخطة جعل مدة الدراسة خمس سنوات بدلاً من اربع مع العناية بدراسة لغة أجنبية دراسة اجبارية

— ٢ —

قد كان لهذا المعهد اتصال بأشهر معاهد الدراسات الشرقية في اوربا ممن كان يختار من خريجيه لتدريس اللغة العربية فى تلك المعاهد نذكر منها جامعات اكسفورد وكمبردج ومانشستر، ومدارس اللغات الشرقية ببرلين ولندن وباريس الخ الخ

وقد اتصل هؤلاء الاساتذة بالمستشرقين هناك وكان من نتائج ذلك ان نقلوا الينا بعض أساليب هؤلاء المستشرقين في مباحثهم ، وبخاصة تأليف الادب العربي وتدريسه

وأول من نقل الى العالم العربي بعض هذه الاساليب المغفور له حسن توفيق العدل افندي وكان مندوباً لتدريس اللغة العربية بجامعة برلين ، فنقل طريقة الاستاذ بروكلمان في تأليف الأدب العربي عصراً عصراً ، بالطريقة التي يدرس بها الآن ، وله الفضل الاول في سن هذه الطريقة على جميع أساتذة الادب العربي وهو ايضاً أول من ألف في تاريخ الادب على هذا النحو وقد درس كتابه في مدرسة دار العلوم ، وسار على سنته استاذ الادب العربي في الدار المرحوم الشيخ محمد المهدي والشيخ احمد على الاسكندري ومن جاراهما

وكان لاتصال خريجي الدار بالمعاهد الاوربية ، وبكبار المربين في اوربا ، أثر آخر في فنون التربية ، من هؤلاء المرحومون محمد نصار بك ، والشيخ شاويش بك ، وحسن توفيق افندي وغيرهم ، ممن نقلوا الى اللغة العربية كتباً في فنون التربية الحديثة ، فمهدوا اساساً لنهضة هذه العلوم الآن

— ٣ —

اما سر اتصال العالم الآن بين دار العلوم والازهر وكلية الآداب بالجامعة المصرية ، فهو ما نظهر لنا فى إنشاء هذه النهضة الحديثة ، من الرغبة في تعرف كل منهم من هذه المعاهد بين غيره ، والمزاحمة في الحياة الفكرية والاجتماعية ، هنالك من ضيق المجال في الحصول على وسائل العيش ، واحتلال المكان الاول في قيادة النهضة الادبية وهذا الاتصال اتصال شريف ، يبشر بحياة جديدة علمية أدبية ستتولاها بلا شك الناشئون من خريجي هذه المعاهد

وسيدهي هذا التنافس بأن يثبت في الميدان المعهد الجدير بالبقاء ، لمآثره وإنتاجه العقلي ، ورسوخ قدمه ، وطول بلائه فى اداء رسالته « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض »

— ٤ —

لا ينكر أحد ما لدار العلوم من الآثار والانتاج في مناحي الحياة الادبية والعلمية في مصر والشرق العربي ومن أهم ذلك ما يأتي —

١ — قام خريجو دار العلوم بأعباء تدريس اللغة العربية وآدابها والعلوم التي يدور عليها الثقافة العربية في معاهد التعليم على اختلاف طبقاتها زهاء ستين عاماً ، فهي التي نهضت بتعليم اللغة قواعدها وأدبها، وهدت نواحي كثيرة من الكتابة ولغة التخاطب ، وقضت على اللهجات العامية والالفاظ الدخيلة التي كانت مسيطرة على ألسنة الكتّاب والخطباء في كل ناحية من نواحي الحياة العملية ، وهيأت الكتاب في الصحف اليومية والمجلات الادبية والقضاة والمحامين ورجال السياسة وغيرهم لأن يعبروا عن أغراضهم بعبارات عربية صحيحة او قريبة من الفصيحة ، وثقفت عقول التلاميذ والطلاب حتى اصبحت أحاديثهم العامية مفطورة بفصيح الكلام العربي ولولا أساتذة اللغة العربية الذين بذلوا جهودهم وحياتهم في القيام بهذا الواجب لما وصل آدباؤنا وعلماؤنا وسائر المشتغلين بالعلوم والفنون منا الى ما وصلوا اليه من اجادة التأليف والترجمة

٢ — قد اشترك خريجو هذه المدرسة في القيام بنشر الثقافة الادبية وبتدريس فنون اللغة في المعاهد الكبرى كالجامعة الازهرية والجامعة المصرية ولا يزالون إلى الآن عماد التدريس في هاتين الجامعتين واليهم يرجع في كل ما يحتاج اليه من مساعدة في نشر الثقافة العربية وبخاصة الأدب

٣ — شغل كثير من خريجي دار العلوم المراكز الخاصة في مصالح الحكومة وغيرها ، فكان منهم القضاة الأهليون والمحامون المبرزون في القضاء الاهلي والشرعي والمدرسون لعلوم الشريعة المبتكرون لأساليب التدريس الحديث في الفقه الاسلامي بمعهدي الحقوق والقضاء الشرعي ، ولا ينكر احد فضل المغفور له الشيخ محمد زيد بك استاذ القضاة في المحاكم الاهلية وكونه سبق في وضع المؤلفات الحديثة التي سهلت طرق تدريس الشريعة الاسلامية كما لا ينكر احد فضل الاساتذة الاجلاء محمد سلامة بك وأحمد ابي الفتح بك والشيخ احمد ابراهيم بك في تدريس الشريعة ووضع المؤلفات النفيسة فيها

٤ — أما الانتاج العلمي في المؤلفات والمباحث العلمية والادبية عدا ما تقدم فكثير جداً ولهذه الانتاج إحدى خصائص ثلاث

الاولى أنهُ أول انتاج في اللغة العربية في مواد لم تكن معروفة
ومن أمثلته كتب المرحوم حسن توفيق في الادب والتربية

وكتاب المرحوم محمد نصار ىك في التربية وعلم النفس
وكتب المرحوم الشيخ شاوىش ىك في التربية
الثانية تيسير تناول بعض انواع العلوم بوضعها في اسلوب حديث يلائم روح العصر والحاجة القائمه
ومن أمثلتهِ
كتب القواعد للمدارس الابتدائية والثانوية للاساتذة حفني ىك ناصف ورفقائهِ وتعتبر هذه الكتب أول خطوة نحو تيسير تناول القواعد واستساغتها لتلاميذ المدارس وطلابها وقد تلتها كتب أخرى حديثة قوامها خريجو « دار العلوم »
وكتابا شذا العرف في علم الصرف وزهر الربيع في علوم البلاغة للمرحوم الشيخ احمد الحملاوي
وكتب المنطق والاصول للمرحوم سلطان ىك محمد
وللاستاذ الشيخ طنطاوى جوهري أثر جليل في تفسير القرآن الكريم ، وكتاب في فلسفة الشريعه الاسلاميه
وللخضرى ىك مؤلف قيم فى تاريخ التشريع الاسلامي
وكتب الادب العربى للاستاذ الكبير الشيخ احمد الاسكندري وكتب فقه اللغة لهُ أيضاً
وفقه اللغه المصور للاستاذ محمد عبد الجواد من أساتذة الدار
ودار العلوم أول من وضع منهجاً لدراسة فقه اللغة فى مصر
الثالثه وصل النظريات الحديثه بالمذاهب القديمه في بعض العلوم كما فعل المرحوم الشيخ شريف ىك في كتابهِ علم النفس ، وكما فعل الاستاذان احمد عبد ... الدين و ... حسين عبد الرازق فى كتب المنطق ، ولهما الفضل في وصل المنطق الحديث بالمنطق القديم
وللدكتور احمد ضيف كتاب « بلاغه العرب في الاندلس » وهو مثال للتفكير الادبي الحديث الناضج وهو أول من قرن الادب العربى بالادب الغربى في تأليفهِ وتدريسهِ

***

أما إذا ذكر الشعر فان « دار العلوم » عشه وبه رجالها وان من أبنائها من يعتبر في طليعه الشعراء وناشري دون الشعر قديمها وحديثها ، من هؤلاء المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب شاعر البادية والاستاذ على الجارم ىك وكثير غيرهم من أساتذة الدار وطلابها

# معهد التربية

## حديث أمين سامي حسونة بك
### ناظر معهد التربية

في الصيف سافرت الى انجلترا للاشتراك في مؤتمر التربية الدولي ، ومشاهدة المباحث المتعددة التي تعمل فيها شعبه المختلفة وقد عدت من انجلترا وانا مقتنع كل الاقتناع بأن معهد التربية المصري لا يقل في مستواه عن ارقى المعاهد المناظرة له في العالم وسترى ،عندما تبسط نظام معهدنا ، انه يسير في كل نظمه وفق آخر ما وصل اليه علماء التربيه في مؤتمرهم الاخير

ينقسم الدراسات في معهدنا الى قسمين ابتدائي ، وثانوي ويلتحق بالاول منهما الطلاب الحاصلون على شهادة الدراسة الثانويه ، ويلتحق بالثاني الطلاب الحاصلون على درجه بكالوريوس في الآداب او العلوم وليس الحصول على هذه الاجازات العلميه هو الشرط الوحيد للانتظام في المعهد ، بل هناك امتحانان يجتازهما الطالب اولهما الكشف على الصحة العامه كشفاً دقيقاً ، وثانيهما ما نسميه امتحان الهيئه ، تتولى فيه لجنة مكونة من ناظر المعهد ووكيله واستاذ التربيه الطبية واستاذ التربية الاجتماعيه واحد مدرسي العلوم واحد مدرسي الآداب ، اختبار المستوى الفكري العام للطلبه المتقدمين ، ومحاولة تقدير عنصر الشخصيه في كل منهم وتتسع معهدنا الآن لمائة وستين طالباً ، يقضي طلاب القسم الابتدائي ثلاث سنوات قبل تخرجهم ويقضي طلاب القسم الثاني سنتين وقد وجدت في انجلترا ان حاملي شهادة البكالوريوس يقضون عاماً على الاقل في المعهد اما طلاب القسم الابتدائي فان مرحله دراستهم تستمر أربعة اعوام ونحن نرجو أن نصل الى ذلك ابدا ، فهم هناك يختارون المدرس الثانوي من حاملي اجازة الماجستير على الاقل ، ويمكثون في المعهد عاماً ونصف عام الدرس ويوضعون تحت التمرين مدة نصف سنه

يدخل الطلاب معهدنا ، لا لنحشو أذهانهم بالعلوم النظرية ، والدراسات المعقدة في الكتب ، بل لنكون منهم رجال اجتماع وان كل شيء ، يعتمد الفرد في معلوماته على تجاربه ومشاهداته الخاصة ، ليكمل بها ما يقرؤه في الكتب فهو يمارس الرياضه البدنية على أوسع نطاق ، يلعب كرة القدم والهوكي وكرة السله والبادمنتون وألعاب القوى والسبح والتجديف ويلعب بالألعاب السويدية ولا نفرض هذه الألعاب على الطلاب فرضاً ، بل نأخذ منها كل طالب ما يوافق تكوينه الجسمي ، اذ الغايه منها القيام بتمرينات علاجيه Corrective exercises ، تصلح عيوب البدن ، وتقوم نواحيه الضعيفة ونقطع ظهر الاثنين من كل أسبوع ينتقل طلاب المعهد إلى ملعب كبير تجري فيه أنواع التمرينات والمباريات على أحدث الطرق

ثم انا نعنى عناية كبيرة بالحياه الكشفية فلدينا ١٣٠ جوالاً من ١٧٠ هو عدد طلاب المعهد

وإلى جانب الرياضة البدنية والعناية بها، تمهد للطالب السبيل لتكوين ثقافة الاجتماعية، ولا سيما ما يتعلق منها بالطفولة فهو يزور مثلاً مستشفى المجاذيب ومراكز رعاية الطفل وإصلاحية الاحداث، ويقف على نظامها ويدوّن مشاهداته وخواطره وهو يزور معالم البلاد الصناعية والتاريخية والعمرانية لاننا لا نحب أن يقوم مدرس بالتحدث لطلابه عن قنال السويس، وهو لم ير طول حياته قنال السويس، أو نشهد الموانيء والعمارات ونعمد الطلبة عقب كل رحلة من رحلاتهم إلى الاطلاع -- بقدر استطاعتهم على ما كتب في موضوع رحلتهم من كتب او تقارير، ثم يدونون خلاصة دقيقة لما رأوا وما علموا، وما لاحظوا

ومن هنا نرى أن « شخصية » المدرس هي أهم ما نعنى بآثاره في طلابنا ونحن نقوم الآن — مثلاً — بدراسة قانون نظام المدارس الحالي وهو قانون قديم يرجع الى اول هذا القرن، ونضع دستور المدرسة الحديثة مسترشدين بتجاربنا، وبآخر ما وصلت اليه النظم الاوربية في هذه الناحية ونعد أن نظهر في طالبنا «شخصية المدرس» التي ذكرناها. نوجه كل قوته إلى حب الطفولة لكي نطوعها دراساته في رضى واقبال فالطفل عندنا مقدم على المادة والطفل هو الذي يكيف نظرية التربية، لا النظرية هي التي تكيف الطفل ولهذا نحن ندرس علم النفس التجريبي دراسة عميقة ونضيف اليه مادة جديدة هي مقاييس الذكاء وقد تمكنا خلال السنوات الخمس الماضية من اجراء مباحث ممهدة في هذه الناحية، وطبقناها على آلاف التلاميذ في جميع مراحل الدراسة، وحصلنا بعد مجهود متواصل على مقاييس دقيقة تصلح لكل سن

وكان توزيع التلاميذ في الفصول يجري قديماً بحسب ترتيب الحروف الابجدية فيجلس التلميذ الموهوب بجانب الشاذ، ويجلس الشاذ بجانب الغبي ويؤدي هذا النظام الى الهبوط بمستوى الدرس الى درجة توافق الضعيف، فيكون النتيجة ان يسئم التلميذ الموهوب اول الامر بدرسه، ويهمل، فيؤدى ويتخلف، ويفقد الثقة بنفسه، وبذا نطوى لمعة ذكائه

اما الآن، وبعد ان اوجدنا النظم التي تمكن بها من تقسيم الاطفال بحسب استعدادهم العقلي. فقد استطعنا ان نوزعهم طوائف متقاربة نفصل كل واحدة منها عن الأخرى، ونلقن كل طائفة من العلم ما يوافقها

وقد تحدثوا في مصر طويلا عن الشذاذ والخيّ المتأخرين في وجوب عمل شيء من اجلهم والحقيقة ان الشذوذ في الاطفال يرجع الى ضعف في العقل، او في الجسم ومن حق الامة على الدولة ان تعنى بهؤلاء الشذاذ فنظام التعليم الاجباري يقضي بان نعلم الجميع ولذا ينبغي ان تكون لدينا مدارس للأعمى والكسيح والأبكم وان يلقن هؤلاء من العلم ما يوافق حالاتهم، مع العناية المبكرة بتقديم العلاج لهم ان كان في الاستطاعة علاجهم لان كثيراً من هذه الحالات

تسعصي على الطب لاهمالها هؤلاء هم الشواذ حساً اما شواذ الذكاء فسعي ان يكون لهم نظام خاص لكي يوجهوا توجيهاً نافعاً، صوب الناحية العملية دون الحياة النظرية وكثيراً، بل غالباً ما تقوى في قليلي الذكاء المقدرة العملية فاذا اهمل هؤلاء ولم تستغل قواهم فان شذوذهم يسمو، والشذوذ عادةً هو موطن الاجرام

وقد دعانا هذا الاتجاه الى انشاء العيادة السيكولوجية في المعهد، ومهمتها البحث في الطفل من جميع نواحيه، ومعرفة نواحي شذوذه، وهل هي راجعة الى العقل او الحس او الخلق ويبحث القائمون بهذه العيادة مثلا في بيئة الطفل، فقد يكون لحياته المنزلية تأثير فيه فتسعى العيادة الى علاج المنزل نفسه ولهذا أوجدنا في العيادة ثلاث سيدات يعملنَ في القسم الاجتماعي من العيادة ويقوم القسم الطبي في العيادة بفحص الطفل فحصاً دقيقاً، ومعرفة تاريخ امراضه، وامراض أسرتهِ، فقد ترجع علتهُ الى وراثة من ابيهِ او امهِ، ثم يقوم المدرس بتقصي نزعات الطفل الخلقية، لمعرفة اتجاهه الفكري وتقدير استعداده وكثيراً ما وجدنا ان شذوذ اطفال يرجع الى شجار منزلي بين الاب والام او الى وفاة او طلاق أحد الابوين او الى معاملة الخدم، او الى نوع الغذاء او ريف المنزل

وفي القسم التجريبي من معهدنا الذي يلحق بهِ الاطفال، وتسمح لنا وزارة المعارف بأن نطبق نظرياتنا عليهم، تجلى فائدة هذه النظم بقوة ووضوح وقد اكملت تجارب العاملين في العيادة السيكولوجية، حتى ليمكن ان نقول انها نشأةٌ في مقدرة رجالها وسيداتها ارقى العيادات العالمية وان كان ينقصها الكثير من الاستعداد العملي

وسأذكر لك على سبيل المثال حالة من الحالات الكثيرة التي تمر علينا في هذا الباب لأحد كبار المصريين ابن، طفل تقدم لامتحان الشهادة الابتدائية ثلاث سنوات متعاقبة وهو يرسب وقد فصل من مدرسته، وأبت المدرسة قوله بحسب قانون المدارس، فأشير على الأب بارساله إلينا فجاءنا الولد، وفحصناه في عيادتنا، وبعد ان عرفنا السبب في تأخيره، بولسناه بالعلاج، ثم تقدم الغلام للامتحان في العام الماضي، فكان أول الناجحين من تلاميذ فصولنا التجريبية

وإذن فمعهدنا يقوم في عمله على الاسس الآتية

أولا — العناية بالجسم ثانياً — العناية بالثقافة العامة ثالثاً — الرحلات والمشاهدات رابعاً — الم[illegible] خامسا — علوم التربية واهمها علم النفس، والتربية التجريبية ومنها مقاييس الذكاء والتربية العامة، وتاريخ التربية وسندخل مادة جديدة هامة في برامجنا وهي التربية المقارنة [illegible] وقد تخرّج في معهدنا حتى الآن ٩٤ مدرساً ثانوياً، و١٢٢ مدرساً ابتدائياً ولكن مما يؤسف له أن المجال في تطبيق دراساتهم لا يزال ضيقاً، لان المدارس تتبع الطرق القديمة ولكن بدو قوة متخرجينا في جميع نواحي النشاط الاجتماعي اينما وجدوا



منذ نحو ثلاثين الى اربعين الف سنة كان البحر الموسط بطائح شاسعة وحراجاً وبحيرات وبراري وكانت حيوانات الفرس البرّي والمموث والجاموس تجوسها قطعاناً وارحالا وكان انسان الكهف في ذلك العصر — كروماعون — طويل القامة كبير الدماغ يصيدها بحيليه البارعة وبذبحها بأدوات مصنوعة من الصوّان ، فيصنع من جلودها أرديه ، ويتخذ من لحمها غذاءً ، ويدوّن انتصاراته عليها في رسوم ينقشها على جدران كهوفه

ثم بعد عشرين الف سنة ، تركت قبائل الاريل وصف حياتها ومعيشتها منقوشة على جدران الكهف المعروف بكهف « ماس داريل » كان الجاموس والمموث قد ارتدّا الى الشمال ، فصرفت قبائل الاريل همها الى قنص قطعان الفرس البري المتناقصة وارحال الأيائل ، بالقوس والنشّاب وكانوا يخيطون جلودها بابر من العظم ، ويصيدون السمك في البحيرات والانهار بصنّارات من العظم ايضاً ، ويبحثون عن خلايا النحل لكي يجوروا بعسلها وكان انسان البحر المتوسط قد تعلّم قبل هذا العهد الملاحة فجعل يطفو على بحيرات مملكته الواسعة ، في زوارق مصنوعة من القصب ومغطاة بالجلود ، وكان قد تعلم اختلاف الفصول فجعل يقبض ويصيد ويبذر في الفصول الملائمة لذلك

ثم من نحو خمسة عشر الف سنة الى اثني عشر الف سنة انشقّ الحائل القائم عند اعمدة هرقل ( مضيق جبل طارق ) والفاصل بين منطقة البحر الموسط والمحيط الاطلنطي ، فتدفقت مياه المحيط شرقاً وغمرت البطائح التي كان المموث يجوسها ، والمراعي التي كان الفرس البرّي يعيش على عشبها ومضت المياهُ في تدفقها وامتدادها ، حتى وقفت عند جبال الاطلس والسيرا نفادا واسناد الالب والبرينيه وسفوح الاسين وسلسلة طورس العظيمة فنشأت عن ذلك شواطىء اليونان

---

(١) صدر من نحو شهرين كتاب انكليزي عنوانه « The Dangerous Sea البحر الخطر او البحر الموسط ومستقبله » للكاتب السياسي الانكليزي جورج سلوكومب ونشرته دار هتشنسن وقد استخلصنا هذا المقال من فصله الاول

المسبه ، وقدم ايطاليا غمرت المياه بلاداً كثيرة فيها الآكام في منطقة بحرايجه فلم يبق من الآكام الا قممها وهي جزائر الارخبيل وعجزت عن ان تغمر جبالاً اخرى ممتدة من الغرب الى الشرق فكانت كورسيكا وسردينيا وصقلية ومالطه وكريت وقبرص وكذلك حددت هذه الامواه المندفعة جانباً حدود القارات الثلاث اوربا وافريقية واسيا

وقدر لشواطيء هذا البحر المتوسط بين ثلاثة قارات ان تصبح ، منشأ وممرًّا لطائفة من اشهر الحضارات في التاريخ المدوَّن ، زهت فيها وعظمت ثم دالت دولاتها ودرست معالمها ، ولم يبق منها الاّ بعض الآثار العجيبة ان اقدمها لعلل في جوف الزمان ، بدأت تسفر عنه الكتابات المسمارية في الالواح التي في بلاد الرافدين واحدثها كانت من سات الامس العابر على الرغم من الى سبه فصلنا عنه الى شواطيء هذا البحر المتوسط ، توافدت جماعات من الغزاة فأنشأت دولة اثر دولة في مصر ، وامبراطورية اثر امبراطوريه في بابل وبينوى فلما حكم حمورابي في بابل كان الفينيقيون الساميون ، قد رسخوا اقدامهم في صور وصيدا وغيرها من الثغور التجارية العظيمة على سواحل هذا البحر الشرقية كانت سفنهم بأسرعها القرمزية ، قد عبرته طولاً وعرضاً بل كان الفينيقيون قد انشأوا مستعمرات في اسبانيا وبلاد الغال وعلى شاطيء افريقيا الشمالي أسسوا المدينة التي اصبحت فيما بعد عاصمة لامبراطورية قرطاجنه ثم اجتازوا بأسرعهم اعمدة هرقل واتجهوا شمالاً يحاذون سواطيء اسبانيا وفرنسا الى سواحل بريطانيا وقبل ان ينقل التجارة اليونانيون والجنود الرومانيون اصول الحضارة الى سواحل هذا البحر الغربية ، كان الفينيقيون قد باعوا سكان تلك السواحل عطوراً وخموراً وأفاويه ، لقاء نحاس اسبانيا وقصدير كورنوال ( مقاطعة بريطانيا الجنوبية )[1]

وليس في التاريخ ، أدلة أقوى على زوال الامبراطوريات ، وتقدم استمرار الحضارة ، من الادلة التي يستخرجها الباحث في تاريخ البحر المتوسط لقد شهدت مياه هذا البحر ، الحضارة الايجيه العظيمة وقد بلغت ذروتها وأوج مجدها في منسي وطروادة ، وفي كنسوس عاصمة الدولة المينوية في كريت حوالي ٢٥ ق م ثم جاء اليونان الآريون فدمروها وشهدت كذلك مفاخر الحضارة المصرية ترتفع وتنخفض ثم ترتفع وتنخفض ثانية هوذا طوائف الغزاة من قلب اسيا ، تؤسس في بلاد الرافدين حضارة عظيمة الشأن ثم لا تلبث ان تلي بطائفة اخرى من الغزاة تغلبها على امرها ، فتدمّر ما بنت ثم تقيم على الانقاض حضارة جديدة فالامبراطورية الاشورية العظيمة ، امتد سلطانها وعظمت شوكتها حتى استطاعت ان تطرد من مصر غزاتها الاثيوبيين،

(١) حدثنا بعض من استخف الشامخين في اثناء الصيف الماضي في انكلترا ، ان بعض البنايات الخاصة بمقاطعة كورنوال لا تزال حتى في بنائها اسمائها بعض الاصول الفينيقية

ولكن لم تلبث حتى سقطت امام جموع المقدونيين والفرس هوت بحر زركايس وعسكره يسلح على اثينا ولكن اسكندر ذي ... اطرو ... على انقاض الجمهوريا ... امد الامبراطورية ... البحر الى المحيط الاطلنطي عرضاً ، المحيط الهندي شرقاً ان مراوئه كثيراً ما اردحمت بالغنائم والاسلاب من اوربه وآسيا ومن موانيه المحشدة ، أقلعت السفن الاولى التي دارت حول رأس الرجاء الصالح ، وشقت الطريق الى العالم الجديد ان تأثير احدث حضاراته القديمة — اي الحضارة اليونانية والرومانية - لا يزال ماثلاً في علمنا وفننا وقانوننا الى يومنا هذا

ولا ننسى ان سواطىء هذا البحر شهدت قيام اعظم ديانتين في تاريخ العالم ، ديانة السيد المسيح ، وديانة النبي الكريم ، بل كثيراً ما كانت سواحله ميداناً للنزاع بينهما ، كأن التاريخ نفسه وقف عن المسير ، منتظراً ما يسفر عنهُ هذا النزاع

***

ان اعظم المعارك البحرية في التاريخ نشبت حتى اوائل القرن العشرين ، في مياه البحر المتوسط او في جوارها ففي سنة ٤٨٠ ق م هزم اسطول زركسيس في خليج سلاميس على ايدي اليونان وفي السنة التالية أجهز هؤلاء على البقية الباقية منهُ في ميكالي ولم تنقض اربع سنوات حتى تغلب اسطول الاسكيين على اليونان في صقلية بل ان النزاع الطويل بين دويلات اليونان وهو المعروف باسم حرب البلوبونيس ( ٤٧١ — ٤٠٤ ق م ) كان في الغالب نزاعاً غرضهُ انتزاع السيادة البحرية من الاسطول الاثيني وما اهلّ نجم الاسكندر ذي القرنين ، وبدأ سيره الظافر شرقاً حتى وجد في مناوأة اساطيل صور وصيداء ، حصناً فنيّاً اخّر زحفهُ على جيوش داريوس الفارسي فلما بدأ النزاع بين قرطاجنه وروما ، وقد كانتا دولتين بحريتين ، احتشد التاريخ البحري ... باحداث الجسام والمعارك الكبيرة ففي سنة ٣١ ق م نشبت اعظم معركة بحرية في العالم القديم هي معركة اكسيوم وفي المياه نفسها ، عند خليج لبانتو نشبت اعظم معركة بحرية في العصور الوسطة ( معركة لبانتو سنة ١٥٧١ ) وقد ظلت هذه المعركة البحرية اعظم المعارك البحرية في الثمانية عشر قرناً من التاريخ المسيحي حتى كانت معركة الطرف الاغر في مستهل القرن التاسع عشر

فقد تبدّد حلم نابليون بانشاء امبراطورية شرقية عظيمة كسحابة صيف ، لانهُ لم يملك أعنة القوّة البحرية في البحر المتوسط ان انتصارات الاميرال نلسن القاهرة ، جعلت قرناً كانت فيه مياه هذا البحر ، مسرحاً للقرصان ولم تر مياه البحر المتوسط معركة بحرية بعد ان نشبت معركة نافارين التي غلبت فيها اساطيل تركيا ومصر ، سنة ١٨٢٧ ، الى ان كانت سنة ١٩١٤ اذ افلت الطرادان الالمانيان

عوبين وبرسلو من اساطيل الحلفاء وحاولتا ان تتحدّى سيادتها عليه

ليس في العالم رقعة من الماء تشبه البحر المتوسط او تقاربهُ في عدد الشعوب المتصلة بتاريخه ان بحرهُ يتلح اليوم، كما كان يتلح في العصور الغوابر، على العربي واليوناني، اليهودي والمصري، الايطالي والصقلي، الاسباني والتركي والفرنسي. ان الرجال والنساء الذين يعيشون على سواحله يكادون يؤلفون طرازاً خاصًا من الناس، لاشتراكهم في بيئة واحدة وغذاء متماثل واعمال ومصالح متشابهة، ولاختلاط دمائهم بعضهم ببعض خلال عصور طويلة

***

جذب البحر المتوسط الغزاة اليهِ من فجر التاريخ، القوط والفاندال من الشمال، والهون من الشرق، والغاليين والفرنك والنورس من الغرب والشمال الاقصى. ولولا فترة قصيرة استولى فيها الانوسون على وادي النيل، لقلنا ان الزنوج وحدهم دون سائر الشعوب امتنعوا عن الانقياد لسحرهِ. منذ فجر التاريخ شقّت مياهَهُ محاذفُ شعوب استمرّت في ركبها وطبيعة بيئتها بواعث الهجرة وحب المغامرة كالفينيقيين واليونان والقرطاجنيين. وقد كان الاتجاه في التجارة والهجرة حتى القرن الماضي، الى الغرب، ولذلك كان مضيق جبل طارق، وهو باب البحار القديم الى المحيط الاطلنطي، هدفاً للمغامرين في ايام اليونان والرومان. فبلدان غال وايبريا (اسبانيا) وسواحل افريقية من قرطاجنة الى المحيط، اغرت الشعوب المزدحمة في شرق البحر، بخصبها وغناها وسعتها

ثم ان مسالك التجارة والادارة والمواصلات الامبراطورية، اتجهت في امبراطوريتي الاسكندر واغسطس شرقاً وغرباً، ولكن في خلال القرون المظلمة التي تلت سقوط روما وبزنطة، اتجه مركز السيادة في البحر المتوسط الى سواحله الشرقية. فبعدأن اتخذت الامبراطورية العثمانية القسطنطينية (الاستانة: استانبول) عاصمة لها، جعلتها مركزاً، سيرت منهُ الجحافل فاكتسحت مصر وفارس والجزيرة وشمال افريقية الى المحيط الاطلنطي. فأصبحت تونس، وهي قرطاجنة القديمة، والجزائر وطنجة ولايات تابعة للسلاطين. وأصبح البحر بحر قرصان. وحاول الصليبيون بين القرن الحادي عشر والخامس عشر ان يردّوا موجة التوسع العثماني المتجهة من الشرق الى الغرب وا كنهم عبثاً حاولوا. ولم يقتصر صد. الدول المسيحية المعروفة المعادية في البر. بل شمل البحر كذلك. فرسان مار يوحنا الاورشلمي، جلوا امام العثمانيين. واحتلوا عكاء ثم رودس. ولم تبق قبرص في ايدي البندقيين الاّ بعد تسليم البندقية للعثمانيين بكثير مما يطلبون

وكذلك كانت الدولة العثمانية في ايام سليمان القانوني، قوة بحرية لا تبارى من سواحل

سوريا الى شواطىء اسبانيا وحاول الامبراطور شارل الخامس ان يخرج القرصان من تونس والجزائر ، فارتدّ خائباً من الجزائر بعد ان اقام في تونس حامية استسلمت للخصم في ملك ابنه فيليب اما جزيرة مالطه التي راجع اليها فرسان ماريوحنا الاورشليمي ، فحوصرت حصاراً طويلاً وكذلك ظلّت سيادة العثمانيين البحرية على البحر المتوسط ، الى أواسط القرن السادس عشر ، بعد ما نشبت معركة لبانتو ، ففازت فيها أساطيل أسبانيا

***

ولو شاءت أسبانيا حينئذٍ او لو عرفت ان تغتنم الفرصة ، لكانت السيادة في البحر المتوسط لها ولكن امراء البحر الاسبانيين ، كانوا شديدي الانشغال ، بعد معركة لبانتو ، بحماية السفن المحمله بكنوز جزائر الهند ، والسفن الناقلة للجنود الى هولندة الاسبانية ، والسفن التجارية الآتية من هولندا الى أسبانيا وشغلهم علاوة على ذلك عزمهم على مناوأة تجارة المملكة البراتت بعد ان وجدوا البحر مسرحاً لما في نفوسهم من حب المغامرة والتوسع كذلك حال الاستعداد للحملة العظمى التي زعم فيليب الثاني ملك أسبانيا في تجريدها على انكلترا ، دون التفاته الى البحر المتوسط فاستغرقت كلّ تفكيره ، واستنفدت معظم مالهِ ، فكأن البحر الذي يغسل شواطىء أسبانيا وايطاليا ، ويؤمن مواصلاته الى جنوى ونابولي وصقلية كان خارجاً عن نطاق تصوّره الحربي ، او نطاق مطامعهِ الواسعه لم يكفهِ ما ورثهُ عن والدهِ من سيطرة وألقاب وصحّى ثمار الانتصارات التي أحرزها اخوه «الدون جون» في البحر المتوسط ، لانهُ كان يطمح الى السيطرة سيطرة روحية وعسكرية على شمال اوربا

ولكن هزيمة اسطولهِ في تلك المعركة البحرية العظيمة عند شواطىء هولنده ، في سنة ١٥٨٨ بعد ما اشتبك اسطولهُ بأسطول المملكة البراتت الانكليزية في معركة الارمادا الاسبانية المشهورة ، بدّد هذا الحلم الجميل ثم تلا ذلك تدمير البقية الباقية من اسطولهِ على شواطىء اسكتلندا وارلندا الجافية ، فأصبحت أعظم دولة بحرية في البحر المتوسط في ذلك العهد ، وهي لا تستطيع ان تشوّ غايتهُ تسمها حشية القرصان ، مع ان ذلك البحر كان في قبضتها لو شاءت

ثم جاء قرنان على هذا البحر ، والسيادة فيهِ ليست لدولة من الدول ذلك ان قوّة الدوله العثمانيه كانت قد ضعفت ومعها قوّة البندقيه ، وأصبح البحر مسرحاً للقرصان وظلّ كذلك الى خاتمه القرن الثامن عشر ، بعد ما ظهر أثر القوّة البحرية الانكليزية في تأمين مواصلاتهِ ، ولكن الاسطول الانكليزي لم يتمّ لهُ السيادة على هذا البحر ، الاّ بعد ما غلب نبوليون على أمرهِ ، وقد ظلّت لهُ هذه السيادة الى عصرنا الحاضر ، ولولا تحدّي ايطاليا لهُ في أواخر سنه ١٩٣٥ لقلنا انها لا تزال لهُ الى يومنا هذا

# الكهارب الموجبة

## او البوزيترونات

### وجائزة نوبل الطبيعية

منحت جائزة نوبل الطبيعية عن سنة ١٩٣٦ للاستاذين هس النمسوي واندرسن الأميركي والسر في الجمع بينهما وقسم الجائزة عليهما ان مباحث الأول أفضت بالثاني الى الكشف عن دقيقة من الدقائق الكهربائية الأساسية في الطبيعة ونعني الكهرب الموجب أو البوزيترون فالأستاذ هس رائد الباحثين في الأشعة الكونية عالجها قبل الحرب الكبرى، ثم توفر عليها بعدها فريق من الباحثين في مقدمتهم العلامة ملكن وكمطن الاميركيان. وكان اندرسن يساعد ملكن في أحد مباحثه فوقع على صورة تبين فيها شيئاً إدًّا، فأدرك مغزاه في الحال وتابع البحث فيه الى ان أسفر ذلك الشيء الإدّ عن الكهرب الموجب

كان السائد حتى سنة ١٩٣٣ عندما اكتشف البوزيترون ان الدقائق الأساسية في المادة أو في تركيب المادة الكهربائي، هي الكهارب وشحنتها سالبة والبروتونات وشحنتها موجبة وكان الرأي ان شحنة الكهرب تعادل شحنة البروتون ولكن كتلة البروتون تفوق كتلة الكهرب نحو ١٨٠٠ ضعف وعلى ذلك كانت الذرّة مركبة من كهارب وبروتونات، ونواة الذرّة قوامها مجموعة من الكهارب والبروتونات في كتلة مركّزة وحولها كهارب متحركة ثم كشف عن دقيقة أخرى دعيت النترون أي المحايد Neutron وقيل انها مؤلفة من كهرب واحدٍ وبروتون واحد، فشحنة الواحد تبطل فعل الشحنة المقابلة في الآخر لان الاولى سالبة والثانية موجبة، وكذلك يتاح لهذه الدقيقة ان تخترق المواد لانها لا تخضع لفعل المجال الكهربائي

في سنة ١٩٣٠ كان العالمان الالمانيان بوث Bothe وبكر Becker يطلقان دقائق الفا على لوحة من معدن البريليوم فكانت الدقائق المسدّدة الى تلك اللوحة تصيب بعض نوى البريليوم فتطلق هذه من تلقاء نفسها أشعة غريبة شديدة النفوذ فظنّ بوث وبكر ان هذا الاشعاع من

قبيل اشعة غمّا التي تخرج من الراديوم وانما تفوقها طاقة وقوة احتراقٍ وفي سنة ١٩٣١ قام الاستاذ جوليو الفرنسي وزوجته ( كريمة مدام كوري ) بتجارب من قبيل تجارب العالمين الالمانيين فوضعا حوائل من مواد مختلفة بين البريليوم الذي ينطلق منهُ هذه الاشعة وغرفة التأين ( Ionization Chamber وهي اداة تستعمل لقياس قوة الاشعة بعدد ما تحدثهُ في غاز معيّن من الايونات او الشوارد كما دعيت ) فوجدا انهُ اذا كان الحائل من مادة فيها غاز الايدروجين كمادة البرافين زاد عدد الايونات المولد في غرفة التأين وهو غير منتظر بل المنتظر ان يحجب هذا الحائل بعض الاشعة الصادرة من معدن البريليوم وعلّلا هذا الفعل بان الاشعة الصادرة من البريليوم تصيب بعض درّات الايدروجين في البرافين فتطلق بروتوناتها بسرعة ١٨ الف ميل في الثانية فحسبا انهُ اذا كانت اشعة البريليوم امواجاً فطاقتها يجب ان تكون ٥ ملايين « الكترون فولط »

هنا ظاهرة محيرة تثير الدهشة لان المواد المشعة لا تطلق دقائق لها طاقة تزيد على ستة ملايين « الكترون فولط » أي ان البريليوم تطلق اشعة تفوق طاقتها عشرة اضعاف طاقة الاشعة المسدّدة اليهِ وهذا غريب اذا فرض جوليو وزوجتهُ ان هذه الاشعة المنطلقة من البريليوم امواج ، وانها في قصرها وشدة نفوذها تقع بين اشعة غمّا التي تخرج من الراديوم وبين الاشعة الكونية

وقرأ شدك الانكليزي عن هذه التجارب ، فعمد الى انبوب قديمة من الراديوم كانت قد اهديت اليهِ بعد ما فقد الراديوم فيها خواصهُ العجيبة ، فاستخرج منها عنصر البولونيوم وهو يختلف عن الراديوم في انهُ لا يطلق الاّ دقائق الفا حالة ان الراديوم يطلق مع دقائق الفا دقائق بيتا واشعة غمّا وكان يعلم ان طاقة دقائق الفا ٦ ملايين « الكترون فولط » وليس معها دقائق اخرى تشوش الانتاج فاذا كانت هذه الدقائق تستطيع ان تقذف من البريليوم اشعة طاقتها ٥ ملايين « الكترون فولط » فهو امام ظاهرة محيرة جديرة بالبحث حرية بالعناء في سبيل فهمها وتفسيرها

اطلق شدك دقائق الفا من عنصر البولونيوم على البريليوم ، ووضع وراء لوحة البريليوم حائلاً من النتروجين ، فكانت الاشعة المنطلقة من البريليوم على النتروجين عنيفة كل العنف ، فقاسها في غرفة التأين فوجدها تحدث ٣٠ الف ايون هنا توقف شدك وقال لو كانت مقذوفات البريليوم التي اصابت النتروجين اشعة من طاقة ٥ الف « الكترون فولط » لما استطاعت ان تحدث هذا العدد من الايونات بحسب القواعد المسلّم بها بل لما استطاعت ان تحدث اكثر من ١ آلاف ايون ولكن اذا فرض ان مقذوفات البريليوم هي دقائق مادية كتلتها ككتلة

البروتون وتسير بسرعة تعدل عُشر سرعة الضوء فاحداثها ٣ الف ايون في غرفة التأيين يصبح امراً معقولاً ثم اذا فرض ان هذه الدقائق معادلة الكهربائية ولا تأثر بالجذب فعندئذٍ يمكن تعليل قوة اختراقها للمواد على اوفى وجهٍ

وكذلك كشف النيوترون او « المحايد » وكان اللورد ردرفورد قد تنبأ به قبل عشر سنوات

اما الكهرب الموجب فله قصة اخرى ذلك ان الاستاذ كارل د اندرسن Anderson كان يبحث في الاشعة الكونية والاشعة الكونية شديدة النفوذ تخرق لوحاً سمكهُ بضع اقدام من الرصاص ولكنها تعيي الباحثين فلا يستطيعون درسها مباشرة ولذلك يعمدون الى فعلها في دقائق الهواء ذلك ان هذه الاشعة تصيب بعض دقائق الهواء وتؤيّنها ( اي تزيل جانباً منها فيصبح الباقي ولهُ شحنة كهربائية ) وفي سنة ١٩٢٩ حاول العالم الروسي سكوبلزن Skobelzyn ان يصوّر مسارات الاشعة في غرفة غائمة[1] وبعدهُ مليكن واندرسن فحسّنا الطريقة واتقناها وصوّرا بها مسارات الاشعة الكونية كما تدل عليها اصطدامها بدقائق الهواء في غرفة غائمة في هذه الصور لاحظ اندرسن عدا مسارات الاشعة الكونية خطوطاً مزدوجة ومنحنية فاسترعى نظرهُ اولاً ان هذه الخطوط المنحنية لا تكون الاّ ازواجاً وثانياً ان احدها منحرف الى اليمين والآخر الى اليسار اي ان احدها سالب والآخر موجب وتبيّن عند البحث ان الخط السالب المنحني انما هو الكترون ولكن لم يستطع احد ان يعلل الخط الموجب ذلك ان اصغر وحدة للكهربائية الموجبة عرفت حتى ذلك الوقت ، انما كانت البروتون وكتلة البروتون فوق كتلة الالكترون ١٨٥٠ ضعفاً فاذا كان الخط الموجب يمثل البروتون فيجب ان يكون انحرافهُ اعظم جدًّا من هذا الخط البادي في الصورة

فقال اندرسن في نفسهِ ، ان البروتون ليس ضد الالكترون بل ان ضده دقيقة أخرى أصغر من البروتون كتلتها مثل كتلة الالكترون وشحنها موجبة بدلاً من ان تكون سالبة ودعا هذه الدقيقة البوزيترون ثم توالت التجارب فأيدت اكتشاف اندرسن واشهرها التجارب التي قام بها بلاكت واوكيالني في كمبردج

وقد اختلف العلماء في تسمية هذه الدقيقة فقال بعضهم ان لفظ بوزيترون قد تشوّش الذهن الاّ اذا تخلينا عن لفظ الكترون وسميناه نغاترون حتى يقابل بوزيترون تماماً ونحن نستطيع ان نتغلب على هذه الصعوبة فنسميهما الكهرب الموجب ( البوزيترون ) والكهرب السالب ( الالكترون )

---

(١) الغرفة الغائمة طريقة ابدعها العالم الانكليزي ولسن تمكن الباحث من تتبع مسارات الدقائق التي لا يمكن ان ترى بما يتكون من قطيرات الماء في الطريق الذي تسلكه

# مذاهب الفلسفة

# الرئيسية

لطيمون هوري

الفلسفة عبارة عن اسمى ما وصل اليه العقل البشري من الآراء والافكار في البحث عن حقائق الكون وازاحة الستار عن اسرار الوجود. واننا اذا القينا الى درجة المعارف والعلوم التي استطاع الانسان بلوغها الى اليوم نجد انهُ قد جاء حقّاً بالغرائب المدهشات في هذه الفترة اليسيرة من الزمن منذ فجر تاريخ العلم والفلسفة الى يومنا الحاضر بالقياس الى الادوار التي سوف يمر عليها في مستقبل الايام

وفي الفلسفة كما في ايٍّ من العلوم والفنون مذاهب متباينة ان لم تكن متناقضة وقد نشأت فيها المذاهب منذ اول عهد الفلسفة اليونانية وكان اولها ما يتعلق بمادة الكون الاصلية العامة التي ذهب اول فلاسفتهم طاليس الى انها الماء. وانكرها غيره الهواء وذهب هرقليط الى ان النار مصدر العناصر. اما امبدوكليس فزعم ان المادة الاولى لا توجد الا مركبة من العناصر الاربعة معا وهي التراب والماء والهواء والنار. ثم ما لبث ان ... وأتى بأمر آخر الا انهُ غير مادي زعم انهُ الحب وهو القوة المحركة الكامنة وراء العناصر المذكورة ... وان ... هذا العنصر الروحي الى العناصر الاخرى تعد خطوة كبيرة في عالم الفلسفة

ثم كان مذهب التغير والثبوت. وهما موضوع حوار عنيف قام بين المدرسة الايونية صاحبة مذهب التغير والمدرسة الايليائية القائلة بمبدأ الثبوت. وموضوع الحوار هو: هل مبدأ الوجود ثابت او متغير. وكان القول الفصل في ذلك للوسوس وديمقراط مؤسسي مذهب الذرات. وقام بعدهم اهل السفسطة والجدل يحاولون هدم حصون المعرفة وهوض اركانها. وقد كان يخشى كثيراً على دعائم الفلسفة ان تتهدّم لولا ان قام الفيلسوف سقراط يناضل عنها نضالا شديداً حتى رد الخصوم على أعقابهم وشيد مبادىء الفلسفة وعلم الاخلاق على أسس ثابتة ودعائم متينة لا تزال تذكرها لهُ الاجيال بكل اعجاب واطراء. ثم كان مذهب افلاطون العقلي يقابلهُ من

الجهة الثانية مذهب ارسطاطاليس العقلي — المادي وقد كان افلاطون يزعم ان الوجود الحقيقي هو لعالم العقل او الصور العقلية فقط وما عالم المادة الاّ تابع لا شأن لهُ فذهب ارسطاطاليس الى ان الصورة والمادة معاً هما شيئان متلازمان لا ينفصلان ولا يستقل احدهما عن الآخر فعالم المحسوس اي الذي يتركب من الصورة والمادة هو العالم الحقيقي لا العالم العقلي وحدهُ كما زعم افلاطون هذا ولا يجهل انسان مادار من المناقشات الخطيرة بين الرواقيين والابيقوريين مما لا يزال لهُ صدى كبير واثر بيّن الى يومنا هذا ولكل من هذين المذهبين انصارهُ ومؤيدوه في كل عصر

بيد أن هذه المذاهب جميعها لما كانت لا تستند الى حقائق علمية ثابتة اذ لم يكن حينذاك ما يسمى علماً بالمعنى الصحيح ظلت مقلقلة مضطربة لا يعول عليها لذلك نرى ان مذاهب الفلسفة لم تجد صفة ثابتة راهنة الى ان كان العصر الذي توالت فيهِ الاكتشافات والحقائق العلمية الراسخة وذلك في اواسط القرن السابع عشر فما بعدهُ ومن هذا العهد يبدئ دور الفلسفة الحديثة او دور التجديد الفلسفي

اما مسائل الفلسفة التي أحدثت تشغل عقول ارباب الفلسفة في الدور الحديث فعديدة اهمها مسألة الوجود المطلق وماهية الكون الاصلية والعالم الخارجي ومنشأ العقل وماهيتهُ ومصدر المعرفة وحرية الارادة [illegible] الادبية او الضمير وما شاكل والفلاسفة في هذه المسائل فرق وطوائف فمنهم اصحاب المذهب العقلي ( Rationalism ) مثل دكارت واسبنسر وسبنوزا وكانت وهم الذين يقولون ان مصدر المعرفة العقل يقابلهم من الجانب الآخر اصحاب المذهب الحسي ( Sensationalism ) وهم الذين يزعمون ان الحس اصل كل معرفة ولا يمكن ان تحصل معرفة الاّ عن طريق الحواس وقد أدى هذا الاختلاف النظري في اصل المعرفة الى نظريات وآراء متباينة كل التباين في الادوار الفلسفية التالية وهناك اصحاب المذهب الصوري ( Idealism ) اي الذين يقولون ان العالم الحقيقي هو غير العالم الذي تدركهُ الحواس فالحواس لا تدرك الاّ بعض ظواهر المادة واوصافها فقط اما المادة نفسها فلا سبيل مطلقاً الى معرفتها ومن هؤلاء كانت وهيوم وهملتن وسبنسر وميل وغيرهم يقابلهم من الجهة الاخرى اصحاب مذهب الشعور او الحس المشترك ( Common-sense Schoo ) ويذهب هؤلاء الى ان العالم الحقيقي هو ما شهدت بهِ الحواس واتفق عموم البشر عليهِ كما دلت عليهِ البديهة ولا سبيل الى نكرانهِ وزعيم هذه المدرسة هو الفيلسوف الاسكتلندي توماس ريد وتابعهُ في ذلك الفلاسفة استوارت وستورت ومكوش ومنهم من يرى في القوة سر الوجود بل غاية الوجود وزعيم هذا الرأي هو الفيلسوف نيتشه ولكن اتباعهُ من اهل الفلسفة قليلون وهنالك من يعتقد ان حقيقة

الاشياء فائدتها العملية — ( Pragmatism ) فالفكرة التي تقترن بالنجاح وتؤدي الى المنفعة والخير هي الفكرة الحقيقية ومن هؤلاء بيرس ووليم جمس وديوي الفيلسوفان الاميركيان وديوي هو صاحب التأليف المشهور في « المدرسة والاجتماع » وهناك مذاهب أخرى متنوعة غير ما ذكر غير ان الغرض من هذا المقال هو الاشارة الى المذاهب الرئيسة في الفلسفة على اني سأتناول البحث في اهم هذه المذاهب وأشهرها وهما اللذان يدوران حول هاتين المسألتين أصل المعرفة والعالم الخارجي

## ١ — مصدر المعرفة

اختلفت آراء الفلاسفة منذ القدم في مصدر المعرفة وهل هو العقل ام الحواس وقد انقسم الفلاسفة في ذلك الى فريقين كبيرين فريق يرى العقل مصدر المعرفة ومبدأها وهم اصحاب المذهب العقلي وفريق يزعم الحواس مصدر المعرفة وسبيل الادراك الوحيد [illegible] سواءٌ وهؤلاء هم اصحاب المذهب الحسي وفي مقدمة الفريق الاول الفلاسفة [illegible] ديكارت ولبنتز وكانت اما زعماء المذهب الحسي فهم لوك وهيوم [illegible] وانهُ وان كان هذا المذهب يرجع في اصل نشأتهِ الى عهد فلاسفة اليونان فان مؤسسهُ بالفعل ومنشئهُ الحقائق العلمية الراسخة هو الفيلسوف الانكليزي جون لوك (١٦٣٢ — ١٧٠٤) وذلك حين وضع كتابهُ المشهور « الادراك البشري » الذي أحدث حركة عظيمة في عالم الفلسفة وقد أبان فيه لوك كيف حصول الادراك بواسطة الحواس فقط وهو يرد كل نوع من انواع المعرفة الى الحس البسيط المجرد مؤيداً ادلتهُ بالحقائق العلمية السيكولوجية ولكن لم يكد ينتشر كتابهُ هذا حتى قام عدد [illegible] اصحاب المذهب العقلي ينقدون آراءه ويدحضون الأسس التي بنى عليها نظرياته و[illegible]

[illegible] لوك ؟ يقول ان عقل الانسان [illegible] [illegible] من كل أثر الا انها قابلة الأثر بأي مؤثر خارجي [illegible] العقل الا ملكة قادرة على المقابلة بين الاحساسات الواردة على الذهن [illegible] او [illegible] (التذكر) ثم انهُ من هذه الخاصة او قابلية [illegible] والمقابلة [illegible] الفكر [illegible] الانسان ان يركب او يحلل ما شاء من تلك الاحساسات [illegible] على صفحة الذهن وكل انواع المعرفة بسيطة كانت ام مركبة تنشأ [illegible] الا [illegible] الحس البسيط [illegible] العقليون من وجود اصول اوليه في العقل [illegible] ادراك [illegible] [illegible] فلا نجد ان هذه التي يراها العقليون [illegible] لا [illegible] الى اوليات [illegible] فلنأخذ مثلاً قوة التعاقل وهي احدى اصول المعارف كيف تنشأ هذه القوة فينا ؟ انّنا اذا دققنا النظر نجد

انها تعود في الاصل الى مشاهدتنا للحوادث والاشياء الطبيعيه مراراً وتكراراً ولكون هذه الحوادث تتبع سنناً ونواميس ثابته لا تتغير فالعقل يجرد من تلك الحوادث الفردية قواعد ومبادىء عامه تتناول تلك الاشياء كلها وتصدق عليها جملة وهذه القوة على تجريد القواعد العامه تحيلها مقاوة على التعليل والاستنتاج وما هي في الحقيقه الا نتيجة مشاهدات فردية بسيطة في أول الامر وعلى هذا النحو تجري ... العقليين في الغرائز والاصول العقلية فلنرَ ماذا يقول العقليون

يقول العقليون انهُ لا مراء في ان مبادىء المعرفه تبتدىء باحساسات الحواس ولكن ما قيمه هذه الاحساسات والمؤثرات المتواليه على الحواس بغير قاعدة او نظام ان لم يكن هنالك ما يجمع او يفرق بينها ويرد كلاً منها الى الاصل التي وردت عنهُ وبالجملة يقيم من تلك الاحساسات المضطربه المختلفه وحدة كاملة صحيحه متسقه وما اشبه العقل واحساسات الحواس في ذلك بالبناء ومواد البناء ما قيمه هذه المواد المتفرقة المبعثرة ان لم تكن هنالك بنّاء ماهر يتناولها واحده واحده ويجمعها بعضها الى بعض ويرصفها رصفاً منتظماً صحيحاً ان العقل الانساني لا يمكن ان تكون تلك الاداة الجامدة التي لا وظيفه لها الاّ اقتبال المؤثرات وانطباعها عليها بل ان العقل هو تلك القوة الحيه الفعالة التي تتناول احساسات الحواس فتبين ماهيتها وتبسط انواعها وتركبها او تحللها ومما لمبادىء واصول فطريه فيه غير مكتسبه من الخارج وان من هذه الاصول او القوى قوه التعليل والتجريد والاستقراء وما شاكل وهذه هي وسائل العقل لحصول المعرفه حتى في أبسط انواعها وبغير ذلك لا يمكن حصول اي معرفه او ادراك وان لكل من اصحاب الرأي الحسّي والعقلي أدلة وبراهين لا يتسع المجال لذكرها هنا فمن شاء الوقوف عليها فليراجع مقالنا في محله السكايه (المجلد ١٤ العدد ) تحت عنوان « المذهب الحسي اراء المذهب العقلي » يجد تفصيلا وافياً بالمراد

## ٢ العالم الخارجي والمذهب التصوري

... مسأله من المسائل ... أهل الفلسفه كما شغلتهُ مسأله العالم الخارجي ومدار البحث فيها هو هل هذا الوجود الخارجي الذي تدركهُ الحواس هو عين الوجود في الخارج وهل الحقيقه التي نستخلصها العقل عن الاشياء وما تعطيه الحواس تنطبق تماماً على حقيقه هذه الاشياء كما هي في الخارج ان الفلاسفه في ذلك فريقان فريق يرى ان الوجود هو ما تشهد به الحواس وشاعت معرفتهُ بين عموم البشر وهؤلاء هم فلاسفه الشعور والحس المشترك على ما تقدم وفريق يرى انهُ يستحيل ادراك الحقيقه بالذات بل بعض ظواهرها ومحالها اما الحقيقة نفسها فمحجوبة

ابداً عنا وهؤلاء هم المعروفون باصحاب المذهب الصوري اما رأي الفريق الاول فواضح لا يحتاج الى بيان خاص واما الثاني فلا بد من كلمة توضح وجهه النظر فيه

تعزى منشأ الرأي الصوري في الدور القديم للفيلسوف افلاطون فقد كان من مبادئه اننا لا نستطيع ادراك الحقيقة بالذات او معرفتها تماماً كما هي في الخارج ولكننا ندرك ما يشبه منها ظلالها وخيالاتها ولافلاطون في هذا الصدد تمثيل جميل يوضح المراد من المبدإ الصوري انما لا يتسع المجال لذكره هنا بيد انه لما كان الرأي الافلاطوني هذا لا يستند الى اساس علمي او حقيقة سيكولوجية واضحة فان هذا المذهب لم يحدث دوراً حديثاً الا في عهد الفلسفة الحديثة وقد نشأ بنشوء الرأي الحسي كما وضعه الفيلسوف لوك وبياناً لذلك نقول

فقد كان من مبادىء لوك انه قسم صفات الاشياء الى قسمين الاول الصفات الاصلية المختصة بالمادة والملازمة لها غير القابلة الانفصال عنها وقد سماها الصفات الاولية كالصلابة والامتداد والصورة والحركة والجمود وما شاكل والثاني الصفات التي ليست مستقرة في الاشياء نفسها بل ما تعلق ان يكون قوى او خاصيات في الصفات الاولية من شأنها احداث هذه التأثيرات في الحواس كالالوان والاصوات واحساسات الذوق وما شاكل وقد دعاها لوك الصفات الثانوية فالصفات الاولية هي خاصات دائمة مستقرة في نفس الاشياء المادية اما الثانية فليست سوى ادراكات حسية حاصلة داخل النفس لا اشياء خارجة عنها وبعبارة اخرى ان الاولى مادية خارجية والاخرى نفسية باطنية وقد تناول هذا المبدأ الفيلسوف بركلي الانكليزي ( ١٦٨٥ — ١٧٥٣ ) فخطا فيه خطوة واسعة وفاجأ العالم بفكرته الغريبة المدهشة التي احدثت دوياً هائلاً في عالم الفلسفة وهي قوله اذا كان الامر كما يقول لوك ان بعض خاصيات المادة التي يدعوها ثانوية كالالوان والاصوات وغيرها ليست الا مجرد تأثرات عقلية وادراكات نفسية داخلية لا اشياء خارجية في الاشياء ذاتها فماذا يمنع ان تكون بقية الخاصيات كالاشكال والاثقال والحركة والامتداد وغيرها من الصفات الاولية ايضاً ادراكات وصوراً عقلية لا اشياء خارجية كما نوهم بل نعتقد

ومحصل رأي الفيلسوف بركلي هذا هو ان غاية ما نستطيع ان نجزم به هو توالي الاحساسات على مشاعرنا والتأثيرات التي نعتقد انها ناشئة فينا عن امور واشياء خارجة عنا اما اذا كان هنالك اشياء خارجية نشأ عنها هذه الاحساسات فهذا ما لا يمكننا الجزم به اصلاً فقد يجوز ان يكون هنالك اشياء باعثة على الحس وقد لا يكون

وواضح ان رأي بركلي هذا هو نوع من التطرف في المذهب ولكن كان له تأثير عظيم في تعزيز المبدأ الروحي كما هو ظاهر انما المتعارف عند اصحاب هذا الرأي فهو غير ذلك ولعل رأي الفيلسوف كانت هو أقربها الى حقيقة المذهب وخلاصته انه لا مندوحة لنا من الاعتراف

بوجود الاشياء في الخارج ولكننا لا نستطيع ان ندرك منها سوى بعض ظواهرها فقط ( Phenomena ) اما حقيقة الاشياء وماهيتها فذلك ما لا نرجو الوصول الى معرفته البتة وذلك لسببين الاول لان القوى العقلية فينا محدودة لا تستطيع ادراك جميع أوصاف المادة وخاصياتها كما تعلب الظن والثاني لان العقل باضافة بعض الاجزاء العملية الحاسة فيه كما بعدم كفوة التعليل والتجريد وما شاكل قد يبعدنا عن الحقيقة ويخيلنا بصور ما لا حقيقة له في الخارج او ما يخالف حقيقتهُ عن الحقيقة الماثلة لادهاننا لذلك فان كانت فصل بين الشيء كما يبدو للحواس وبين الشيء في ذاته او حقيقته وقد سمى هذا الاخير الشيء بالذات Thing-in-itself تمييزاً له عن الشيء كما نظهر للحواس وقال ان غاية ما نستطيعهُ من حيث المعرفة هو ادراك ظواهر الاشياء فقط اما الحقيقة فستظل محجوبة عنا الى الابد

يتضح مما تقدَّم ان المذهب الصوري ليس ما يعتقده البعض من ان الوجود المادي ليس الاّ مجرد تخيلات وتصورات عقلية كما تشير اليهِ لفظ هذه الكلمة Idealism او ظواهر لا تستند الى أشياء محسوسة وجودية بل ان معرفتنا الاشياء تقتصر على هذه الظواهر فقط كما تصورها لنا العقل اما حقيقة الاشياء وماهيتها وهي ما لا سبيل لنا الى معرفتهِ بأي الوسائل والطرق وهذه الحقيقة قد أقرها معظم فلاسفة القرن التاسع عشر ومن مقدمهم كونت وسبنسر ولويس وغيرهم وقد سمى سبنسر هذه الحقيقة المحجوبة المجهول ( Unknowable ) اي الذي لا سبيل لمعرفتهِ

وانا لندهش وبأخذنا العجب لدى اطلاعنا على هذه الأفكار والمبادىء الغريبة التي يقررها أساطين الفلسفة ويؤيدونها بالأدلة العلمية لكننا اذا تأملنا قليلا بالمصاعب والأسرار الغامضة التي تحيط بهذه الحقائق ذهب الكثير من عجبنا ودهشتنا فنحن اذا أخذنا أبسط هذه الاشياء العملية كالحسِ مثلاً أفلا نعجب من كيفية حصول ذلك وما ؟ ان الباعث او المحرك للاحساس مثلا مهما تناسب وتحول في طريقهِ الى الدماغ فهو غير الاحساس الناشىء عن ذلك الباعث ولا يمكننا ان نكتشف اي علاقة او شبه علاقة بين المؤثّر والاحساس ففي عمل الإبصار مثلاً ان المؤثر هو حركة تموج في الأثير اما النتيجة فهي رؤية شيء خارجي ذي لون وشكل واضح وفي مكان محدود فأي علاقة او شبه علاقة بين المحرك والاحساس الذي قام في الدماغ كذلك ان الفرق بين اللونين الاحمر والأخضر انما هو في عدد الموجات في الثانية اما النتيجة الحسية وهي الفرق الجسيم بين هذين اللونين فهل من يعلل لنا كيفية ذلك تعليلاً فلسفيًّا

لذلك فان منشأ حيرة أهل الفلسفة والعلم هو هذا البون العظيم الكائن منذ الأزل بين العقلي والمادي بين البواعث او المؤثرات المادية والنتائج العقلية على نحو ما تقدَّم ففي قضية العالم الخارجي مثلاً يهمنا ان نعلم العلم اليقين هل ادراكنا لهذا العالم والصورة الحاصلة في أذهاننا عنهُ

ينطبق تماماً على الحقيقة الخارجية ألا يجوز ان تكون هذه الاشياء الخارجة والتي نحسبها أشياء محسوسة خارجة عنا هي في الحال الآخر صورا عقلية لا حقيقة لها في الخارج او ان تكون الحقيقة الداخلية تختلف عن الخارجية

***

ثم ان مسألتي الزمان والمكان والأسباب والمسببات [1] ألا يمكن ان تكون هاتان من وضع العقل كما زعم الفيلسوف الالماني كانت تخلعهما العقل على أشياء وحوادث هذا الوجود ويستخدمهما كوسائل لربط الحوادث والاشياء الطبيعية بعضها ببعض وفوق ذلك ما أدرانا ان هذا العالم الذي يبدو لحواسنا ووجداننا كعالم جمال وروعة ونظام تام ليس في الحقيقة الا عالم تشويش واضطراب كما تبدو كسر الزجاج الصغيرة المبعثرة في الكالدسكوب آية في الدقة والاحكام كاجمل ما نقش النقاش او رسم الرسام وما هي في الحقيقة الا كسر مبعثرة مفرقة هنا وهناك

ان هذه وأمثالها هي من عقد المسائل التي جعلت أهل الفلسفة يفترقون طرقاً ومذاهب حتى تحار العقل في مدى ذلك الاختلاف ومبلغ ذلك التباين في الآراء والافكار ولا يفوتنا في هذا الصدد اشارة الى المذهب المادي المشهور فهذا يدخل ضمناً تحت المذهب الحسي وأصحابه يعرفون بالفلاسفة الحسيين وقد كانت لهُ السيادة التامة على كافة المذاهب الأخرى طيلة القرن الثامن عشر وهو عصر فولتير وديدرو وروسو ونابلي ولامتري وكافة الانسكلوبيديين الافرنسيين وجميعهم من أهل المذهب الحسي وبلغ منتهى الشهرة والسيادة في اواسط القرن التاسع عشر حين وضع بخنر الالماني كتابه في « المادة والقوّة » لا انهُ لم يكتب لهُ ان يعيش طويلاً بعد ذاك ذلك لان الفكرة الاساسية في المذهب المادي هي الاعتقاد بناموس الضرورة الشامل اي ان ما هو كائن لا بدّ ان يكون فهو كالمبدأ الفلسفي الروحي كلاهما ينفيان حرية الارادة ويجعلان الانسان حكمهُ حكم الاداة اي مجرداً من كل ارادة وحرية — الروحي يجعل الانسان خاضعاً لقوّة روحية فائقة حكيمة لا يستطيع ادراكها تديرهُ كما تشاء وتصرفهُ على ما تشاء والمادي يجعلهُ عبداً رقاً خاضعاً لأحكام الضرورة العمياء ولما كان الانسان يكره ان يرى نفسهُ عبداً رقاً لاي قوّة كانت طبيعية او غير طبيعية فهو يرى ان هذين المذهبين لا ينطبقان على الحقيقة الواقعة ولهذا فلم تعد لهما في نظره تلك المكانة التي كانت لهما سابقاً

هذه إشارة وجيزة الى أشهر مذاهب الفلسفة بقدر ما استطعت استخلاصهُ من آراء أهل الفلسفة ونظرياتهم وربما عدت الى تفصيل بعضها في فرصة أخرى

---

(١) لها من المسائل مباحث طويلة في كتب الفلسفة لا مجال لتفصيلها هنا

العلم في خدمة الانسانية

# الغدد والحياة

— ٢ —

## اسرار النمو والشذوذ

ثم جاء بانسع بالأنسولين، فرأى فيه ملايين من المصابين بالبول السكري، مسيحاً جديداً في رداء باحث علمي. وصف داء « ديابيطس ملتوس » ( وهو الاسم العلمي لداء البول السكري ) من نحو ألفي سنة بأنه « ذوب اللحم فيفرز في البول » ثم من نحو قرنين ونصف قرن اكتشف أحد الباحثين الالمان انهُ مرتبط بالغدّة الحلوة ( البنكرياس ) وانقضى قرنان من الزمان فلما اكتشف لانغرهانس ان في الحلوة طائفة من الخلايا تختلف عن سائر الخلايا في تلك الغدة فدعيت هذه الخلايا باسمه اذ أطلق عليها « جزيّرات لانغرهانس » ولكن عملها ظلّ سرّاً مكتوماً الى ما بعد الحرب الكبرى وفي سنة ١٨٨٩ عمد منكوفسكي الى التجارب في الحيوانات، فسلّ حلوات الكلاب فأثبت انها تصاب بالداء السكري الذي يصيب الناس أخذ مقداراً من بول الكلاب، التي سلّت غددها الحلوة، وتركه في وعاء في المعمل، ولما تبخر السائل كلهُ بقي في قعر الوعاء مادة جامدة بيضاء فامتحنها أحد مساعديه فوجدها حلوة الطعم فثبت لاول مرة وجود السكر في بول كلاب سلّت غددها الحلوه ولكن بعضهم ينسب الاكتشاف الى نونين احد أساتذة الطب في ستراسبورج ورئيس منكوفسكي، ويروون انهُ لاحظ الذباب يحطُّ على بول كلاب سلّت غددها الحلوة، فحاول ان يعرف ما يجذبها، فذاق البول فوجدهُ حلوا

وفي خلال هذه السنين، كان تشريح جثث المتوفين بالسكري، قد أسفر عن اكتشاف خاص بجزيّرات لانغرهانس اذ ثبت، انها أكثر أجزاء الغدة الحلوة سكّساً فخلص بعض الباحثين الى نتيجة منطقية، وهي ان خلايا هذه الجزيرات، تصنع مادة كيميائية تمنع الداء السكري وكانت النتيجة الحتمية لهذا الرأي ان عمد الناس الى عمل خلاصة الغدّة الحلوة بأساليب مختلفة، لتعطى شرباً وحقناً للمصابين بالسكري، ولكن هذا الداء ظلّ يلقي سديهِ الثقيلين على الناس ويسير بهم الى القبر

ولكن تقدم علم الكيمياء مكّن الباحثين من قياس مقادير يسيرة من السكر في الدم قبل ان يصل عن طريق الكليتين بالبول، وعلى أساس هذه المقاييس تمكنوا من امتحان الخلاصات التي استخرجت من الغدد الحلوة ومعرفة قوّتها وفائدتها. فاذ كان هذا البحث جارياً على قدم وساق، عاد جرّاح كندي من ميدان الحرب العالمية في فرنسا الى بلاده — ذلك الجرّاح كان بانتنغ الذي اكتشف الانسولين [1]

ما كاد بانتنغ يتمّ بحثهُ الذي اسفر عن اكتشافه الانسولين، حتى منح جائزة نوبل الطبية ومعاشاً سنويًّا من برلمان كندا قيمتهُ ١٥٠٠ جنيه وانعم عليهِ بلقب سر. الا انهُ لم يكن الوحيد الذي عني بهذا البحث، لانّ غلاي Gley كان قد ترك في سنة ١٩٠٦ ظرفاً مختوماً في جمعية علوم الاحياء الفرنسية، وفيهِ مذكرة وصف فيها خلاصة استخرجها من الغدد الحلوة، كان من شأنها تخفيف اعراض الداءِ السكري في الكلاب. ولكنهُ لم يتابع بحثهُ. وفي سنة ١٩٠٨ صنع زولزر Zuelzer خلاصة كحولية من حلوات العجول وعالج بها ستة مصابين بالداء السكري، ثم اهمل بحثهُ لما اصاب هؤلاءِ المرضى بحمّى كان من اعراضها الضعف والاعياء العصبي والجوع العظيم وضعف العقل. ونحن نعلم الآن ان الرجل جرّع مصابيه جرعاً من هذه الخلاصة اكبر مما يستطيعون ان يحتملوا. حتى الذين يحقنون بالانسولين يصابون بهذه الاعراض، ان كان مقدار ما يحقنون بهِ منهُ اكبر مما يجب ان يكون. ولذلك قال مكلويد شريك بانتنغ في جائزة نوبل «ولو ان زولزر جرّب تجارب دقيقة بالحيوانات، قبل اقدامهِ على معالجة المصابين من الناس لكان في الامكان الفوز بالانسولين سنة ١٩٠٨». وفي سنة ١٩١١ عمد الباحث سكوت في احد معامل شكاغو الى ربط قنوات الغدد الحلوة في الكلاب، واذ كان بعض العنصر الاولي بين يديهِ، أخفق في تفسير بعض النتائج التي فاز بها التفسير الصحيح

انها قصة البحث العلمي في جميع العصور — [illegible] لعقل مهما لاعتمادها فهم ما ينطوي عليهِ، بما ادى لهُ من حقائق مستجدة واساليب جديدة للبحث والتنقيب

تتبع آبل رواية الانسولين من معمله في جامعة جونز هبكنز بشغف عظيم، ولا سيما لانهُ كان يعرف معرفة شخصية جميع الباحثين في هذا الموضوع من ايام لانغرهانس الى يومنا هذا فلما دعاهُ المستر نويز Noyes مدير معامل غايتس الكيميائية بكاليفورنيا، الى دخول الميدان لبّى الطلب. وكان معهد كارنيجي قد تبرّع بالمال لهذا البحث فاتجه آبل من البدء الى غرض عظيم وهو تحضير المادة الفعّالة في الانسولين، نقية من الشوائب. ولكنه لم ينفرد بالبحث حباً بالنصر، اذا تمّ لهُ، ان ينسب اليهِ. بل اختار طائفة من الباحثين الشبان، منهم الباحث

(١) وردت قصة اكتشاف الانسولين في [illegible] «ابطال العلم الحديث» [illegible]

عيلنغ Geling وكان لهم بمثابة القائد المرشد ، لا يستكثر على نفسه ، وهو الباحث المحصرم ، ان يأخذ بآرائهم حيث يجد الرأي على صواب وكذلك بعد بحث دام سنوات ، تمكن في نوفمبر سنة ١٩٢٥ من ان نقول ، وقد رأى بلورات دقيقة في قعر إنائه ، « هذه البلورات هي بلورات توكر الانسولين » وكان وزنها اربعة اعشار الغرام فامتحنت في الارانب وثبت انها نقيه من كل شائبة ولكنه لم يقف عند هذا ، بل مال الى حلها لمعرفة تركيبها الكيميائي فثبت له ان جزيئها جزيء معقد التركيب من البروتين وعبارته الكيميائية كما يلي (C45 H69 O14 N11 S,3 H2O)
( كربون ٤٥ ايدروجين ٦٩ اوكسجين ١٤ نتروجين ١١ كبريت و٣ ايدروجين ٢ اكسجين )

ومن المعروف الآن ان الانسولين التي يمكن استخلاصه من الغدد الحلوة في البقر والثيران والعجول حتى وبعض الاسماك كذلك

ولكن آبل لم يخطر له ، مع ما تم على يديه ، ان يلوي الاعنة ويطرح الاعباء ، ذلك بان الانسولين ، لم يكن عقاراً هيناً فهو مركب غير مستقر ، واذا اخذ شرباً فلقد يفعل فيه عصارات الجسم ، فتحله وتفوت الغاية من أخذه وآبل يريد ان ينقذ المريض من وخز الحقن ، فقال لعل المريض بالسكري لا يحتاج الى كل جزيء الانسولين فاذا عرفنا كيف تتركب الذرات في الجزيء فلعلنا نستطيع ان نفصل منها ما لا يحتاج اليه في علاج السكري وما خطر له هذا الخاطر حتى اشرق وجهه ، فلم يضع دقيقة واحدة في تدبير وسائل البحث ، واعداد اساليب التجربة والامتحان ، على الرغم من يد مكسورة في حادث اصطدام - ولا يزال آبل ومساعدوه وعشرات من الباحثين في مختبرات تورنتو ولندن وامستردام ووشنطن وهيدلبرج يجدون في البحث وراء هذه الغاية !

— ٢ —

كان ممن انقذهم الانسولين من الموت ، اميركي يدعى ايفانز Evans وكان لهذا الاميركي ولد يدعى هربرت مكلين ايفانز تخرج برتبة دكتور في الطب من جامعة جونز هبكنز سنة ١٩٠٨ ورغب في ان ينصرف الى البحث العلمي فلما علم والده بنيته قطب حاجبيه ، لانه لم يدرك كيف يرزق الانسان ويثري من البحث العلمي ولكن لما جلت محنة الانسولين في عروقه ، وانقذته من الموت ، آمن وقال « بان هذا الكلام الفارغ لا بأس به » وكان ايفانز الشاب قد سأل الاستاذ جاك لوب في ما يوفر عليه من موضوعات البحث فقال لوب « لا ترض ان تكون كيميائياً عادياً شق طريقك ولا تخش ان ترود ميادين ليست من اختصاصك » وكذلك اخذ ايفانز ينتقل من البحث في موضوع الى موضوع ، كالنحلة تنتقل في الروض من زهرة الى زهرة بدأ بصرف عنايته الى التشريح ثم عني بعلم الاجنة ، فلما اعياه تقطيع الانسجة ، رغب في ان

يتسع كلّ خطوة في نشوء الجسم ، فتلعمهُ البحث البولوجي في دردوره وقدوهُ في ميدان العدد
واذ كان ناسع مجرب تجاربهُ المشهورة في الكلاب رعةً منهُ في امتحان الانسولين ، كان ايفار مكبًّا على العدة النخمية . وهي من العدد الصمّ العجمة في الجسم كما انه مستكنة في مخصص داخل الجمجمة عند قاعدتها عرفها جاليوس وفساليوس وظنّا انها تجهز الجسم بالمخاط ، ثم ظنّ بعضهم ان بين نمو الجسم وعمل هذه العدة صلة ما فلما كانت سنة ١٧٨٣ اشترى الطبيب الجرّاح جون هنتر جثة عملاق ارلندي يدعى تشارلز اوبريان بخمسمائة جنيه ، وكشف عن الغدة النخمية فوجدها في حجم البيضة ، مع ان وزنها في الرجل السويّ لا يزيد على نصف غرام وما انقضى قرن على هذه الحادثة حتى ظهر ان «العملقة» وهي تضخم اليدين والقدمين والانف والشفتين والفكين ، ترتدُ الى تضخّم في الغدة النخمية وثبت كذلك ان هذه الغدة في الاورام ، اما انها لم تنمُ نموًّا سويًّا واما انها متنكسة degenerated

وكذلك أقبل ايفار على الغدّة النخمية وهمـهُ ان يعلم هل تفرز هرموناً ( هرموناً ) يسيطر على النمو او لا ، فصنع خلاصات مائية من الغدد النخمية المستلّة من الثيران وفي سنة ١٩٢ جرّب خلاصاته باعطائها سرًّا فلم تسفر عن اي نتيجة ، فعمد الى حقنها في صغار الجرذان ولمّا تمضِ عليه بضعة شهور حتى اصبحت هذه الجرذان ، عمالقة بالقياس الى الجرذان السويّة فلما توقف ايفار عن حقنها بعد فطامها توقف نموّها الشاذّ ثم اخذ طائفة من الجرذان ونزع غددها النخمية فلم تبلغ في نموّها الحجم السويّ ، فحقنها بهذه الخلاصة فعادت سوية ، وعمد باحث يدعى هوغبن في انكلترا الى استعمال خلاصة من هذا القبيل في الضفدع المائي ، فوجد ان التحوّل فيه اسرع جدًّا مما يقع في الضفادع التي لم تحقن بها

اذا كانت هذه الحقائق تتمّ في الحيوان فماذا يحول دون وقوعها في الانسان ألسنا نركّب الانوار فعلها الفسيولوجيّ واحداً بصرف النظر عن الحيوان الذي تستخلص منه ؟ أليس الانسولين المستخلص من الغنم كالانسولين المستخرج من الناس والبقر والسمك ؟

فلما حضّر ايفار خلاصة من الغدة النخمية على جانب من المضاء عمد الى تجربتها في فتاة في التاسعة من عمرها عهد في المعالجة الى الدكتور وليم انغلاند احد اطباء نيويورك كان قد انقضى على الفتاة اربع سنوات وجسمها لا ينمو ولكن في سنة ١٩٣١ اعلن الدكتور انغلاند ان قامة الفتاة زادت بوصتين وسبعة اعشار البوصة طولاً بعد علاج بهذه الخلاصة دام ثمانية اشهر وسع اطباء كثيرون هذا الاسلوب من العلاج فاصابوا نجاحاً عظيماً ومن جراذ بهم ان فتى دون الخامسة عشرة من العمر زادت قامتهُ ثماني بوصات ونصف بوصة في واحد وعشرين شهراً

وما كادت هذه الحقائق تذاع ، حتى اغرق الناس في التصوّر ايما اغراق فقالوا ان الناس

فعل هذه الخلاصة يستطيعون ان يصبحوا مردة جبارة ولكن ايفار عالم حذر فلم يطلق لتصوّره العنان قال سمعت بعضهم يقول ان المكادو يستطيع ان يمد قامات جنوده متى شاء ، ولكن حتى الميكادو لا يستطيع ان يدفع ثمن الخلاصات اللازمة لذلك وقد يمضي عقد من السنين قبل ان نتمكن من معرفة تركيبها الكيميائي ، وعقد آخر قبل ان نتمكن من تركيبها بالتأليف الكيميائي من قطران الفحم اذا لا نزال على عتبة الباب »

وحتى كتابة هذه السطور لم يستخرج هذا النوع (الهرمون) — ويدعوه بعضهم فيون Phyone — نقيًّا من الخلاصة المستخرجة من الغدة النخمية

قبل ان شرع ايفار في بحثه عن نوع النمو في مفرزات الغدة النخمية ، كان الدكتور كوشنغ Cushing احد جراحي جامعة هارورد ، قد أزال اجزاءً من الغدد النخمية في مائي كلب فلاحظ وجوهاً مختلفة من الضمور فيها ، غير توقف اجسامها عن النمو ذلك ان الكلاب سمنت وفترت حركتها وضمرت اعضاؤها التناسلية ووجد ايفار ان الخلاصة التي يحصرها تمد نموّ الجرذان سيرتهُ السوية ، ولكنها عاجزة عن رد ه العدة التناسلية فيها فأناث الجرذان اذا نزعت غددها النخمية وتزاوجت لا تقدر الى الحض اللازم للولادة ولكن اذا اربلت الغدة ولم تراوح ساعة واحدة أفرزتها ان هذه الحقائق تحمل على الظن ان الغدة النخمية تفرز نوْراً آخر — غير الفيون نور النمو — يدفع الاثنى الى افراز البيض

وأقبل على هذا البحث طائفة من الاعلام فاندفع ستوكارد وتلميذهُ بابانيكولاوس اسلوباً للبحث يقيسان به مدى النشاط الجنسي في الحيوان ولا سيما الجرذ وفي سنة ١٩٢٣ ابتكر فيليب سمث مساعد ايفار في كاليفورنيا طريقة تمكناً باستعمال المكرسكوب المشرّح من الوصول الى الغدة النخمية وانتزاعها من تحت حلق الجرذ فلما انتزع الغدد النخمية من عدة جرذان ثبت لهُ ان نشاطها الجنسي يضعف . ولكي يثبت ذلك اخذ جرذاً سلّت منهُ غدتهُ النخمية وحقن مشاطها الذي ٢٠٠,٠٠٠ في تحت الجلد عدة نخمية سُلَّت من جرذ آخر فعاد اليه نشاطهُ الجنسي ... ان نزع الغدة لم يكن ضرورياً ، لان الحقن بخلاصتها كان له نفس التأثير

الا ان ... هذا ... لا ... الى الباحثين روندك Zondek وأشايم Aschheim الالمانيين هذا ... الشهر ... الدائم التي وصلا اليها في هذا الصدد ، واطلاقها لفظ بر ولان Prolan على هذا النور ... الباعث للنشاط الجنسي وعلاوة على ذلك اكتشف روندك وأشايم ان ... بول الحوامل ... الفئران يؤثر تأثير الحقن بخلاصة الغدة النخمية فأفضى ذلك بهما الى اكتشاف اول امتحان يصح الاعتماد عليه للنبأ اي بدء الحمل ذلك ان المرأة التي تريد ان تتأكد من انها حامل او غير حامل لا تستطيع هي ولا تستطيع طبيبها ان

يعرف ذلك الاّ بعد انقضاء شهر او اكثر لان انقطاع الحيض لا يمكن ان يؤخذ دليلاً اكيداً على الحمل ولكن اذا اخذ بول حامل وحقن تحت الجلد في فأرة غير متزوجة ، او ارنبة ، ثم قتلت الفأرة او الارنبة بعد ثمان واربعين ساعة ، وفحصت خلاياها عرف ، من تطوّر تلك الخلايا او عدم تطورها هل المرأة صاحبة البول حاملٌ او لا وبهذه الطريقة يمكن تبين الحبل حتى في الاسبوع الثالث ، والاصابة تبلغ ٩٩ في المائة بل وفي مياه اليابان سمك اذا وضعت في ماء الاناء الذي تسبح فيه قدراً يسيراً من بول حامل ، استطال مسلك بيضه عشرة اضعافه في خلال اربعة وعشرين ساعة ، فيدل ذلك على الحبل ، اذا كانت المرأة غير حامل لم يحدث اي تغير فيه ويمكن استعمالهُ ثانية للغرض نفسه بعد نصف اسابيع

وعلى أثر اكتشاف (البرولان) وهو نوْر الغدة النخمية الذي لهُ صلة بالجنس ، اكتشف اوسكار ردل الاميركي نوْراً ثالثاً في هذه الغدة نفسها ذلك انهُ غذى طائفة من الحمام بخلاصة من الغدة النخمية فوجد ان قدرتها على افراز المادة اللبنية زادت زيادة كبيرة فأطلق ردل على هذا النوْر اسم « برولاكتين » Prolactin أي المدرّ للبن بعد ما ثبت لهُ ان من شأنه توليد اللبن في اثداء حيوانات اخرى بما فيها ذكورها وقد ذكر من عهد قريب ان هذا النوْر قد يكون خليطاً من نوْرين احدهما يختلف عن الآخر في تأثيره الفسيولوجي ، وان الثاني ينبه غريزة الامومة فدجاجة حقنت به قامت بعد يومين وبدأت تحضن ولما حقن ابن جرذ غير متزوجة به ، امتنعت عن الهام فرخي حمام وضعا في حجرها بل عطفت عليهما عطفاً عظيماً ولذلك قال بعضهم انهُ لا بعد ان نرى « حب الام » في زجاجة تباع بدرهمات في دكان عطّار

وفي سنة ١٩٣٣ زعم احد الباحثين الفرنسيين انهُ كشف نوْراً رابعاً في الغدة النخمية يتبه الغدة الدرقية

— ٣ —

وفي خلال ذلك قرأ باحث يدعى دوزي في المدرسة الطبية بسانت لويس اكتشافَ روندك الالماني ، فحمله ذلك على النشاط الى البحث عن نوْر المبيض كان قد سبق له ان اشتغل بالسائل الحويصلي الذي تفرزه الجُريبات في ابن الخنزير فعمد الى المستشفيات التي تكثر فيها الحوامل وجعل يجمع مقادير كبيرة من بولهنّ ، وقضى ست سنوات يجرّب بأساليب متنوّعة عن طريقة لاستخلاص نوْر من هذا البول حتى فاز في نهايتها بالحصول على نوْر لا يوجد في بول الحوامل الاّ بمقدار واحد في أربعة ملايين وفي ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٩ أعلن دوزي استفراده لنوْر المبيض نقياً فسبق بنصف اشهر فقط في عمله هذا على عالمين اوربيين هما ادولف بوتنادت Butenandt الالماني ولاكور الهولندي Laqueur وقد اختير لهذا النوْر اسم ثيلين Theelin وهو مشتق من اللفظ

اليونان ثيلوس اي انثى اما تركيبهُ الكيميائي فكما يلي ك ١٨ يد ٢٢ او٢ (C18 H22 O2) وبعد ذلك اتسع نطاق البحث فعثر باحثون متفرقون في المعاهد والمختبرات على الثالين في مناص الفرد والفرس والغنم والبقر والخنازير والدجاج والسمك ، بل وفي بزارها واستعمل الثالين في حالات مختلفة من امراض النساء الخاصة ، فأصاب مستعملوه قسطاً وافراً من النجاح

وكان من الطبيعي ان يكون الفوز باكتشاف نوْر المبيض منبهاً للبحث عن نور او اكثر في الخصيتين بل قبل هذا الاكتشاف كان فريق من اساتذة جامعة شيكاغو برعاية كوخ F C Koch ومعاونة لجنة البحث في شؤون الشق مهتمًا بالبحث عن هذا النور فحصل لومويل Lemuel وماكجي McGee على خصيتي ثور بعد انقضاء دقائق على ذبحه وصنعا منهما خلاصة امتحناها بطريقة طريفة فقد كان القدماء يعلمون ان ازالة خصى الديك تجعل لحمهُ أطرى مما يكون لحم الديك عادة وكان الديك الذي سلّت خصيتاهُ يختلف عن الديك السويّ من وجوه اخرى فصفات الذكر فيه من حب المقارعة والقتال ، تتحول فيه الى حب الراحة وميل الى السلام والطمأنينة كأنهُ انثى — وكان قلما يصيح وليس بالنادر ان يعنى بالفراخ عناية الام بها ثم ان عرفه يصغر حجماً ويكمد لوناً وريشهُ يفقد لمعانهُ

اخذ ماكجي الخلاصة التي صنعها من خصيي الثور وحقن بها ديكاً مخصيًّا في ابريل ١٩٢٧ ، فكبر عرفهُ الصامر وردّ لونهُ الكمد وظهرت فيه جميع الخواص التي تتصف بها الديك السويّ وعندئذ جعل كوخ وفريقهُ يصفون الخلاصة رغبة في الحصول على نوْر الخصيتين نقيًّا في شكل بلورات واذ كانت هذه التجارب قائمة في شيكاغو ذاع من اوربا في سنة ١٩٣٢ ان نور الذكر قد حضر نقيًّا في شكل بلورات وكان صاحب هذا السبق بوتناند الالماني الذي سبقهُ دوزي قليلاً في اكتشاف نوْر المبيض ولكنهُ استخلص النور من سوائل الكليتين في رجل لا من خصيته وعين عبارتهُ الكيميائية فاذا هي ك ١٩ يد ٣٠ او ٢ (C19 H30 O2) ومن اغرب ما ذهب اليه انهُ يمكن تحضير نوْر الخصية من نور المبيض بالكيمياء وفي آخر سنة ١٩٣٤ فاز روزيكا Ruzicka في زوريخ بتركيبه بالتأليف الكيميائي من مادة الكوليسترول المستخرجة من دهن صوف الغنم

دعي هذا النوْر اندروستيرون Androsteron وهو لدن نور الخصية وتوْر الخصية دعي تستوستيرون Testosterone وقد حضّرهُ نقيًّا في شكل بلورات الباحث لاكور في امستردام في يونيو سنة ١٩٣٥ والنوْران لهما عبارة كيميائية واحدة ولكن ترتيب الذرات في جزيء الواحد يختلف عنهُ في جزيء الآخر وفي سبتمبر سنة ١٩٣٥ اذاع روزيكا انهُ ركب النور الثاني بالتأليف الكيميائي

# نشر الخريطة

قصة الريادة

خلال خمس آلاف سنة

« هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا في مناكبها » الآية

ان تاريخ الريادة ينطوي على قصة من أعجب القصص، قوامها إقدام لا ينثني، و مغامرة لا ترتد أمام الخطر، وشوق الى كشف المجهول وسواء أكان الباعث على الريادة طلب المجد ام توسيع نطاق العلم ام البحث عن العطور والافاويه ام الرغبة في بقعة أرض يرفع عليها علم امة مستعمرة، فالريادة ردُّ الانسان على ما تحيطهُ به الطبيعة من الالغاز وتوجهه اليه من التحدي ان استجلاء الاسرار التي تنطوي عليها الاشعة الكونية، وبنى الذرات، والتحليق في الجو بغية الوقوف على حقائق الطبقة العليا من الهواء، ومقاساة السغب والتعب والقيظ والقر، حوالي القطبين او في فلوات افريقية وصحاري آسيه — كلٌّ ذلك من الريادة بأوسع معانيها، وغرض اقطابها واحد وهو ان ينشروا لجميع الارض التي نعيش عليها خريطتها المطوية

وهذا كتاب (1) وضعهُ باللغة الانكليزية المستر «لنرد اوثويت» وهو رحّالة مجرّب وعالم راسخ في شؤون الجغرافية والانثروپولوجية ان حماسةُ التي تتسم بها كل صفحة من كتابه مقيدة بقيود الحذر العلمي ولكنهُ في حماسته يحوّل الجغرافية من علم جامد الى علم حي فاذا نظرت الى سعة نطاق الكتاب زمناً ومكاناً — على الرغم مما افضت اليه هذه السعة من اهمال بعض الحقائق الاساسية كسعة الاراضي المكتشفة والمسافات التي قطعتها بعوث الريادة المختلفة — والى كثرة ما جمع من الحقائق المشتتة في فصول وابواب منظمة رأيت فيه قصة الريادة من فجر الحضارة الى الآن وكأنها مبسوطة امامك على شريط من الصور المتحركة

خذ فصله عن البحر المتوسط على سواحل هذا البحر وفي جوارها قامت الدول القديمة مصر ووفينيقية واشور وسومر وعيلام وكريت واليونان من مصر قامت اقدم بعثة في التاريخ بقصد الريادة وهي بعثة هانو سنة ٢٧٥ ق م باحثة عن الثروة وما تكفي حب المغامرة في نفوس اصحابها فوصلت الى ما نعرف الآن بالحبشة وعادت بكثير من الذهب والفضة والمر والاخشاب الثمينة وبعد ما انقضى عليها الفا سنة، اي نحو سنة ٦ ق م اوفد الفرعون نخو

Unfolling the Map The Story of Eploration by Leonard Outhwaite (1)

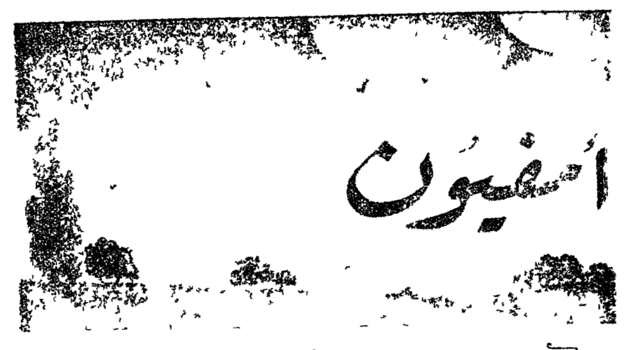
أعجب بعثه استكشافية في التاريخ فاستطاعت ان تسافر حول القارة الافريقية في ذلك العهد البعيد وكان هيرودوتوس لم يصدق ما بلغهُ عنها فاكتفى في ذكرها بفقرة قصيرة من تاريخهِ المشهور وقد أثبت المستر اوثومت ان وصف الرحلة واتجاهها والشعور التي جعلت رجالها فيها تتفق كل الاتفاق وما نعرف الآن عن مجاري المحيطات والرياح السائدة على سواحل افريقية

وكانت الريادة في عهد الاسكندر ذي القرنين ، جزءاً من اعمالهِ العسكرية ولكننا مع ذلك مدينون لهُ بكثير من أقدم ما عرفهُ العالم عن البلقان والشرق الادنى وافغانستان وبعض المناطق في شمال الهند ويقال انهُ كان يسعدُ لريادة نهر الكنج بعد ما اصيب جيشهُ بما حملهُ على النكوص

اما في العالم الجديد ، فينكر المؤلف الرأي الشائع ان كولمبوس او اميركوس فسبوشيوس او مجلان كانوا اول من اكتشف اميركا ذلك ان مستعمراتٍ من رجال النورس انشئت على بر اميركا الشمالية في القرن الحادي عشر قال المؤلف وفي سنة ١٨٩٨ كان احد المهاجرين السويديين وهو يدعى « اولوف اوهمان » يعمل في حرج قرب بلدة كنستغتن بولاية منسوتا (احدى الولايات المتحدة الاميركية) فعثر بشجيرة معمَّرة كانت جذورها قد التفَّت حول حجر وعلى هذا الحجر ا ا عشر سطراً من كتابة غريبة وقضى باحث يدعى « يالمار هولند »عشرين سنة في البحث الدقيق مع خبراء الجراح واللغات وطبقات الارض والآثار حتى أثبت ان هذه الكتابة نقشت لذكرى انباء مستعمرة من السويديين والنرويجيين في منسوتا قبل سنة ١٣٦٢ والمرجح ان البعثة التي انشأت هذه المستعمرة كانت البعثة التي اوفدت من قبل الملك ماغنوس اريكسن في سنة ١٣٥٥ لامداد المستعمرين النورس الذين استعمروا في جرينلندة من الوثنية وكانَّ الدافع الذي حمل هؤلاء الرجال على التوغل غرباً في فيافي كندا الى ان استعمروا في ولايةٍ ،اصبحت بعد خمسة قرون ، عند كثرة هجرة الاوربيين الى اميركا ، مقرًّا لمعظم المهاجرين السكندناويين وهي منسوتا

في فصول هذا الكتاب تتعاقب الصور الاخاذة — ريادة القارات وفيافيها وصحاريها وقممها والصعود الى منابع انهارها والتوغل في حراجها وادغالها واقتحام جمد القطبين سيراً على الاقدام وبالمزالق وعلى أحدب الزحافات والبلونات ، والتحليق في الجو الى عشرة أميال والغوص في الماء الى نصف ميل — هنا جمع الاسماء الباهرة في تاريخ الريادة من هانو المصري الى بيرد الاميركي

وكذلك تتوالى الصفحات كما توالت الاعوام والقرون وميامين الروَّاد يسيرون بعضهم في أثر بعض يجتازون المشاق ويهزأون بالعواصف ، يخفقون آناً وينتصرون آونة فعبدت لهم الارض ومشوا في مناكبها ان صفحتهم لمن اصح الصفحات في تاريخ العمران بل ان حديث اقدامهم وثباتهم وشوقهم الى كشف المجهول يصدره نغمة تثير في النفس تلك النزعات العالية التي بها يتمجد الانسان




### مسرحية للأديب الكبير بول فاليرى

مثلت في اوبرا باريس عام ١٩٣١ حقوق الترجمة والنشر بإذن المؤلف

## الأشخاص

امفيون ابولون شخص غير منظور الالاهات الاربع الاحلام الشعب

« نقلها خليل هنداوى »

[ يرفع الستار عن نفق أو خرق واسع في صخرة على ذروة جبل يتهادى نحو السماء والفسحة الخارجة من يمين الصخور وشمالها تغطيها اشجار كثيفة من الكستنا والسنديان وفي الاعلى تسطع القمة العارية ، وعلى يمين القمة صخور مبلورة وقليل من الثلج يلمع هنا وهناك في الأعالي وفي وسط المشهد ينبوع نشف ماؤه القـاتم ، وحوله تصعد شماريخ مختلفة تمتد بصورة غير منظمة حتى تسد هذا النفق وفي هذه النواحي فسحات فارغة اما السماء فقد سطع منها جانب من المجرة فيها ذرات مضيئة ونجوم مختلفة الحجم والفضاء المظلم يسيطر هنا وهناك في هذا المشهد يقع النظر على أشباح ليلية ترقص زمراً زمراً في كل مكان تختفي ثم تُرى حيث تتكاثف الظلمة المحيطة بها ثم يدخل من اليمين والشمال رجال ونساء يفتش بعضهم عن بعض ، يتساءلون ويتفاهمون بالاشـارة ، ويتوارون وراء الاشجـار ، يجنحون الى الراحة ويدخلون في الظلام ، فتسمع الاذن في هذه الهدأة حفيف الـكون ، ونغمة غير انسانية وعلى هذه النغمة الواحدة تتعالى أنشودة الينابيع بصوت كصوت الاطفال ا

اليانبع نحن الينابيع ، لسك الزمن الفاني
بالقطرات الدائمة !
من دموع الثلج تجري كل حياة
وما بكي الارض بأكمه حتى البحر
« يدخل امفيون وتعلن ألحان صادحة عند قدومه يدخل جاني الطهر »
« وبيده حيوان على هيئة مسخ تصعد على هذا الحيوان بقدميه ، وتسل »
« مديته ، وبينما هم بذبحه تسمع
صوت لماذا ؟ لماذا ؟
دع الحياة تحيا
واترك الموت بأيدي الخالدين !
« يسمع امفيون هذا الصوت فيطرح مديته ويمر الحيوان سالماً وبعد »
« تردد قليل يتجه الى مغارة عميقة ، فيخلع الجلد عن ذراعيه ، ويجلس »
« متأملاً في السماء المكوكبة ثم يغرق في الكرى فتظلم السماء قليلاً قليلاً »
« وعلى بساط الظلام تبدو الاحلام وهي تدور النائم وبينها حلمان عارقان »
« بالنجيع يريدان حربه ، ويلمعها مسخ ، وتبدو اشخاص عليها خرق »
« عرية وامفيون يحرم الرقاد ، وأحد تظهر له « الحلم العاشق » بزي »
« راقصة عارية يرتدي رداء طويلا ، يخوعليه وتلمسه وتفرح به ، وكلما »
« تحرك منه عضو أجفلت منه طائرة »
وهنا تظهر الإلاهات
إلاهة تخرج من الينبوع وتنادي
« إلاهة » !
وثانية تخرج من صخرة وتنادي
« إلاهة » !
وثالثة ورابعة تنزاح عنهما الغصون وتناديان
« إلاهة » « إلاهة » !
تتعالى هذه الاصوات في زمن واحد ، وصواحب هذه الاصوات يخطرن

في الظل كأنما يصغين ، يجتمعن و يأخذن بعضهن بأيدي بعض

إلاهة ١ اني لأرى ما لم يكن !

إلاهة ٢ اعرف ما لا يكون !

إلاهه ٣ أصنع ما سيكون

إلاهة ٤ وانا لا شغل لي الا الحب

إلاهة ١ يا رفيقاتي ! يا أسراب النحل الجميل

لنطع الله ولنقدم انفسنا لهذا الانسان !

« ٢ ان روحه تخبط في حجم النعاس

« ٣ انه يجهد

« ٤ انه يتململ

« ٢ انه يسمى

« ١ انه يظن بأنه يحيا !

ولكن لنحرر من ان نحيه الافراط في الألم قبل الفجر !

هيا الى العمل ، ولكن لنبدد قبل كل شيء هذه الصفوف المشوشة من الأحلام !

[illegible] يبدأ قتال بين الاحلام والالاهات ينتهي بطرد الاحلام ، وآخر الفال مع الحلم العاشق

[illegible] وهنا [illegible] الظلام [illegible] قليلا ، ولا [illegible] الا [illegible] الإلاهات [illegible] بالمهر الازرق [illegible] و لإلاهات [illegible] على « [illegible] » الذي لا يزال نائماً ، وهن يرويه بحركات سحرية وكلمات [illegible]

المهرهرة الساحرة ايها الرجل النائم

ان الليل [illegible] عليك

والمكر [illegible] اوجدنا الالاهات ،

تجمع الإلاهات حوله حلقة استقبالية ، واحده على قدميه واخرى على رأسه ، واثنتان حول جسده وقد بسطتا ايديهما وشخصت عيونهما في السماء

ايها الاخوات الاميات للعبقرية الالهية

الجميع إن هذا الرقاد الذي مهدنهُ أيدينا
نُسلم هذا الانسان لله

الاهة يا لهُ من سلام قدسي يتألق على هذا الوجه الصافي !

الاهة انهُ ينعكس عليهِ ابتسامة اهملتها النجوم

الاهة هذا الجسد الصافي ، هذا الجسد الساكن شبيه بالمعبد !
بالحجر المقدس

الاهة وروحه أضاعت سبل الحياة

الاهة انهُ كالخالد يجهل نفسه

الاهة انهُ — الآن — ليس الاَّ ما سوف يكون !
نصح الى الهاوية !

[ رعد بعيد والالاهات يسجدن ]

صوت ابولون [ كأنهُ يصعد من جوف المشهد ]
امفيون !

الالاهات ابولون !

الاصداء ابولون !

الالاهات نحييك في جنح الليل العميق يا اله النور !
كم تحلو في اعماق الظلمات الاصغاء الى الكلمة القوية

الاهة يا سيد الشمس ، ان الظلمات تعبدك ،
والضعفاء من الرجال يحلمون في رقادهم بفجر سيطلع عليهم من لديك

الاهة ألا زر هذا الراقد ! وأيقظ فؤاده حتى يصغي شيطانه الخاشع الى صوت
الحكمة القدسية

ابولون !

الاصداء أ ، بو ، لون !

الجميع اضرب يا الهنا ، اضرب أنر ، وأضيء ،
بصوتك الخالد اضرب هذا الراقد !

كما تسطع الشمس الصافية على ذروة الجبل وتبر القمة الشاهقة السامقة !
اضرب أيها الاله ! تعال أيها الاله

الاصداء أيها الاله !

[ رعد بعيد ]

[ الإلاهات ساجدات ولمعة غريبة على وجه امفيون ]

صوت ابولون امفيون !
اني انتخبتك من بين البشر كما ينتخب الحب
وكما تنتخب العاصفة القمة
اني اصطفيك
فيا أيتها النفس العميقة اسمعي وصلي ابولون !

[ يرتعش امفيون ]

الالاهات ابولون !

الاصداء ابولون

صوت ابولون اسمع اني سأكون بك معرِّفاً للناس ، للذرية القادمة
سأعطيك منشأ النظام
سأنزل عليك في اللحظة النقية الصافية
إذ ذاك ينشأ على وجه الارض فصول معطاة تقدرها الحكمة السماوية
سأأتمك على ما ابتكره « هرمس »
وسأهبك الآلة العجيبة المذهلة
العود

امفيون ، امفيون !
أعطِ النغمة البكر واسمع بها
ستعاش على اوتاره السبل التي سنها الآلهة و حداها
وعلى هذه السبل المقدسة تمضي أترك النفوس
المادة الجامدة تغدو أسيرة عودك
خذ العود سلاحاً وحرك الطبيعة

وليولد عودي معدي !
ولبرحف الصحر باسم الاسم الالهي
واحدب من الصاب هده الحرائب من العمم !
وقدم لي مند الفحر معداً منيراً
ولنكن حوله مدينة كبيرة تبتهل فيه بالصلاة
ولبرهع بداك الي مقدماً لي ما حلمتُ وأبدعتُ
امصون !

الإلاهات اپولون
الاصداء اپولون
( تسرق الاصداء

صوت اپولون واسّ أيتها الإلاهات الجميلات الأمسات !
ايتها العررات التمات !
امها العاولات !
احسه واحرسه !
ولكن اعلمن ألاّ سعادة له، ولا سعاده بعمره انهُ لا يحا الاّ من أحلى !
اني اسحته كمه بتحها العاصمه !
( تهص الالاهات وتصل يديه ووده ه وحده

اصوا من دون بعد امصون، كن معجره
وكن صيد، المعجرة الكبيره
( تشمل الليل ولا تسمع فيه الاّ اصوات الالاهات اللوات يادين في الطلام (

الالاهات الاهه ! الاهه ! الاهة
( تعود النور قليلاً فاذا مصوعاً بألوان الفحر وتوارى الالاهات فيرى العود عند قدمي « امصون » ولحن مهمه من الطبيعة الحيه التي تتيقظ وهتاف عصافير وهدير مياه وتكرار نشيد الينابيع (

[ تستيقظ الرجال والنساء ، منهم الذاهب الى صيد ، ومنهم الرائح الى عمل والنساء منهن الواردة منهل الماء ، والواقفة على الماء تتراءى ، والصغار يلعبون ويتخاصمون فيضطرب امفيون ]

[ يتيقظ امفيون وفي خلال هذا المشهد ينسل الاشخاص ، والموسيقى توقع ممثلة حركات « امفيون » تستوي لحأة على مضجعه ويتأمل ثم ينتصب ويمشي بضع خطوات ، يتروح نسيم الفجر ثم يهبط الى الينبوع ويرشف منهُ طويلاً يرقص كمن يحرك اعضاءه ، فيقع نظره لحأة على العود يتأمله امفيون مستغرباً ويمسكه ]

[ تضرب لحأة فيرن وتر من اوتاره رناً قوياً يجيب عليهِ هزيم الرعد وكتلة من الجبل تسقط ولها صوت عظيم ، ينهزم الناس مذعورين منهم المقبل ومنهم المدبر ، فيرتاع امفيون ويترك العود ، ثم يعود اليهِ محاولاً القيام بتجربة ثانية ]

[ رنة ثانية تعطي نغمة رقيقة فتهوي اليهِ بعض الصخور هوياً لطيفاً لا صوت له ، ويطلع عليهِ عشاق وعاشقات مادين بأذرعهم اليهِ وقد عقدوا الايدي واسلوا رويداً رويداً ، فيضع العود ويتأمله ، وهو جالس على صخرة يكتنفها الماء فيرى وجهه فيعود اليهِ حلمه قليلاً قليلاً ، وتسمع تمتمة مهمهمة الالاهات بنغم مطبق ، فينهض امفيون مذعوراً ويحدق في السماء مستنجداً مستعيناً ]

الالاهات من حيث لا ينظر امفيون !

امفيون من ناديني ؟

الالاهات نفسك !

امفيون لنذكر نفسك

١ من يتكلم ؟ أذكر ان صوتاً علوياً ، ان صوتاً لا وجه له يتكلم في جنح الليل

الم اسمع كلمات القضاء ؟

هل اراني احد سبيل عرائس الظلام ؟

٢ انها الصوت القدير !
لقد قيل انهُ تكلم
كما تتكلم الهاوية المنارة
هو الذي يحمل الحيّ ان في السكون وتحت النجوم يناجي ذرية الانسان
الشقية ذات الارواح الرائلة !

٣ انهُ قال . السماء التي تكلم
قالت
« امفيون !
اني امنحتك كما ينتحب الحب
اني اصطفيك كنغمة تنتحبها العاصفة . .
اني احترتك !
وحبوتك الآله العريبة
العود !
خذ عودك سلاحاً وايقظ النغمة السكرى
وليولد عودي معبدي !

٤ ايها الآلة الحميه ما اعظم قدرتك !
ايتها الآلة التي تهب الحياة والموت
انت التي تعد ملامحها الالهية روح الوجود !
اني اكاد المس اوتارك الذهبية التي شدها الاله
السماء والارض ارتعشا
واحسست ان الصخر يهتز كأنهُ بدن امرأة مأخوذة !
ورأيتُ
العصب والحب يولدان في الناس
والعصب والحب يفيضان من بين انامل !

٥ هل جرحت او صدمت أو خدشت
جسد الوجود الحي ؟ وقد يكون ذلك
وهل أثرت — على غير علم مني — في مادة السماوات ؟
وهل لمست الكائن نفسه الذي يواري عنا أسرار الاشياء ؟
ها أنا الآن أقوى من نفسي
ها أنا أحدني عرساً ومحترماً لنفسي
نائماً في نفسي ، وسيداً حول نفسي !
ارتعش كالطفل اراء ما اقدر عليهِ

٦ ابولون ، ابولون ، اني سأُطيعك
مؤلفاً رسومات على العود
أ ناملي هي آلهة ،
وقلبي سابق للناس

٧ سأعبر على الصخور المضطربة المشوشة
وفصولي الصافية ستسحَر لأثر لا مثيلَ لهُ ،
حرائق الغمم والمسوح المدحرجة الهاوية من حنايا عاليه !

٨ مولاي ابولون معي
سا سمع العمل والجمال كفرنسيين !
ابولون يغمرني ويعرف مع صوتي
سيأتي هو نفسه لبني معبده
والمدينه التي سعي ان تظهر لعيون الناس قد شوهدت تلمع وتسطع
في مساكن الخالدين على الأبد
[ فأخذ امفيون عوده وربذ السماء ويأهب للعزف وقد امتلأ صدره حمية
ويقيناً ، يضرب على الاوتار ضرباً تسمو فيه الفن سموّاً رفيعاً فتبهر الطبيعة
وترجع الاصداء صوته وتطفح المشهد بالمذهولين
ثم يعزف ضرباً من الرقص المقدس وتستوي على قاعدة الصخور من
الجهة اليمنى وتصبح ]

امفيون لك يا ابولون !

[ وهنا يبدو من البناء وهو مما يسعى وبه اللاؤم بينهُ وبين الموسيقى والاشارات والحركات والموسيقى هي المعبرة عن حركة الاشخاص والآلات المتحركة (١) الحان الحجارة — حجارة ترحل وترتفع لبناء المعبد، والحان الحجارة تبدأ بايقاع بسيط قليلا قليلا ]

جوق عن سطور يالمعجزة ! يالغرائب !

الصخر يمشي والارض تخضع لهذا الاله

أية حياة مروعة تدب في الطبيعة !

كل شيء يحيي ! كل شيء يفتش عن النظام ليسطع

كل شيء يحس أنهُ خاضع لقدر

[ البناء يكمل ، واجزاء من العمارات منثورة في انحاء الجبال رسم المعبد سوطد عمارة صغيرة مؤلفة من عدة راقصات كاسيات ، ثم تظهر الالاهات موشاة بالذهب ، تنتظم في المعبد كأنهنّ اعمدة وزيلس ]

الالاهات يابنات الذهب ! الفويات بشرائع السماء

سقط علينا وسام آلـه لونه لون الشهد!

[ يسطع النور وتشتد الموسيقى وخلال ذلك تتبدل المشهد ، فالجبل يدثر عليه البنايات ، وقد غطت الجدران ولمعت السقوف في الشمس والشعب منتثر زمراً زمراً ]

جوق الشعب ايها الشمس المباركة طاهيا !

ايها اللهب الذي يحمل في السماوات المعرفة والحياة

ايها الشمس !

ليس ثمة من يقوى على تأمل مصدر قوتك !

ان لمعة الطلعة الالهية — اللمعة التي لا تطاق — تحجب عنا الاله !

اما انت فانظري ايها الشمس عجائب الانسان

ها هنا يبدو مالم يصنعهُ احد منذ أشرق وجهك على الوجود !

حوق الشعب ها هو امفيون ، امفيون الطاهر يقدم لك هذه الحرارة الحية لكي
يلفظ اشعتك الصافية
اقام هذه المساكن المموهه بالذهب ، ونصب لك هذه الجدران العالية
أيها الشمس !
نأملي معبدك وأرسلي شعاعك الموقد على شكله البديع !
وليكن جميلاً عذباً بالشعاع المنحدر من الحنين الالهي !
[ دعاء وتهليل ، يدعى امفيون الى المعبد ]

حوق الشعب امفيون الجليل سل مدائحنا !
كن قائدنا ، وملكنا
اصعد الى العرش ، واصعد الى المعبد ، ياامفيون !
( يدخل امفيون وقد احاطت به الجماهير وعليه البردة المقدسة )
( وخلال هذا المهرجان تتقدم الالاهات )

الاهة ( ١ ) العمل اسهى
الاهه ( ٢ ) سأجرى عن معلم ثان
الاهه ( ٣ ) لا ... امره مهما كان !
الاهه ( ٤ ) اني لم اكن الا أملاً !

امفيون الـ[illegible] وفي اللحظ الى يهم وينا المطال بالصعود الى الهيكل
[illegible] امر[illegible] بدخل الهيكل وقد عامه الـ[illegible]
بدوا [illegible] كل [illegible] يهوى على الرداء حجاب والورد
[illegible] وا[illegible] يدور امفيون ولكن الحنان المحجوب
يمسك [illegible] ونأخذ [illegible] الذي [illegible] تامه غير بعيد
في [illegible] يوارى امفيون وجهه في حجر هذا الحنان الذى هو الحب
او [illegible] وتجد [illegible] اذا مدهولا ، بينما الموسيقى تعزف لحناً
[illegible] عذباً قلسا )

« الستار »

الحضارة الحثية

# نواحيها العقلية

## والاجتماعية كما تبدو وتستخلص من آثارها

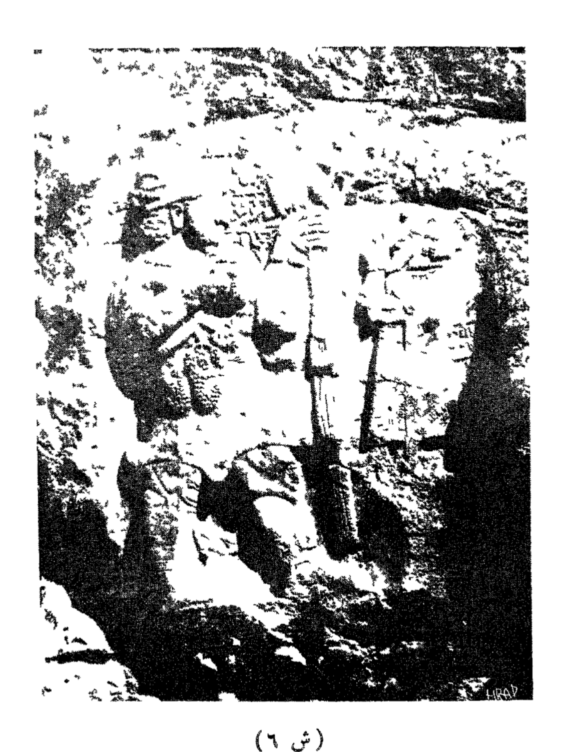
بقلم قيصر صادر

عضو جمعية العاديات السورية

## توطئة

بعد أن أتينا على ملخص تاريخ حروب الحثيين وفتوحاتهم يجمل بنا أن ندخل إلى بيان سائر ما وقفنا عليه من فروع حضاراتهم وتطوراتها وهدفنا في ذلك أن نبين مكانة تلك المملكة العهيدة التي تفوّقت على كثير من ممالك الشرق القديمة بمنتجاتها الصناعية والفنية ولغتها وآدابها وشرائعها ومعتقداتها وليس لنا من رائد في هذا الميدان غير مكتشفات العلم التي يصح الركون إليها

ولعل أجلى مظهر اطلعنا عليه من مظاهر تلك الحضارة العهيدة هو ما جاء في رواية استيلاء العاهل أشور ناصربال الثاني على كركميش المنقوشة على حجارة قصوره حيث قال « في الثالث من شهر نيسان سنة ٨٧٦ ق م غادرت كالح وعبرت نهر الدجلة قاصداً مدينة كركميش في بلاد الحثيين فاجتزت نهر الفرات على أرماث مكسوة بالجلود ولما اقتربت من كركميش فرضت على سنغارا ملك الحثيين عشرين وزنة من الفضة وحلى عديدة من الذهب ومائة وزنة من النحاس ومائتي وزنة من الحديد والصدر وآلات حديدية وبها ٥ كؤوس وجراب وسيف وماسا كلها من المعدات الحربية وأوانات لبلاط الملك وعبيد وأشياء كثيرة لا مثيل لها في جودتها وجمالها وأثاثاً من أبنوس وأعراشاً من خشب السنديان ومائتي امرأة ربعة وأنسجة من صوف ومركبات مرصعة بالعاج وتماثيل من ذهب » فيدلنا ذلك كلهُ على الأوج الرفيع الذي بلغتهُ الحضارة الحثية في الثراء والعمران ورقي الصناعة مما حبب لذلك العاهل الأشوري وحملهُ على الإقرار رغم أنفته وكبريائهِ بأنهُ لم يكن قد رأى مثيلاً لها في سائر ممالكه على أن ذلك ليس إلاَّ عبارة عن وصف



(ش ٦)

نقش حثي بارز على الصخر يمثل الاله السابات الفروي كما يفهم من الكتابة المحفورة قبال وجهه وهو يحمل عناقيد العنب وقد أمسك بيده اليمنى سنابل الحنطة ووقف اماماُ ملك كبير وقفة التضرع والابتهال



( ش ٤ )

الكتابة الهيروغليفية الكبيرة المكتشفة في كركميش وهي تعد من ارقى انواع الكتابات الحثية وترتقي الى القرن العاشر ق م وهي اليوم في المتحف البريطاني

سوف نلمس حقائقه بدراسة ما اكتشف من آثار تلك الحضارة القديمة وبالسير وراء تشوشها النادرة في اساطير الاجيال التي اقامتها ونرى بصورها الراسخة في بطون الاحجار طراز معيشة تلك الاقوام في بيوتها ومصانعها ومعابدها ولعلنا نستطيع ان نتتبعها حتى اعماق قبورها

## الكتابة

لا مرية ان معظم هذه المعلومات انبثقت من حل رموز الكتابات الحثية فينبغي اذاً ان نجعل هذه الكتابات قطب دراستنا ونوجه اليها اهتمامنا ونحن نراها في اول طورها كناية عن اشارات مصورة تعبر عن الافكار على شاكلة سائر الكتابات القديمة لا تلبث ان نشاهد الرموز تحل مكان الصور ودائما هذا التطور على ازدياد معارف القوم على توالي الايام واتساع حلقة افكارهم وقد عرفنا للغة الحثية نوعين من الحروف الكتابية الهيروغليفية والمسمارية ونعني بالاولى حروف الكتابة المقدسة التي كانت ساحة بالحفر والرسم وشتى المسلات والانصاب وجدران المعابد والقصور وقد احتفظ الكهان باسرارها فكادت تبقى لغزاً لا تحل وحروفها مؤلفة من اعضاء الجسم كافة ورؤوس بعض الحيوانات والعصافير واشياء تبقى على مثال الهيروغليفية المصرية بيد انها غير مقتبسة منها بدليل انها تمثل المتاع الخاص بالحثيين كالنعال ذي الرأس المعكوف ورؤوس بعض الحيوانات المحلية وغيرها من العوامل التي تتضافر على اثبات استنباطها في آسيا الصغرى وقد كانت تكتب طوراً من اليمين الى الشمال وتارةً من الشمال الى اليمين فنعرف مبدأها من شكل اتجاه رؤوس الحيوانات المصورة وهي تقرأ غالباً من أعلى الى أسفل وفي بعض الاحيان من أسفل الى اعلى ويلوح انها تمتّ الى عهد ارقى من تاريخ استعمال الكتابة المسمارية لانها تكاد تصور الاشياء المراد بيانها تصويراً اما الكتابة المسمارية فحروفها قائمة على رؤوس المسامير تشبه علامات الالحان الموسيقية ولكنها اكثر منها تلاصقاً وقد تيسر العالم الأثري هروزني التشكوسلوفاكي ان يهتدي الى حل بعض الغازها الغامضة بالاستدلال ببعض علامات فيها تدل على معان معينة في سائر اللغات السامية والبابلية من جهة وبمقابلة بعض نصوص مترجمة من ألواح وعاركوي باللغة الاكادي وكانت اللغة الاكادية في ذلك العهد بمثابة لغة دولية تدون بها بنود المعاهدات ونصوص الطب والفلك وسائر العلوم

وقد وجدنا الخطوط القديمة كثيرة التعقيد ثم رأيناها تميل الى البساطة شيئاً فشيئاً مع تطور الحضارة وكانت تحفر على الآجر والاحجار الصمّ نادرة وتطرق على الصفائح المعدنية من الوراء فتبدأ من جهتها الاخرى وقد باتت الغازها المغلقة قريبة الحل بفضل جهود العلماء ومساعيهم المثمرة

## أحوالهم الاجتماعية

لقد تسنى لنا الوقوف على أغلب تقاليد الحثيين وعاداتهم وطرازمعيشتهم بالاقتباس من الصور المنقورة في الصخر وبقراءة تفسير النصوص الكتابية التي تتوافر لنا يوماً فيوماً فتبيّن لنا انهم قاموا منذ فجر نهضتهم بالحروب والفتوحات وكانوا يعنون ايضاً بتربية الماشية ويميلون الى التوسع في الاراضي الخصبة بقصد استغلال تربتها الزراعية ثم أخذوا يستخرجون المعادن ولا سيما الحديد من مناجم آسيا الصغرى وصار عندهم نقود يتداولونها في قضاء حاجاتهم وكانوا الى الأغلب يحلقون لحاهم أسوة بالملوك وبعض الاعيان فكانوا يتأنقون بارتدائها ويرسلون غدائر شعرهم على ظهورهم مضمخة بالطيب وكانوا يميزون عن سائر الشعوب بأنوف ونتوء [illegible] أما ملابسهم وكانت بسيطة كان الرجال يرتدون قمصاناً قصيرة يشدها زنار عريض الى وسطهم فتكشف عن الركب غير ان الملوك والكهان كانوا يرتدون في بعض الاحيان ألبسة خاصة طويلة الاهداب عريضة مشاة كثيرة الزخرفة وكانوا يحتذون نعالاً طويلة معكوفة الطرف وهي من أخص مميزات لباسهم اما النساء فكنّ يتأنقن بارتداء أثواب منسوجة من أقمشة رقيقة شفافة تنم من خلال طياتها عن شكل أجسامهنّ وبروز نهودهنّ وكان التزين بالحلى مثل الاساور [illegible] والاقراط والأحزار الثمينة شائعاً عندهنّ

وكان للمرأة الحثية شأن كبير في المجتمع فقد شاركت الرجال في أدق أعماله وحاربت في الحروب الى جانبه واعتلت العرش وتسلمت الحكم وأحرزت اسمى الالقاب وكان لها منزلة محترمة وحقوق تماثل اسطها عليها أرقى نساء اليوم على انهُ لم يكن الى ذلك كله سعادة في حياتها الخاصة اذ ملّ بعض من لبس لها شريكات من الرفيقات في بعلها حيث لم يكن [illegible] الى [illegible] دوي الانوف الكبيرة من ان يتسرروا ويعاشروا اكثر من عدد ممكن [illegible] [illegible] روا [illegible] الشرعيات [illegible] اسهر [illegible] اولادهم تكونها مهد الهيكل [illegible]

وقد كان الملك يتمتع بالمطلق بسلطانه [illegible] الآلهة التي كان يمثلها [illegible] الارض وكان [illegible] لانهُ رأس الدولة والجيش والقضاء وكان [illegible] الملك والملكة تسلم التاج [illegible] ازارها اي الملك الحي الاعظم كما ألمعنا الى ذلك في سياق الحديث وكان العرش وراثياً [illegible] حتى الابن البكر فاذا لم يكن ثم ولد للزوجة الشرعية فوراثة الادنى من [illegible] هذا الحق على النساء لا سيما اذا كان ولي العهد قاصراً فتتسلم الملكة [illegible] وتحمل التاج [illegible] باسم الاله وكان من حقوقها ان تشترك في عقد المعاهدات وقد رأينا [illegible] بعض [illegible] العرش الى جانب الملك في الحفلات والطقوس الكبرى

وكان الشعب يغالي في احترام ملكه ويبرله من نفسه منزلة الآلهة لاعتقاده يقيناً انهُ صائر

بعد الممات الما مثل ابائه وأجداده و دفع له ضريبة أرجيه صاغراً كما ان سكان الاقليم كانوا مكلفين ان يدفعوا علاوة على ضرائب أراضيهم العائدة الى مالك مقاطعتهم ضريبة سنوية للملك الاعلم وعند ما يدخل عظا الملك الى حياه الخلود كانت تحد عليه رعيته حداداً عظيماً و ...وق ثا ها وتعلق المعابد و ... عن الافراح والاعراس وتسكب عليه دموعاً سخينة اكباراً لمقامه وحزناً على فقدانه

**الديانة**

ضمت معابد الحثيين عدداً لا يحصى من الآلهة وقد تسنى لنا ان نتعرف الى بعضها من الاسماء والنعوت التي كانت تحفر غالباً على اكتاف اصنامها فقد كان لكل عنصر من عناصر الطبيعة اله يمثله حيث اعتاد الحثيون ان يؤلهوا كل قوة يخشون بأسها على الارض فكان عندهم آلهة للنار والهواء والماء والشمس والبرق والصواعق ولكثير غيرها من عناصر الطبيعة على مثال اثر الديانات الشرقية القديمة ولا سيما ديانات الهند التي تشرب الحثيون كثيراً من عقائدها الارية والديانة الشمرية التي اقتبسوا منها معظم طقوس عاداتهم

زد على ذلك انه كان من تقاليدهم ان يستولوا على الممالك التي يفتحونها عقائد سكانها الدينية وعاداتهم المحلية ويضمون آلهتها الى هياكلهم ويراعون حرمة اعيادهم خلافاً لسائر الدول القديمة التي كانت تحمل المغلوبين على انتحال دياناتها فتجمع لديهم من جراء ذلك مئات من الآلهة حيث كاد يكون لكل مدينة آلهة محلي تعبد فيها بجانب الآلهة الكبرى وكانت تختلف رتبة تلك الآلهة المحلية باختلاف مكانة المدينة التي تنتسب اليها فكانت مثلا مدينة عارينا الكبرى تحت حماية الهة الشمس التي تأتي مع زوجها الاله الاكبر واهب الحياة في طليعة المعبودات ثم يليها سائر طوائف الآلهة بمراتب متباعدة بعضها باو بعض وقد أورثنا الآثار لكل تلك الآلهة هيئات وصفات خاصة يختلف بعضها عن بعض اختلافاً بيناً

فاما في ما سبق ان الملك هو رأس الديانة لانه يمثل الآلهة على الارض وهو كاهنها الاكبر تعاونه في وظائفه الدينية رهط من الكهان بمراتب متفاوتة تنحصر وظائفهم على حدة الطقوس وقد اطلعنا في لوح على وصف طقوس الاعياد نسردها على علاتها تاركين للقراء ملاحظة وجوه التشابه بينها وبين اهل طقوس بعض الاديان المعاصرة

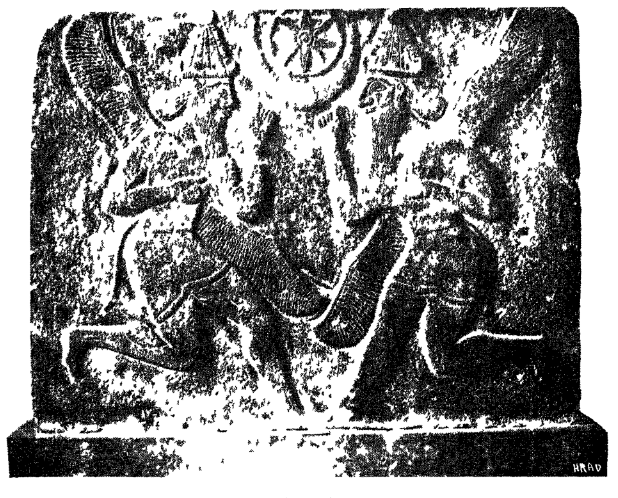
تؤم الجماعات المعبد يوم العيد فتقام الموائد المقدسة وتتلى الاناشيد وعندما يكتمل عدد المؤمنين يرتدي الملك ثياب العيد الخاصة ويتوشح بالحلي الطقسية ثم ينتقل من قصره الى الهيكل باحتفال مهيب وعند اجتيازه عتبة فناء المعبد تغسل يديه في حوض الماء المقدس ويحرق البخور حوله ويباح قدس الاقداس مطهراً فيسجد تخشعاً ثم يعتلي اريكته فيقدم عندئذ قرابين اللحوم الذكية وتوضع على الموائد المقدسة المغطاة بفوطة بيضاء وتراق فوقها الخمور فيأخذ محله في صدر المائدة

الكبرى ويجلس الاعيان والكهنة عن يمينه وشماله بعد ان يغسلوا ايديهم ويضعون موطأً على ركبهم ويأخذون معهُ في تناول الاطعمة المقدسة التي تتخللها بعض رموز دينية وتلاوة بعض التسابيح فينطبق ذلك كلهُ على طقوس الاديان السامرية ، الاكادية وبحملنا نظن ان جميع اديان العالم مقتبسة طقوسها بعضها من بعض

اما صلواتهم فقد كانت عبارة عن تضرعات الى الآلهة من اجل طلب التمتع بملاذ هذه الدنيا وشهواتها مع الاشادة بمديحها وهنالك صلاة أشبه بمزامير التوبة تتلى في حال الخطيئة ويلوح ان السحر والشعوذة كان لهما شأن خطير في معتقدات الحثيين فقد ثبت انهم كانوا يؤمنون بضروب السحر وتأثير الطلاسم وقد تسلط على عقائدهم الخرافات والاوهام السخيفة ودليلنا على ذلك ما عثر عليهِ في حفريات بوغاز كوي من اكداس من حروف معطاة بخطوط وشعوذات من شأنها ان تدفع الشرور والبلايا عن حامليها كما يتبين من تفسير لوح وهو ان الوضع عندهم كان يجري على مقعد خاص أتون بهِ من المعبد عند ما تبدأ المخاض فاذا تحدث جسم المرأة تخشب ذلك المقعد في اثناء الوضع او كسر المقعد تحتها يفسر ذلك بان المرأة نحسه فيتحتم عليها ان تمر بسلسلة مراسم شاقة لتطهير نفسها قس على ذلك شتى انواع المعتقدات التي تسهجنها العقل وقد أرتنا النقوش البارزة على جدران المعابد رسوم قصص دالة لها علاقة بديانتهم مثل الرسم الذي يمثل عراك الاله الاكبر مع حية رقطاء ونقش آخر يجسم لنا الغواية في رسم امرأة منصفة العري وغير ذلك [illegible] العرش التي [illegible] عند درس الآثار والفنون الحثية

ولعل اغرب [illegible] في خرافاتهم قصة [illegible] المحض باختفاء الاله تلاسو عن وجه البسيطة خفياً وانتقاماً من البشر مما ادى الى انتشار الدنيا بأسرها على الهلاك لجدب مزروعاتها والقحط الذي اصابها فعقدت الآلهة احياناً كثيرة [illegible] فيهِ ان يوفد العقاب للبحث عن اخيهم تلاسو المختفي فجاب العقاب الفيافي [illegible] ورجع [illegible] مما حمل الاله الاكبر على ان [illegible] نفسه فجاب [illegible] كذلك وكان [illegible] المخلوقات بحيثه فأمرتها الالهة الشمس ان [illegible] اليه [illegible] في يديه ورجليه [illegible] بهِ [illegible] تلاسو [illegible] فارتدع عن عنادهِ وعاد الى الارض فعادت معهُ الحياة [illegible]

ويجدر [illegible] مع [illegible] ان نورد وصف لوقيانوس اليوناني لمعبد ادركه بجوار كركميش في [illegible] على طراز حثي يساعدنا على معرفة ما كانت عليهِ معابد الحثيين في قديم الزمان فقد [illegible] هيكل سليمان في اورشليم وقال انهُ كان مؤلفاً من دار خارجية وهيكل داخلي [illegible] قدس الاقداس ويفصله عن باقي المعبد حجاب كثيف على جانبيه عمودان مخروطيان وفي الدار الخارجية مذبح كبير من النحاس وعلى شماله صورة الهة ومن



( ش ٨ )

حجر بارز النقش الحجم ( ر٩٤ × ١ر٢٧ × ر٩٣ × ١ر٢٧ × متر ) اكتشف في قلعة حلب عام ١٩٣٠ ونقل الى متحفها عليه معبودان مجنحان يرفعان على قصبتيهما قرص الشمس داخل هلال وتدل هيأتهما على انهما يحلقان به في اجواء الفضاء وهو من الآثار الحثية التي تغلب عليها تأثير الفن الميتاني

ورائها حوض ماء فسيح كان يسبح فيه السمك المقدس وفي داخل الهيكل قرص للشمس وتماثيل آلهة شتى معظمها على مثال الآلهة المكتشفة في حفريات بوغاز كوى منصبة على اسد او على ظهر ثيران

**القوانين**

عثر بين الواح بوغاز كوى على مجموعة قوانين ترتقي الى سنة ١٣٥٠ ق م مشربة من روح الديانة الحثية فعني بترجمتها العلماء هروزني وريمر وفريدرك ولما كانت تضم نحواً من مائتي مادة لم نر بداً من الاقتصار على تلخيص المهم منها

فقد قسمت بوجه العامة الى قسمين قسم يبحث عن حقوق افراد الشعب وفروضه تجاه اولائه والآخر يتعلق بملكية الاراضي والكروم وهي تعد من القوانين الشديدة ولاسيما ما يتعلق منها بالتأمين على واجبات الرعية تجاه مليكها وممثليه من رجال السلطة كما انها تحظر الغش بحقوق اصحاب الاراضي الزراعية وتعين تعديل العلائق بين ارباب الصناعات وعمالهم

واذا بسطنا في الحقوق المدنية نرى في المجتمع طبقتين الاحرار والعبيد اما طبقة الاحرار فقد شدد القانون في صيانة حقوقها بخلاف طبقة العبيد التي عبث بحقوقها حتى أُبيح حرمة اعراضها مثال ذلك اذا تزوج رجل من عبدة او ساكنها لا يكلف دفع مال اما اذا عقد خطبته على فتاة حرة فيترتب عليه ان يدفع الى أهلها مهراً حتى اذا نكث بعهده يبقى لها حقاً مكتسباً وكانت طريقة الزواج عند الحثيين على نوعين في الاول يلحق المرأة بعلها وفي الثانية يساكنها وهي في حظيرة اهلها وكان قد منع القديم الزواج من الاخوات وبنات العمومات والخالات ومن سائر الاقربين محظوراً وفي حال وفاة الزوج يحتم على اخيه او ابنه ان يقترن بارملته وليس في ذلك القانون نص على الطلاق على انا نرى نهي الوالد عن طرد ولده او ابنه ما لم يتكرر منهما ذنب خطير حتى اذا اختلس الابن المال لا يعد سارقاً اما الملكية فكانت مصونة بحماية الآلهة تعهد مراقبتها الكهان وكانت تنتقل بحكم الطبع الى الابناء بعد وفاة الآباء وفاقاً لمراسم تجري في المعبد مقابل أجر زهيد اما المبايعات وفراغ الملكية من الغير فكانت تستوجب نفقات باهظة وتستلزم تصحيحه تعاج في الحقل او في دفعه الملك المراد بيعها ولم يكن يستثنى من تكاليف هذه المعاملات غير الكهنة وبعض قاطني المعابد وكان نظام الاقطاعات شائعاً حيث نرى كثيراً من اراضي الخراج يملكها الجنود وسائر الذين يؤدون خدمة جليلة الى الملك فتحمل لهم عليها رزقاً يتوارثونه على اجيال متعاقبة ومما يبحث عنهُ القانون الحثي تعيين اجور العمال التي نفهم منها ان الحداد والحرفي والنجار وكل معلم صنعة كان يتقاضى اجرة قدرها عشرة مثاقيل من الفضة اذا كان حراً ونصفه اذا كان عبداً وقس على ذلك بدل ايجار العقارات والاشياء المنقولة وسعر الحاجات الثمينة مما يضيق بحثنا عن استيعابه

اما فيما يتعلق بقانون الجزاء فقد كانت عقوبات الجرائم من اغرب ما سمعت به اذن فقد كان في القديم يحكم على القاتل ان يقدم لاهل القتيل اربعة رجال عوضاً عن المغدور به اذا كان حراً ورجلين فقط اذا كان عبداً ثم استعيض في بعض النصوص المعدلة بدية من الفضة على انهُ في حال اختفاء الجاني تكون البلدة التي حدثت فيها الجناية مسؤولة بمراضاة اهل القتيل وكان عقاب الاختطاف والاعتداء على العفاف اشد من ذلك هولاً اذ ليس لهُ من جزاء غير القتل بيد ان الملك كان يمنح العفو في بعض الظروف اما سارق المواشي فكان يحكم عليهِ بأن يعوض عن سرقته بثلاثين ضعف مثلها وسارق النحل يحبس في مغاءة موثق اليدين

***

على ان هذه المواد ما لبثت ان تعدلت وخفت وطأة شدتها عما قيل مع تحول الزمن اما سائر المواد التي تتعلق بالسلطة والدين مباشرةً فقد حوفظ على شدتها تعزيزاً لهيبة الحكومة التي كانت تمثل السلطة والدين مثال ذلك أن سرقة رمح بسيط من باب قصر الملك او معصية امر من اوامره كانت تعرّض صاحبها للموت المحتم مع خراب بيتهِ وكان يدفع سارق الحقول المقدسة التي تخص الكهنة والمعابد ويقدم قرباناً للآلهة تكفيراً عما جنت يداه وكان يحكم على بعض العصاة بتر عضو من اعضائهم بأ نأ لهم كجدع الانف وصلم الاذن وهلم جرًّا

وكان مسموحاً للرجل ان يقتص من زوجتهِ العاهرة وعشيقها بالقتل اذا باغتهما متحدعة في حالة مشينة اما اذا ابطأ بالاقتصاص فلا يجوز لهُ أن يتعمد قتلهما ويسلّم القانون الحثي في بعض الحالات بالأسباب المخففة كما سمح بتطبيق أقصى درجات العقوبة في حالات أُخر خلافاً لسائر القوانين القديمة التي لم تكن تراعي الدقة في ظروف الجرائم الى هذا الحد مثال ذلك يحكم بالقتل على الرجل الذي تعدى على عرض امرأة في حقل منقطع أما الامرأة فبرأ ساحتها باعتبار الاعتداء واقعاً عليها عنوةً في محل بعيد عن الاستغاثة ولكنها تتعرض لنفس عقاب المعتدي باعتبارها شريكة لهُ بالاثم اذا وقع الامر في عقر دارها

***

وصفوة القول ان الحثيين مع شدة ميلهم الى النهب كانوا يغارون على عرضهم غيرة قوية ويغالون في احترام قوانينهم لاعتقادهم انها موحى بها اليهم من الآلهة ومن ميزات هذه القوانين انها كانت تأمر بالاحسان وتنهى عن المعاصي فيخال المرء عند تلاوتها ان بعض وصايا المسيح قد جاءت من اعماق القرون السحيقة

« في العدد التالي تتمة ( الحضارة الحثية ) وهي تتناول «الصناعة والتجارة والفنون »



# مفردات النبات

من اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الدمياطي



## الأُرجُوَان

وبالفارسية (أرغوان) وفي الشام يقال له (الزَّمْزَرِيق) شجرته يرتفع من ٦ أمتار الى ١٠ أوراقها تكون فرادى تتساقط الواحدة منها فلقة الشكل مستديرة كالأذن أزهارها حمراء أرجوانية بهجة مكتظة في عناقيد ساق حتى من الفروع القديمة قبل إنشاق الأوراق فتبدو الشجرة في مجموعها كأنها إكليل أرجواني وكل زهرة منها على صورة الفراشة وثمرها قرن طولهُ من ١٣ سنتمتراً الى ١٥

اسمها العلمي ( Cercis siliquastrum, L ) (كركس سليكواسروم)[1] وفصيلتها القلية أو القرنية ( Leguminosae ) (ليغومورية) وبالانجليزية (common Judas-tree) والفرنسية ( arbre de Judée )

وهي شائعة في حوض أوربا (الرقيرا) وفلسطين والشام ويزرع للزينة وتطلق الخرافة القائلة في طعم أزهارها ووفرة هذه الأزهار على الأغصان كثيراً ما تؤكل في أوربا ضمن « السلاطة » وخشب هذه الشجرة جميل تخلله عروق سود وخضر وهو قابل للصقل الجيد

## الإفْسِنْتِين الكبير

عشب معمّر متساقط الورق ورقه متعددة القسيم الريشي اللاتي يكسوها شعر حريري الملمس قصير ورؤوسه الزهرية (نوراته) متدلّية الواحدة منها شبه نصف كرة وزهرته صفراء

---

(١) ثيوفراسطوس هو الذي أطلق اسم كركس (Kerkis) على هذه الشجرة وقال انها كانت مجموعة في الأزمان القديمة في حدائق بيت المقدس وان يهوذا الاسخريوطي انتحر شنقاً عليها

اسمه العلمي ( Artemisia Absinthium, L ) ( آرتميزيا ابسنثوم )[1] وفصيلته المركبة وبالانكليزية ( common wormwood ) والفرنسية ( [illegible] )

وهو شائع في اوربا وشمال آسيا ووسطها وشمال افريقية وهو من نباتات الزينة ونافع في الطب مقوياً ومضاداً للتشنج والديدان ومتى استعمل من الظاهر كان محللاً للاورام ومضادا للعفن وقيل إن استعماله مفيد في امراض الصرع ( داء الملوك ) والاسقربوط ( داء الحفر ) والاستسقاء الى غير ذلك ومع ان الطب الحديث لا يعوّل على تأثيره في هذه الامراض الا نادرا فإن له بعض الفائدة في تقوية المعدة

أما العناصر الفعّالة فيه فهي الابسنثين ( absinthin )ومادة زيتية قابلة للتبلور وزيت طيار خاص به هذا وقد أوصى بعض الباحثين بالامتناع عن زرعه قريبا من النحل وقالوا ان زرعه منعاً لتفشي الحشرات

## الإِفْسَنْتِين الصغير

عشب قد يرتفع عن الارض متراً متساقط الورق معمّر ورقته ذات شعيرات [illegible] وجهها السفلي ريشية مضاعفة وريقاتها على صورة خطوط ورؤوسه الزهرية (نورانية) كروية وزهرها صفراء

اسمهُ العلمي ( Artemisia Pontica,L ) ( آرتميزيا بونتيكا ) من الفصيلة المركبة وبالانكليزية ( true Roman wormwood ) والفرنسية ( [illegible] ou absinthe pontique )

شائع في وسط أوربا وجنوبها وغرب آسيا وهو من نباتات الزينة أكثر عطرية وأقل مرارة من الإِفسنتين الكبير المتقدم

## أُذُن الحِمَار الكبير

وباليونانية ( سِمْفِيتُون )[2] وقد جاء في بعض المعاجم (سمفوتون)وهو عشب معمر خشن أقرب شبهاً بالشجيرة جميل المنظر ولذا يعد من نباتات الزينة جذوره درنية وأوراقه [illegible] الشكل الواحدة منها مستطيلة قاعدتها ممتدة الى أسفل وأزهاره بيض

اسمهُ العلمي( Symphytum officinale, L ) ( سمفيتوم او فيشنالي )من الفصيلة لسان الثور (الشجارية) ( Boraginaceae )(بوراجيناسيه)وبالانكليزية( [illegible] comfrey ) والفرنسية ( grande consoude, consoude officinale )

(١) قيل ان آرتميس ( Artemis ) هو من اسماء ديانا ( Diana ) ربة الصيد [illegible] وان هذا النبات سمي آرتميزيا نسبة لآرتميس الذي ورثنا عن [illegible] من استعماله من [illegible] اما ابسنثيوم ( Absinthium ) فمعناه غير سار اشتقاقاً من ( A ) اي [illegible] بمعنى الى و ( psinthos ) اليونانية بمعنى سرور وذلك لما في هذا النبات من الطعم المر

(٢) هذا الاسم مشتق من ( سمفيتون ) اليونانية المركبة من كلمتي ( سن ) حرف جر بمعنى مع [illegible] ( [illegible] ) فعل بمعنى نما اي النمو معاً او الالتئام وهكذا كان [illegible] في اشتهار ذلك النبات [illegible] دواء [illegible]

شائع في أوربا وغرب آسيا وفيه مادة غروية ( mucilage ) ولذا قد يستعاض به في الاستعمال عن الخطمي ( الخطمية ) ( Althaea officinalis ) وجذره يستعمل في الطب البيطري على الخصوص كما يستعمل دواء دافعاً للإسهال والبواسير

## آذانُ الأرنب

ويقال لهُ في مصر (الحَلَنْدُوب) و (الحِلَّوان) كما جاء في معجم النبات لموشلر الالماني عشب سنوي جميل المنظر ورقته بسيطة كاملة الحافة قاعدتها مكتسية لساقه وزهرته صفراء

اسمه العلمي ( Bupleurum rotundifolium L ) (بوبلوروم روتوندفوليوم) وفصيلته الصوابية أو الخيمية ( Umbelliferae ) ( اومبليفرية )

وبالانكليزية ( throw wax, hare's wax, through-wax, buplever, hare's ear )
والفرنسية ( buplevre, perce—feuille ) شائع في اوربا وشمال افريقة وغرب آسيا وشمال أمريقة وهو ليس مهمًّا اقتصاديًّا

## الأُنْسُوح

ويقال لهُ ( ذَنَب الخَيْل) عشب معمَّر ينمو نطاقه في البقاع التي توجد بها مستنقعات على الخصوص نذكر منهُ نوعين وهما

(١) الهولندي وهو دائم الاخضرار سوقه بسيطة قائمة خشنة جدًّا لتوفر مادة السلكا (الرمل) فيها وتحمل في اطرافها سنابل

اسمهُ العلمي ( Equisetum hyemale, L ) (سوم هايمالي) [1] وفصيلتهُ الأنسوحية ( Equisetaceae ) (اكيساسية) وبالانكليزيه( Dutch rush ) والفرنسيه (prele des etains) شائع في فرنسا وهولندا وبريطانيا ينفع سوقه في جلاء الخشب والمعدن وكثيراً ما يستعمله صانعو النحاس وصانعو الامشاط وكان مرغوبا فيه جداً لجلاء الأواني النحاسية والخشبية في المطابخ

(٢) الحقلي وهو متساقط الاوراق سوقه غير المثمرة (العقيمة) تكون راقدة على الارض ذات فروع بسيطة خشنة مرتبة الضلوع وسوقه المثمرة ذات اعماد اسطوانية الشكل ذات اسنان

اسمهُ العلمي ( Equisetum arvense L ) (اكيستوم اروفنس) وبالانكليزيه ( corn—horsetail ) والفرنسية ( prele des champs و prele petit ) شائع في اوربا ولا سيما بريطانيا ويكثر في الاراضي المزروعة وهو من الاعشاب الضاره في الاراضي العرينية (المكونة من الطمي) الممهدة وهي التي تنشأ عن الانهار والبحيرات

---

(١) اسم ( Equisetum ) اللاتيني ومعناه شعره حصان اشتقاقاً لفظيا من كلمتي ( equus ) اي حصان و ( seta ) اي شعره وذلك لوجود فروع دقيقة كالشعر في جميع الانواع من هذا النبات

# المارستان النوري الكبير بدمشق

للدكتور سامي حداد

عضو الكلية الجراحية الامريكية وأحد
اساتذة العلوم الجراحية بجامعة بيروت الاميركية

يقع في حادة المارستان الى الجهة الشرقية من سوق الحميدية المشهور ويبعد عن القلعة نحواً من خمسمائة متر تقريباً

انشأهُ السلطان العادل نور الدين محمود ابو القاسم بن زنكي اق سنقر سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤م) وهو من أشهر المارستانات العربية ولا تزال ابنيته قائمة، ونور الدين زنكي هو ثاني ملوك الدولة النورية كردي الاصل حكم في العجم والعراق والجزيرة وتسلم زمام الحكم في سوريا بعد قتل والده عماد الدين في سنة ٥٤١هـ(١١٤٦م) وامتد حكمه الى مصر وتوفاه الله سنة ٥٦٩هـ(١١٧٣م)

ندر ان خلد التاريخ لاحد من ملوك الارض ذكراً كالذي خلده لنور الدين فاليك ما قال فيه ابن الاثير — « وطبق ذكره الارض بحسن سيرته وعدله وقد طالعت سير الملوك المتقدمين فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن من سيرته ولا اكثر تحرياً منه للعدل واشتهر زهده وعبادته وعلمه وكان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف الا في الذي يخصه من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ولقد شكت اليه زوجته الضائقة فأعطاها ثلاثة دكاكين في حمص كانت لهُ يحصل منها في السنة نحو عشرين ديناراً فلما استقلتها قال لها ليس لي الا هذا وجميع ما بيدي انا فيه خازن للمسلمين لا أخونهم فيه ولا اخوض نار جهنم لاجلك اه [٢]

اما سبب بنائه المارستان فيرجع الى انهُ « حارب الافرنج في حرب الصليبين الثانية ووقع في اسره بعض اكابر ملوكهم فقطع على نفسه في فدائه مالاً عظيماً وشاور أمراءه بذلك فأشار كلٌ بعدم اطلاقه لما كان فيه من الضرر على المسلمين ، ومال نور الدين الى الفدية بعد ان استخار الله تعالى فأطلقهُ ليلاً فلما بلغ الفرنجي مأمنهُ مات وبلغ نور الدين خبره فبنى بذلك المال

المار ستان وسعة الامراء لانهُ لم يكن عن ارادتهم » اه[٢] (١٣) وبولى بناءه كمال الدين الشهرزوري وكان الحاكم المتحكم في الدولة النورية بدمشق « وكان في ذلك الزمن طبيب يدعى مؤيد الدين ابو الفضل بن عبد الكريم المهندس بارعاً في علم الهندسة وفن النجارة فصنع اكثر ابواب المارستان » اه[٣٢] ولا يبعد ان يكون بعض هذه الابواب باقياً لليوم ورمم هذا المارستان مراراً وأضيف الى بنائه واملاكه ولكن لم تحدث هذه الترميمات تغييراً ذا شأن فيه

واول ترميم جرى في ايام الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين ممدود بن الملك العادل ( احد الملوك الايوبيين ) سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٧م ) « وتولى الطبيب بدر الدين المظفر ابن القاضي مجد الدين الرئاسة على جميع الاطباء والكحالين والجراحين بدمشق وكتب لهُ منشوراً بذلك فاشترى بدر الدين دوراً كثيرة ملاصقة للمارستان واضافها اليه وكبر بها قاعات كانت صغيرة وبناها احسن بناء وجعل الماء فيها جارياً فاكتمل بها المارستان » اه[٣٤]

والترميم الثاني جرى في ايام الملك المنصور سيف الدين قلاوون ملك مصر الذي اتى الشام اذ كان اميراً سنة ٦٧٥ هـ ( ١٢٨٦م) فأصابهُ بها قولنج عظيم فعالجهُ الاطباء بادوية اخذت من المارستان النوري فحفظ ذلك ولما تملك على مصر امر ناظر المارستان بدمشق ان يعيد ترميمهُ واقيمت في اثناء هذه الترميمات لوحة رخامية تذكارية فوق الباب الداخلي لا تزال الى الآن وهذا ما نقش عليها

وسبع سنة اثنين وثمانين وستمائة

« بسم الله الرحمن الرحيم والذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منًّا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خير وأعظم أجراً وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث علم ينتفع بهِ، أو ولد صالح يدعو لهُ، أو صدقة جارية والمولى السلطان الغازي في سبيل الله نور الدين ابو القاسم محمود بن زنكي بن اق سنقر قدس الله روحه من جمع الله سبحانه وتعالى لذاته وبعث العالمين ومن شرط ووقفه الذي اشهد به على نفسه انهُ وقف على المارستان المعروف بانشائه وجعله مقراً لمداواة الفقراء والمنقطعين من ضعفة المسلمين الذين يرجى ( يرجى ) برؤهم وهو متعدي الى الله تعالى من يساعد في تغيير مصارف وقفه واخراجها عما شرطه ويحصا ضمه بين يديه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء لو ان بينها بينا أمدا بعيداً وجدد ما كان تهدم من بنائه وبناء أوقافه في الايام السلطانية العادلية الصالحة خلد الله سلطانها سطر الفقير الى الله تعالى عمر ابن ابى الطيب غفر الله لهُ ولمن أعان من المسلمين على عمارة هذا الوقف المبارك وكان الفراغ منهُ في العشر الاول من ربيع الثاني سنة ٦٨٢ » اه . والترميم الأخير جرى « في القرن الثامن عشر

على يد حسن باشا التركي المعروف بشوربجي حسن وبقي المارستان عامراً يستقبل المرضى الى سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) وكان أطباؤه وصادلته لا يقلون عن العشرين حتى قامت بلدية دمشق بانشاء مستشفى الغرباء وجعلت بناية المارستان النوري مدرسة أميرية للبنات » (٩) اه

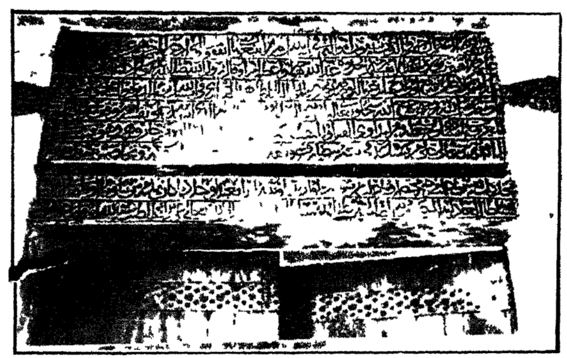
وقد ورد ذكر المارستان القديم والمارستان النوري في رحلة ابن جبير الذي زار دمشق سنة ٥٧٨ هـ وكتب عنهما ما يلي « وبها (اي بدمشق) مارستانان قديم وحديث والحديث أحفلهما وأكبرهما وجرايته في اليوم نحو الخمسة عشر ديناراً وله قومة بأيديهم الازمة المحتوية على أسماء المرضى وعلى النفقات التي يحتاجون اليها من الأدوية والاغذية وغير ذلك والاطباء يبكرون اليه في كل يوم ويتفقدون المرضى ويأمرون باعداد ما يصلح من الأدوية والأغذية حسبما يليق بكل انسان منهم والمارستان الآخر على هذا الرسم لكن الاحتفال في الحديث أكثر وهذا القديم هو غربي الجامع المكرم » (١٢) اه

واليك وصف المارستان النوري كما هو في حالته الحاضرة — مدخله واقع في الجهة الجنوبية منه وبارز عن واجهة البناء وهو في غاية الفخامة والعظمة ويعلو باب المدخل قبة نصفية مزينة بالنقش المعرنص ويحتها عتبة من الطرز اليوناني لعلها مستعارة من أثر يوناني قديم أضيفت الى البناء في أثناء احد الترميمات ومصراعا الباب مصفحان من الجهة الامامية بالحديد المزين بالنقوش الهندسية الجميلة وفي وسط كل منها مطرقة حديد ضخمة تزيد هيئة الباب عظمة (شكل ٢) والجهة الخلفية مزينة حشواتها الخشبية بنقوش بارزة متقنة الصنع (شكل ٣) والى الجهة الشرقية من هذا الباب من الخارج سبيل ماء جار أضيف في أثناء الترميمات التي جرت سنة ٦٨٢ هـ (١٢٨٣ م)

ويفضي الباب الخارجي الى رواق مربع يعلوه قبة مرتكزة من كل من جانبيها الأيمن والأيسر على قبة نصفية وكلها منقوشة نقشاً معرنصاً ويقابل الباب الخارجي باب داخلي بجمعه ولا يقل عنه جمالا وابهاماً (شكل ٤) وفوقه اللوحة الرخامية التي سبق الكلام عنها (شكل ٥)

ويفضي هذا الباب الى دهليز صغير ومنه الى الباحة والى جانبي هذا المدخل غرفتان كبيرتان من نوع العقد المصالب الشاهق البناء ومما يسترعي النظر صغر بابي هاتين الغرفتين بالقياس الى سعتهما وعلو سقفهما اما الباحة فمساحتها نحو من ٤٠٠ متر مربع والى جانبيها الشرقي والغربي ايوان منوسط بين غرفتين صغيرتين وقد ازدانت جدران الإيوانين بنقوش هندسية جميلة وفي اثناء الترميم الأخير أقيم حائط أمام الإيوانين فجعل كلاً منهما غرفة صغيرة وفي صدر الباحة إيوان متسع قائم على كل من جداريه الشرقي والغربي لوحتان رخاميتان منقوش عليها الآيات القرآنية الآتية —

(١) يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في



مصور المؤلف — ش ٥

اللوحة الرخامية فوق الباب الداخلي للمارستان النوري الكبير



مصور المؤلف — ش ٦

زاوية الديوان الشرقي في المارستان النوري الكبير

(٢) الصدور يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه (فيه شفاء للناس)
(٣) فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين
(٤) وإذا مرضت فهو يشفين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي

### أطباء المارستان النوري الكبير

رجع لنا أن أصبعة عدداً من الاطباء الذين خدموا المارستان النوري الكبير اليك خلاصة ترجمتهم
(١) أول طبيب عهد نور الدين عليه ادارة المارستان هو أبو علي أبو المجد بن أبي الحكم عبد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي وأطلق له جامكية وجراية وكان أبو الحكم من الحكماء المشهورين والعلماء المذكورين والافاضل في صناعة الطب والامائل في علم الهندسة والنجوم كان يدور على المرضى في المارستان ويتفقد أحوالهم كل يوم وبعد الفراغ من ذلك يطلع الى القلعة ويفتقد المرضى من أعيان الدولة ثم يرجع الى المارستان ويجلس في الديوان الكبير وجميعه مفروش وكان نور الدين قد وقف جملة كبيرة من الكتب الطبية وضعت في خزانتين في صدر الديوان الكبير فيحضر جماعة الاطباء والتلامذة ويقعدون بين يدي أبي الحكم فتجري المباحث الطبية ويقرئ التلامذة وهو لا يزال معهم في اشتغال ومباحثة ونظر في الكتب مقدار ثلاث ساعات ثم يركب الى داره وتوفي بدمشق سنة ٥٧٠ وخمسماية هجرية [٣٦]

(٢) الشيخ مهذب الدين أبو الحسن علي بن أبي عبد الله عيسى ابن هبة الله النقاش مولده ومنشؤه ببغداد عالم بالعربية والادب يتكلم الفارسية اشتغل بصناعة الطب على أمين الدولة هبة الله صاعد بن التلميذ ثم أتى الى دمشق ، ذهب الى مصر ثم رجع الى دمشق وخدم فيها الملك العادل نور الدين وخدم أيضاً في المارستان النوري ولما مات الملك العادل خدم صلاح الدين الايوبي وتوفي سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨م) وكان كثير الاحسان محبا للتجمل [٣٦]

(٣) موفق الدين أبو نصر اسعد بن أبي الفتح الياس بن جرجس المطران كان سيد الحكماء وأوحد الآلاء جزيل العطاء أكبر أهل زمانه في علم صناعة الطب وعملها خدم صلاح الدين الايوبي فغمره باحسانه ، وأرفه نعمه ، وكان يحترمه ويجله لما قد تحققه من علمه وكان يعاب على ابن المطران الزهو بنفسه والتكبر وحدث بعض من يعرفه فيما يتعلق بتيهه وإدلاله على صلاح الدين انه كان معه في بعض غزواته وكانت عادة صلاح الدين ان ينصب له خيمة حمراء وكذلك دهليزها وشقتها وكان صلاح الدين راكباً يوماً وإذا به قد نظر الى خيمة حمراء اللون وكذلك شقتها ومسراحها فتبقى متأملا لها وسأل لمن هي فأخبر انها لابن المطران الطبيب فقال والله لقد عرفت ان هذا من حماقة ابن المطران وضحك ثم قال ما ما ألا يعبر أحد من الرسل فيعتقد انها لاحد الملوك وإذا كان لا بد فيغير مسراحها وأمر به ان يرمى ولما رمي صعب ذلك على

ابن المطران وتقي بومين لم يعرف الخدمة فاسترضاه السلطان ووهب له مالاً وكان موفق الدين كريماً محسناً لعمل الخير ساعد تلاميذه على تحصيل رزقهم وخدم المارستان احلّ خدمة وكان معهُ تلميذه مهذب الدين الدخوار الذي تولى رآسة المارستان بعد مدة وعمران الاسرائيلي الطبيب وابن ابي اصيبعة الكحال وابن حمدان الجرائحي الذي كان يجري العمليات الجراحية على مرأى من التلامذة وابن المطران يفقد بعض المرضى في اثناء العمله وكان لموفق الدين همة عالية في تحصيل الكتب ولما مات كان في خزانته منها ما ينيف على عشرة آلاف مجلد خارجاً عما استنسخهُ وكانت له عناية بالغة في استنساخ الكتب وتحريرها وكان في خدمته ثلاثة نساخ يكتبون له ابداً ولهم منهُ الجامكية والجراية ولهُ مؤلفات نفيسة في الطب منها المقالة الناصرية في حفظ الامور الصحية ، وكتاب آداب طب الملوك وغيرها وقد ادركه الاجل قبل ان يتم كتابه بستان الاطباء وروضة الالباء ومما يؤسف له جدًّا ان كل كتبه قد فقدت وتوفي سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١م) [٣٧]

(٤) مؤيد الدين ابو الفضل محمد بن عبد الكريم ابن عبد الرحمن الحارثي المعروف بالمهندس ولد ونشأ بدمشق كان اول امره نجاراً ونحاتاً وهو الذي نجر ابواب المارستان النوري وكان يصلح ساعات الجامع الاموي بدمشق وهي من صنع والده وقد طب للمارستان وكان له منهُ جامكية الى ان توفاه الله سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٢م) وله من العمر سبعون سنة [٣٣]

(٥) موفق الدين عبد العزيز بن عبد الجبار بن ابي محمد السلمي كان كثير الخير محسناً له مؤثراً للجميل عزيز المروءة شديد العناية على المرضى وخصوصاً من كان منهم ضعيف الحال يتفقدهم ويعالجهم ويوصل لهم النفقة وما يحتاجون اليه من الادوية والاغذية خدم المارستان الكبير ثم الملك العادل ابا بكر بن ايوب وظهر انهُ كان رئيساً لاطباء المارستان الكبير لان مهذب الدين الدخوار خلفهُ في هذه الرياسة كما سنرى وتوفي سنة ٦٠٤ هـ (١٢٠٧م) [٣٨]

(٦) رضي الدين ابو الحجاج يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي تلميذ مهذب الدين النقاش خدم صلاح الدين الايوبي واخاه الملك العادل ابا بكر بن ايوب وكان ملازماً للقلعة والمارستان ومن أغرب ما ذكره عنهُ انهُ قال «السلم منشار العمر» وحكى عنهُ انهُ قال اني منذ اشتريت هذه القاعة التي انا ساكن فيها اكثر من خمس وعشرين سنة لا اعرف اني طلعت الى الحجرة التي فوقها الا وقت استعرضت الدار واشتريتها وما عدت طلعت الى الحجرة بعد ذلك الى يومي هذا وكان في اثناء خدمته في المارستان اكبر الاطباء سنًّا واعظمهم قدراً وأشهرهم ذكراً وكان أحد الاساتذة الذين ألقوا الدروس على الراغبين في علم الطب بالمارستان ومن معاونيه مهذب الدين الدخوار والحكيم عمران الاسرائيلي وعاش مائة سنة وتوفي سنة ٦١٣ هـ (١٢١٦م) [٣٩]

(٧) كمال الدين ابو منصور المظفر بن علي بن ناصر القرشي كان كثير الخير وافر المروءة

كريم النفس اشتغل في الطب على الشيخ رضي الدين الرحبي وبقي سنين يتردد على المارستان لعالج المرضى فيه احتساباً ثم ألزم بعد ذلك بان قرر له جامكية وجراية وبقي كذلك الى ان توفي سنة ٦١٢ هـ (١٢١٥ م) [٤٠]

(٨) شمس الدين ابو عبد الله محمد بن عبدان بن عبد الواحد بن اللبودي افضل اهل زمانه في العلوم الحكمية وفي علم الطب سافر من الشام الى بلاد العجم واشتغل هناك بالحكمة على نجيب الدين اسعد الهمداني وقرأ صناعة الطب على رجل من اكابر العلماء واعيانهم في بلاد العجم كان قد اخذ الطب عن تلميذ لابن سهلان عن السيد الايلاقي تلميذ وكان ذا همة عالية وفطرة سليمة وذكاء مفرط له مجلس يدرّس فيه الطب خدم الملك الظاهر غياث الدين غازي ابن صلاح الدين واقام عنده بحلب وبعد وفاة غياث الدين اتى الى دمشق وخدم المارستان النوري الى ان توفي سنة ٦٢١ هـ (١٢٢٤ م) وله من العمر احدى وخمسون سنة وله كتب كثيرة [٤١]

(٩) مهذب الدين احمد بن الحاجب مولده بدمشق سافر الى الموصل وعاد الى دمشق واشتغل فيها بالطب فأتقنهُ واشتهر فيه واتقن العلوم الرياضية واعتنى بالادب له تصانيف جليلة خدم صلاح الدين الايوبي والمارستان النوري الكبير ثم توجه الى حماه حيث خدم الملك المنصور واقام عنده نحو سنين وتوفي بالاسهال [٤٢]

(١٠) مهذب الدين ابو محمد عبد الرحيم بن علي بن حامد الدخوار ولد ونشأ بدمشق واشتهر هو وابوه بالكحالة واشتغل فيها في بدء امره وخدم المارستان النوري ككحال واجتهد في تحصيل العلوم ونسخ الكتب وقرأ الطب على الشيخ رضي الدين الرحبي وموفق الدين المطران وفخر الدين المارديني خدم الملك العادل ابا بكر بن ايوب بصناعة الطب وتقدم في خدمة العسكر [illegible] رضي الدين عبد العزيز عين رئيساً على الاطباء في المارستان الكبير وعين له [illegible] المارستان [illegible] وكان من معاصريه ممن خدموا في المارستان رشيد الدين بن [illegible] ابن [illegible] ومهذب الدين ابن الحاجب والشيخ رضي الدين الرحبي

ولما توجه الملك العادل الى مصر اخذه معهُ وولاه رياسة اطباء الديار المصرية بأسرها واطباء الشام [illegible] ملك الملك المعظم بالشام بعد موت ابيه استدعى مهذب الدين اليه ورسم لهُ ان يقيم [illegible] وان يخدم المارستان الكبير واطلق لهُ جامكيه وجرايه فخدم المارستان حين خدمه وأسس مدرسة لتعليم الطب في داره فاجتمع اليه خلق كثير من اعيان الاطباء وغيرهم يقرأون عليه الطب وهو يبحث معهم كل في درجة علمه وكان اذا فرغ من ذلك يصرف بقية نهاره واكثر ليله في الحفظ والدرس والمطالعة ووقف داره وجعلها مدرسة

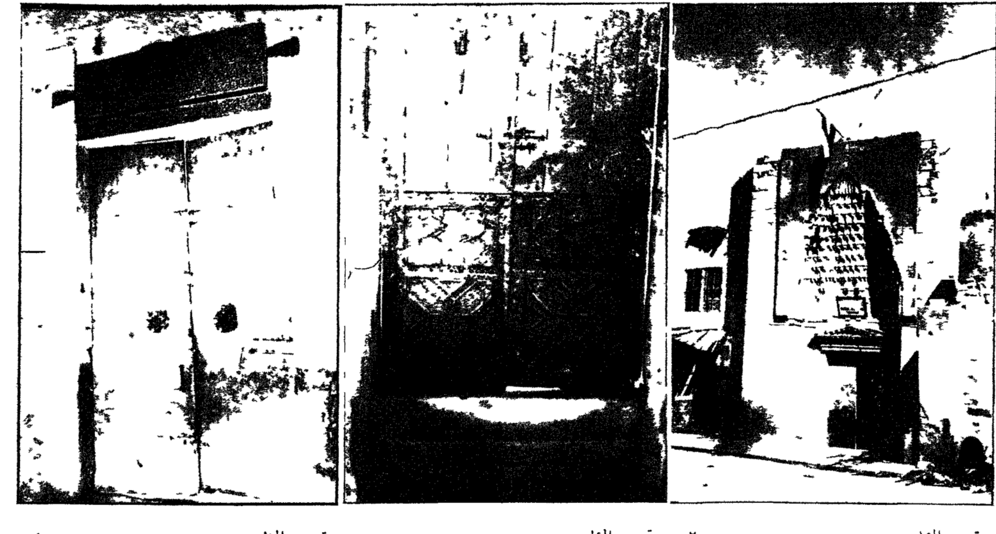
يدرس فيها من بعده صناعة الطب ووقف لها ضياعاً وعدة اماكن ينتفع بها ما يصرف في مصالحها وفي جامكية المدارس وجامكية المشتغلين بها ووصى ان يكون المدرس فيها الحكيم شرف الدين علي بن الرحبي وفي سنة ٦٢٨ حضر الحكيم سعد الدين ابراهيم ابن الحكيم موفق الدين عبد العزيز وجماعة من الفقهاء والحكماء وشرع الحكيم شرف الدين بن الرحبي في التدريس بها واستمر على ذلك سنين عدة ولمهذب الدين كتب كثيرة في الطب واللغة وكان شاعراً رقيقاً [٤٣]

(١١) ابو الثناء محمود بن عمر بن محمد بن ابراهيم بن شجاع السيباني الحانوي ويعرف بابن رقيقة كان صديقاً حميماً لابن ابي اصيبعة وترجم هذا له ترجمة فائضة قال فيه ذو النفس الفاضلة، والمروءة الكاملة، تميز على سائر نظرائه واضرابه من الحكماء والمتطببين، ذو الفطرة الفائقة، والالفاظ الرائقة، والنظم البليغ، والشعر البديع ولد بمدينة حيني سنة ٥٦٤ هـ ونشأ بها وكان طبيباً وكحالاً وجراحاً وتنقل في خدمة عدة ملوك وامراء وفي سنة ٦٣٢ وصل الى دمشق وكان بها الملك الاشرف فاكرمهُ واحترمهُ وامره بان يتردد الى الدور السلطانية بالقلعة وان يواظب على معالجة المرضى بالمارستان الكبير واطلق لهُ جامكية وجراية وبقي يشتغل فيهِ الى ان توفاه الله سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٧م) ولهُ كتب كثيرة [٤٤]

(١٢) اوحد الدين عمران بن صدقة الاسرائيلي قد مر ذكره ولد بدمشق سنة ٥٦ وكان ابوه طبيباً واشتغل على الشيخ رضي الدين الرحبي بصناعة الطب وكان من الاطباء المعينين اعمالها وعلي عند الملوك واعتمدوا عليهِ وقد تعين في خدمتهم وحصل من الكتب الطبية ما لا يكاد يوجد عند غيره خدم المارستان الكبير في ايام الدخوار وابن ابي اصيبعة وتوفي سنة ٣٧ هـ (١٢٣٩م) [٤٥]

(١٣) سعد الدين ابو اسحق ابراهيم ابن موفق الدين عبد العزيز بن عبد الجبار بن محمد السلمي ابن عبد العزيز المار ذكره سابقاً (٥) ولد بدمشق سنة ٥٨٣ وسام صناعة الطب في المارستان الكبير وتنقل في خدمة جملة من الملوك والامراء وتوفي سنة ٦٤٤ هـ (١٢٤٦م) [٤٦]

(١٤) رشيد الدين علي ابو الحسن بن خليفة بن يونس بن ابي القاسم بن خليفة مولده بحلب سنة ٥٧٩ هـ وهو عم ابن ابي اصيبعة درس الطب مع اخيه بمصر فلازما الشيخ جمال الدين بن ابي الحوافر، وكان رئيساً للاطباء بمصر، والشيخ ابا الحجاج يوسف ثم عاد رشيد الدين ودرس على موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ثم انتقل مع والده الى دمشق ولهُ من العمر عشرون سنة فحضر على الاستاذ رضي الدين الرحبي وباشر المرضى في المارستان الكبير في ايام الدخوار ومهذب الدين المطران وعلاوة على طبه كان لغوياً اديباً فقيهاً يجيد العربية والفارسية والتركية والموسيقى وفي سنة ٦١٥ ولاه الملك العادل ابو بكر ايوب طب المارستانين بدمشق اللذين وقفهما الملك العادل فكان يتردد اليهما والى القلعة وقرر له جامكية



تصوير المؤلف — س ٢

مدخل المارستان النوري الكبير

تصوير المؤلف — س ٣

مصراعا الباب الخارجي للمارستان النوري الكبير كما تريان من الداخل

تصوير المؤلف — س ٤

باب المارستان النوري الكبير الداخلي

وحراية وجعل له مجلس عام لتدريس صناعة الطب واجتمع بالسيد الامام العالم شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه وألبسه خرقة التصوف وذلك في سنة ٦٠٥ وألف كتب كثيرة في الطب والادب والحساب وغير ذلك من الفنون[٣١]

(١٥) شرف الدين ابو الحسن علي بن يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي ابن رضي الدين الرحبي الذي مرّ ذكره (٦) ولد بدمشق سنة ٥٨٣ هـ وحذا حذو أبيه واقتفى ما كان يعتمده وهو أشبه به خلقاً وخلقاً خدم مدّة في المارستان الكبير وتولى التدريس في المدرسة الدخوارية وكانت وفاته سنة ٦٦٧ هـ (١٢٦٨م) [٤٧]

(١٦) جمال الدين عثمان بن يوسف بن حيدرة الرحبي ابن رضي الدين (٦) واخو شرف الدين (١) مولده ومنشؤه بدمشق خدم المارستان الكبير وكان يحب التجارة ويسافر بها في بعض الاوقات الى مصر وتوفي سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨م) [٤٨]

(١٧) بدر الدين بن قاضي بعلبك نشأ بدمشق وقرأ الطب على الشيخ مهذب الدين الدخوار سافر الى ... وخدم في المارستان هناك ثم أتى الى دمشق واستخدمه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين ممدود بن الملك العادل وكان حظيًّا عنده مكيناً في دولته ولاه الرئاسة على جميع الاطباء والكحالين والجراحين وكتب له منشوراً بذلك سنة ٦٣٧ هـ فجدد في مجالس الطب مادرس واعاد من الفضائل ما دثر وكان محبا لفعل الخير مرّ بنا انه وسع المارستان النوري ورأسه بموجب منشور من الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل سنة ٦٠٥ هـ وقد قرأ الكتب الفقهية والفن الادبية وحفظ القرآن حفظاً لامزيد عليه وله كتب كثيرة في الطب وغيره[٣٤]

(١٨) شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم ابن ابي المحاسن الكتبي ... اتى الى دمشق ونشأ شمس الدين بها وقرأ الطب على الدخوار ... حفظاً متقناً حتى ... لاجل ذلك بالكتبي خدم الملك الاشرف والمارستان الكبير (٩)

(١٩) عز الدين ابو اسحق ابراهيم بن محمد بن السويدي ولد بدمشق سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣م) ونشأ بها درس الطب على الدخوار وبرع فيه وخدم المارستان النوري الكبير و... الذي بباب الحديد وتردد الى الملعبة وكان يدرس في المدرسة الدخوارية ... من كل هذه الجهات وكتب بخطه كتباً كثيرة وكان نديماً لابن ابي اصيبعة (٢)

(٢٠) عماد الدين ابو عبد الله محمد بن القاضي الخطيب الدمشقي ولد بدمشق سنة ٥ ٦ هـ واشتغل فيها بالطب وأتى دمشق وخدم المارستان الكبير والامراء ... وكان شاعراً وله كتب كثيرة (٥)

(٢١) ابن العبري (مختصر الدول) ومعجم سركيس (١)

# حيوانات مشهورة

## وصحة أسمائها

للفريق الدكتور أمين المعلوف

أوردت في الجزء الماضي بعض الحيوانات المشهورة وصحة ترجمتها وها أنا أذكر الآن غيرها مما قد يرد على الكتّاب والمؤلفين وأذكرها اعتباطاً بلا رابط بينها أو رابط قليل ولا أريد بذلك الاّ خدمة العلم واللغة وأصحاب المعاجم الافرنجية واني أرجو منهم ان يقللوا من الحذلقة ما أمكن لئلا يضللوا القارىء واني ذاكر الالفاظ الانكليزية دون الالفاظ العلمية أو الفرنسية فهذه لا يعسر العثور عليها لمن أراد

ظبي أو غزال [illegible]

حيوان رشيق من ذوات الظلف مجوّف القرون وهو أنواع كثيرة ذكرت معظمها في معجم الحيوان ص ١١٢ منهُ نوع في جزيرة العرب ونوع آخر في الصوم جنوباً يعرف كلاهما بالرئم في أيامنا ولم يذكر الظبي بهذا الاسم في التوراة الانكليزية بل باسم آخر على ان اسمهُ المشهور هو هذا وهو عربي أما الظبي فقد ورد في التوراة العربية بهذا الاسم وترجمته صحيحة

إيّل جمعه أيايل وأيائل Deer or Hart Male called stag female doe

والأيايل فصيلة من ذوات الظلف لذكورها قرون متشعبة ومصمتة أي لا تجويف فيها كما في قرون الظباء وهي تنسلخ عنها كل عام وتنبت غيرها اما أناثها فجمّ اي لا قرون لها وفي كثير من المعاجم خلط كبير بين الظبي والايّل فيسمون الواحد منهما باسم الآخر والصواب ما ذكر والظباء على الغالب في البلاد الحارة والأيايل في البلاد الباردة

يحمور Roe, Roebuck, Roe deer

نوع من الايايل اشكل من قرنيه ثلاث شعب قصير الذنب احمر اللون أزرر أي ابيض العجز أعفر البطن مصفرّه يتصل قرنه كالايّل

ولم تذكر المعاجم هذا الايل باسمهِ هذا ولا ذكرت صحة ترجمته وهو وارد في التوراة .

والظباء كثيرة في مصر وسورية وجزيرة العرب واليحمور كان في سوريه الجنوبية اي فلسطين الى زمن قريب وهذه الحيوانات الثلاثة مذكورة في التوراة والايل كثير في اناطولية واوربة واليحمور لا يزال معروفاً في اوربة ولا سيما في حدائقها العامة

جاموس ( فارسية معربة ) Buffalo

جاموس هندي او اهلي واصله من الهند Buffalo, Indian or Water buffalo

جاموس افريقي Buffalo, African

وهو من جنس آخر خلاف الهندي ومن اشد الحيوانات خطراً على الانسان

جَيَل ( هندية معربة وتعريب بوست ) Gayal

جُور ( هندية معربة وتعريب بوست ) Gaur

بَيْسُون ( تعريب احمد فارس ) Bison

بقر دربانية والواحدة بقرة Zebu

قوتاش وقطاس جُشماء كلمة تركية معربة وهو الذي كان الترك يعلقونه في اعلامهم Yak

فيقال للواحد منهم باشا ذو ذنب واحد وباشا ذو ذنبين وباشا ذو ثلاثة اذناب وقد بطلت هذه الاذناب الآن والا كانت جمع البقر لا تكفي واذكرانى قرأت في الانكليزية قصه اسمها الباشا ذو الاذناب العديده وفي الانكليزيه جناس في الاذناب فاذا هي ذو القصص العديدة

بيسون اوربي Aurochs or Wisent

بقر جاوة او ثور جاوة وان شئت الجدلمة فعل الراجح Banteng

نلجاي او بقر ازرق والواحدة بقرة Nilgau

بقرة وثور والبقرة تطلق على الذكر والانثى Cow and Ox

بقرة المسك Musk ox

هذه الحيوانات جميعاً من جنسي البقر وهي غير الظباء ولا يخفى ان البقر مجوفة القرون كالظباء لا كالايائل وليس في المعاجم كلها من هذه الحيوانات مع صحة ترجمتها الا الجاموس

فُقمة وفُقَّمة Seal

حيوان من لواحم البحر شبيه بالسمك في الظاهر لكنهُ حيوان لبون ومن ذوات الرئتين والكلمة تعريب فوقي اليونانية وهي شائعة في بيروت فهل تعريب العامة هذا خيرٌ من تعريب الخاصة فالعامة قالوا فقمة والخاصة قالوا فوقي لكنهم صحفوها وكسوها فوقي في بعض مؤلفاتهم منها مفردات ابن البيطار وغيرها واستعملوها لحيوان آخر كما صحفوا الدنانير الفوقيه وصوابها الفوقيه من ضرب فوقا ملك الروم قبل هرقل وأرى ان تعريب العامة افضل من تعريب الخاصة

ومن اسماء هذا الحيوان ... والسمك ... مر سه ولس من هذا الجنس غيره في البحر المتوسط ولا بأس الخ ... جمع الابراع اي ذكرتها في ص ٢٢٢ من معجم الحيوان مع ان اللفظة هذه ليست الا في ... و ... ولس ويه عيرها وانتو ... ذكر اصحاب المعاجم هذا الحيوان على وجه

اطوم ملمعة راحلة ...

حيوان لبون من ... البحر ... سرا كل باد البحر وفي الطور الطوم ا الاطرم ... ص ٨٨ ص ١٢ ... كلمة أطوم فصحه أورد ... ان ... ولا سيما في مادة ... والى الاطرم ...

اما قولي الجيلان فعن الاب انستاس واظنه أحدها عن خط ... احدها على ما أظن عن فرساع ولم اعثر عليها الا في محيط المحيط فليدافع الاب انستاس عن هذه الكلمة وقد سمعتها منه في بغداد اما بنات الماء فحقها ان تكون بنات البحر لانها ترجمة اسمها الثاني لكن بنات الماء في كتاب قديم ذكره شارح كتاب عجائب الهند وأظن الذي اراده النسائي في قوله سرس انها كلمة يونانية معروفة هي اسم امرأة جميلة سميت بها فصيلة هذا الحيوان ولعلها شيرين الحسناء الفارسية وكانت بونانية الاصل في ما أظن

طبريان R ...

حيوان من اللواحم اي اكلات اللحوم اصغر من السمور احلم الاذنين ... الرأس طويل الخطم قصير القوائم اسود الظهر ابيض البطن رائحته كريهة جداً اما احد انواعه في السودان فيسمى ابو دحاحة ولصلوص ذكرها فون هوغلن وابو كم ذكره روبل وهو لا يعول عليه في اسماء الحيوان بالعربية وسميت في حديقة الحيوان ابو كعب

هذا ترساً وصف ابن سيده ووصف غيره من اللغويين فراجع ما كتبوه

وكنت قد سميت هذا الحيوان الربل وآكل العسل في معجم الحيوان ص ١٦ فالرابل العجمية وآكل العسل ترجمة اسمهُ النوعي وابقيت الاسمين الاخيرين الى ان يهتدي احد الناس الى اسمه الحقيقي ولم أدر يومئذ انى سأهتدي اليه وهو الطربان المشهور عند العرب وقد اهتديت اليه من قول الميجر ... كما ذكرت في ص ١٣٣ واري الآن ان الميجر ... في ما قالهُ ومن شاء مناقشتي في ذلك فاني اناقشهُ على شرط ان يروع الحذاقة

طربان افريقي منأ نوع اسمهُ ابو عفس وابو النمس ...

طربان اميركي Skunk

بقي عليَّ ان اقول ان المعاجم لم تذكر هذه الحيوانات الاربعة ... ذكرها الآن ولكن بلا حذلقة فالطربان قد ادعي كثيراً وان الميجر شيرمان سماه باسم السر ارولد ولس عدو

العرب وحصم كل امة تطلب استقلالها فاسم هذا الحيوان طرنان ولسن Mellivora wilsoni فهل هذه مصادفة

الحمير وهي كثيرة وقد ذكرتها في الصفحة ٩٨ والصفحة ٢٧

حمار عير احطب Domestic ass

سمي الاهلي عيراً والاحطب لان له جُدة على ظهره وبطن انه كان قبلاً في جزيرة العرب ثم انقرض اما الآن فليس من الحُمُر هناك الا الفراء الآتي ذكره

فراء Syrian wild ass

وهو الفراء المذكور في التوراة والفراء عند العرب وليس للفراء جُدة على ظهره وراء الست قولان بالبركة سميته بالفراء لانه لا جدة له Kiang,

احدر واحدري Onager

وهو حمار وحشي سريع جداً اما سبب ذكر هذه الحمير بهذه الاسماء دون غيرها فلان اب نطول شرحها

عتّابي حمار عتابي Zebra

سمي بذلك لهذه الخطوط السود التي فيه وقد بينت ذلك في ص ٢٧ وهو الذي يسمى عادة بحمار الزرد وكلمة عتابي عربيه الاصل

قط عتّابي Tabby

أي فيه خطوط او توشيم وهذه عربية ومنه اسمه بالانكليزية وليس لهذه الحيوانات ذكر في المعاجم الاخرى وان ذكرت فذكرها غلط او تاوس في الجدلفة

زباب والواحدة زبابة Shrew

حيوان من آكلات الحشرات شبيه بالفار في الظاهر ولكنه ليس من الفار ولا من رتبته بل يجانب عنه في الفصيلة والرتبة

ذكرت الزباب في ص ٧٥ و٢٢٧ من معجم الحيوان ولم يذكرها احد من اصحاب المعاجم على الاطلاق لانها جديدة وقد سرني ان مجلة مجمع اللغة الملكي اوردتهُ في الجزء الثاني من المجلة ص ١٢٦ لكنها نسبته الى القاموس وصاحب القاموس لم يفعل شيئاً من هذا وكان حقها ان تنسبها لهذا الذي سهر الليالي في تأليف معجمه لا الى القاموس ولا ادري ما يقول المجمع في ذلك

حيّات والواحدة حية للذكر والانثى Serpents or Snakes

وفي سورة طه «فاذا هي حية تسعى» اي ان الحية بهذا المعنى افصح الكلام ولا أدري سبب عرام جرائد بيروت بالافعى ويريدون بها كل حية ضخمة طويلة فيقولون قتلت في القرية الفلانية أفعى طولها يزيد عن خمسة امتار او نحو ذلك فالافعى لا تكون خمسة امتار او ما يقرب من هذا

ولكن العامه تقول الحية كما جاء في القرآن الكريم فلماذا لا تقول الجرائد حيه وفي مصر تقول العامه وبعض الادباء كلمة ثعبان كانها مرادف للحية فغرام أهل مصر بالثعبان كغرام أهل بيروت بالافعى ولا أريد ان يكون جمع أدباء بيروت ومصر من علماء الحيوان بل أريد ان يكونوا كالعامة في استعمال هذه الحيات وبالامس أصلحت كتاباً في الحيات فبقي المؤلف يقول الثعبان بمعنى الحيه كلما تغافلت عنه ولم اقدر ان احوله عن ذلك كذلك في مجمع اللغه الملكي فانهم قالوا في سنه ١٩٣٤ الثعبان وهم يريدون الحية فأصلحت ذلك اما في هذه السنه فقالوا الحية والحمد لله فعسى ان جرائد بيروت تقول الحية وتترك الافعى وادباء مصر تقول الحيه وتعدل عن الثعبان وسأذكر فيما يلي اسماء بعض الحيات بالانكليزيه وما يقابلها بالعربية

افعى Viper or Adder

وقد وردت كثيراً في التوراة وهي حية قصيرة دقيقة العنق عريضة الرأس مفلطحه خبيثه جدًّا تقتل لساعتها وتعرف بالافعى في كتب اللغة وفي السودان وجزيرة العرب والعراق

حَنَش او حنش اسود Lacertine snake

حية طويلة سوداء سمها قليل ولكنها احذر الفارى من الصل الآتي ذكره فهو حيه طويلة سوداء ومن اخبث الحيات

صل حية خبيثة جدًّا ربما اشد سمًّا من الافعى Asp or Cobra

والصل وارد في التوراة بهذا الاسم بالعربية والانكليزية ونظن انه الناشر المصرية ولا بأس بتسمية الناشر الهندية بهذا الاسم ايضاً ( انظر معجم الحيوان ص ٢١ و٦٩ فقد ذكرت فيهما الصل والحيه الناشر على انواعها ) اما سبب تسمية الجاحظ هذه الحيه بالافعى الهندية فلانها خبيثه سامة

ثُعبان Culuber, Couleuvre

وفصيلة الثعابين حيات عظيمة سمها قليل وبعضها من أخبث الحيات

وقيل ان اترك البحث في الحيات احذر الفارىء من التعرض لها مهما ظن ان سمها قليل لئلا تصيبهُ ما اصاب حاوي عاليه بلبنان منذ خمسين سنه فانهُ حاول القبض على حية سوداء ظنها حنشاً اسود فاذا هو يقبض على اسود آخر هو الذي قال عنه رؤبة

كنت كمن ادخل في جحر يدا فأخطأ الافعى ولاقى الاسودا

وهنا اخطأ الجاحظ على علو كعبه في العلم والادب واصاب رؤبة كما ذكرت في معجم الحيوان ص ٧٠ ولعل حاوي عاليه قبض على ناشر مصرية او على احد انواعها المعروف بالبرحيل وهو اشد الحيات سمًّا على ما يقول حواة مصر وهم اخبر الناس بالحيات وسمها والبرحيل معروف في مصر والشام والعراق وكنت اهرب منه عشرة امتار او اكثر ولو كان الحاوي قابضاً عليه وان لم تصدق فجرب اي جربي انا عندما أهرب من البرحيل اوجرب القبض عليه اما انا فلا افعل

# حديقة المقتطف

---

## اوجين اونيل

(حائز جائزة نوبل الادبية ١٩٣٦)

---

## منعطفات الجدول

إلهي — تحت جنح الظلام

نقلهما جورج سعولاوس

# اوجين اونيل

## Eugene Gladstone O'Neill

---

أوجين أونيل الكاتب الاميركي الذي فاز بجائزة نوبل في الأدب لعام ١٩٣٦ من نوابغ رجال الفن والادب المسرحي في أميركا وهو طويل القامة قوي البنية ذو وجه كالح يدل على الشراسة والعناد اشتهر بمؤلفاته الدالة على قوّة فنية رائعة وذوق أدبي ممتاز ، ولكنهُ لا يزال تحت تأثير فهم غير تامّ لبعض نواحي الحياة وقساوة في تآليفهِ المسرحية يجمع لها من وقتٍ لآخر ، ولعلّ لذلك أساساً تعود الى المغامرات الكثيرة والحياة الجامحة التي عاشها متنقلاً بين بلدٍ وآخر ولما كان أونيل يفضل حياة الخشنة والتواضع منزوياً منكمشاً في شؤونه الخاصة وكانت حياته الأولى حافلة بالمغامرات والأهواء المضطربة فقد كانت شخصيته الغريبة الاطوار باعثاً على نوادر قصص وشوائع مختلفة جعلت اسمه شبه اسطورة في الادب الأميركي

***

كانت الدراما والآداب المسرحية في أميركا — قبل الثورة والاستقلال — ذات ميول واتجاهات استعمارية وصبغة ثورية متأثرة بالثقافة الانكليزية التي تتخللها مؤثرات تنشأ عن الروح التوتونية ، وكانت المؤلفات المسرحية والقصص التمثيلية المقلدة أكثر منها أصيلة

على أن أول من بدأ بتأليف القصص المسرحية في أميركا William Dunlap الذي وهو المعدود أبا الدراما في الولايات المتحدة و Royall Tyler مؤلف القصة الهزلية The Contrast التي مثلت عام ١٧٨٧ وهي أول قصة مسرحية أظهرت للعالم الشخصية الاميركية باسم Yankee أما ( دنلاب ) فقد ألف واقتبس أكثر من ستين قصة مسرحية أهمها André وقد ظهرت عام ١٧٩٨ وهذان المؤلفان ( دنلاب وتايلر ) هما اللذان سارا بالقصة المسرحية في أميركا سيراً حثيثاً في سبيل التقدم والازدهار ، حتى بدأت تتحرر تدريجيًّا من المؤثرات الاوروبية وما كاد مطلع القرن

التاسع عشر حتى كانت الدراما فقدا خلت من معظم القيود الاجنبية واصبحت تعتمد على نفسها وجاء William Gilette بمسرحيته ( Held by the Enemy ) و (Secret Service) فوضع أسس القصة المسرحية في الولايات المتحدة ، وجاء بعده غيره من الكتاب المسرحيين فألفوا القصص التمثيلية خالية من المؤثرات الاجنبية وظهرت القصة التمثيلية مستقلة الاستقلال كلّهُ عن المسرحيات الاوروبية مبنى ومعنى وكان هؤلاء المؤلفون الافذاذ الجذوع التي قامت عليها المسرحيات في اميركا ثم أينعت غصونها فاورقت الدراما في العالم الجديد ثم أثمرت تأليف اونيل — اعظم كاتب مسرحي في اميركا — في الوقت الحاضر

وكما ان الادب الاميركي امتاز في عصرنا الحاضر بتأثيره في المذاهب الطبيعية والنفسية والفلسفية وتحرره من القيود التي كانت تعرقل سيره فكذلك تأثر الادب المسرحي والدراما بمظاهر الحياة الاميركية الحرة وبالبواعث والمؤثرات نفسها بعد ان امتزجت بالميول والاهواء الخيالية فأبعدها عن الحقيقة ولكنها القت عليها مسحة من الروعة والبهاء كما تتجلى لنا ذلك في مؤلفات اونيل ذات القوة الجذابة الرائعة

***

ولد اوجين اونيل في مدينة نيويورك في ١٦ اكتوبر ١٨٨٨ من اصل ارلندي وكان ابوه جيمس اونيل ممثلاً سهيراً اشترك في تمثيل دور في رواية « مونت كرستو » وربح في فصل واحد خمسين الف دولار وقد درس اونيل في عدة مدارس داخلية معظمها كاثوليكي ثم دخل مؤسسة Betts وكان ينتقل من مدرسة الى اخرى الى ان دخل جامعة برنستون وظل فيها سنة واحدة ولكنهُ لم ينجح في الامتحان فغادر المدرسة لخوض معارك الحياة العاصفة وقد تزوج في سنة ١٩٠٩ ولكنهُ عدَّ زواجهُ هذا « خطأً فادحاً » ثم اشتغل في نيويورك وعمل اعمالاً مختلفة فقضى سنتين بحاراً وسافر الى اميركا الوسطى للبحث عن الذهب ولكنهُ عاد بعد ستة اشهر وقد أصيب بالملاريا ثم عاون والده في الشركة التي تعمل بها ولم يطل به الامر اكثر من ثلاثة اشهر حتى انسحب من العمل وكان يطالع في اثناء ذلك مؤلفات جوزيف كونراد ورَدْيرد كبلنج وجاك لوندن وقد ظهر اثر هؤلاء الكتاب في تآليفهِ الاولى ثم عزم اونيل على ركوب البحر ومجابهة المخاطر والاهوال فسافر

في مركب روسي رحل به الى (بوينس ايرس) بعد ان قضى في البحر ٦٥ يوماً وقد احترف حرفاً شتى كانت لهُ خير معين في تأليف مسرحياته فيما بعد وساعدتهُ على تفهم نواحي الحياة المختلفة وزوَّدتهُ بمادة لا تنضب لقصصه وتآليفه ثم عاد الى نيويورك وقد تطورت شخصيتهُ وطباعهُ فاذا به ثائر على المجتمع محاربهُ بما اوتي من قوة وعزم ولما عاد من رحلته الاخيرة الى سوثمبتون (في انكلترا) كان قد ربح من المغامرة ارباحاً طائلة ولكنه فطن الى امره وفكر في سوء العاقبة فركب القطار الى (نيو اورليز) وهنا وجد نفسه فقيراً معدماً لا يملك شيئاً . بيد انهُ رأى اباه يمثل دوراً في رواية (مونت كرستو) فطلب منهُ اجرة قطار ليعود الى نيويورك ولكن اباهُ ارادهُ على تمثيل دور في الرواية ذاتها فقام بما عهد اليهِ خير قيام . وكان هذا بدء دخوله المسرح وباكورة اعماله الفنية التي خلدت اسمهُ كأعظم كاتب مسرحي معاصر في اميركا وظل يمثل خلال هذه المدة أدواراً مختلفة مجساً استعدادات أبيه بقوله « انهُ من العجيب أن يتمكن من القيام بتمثيل دور ما في رواية مشهورة هي «مونت كريستو» ثم اشتغل بعد ذلك محرراً صحفيًّا مدة ستة اشهر وقد أعجب به رئيسه « لتواضعه وأدبه ولطفه وعينيه الحداسين وأسلوبه الادبي ! » وكان لرئيسه هذا فضل عظيم عليهِ في تشجيعه على الكتابة والأدب

***

لم يبدأ اونيل بالكتابة الاَّ بعد ان ساءت صحته واقعده المرض وظل مدة في المصح يشكو داء السل الوبيل وذلك سنة ١٩١٢ [illegible] في الحياة من صروب المعاناة والحرمان ويحدثنا انهُ في اثناء اقامته في المصح [illegible] عرف هناك لاول مرة قيمة الحياة ووجد الفرصة سانحة [illegible] لحياته المستقبلة ولاسيما أن حياته كانت زاخرة بالتجارب والاعمال وتراكم في مخيلته بعضها فوق بعض دون اشباع ولا انسجام [illegible] وشعر بدافع قوي يحفزه الى كتابة القصص المسرحية وهو ذو الخبرة بالمسرح وحياة التمثيل والفن دخل المصح وهو شاب عنيد شرس الاخلاق غريب الاطوار مقلقل الافكار لا غاية لهُ في الحياة الاَّ كما تعيش الملايين الكثيرة من الناس حياة كلها تعب وشقاء

وآخرها عدم وفاء ولكنهُ خرج من المصح وهو شخص آخر -- رجل ماضي العزيمة لهُ هدف في الحياة يسعى اليهِ ومنذ ذلك الحين وهو يحيا حياة ملؤها النظام والعمل المجدي النافع فأكب على تأليف القصص المسرحيه وأخرج خلال سنه واربعة اشهر احدى عشرة قطعة تمثيلية ذات فصل واحد وقطعتين طويلتين وهو يعمل بجهد متواصل في تأليف القصص التمثيلية والروايات المسرحيه وكانت مسرحيته الظمأ (١٩١٤) ذات الفصل الواحد، النبراس الذي أضاء سبيله في عالم الادب والفن

***

كانت الحرب الكبرى الضربة القاضية على المسرح والقصص التمثيلية فلما استعرت نارها في شهر اغسطس ١٩١٤ ازل الستار على المسرح وساد ظلام الوحشية على معالم الثقافة والفن والحضارة لا تورق الا في ظلال السلم والطمأنينة ولا تزدهر الا حيث تمرح العقول والافكار في رياض الحرية وبين خمائل العلم والفن

ولكن الدراما نشطت في نيويورك بعد ذلك السبات العميق واخذت تسترد ما فقدت من قوة وأثر ويعود سبب ذلك الى اهتمام سكان تلك المدينة العظيمة بالمسرحيات والتمثيل، بل تعد مدينة نيويورك الآن في الدرجة الاولى بين المدن التي يرتادها هواة الملاهي والمسارح لمشاهدة أروع القصص التمثيلية والقطع الفنية الراقية

وقد ظهر عقب انتهاء الحرب في المانيا مذهب جديد في الفن والتأليف المسرحية نشأ هذا المذهب الفني من الخور واليأس اللذين استوليا على الشعب الالماني بعد اضمحلال الامبراطورية الالمانية وتهدم الآمال الجرمانية في السيطرة والتوسع وكاد يُقضَى أشد على آمال الشعب وأمانيه وشعر المفكرون وارباب الفن بهذه الكارثة النازلة، وهم يرون اكثر المؤلفات المسرحية تطغى عليها روح التشاؤم مسفة مما يختلج في نفوس المؤلفين والكتّاب من شعور واحساسات دفينة تظهر مايكنهُ المؤلف وابطال قصصه من آلام نفسية مبرحة ومأثرات عميقة متأججة — فنشأ من ذلك المذهب التعبيري Expressionism يصف نفسية الشعب المتألمة المرهقة بعار الذل والانكسار!

وكان لمسرحيات الكاتب القصصي الالماني Frank Wedekind (١٨٦٤—

١٩١٨ ) أثر عظيم في تطور المذهب الواقعي في الادب الألماني ، وقد مهدت بآليته السبل وهيأت الافكار للدراسات الحديثة وكانت هي طليعة « للمذهب التعبيري » الذي كان اهم الداعين لهُ والقائمين بهِ Georg Kaiser ( المولود في سنة ١٨٧٨ ) ، و Ernest Toller ( المولود في سنة ١٨٩٤ ) ، على ان هذا المذهب الفني الذي تأثر بهِ « أونيل » غير ثابت الاوضاع ، فهو متقلقل في سيره ، وقد أصبح الآن ضئيل النفوذ ضعيف الأثر ، ولا سيما ان كثيراً من مؤلفي المسرحيات (في المانيا) يفضلون العودة الى المذهب الواقعي يقول المؤلف والنقادة المسرحي الانكليزي «سنت جون ارفن » « ان الملهى ( تياتر ) سيبقى في حالة ضعف وانحطاط الى ان يستعيد الانسانية نشاطها وقوتها ، لان الدراما اكثر الفنون تعلقاً وصلةً بالمجتمع وسعادته »

***

نعود الآن الى اونيل بعد هذا الاستطراد الوجيز عن المذهب التعبيري فقد قضى سنة في جامعة ( هارفرد ) ١٩١٤ — ١٩١٥ يدرس الفن والتمثيل ثم امضى صيف عام ١٩١٦ في مدينة ( برنستون ) وكان هنا على اتصال وثيق بالممثلين الشبان الذين قام اكثرهم فيما بعد بتمثيل قصصه القصيرة وكان يطالع كثيراً من المؤلفات المسرحية ولا سيما كتب ( ابسن ) و ( سترندبرغ ) و ( ودكاند ) و ( نيتشه ) وكان لهؤلاء اثر ظاهر في مؤلفاته الاخيرة وفي خلال ذلك ذاع صيته وانتشر اسمه على افواه الناس وفي الصحف والمجلات ، فاذا به اشهر مؤلف مسرحي في اميركا ، وفاز ثلاث مرات بجائزة ( Pulitzer ) وصدر لهُ في عام ١٩١٨ (In the Zone)

ثم زوج للمرة الثانية (١٩١٩) فكان سعداً زواجه هذا اكثر منهُ زواجه الاول، حتى اعتبره مواطنوه راجعاً الى حظيرة الانسانية، ووصفوه بانهُ «مواطن انساني تعرياً »!

وفي سنة ١٩١٩ اخرج مؤلفه The Moon of the Caribbees وست مسرحيات عن البحر و ١٩٢ «الذهب» و «ما وراء الافق» Beyond the Horizon وبعد صدر كتابه هذا (ما وراء الافق) وهو يتمتع بلقب اعظم مؤلفي الدراما في اميركا ، بيد انهُ لم يفز بالشهرة العالمية الا بقصته « الامبراطور جونز » ١٩٢١ The Emperor Jones ثم بقصته Anna Christie سنة ١٩٢٢

ولا شك ان سبب نجاحه الفني هو ثباته واخلاصه للغاية التي يعمل من اجلها ورغبته الصادقة في وصف الحياة وصفاً مطابقاً للواقع ، ولكن مما يؤخذ عليه سرعته في الكتابة وقلة عنايته بموضوع مؤلفاته وقد كان لحياته الأولى درس مفيد علمه ان ينظر الى طبائع الانسان الخفية ونفسيها المستترة والعوامل التي تطرأ على الحياة وتغير مجراها وهو يصف الحياة كما تتراءى له معتمداً على ما يسيرها من العوامل والقوى النفسية الكامنة في اعماق الانسان ثم ظهرت له قصص اخرى ذات صبغة صوفية رمزية، منها The Hairy Ape اي «القرد الاشعر» ١٩٢٢ ويدّعي اصحاب المذهب التعبيري ان هذه القصة تمثل مذهبهم الفني وتعرض آراءهم ، ولكن ادعاءهم هذا لا يرتكز على اساس ثابت

وفي سنة ١٩٢٤ صدرت له مجموعة في جزئين تتضمن Desire Under the Elms و Welded, All God's Chillun Wings وفي سنة ١٩٢٥ (ينبوع الحياة) The Fountain وفي سنة ١٩٢٦ The Great God Brown وهذه اكثر مسرحياته تأثراً بالنزعة الصوفية وله غير ذلك Lazarus Laughed, Marco's millions ١٩٢٧ و Strange Interlude ١٩٢٨ ، وربما كانت هذه القصة اشهر مسرحياته وفي سنة ١٩٣١ ظهرت له القصة المثلثة Mourning becomes Electra (trilogy)

ان الابداع الفني والصور الغريبة التي اكثر منها اونيل في تآليفه قد وضعت حدّاً للحادثة الفنية في مسرحياته التي كان لها الاثر البين في تطور الدراما ولا سيما في اميركا كما ان بعض مسرحياته مثل « الظمأ » و «القمر في بحر الكاريب » هي صور حقيقية لرحلاته البحرية وحياته الحافلة بالمغامرات

ويعمل « اونيل » الآن ، بعد ان فاز بجائزة نوبل ، على وضع قصة مسرحية عن حياة ( نوبل ) صاحب الجوائز العالمية المشهورة ، وستعرض فصولها على لوحة السينما ، وربما اخذ اونيل نفسه تمثيل دور نوبل

وما هذه القصص التمثيلية والقطع الفنية الرائعة ، إلاّ فلائذ ثمينة في جيد الادب الاميركي وصفحات حية خالدة من حياة اونيل ذات الصور الرائعة المنوعة والمغامرات الجريئة التي تحمله في مصاف اعلام الادب المسرحي في العصور الادبية الزاهرة

حلب فؤاد عيساني

[ المقتطف ] فصل كاتب هذا المقال ووعد بتلخيص احدى مسرحيات اونيل لعدد تال

# منعطفات الجدول

السيدة آمي حير شاعرة ، رهيفه العواطف ، دقيقه الشعور ، ترسم بقلمها مشاعر النفس ، وحوالج الفؤاد ، فتعبر شعراً ، عمـا تكنُّـهُ حوانحها ، وتستلهمهُ روحها الفيّاضة وقد اصدرت اخيراً ديوان شعر باللغة الفرنسية سمّتهُ ( Méandres ) اي « منْعَرَجاتِ النهر » او « منعطفات الجدول » اودعتهُ ما فاضت بهِ عواطفها ، فرأينا ان ننقل منهُ قطعتين رائعتين من متين قصائدها ، ليتذوق ابناء اللغة العربية ، آيات فنها وشاعريتها وقد صدّر الديوان بالقصيدة التاليه وهي من نظم خليل مطران

الحسن كل الحسن في الطبيعه انظر الى آيتها البديعـــه
ماذا تقول الزهرة الوديعه ؟
« آماليَ العذبةُ والآلامُ وبغطاتُ العيش والاحلامُ »
« من كلِّ ما تداول الايامُ »
« أنشها نفحاتِ طيبي الى البعيد والى القريبِ »
« خالصةً من ريبة المريبِ »
« وامنحُ الابصار من رُوائي ما فيهِ قرَّةٌ لعينِ الرّائي »
« بلا مداجاةٍ ولا رياءِ »
« صُنْتَ جمالي وبذلتُ عطري وذاك للهِ الكريم شكري »
« فإن يكن شِعْرٌ فهذا شعري »

## إلهي

وهناك قصيدتها التي استهلّت بها ديوانها تحت عنوان « إلهي »

إني لأشكرك ايها الفاطر ، انا الامرأة ، لكونك حبوتني ، بنعمة حلمله القدر ، وهي النفسُ ، الجديرة بان تؤمن بك ، والقلب القادرُ على محبتك

من بين الهيئات الالف ، التي صورتها لي طفولتي عنك ، ليس ثمّة واحدةٌ ، توازي ما في ذلك الانعطاف ، فائق الدهشه ، الذي تلاشى فيهِ ذاتي ، من النشوة العمياء

إني لأعبدك ، ايها الخالق ، الذي أجدهُ ، حتى في جمال ، اقلّ الاوراق ، وابحث عنك خلال الكون المختلج الخفّاق

# تحت جنح الظلام

أيها الحبيب ، تعال تحت ضياء النجوم ، الى روضة الحب ، فالسكوت الآن ، تعبر لها بأسراره ، التي يزيدها الليل كثافة

فهنا الحصيلة ، حيث يسود ، الرسو والقرنفل والليلك ، الباعث على الاضطراب ، وهناك المرح ، حيث الحوض محفور ، في المرمر الثمين

نذهب بالقرب من المقعد الخشبي العتيق ، ذلك المقعد ، الذي يكاد يكون أثرياً ، والذي تحيط به الادغال ، لنجد ، ونحن نسير سهل ، الياسمين العاطر ، وزهرته المرتعشة

فتعطف لي ، الجلاجل الشاحبة الواهية ، التي تحركها أقل نسمة ، والتي تتضوع منها ، أريج منهم مُعطر ، يُسكر رويداً رويدا

وبعد الفجر ، اصنع منها عقوداً واكاليل ودمالج نضرة ، فأتحلى بها ، من دون ان يرتاب احد ، لماذا أحبها

فاقطفها دون تأسف ، رادعنا قليل ، وعداً دون شك ، بهبّ نسمة هواء ، فتلوي اوصاف هذه الزهور ، التي تحس الموت كلها ، من دون ان تنتثر اوراقها

ومثلها ، وأسفاه ! الانعطاف والنشوة ، اذ كل شيء تدركه الموت ، حين سطفئان ، أ ، د ان يكون ذلك ، مثل الياسمينة ، التي تسقط دمعة واحدة ، دون ان تنثر

ايها الحبيب ، فلنشق ، لان ثمة ضياء النجوم ، في روضة الحب ، فالسكوت الآن تعبر لها بأسراره ، التي يزيدها الليل كثافة

[ سلهما جورجي فولاوس ]

# سير الزمان

---

## هبوط العقوبات

---

## روسيا وخصومها

لحنا حنا

---

## قوى الدفاع الاوربية

اقسامها وقوتها وطرق سطمها

# حبوط العقوبات

---

ان حبوط العقوبات التي فرضتها جامعة الامم على ايطاليا اثار في الناحية الواحدة مشكلة جامعة الامم نفسها من حيث فوائد تأليفها وحقيقة عملها وفي الناحية الاخرى مسألة خطيرة تدور حول تأثير الضغط الاقتصادي في التغلب على القوة العسكرية واركان الخطة التي تفضي الى نجاحه

للقوة ثلاث نواح اساسية، احداها روحية كانت في الماضي في ايدي الرؤساء الروحيين وتحولت في العصر الحديث مذ ضعفت العقائد وفصل في معظم البلدان بين الدين والدولة الى التربية و الدعاية المنظمة وثانيها اقتصادية استفحل مقامها في العصور الاخيرة بارتقاء الحضارة الصناعية فالجيوش تمشي على بطونها والمال والبترول عصب الحرب وقوته المحركة والتاريخ يدلنا ان الدول البحرية كانت دائماً تصحب عملها الحربي بالضغط الاقتصادي الا ان الضغط الاقتصادي كان حتى السنة الاخيرة، فرعاً من الضغط العسكري فلولا ابو قير والطرف الاغر لما تمكنت انكلترا من اغراض الحصر البحري الذي ضربته على نبوليون

إلا ان ارتقاء الحضارة الاقتصادية، أفضى الى توسع نطاق الضغط الاقتصادي وإلى توجيه [illegible] إلى إستعماله فالحرب كانت في نظر الاقتصاديين الاحرار في انكلترا العدو الاكبر للنظام الصناعي ولذلك كانوا يرون أنه يجب أن تحصر في دائرة المحترفين وان لا تتعداها الى التجارة وكانوا يذهبون كذلك الى وجوب الغاء الحصر البحري وما يتبعه من حق الزيارة والتفتيش وحصر المواد الحربية الموضوعة ضمن حدود ضيقة فالشر كل الشر — عندهم — أن تعاقب عمال في منشستر لانكشير بضرب نطاق على بلدان تصدر اليها القطن او تستورد منها المنسوجات

فلما كانت الحرب الكبرى سار الضغط الاقتصادي جنباً الى جنب مع العمل الحربي، ولم يغن الاول عن الثاني، ولكن كل هذا لم يصرف الناس عن التفكير في استعمال الضغط الاقتصادي بدلاً من الاعمال الحربية، بل لمنع الاعمال الحربية وحجتهم في ذلك ان الشلل الذي يصيب النظام الصناعي والاقتصادي في امة ما عندما يقع فيها اضراب عام، دليل على قوة السلاح الاقتصادي واذن فاذا هددت دولة سوى الاعداء بتطبيق مقاطعة اقتصادية عامة لها، كان ذلك التهديد والـ[illegible] على ... كافيين لثنيها عن عزمها

ان الفقرة الاولى من المادة السادسة عشرة في عهد جامعة الامم تفصّل ما يجب على اعضاء الجامعة من تدابير حيال الدولة المعتدية كقطع جميع العلاقات التجارية والمالية وتطبيق هذه المادة على ايطاليا كان تجربة توفرت لها ظروف النجاح فايطاليا من الناحية الاقتصادية ليست من مقام الولايات المتحدة الاميركية او بريطانيا او فرنسا او المانيا ان مصادر ثروتها

الطبيعيه ضئيلة ومتوسط سكانها في الميل المربع من ارضها عالٍ وثروتها يسيرة ومتوسط دخل الفرد من ابنائها لم يبلغ ربع متوسط دخل الانكليزي في سنة ١٩٢٩ ثم انها معرَّضة كلَّ التعرض للخطر لانها تعتمد في معظم غذائها والمواد الخام اللازمه لصناعتها على ما تستورده من الخارج وكلُّ ما تحتاج اليه في صناعة الاسلحة الحربية كالفحم والنحاس والحديد والقطن والرصاص والصوف والزيت يرد من الخارج وليس فيها مناجم للنكل والكروم والتنجستن والقصدير ولا حراج تستخرج المطاط من اشجارها وعلاوة على ذلك كان ميزانها التجاري في غير مصلحتها فزاد عجزه زيادة مطردة من ١٥٠ مليون ليرا في سنة ١٩٣١ الى ٢٤٠ مليون ليرا في سنة ١٩٣٣ وبلغ ١٤٠ مليون ليرا في الاشهر الستة الاولى من سنة ١٩٣٤ ومعظم هذا العجز كان يغطى بما تجنيه ايطاليا من السيَّاح ومن مال يرسلهُ ابناؤها المهاجرون فقد بلغ الاول ١٣ مليون ليرا سنة ١٩٣٣ والثاني ٩ مليون ليرا سنة ١٩٣٢

أضف الى ذلك موقعها الجغرافي وامتداد سواحلها حالة ان باب البحر المتوسط من الغرب في قبضة بريطانيا فالسفن التجارية القادمة بحراً من الغرب يجب ان تجتاز مضيق جبل طارق، والبضائع الواردة من طريق البر يجب أن تجتاز دولاً هي اعضاء في الجامعة نعم ان جارتيها الصغيرتين سويسرا والنمسا كانتا غير راغبتين في تكديرها، ولكن هذه الدول لا تستطيع ان تصدر اليها كثيراً من منتجاتها الخاصة فاذا جاءتها بضائع في الخارج عن طريقهما وجب ان تمرَّ هذه البضائع في فرنسا او المانيا، والاولى عضو في الجامعة، والثانية لم تكن في وسعها ان تعطل بعض الدول الكبرى في سبيل دولةٍ (ايطاليا) لم تربطها بها حينئذ اوثق أواصر الودّ

نعم أن الولايات المتحدة والمانيا والبرازيل ليست اعضاء في الجامعة ولكن المانيا لا تستطيع ان تصدر الى ايطاليا موادّ هي في أشد الحاجة اليها اما الولايات المتحدة فكان في وسعها ان تكون حجر عثرة في مطالب ايطاليا اذا أصرّت على صون حقوقها المقيدة كدولة محايدة مؤكدة ان بريطانيا لا تحاربها ولو عهدت اليها الجامعة في تنفيذ الحصر البحري على ايطاليا ولكن الرئيس روزفلت ورجاله ابكروا صورة جديدة للحياد أودعوها في قانون الحياد وقوامها أن الحكومة تحثّ الاميركيين على الامتناع عن الاتجار مع الدول المتحاربة، وتمنع على كل حال تصدير بعض المواد الحربية، وتعلن التجار الاميركيين ان كل اتجار مع الدول المتحاربة انما يحملون تبعتهم ولا ينتظرون من الحكومة أن تصون مصالحهم إذا صودرت أو عطلت من قبل أحد الفريقين المتحاربين أو كليهما وكلّ ما كانت ايطاليا تستطيع أن تتوقعهُ من الولايات المتحدة أن لا ينقص ما تستوردهُ ايطاليا من اميركا عما كانت تستوردهُ قبل نشوب النزاع مع الجامعة ولو أن دول الجامعة أظهرت رغبتها في التضحية في سبيل السلامه الاجتماعية، لما امتنعت اميركا عن تجاراتها في العالم

يقابل ذلك، ان ايطاليا كانت تعلم ان الحرب ليست حرباً كبيرة، وان خصمها لم يكن مسلحاً بأدوات الحرب الحديثة، فما تحتاج اليه ايطاليا من المواد التي قد تمنع عنها ليس كبيراً. وخزنت مقادير كبيرة كانت ترى انها وافية بغرضها اذا اقتصرت مقاومة الدول على عاطفة لا دون التدخل تدخلاً حربياً في خططها. فايطاليا في اثناء الحرب الحبشية لم تشعر قط بالحاجة الملحة التي تشعر بها دولة كبيرة اذا كانت في حرب مع دولة كبيرة اخرى

يضاف الى هذا ان الكساد وتكدس البضائع في كثير من الاسواق، حملا التجار على الرغبة في البيع ولو كانت توفية الثمن غير مؤكدة. اما الحكومات فأبت ان تزيد الكساد السائد قيوداً تزيده تفاقماً على الرغم من قبولها ما فرضتهُ الجامعة على الاعضاء في مثل هذه الحالة

ان احد الاغراض التي يرمي الضغط الاقتصادي الى تحقيقها، مع الحرب بثّ الجوع في الامة التي سوف الاعداء، من مقاطعة دول الجامعة لها. ولكن هذا الغرض لم يمكن تحقيقهُ في ما يتعلّق بايطاليا. ذلك ان الجوع لم يساور ايطاليا وقد اثبتت الحوادث - دقق حد بها - قد تكون اعتمدت في موقفها الجريء على معالجة الجامعة الضعيفة لمشكلة مشوريا، وقد تكون أقنعت نفسها بأن حربها في الحبشة ليست الا حرباً استعمارية ولا تهديد فيها لنظام السلامة الاجماعية. على كلّ حال ان سكوت بريطانيا او عدم افصاحها عند ما عقد اجتماع ستريزا، عمّا تكون خطتها اذا هوجمت الحبشة، اعتبر في ايطاليا نوعاً من الموافقة الصامتة، فلما سمع صوت بريطانيا القلقة، في كلام حازم فاه بهِ وزير خارجيتها السر صموئيل هور يوم ١١ سبتمبر في جنيف، كان السيف قد سبق العذل او كاد. لان ايطاليا كانت قد شرعت في اعداد حملتها، ومضت في اعدادها شأواً بعيداً. وفي مايو سنة ١٩٣٥ كانت الحملة قد كلفت موسوليني ٦٥ مليون ليرا. وكان في مكنتها ان تصنع أسلحتها اذا لم تمنع عنها المواد الخام. حالة ان الحبشة كانت لا تملك معداً تشتريها بهِ ولا معدات ميكانيكية تصنعها بها. فلما استعمل الضغط السياسي البريطاني على المسيو لافال لكي يعيد الى النجاشي اعتبار الرب اثناء لتصل الحكومة من هذه الصفقة، كان العمل في مصلحة ايطاليا لانهُ منع عن النجاشي المال كان في اشد الحاجة اليه. وعلاوة على ذلك كانت ايطاليا مقتنعة بأن الحكومة الفرنسية مستعدة لتسليم بفرض حماية ايطاليا على الحبشة اذا وقفت ايطاليا في اوربا موقفاً معيناً

فالعقوبات الاقتصادية لم تحقق في منع الحرب لانها لم تجرّب في حرب بين دولتين متكافئتين فالجامعة تهدد ايطاليا باخراجها من الجامعة اذا انتهكت العهد، وكان رد ايطاليا بالحملها على الظن بان الدول المختلفة لن تصرح استعمال القوة العسكرية لصون العهد على نحو ما نص المادة ١٦

في يوم ٩ اكتوبر سنة ١٩٣٥ قرّر مجلس الجامعة ان ايطاليا دولة معتدية وتلا ذلك قرار فرض العقوبات الاقتصادية عليها في ١٩ اكتوبر ولكن لم تشرع في تطبيق العقوبات الا في ١٨

نوفمبر فالتطبيق لم يكن حالاً ولم يشمل جميع العلاقات التجارية والمالية وهما شرطان نص عليهما الفقرة الاولى من المادة السادسة عشرة من عهد الجامعة

وفي يوم ١٤ اكتوبر سنة ١٩٣٥ افرجت لجنة التنسيق منع جميع الاعمال المالية التي تؤاتي ايطاليا كعقد القروض وفتح الاعتمادات واصدار السندات سواء أكانت الاعمال حكومية أم أهلية فالمقاطعة المالية كانت شديدة، ولكن شأنها العملي كان يسيراً، لان حالة ايطاليا المالية كانت قد ساءت قبل ذلك والميل الى عقد قروض لها في أسواق العالم كان ضعيفاً علاوة على ان تجار الصادرات الاجانب كانوا يعانون مصاعب شتى في استيفاء ما هم عليها حتى بلغ ما لتجار الصادرات البريطانيين عليها في أغسطس سنة ١٩٣٥ مليوني جنيه فالمقاطعة المالية لم تدخل عنصراً جديداً في حالة ايطاليا المالية، بل كانت اجمالاً لحالتها المالية الدولية كما كانت عند افراجها

وفي يوم ١٩ اكتوبر افرجت لجنة التنسيق منع الاستيراد من ايطاليا، مستثنية البضائع التي اتفق على استيرادها منها بعقود حررت قبل ذلك التاريخ فاتفقت خمسون دولة على قبول هذا الافراج، وبعضها أبدى قليلاً من التحفظ في قبولها كانت هذه الدول تستورد من ايطاليا معظم ما تصدره ايطاليا (٥ر٩٥ / — ٥ر٩٦ / ) فقد بلغ متوسط الصادرات في كل من دسمبر ١٩٣٤ ويناير وفبراير سنة ١٩٣٥ بلغ اربعة ملايين من الجنيهات ونقص الى ٤ر٢ جنيه في الشهور التالية من اواخر سنة ١٩٣٥ و٣١ اي ان قدرة ايطاليا الشرائية نقصت بذلك الى حد ما ونقصت الصادرات من ايطاليا الى اكثر من ٤ الف جنيه في يناير سنة ١٩٣٥ الى ١٨٠ جنيه في مارس سنة ١٩٣٦ والى فرنسا من نحو ٤٠ الف جنيه الى نحو ٣ الف جنيه أما الصادرات الى الولايات المتحدة الامريكية والمانيا والنمسا والمجر فظلت على ما هي أو زادت قليلاً والصادرات الى [illegible]

وليس في ايطاليا بضائع لا يمكن الحصول عليها في بلاد أخرى فاذا حدثت مقاولة [illegible] من سفر الوجود لما حسب العالم شيئاً ولكن هذه المقاطعة كانت شديدة على الذين يتعاملون معها وليس لهم سبيل الى استيفاء ما لهم عليها الا بالاستيراد، [illegible] حكم المقاطعة وكانت «موراتوريوم» لا قبل لهم الا بالاذعان له

ولكن الحكومة الايطالية، عمدت الى اخراج بعض الذهب المودع في بنكها لتشتري به ما تحتاج اليه، والى بيع ما يملكه الايطاليون من سندات في الخارج، كانت قد صادرتها في سنتي ١٩٣٤و١٩٣٥ وعوضتهم منها بسندات ايطالية فائدتها ٥ في المائة ففي يناير سنة ١٩٣٤ كانت قيمة الذهب في بنك ايطاليا ٧٢ مليون جنيه فهبط الى ٥٢ مليون جنيه في أغسطس من السنة نفسها ولا نعلم بالضبط مبلغ ما كان منهُ في البنك عند الشروع في الحملة الحبشية، ولكن

يقدر ما خرج من البلاد بين نوفمبر سنة ١٩٣٥ ومارس سنة ١٩٣٦ بما ع ٧٠ مليون جنيه أو أكثر قليلا اما قيمة السندات الاجنبية التي صادرتها الحكومة كما تقدم وتقدر بأربعين مليون جنيه ولا نعلم مقدار ما بيع منها لشراء المواد اللازمة.

هذا في ما يتعلق بالصادر من ايطاليا اما الصادر اليها من الدول المشتركة في العقوبات ، فقسمان قسم تشمل الاسلحة والذخيرة والعتاد الحربي والمفرقعات وهذا منع عنها حالاً (١١ اكتوبر) واما الباقي فتأخر منعهُ وبعضهُ لم يمنع مطلقاً وما منع كان يشمل على حيوانات النقل والمطاط والتنكستن والالومنيوم والحديد الخام والنيكل والقصدير وبعض المعادن الخام اللازمة لصناعة الصلب فكان هذا المنع باعثاً على نقص الوارد الى ايطاليا نقصاً كبيراً فالواردات اليها من ٣٨ دولة كانت قد بلغت في المتوسط ٥ر١٢٠ جنيه كل شهرٍ من نوفمبر ١٩٣٤ الى مارس ١٩٣٥ وبلغت اقصاها في الشهر السابق لفرض العقوبات اذ بلغت ٠ ٥٦ جنيه فنقص الوارد بعد المنع الى ٠٠ر ٧٨ر٢ جنيه في يناير سنة ١٩٣٦ ثم عادت فزادت الى ٥١٢ في مارس سنة ١٩٣٦ ومن الواردات التي نقصت نقصاً كبيراً الحديد والاخلاط الحديديه فقد بلغ ما استوردتهُ منها في شهر دسمبر سنة ١٩٣٤ نحو ٧٨ الف طن فنقص الى ١٨ الف طن في يناير سنة ١٩٣٦ ثم عاد فارتفع الى ٣٦ الف طن في مارس سنه ١٩٣٦ ونقص الوارد من نصائع مصنوعة من الحديد والصلب من ٧٣ الف طن في يناير ١٩٣٦ الى ١٥ الف طن في يناير سنة ١٩٣٦ وقد جاءها معظم النصائع الحديدية المصنوعه من المانيا والنمسا والولايات المتحدة وهي دول لم تشترك في فرض العقوبات

ولم تكن الفحم والبترول والنحاس من المواد الممنوعه الاّ ان ايطاليا نقصت ما كانت تستوردهُ من الفحم من ٠ ١١٠ طن في دسمبر سنه ١٩٣٤ الى ٠ ٦١٧ طن في مارس ١٩٣٦ وقد وقع معظم الخسارة في هذا النقص على انكلترا اذ هبط ما كانت تصدرهُ من الفحم الى ايطاليا من ٤٢ الف طن الى صفر وتليها في الخسارة بولونيا حالة ان ما كانت تصدرهُ المانيا والباحث والولايات المتحدة زاد قليلاً

ومع ان القطن نشقَّمهُ من الزيوت المحلله لم يكون محظوراً الاّ ان الصادر منهُ من دول العقوبات الى ايطاليا نقص نقصاً كبيراً ولكن ايطاليا كانت قد خزنت مقادير كبيرة منها قبل ان تصبح العقوبات نافذة وتحوّلت الى الولايات المتحدة في استيراد بعض ما كانت تستوردهُ من رومانيا وروسيا في العالم فالولايات المتحدة كانت تصدر الى ايطاليا نحو ٦½ في المائة مما تحتاج اليه ايطاليا بين سنة ١٩٣١ و١٩٣٤ فزاد ما تصدر الى ١٢½ في المائة في سنة ١٩٣٥ وارتفع في الاشهر الثلاثة الاخيرة من تلك السنة (وهي شهور الحرب والعقوبات) الى ٨ر١٧ في

المائه اما النحاس فقد كان حلّ اعتماد ايطاليا على ما تستطيع استيراده من الولايات المتحدة الاميركية اذا امتنعت دول العقوبات عن تصديره اليها

وقد كان وجود هذه الاسواق الحرة واستطاعة ايطاليا ان تبتاع منها ما يمنعهُ عنها الناقون، اكبر باعث على عدم كتابة هذه المواد في قائمة المواد الممنوعة كان في الامكان ان تمنع دول العقوبات الخطر الاقتصادي بفرض رقابة فعّالة على جميع السفن القادمة الى ايطاليا عند مدخلي البحر المتوسط، ولكن خطر الالتجاء الى الحرب اذا امتنعت بعض الدول عن الرضوخ لذلك، علاوة على استمرار ايطاليا نفسها، حال دون امتحان هذا الاسلوب من تطبيق العقوبات

وكذلك نرى ان خطة الجامعة في فرض العقوبات الاقتصادية لم تتوافر لها الاحوال المؤاتيه فبعض المواد اللازمة للحرب لم يحظر تصديرها الى ايطاليا كالنفط والفحم والنحاس وعلاوة على ذلك لم تعرقل اعمال الملاحة ولا السياحة ولا ارسال الاموال من المهاجرين الايطاليين وقد كان موقف ايطاليا من العقوبات لا يحتمل التأويل اذ قالت انا نحتمل العقوبات ما زالت لا تعرقل عملنا عرقلة عظيمة الشأن فاذا فعلت فانا نحارب فكان على الجامعة ان تحارب، اما ان تاجر ايطاليا بتحديها بفرض الحظر على المواد التي لا غنى عنها لايطاليا في مواصلة الحرب، واما ان تعترف بان استقلال الحبشة غير جدير بحرب عالمية في سبيله ولیس في امكان احد ان يعلم الآن، هل كانت الحرب العالمية تنشب لوان الجامعة اقدمت فالعقوبات لم تخطط بمعنى انها لم تفرض فرضاً تامًّا حتى يمكن ان يقال انها جربت ولم تسفر عن الاثر المرتقب وليس ثمة دليل على ان فرضها يفضي حتماً الى حرب في جميع الاحوال بل لمكن ان يقال انهُ لو فرضت وكانت سياسة ايطاليا عملية لما كان اقدامها على محاربة دول الجامعة حين تبدى لها الفوز في حرب الحبشه

يضاف الى هذا ان الحكم على دولة بانها معتدية ثم التوسّل اليها بالبقاء في الجامعة، كان لا بد ان يفضي الى خذلان أدبي ولو نجح الضغط المادي ولذلك تعتقد بعض الكتّاب ومنهم كاتب هذا المقال وهو الاستاذ تون الحاضر في مدرسة العلوم الاقتصادية بلندن وكان قبلا استاذاً للاقتصاد السياسي في جامعة برلين وقد نشرهُ في مجلة الشؤون الخارجية الربعية — ان بقاء ايطاليا عضواً في مجلس الجامعة متمتعة بجميع مزايا العضوية حالة كانت تدوس دستور الجامعة، كان مهزلة لم تتح فيها ايطاليا الآن باعثاً من بواعث التشجيع

والنتيجة التي يخلص اليها الاستاذ تون ان العقوبات الاقتصادية لم تطبّق تطبيقاً فعالا كما كان يجب او يمكن ان تطبق. وانها مع ذلك كانت السلاح الوحيد في يد الجامعة ضدّ ايطاليا رفعها قبل عقد السلام بين الجامعة والدولة التي انتهكت دستور الجامعة يدلّ على ان الذين بأيديهم الحلّ والربط، اما انهم لم يحسنوا استعمال هذا السلاح وإما لم يجرؤا على حسن إستعماله او كليهما

# روسيا وخصومها

## تسعة عشر عاماً تمر والحقيقة ضائعة

### علم هنا عبار

لم نستحكم الآراء في موضوع استحكامه في امر النظام السوفياتي وحالة الشعوب الروسية في الوقت الحاضر فان العلم الحديث ليكاد يحصي عدد الذرات في المجرة، ويزن اكبر الاجرام ويعين بعدها، ويصف ما في عالم الجوهر الفرد من الوحدات والمسحات، فيريك في الدقيقة المادية مجرة، وفي الجوهر الفرد نظاماً شمسيًّا مع ذلك قد عجز العلم والعلماء عن تعيين موقف روسيا ولم يمكن الاتفاق على حقيقة ما هو جار فيها اليوم

امة معاصرة، تعد ما يزيد عن مائة وخمسين مليوناً، تشغلون نحو سدس اليابسة، وهي ألصق بلدان الدنيا بالعالم المتمدن (لانها قسم من اوربا)، مع ذلك، قد تضاربت الاقوال في ما هي عليه من يسر او عسر، وشدة او رخاء، وصعود أو هبوط فمهما اقرأ المناقضات عن روسيا وتعسر علينا ان ندرك الموقف الذي ليس فيه مراء

فقد كنت اقرأ في صحف الولايات المتحدة في اميركا المقالات الضافية عن سوء الحال في روسيا، وأن أهاليها في حال فقر أسود، والمجاعة ضاربة اطنابها في انحائها واذكر جيدا ان احدى المقالات أكدت ان روسيا لا تمكنها البقاء على هذي الحال الى ما بعد مارس سنة ١٩١٩ وانها مهددة بالفناء والدمار وانست القرائة في ذلك تعيين سنة ١٩١٩ ولكن القرائة كل القرائة، انه بعد مرور ١٧ سنة وبعد ذهاب مئات من الكتاب والصحفيين الى روسيا، بل بعد ان مدرسة جمعت عشرات من طلاب المدارس الانكليزية وغيرهاء عدا القناصل والصحافيين والتجار والسياح ومن اليهم وقد كتبوا ونشروا وتكلموا مما هو جار تحت سماء روسيا — بعد كل ذلك لا نزال نسمع تضارب الاقوال والآراء في حوادثها اليوم كما كنا من ثمانيه عشره سنة

لست اشتراكيا بالمعنى الرسمي، ولا شيوعيًّا ولا اقدر ان اقول هل تحمل مبادىء الشيوعية البعد او لا، وهل هي على هدى او على ضلال كل ذلك خارج دائرة موضوعي فلست محامياً عن الشيوعية ولا خصماً لها بل انا ناشد الحقيقة، محايد، نزيه، مخلص اريد ان اقرر الواقع كواقع، لا كما يريد المحبيرون ان يلونوه بناء على ذلك اروم ان اثبت في ما يلي بعض

ما عثرت عليه في كتاب ظهر حديثاً موضوعه تاريخ الحرب العظمى السياسية بين سنة ١٩١٨ وسنة ١٩٣٦ ، وللقارئ الحكم بنفسه لنفسه هل تستحق هذي الاقوال الاحلال محل القبول او النقد نصاً واليك نص ما في ذلك الكتاب بالحرف او بالمعنى قال —

صرح فسكونت جراي في مجلس اللوردات الانكليزي في ٣ مارس سنة ١٩٢٧ ان حكومة السوفيات الروسيَّة هي غير قوميَّة فليست هي روسيَّة بالمعنى الذي فيه حكومة فرنسا فرنسية وحكومة المانيا المانية ذلك ان تلك الحكومتين والحكومة الانكليزية معهما ، انما ترمي الى رقية مصالح قومها ، ولا تكترث لمصالح غيرها الا بمقدار تأثيرها في مصالح قومها الخاصة

انقسم العالم منذ سنة ١٩١٧ الى رأسماليين واشتراكيين واخذ الانشعاب بينهما يتزايد كل عام وبينما نرى الشقاق والحروب والازمات محيقة في احواء الامم الرأسمالية ، حتى ان ملايين من عمالها هم بدون عمل ، نجد في الوقت نفسه عالم الاشتراكيين في روسيا متمتعاً بالسلام والقوة والنجاح فالبون عظيم بين سواد ليل اولئك وناصع نهار هؤلاء

هذا الانقسام العالمي ، الى رأسمالي واشتراكي ، هو من احداث العصر فقد نجحت الثورة الاشتراكية في روسيا ، وخابت في غيرها من البلدان كالمانيا وايطاليا مثلاً ، فمرت بهذا التطوُّر مسائل جمة في علاقات الفريقين ، اعربت عن ميول كثيرين في البلدان الرأسمالية نحو الاشتراكية واعربت بالحري عن نجح النظام الاشتراكي ، في امة كبيرة ، ذات استقلال تام ، وعلاقات كونية ، وهو امر لم يسبق له نظير في الدنيا ، الا في حالات وقتية استثنائية كما في وقت الثورة الفرنسية مثلاً

ساء الرأسماليين نجاح النظام الاشتراكي في روسيا ، فعمدوا الى صد تياره بشتى الوسائل فصمد السوفياتيون لهم ، وصدوا هجماتهم ، ثم اخذوا يسعون لتأسيس علاقات سلمية ودية مع تلك الامم التي كانت تحاربهم والسوفيات رغبون في السلم ، لان كل سنة سلم ورخاء ، تزيدهم قوة وتأصلاً والروس يحسبون الاشتراكيين في الدنيا من مصلحة الانسانية ان تسرع من المشاكل العالمية . فتفرغ له فيه شؤونها ، ونشر مبادئها فقد حل عندها قانون الجماعات برعاية العمال ، محل قانون الافراد من الماليين التي كانت تسود الاكثرية فتستعبدها وتذلها وتسحقها

وقد تسنى للعمال ذلك سنة ١٩١٧ في روسيا فأحرزوا ذلك الفوز الحاسم بهمة العمال والفلاحين والجنود الحمر وقبضوا على مقاليد الاحكام ، والقوة قوة لم يسبق لها نظير في تاريخ الاجتماع الانساني انضوى تحت لوائها جماعات الاتحاد السوفياتي ، وهم يزيدون عن مائة وسبعين مليوناً ( ، ، ١٧ ) في شرقي اوربا فهبَّ الرأسماليون في المانيا وايطاليا واليابان وانكلترا واميركا يهاجمونهم ، وبذلوا الجهد في قمع الحركة الشيوعية في روسيا فقاطعوها ، وحاصروها ، وحاربوها سنة ١٩١٨ بقيادة كولشاك ودنكين ويودينش قوَّاد القيصر المعروفين وقد صرَّح

لويد جورج ان انكلترا انفقت في هذا السبيل مائة مليون جنيه ولكنها ومن معها قد آبت بالخيبة وأشار لنين الى ذلك سنة ١٩٢١ قال

لقد عجز الاورجوازيون عن سحقنا ، مع ان قواتهم تفوق قواتنا اضعافاً ، وسبب عجزهم هو نشوب الثورة الاشتراكية في كل اصقاع الدنيا ووضع ذلك حداً لاطماع الرأسماليين وبنا على ان الحرب الاقتصادية ما زالت وهي لا تقل عن الحرب المادية خطورة وتأثيراً يضاف الى ذلك تراث الحكم القيصري الغاشم ، وجهل الامة ، وفقرها المدقع ، وقلة المواد الخام والآلات ، واضطرارنا الى الاعتماد على الموارد الخارجية زد على كل ذلك ويلات الحروب سبع سنين متواصلة . منها اربع سنين في الحرب الخارجية ، وثلاث في الحرب الاهلية وفوق الكل نطاق الحصر الذي ضربته علينا دول الغرب فكان امام النظام الاشتراكي عمل شاق ، هو مجابهة كل ما ذكر من الصعاب ، فهو لا يزال في مهده ولكنه تغلب على الكل وفاز بالبقاء كل ما ذكر انما كان الخطاة الاولى في حياة الاشتراكية في روسيا والخطوة الثانية هي النظم الاقتصادي الجديد الذي وضع اساسه سنة ١٩١٨ ، وحالت الحرب الاهلية دون تطبيقه الى سنة ١٩٢١ ، ولم يدرك الرأسماليون فصل ذلك النظام حتى تجلّى لهم في مشروع الاعوام الخمسة فكان اول ما رمت به حكومة السوفيت هو أنها حصرت قواتها الاقتصادية في ايدي العمال والمراد بتلك القوات الدولة والصناعة والتجارة الخارجية والمصانع ووسائل النقل وتركت للافراد التجارة الصغيرة لتتضاءل امام تيار التجارة القومية العظمى وتمكنت بذلك من صون جمعيات الزراعة والتجارة ، وجعلت مكانها في الخافقين

ولما كان غرض الماليين هو الاشتراكية استخدام الذرائع المالية وجدت شركة الدعايات نفسها مضطرة لله ام اصد ذلك التيار الجارف فأنشأت اعمالاً امتيازات ، لاية شركة اجنبية في اجماع روسيا جاء في تقرير السير روبرت هورن الوزير الانكليزي سنة ١٩٢٤ ان اول الذرائع لسحق البلشفية هي احراق بلادها بالانظمة الاقتصادية وجاء في مذكرات سفير انكلترا في برلين بتاريخ مايو سنة ١٩٢٢ روسيا في حال الدمار التام ولا يمكن انشاء تجارة رابحة منها الا بعد مرور سنين

واشار مستر بلدوين بشغل اسواق روسيا بالتجار الالمان على انها ... يمكن بذلك من وفاء ما عليها من اقساط الديون ... طات الآمال معلقة بسقوط روسيا اقتصادياً ، وخضوعها لشوكة الرأسماليين ، الى ... ة ٤٠٤ ... ساء في الاوبزرفر بتاريخ ٢٨ دسمبر سنة ١٩٢٤

لا يمكن ابقاء النظام الحالي في روسيا زمناً طويلاً ومهما يكن من امر الاسم السوفياتي فلا بد من تحوله رأسمالياً في خلال بضع سنوات على ان هذي الآمال قد خابت كما اثبت ذلك مجلة ايكونومست . قالت بعد مضي بضع سنوات لا يزال النظام السوفياتي في روسيا غير ممسوس

لم يدُ اي دليل على ضعف التجارة القومية في روسيا وقد تضاءلت التجارة الفردية امامها فكان عدد العمال في ورش الحكومه سنة ١٩٢٦ نحو ٢٧٠ عامل ازاء ٣٦٠ عامل في ورش الافراد وكانت وسائل النقل جميعها — خطوط المواصلات من شركات بحريه وقطارات حديدية وطائرات — في يد الحكومه

بدأ مشروع الاعوام الخمسة سنة ١٩٢٨ وانتهى سنة ١٩٣٢ بفوز باهر فاستفز فوز الشيوعية هذا ام الرأسماليين في كل الدنيا لانهم رأوا ان روسيا قد بلغت دروة الصناعة قال ستالين سنة ١٩٣٣ ان منتجات روسيا بلغت ثلاثة اضعاف ما كانت عليه قبل الحرب ، وضعفي ما كانت عليه سنة ١٩٢٨ مع ان منتجات انكلترا بلغت في الوقت الحاضر ٧٥ / ما كانت عليه قبل الحرب (سنة ١٩١٣) و٨٠ / ما كانت عليه سنة ١٩٢٨ ومثلها تقريباً المانيا والولايات المتحدة الاميركية وقد أُنشئت مصانع كبيره في مكسوجورسك في اورال ومحطة للكهربائيه في دنيبرستروي ومعامل للعربات في ليننغراد وخاركوف ومعامل للسيارات في غوركي ومعامل للكيمياء في موزسك ابرسيكي فزاد عدد المعامل عشرة اضعاف ما كانت عليه سنة ١٩١٣ وبلغت معامل الاشتراكيين وحدها ٩٩ / من مجموع المعامل في روسيا كذلك الانشاءات الزراعيه فقد انشئت ٥٠ مزرعة ، و ٢ حقل وزادت الاطيان الزراعيه على ٢١ مليون هكتار وارتفعت اطيان الاشتراكيين من — ٣ — سنة ١٩٢٨ الى - ٧٥ — سنة ١٩٣٢ وارتفع دخلها من ٤٤ الى ٩٣ وزادت الاجور ٦٧ / وبلغت الاموال في شركات التأمين ثلاثة اضعاف ما كانت

وفي الوقت نفسه يزعم خصوم روسيا ان العمال مسخرون وان الحكومة عاجزة ! امّا عن التقدُّم في المعارف فحدث ولا حرج فقد بلغ التلامذة في المدارس الابتدائيه ٠ ٠ ٢١٠ من الجنسين وارتفعت مستحضرات الصحافة من ٣ الى ٣٦ ومراكز الاسعاف الطبية من ٨٥٨ سنة ١٩٢٨ الى ٥٤٣ سنة ١٩٣٣ ، وارتفع عدد اطبائها من ١٩ الى ٧٦

واليك جدول الانتاج في الممالك العظمى في سنة ١٩٢٨ وسنة ١٩٣٣

| سنة ١٩٢٨ | الدول | سنة ١٩٣٣ |
|---|---|---|
| ٠ ر ٧ | فرنسا | ٠ ر ٧ |
| ٤ ر ٢ | اليابان | ٧ ر ٤ |
| ٦ ر ١١ | المانيا | ٢ ر ١١ |
| ٣ ر ٩ | الممالك الانكليزية | ٩ ر ١٤ |
| ٨ ر ٤٤ | الولايات المتحدة | ٥ ر ٣٤ |
| ٧ ر ٤ | روسيا | ٥ ر ٣٤ |

فأين زعم من يزعم شح الموارد في روسيا ، وانتشار الفاقة والمجاعات وتخييم شبح الموت ؟ فأنت ترى انها على ضد ما يزعمون

أمام هذا البيان الواضح تغيرت لهجة الرأسماليين وزالت من عالم الوجود الآمال التي عقدوها بفناء روسيا وحلّت محلها دعاية اخرى ترمي الى اثارة امم الارض ، على « الخطر الروسي » وليس هنالك من خطر ، ليس الا فتح العيون واثارة الاذهان فان روسيا غير طامعة في احد ، وليس لها مطامع استعمارية[1] ، وهي مسالمة نزيهة انسانية جاء في التيمس الانكليزية تاريخ سنة ١٩٣١ من مقالة افتتاحية بقلم رئيس تحريرها يقول اذا اراد العالم التخلص من الشيوعية فعليه بمقاطعة روسيا مقاطعة تامة لانها متى تمت انشاءاتها الصناعية ، ووراءها مائة وخمسون مليون نفس، فستكتسح منتجاتها اسواق الدنيا ليتأمل القارىء ما هو سبب تخوفهم منها وقد أقر سفير لندن سنة ١٩٣١ ان الصناعة الروسية « خطر على العالم الصناعي »

هذا هو كلام خصوم روسيا فأين الهلاك والموت الزؤام الذي كان يهددها قبل بضعة اعوام فنرى انهُ ليس عجز روسيا هو الذي أثقل كاهل الرأسماليين ، بل جدارتها ومقدرتها ومزاحمتها الرأسماليين مزاحمة شديدة هي التي نغصّت مضاجعهم ووفرة منتجاتها لا قلتها هي التي فتّت في عضدهم لذلك أجمعوا على ابادتها ليصفو لهم الجو في التحكّم بأمم الارض فقد ملأوا المشارق والمغارب صياحاً بأن الأمة التي توحد اقتصادياتها أمة عقيمة عاجزة لا تصلح للبقاء وواقع الحال انها أصلح للبقاء والا فلماذا يخشونها وهي لا تخشاهم ويحاربونها وهي لا تحاربهم ؟ هوذا الدول الصغرى حولها ، لم تطمع بأحد منها ، بل صادقتها وعقدت معها عهود عدم الاعتداء[2]

وقالوا ان التسخير ، وعدم دفع الاجور وزيادة ساعات العمل اليومية ، هو السر في رخص المصائع الروسية ، فالظاهر ان الماليين لم يريدوا ان يعترفوا بأن اقتصاد طبقة من الامة قليلة العدد لطائفة العمال جمعاء ، هو بين تدرب الأمة جمعاً ، دون استثناء ، لتعمل في ما هو ملكها الخاص فالعامل الروسي يعمل في منهِ وورقته ، بل ليزيد الثروة القومية التي هو مساهم بها ، لا لتقوى عضد ارباب المطامع والجشع الذين يستأثرون بالأموال والعقار وهب ان روسيا بنت مصانعها على استعباد العامل فما هي النتيجة ؟ لقد رهنت تواريخ كل الاجيال على ان التسخير شرّ الامور على شؤون الامم الاقتصادية فليس الجائر المالي على العمال على روسيا رأفتهم بعمالها ، بل نقمتهم على الذين يحولون دون تمكن تجارهم من حمايتها فأساس الدعاية ضدها هو حسن ادارتها لا سوء ادارتها ، ونجاح مشاريعها الاقتصادية لا سقوطها

---

(١) [illegible] أليست الامة لاوربا العاملة أشد خطراً من المطامع لانها مستعمرة و [illegible] على الاقل ؟

(٢) [illegible] ان عهود عدم الاعتداء [illegible] في [illegible] العالمية [illegible] الاولى [illegible]

ساء على ذلك هب" اولئك السادة ، يحملون على الشيوعيه حملة شعواء سيئون سمعتها وسلقوها بألسنة حداد ، وهم يحرّقون الأرّم على الذين حالوا دون افتراسهم الحملان وقد وقع اولئك الطارسة بين شقي المقص فاما ان يعرحوا عن مراعيهم ان الشيوعيه في حال الاقلاس وإما ان يعدلوا عن الظلم من مراحمها إياهم في أسواق الدنيا على ان وراء المقصين ما هو أعمق من ذلك وهو ذعر الرأسماليين من سقوطهم امام الشيوعيه لان اساسها اصحّ علماً وأثبت عملاً وبالامس كان النطاق الصحي مضروباً على الشيوعية خوفاً من افسادها الاخلاق ! واليوم ضرب حولها نطاق الحصر الصناعي بكسبها والخلاصة ان المبدأ الرأسمالي أحد يطأطىء الرأس امام المبدأ الشيوعي وهو يحاول دفعه بما اوتي من حيلة بالامس كان الماليون ينادون بجوع الامة الروسية وفقرها ودنوها من الفناء واليوم الازمة الماليه ضاربة في البلاد الرأسمالية في اوربا واميركا اما الروسيون فلا خوف عليهم فليس فيهم جائع واحد ولا عامل ليس له عمل ولا ارملة او مطلقة تبيح عرضها لتعيش

جاء في تقرير مدير بنك انكلترا السنوي سنه ١٩٣١ ما نصه —

اذا لم يقم هنالك من تدبير في عالم المالية فليس امام انكلترا الا الانحدار تدريجاً الى دركات الفقر والهلاك وليس انكلترا وحدها بل اوربا بأسرها منحدرة في ذلك المنحدر بسبب مزاحمة روسيا وزيادة مستحاتها يدل على ذلك ملايين العمال بدون عمل في فرنسا والمانيا وانكلترا والولايات المتحدة الاميركية هاسر المسألة وبان فلسفتها هذي هي السنة الرابعة من السنين الخمس الثانية ، وهي تبشر بالحياة السعيدة والفوز التام، فليس ثمة مجال لاتهام الشيوعيه بالمجاعه والفناء والاضمحلال

﴿ حاشية ﴾ يقول مقتبس هذي الاقوال ، اذا كانت الاقوال الآتيه كاذبة ، وكانت دعوى خصوم البلشفيه صادقه في انها على شفا جرف هار فلماذا تجد الالمان واليابان ضدها فان الاقوياء لا يتحدون على الضعيف بل اتحاد الجميع على فردٍ اعترافاً منهم بقوته ثم لو صح توهم سنة ١٩١٩ ان روسيا على شفا الهلاك فلماذا لم تهلك الى اليوم بعد ١٨ سنه ؟ ولو انها شريرة فلماذا لم تغر جيرانها الضعفاء بل عاهدتهم معاهدة المسالمه والحب ؟ ولماذا قاتها كل الدول في عصبه الامم ؟ واذا كانت ضعيفة فلماذا يخشونها ؟ (١)

والمعلوم عندنا ان روسيا اليوم من اقوى دول العالم والعلم فيها يبلغ الذروه العليا ، وكذا الادب والفلسفة ، وهذي المزايا لا تكون في امه تصوَّر جوعاً وقد اشرفت على الهلاك ، وهي فلت هذا الصبح ليل الح

حران حل الاولياء حنا خبار

(١) المقتطف ثمه فرق بين نجاحها الاقتصادي والصناعي وهذا لا ريب فيه وبين نجاحها الثوره الدولية وهو ما يقصدون له فاذا لم تغر جيرانها بالسيف فهي تسعى الى غزوهم بأالسنه الدعاة وبواعث قبولها في عصبه الامم سياسيه ولها حديث طويل

# قوى الدفاع الاوربية

اقسامها وقواتها وطرق تنظيمها

— ٣ —

## الريخ

فاذا انتقلنا الى الكلام عن الجيش الألماني وجدنا قصةً طويلة يمكن ان نبدأ بها في ١٥ مارس من سنة ١٩٣٥ لما صرّح المسيو فلندان رئيس الوزارة الفرنسية في ذلك الحين في مجلسي النواب والشيوخ الفرنسي قائلاً

« ان الحكومة قررت ان يخدم المجندون سنتين بدلاً من سنة واحدة وأن تستمر ذلك أربع سنوات » وقد علل الوزير الفرنسي هذا القرار بمقارنة رقمية بين قوّة فرنسا وقوّة المانيا العسكرية فقال « ان قوّة فرنسا في سنتي ١٩٣٥و١٩٣٦ تكون ٨ ٢ر٣٧٢ في حين ان قوّة المانيا فيهما تكون ٦و٤٨٠ »

وكان المارشال بتان وهو أكبر الخبراء العسكريين في فرنسا اليوم أول من نبه الى هذا الامر في مقالة كتبها في « مجلة العالمين » قال فيها ان الوسيلة الوحيدة لدرء الخطر الذى يهدد فرنسا من ناحية التجنيد هي جعل مدّة الخدمة العسكرية سنتين بدلاً من سنة واحدة

بعد صدور القرار الفرنسي كان الرّد الطبعي لحكومة الريخ ان قررت من ناحيتها إعادة الخدمة العسكرية الالزامية وزيادة قوات الريخ الحربية الى نصف مليون جندي ومعنى هذا القرار رفض المانيا رفضاً رسمياً المادة الباقية من المواد الحربية في معاهدة فرساي وهي التي نصت على ان لا يتجاوز عدد الجيش الالماني المائة الف وكان الهر هتلر قبل اعلان الخدمة الالزامية قد اجتمع بسفراء فرنسا وبريطانيا وبولندة وأطلعهم على عزمه وتصميم القرار الخطير الذي أذيع على الأمة الألمانية يوم ١٦ مارس ١٩٣٥ بخصوص العودة الى نظام الخدمة الالزامية كله تمهيدية عن البطولة العظيمة التي أبداها الشعب الألماني خلال أربع سنوات ونصف سنة وهي المدّة التي استغرقتها الحرب الكبرى وكيف ان المانيا ألقت سلاحها في نوفمبر من سنة ١٩١٨ ثقة منها بتأكيدات الرئيس ولسون وقد قابل الشعب الالماني قرار حكومته بأشد مظاهر الحماسة والابتهاج

وأطلق على القانون الجديد اسم « قانون تنظيم الدفاع » واشتمل على ثلاث مواد فالمادة الأولى نصت على ان الخدمة في قوى الدفاع تكون على أساس الخدمة العسكرية العامة وجاء في

المادة الثانية ان الجيش في وقت السلم عا في دلك قوى البوليس التي ستنضم الى الجيش يتألف من ١٢ فيلقاً مكوناً من ٣٦ فرقة وتقول المادة الثالثة ان وزير الحربية سيقدم فيما بعد الى مجلس الوزراء القوانين التكميلية التي تنظم الخدمة العسكرية العامة وتكوين الجيش الالماني بعد تقرير إطالة مدة الخدمة العسكرية من ر ٥٥ جندي وفي استطاعة المانيا زيادة هذا العدد في حالة الحرب الى سنة ملايين محارب بسهولة ولولا إسراع المصانع الالمانية خلال العام الأخير لكان الجيش الالماني تعوزه الاسلحة الحديثة ولكن بتوجيه العناية التامة الى هذه الناحية مكنت المانيا من سد هذا النقص وسوف لا تمضي مدة طويلة حتى ينتهي برنامج التسلح الالماني

وزادت قوة الجيش الالماني العام فيلقين جديدين في ٦ اكتوبر ١٩٣٦ وهما الفيلق الحادي عشر في هانوفر والثاني عشر في كوبلنز وعلى ذلك تحقق تكوين الاثني عشر فيلقاً التي نص عليها قانون تنظيم الدفاع السابق ذكره وتقسم كل فيلق من هذه الفيالق الى ثلاث فرق فيكون الجيش الالماني مكوناً من ٣٦ فرقة وتتوزع الفيالق العشرة الاصلية على النحو الآتي

كونجزبرج — ستيتين — برلين — درسدن — سونجارت — مونستر في وستفاليا — ميونيخ — برسلو — كاسيل — هامبورج

وقبل ان نفصل تكوين الجيش الالماني نقول ان الجمهورية الالمانية بعد ان سلخت منها عدة مقاطعات بعد الحرب ضمت الى الدنمارك وبلجيكا وفرنسا وبولندة وبعض دويلات البلطيق وتشكوسلوفاكيا تقدر مساحتها ر ٤٨ كيلومتر مربع ويبلغ عدد سكانها نحو ر ٦٦ نسمة وتتصل حدودها بعدة دول اكثرها ليست دولاً صديقة وهذه الدول تشمل على فرنسا ولوكسمبرج وبلجيكا وهولندة والدنمارك وبولندة ومدينة دنزيج الحرة وليتوانيا (ميمل) وتشكوسلوفاكيا والنمسا وسويسرة

وتعتمد الدولة الالمانية على الجيش في تحقيق كل آمالها التي تعجز السياسة عنها ولذلك نرى أن كل مرافق الدولة متصلة اتصالا وثيقاً بأعمال الجيش والطيران والبحرية والجيش الالماني الحديث ما يزال شعاره ١٩١٤ اي «فوق الجميع» وهو عنوان المجد القديم ومحط آمال المستقبل

فلما ان الخدمة العسكرية في المانيا اجبارية لكل الماني من اصل آري ولغير الآريين قوانين اخرى خاصة بهم وتبدأ الخدمة العسكرية من سن الثامنة عشرة الى الرابعة والخمسين لجميع الذين ادوا الخدمة في فرق العمل الاجبارية وهي عبارة مراكز للاعداد العسكري للشباب الالماني حيث يدربون على الأعمال والتمرينات الحربية في معسكرات تسع الواحد منها مائة وثمانين جندياً تقريباً وكل ثمانية معسكرات تؤلف مجموعة وكل ثمانية مجموعات تكون (Gau) وهنالك في المانيا ما لا يقل عن اربعين من هذه التشكيلات التي يبلغ عدد افرادها الیوم

ر٥٠٠ على الاقل كما ان فرق الهجوم وفرق الوقاية تمد الجيش الالماني باحتياطي عظيم كاحتياطي القوات المنظمة نفسها تماماً وفرق الهجوم هذه مقسمة الى ثلاثة أقسام بقيادة الهرهتلر ومساعدة رئيس هيئة اركان حربه

افراد الفرق العاملة وتتفاوت اعمارهم من ١٨ -- ٢٥

الاحتياطي الاول وتتفاوت اعمار افرادهم من ٢٥—٤٥

اللاند ستورم لمن يزيد على الخامسة والأربعين

ومجموع قوات الفرق المذكورة ٦٢٧ اورطه

اما فرق الوقاية فمؤلفة من ر ٢٠ شاب موزعين على عشرة فرق اي ٨٥ اورطه

واذا انتقلنا الى قوات الطيران الالمانية وجدناها مرتبة الثالثة بين الدول الاوربية وان كانت لم تبدأ في تكوينها الحربي الا بعد الانقلاب النازي منذ اربع سنوات ويكاد يكون من اسرار الدولة ان تبقى الكفاءة الجوية الحديثة في حكومة الريخ مكتومة وان كانت جمعيات الطيران التي تسوم بتعليم الشبان منتشرة في جميع انحاء البلاد ولا يقل عدد الطيارين الذين يمكن الانتفاع بهم وقت الحرب عن خمسين الف فضلا عن مدارس الطيران في برنسويك وشلايسهيم ودارمشتد وستتين وكوتبس — الخ التي تخرج عدداً وافراً من الطيارين كل عام ينتظم كثيرون منهم في الشركات الجوية في اوربا والقارات الاخرى

وفي ألمانيا جمعية للدفاع ضد الغارات الجويه يبلغ عدد أفرادها ستة ملايين عضو واسمها (Deutsche Luftschutzbund) ويبلغ عدد موظفيها ٠ ر ٢٨ وعدد متطوعيها ٠ر ١ر١ وهنالك ما لا يقل عن ٢٠ر٢ مدرسة للدفاع الجوي فيها ٣٠ر ١ معلم وقد شيدت هذه الجمعية ٠ ٥ر٢١ ملجأ للوقاية من الغارات وقد توقعت الجريدة التي نقلنا عنها هذه النبذة ان يبلغ عدد الافراد الذين يتلقون التعليم الفني في هذه المدارس مليونين فرساً

ويبلغ عدد المطارات في انحاء البلاد الالمانية ما بين على الاقل فيما عدا القواعد البحرية المعدة لنزول الطائرات البحريه اما عدد الطائرات التي تملكها الدولة فلا يقل عن ثلاثة آلاف طائرة مختلفة الاطرزة والاغراض موزعة بين الاقسام الستة الجوية في الدولة في كونجزبرج وبرلين ودرسدن وموانستر وميونيخ وكسل

## ايطاليا

هذه ايطاليا حيث بلغ التطور الحربي شأواً كبيراً صارت اليوم نموذجاً للأمة المسلحة ( ) فالسائح القادم الى ايطاليا اليوم بطريق الشمال تعروهُ الدهشة من الجو العسكري الذي يسود ايطاليا الآن فالشبان الاشداء بين سن الثامنة والعشرين والخامسة

والعشرين اما مجندون في الخدمة العاملة وإما انهم دعوا الى حمل السلاح والانضمام الى آلايا تهم

والواقع ان هؤلاء الشبان تراهم بالملابس العسكرية العادية او القمصان السود او سراويل الميدان الرمادية او ملابس الكتّان داهبين او عائدين الى معسكرات التمرن او الثكنات او ميدان المناورات

ونظراً الى الحاجة المتواصلة الى معدات القتال في جميع الاسلحة تقرر الحكومة الايطالية من وقت لآخر زيادة ساعات العمل في مصانع الاسلحة والذخيرة الى متوسط تسعين ساعة في الاسبوع وقد صرَّح السنيور موسوليني في احدى جلسات مجلس الوزراء منذ شهرين بأن القومسييرية العامة للمصانع الحربية تراقب ١٢ مصنع حربي وان تسلح الجيش الايطالي لا يزال سائراً بانتظام وسيبلغ تمامه في المدة المحددة لهُ اما فيما يختص بالطيران فقد صودق على مبلغ ١٥ مليوناً من الجنيهات خصصت لانشاء مطائر حربية ومدفعية حديدة في وادي نهر بو وعلى طول سواحل البحر الأدرياتكي وتيرانا وفي سردينية وصقلية

وقد كان أهم قانون صدر في عهد حكم الفاشست « قانون إعداد الامة العسكري » الذي أريد بهِ جعل الشعب الايطالي عن بكرة أبيه شعباً عسكريًّا وأهم مواد هذا القانون

١ — الرعوية الايطالية والجندية صفتان متلازمتان في ظل النظام الفاشستي

٢ — التدريب العسكري جزء من برنامج التعليم القومي ويبدأ بمجرد بلوغ الطفل سن الادراك ويستمر بحيث يكون الايطالي على استعداد دائم لحمل السلاح والدفاع عن وطنه

٣ — هذا التدريب العسكري ينقسم الى ثلاثة أقسام

فالطور الاول التدريب العسكري التمهيدي والغرض منهُ اعداد الايطاليين روحيًّا وجسمانيًّا وعسكريًّا اثناء المدة السابقة لتجنيدهم في الجيش والطور الثاني تلقين الايطاليين الفنون العسكرية واستكمال التدريب التمهيدي والطور الثالث تدريب الايطاليين بعد قضاء مدة الخدمة العاملة ليكون احتياطي الدولة على أتم استعداد عند اعلان الحرب وهذا التدريب اجباري لمدة عشرة أعوام بعد التسريح من الجيش العامل وايطاليا يبلغ عدد سكانها اليوم ٠٩ر٤٣ر نفس ومساحتها ٠ر٣١٠ كيلو متر مربع واصبحت لها اليوم امبراطورية واسعة الأرجاء تمدها بآلاف المجندين الاقوياء

والجيش الايطالي من قوات الدفاع الاوربية الاولى ويبلغ عدده اليوم ٠ ٠ر٥٢٨ جندي على الأقل ويصل هذا العدد في وقت الحرب الى أربعة ملايين بكل سهولة ويشرف على أعمال الجيش الايطالي مجلس الجيش وهو هيئة استشارية لوزير الحربية في كل ما يختص بأعمال الدفاع وهذا المجلس مؤلف من وزير الحربية ورئيس هيئة اركان الحرب وجميع قواد

الجيش العاملين وقواد الجيوش وثلاثة من قواد الفيالق او الفرق ينتخبون كل سنة بقرار وزاري وتحدد مدة انتخابهم بعد انتهائها

وهناك هيئات ولجان ومجالس يقوم بعضها بتنظيم اعداد الامة إعداداً عسكرياً وبعضها لتنظيم الاسماع بمرافق الدولة الاقتصادية كلجنة الدفاع المدنية التابعة لوزارة الزراعة والغابات

والجيش الايطالي مقسم الى ١٣ فيلقاً موزعة في تورين واسكندرية وميلان وفيرونه وتريست وبولونيا وفلورنسه وروما وباري ونابولي وأودين وحريرتي صقليه وسردينيه

وأهم الاسلحة التي يشتمل عليها الجيش الايطالي هي المشاة (١١٤ آلاياً) والخيالة (١٢ آلاياً) والمدفعيه (٦٥ آلاياً) والمهندسين (١٧ آلاياً) وسلاح الدبابات وأهم الخدمات الاخرى والمصالح العسكرية هي سلاح الكيمياء الحربي والقسم الطبي وادارة المهمات والتكنات ومصلحة الادارة العسكريه والقسم البيطري وخدمة النقل الميكانيكية وقسم الطبوغرافيا والجغرافيا ومصلحة المحاكم العسكريه والمصانع العسكريه للاسلحة والذخيرة وأهم مؤسساتها في « تيرني » وروما وكابوا وغيرها

والقوات غير العسكريه التي يتكون منها قوات تمد الجيش عند الحاجة هي قوات البوليس وعددها نفرساً ١٥ر وفرق الكاربيري الملكيه وعددها ٠ و ٥ والمليشيا الوطنية وهي مقسمة كوحدات الجيش تماماً

ومن المعاهد العسكرية في ايطاليا نذكر

كليتان حربيتان — أكاديمية للمشاة والخيالة — أكاديمية للمدفعيه والمهندسين — مدرسه تدريب المشاة — مدرسه تدريب الخيالة — مدرسه تدريب المهندسين والمدفعيه — تسع مدارس لضباط الاحتياط — ثلاث مدارس لضباط صف الاحتياط — اربع مدارس مركزيه للاسلحة — كليه اركان الحرب — مدرسه المدفعية — مدرسه الطب العسكري وغير ذلك من المدارس الفنية كالالاسلكي والكيمياء والميكانيكا

وقوة الطيران الجويه لا يستهان بها والطيارون الايطاليون مشهورون بشجاعتهم وبقدرتهم ويعتمد على السلاح الجوي الحق في اكثر العمليات الحربيه وهو من اكثر القوات الجويه انتظاماً في العالم وضباط الطيران مقسمون الى ثلاثه اقسام ضباط الملاحة الجويه وضباط الخدمة والاحصاء وقد بلغ عدد الفرق الاول خلال العام ١٩٣٥ — ١٣٨٨ر والفريق الثاني — ٤١ والفرق الثالث ١١١ وهناك ايضاً فيلق حوي للمهندسين عدد ضباطه اثنان واربعون

ولا يقل عدد الطائرات الايطاليه عن ٢٥٠٠ طائرة قوتها مليون ونصف مليون حصان وعدد رجالها ٣٠ر رجل تقريباً (كولونيل)

# باب الأخبار العلمية

## العلم في العام الماضي

### مختارات من أجل آثار العلماء في سنة ١٩٣٦

**العلم والاجتماع**

اشتد في العام الماضي اتجاه العلماء الى البحث في تأثير العلم من ناحيته الاجتماعية وكان هذا الاتجاه قد ظهر على أثر الازمة الاقتصادية التي انتابت العالم في العهد الاخير ثم بلغ ذروته في اجتماع مجمع تقدم العلوم البريطاني الذي عقد في مدينة بلاكبول بانكلترا في الاسبوع الثاني من شهر سبتمبر الماضي وقد نقلنا للقراء في حينه ملخصاً من خطبة الرئيس السر جوشيا ستامب وقد دارت من أولها الى آخرها على هذا الموضوع الخطير ومن اقواله فيها « أن العالم قلما يعنى بنتائج كشفه واستنباطه مع ان ثمارهما من أقوى العوامل على احداث التحول الاجتماعي واذا عني بها فعنايته تحصر في العالب في تعديد الفوائد التي تعدها باكتشافاته ومخترعاته على الناس ولا يعداها الى تبين ما تحدثه من الهزات الاجتماعية يسيرة كانت او قوية فكأن المنطقة التي تحصل فيها الهزات وكيفية انشائها كانت منطقة حراماً على الباحثين فالعالم كان يحسبها خارجة عن نطاقه الخاص والاقتصادي قلما اعترف بأن الواجب عليه يقضي بدراسة هذه الناحية من موضوعه والحكومات كانت تقف بمعزل عما هو حادث من هذا القبيل الى ان تستفحل النتائج فتربية العالم كانت لا تشتمل على تبصيره بنتائج عمله من الناحية الاجتماعية وتربية السياسي والاداري كان يعوزها تدريبهما على فهم تقدم العلم وما يقتضيه من ملاءمة للكيان الاجتماعي له فلما وقع الاصطدام أنكر كل من يهمهُ الامر ان الامر من شأنه »

**نقود علمية كبيرة**

ومن الحوادث العظيمة الشأن في تاريخ البحث العلمي الهبة السخية التي جاد بها لورد نفيلد صاحب معامل سيارات موريس على جامعة اكسفورد لتشجيع البحث في الطب السريري والهبة تبلغ ملايين من الجنيهات او أقل قليلاً وقد تلقت الجمعية الملكية في لندن هبات كبيرة كذلك لتشجيع البحث العلمي ومن مشروعاتها البحث بحثاً وافياً في علاقة الملاريا بالتغذية في الهند

وبما يتصل بالبحث العلمي وعلاقته بالمجتمع عناية العلماء بموضوع التغذية وتعيين لجنة له يشترك فيها اعلام مثل السر جون اور والدكتور ماكوبحل والاستاذ جوليان هكسلي

### تطبيق العلم الطبيعي

ولعلّ اظهر مظهر لتطبيق العلم الطبيعي في السنة الماضية اتساع نطاق التلفزة حتى اصبح في طاقة من يملك جهازاً لاقطاً ان يلتقط مما يذاع من محطة مركزية اذاعة منظمة والغالب في تاريخ المخترعات التي من هذا القبيل انها عندما تبلغ مرتبة الاستغلال التجاري تطرد فيها التقدم بسرعة عظيمة على نحو ما تم في الاذاعة اللاسلكية من سنة ١٩٢٢ الى الآن

### زرع النبات في الماء

ومن هذا القبيل تقدم الاسلوب الحديث في زرع النبات في الماء وقد تمكن الاستاذ جريك احد علماء كاليفورنيا من زرع نباتات في [illegible] الا المركبات غير العضوية التي يتركب منها [illegible] فنما النبات وأورق واثمر وقد كان النمو في هذه التجارب سريعاً والمحصول كثيراً [illegible] محصول الطماطم [illegible] الآن [illegible] هذه [illegible] علم [illegible] والحصول [illegible] العام [illegible] في عشرة ايام ولا [illegible] هذه المسائل [illegible] املاك علم الشأن في الزراعة

### بلورات الفيروس

ومن الاكتشافات الاساسية في علوم الاحياء ما اثبته بعض الباحثين من أن عوامل المرض الخفية المعروفة باسم فيروس يمكن الحصول عليها في شكل بلورات والفيروس الخاص الذي أفضى بهم الى هذا الاكتشاف هو الفيروس الذي يسبب في ورق التبغ (الدخان) داء التبقع وعليه فقد يحسب الفيروس في مرتبة وسطى بين المادة الحية والجامدة

### مائة مليون مجرّة

وقد حسب الدكتور هبل احد علماء مرصد جبل ولسن بامبركا ان في الكون مائة مليون مجرّة في نطاق قطره ٥ مليون سنة ضوئية والسنة الضوئية هي المسافة التي يجتازها الضوء في سنة سائراً بسرعة ١٨٦ الف ميل في الثانية وينتظر ان يتسع هذا النطاق ويزيد عدد المجرات متى تمّ صنع التلسكوب الكبير الجديد ونصبه

### [illegible]

وبما أحرزه [illegible] في ميدان [illegible] جديد [illegible] يؤثر في [illegible] الدم [illegible] ويفيد في [illegible] مرض [illegible] الجلد الناشئ

عن صعف حدران الاوعية الشعرية في مناطق معينة من الحسم تحت الحلد

وهناك اكتشاف آخر دو شأن كبير وهو ان الحقن المتوالي بالأنوار اي الهرمونات ( مفرزات الغدد الصم ) ينشيء احساماً مضادة لها تقاوم فعلها

## النجوم المتفجرة

ان الدين يرصدون السماء يرون احياناً وعلى حين فجأة نجماً مشرقاً حيث تعودوا أن يروا نجماً خفيًّا وبذلك يزعم بعض العلماء انهُ يمكننا أن نفسر النجم المتألق الذي ظهر فجأة في السماء ليلة ميلاد السيد المسيح

وقد أطلق علماء الفلك على هذا الضرب من النجوم اسم النجوم الجديدة ( نوفي ) والواقع ان هذه النجوم ليست جديدة وانما هي نجوم قديمة انفجرت فاشتد اشراقها

وقد كانت سنة ١٩٣٦ من السنين التي امتازت بكثرة النجوم الجديدة فيها فقد ظهر ما لا يقل عن خمسة نجوم جديدة من الطبقة الاولى احدها اكتشفهُ باحث في مرصد جبل ولسن في كوكبة العذراء وقيل أنهُ بعيد جدًّا عن النظام الشمسي حتى ليستغرق نورهُ سبعة ملايين سنة في الوصول الينا مع ان سرعته تبلغ ١٨٦ الف ميل في الثانية

وجميع هذه النجوم حدثت فيها انفجارات كبيرة فأطلقت مقادير عظيمة من الغاز بسرعة ٢٠ الى ٢٥ كيلو متر في الثانية

ولو أن شمسنا تصرفت على هذا النحو لكفى انفجار واحد فيها ان يمحق الحياة على وجه الارض وقد لوحظ أن النجم الجديد المعروف باسم « نوفا لاسرتي » وبعده ٢٦ سنة ضوئية حصل فيه اربعة انفجارات من هذا القبيل

## سديم أحمر

السديم لطخ سحابية من المادة الكونية داخل المجرة وخارجها والسديم اللولبية او الحلزونية هي خارج المجرة ونرى سديماً لبعدها مع أن فيها قدراً كبيراً من النجوم

وقد تم في السنة الماضية اكتشاف أول سديم أحمر اللون في مرصد مكدونالد بجامعة تكساس الاميركية

« طب » ! وما قيمة اكتشاف سديم أحمر ؟

للعلماء نظرية في اشراق السديم وهي أنها تشرق بانعكاس الضوء الذي تشعه ما فيها من النجوم والنجوم باعتبار حرارتها طائفتان عامتان طائفة حمراء وطائفة زرقاء فالأولى باردة بالقياس الى حرارة النجوم والثانية شديدة الحرارة

فاذا كانت السديم تضيء بالنور المنعكس من النجوم وجب أن تكون هناك سديم زرق وسديم حمر وقد اكتشف العلماء سديماً زرقاً ولكنهم لم يعثروا قبل السنة الماضية على سديم حمر فالعثور على سديم احمر يؤيد النظرية المتقدمة . ومن هنا قيمته العلمية

## أبرد النجوم

تختلف درجة الحرارة على سطوح النجوم من ٣ درجة عيران سنغراد الى ٣٥ الفاً واعلاها ٥ الف درجة ولكن الدكتور هترلر مدير مرصد يركز بأميركا اكتشف نجوماً لا تزيد حرارتها على الف درجة عيران سنتغراد وقد اكتشفها بالتصوير بأشعة الحرارة لا بأشعة الضوء لان هذه النجوم لا تبلغ من الحرارة درجة تجعلها مضيئة

وعلى ذلك فلا نستبعد ان يكون على مقربة من النظام الشمسي نجوم من هذا القبيل لا نراها بالعين او بالمرقب لأنها لا تشع الا أشعة حرارة وهي مما لا تراه العين ولكن يحس به بعض الالواح الفوتغرافية

## التغلب على الستربتوكوكس

الستربتوكوكس اسم تطلق على طائفة من الميكروبات تشاهد مجتمعة في سلاسل ومن العلل التي تحدثها هذه الميكروبات التهاب الحلق وبنت الحمرا وحمى النفاس وغيرها وقد اكتشف في السنة الماضية ان مادة كيمياوية تصنع في احد مصانع الاصباغ بالمانيا تدعى بروتوسيل تمكن الجسم من مغالبة هذه الميكروبات والتغلب عليها ويمكن ان تؤخذ البروتوسيل اقراصاً كما تؤخذ أقراص الاسبرين

نعم ان اكتشاف هذه المادة واستعمالها تم قبلاً في السنة الماضية ولكن اعلام العالم بنجاحها وفائدتها حدث في السنة الماضية

ومن نسل البروتوسيل مادة أخرى تدعى البروسونتيل ويدعى مكتشفهما دوماك والرأي العام ان اكتشافهما من اهم مآثر البحث العلمي الحديث في مقاومة الامراض المعدية

## توليد الارانب في الانابيب

في الاجتماع الذي عقدته الجمعيات الاميركية للبيولوجيا التجريبية في ربيع سنة ١٩٣٦ أذاع الدكتور بنكس احد اساتذة جامعة هارفرد انه لا حاجة بعد الى ذكور الارانب في توليد الارانب ذلك ان الدكتور بنكس أخذ بيضة أرنب ووضعها في أنبوب ولقحها بمحلول مالح لا اكثر ولا أقل فتمت البيضة وتحولت جنيناً كامل التركيب ثم زرع هذا الجنين في أرنب أنثى وبعد اسبوع قتلت هذه الارنب لدراسة الجنين المزروع فيها وفي تجربة أخرى تمكن الدكتور بنكس من تلقيح البيضة بمجرد تعريضها للحرارة

## نقل الاعضاء وزرعها

ويحاول الدكتور بنكس بعد الى الذهن ما تمّ على أيدي نفر من العلماء في نقلهم أعضاء كاملة وزرعها في حيوانات أخرى وحفظها حية نامية فالدكتوران ربط وكولبر من أساتذة جامعة بنسلفانيا نقلا قلباً حيًّا من سمندل وزرعاه في آخر والدكتور شوبد أحد أساتذة مدرسة لويولا الطبية بشيكاغو نقل غدد جرذ أبيض وزرعها لحماً وعظماً في جرذ آخر والدكتور وليس أحد أطباء مستشفى الفرد ملبورن باستراليا نقل عظام القوائم الأمامية من جرذ وزرعها في دماغ حيوان آخر والدكتوران امروسي

وبدل زرعا عوناً ومبايض وغيرها من عون الحشرات وزرعاها في حشرات أخرى غير التي نزعت منها وقد جرى فريق آخر على خطة الدكتور كارل وهي نزع قلب فرخ ووضعه في سائل خاص ومراقبة عمله الحيوي فأحد الدكتور أوسجود والدكتور سكوبش نخاع العظم ووضعاه في انبوب من هذا القبيل وراقباه في نموه حتى حاجة الانحلال

## تحويل المادة

ان عنصر الراديوم يطلق ثلاثة انواع من الاشعة هي اشعة الفا وبيتا وغما وعندما تنفد اشعاعه يتحول الى رصاص وهذا الفعل يستغرق الوفاً من السنين ومن المراتب التي يمر بها الراديوم في هذا التحول مرتبة تعرف فيها راديوم E ولكن العالم لم يستطع احداثها بمدة خاصة كاليفورنيا ؟ تمكن من صنع راديوم E من عنصر البزموت ذلك انه اطلق على عنصر البزموت قنابل ومقذوفات هي نوى الايدروجين الثقيل بسرعة ١٢ الف ميل في الثانية وبمعدل ١ الف قذيفة في الثانية فأصاب بعض هذه المقذوفات نوى ذرات البزموت فحولها الى ذرات راديوم .. وعند امتحان هذه الذرات وجد انها كراديوم E الطبيعي في جميع خصائصها

وبالطريقة نفسها حوّل ارنس وكورك البلاتين الى ذهب ولورنس نقل الالومنيوم الى ريليوم وسرام حول الالومنيوم الى الصوديوم

## وفيات الاعلام

وقد فقد العلم في خلال السنة الماضية طائفة من اكبر اعلامه في مقدمتهم الاستاذ بافلوف وهو الفسيولوجي الروسي الذي قضى ما يزيد على ثلاثين سنة يجرب التجارب في ما يعرف الآن بالافعال العكسية المحوّلة وبحثه فيها أساس لمذهب سكولوجي كبير الشأن يعرف باسم المذهب السلوكي ومنهم الاستاذ لويد مورغن الانكليزي صاحب الفلسفة العلمية المعروفة باسم « فلسفة البزوغ » ومن اكبر انصارها هويتهد الانكليزي الاميركي والكسندر الانكليزي والجنرال سمطس ثم توفي لويس بليريو الفرنسي وهو اول من عبر بحر المانش بطائرة سنة ٩ ١٩ والدكتور كاتي وقد كان في مقدمة العاملين على استعمال الفلم السينمائي في البحث العلمي

أما في ميدان الادب العالي فقد مني العالم بوفاة كابلنغ وهوسمن وتشسترتون الانكليز ومكسيم جوركي الروسي وبيراندللو الايطالي

## جوائز نوبل

وقد منحت جائزة نوبل الطبية للسر هنري دايل الانكليزي والاستاذ لوفي النمسوي جزاء لهما على ما قاما به من المباحث الطريفة الدقيقة في فهم انتقال الرسائل العصبية في الاعصاب بالطريقة الكيمائية ومنحت جائزة نوبل الطبيعية للاستاذين هس واندرسن لما لأولهما من فضل المتقدم في دراسة الاشعة الكونية ولأن دراسة هذه الاشعة أفضت بالثاني الى اكتشاف دقيقة من دقائق المادة الكهربائية الاساسية ونعني الكهرب الموجب «البوزترون» ومنحت جائزة نوبل الكيماوية للاستاذ دبي الهولندي الالماني لما قام به من المباحث الاساسية في المحلولات

## الماء وعدوى الملاريا برشيد

بحث الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك استاذ الطفيليات في كلية الطب ومدير معهد الامراض المتوطنة بحثاً علمياً طبياً دقيقاً في موضوع عدوى الملاريا برشيد خلص منهُ الى النتائج التالية

علماً ان عدوى الملاريا متوطنة في رشيد ولا أثر لها في القرى والبلدان المجاورة وعلما ان آبار المياه المالحة كثيرة في رشيد ولا وجود لها في القرى المجاورة وعلما ان بعوضة الانوفلكس تكثر كثيرة جداً في هذه الآبار فالنتيجة المحتمة هي ان مصدر العدوى الناقلة للملاريا في رشيد هو تلك الآبار ذات المياه المالحة التي في المنازل

ومن حسن الحظ ان في رشيد الآن موردا للمياه العذبة المرشحة مما يجعل هذه الآبار لا لزوم لها والبلدية لها مصلحة ظاهرة في توريد المياه المرشحة الى اكبر عدد ممكن من المنازل فضلا عن أنهُ يؤدي الى هدم كبير في خط الصحة من الامراض المعدية وفي نفس الوقت يجعل من الممكن تخفيض ثمن الماء [illegible] تساعد على الاقبال على استعمالها

وقد تبين أن مياه الآبار ملوثة جداً حيث اظهرت نتائج الفحص الكيمياوي وجود مقادير كبيرة من تحت التراب والنشادر

وحرانات الماء على الرغم من انها ليست ذات أثر يذكر في توالد البعوض فانها لو أهملت او تركت مكشوفة لتوالد فيها البعوض وعلاوة على ذلك فان الماء المستعملة بها والتي تؤخذ من النهر مباشرة ملوثة من المجاري العامة التي تصب في النهر امام رشيد

وعلى ذلك يتبين جليا ان الآبار وحرانات الماء في رشيد هي مصدر الخطر وفي الوقت نفسه يمكن الاستغناء عنها وعليه يوصي الدكتور عبد الخالق بك باتخاذ اشد ما يلزم من الوسائل لردم جميع الآبار والحرانات في رشيد ومد انابيب المياه المرشحة الى اكثر المنازل فاذا تمّ ذلك فالمنتظر ان عدوى الملاريا تنقطع تماماً

ومدينة رشيد تتيح فرصة نادرة لمقاومة مرض بقطع اجراء صحي بسيط وهذا الاجراء الصحي نفسه له أثر عظيم جداً في تخفيض الاصابة بالامراض المعدية الاخرى ولا سيما حمى التيفود والدوسنطاريا

## اكتشاف عنصر جديد

### في الفضاء بين النجوم

جاء من مرصد جبل ولسن في كاليفورنيا انهُ تم للعلماء فيهِ اكتشاف عنصر جديد في الفضاء الذي يكاد يكون فراغاً، وهذا العنصر الجديد هو عنصر التيتانيوم ولكنهُ في حالة مؤينة أي ان ذراتهُ ليست كاملة كلها ولكن كهاربها مفصولة عن نواها

ينسب هذا الاكتشاف الى الدكتور والتر آدمز مدير المرصد ومساعده الدكتور ثيودور دنهام وقد ظفرا بهِ اذ كانا يبحثان في الطيف الذي وراء اللون البنفسجي من طيف

مجمة كبيرة تعرف باسم ( شي ٢ اوريونيس ) والكلسيوم وبه وظهر من طيف النجمة المذكورة ان فيها خطوطاً جديدة من عنصر الصوديوم ومن المرجح ان موالاة البحث في النجوم شديدة الحرارة تسفر عن كشف هذه المادة في الخلاء المحيط بالارض في جميع الجهات

ويقول علماء مرصد جامعة هارورد انهُ اذا تأيد اكتشاف هذا العنصر في الفضاء الذي بين النجوم فانهُ يكون دالاً الى معرفة طبيعة هذا الفضاء أهم مما نستخلص من اكتشاف الصوديوم

## أونامونو فيلسوف سلامنكا

توفي الفيلسوف الاسباني اونامونو مدير جامعة سلامنكا وصاحب الكتب العديدة في الفلسفة والادب العالي كان في بدء حياته فيلسوفاً نزع الى الصوفية ولكن حالة بلاده السياسية حملتهُ على النزول الى ميدان الاجتماع فأصبح الصوفي اجتماعيًّا وتحول الفيلسوف سياسيًّا نبي وعزل من منصبه في سبيل الحملات العنيفة التي حملها على الظلم والاستبداد والمفاسد في عهد الملك الفونسو والدكتاتور بريمو دي رفيرا

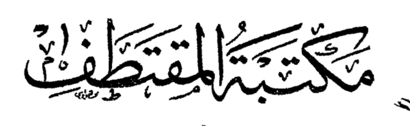
في ابريل سنة ١٩٢٥ اصدر الكاتب الاسباني بلاسكو ابانز كتابه في الجمهورية الاسبانية المرتقبة فأحدث هزة في دوائر الأدب والسياسة وقد ختمهُ بالعبارة التالية انني انظر الى المستقبل بلا وجل لانه سيقول عني كان في وسعه ان يظل على الهامش ولكنهُ خاض المعركة على الرغم من اوجاعه فانهُ لن يربح شيئاً بل يخسر كثيرا انضم عن مجرد الى جانب دي ونامونو وادوارد اوريجا المجاهدين بسالة في سبيل الكرامة الاسبانية قبل نصفها ومن دون نصر في هل كان صحته في الجهاد قليلين او كثيرين

ان مجرد ذكر اونامونو في مسند خطير كهذا ملخص تاريخ نشاطه في سياسة اسبانيا من سنة ١٩٢٤ او قبلها الى حين وفاته

كان اونامونو اعواماً طويلة مديراً لجامعة سلامنكا الشهيرة يدرس فيها اللغة اليونانية القديمة وعلم المقابلة بين اصول اللغتين اللاتينية والاسبانية ويصدر الى جانب ذلك الكتب والرسائل في شتى الموضوعات الا انهُ انبرى من عزلته العلمية يعارض دكتاتورية بريمو دي ريفيرا ويرغم حركة سياسية عنيفة ضد ذلك النظام فعرض لغضب اولي الشأن فأخرج من وطنه ونفي فثار الرأي العام على نفيه وضغط حتى على حكومة دكتاتوريته فاخلي سبيله وسمح له بأن يعود الى اسبانيا ولكنهُ رفض ان يعود اليها فذهب الى فرنسا وظل فيها الى ان اعلنت الجمهورية سنة ١٩٣١ فعاد الى وطنه حيث استقبل بأعظم مظاهر الحفاوة

وكان قبيل وفاته قد انضمَّ الى فريق الجنرال فرانكو لما خشيهُ من الفوضى الشيوعية في البلاد ثم اعرض عنهُ لما رآهُ يدخل الى البلاد طوائف من الاجانب لتمكينه من النصر

وقد ادركتهُ الوفاة والحيرة تدمي فيه قلبهُ الهائم باسبانيا



# وحي القلم

لمصطفى صادق الرافعي جزءان ٨٠٨ صفحة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٥٥ — سنة ١٩٣٦

الرافعي كان حبيباً الى القلب [illegible] اليه أسباب كثيرة من أخوة في الله ، ومن صداقة في الحب ، ومن مذهب [illegible] في الروح ، ومن [illegible] في الفن ، ومن إعجاب قائم في الذات ومن هنا ومن ثمّ لا أدري من أين أبدأ ولا أين أنتهي فاذا حين أريد القول في صداقته او في إيمانه او في حبه او في [illegible] أحدث كالهموم اذا ابتدأ له [illegible] اليه الهموم من كل جانب ، فأضع القلم وارفعه وأديره وألوي به لأن المعاني تتلوى بي في سبيل [illegible] ، فأراني أحاشي القول خشية الغلو او خوف التقصير وقد تكلفت شططاً وحملت نفسي على ما لا تطيق وأنا أكتب عن « وحي القلم » ، لئلا أغلو في الرافعي فيقال صحب غلا به إعجابه ، او أقصر فيه فيقال صديق شمت به أصحابه

كانت سنة ١٣٤١ — سنة ١٩٢٣ — وقرأت للرافعي كتابه «المساكين» فنازعتني نفسي الى مراسلته لأصل [illegible] فكتبت الى كتاباً [illegible] كنور الفجر ، ثم مضت الايام ولقيت رجلا كهلا [illegible] الشعر في رأسه ، خفيفاً قد أخذت منه الايام ، [illegible] قد أسكنه الفكر ، ثم قال هذا الرافعي [illegible] هذا الكهل شاب [illegible] ، واذا هذا [illegible]

صديق [illegible] وساحات فسيح في تلك [illegible] لا [illegible]

وهذا سر الرافعي [illegible] في فكره [illegible] في قلمه ، [illegible]

وذلك هو سر المؤمن إذا ارتفعت عن قلبه الحجب ، وسقطت عن عينيه الغشاوة ، [illegible] الاعيان عن أ[illegible] الأرض الى أسرار السماء ، فلا تجد الا [illegible] تجد أو [illegible] أو يلمسه ، فهو بصيرة نفذ ، وقوة [illegible] ، وإخلاص يحلو ، وجمال يجب هذا هو سر الاسلوب الذي انفرد به الرافعي

والرافعي كان قد استولى على الأمد في مادة الكتابة ، فاللغة عنده [illegible] للمبير لا مادة للحفظ والاستعمال ، فهو قد قرأها قراءة البصير ليرى الفروق الخفية بين اللفظ ومرادفه

ولنعلم حق اللفظ من العبارة، وحق العبارة من الالفاظ، فسلي بعض من لا تقدير له أن الرافعي يريد الاعراب على الناس في كلامه، واستحلاب الغريب من اللغة للعاجز، وما به ذلك، وإنما هي المعاني. المعاني عند الرافعي هي التي لها حق اختيار الالفاظ من لغته وهو لا يأخذ ألفاظهُ من المعاجم وإنما يأخذها من سليقته التي صنعتها المعاجم. وقد أكثر الناس من نقد الرافعي زمناً ووضعوا عليه من أوهامهم ما شاءَ آدابهم ولم يفهموه، وحجتهم في ذلك ... الى أخذ الرافعي مواهبها سليقته. وما اللغة؟ أهي الألفاظ قائمة بالمعاني التي وضعتها لها المعاجم ووقفت عندها؟ ان هذه لا تثبت شيء، وما هي الا أداة كالسيف. فالسيف على حدته لا يعمل الا أضعف العمل، فاذا أخذته أنت وجعلت تدرب به وتمرّن ساعدك عليه، وعرفت كيف تجيد الضربة وتصيب المقطع، كان له أقوى العمل، لأن السر في ساعد متصرفه وبصره وحذقه لا في حده وعارضيه

واللغة لا تقوم بغير فكرة، والرافعي قد استولى على أصولها، بقوة الادراك وسموّه وبراعته، وبالقدرة على الابانة عنها باللفظ المتصل الماضي الذي لا يقطع دونها، وبقوة الخيال وبراعته واستطالته. فالرافعي يدمن على الفكرة الواحدة إدمان الفيلسوف الصابر الثابت من ادارتها وتقليبها وبسطها وردها الى أصول مقررة في الحياة، ثم لا يزال يجمع بينها وبين قرائنها، ويحدد فروق ما بين الفرسين ما ظهر من ذلك وما استتر، ثم يصحح النظر في الاصل الذي يرد اليه أفكاره تصحيح الحكم المقرر حتى لا يقع بها التدابر والاختلاط والفساد. ولا يزال على ذلك يقلب ويقلق ويأخذ ويدع بقانون طبيعي في نفسه، فلا يترك الفكرة الا وقد ... لهُ صغاراً من الأفكار فيها من الجمال والسحر والقوة الكامنة ما للطفل الصغير الوديع الجميل، واذا الفكرة الأولى التي أخذ عنها أمّ فيها هذه الأمومة العاملة المخلصة وجلالها وروعتها ووقارها

وهناك أسرار الفن في بيان الرافعي فمنها ادراك الجمال السامي غير المبتذل، فهو يدرك الجمال في الجمال لانه يعرف أسرار جماله، ويدرك الجمال في القبح لانهُ يعرف أسرار وجهه فالجمال عندهُ في السر والجوهر وأصل البناء لا في العرض، وكذلك الخير والشر، والفضيلة والرذيلة وما الى ذلك، هي كلها عند الرافعي موضوع للاسرار فهو لا يقف عليها وقفة المدهش بل يبرزها من أصولها ليخرج أسرارها، فاذا فعل كيف صفة الشيء الحي تكلام حتى فيه قوة المقاومة والقدرة على البقاء، وكل الاسباب التي تضمن لهُ الحياة القوية والدائمة

ثم لا يقف الرافعي عند ذلك بل لكل هذا مكان آخر يصل اليه ويمهره ويدينه ثم يرده في صورة ... ذلك هو الاحساس القوي المشبوب فهو يأخذ الفكرة يلقيها وعليها وسرها من احساسه هو لا من احساس الناس، حتى اذا آمن بها إيماناً لا يطمئن فيه الشيطان باعانه القوي على

انشائها انشاء جديداً خاصاً فهو في أمثالها صاحبه ، تلك السمة التي تسمى « أسلوب الرافعي »

بل تلك بعض العوامل التي تدعو من لسان هذا الرجل . إن له حاسة عجيبة إذا تكلم في الاجتماع العربي الاسلامي في هذا العصر ، من شأن ويكتم ويحلل ويدرس ، هي هذه الروح المسلمة المنصبة على معانيها كنور الشمس ، فهو هنا يحس ويفكر ويعد ويعيش بقوة ثلاثة عشر قرناً من التاريخ الاسلامي ، ويحس بأحداسها ، ويدرك أفكارها ، ويعرف أسرار فضائلها ورذائلها ، وأسباب قوتها وضعفها ، وقد أحاط بكثير من أصول القانون الطبيعي الذي يجمع ويفرّق ويبسط ويشتمل ، ويزيد وينقص في هذه الأمة الرابضة في قلب الشرق

اما الرافعي المحب فهو رجل وحده سام عن الاسفاف ، مشرق بالحب ، صاف كأنه مرآة مجلوة ، ثم فرح كأنه أمل يتحقق ، ثم كأنه عضو قطع ، ثم ألم كأنه محارب باسل يهزم ، ثم لا يزال على ذلك — الرجل الجلد القوي الذي لا ينكسر ولا يتحطم ، ولا يدنّي به القوة العالية ، قوة الارادة الانسانية الكريمة المنشئة لذلك يحلو حب الرافعي من الفجور الفني ، وانما يصف الرافعي المحب فجور الرجل والمرأة ليسمو بالرجل الفاجر ويخرجه من سلطان لذته ، ويصف فجور المرأة ليهديها ويطهرها ويبرئها ويصفها من ظلم الرجل الفاجر وله على ذلك قدرة قل ان ساماها كاتب ممن نعرف

وأما الرافعي رسول الشعب ، فهو الواصف البليغ الذي يستطيع ان يجمع آلام أمة مظلومة في ألفاظ تألم ، ويؤلف آلام المساكين في كلمات تبكي ، ويحصر سخط المستعبدين من الفقراء في حروف تبكي وتألم وتسخط وتشقى وتعص وتسخر من هذا الاجتماع الذي استعبدهم وقد ولدتهم امهاتهم احراراً فهو في هذه « رحمان القلوب المحطمة »

وأما الرافعي الساحر ، فهو الكلمة القصيرة التي تلمع لا تدعه الثورات الصاخبة

وأما الرافعي فهو الرافعي الذي لا تعرفه حتى تقرأه وتصبر على ملازمته ، وتأمله من هنا لك لتأخذ من ذاته ومن فنه وفي بلاغته ومن فكره ومن حكمه فهو كاتب يكلم ثم ثم يجدر بك ان تأخذ كلامه على الاثارة الطائرة كما تقرأ ما الله في صحفه بنوع الاستعداد بل أنه أن تحس وتمعد اليه وتبهر معه ثم تستعد

اقرأ « وحي القلم » تجد الرجل الذي حدثناك به ، وتجد البيان العصي القوي المتدفق الذي يشرق بسك التاريخ اللغوي المكتوب في دمك ولورانه ، وفي قلبك بالحب ، وفي احساسك بالاهوال المفسدة التي تمر بك فان ذلك الرافعي اذا تدبرته وتدبرته أعطاك ، الا ان لانه بيان حر غير مقلد ، وأوحى اليك بالفكرة المستحكمة والعبارة المحددة لانه بيان سام عن مقلد ، ثم يلهمك القدرة على التفكير والابانة لانه « وحي القلم »

محمود محمد شاكر

## فلسفة اللذة والألم

تأليف اسماعيل مظهر — مكتبة النهضة المصرية — صفحاته ٢٥٨ قطع المقتطف

الشقة طويلة بين أرسطبس في القرن الرابع قبل الميلاد وبنتام وملْ وأرائهما في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، وبافلوف وواطسن في القرن العشرين والفرق بعيد بين اللذة والمنفعة ولكن الفيلسوف القوريني كان رأس سلسلة من المفكرين أحدثهم في هذا العصر واطسن السلوكي واللذة وهي اساس السعادة في نظره تحوّلت ،وتوالي القرون الى المنفعة في مذاهب المتأخرين

هذا التطوّر التاريخي ، من ناحية الاشخاص ومن ناحية الموضوع ، هو محور هذا الكتاب النفيس

في سيل الكتب العربية المتدفق على ادارات الصحف والمجلات ، تجد المنصف طائفة ممتازة من الكتب هي من خير ما أخرجت عقول العربيين وهي على الغالب اما مترجمة « كسلسلة المعارف الحديثة » و« تراث الاسلام » واما مقتبسة من غير كاتب واحد « كقصة الفلسفة الحديثة » فاذا وجدت كتاباً يمكن ان يقال انهُ أُلِّف ، وان مؤلفهُ قصرهُ على موضوع بعينه من موضوعات العلم او الفلسفة او الادب، تبسط فيه ولمّ ما تفرق من دقائقه ، كان ذلك من بواعث غبطته لانهُ دليلٌ على الحيوية والاستقلال الفكري

وقد عرف كاتبُ هذه السطور ، كتابَ اللذة والالم ، عندما كان رسالة صغيرة لا تعدو عشرات الصفحات وتتبع تقدم البحث فيه . وما كان لكل خطوة خطاها مؤلفهُ من أثر عميق في نفسه ، فهو حين ربط بين قواعد فلسفة اللذة ، فالمنفعة ، وقواعد المذهب السلوكي في علم النفس الحديث كان أسعد الناس طرًّا فاذا هو قال انهُ قضى اربعة اعوام في تأليفه فصدّقوهُ واذا قال انهُ طوى [illegible] في تنقيحه ثلاثة اعوام اخرى فصدّقوه كذلك ولكن بتحفظ لأنهُ في خلال هذه الاعوام كان يخرج صفحاتهُ وينقحها ويضيف اليه ويحذف منها ما يبدو لهُ بعد تمحيص دقيق وتأمل عميق

وارسطبس هذا فيلسوف يوناني (٤٣٥ - ٣٥٦ ق م) منشىء المدرسة الفلسفية المعروفة بالمدرسة القورينية زار اثينا في حداثته وأغرتهُ شهرة سقراط بالبقاء فيها وتلمذ لهُ ثم تحوّل في مدن اليونان وأخيراً استقر في قورينة على ساحل شمال افريقية المواجه لليونان وقد كانت فلسفتهُ واقعية عملية فاقامها على رأي سقراط في الفضيلة والسعادة وقدم الثاني على الاول وجعلهُ مقياس الحياة ومحكها فالخير في رأيه ما يفضي الى أعظم نصيب من اللذة والغريب في هذا الرجل انهُ ، مع تقديسه اللذة كمبدإ فلسفي امتنع عن الانغماس فيها

بين ما دعا اليه ارسطبس في القرن الرابع قبل الميلاد وما دعا اليه هيوم وبنتام ومل في القرون

الحديثة بون شاسع فأرسطس طلب السعادة للفرد وجعل اللذة أساسها اما الفلاسفة الانكليز فقالوا ان السعادة الحقيقية هي سعادة الجماعة او سعادة اكثرها وجعلوا أساسها المنفعة ولذلك قيل ان شعارهم هو « الخير الاعظم للعدد الاعظم » وفي ذلك تم الانتقال الفلسفي والاجتماعي من اللذة الخاصة الانانية ، الى اللذة العامة فالمنفعة العامة او الخير الاعظم للعدد الاعظم

فلما ظهرت نظرية التطور العضوي اتجه الرأي الى ان هدف التطور هو انشاء جسم اجتماعي حيّ نشيط صحيح، فالقياس لا يمكن ان يكون « الخير الاعظم » او اكبر قسط من المنفعة العامة بل يجب ان يكون « صحة الجسم الاجتماعي »

جميع هذه المسائل وعشرات غيرها مبسوطة في هذا الكتاب أوفى بسط ، في ملابساتها التاريخية والعلمية والفلسفية ومن راجع الفصل الذي نقلناهُ عن هذا الكتاب في مقتطف دسمبر الماضي ، يعلم انهُ تحفة فلسفية ثمينة

— — • —

## موسى بن ميمون — حياته ومصنفاته

يحق للاسرائيليين في العالم أجمع وفي الشرق خصوصاً ان يفخروا بالفيلسوف العلامة والطبيب الشهير موسى بن ميمون الذي نبغ في اوائل القرن الثاني عشر فانهُ كان من اعظم علمائهم وفلاسفتهم في تلك العصور واعترافاً بغزارة علمهِ ومقامهِ الادبي أقامت جمعية التاريخ الاسرائيليه في القاهرة حفلة شائقة تذكاراً لمرور ٨ سنة على وفاتهِ في العام المنصرم في دار الاوبرا الملكية اشترك فيها رجال العلم والادب من جميع الملل والنحل وقد حذت حذوها جميع الاندية الاسرائيلية في جميع اقطار المسكونة لاحياء ذكرى هذا العالم الجليل لما كان لهُ من المكانة والاحترام والاجلال في قلوبهم وما زالت الطائفة الاسرائيلية في القاهرة الى يومنا هذا تقيم حفلة تذكارية كل عام في يوم وفاتهِ في معبده الخاص في حي اليهود المعروف بكنيس يهود العرب ويزورون ضريحه في طبريا في مثل هذا الوقت من جميع نواحي المعمورة

وصار من حكم الضرورة على كل من يعنى بتاريخ الفلسفة الاسلامية والآداب العربية والعبرية ولا سيما على كل اسرائيلي ان يطلع على تاريخ حياته ونشأته وما عاناه من المصائب والنوائب وعلى مؤلفاته في الفلسفة والعلم والدين والطب وقد كان معاصروه من علماء اليهود الذين نقلوا مذاهب العرب الفلسفية الى العبرية بالعربية ثم الى اللاتينية ومن الذين ساهموا بقسط وافر في عالم العلم عموماً مثل سعديا الفيومي وابن جبرول وابن عزرا ، يزهو من ابناء جلدته في الاندلس وكان في مقدمة الائمة والاحبار الاسرائيليين الذين وضعوا الشروح الضافية على التوراة والتلمود في عقائد الديانة الاسرائيلية مثل « راشي » و« ملبين » وأصبحت

مصنفاته قاعدة واساساً في التشريع الاسرائيلي وسراجاً يعني الكلمة يستنيرون بها « كالسراج » احد مؤلفاته وكان في آخر حياته رئيساً على الطائفة الاسرائيلية في مصر أفادها بارشادات دينية هامة واصلاحات لازمة في شؤونها

ولما كانت مكاتبنا العربية تكاد تكون خالية من المعلومات والبيانات الوافية التي تتعلق بعلم هذا الرجل الجليل وتآليفه وبحوثه الفلسفية كما بحث جناب الدكتور اسرائيل ولفنسون ابو ذؤيب استاذ اللغات السامية بدار العلوم واخرجها بكتابه « موسى بن ميمون — حياته ومصنفاته » بعد بحوث دقيقة ومجهودات عظيمة وهو الكتاب الثالث من براعة من سلسلة كتب في تاريخ اليهود والعرب

تصفحت هذا الكتاب النفيس فوجدته تُحفة لمحبي الادب للبحث في موضوعات كهذه وكنت حائراً في حيز الطرق لاستقاء المعلومات اللازمة لي في ماسرني نشر تاريخ اليهود في مصر وسيرة حياة عظام رجالها ومصادر مراجعها فجاء كتابه لي « دلالة الحائرين » يعني الكلمة كاسم احد مؤلفات الميموني الشهير وسد النقص الذي نحن في حاجة اليه

يقع الكتاب في اربعة ابواب في حياة موسى بن ميمون في مؤلفاته الدينية والفلسفية والطبية وقد أفاض في الباب الاول عن نشأته واوطانه وسيرة حياته واثبت انهُ لم يرتد عن عقيدته يوماً ما وذكر في الباب الثاني كتبه الدينية في حسبان المهمات وشرح المشنة ورسالة تمهيدية لدرس الفلسفة والمنطق ثم كتاب الفرائض بالعربية ثم « السراج وتثنية التوراة » المعروف باليد القوية تبحث في التشريع ثم اجابات موسى ووصية موسى وغيرها ثم لخص في الباب الثالث بحثاً فلسفياً في كتابه الشهير « دلالة الحائرين » الذي كان له شأن هام ورواج رواجاً عظيماً في تلك العصور وهو أشهر من نار على علم ثم استطرد كلامه في الرابع في فلسفة الطب ومصنفاته في الطب بالعربية مثل شرح فصول ابقراط ومنها « فصول موسى » في الطب وقد قمت بترجمته الى الانكليزية بايعاز لرغبة الجمعية الملوكية في نيويورك ثم رسائل في السموم والبواسير وتدبير الصحة وغيرها

ومن طالع هذا الكتاب النفيس بلغته الفصيحة واسلوبه الرائع الآخذ وما ورد فيه من النصوص والادلة يتحقق من المجهود العظيم الذي بذله المؤلف في استقصاء بحوثه وجمعها من مصنفات ومراجع متعددة ولعل خير دليل على ذلك ذكرها جميعاً باسهاب مما يثبت المامه التام بالفلسفة الاسلامية وسعة اطلاعه في السريانية والالمانية والانكليزية والعبرانية وذكاءً ونشاطاً وهمة توجب الاعجاب

الدكتور هلال فارحي

## تراث الاسلام

لجنة الجامعيين لنشر العلم – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

أخرجت مطبعة اكسفورد من نحو خمس سنوات كتاباً نفيساً النفاسة كلها في «تراث الاسلام» تولى الاشراف على طبعه العلامتان السر توماس ارنولد رحمهُ الله والاستاذ الفرد غِيّوم، وعهد في كتابة فصولهِ الى طائفة من اكبر المتوفرين على الدراسات الاسلامية في نواحيها المختلفة فكتب جب في الادب ونيكولسن في التصوف وغيّوم في الفلسفة والفقه وماكس مايرهوف في العلم والطب وكارا ده فو في الفلك والرياضة وارنولد في الفن الاسلامي، وأثره في التصوير في اوربا وكرامرز في الجغرافية والتجارة وغيرهم في غيرها

وقد اقتبسنا هذا الكتاب منذ صدر باللغة الانكليزية، وتوفرنا عليه في غير بحث واحد. وكان من بواعث حيرتنا احجام كتابنا ومترجمينا عن نقلهِ الى العربية لا لان ما فيه جديد، ولكن لانهُ يدلّ على ما لمآثر الحضارة الاسلامية من المكانة في نفوس الذين توغلوا في دراستها في الغرب ولانهُ يجمع في فصول منظمة زبدة ما عرف عن تلك المآثر

من أول صفحة فيهِ الى آخر صفحة، اسماء اعلام في الطبقة الاولى بين اقطاب الفكر والفن في العالم واذا اقتصرت على العلوم دون غيرها – وهي ارث شائع للانام، طالعتك اسماء باهرة مثل الخوارزمي والبتاني والبيروني والكندي والرازي وابن الهيثم والزهراوي وابن البيطار والغافقي الى كوكبة كهذه الكوكبة من الرجال، مما تباهي بهِ كل امة في كل عصر. اما في الفن والادب والفلسفة والفقه والتجارة والجغرافية، فآثار الحضارة الاسلامية ماثلة امامنا في الخشب والرخام والنحاس والمساجد والقصور والشعر والمصطلحات الشائعة والاعلام الأعجمية المشهورة

لذلك تلقينا نبأ العزم على نقل هذا الكتاب الى اللغة العربية فرحين مستبشرين وكان لا بدّ في الاقدام عليهِ من صدور همة عامرة ثابتة والعزم لان ترجمة هذه الفصول من ادق ما يعرض لهُ الناقل من اللغات الاعجمية الى العربية ولا سيما حيث يعرض المؤلفون لشرح المعاني الدقيقة في الادب والفلسفة لذلك كانت لجنة الجامعيين لنشر العلم من خيرة الجماعات التي تتولى هذا العمل

وقد صدر حتى الآن جزآن من الترجمة العربية، يحتوي اولهما على المقدمة واربعة فصول تتناول اسبانيا والبرتغال والحروب الصليبية والادب والفلسفة والالهيات ويحتوي ثانيهما على ثلاثة فصول في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة وقد تولى نقلهُ الدكتور زكي محمد حسن امين دار الآثار العربية والجزآن مطبوعان طبعاً متقناً في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

*بحوث دستورية*

١ — الأنظمة الدستورية والادارية والقضائية المقارنة تأليف الدكتور عبد السلام ذهني بك والدكتور وايت ابراهيم مطبعة الاعتماد

٢ — تطورات تاريخية دستورية تأليف حسن صادق مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

الدكتور عبد السلام ذهني بك المستشار والدكتور وايت ابرهيم الأستاذ بكلية الحقوق، أشهر من أن نعرّفا فهما في كل ما يتعلّق بالشؤون القانونية من المراجع التي يعتمد عليها في مصر وقد صحّت نيتهما على اصدار مجموعة من الرسائل في الأنظمة الدستورية والادارية والقضائية المقارنة وهذه رسالتهما الأولى وعنوانها « التطوّرات الدستورية العالمية »

ان نظرة واحدة نلقيها على خريطة اوربا كما كانت قبل الحرب وكما هي الآن تبين لنا مدى التحوّل الدستوري في ارجائها فامبراطورية النمسا والمجر، قامت على انقاضها جمهورية جديدة هي تشكوسلوفاكيا اما النمسا فجمهورية اسماً ولكنها شبيهة بالدكتاتورية فعلاً واما المجر فلا تزال مملكة بلا ملك، ودستورية لا يحترم دستورها كلّ الاحترام

والامبراطورية الالمانية انشئت جمهورية تعرف بجمهورية فيمار ثم تحوّلت الى دولة تغلب عليها مبدأ الزعامة وهي دكتاتورية يمكن ان توضع وايطاليا في الفريق المعروف بدكتاتوريات اليمين، حالة ان روسيا توضع في فريق دكتاتوريات اليسار

اما بولونيا التي انشئت بضم ما فرّق منها على المانيا وروسيا والنمسا فلا فقد انشئت جمهورية، تسيطر عليها فعلاً المارشال بلسودسكي بيد الدكتاتور، وقد خلفهُ الآن الى حدّ ما المارشال سمجلي ردز

من النادر ان تجد في اوربا بلاداً لم يمسّها هذا التحول في اساليب الحكم ونظمه فاسبانيا الملكية تحولت جمهورية في ١٩٣١ وتداولتها ايدي احزاب اليسار المعتدلة ثم احزاب الوسط واليمين فأحزاب الجبهة الشعبية الى ان نشبت الحرب الاهلية واليونان تقلبت من ملكية الى جمهورية الى دكتاتورية الى ملكية مراراً لا يمكن التثبت منها الاّ بالرجوع الى المؤلفات الخاصة بذلك والامبراطورية البريطانية اصبحت بقانون وستمنستر جامعة امم، فمقام المملكة المتحدة فيها في ظل التاج لا يختلف عن مقام كندا او استراليا او جنوب افريقية

هذا من حيث نظام الحكم ، اما من حيث قواعد الحكم الدستوري كتمثيل النساء ، والتمثيل النسبي ، والانتخاب المباشر وغير المباشر والاستفتاء ، وحق حل البرلمان وعلاقة السلطات المختلفة بعضها ببعض وغيرها من الاصول الدستورية ، وقد تبدل بعضها التحول قليلا او كثيرا بعد الحرب وقد عني المؤلفان الفاضلان بتفصيل هذه الشؤون بفصل بفصل مقابلا فأسديا بذلك مأثرة جديدة الى مآثرهما السابقة في ثقافتنا السياسية

أما كتاب « تطورات تاريخية دستورية » فيشتمل على بحث في دساتير المانيا والنمسا وتشكوسلوفاكيا والبحث في دستور المانيا يستغرق نحو نصف الكتاب ففي أوله ملخص جيد للدستور الالماني الذي طبق ابتداءً الى ثورة ١٩١٨ ويليه بحث في الحوادث التي سبقت دستور جمهورية فيمار الجديد ثم بحث في خصائص هذا الدستور وقواعده وحبذا الحال لو أضاف المؤلف فصلا ولو موجزاً عن خصائص نظام الحكم القائم في المانيا الآن حتى يتسنى للقارئ فهم التحول من جمهورية فيمار الى الريخ الثالث

وما يقال عن المانيا يقال عن النمسا ، فبحث المؤلف واف في قواعد دستور جمهورية النمسا ولكن منذ وضع هذا الدستور على الرف وأخذ دلفوس بمثابة الحاكم بأمره ، وتنكيل بالاشتراكيين — مع ان «من تصفح الدستور النمسوي يشعر خلاله بالأثر الاشتراكي لان الاشتراكيين في النمسا كما في غيرها من البلدان كانوا يميلون الى اضعاف السلطة التنفيذية ووضع السلطان في يد مجلس نيابي يمثل ارادة الشعب تمام التمثيل » - واقام الدولة على اساس نيابي اوفاشستي ثم بعد مصرعه حذا خلفه الدكتور شوشنج حذوهُ

اما دستور تشكوسلوفاكيا فيختلف عن دستور جمهورية المانيا وجمهورية النمسا ، في انهُ لا يزال نافذاً وفي احاطةُ رآه بما ادركه المراقب من الانا بد العالم وتشكوسلوفاكيا لا تزال جمهورية ديمقراطية على الرغم من وقوعها عند ملتقى التيارات الاوربية المتناقضة وامل الاحرار ان تبقى راية علم الديمقراطية في اوربا الوسطى والشرقية

*

ولا شك عندنا في ان الحياة الدستورية القائمة تقتضي من جميع المشتغلين بالشؤون العامة عندنا الاطلاع على خصائص النظم الدستورية والنيابية في البلدان الحديثة وفي هذين الكتابين مرشد لمن يبغي الاطلاع وتمهيد لمن يريد التوسُّع والتوفر

# فهرس الجزء الثاني من المجلد التسعين

# مطبوعات جامعة بيروت الاميركية

## دائرة الابحاث الاجتماعية

---

《مراجع ما نشر بعد الحرب العظمى عن بلدان الاسلام في الشرق الادنى》 لغاية ٣١ دسمبر سنة ١٩٢٩ ثمانية اجزاء اثنان منها تتضمنان بيان ما نشر في الكتب والنشرات الدورية باللغة العربية والستة الباقية تتضمن ما نشر في اللغات الاجنبية

ثمن كلٍّ من الجزءين العربيين مجلداً بورق ٤ ع م مجلداً بقماش ٥٥ ع م

《النظام النقدي والصرافي في سوريا》 للاستاذ سعيد حماده استاذ الاقتصاد العملي في الجامعة يصف جهاز النظام النقدي والصرافي ويكشف سيره مع بيان حسناته وسيئاته في القيام بوظائفه الاقتصادية في البلاد واقتراح اصلاح عامّ على ضوء النظريات الاقتصادية الحديثة والحوادث الواقعة

صدر بالانكليزية والعربية ثمن كل من الطبعتين بورق ٤ع م بقماش ٥٥ع م

《النظام الاقتصادي في سوريا》 يبحث بحثاً عاماً شاملاً في الاركان التي يقوم عليها كيان سوريا الاقتصادي بما فيه سكان البلاد ومواردها الطبيعية وزراعتها وصناعتها وتجارتها وانظمتها المالية اشترك في تأليفه عدد من اساتذة الجامعة مع محرّره الاستاذ سعيد حمادة استاذ الاقتصاد العملي

صدر بالانكليزية في فبراير ثمنهُ مجلداً بورق ٦ ع م بقماش ٧٥ ع م
وستصدر قريباً طبعة عربية منهُ

《مؤهلات الاستقلال》 للاستاذ ولبر هومر رتشر استاذ العلوم السياسية في الجامعة يتضمن بحثاً دقيقاً في مؤهلات الشعوب للحكم الذاتي

صدر بالانكليزية وثمنهُ مجلداً بورق ٤ ع م بقماش ٥٥ ع م
وستصدر قريباً طبعة عربية منهُ

تطلب هذه الكتب من الجامعة الاميركية بيروت لبنان او من

Oxford University Press

# قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنيت بنشرها « ادارة المطبعة العصرية » بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

| ص | |
|---|---|
| ٣٥ | القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة [illegible]) |
| ٧ | « « « (طبعة [illegible]) |
| ٧ | « عربي انكليزي (طبعة [illegible]) |
| ٣٥ | « المدرسي عربي انكليزي [illegible] |
| ٣٠ | [illegible]موس الجيب عربي انكليزي [illegible] |
| [illegible] | « عربي انكليزي [illegible] |
| [illegible] | « انكليزي عربي [illegible] |
| ١٥ | [illegible] |
| ٢٠ | [illegible] |
| ٥ | « « « « [illegible] |
| ١ | [illegible] |
| ١٠ | [illegible] |
| ١ | [illegible] (لاديب [illegible]) |
| ١٥ | في [illegible] (الدكتور [illegible]) |
| ١ | [illegible] في السودان « « « |
| ١٢ | [illegible] في الادب [illegible] للاستاذ عباس العقاد |
| ١٥ | روح [illegible] (للاستاذ محمد عادل [illegible]) |
| ١٥ | روح [illegible] « « |
| ١٠ | الآراء والمعتقدا[illegible] « « |
| ١ | [illegible] « « |
| ٨ | [illegible] |
| ١٥ | حضارة [illegible] |
| ١ | [illegible] |
| ١٥ | [illegible] |
| ٨ | [illegible] |
| ١٠ | [illegible] « « « |
| ٨ | [illegible] « « |
| ١٢ | [illegible] |
| ١٥ | [illegible] (للاستاذ [illegible]) |
| ١ | [illegible] |
| ١٠ | [illegible] |
| ٥ | المرأة بين الماضي والحا[illegible] |
| ٥ | مركز المرأة في [illegible] |
| ١٥ | [illegible] |
| ١٠ | [illegible] « « « ) |
| ٨ | [illegible] |
| ١ | [illegible] |
| ١٠ | [illegible] في الادب [illegible] |
| ٥ | [illegible] الاطفال ٤ اول ( صور [illegible] |
| ٥ | [illegible] « « « ) |
| ٥ | [illegible] « « « |
| ٥ | [illegible] |
| ٢٥ | [illegible] افلاطون (للاستاذ [illegible]) |
| ٦ | مراقي النجاح ( الارشميدر [illegible] ) |
| ٥ | مريم المجدلية ( موريس ميترلنك ) |

| ص | |
|---|---|
| ١ | [illegible] (للاستاذ علي فكري) |
| ٥ | [illegible] ( [illegible] الحلل ) |
| ٥ | العلم والصحة للدكتور محمد [illegible] الحمد |
| ١٥ | [illegible] والارواح ( الاستاذ [illegible] ) |
| ١٥ | [illegible] « « « |
| ٥ | علم الاجتماع ( [illegible] ) « |
| ١٥ | [illegible] « « |
| ٣٠ | الامراض [illegible] وعلاجها للدكتور [illegible] |
| ٣ | [illegible] « « |
| ٣ | الضعف [illegible] والا[illegible] « |
| ١٥ | [illegible] |
| ١ | [illegible] « « « « |
| ٥ | [illegible] |
| ١٠ | [illegible] |
| ١٠ | [illegible] |
| ١٢ | [illegible] احوال [illegible] ٤ مصور |
| ١٠ | [illegible] المهدي ٤ او [illegible] السودان « |
| ٨ | الا[illegible] ( [illegible] ) « |
| ٥ | [illegible] ( للاستاذ احمد [illegible] ) « |
| ١٢ | [illegible] ٤ مصوره ( [illegible] ) « |
| ١٢ | [illegible] او [illegible] « |
| ٧٥ | [illegible] « |
| ٢٥ | [illegible] « « |
| ٢ | [illegible] « « |
| ٢ | [illegible] « « |
| ٢ | [illegible] « « |
| ٢٠ | [illegible] « « |
| ١٦ | [illegible] « « |
| ١٦ | [illegible] « « |
| ١٦ | [illegible] « « |
| ١٦ | [illegible] « « |
| ١٢ | [illegible] « « |
| ١ | [illegible] « « |
| ١٠ | [illegible] « « |
| ٨ | [illegible] « « |
| ٥ | [illegible] « « |
| ٥ | [illegible] الا[illegible] « « |
| ٥ | [illegible] « « |
| ١٦ | [illegible] « ( [illegible] ) |
| ١ | [illegible] الاول « « « |
| ١ | [illegible] « « « |
| ٨ | [illegible] « « « |
| ٨ | [illegible] « « « |
| ١٢ | [illegible] الانسان ( [illegible] ) |
| ٥ | النبي ( « « « ) |
| ٥ | آلهة الارض ( « « « ) |



لوحة [illegible]

هي صورة معروفة على جدار قصر عالي قابو في مدينة اصفهان



الصياد

صورة منقوشة [illegible]

[illegible]

المحظوة
وهي صورة منقوشة على جدار
في «قصر عالي قابو» في اصفهان





أنت وأنا

إحدى طائفة من الصور منقوشة على ركائز جسر
باسم جسر «الله وردي خان» ويبين اقواسه
كان باني هذا الجسر احد قواد الشاه عباس

# المقتطف

الجزء الثالث من المجلد التسعين

١ مارس سنة ١٩٣٧ — ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٥٥

على ذكر فتوى

## تحديد النسل

### وآثاره الصحية والاجتماعية والدولية

---

أصدر حضرة صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية في يوم ٢٩ يناير سنة ١٩٣٧ فتوى في هذا الموضوع لخصتها جريدة « المصري » في عددها الصادر في ٢ فبراير في ما يلي —

« من أرباب العائلات الكبيرة بين المسلمين وغير المسلمين أفراد كثيرون يشعرون بوطأة الازمة الاقتصادية ويخشون المستقبل وتبعات الأبناء من طعام وشراب وتعليم وقد دفعهم هذا الشعور الى التفكير الطويل في الحذر والحيطة ومن الأمور الجوهرية التي فكّر فيها هؤلاء مسألة تحديد النسل فمن كان عنده ثلاثة من الأولاد مثلاً يلاقي الويل لكي يجعل منهم شباناً صالحين في بناء الوطن ولكن أغلبية هؤلاء جميعاً يعرفون ان لهم ديناً قيماً يريدون التوفيق بين نصوصه وتعاليمه وبين هذه المبادىء القاسية

« والى الآن لم يخط أحد من رجال الاسلام في السنين الأخيرة خطوة تشفي غليل هؤلاء جميعاً وتحدد الموضوع تحديداً واضحاً للأهالي والأطباء وقد اتصل بنا ان حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية أصدر في يوم ٢٩ يناير الماضي فتوى خطيرة في هذا الموضوع يهم منها

« أولاً — يجوز لكل من الزوجين أن يتخذ من الوسائل ما يحول دون [illegible]

« ثانياً — يجوز لكل من الزوجين قبل نفخ الروح في الجنين ، وهذا يحتاج الى عدَّة أسابيع كما قرر الأطباء أن يتخذ من وسائل الادوية ( من غير اضرار بصحة الزوجة طبعاً ) ما يمنع الحمل عند وجود عذر مقبول كما مثل لهُ وهذا على رأي بعض الفقهاء

« ثالثاً — باجماع الفقهاء لا يجوز عمل او تصرف من شأنهِ اسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيهِ

***

ونحن لا نعرض للموضوع من حيث علاقتهُ بدين من الاديان السموية لان المقتطف مجلّة غير دينية، ولا من حيث تطبيقهُ في هذه البلاد او غيرها من البلدان ، لان مشكلة السكان والحث على زيادتهم كما في المانيا وايطاليا او ترك حبلهم على الغارب كما في فرنسا وانكلترا وغيرهما، من الخطط التي تقرّرها بعض الحكومات متى رأت الحاجة ملحئها الى ذلك ولكن للموضوع نواحيهُ الصحة والاجتماعية والدولية ، وهي النواحي التي نبغي ان نعالجها بايجاز في هذا المقال ، وليس لنا فيهِ الاّ جمع شتات الموضوع من مختلف الكتب والمجلات ، جمعاً حاولنا ان نحفظ فيهِ التوازن بين اصحاب الآراء المختلفة والمذاهب المتناقضة

ان الحركات الاجتماعية الخطيرة في تاريخ ارتقاء العمران نبعث في الغالب عن دافع نفسي يملك مشاعر الانسان فيأخذ على العقل سبيل التفكير المجرَّد وهي اماَ حركات يولدها ويبعثها في سبيل النهضة حمية دينية كالصهيونية او شعور بحق مهضوم كالثورة الفرنسية اوتصوّرٌ رفيع للمثل الأعلى بثَّ في جوانب النفس يدفعها في سبيل تحقيقهِ غير ملتفتة الى ما ينالها من أذى واضطهاد كالاشتراكية وما اليها على ان حركة تحديد النسل تختلف عن هذه الحركات الاجتماعية في انها نبع من معرفة علمية بوجود مخاطر صحية وسياسية واقتصادية تنجم عن كثرة النسل وتواليهِ تحت احسانها ، مع انها في دورها الأخير تحوَّلت تحوُّلاً كبيراً لما نالهُ اصحابها من مقاومة واضطهاد وسجن وغرامة ولكن اساسها العلمي يجب ان لا نغفل حين نبسط مبادئها والالمام بسير انقطاعها

وفكرة تحديد النسل ، تردُّ كفكرة اجتماعية الى مفكري اليونان الأقدمين بل والى ما قبل اليونان اذ من المعروف ان القبائل التي لا تزال الى عصرنا الحاضر تعيش على البداوة تميل احياناً الى تحديد النسل بوسائل وأساليب فظة همجية اشهرها قتل الجنين او الطفل الوليد وقد ذكر برمي سمث في مقال لهُ عن سكان جزيرة هورن في غرب المحيط الهادىء نشر في جورنال الجمعية البولينيزية انهُ ليس من بواعث حبل المرأة هناك ان تقتل ولدها وان هناك غير امرأة واحدة قتلت من ولدها ستة ومن وسائلهم سحق الجنين بضغط جسم المرأة حيث الرحم بحجارة ثقيلة وقد أشار الاستاذ كار صوندرز في مؤلفه « مشكلة السكان » الى ان قبائل بدائية مختلفة تعلم كيف تمنع الحمل وان ولدها قليل ، ولكنهُ لم يبسط الكلام في هذه

الوسائل والكتب التي تعالج هذا الموضوع وتفصل القواعد المتبعة في العائلات المحترمة كثيرة اما في عهد اليونان فقد ذكر فلوطرخس مؤرخ العظماء الأقدمين ان ليكرغس مشرع سبارطة وصى بقتل جميع الأطفال الضعاف البنية رغبة منهُ في تنشئة شعب قويّ وأدرك افلاطون وارسطوطاليس الخطر الناجم عن كثرة الولد ، وخصوصاً من كان منهم في الأسرة الضعيفة فاقترحا اساليب متطرفة مختلفة لاجتنابه ولكن طائف النسيان طاف بهذه الفكرة في القرون الوسطى كما طاف بأكثر الآراء التي ابتدعتها عقول اليونان ومحللاتهم حتى بعد نهضة العلم والفن في العصور الحديثة ظلّت «كثرة النسل» شعاراً لأمم اوربا لان المفكرين حينئذٍ كانوا يرون عظمة كل امة وتفوقها مرتبطين اوثق ارتباط بعدد سكانها ، ولم يشذّ منهم الاَّ اللورد باكون الفيلسوف الانكليزي الذي اشار اشارات متفرقة في مؤلفاته الى خطر النسل الكثير في اضعاف الشعب وافقاره وظلّ القول بأن قوة الأمة الحربية وتفوقها القومي مرتبطين بكثرة سكانها حتى القرن التاسع عشر ، لما قام مونتسكيو في فرنسا وبنيامين فرنكلن في اميركا وغيرهما في بلدان اخرى محاولين ان يبعثوا آراء افلاطون وأرسطوطاليس من مدفنها مبينين ان في سرعة ازدياد النسل في أية أمة خطراً على رفاهيتها

ذلك انهُ اذا زاد عدد السكان في بلد من البلدان زاد عمرانهُ ولكن الى حد ما لان كثرة الناس في البلاد تؤدي الى اتساع نطاق العمل والعمالة باستنباط ثروة الارض ورفع مستوى المعيشة لذلك تعنى الحكومات التي تحكم بلاداً مترامية الاطراف قليلة السكان بدعوة الناس الى الهجرة اليها وترغيبهم في ذلك ولكن لا بدَّ لازدحام السكان ان يبلغ حدًّا تصبح الزيادة بعده خطراً على البلاد لانها تخفض مستوى المعيشة بدلاً من ان ترفعهُ وتكثر طلاب العمل حتى يزيدوا على ما يسعهُ العامل والتاجر فتزيد بينهم مبادئ الشيوعيين والفوضويين ويكون المربع خصباً او يتجهون الى التوسع والبسط بالقوة فتكون الحروب واهوالها وقد يتعذر تعيين هذا الحدّ الفاصل بين الحالين لانهُ يختلف باختلاف البلدان وما بلغهُ من الرقي الصناعي والتجاري والزراعي فبلاد في عرف الكنديين تحسب غاصة بالسكان تحسبها الصينيون قفاراً لان هؤلاء تعودوا ان يروا ٤ نفس او اكثر مزدحمين في بقعة من الارض مساحتها ميل مربع او اقل

وعلى الرغم من ذلك اجمع علماء الاجتماع والاقتصاد على وجود هذا الحد في احوال معينة فيبلغ عدد السكان عنده مبلغاً يمكنهم من التمتع بأرقى وسائل العمران وأعلى مستوى اقتصادي في معاشهم وهذا العدد يتغير في كل بلاد بتقدم الحضارة فيها فلو ان سكان الولايات المتحدة الاميركية كانوا منذ مائة سنة ١٣ مليوناً كما هم الآن — لما كان ملاك الثروة والرخاء موفوراً فوفورهم كما هو موفور الآن وما يسمع عنهُ من كثرة العمال المعطلين عن العمل بينهم يرتدّ الى سوء توزيع الثروة لا الى

شدّة ازدحام البلاد بابنائها وبلجيكا التي تكاد تغص بسكانها اكثر رخاء من بلاد فارس مع ان ٦٥٩ نفساً من سكان الاولى يقطنون في ما مساحتهُ ميل مربع واحد من الارض يقابلهم ١٦ في الثانية

فاذا كانت البلدان المزدحمة بالسكان غير منظمة انتظاماً اقتصاديًّا دقيقاً وعرضة في كل آن لانقلابات سياسية خطيرة لم تشعر الشعب شعوراً عامًّا بازدحامهِ ووجوب توسعهِ لانهُ لا يجد متسعاً كافياً من الوقت للانصراف الى العمل وادراك ان نطاق العمل في بلادهِ لايتسع لجميع افرا الامة لكثرتهم فاذا انتظمت هذه البلدان وامتدّ فوق ربوعها رواق السلام والطمأنينة أدرك أفراد الشعب ان الارض لا تتسع لهم ليجنوا من عملهم فيها ما يؤهلهم لمكانة بين الشعوب كمكانة جيرانهم فيفطروا بفطرة الطمع الى البلدان التي يمكن ان تكون منفذاً لهم

فايطاليا مثلاً لما وجدت نفسها تكاد تنفجر من كثرة السكان بالقياس الى موارد العيش فيها طلبت أرضاً تجعلها منفذاً للملايين من أبنائها وقد قال السنيور موسوليني في ذلك «يجب على ايطاليا ان تتوسع والاَّ انفجرت» ولعل هذه الفكرة هي أقوى العوامل التي كيفت سياسة ايطاليا الخارجية في السنوات الاخيرة وما يصدق على ايطاليا من هذا القبيل يصدق على المانيا واليابان

وقد كتب أحد الفلاسفة الاجتماعيين المحدثين كتاباً قال فيهِ ان الاتجاه من البلدان المزدحمة بالسكان الى البلدان قليلة السكان وما ينشأ عن ذلك من التصادم اكبر باعث على الحرب

ولكن القول بتحديد النسل في العصور السابقة ظلَّ يتراوح بين الموت والحياة حتى جاء الاب «ملثوس» في آخر القرن الثامن عشر (١٧٩٨) مدّعياً ان السكان يزدادون زيادة هندسية وأما المواد الغذائية فلا تزداد الاَّ زيادة حسابية ولذلك لا بدّ ان يجيء يوم يبلغ فيهِ سكان الأرض عدداً لا تكفي مواردها لغذائهِ وأودع رأيهُ هذا كتابهُ الذي موضوعهُ «رسالة في مبادىء السكان» ولما كان نشرهذا الكتاب موافقاً لذيوع المبادىء التي قامت عليها الثورة الفرنسية عني بهِ المفكرون والكتَّاب فراج في فرنسا وأخذ بمبادئهِ اشرافها وعامتها، وذلك لأن وسائل تحديدهِ كانت قد استنبطت فيها لمنع الحمل وداعت بين طبقة الأشراف، ولان عامة الأمة الفرنسية اقتنعت بوجوب الاكتفاء بالاسرة الصغيرة منعاً لتقسيم الارض التي يملكها الأب على أبنائهِ، وهذا تعليل ناقص، فقد سقط المواليد في فرنسا من ذلك الحين على ان وسائل منع الحمل لم تكن معروفة خارج فرنسا ولذلك أشار الاب ملثوس «بالامتناع عن الزواج» أو «بتأخير الزواج» لمنع ازدياد النسل ازدياداً سريعاً وجاء بعدهُ فريق المعنيين الذين جعلوا شعارهم «الخير الاكبر للعدد الاكبر» فدعوا الى تحديد النسل ومع ان مذهب ملثوس في ازدياد النسل وازدياد الغذاء قد قلب رأساً على عقب بعد الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، ظلت النتائج التي وصل اليها عن الخطر الاجتماعي الناجم عن كثرة النسل سليمة على قدمها وتغلب الاحوال عليها

ولا يخفى ان آراءنا في الفضائل الاجتماعية تتغير بتغير العصور فالمرأة التي كانت في فجر التاريخ، تحرص على قتل ولدها ، في قبيلة جرت على ذلك، كانت امرأة ذات فضيلة في عرف أقاربها وجيرانها كذلك كانت كل امرأة اسبرطية تحاول ان تعفي ابنها الضعيف من الشدائد التي كان تعرض لها لاثبات قوته وحقه في الحياة كاسبرطي" فالفضيلة كانت ، عمل ما يصدر عنهُ الخير للمجتمع ، ولم يكن من خير سكان جزيرة ، او ابناء قبيلة رحالة ان يكثر نسلهم ، كما انهُ لم يكن من خير إسبارطه ان يكون بين أبنائها ضعاف او هذا كان رأي أقطابها حينئذٍ

ولما ارتقى العمران حل محل قتل الاطفال وسائل مختلفة للاجهاض كان لها مكانها في الفضيلة الاجتماعية في تلك العصور فلما ذاعت تعاليم المسيحية التي تقول بأن كل نفس قابلة للخلاص صار من الاجرام قتل النفس ، ولذلك أصبح الاجهاض كقتل الأطفال جريمة لا تغتفر أما دعاة تحديد النسل فيعترفون بوجوب الامتناع عن قتل الاطفال او اجهاض الأمهات ، لان الاول في عرفهم اجرامٌ صريح والثاني علاوة على ما فيهِ من اجرام يعرض الأم للالم المبرح وخطر الموت ولذلك ينادون بوجوب منع الحمل بطرائق ثبت خلوها من اي اعتراض طبي او صحي او اجتماعي عليها أما البراهين التي يوردونها لتأييد دعوتهم فكثيرة نلخص منها ما يلي

يرى بعض الثقات في موضوع الولادة وأمراض النساء وجوب انقضاء سنتين الى ثلاث سنوات بين ولادة وأخرى حتى لا تتعرض صحة الأم للخطر والك ما تقولهُ سيدة حالتها تمثل ألوف الحالات « لا أزال في الثامنة والعشرين من عمري ولكني أم خمسة أولاد فقد ولدت ولداً كل سنة من حين زواجي الى الآن لن أستريحَ قط وأشعر ان صحتي آخذة في الانحطاط يوماً بعد يوم » وكتبت أخرى « أنا اليوم أم ستة أولاد وقد أجهضت مرتين عمر ابني الكبير اثنا عشرة سنة ولكنهُ مصاب بعاهة منذ ولادتهِ اما أولادي الخمسة الباقون فضعاف صفر الوجوه وعليَّ ان آخذهم للطبيب كثيراً واحدى ابنتيَّ عوراء لقد حاولت ان أبتعد عن زوجي قدر المستطاع منذ ولادة ابني الأصغر ولكن ذلك يؤدي الى ما لا تحمد عقباهُ في سلام البيت وهناءتهِ » وهذان المثالان نقلناهما عن مجلة هاربرز الامريكية وقد أثبت الدكتور ادلفوس نُبف من أطباء مدينة نيويورك ان آخر المواليد في الأسر الكبيرة يكونون أضعف المواليد فيه وأكثرهم تعرضاً للاصابة بالسل وعندهُ ان الام تكون قد أجهدت صحتها في الولادات الأولى فيورث ولدها الأخير — أو أولادها — ارثاً فسيولوجياً ضعيفاً لا يمكنهم من مقاومة الآفات الصحيه

أضف الى ذلك ان ازدياد الاولاد يقلل نصيب كلٍّ منهم من دخل رب الاسرة فتضطر الأسرة ان تسكن في احياء قذرة مزدحمة لا تدخل الشمس بيوتها وان تكتفي بالطعام الرخيص وبالكساء الذي لا يقي البرد ومن رأي الرئيس هوفر ان كل طفل أميركي لهُ الحق في ان يلقى من والديهِ

حسيًا سليماً وعقلاً سليماً وان يولد في وسط صحي سوافر فيه أسباب العناية » ويضيف الى ذلك احد رجال الكنيسة في اميركا « ان الاسرة الكبيرة في الطبقات الفقيرة ليست من ارادة الله ولكنها من حرق الاجماع » ويقول الحاخام سيمس وير اكبر رجال الدين اليهودي في اميركا « ان الموقف الديني ازاء الحياة لايقضي باكثار النسل اذا لم يكن في وسع الوالدين ان يعطوا كل ولد من العناية الصحية والتهذيبية مايجعل للحياة قيمة في عينيه »

اذاً تحديد النسل يفيد الامّ ، لانهُ يمكنها من ان تحفظ صحتها ونضارتها ، وهذا يمكنها من العناية بشؤون دارها وزوجها وأولادها والقيام على تربيتهم وتهذيبهم بما يقتضيه ذلك من العناية الدقيقة المستمرة والنصب الدائم وهو كذلك يفيد الاولاد ، صحيًّا واجتماعيًّا ، اما صحيًّا فلأنَّ الطفل الذي يولد من امّ قوية ليس كالطفل الذي تلدهُ ام أنهكتها آلام الحمل والطلق والولادة واما اجتماعيًّا فبتوافر وسائل الغذاء والاكساء والتعليم والتهذيب

وهو كذلك يفيد الاجتماع اذ يستطيع المصاب بمرض وراثي ان يكون مقبولاً في نطاق الزواج الشرعي من غير ان يكون سبباً في ولادة اولاد مشوهين او مصابين بامراض ، يقولون وقال المعري

هذا جناهُ ابي عليّ وما جنيت على احد

وهو يفيد الاجتماع من ناحية اخرى هي الناحية السياسية فيساعد على منع الحروب لان الامم الكثيرة الولد التي تطلب التوسع تجد لسكانها ميداناً يعملون فيه ويرتزقون منهُ وهذا التوسع يؤدي في الغالب الى اصطدام المصالح الدولية ويفضي الى الحرب او يهدد بوقوعها وقد قال الواعظ الاميركي الشهير الدكتور فردك « لا تستطيع ان تمنع نشوب الحرب ودوام حالي الآن اذ سمحت لسكان الارض ان يضاعفوا كل ستين سنة »

اما نقاد هذه الحركة فيرون رأي اصحابها في الشرور الصحية الكثيرة التي تنجم عن كثرة الولادة ، ولكنهم يرون « ضبط النفس » لا « تحديد النسل » خير سبيل لمعالجة الحال على ان هذا ، في رأي الفريق الاول متعذر ، حتى ولو اتفق الزوجان على تحقيقه لان العلم لم يكشف حتى الآن عن وقت معين لا يحدث فيه الحمل الاَّ في اثناءِ الجماع فاذا شاء الزوجان ان لا يلد لهما ولد الاَّ مرة كل ثلاث سنوات أفيعقل ان يكون « ضبط النفس » حينئذٍ وسيلة لمنع هذه الشرور ؟ ويرى طبيب من مقام الدكتور وليم الن سوري رئيس الجمعية الطبية الاميركية ان محاولة تقليل عدد الاولاد « بضبط النفس » تعرض السعادة الزوجية للاصطدام على صخرة ناشزة الاعصاب

ومما يقال في نقد هذه الحركة ان وسائل تحديد النسل تؤذي الانسان وتسبب العقم ولكن الاطباء الذين بحثوا هذا الموضوع بحثاً استقرائيًّا يؤكدون ان استعمال الوسائل التي اقرَّها الاطباء لا تحدث شيئاً من الاضرار المشار اليها الاَّ ان هذا الرأي الاخير مختلف فيه بوجهٍ عام

ويعرض فريق آخر من النقاد بقولهم ان شيوع وسائلها يكون مقدمة لفساد الآداب الجنسية وانحلالها ولكن الدكتور نورمن يرى ان الحالة الحاضرة أبعث على فساد الآداب الجنسية لانهُ يعتقد ان الجهل بوسائل تحديد النسل يفضي الى كثير من الاضطرابات العائلية فيبحث الرجال عن طريقة غير مشروعة لاكفاء شهوتهم

على ان اقوى حجج المقاومين هي أن شيوع هذه التعاليم في الشبان والشابات وهذه الحجة تمنع طائفة كبيرة من المتعلمين عن تأييد هذه الحركة ان لم تقل انها تحملهم على مقاومتها فيرد انصارها عليهم بقولهم ان علماء السيكولوجيا قد أثبتوا ان النواهي لا تحمي حمى الفضيلة والآداب ويجب ان يبحث عن طريقة اخرى كالتربية الصالحة تعلّم بها الاحداث الاعتصام بالفضيلة الجنسية غير النهي والمنع أضف الى ذلك ان دعاة هذه الحركة يريدون ان يشجعوا الشبان والشابات على الزواج الباكر بازالة اكبر موانعه وهو الخوف من كثرة الاولاد التي تضعف المرأة وترهق جيب الرجل ويرون ان الزواج الباكر افضل الطرق لمحاربة هذه الشرور الاجتماعية

اما دعاة هذه الحركة فقد نالوا من المقاومة والاضطهاد مايسطر لكل حركة تناقض اغراضها ما تواضع عليه الناس قروناً متوالية واحلوه في نفوسهم وعقائدهم في المحل الاقدس واشهر هؤلاء رتشرد كارليل ( ١٨٣٠ ) وفرنسس پلاس ( ١٨٣١ ) وروبرت دامل اوِن ( ١٨٣٢ ) والدكتور نولتن وجميعهم من المؤلفين الذين عنوا بوضع كتب في الموضوع من وجوهه الفسيولوجية والاجتماعية والفلسفية وفي سنة ١٨٥٤ نشر الدكتور جورج درسديل كتاباً عنوانهُ اصول العلم الاجتماعي بسط فيه الملثوسية ( نسبة الى الاب ملثوس ) الجديدة ثم انشأ بالاشتراك مع اخيه وجمه بزانت رائدة الفلسفة الثيوصوفية عصبة لبث هذه التعاليم وفي سنة ١٨٧٦ قبض البوليس على بائع كتب لبيعه نسخاً من كتاب الدكتور نولتن المدعو ثمار الفلسفة فأعاد الدكتور برادلو ومسز بزانت نشر الكتاب وبعدما للمحاكمة سنة ١٨٧٧ حكم المحلفون عليهم على الرغم من ميل القاضي للاحد بأدلتهم فكانت هذه الحادثة وسيلة لاذاعة التعاليم الملثوسية الجديدة ومن ثم احدث « العصبة الملثوسية الجديدة » بقوى وبعدٌ آثار دعوتها الى انحاء الكرة الارضية وأنشئت لذلك جريدتان في انكلترا واسست فروع للعصبة في مختلف البلدان وقد عقد اتحاد هذه الفروع مؤتمرات دولية اولها في باريس سنة ١٩ م في لياج سنة ١٩٠٥ ثم في الهاي سنة ١٩١ م في درسدن سنة ١٩١١ ثم في لندن سنة ١٩٢٢ ثم في نيويورك سنة ١٩٢٥ اما تاريخ هذه الحركة في اميركا فيختلف قليلاً عن تاريخها في انكلترا لان الاميركيين كانوا اشد وطأة في مقاومتها وقد سنوا لذلك قانوناً يقضي على كل من يرسل رسالة بالبريد تحتوي على وصف وسائل تحديد النسل بغرامة الف جنيه وسجن خمس سنين واشهر القائمات بهذا العمل في اميركا السيدة مرغرت سانجر التي استنبطت لفظتي « تحديد النسل » لوصف اغراض الحركة سنة ١٩١٤

من الشعر الأثرى

# في جبال بافارية

مَنْ لِقلبي المُشْتاقْ
ما دَرى ما يشتاقْ
نازعَتْهُ الأهـــواءْ
وَهْوَ مسلوبُ الرّجاء

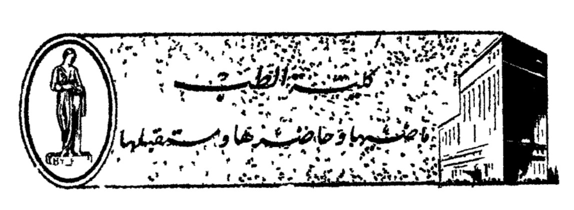
مَن لِهزّات الصّباحْ
حادثـــةُ الأرواحْ
ذكرَ العصفَ وَماءْ
تهاويلِ العـــاءْ

يا لَشـــوقٍ خفّاقْ
أعوزتْهُ الآفـــاقْ
شفَّ حُسْنَ البِطاحْ
مستبدًّا واســـتراحْ

يا حنينَ العذراءْ
صدّهُ زُورُ الحياء
فروى غُلّ العناقْ
من ضلوع تهراقْ

مَن لِقلبي المشتاق

أغسطس ١٩٣٥ — نشر فارسي




للدكتور علي ابراهيم باشا
عميد كلية الطب ووكيل الجامعة المصرية ومدير مستشفياتها

---

## ١ — الماضي

لعله لا يوجد في كثير من البلدان والجامعات معهد ككلية الطب في مصر مرّت عليه صروف الزمان ما بين رفع وخفض وتردّدت فيه لمعات مختلفات ما بين صاد وغير صاد ولا كمثله معهد صمد للحوادث فأدى للوطن والانسانية رسالة صيغت من جوهر العلم في اطار من الاخلاص بل ولا كمثله في مصر معهد توطدت بفضل الله الآن أركانه وثبت بنيانه وقد عمت به على كرّ العشي ومرّ السنين خير العالم والعاليد

### كلوت بك ومحمد علي الكبير

من مائة عام وأثني عشر عاماً هبط مصر طبيب شاب من أبناء بلدة موبيليه بفرنسا شاءت المقادير أن يجيب دعوة محمد علي جد فاروق الأكبر في أوائل سني حكمه وأن يعاصر بعد عمله في مصر تلك الآثار والعجائب التي بدت ذكراها لا تزال حية في قلوب الفرنسيين وافكارهم مما حمله نابليون وعلماؤه من أوصافها وجمالها

هذا الطبيب الشاب — أنطوان برثلمي كلوت — الذي اشتهر باسم كلوت بك يقف في التاريخ بجانب سيده — على الرغم من فصر هامتيهما — كعملاقين بين الرجال أمكنهما تغيير صفحة الطب في هذه البلاد تغييرا عظيما بعد أن بلغ الحضيض في عهد المماليك حتى كأنما لم تكن معاهدها مصر ومعاهدها المهد الذي فيه نشأ ونما وترعرع أيام طيبة وممفيس وهليوبوليس والاسكندرية والقاهرة في عهد الفراعنة والبطالسة والعرب

جاء كلوت بك مصر والكوليرا تفتك بالألوف في كل عام والطاعون قد سكن الدور من أكواخ وقصور بل وأقام في الثكنات العسكرية التي كانت تضم جنود الوالي المجيشة لأسس ملكه وتوطيد دعائم عرشه وليس في البلاد غير رهط خامل من الحلاقين الذين نرى الى اليوم

بقاياهم وغير نفر قليل من رجال الطب الاجانب وكانت مهمة قاسية تلك التي جابهت كلوت بك ان ينظم الخدمة الطبية والصحية في بلاد هذه حالتها وان يحمي الاهلين كما يحمي الفيالق من عدو غير منظور ليس لجراثيم او مدافعهم به قبل او سبيل

ولكن سرعان ما بدا لكلوت بك انهُ وان استطاع جلب جهابذة الاطباء من فرنسا وايطاليا لخدمة الوالي وابنه وحفدته فان قلة عددهم وجهلهم لغة البلاد واختلاف معتقدهم الديني عن اهلها عوامل تقف حائلاً دون الغرض الذي يسعى من تعميم وسائل التطبب والتصحح وان اولئك الاطباء من ابناء الغرب محتاجون الى مساعدين من الاطباء والصيادلة ابناء مصر بل الى ممرضات ومولدات من بناتها

وهكذا وعلى الرغم من دسائس الحاقدين واسماد اليائسين وقلة ثقة البعض في استعداد المصريين فقد تشجع سيده المصري العظيم وبعد سنتين اثنتين من حلوله الديار أنشأ في سنة ١٨٢٧ مدرسة لتعليم الطب وألحقها أول الامر بالمستشفى العسكري في أبي زعبل ومن ثمَّ نقلها بعد ذلك بعشر سنين الى مقرها الباقي الى الآن بجوار قصر العيني وهو الآخر كان في الزمان السابق خارج المدينة قصراً للولاة الاتراك ثم اداره اطباء حملة نابليون زماناً داراً لعلاج جرحاهم ومرضاهم

وقد فضل مثابرة كلوت بك واخلاصه لوطنه الثاني تمكن من احداث ما كان بعد اعجوبة في ذلك الزمان فجند الطلبة من بين الازهريين يطعمون ويكسون وينامون ويؤجرون من جيب الدولة الجديدة وترجم لهم المحاضرات من الفرنسية الى الايطالية فالعربية على لسان عنحوري المترجم السوري الوحيد في ذلك الزمان الذي كان يعرف الايطالية والشيخ محمد الهراوي الازهري الذي أخير اً هذب لغة المحاضرات والمؤلفات بل للمدرس أيضاً الى ان أدخل تعليم اللغة الفرنسية لتسهل مهمة الاساتذة

وما ان مرت خمس سنوات على انشاء مدرسة الطب حتى صار يخرج منها عدد من الاطباء يكفي المستشفيات والجيش وفي عشر سنوات بلغ عدد المتخرجين ٤٢ طالباً جازوا بجدارة الامتحانات التي كانت تعقد علانية في ذلك الزمان حتى لقد شاء كلوت ان يدل على مبلغ نجاحهم فسافر في عام ١٨٣٢ بفرقة من المتخرجين الى باريس حيث نجحوا بتفوق أدهش ممتحنيهم الذين كانوا صفوة اساتذة ذلك العصر كدجنيت ولاري طبيب نابليون الشهيرين ودوبويترن وبروشه وسواهم وظلوا بعد ذلك زماناً في باريس يزيدون من خبرتهم ومعلوماتهم وصاروا طليعة لسواهم من اطباء مصر في القرن الماضي

والى ان مضى محمد علي الى رحمة مولاه بعد ١٨ سنة من تأسيس مدرسة الطب كان قد بلغ عدد الجيل الجديد من الاطباء المصريين نيف و ١٥ وكانت قد تمت ترجمة ٥٢ مؤلفاً

طبعتها من الفرنسية الى العربية تولت اخراجها دار الطباعة في بولاق بالآلاف وانتشرت نسخها في تركيا والجزائر وتونس ومراكش وسوريا وايران وصارت تعبيراتها اساساً للمؤلفات التي يقرؤها الاطباء الآن في مدارس الطب في استانبول ودمشق وسواها

ولكنه ما ان تولى ابراهيم عرش ابيه سنة ١٨٤٨ حتى توفاه الله بعد قليل ثم تولى بعده عباس الأول حتى دخلت مدرسة الطب في عهد جديد كان عهد تململ واضطراب اذ كان عباس عدواً للاجانب ولا سيما الفرنسيين وكل من كان لهم به صلة فاعتزل كلوت بك منصبه في ابريل سنة ١٨٤٩ بعد ربع قرن انشأ خلاله غير المدرسة الطبية مدرسة للصيدلة وللمولدات كما أسس المستشفيات في انحاء القطر واوجد نواة مصلحة الصحة العمومية ومصلحة الكورنتينات وأدخل التطعيم ضد الجدري وتشريح الجثث لتعليم الطلبة وأوجد نظام الحلاقين الصحيين الذي بدأ يختفي الآن

وما ان رحل مؤسس مدرسة الطب العتيد حتى استخدم عباس الاساتذة الالمان ومن حسن الحظ انه استخدم اولهم جريزنجر سنة ١٨٥٠ وبيودور بلهارس اللذين كانا من كبار العلماء والاول منهما فضل اكتشاف دودة الانكلستوما كما ان للاخير خاصة اكتشاف الدودة التي تسبب البول الدموي الشهير بين المصريين واطلق عليها اسم (البلهارسيا)

وجاء في النهاية دور جريزنجر فسافر مكوداً سنة ١٨٥٢ وخلفه الكسندر رير الالماني ايضاً ولكن سرعان ما ضاق صدر عباس الا ان يحضر الايطاليين واستخدم رانش وزاري من فلورنسا سنة ١٨٥٤ ولكنه ما عتم ان مات في شهر ذلك العام وخلفه سعيد الذي وجد المدرسة على أثر رحيل من الفوضى فأغلقها وشرد طلابها الذين ... الجهل ...

وظلت مدرسة الطب دائماً عن الوحدة ... الطلاب العاملين الى ان أسرع ... الى مصر لا ... ويحيا بمساعدة زاري في ... تولى على اعادة او احياء في ... سنة ١٨٥٦ تحت ادارته مرة اخرى ولكن ... الحظ لم يكن ... الى ... أكثر ... البلاده

وتولى من بعده ادارة المدرسة ثلاثة من ... وطنه واحد الاطباء المصريين ... تولى اسماعيل عرش جده سنة ١٨٦٣ فجاءها مرة اخرى على شيء غير قليل من الانحطاط والتقهقر

## محمد علي البقلي والخديو اسماعيل

وهنا نرى في الحال ان محمد علي البقلي باشا الطبيب المصري الشهير تولى ادارة المدرسة سنة ٨... عشر عاماً ... كانت دره في جبين الادارة الوطنية اذ رفع من شأن المدرسة وأصلح أمورها وكان الاساتذة جميعاً من ابناء البلاد ما عدا جاستل المعروف وكانت لغة التدريس العربية

وفي زمانه ترجمت أهم المؤلفات الفرنسية الحديثة وصدرت مجلة البحوث الطبية الاسبوعية عدة سنين وأرسلت البعثات بانتظام الى الخارج وبرز الأطباء المصريون الى البحث والتحقيق العلمي وبالجملة بلغت المدرسة شأواً عظيماً الى ان شاء سوء حظها للمرة الثالثة أن تصاب بلطمة أليمة بتقاعد محمد علي البقلي سنة ١٨٧٩ أثر خصام شخصي بينهُ وبين علي باشا مبارك الشهير فتولى الادارة بعده جاليردو بك وبرغان ما حدثت الثورة العرابية بعد ثلاث سنوات

## عيسى حمدي والخديوي توفيق

وفي سنة ١٨٨٣ تولى ادارة المدرسة مصري قدير آخر هو عيسى حمدي باشا الذي يمكن اعتباره المؤسس الثاني لها بعد كلوت بك، ففي عهده سادها النظام واستتب العمل على خير الوجوه وكان من اساتذتها نفر من كبار الاطباء المصريين مثل عثمان باشا غالب الذي كانت لهُ شهرة عالمية واكتشف دودة القطن ووصف دور حياتها وندري باشا سيد الجراحين في زمانه وبفضل عيسى حمدي وجهوده صار انشاء المباني الجديدة في المدرسة سنة ١٨٨٧ وأنشئت بها غرف للمحاضرات ومعامل للبحث وأخرج الطلبة من المدرسة للمبيت في الخارج وفي تلك السنة صارت البكالوريا شرطاً للدخول في سلك المدرسة وفرضت المصاريف على الطلبة لا تعلم ١٥ جنيهاً في السنة وحتّم عليهم ان يقدموا رسالة قبل حصولهم على الدرجة الطبية وجعلت مدة الدراسة ست سنوات للطب وأربع للصيدلة وثلاثاً للمولدات وبالجملة دخلت المدرسة تحت يده الحكيمة في عهد جديد من التقدم والارتقاء لا تزال آثاره باقية الى اليوم وعاونهُ من الاطباء الانكليز بعض اكابرهم كساندويث وملتون الجراح الشهير ولكن عيسى حمدي اضطرّ بدوره للاستقالة سنة ١٨٨٩ أثر خلاف بينهُ وبين رئيس الادارة الطبية بعد ست سنوات مجيدة الذكر والأثر

وللمرة الرابعة عادت المدرسة الى الانحطاط في عهد خلفه فعاث المحسوبية في وظائفها الى ان تولى شأنها ابراهيم باشا حسن سنة ١٨٩٣ وقد كان رجلاً فاضلاً ولكن حدث في عهده تنظيم المدرسة على الطرق الانكليزية وزيادة الاساتذة الانكليز وتحويل لغة التعليم الى الانكليزية حتى انفرد بادارتها الدكتور كيتنج من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩١٩

## عهد الاحتلال الانكليزي

وكان كيتنج رجلاً حديديًّا في ادارة المدرسة ولكن مساوئه الظاهرة ما كانت لتحجب شديد اهتمامه بسمعتها وسمعة خريجيها في كل مقام ومقال وقد بلغت المدرسة في عهده وعهد

مساعديه من الاساتذة البريطانيين شأواً عبر قليل من النظام والدقة ولايزال الكثيرون من خريجي ذلك العهد يذكرون بالخير ملون ومادن وفرجوسن وفيلدس وسواهم كما يذكرون شمت ولوس من كبار الاساتذة الالمان الذين كان وجودهم في هذا العهد أثراً للصلة القديمة بين هذا المعهد وبلادهم

وفي هذا العهد توثقت الصلة بين مدرسة الطب في مصر والكليات الطبية الملكية في انجلترا ووضع النظام الذي لا يزال قائماً من بعث تلك الكليات لاستاذ زائر في كل عام

وقد اقتصرت المدرسة في هذا العهد على الدراسة الطبية الأولى فلم تدخل عليها درجات الاختصاص العليا التي كان المصريون يلجأون للحصول عليها الى خارج بلادهم

## سعد زغلول ومدرسة الطب

وقد حدث في اثناء ذلك العهد تولي زعيم البلاد المغفور له سعد زغلول وزارة المعارف في سنة ١٩٠٨ ورأى بثاقب بصره زيادة ارسال بعثات التخصص الى الخارج لادخال العنصر المصري في التدريس وبالتالي لادخال العربية لغة للتعليم في مدرسة الطب اسوة بزميلاتها في المدارس العالية واليه يرجع أول الفضل في اعادة مدرسة الطب سيرتها المصرية الاولى في عهدنا الحديث كما نراه الآن في شخص أغلب اساتذتها ومساعديهم

## الحرب العظمى وما بعدها

وساعد على ذلك أنهُ حينما اندلعت ألسنة الحرب العالمية العظمى وانتظم أغلب الاساتذة الاجانب في جيوش بلادهم وقع عبء التدريس على اكتاف المصريين وقاموا بالعمل خير قيام حتى رضي كثيرون ان يعمل منهم رؤساء غير مرؤوسين

وسافر كيتنج سنة ١٩١٩ وعقبهُ رتشاردز الى سنة ١٩٢٤ في ابان الثورة المصرية الحرجة وفي ذلك العهد خرج الفكير في انشاء الجامعة المصرية الى حيز العمل وصار اختيار موقع مستشفى فؤاد الاول الجديد في جزيرة الروضة ووضعت سياسة تولى المصريين مناصب الاساتذة نهائيًا في كلية الطب

وجاء من بعده ولسون ثم مادن سنة ١٩٢٦ وفي عهده أعيد تنظيم الكلية على الطرق الحديثة وأدخل في برامجها الدراسات العليا وانشئت مدرسة طب الاسنان ووضع الاساس الذي نهضت به الكلية النهضة العظيمة الحالية وقد توفي سنة ١٩٢٩ مأسوفاً على خلاله وخصاله وفي مايو من تلك السنة شاء مجلس ادارة الكلية ان يبقي على كاتب هذه السطور حمل ذلك

العبء الخطير الخالي مترسماً في ذلك خطوات زملائه السالفين مستلهماً السداد من ارواحهم في عهد تاريخي كبير الأثر في حياة هذه البلاد

## ٢ — الحاضر

مضى القرن الاول من حياة مدرسة الطب وهي كما وصفت تبدو احياناً مشرقة وضاحية الجبين ثم تسترها الغيام ولكن الى حين ولعمري انه اذا قيست حياة المعاهد بحياة الانسان واذا شبهنا تلك المائة عام بعهد الطفولة ما كان لنا ان نعجب لما ذاقت تلك المدرسة من مرض وحلو لان للطفولة امراضها وعللها كما لها نشاطها ومرحها وانما لنا ان نقرّ عيناً وان نتريح خاطراً انها أمضت ذلك العهد على ما يرام وصار لنا ان ننتظر لها عمراً مديداً وعيشاً رغداً في ظل النهضة المصرية الحديثة

ولقد كتب الله لمدرسة الطب بالفعل دخول عهد الشباب فقد صارت في عام ١٩٢٤ كلية بل دعامة هي اقوى دعامات الجامعة المصرية وكما ينتظر من دم الشباب فقد اندفعت فيها روح جديدة ووصلت سراعاً الى آفاق أعلى وأسمى

وهي الآن كلية تضم تحت جناحيها اربعة معاهد كبيرة لدراسة فنون الطب وعلومه فللطب واحدة، وللصيدلة اخرى، وللاسنان مدرسة، وللتمريض والتوليد رابعة

وصار لا يكفي بالبكالوريا بل على الطالب ان يتزود من كلية العلوم بقسط علمي معين لمدة عام وان يمر بين اجوائه حتى يصل الى ساحتها الغناء

واستكملت كل مدرسة منهن أهبتها وجمالها ففي مدرسة الطب تعبر الانكماش القديم الى انبساط فصى به تقدم المعارف الطبية فانقسم علم التشريح الى فروع منها علم الاجنة وعلم نمو الانسان وانقسم علم وظائف الاعضاء الى الكيمياء الحيوية والتشريح المجهري وبرز علم الانصال كفرع قوي من فروع البكتريولوجيا وانقسم علم الطفيليات الى علم الطفيليات ذات الخلية الواحدة وعلم الديدان وعلم الحشرات وعلم الفطريات وأُ حدثت دراسة جديدة لعلم الباثولوجيا الاكلينيكية التي سير الطبيب امام الطبيب فحص افرازات المريض ودمائه وظهرت في الجراحة أقسام للعظام وللجهاز البولي والشيء قسم جديد للصحة العامة فرع هو الآخر فروع الى اقسام التغذية والصحة الصناعية والاوبئة وما اليها هذا فضلاً عما بلغته المدرسة من الشأو في تدريس الامراض الباطنة وامراض العيون

وارسلت الكلية البعثات تلو البعثات بما لم يكن له من قبل مثيل من بين ابنائها النجباء للتخصص في تلك الفروع وسواها فمرّوا رفقاءهم في عمر دارهم وعاد ولا يزال يعود الكثيرون ممتلئين حماسة وملتهبين غيرةً ونشاطاً

وتابع الحال مثل تلك الحال في مدرسة الصيدلة التي انشيء فيها علم تشخيص العقاقير واتسع نطاق التحليل الكيمائي والكيمياوية والاغذية واما مدرسة الاسنان فقد سدت فراغاً عظيما كان محسوساً في هذه البلاد وقضت على عهد كان بالدخالة مدموماً

واما مدرسة التمريض والتوليد فصارت طالباتها من ذوات الشهادات المدرسية كالابتدائية والدراسة الثانوية في قسمها الاول وراسبات القسم الثاني وبعدان كانت تصنع سنة كاملة في تعليمهن اللغات والحساب تمهيداً لدخولهن معمعان التعليم الطبي صرن يتلقين فنون التمريض ثلاث سنوات كاملات ثم فن الولادة عاماً آخر والزائرات الصحيات كذلك عاماً آخر والتدليك والكهرباء الطبية سنة ونصف

وصار للكلية غير درجة الطب والجراحة او الصيدلة او الاسنان العادية درجات عليا ودبلومات للاخصاص فهناك درجة ماجستير في الجراحة بفروعها وهي —

١ — الجراحة العامة ٢ — جراحة الاعضاء التناسلية والمجاري البولية ٣ — جراحة العظام ٤ — التوليد وامراض النساء ٥ — جراحة الحنجرة والانف والاذن ٦ — الرمد وجراحة العيون

ودرجة دكتوراه في الطب بأقسامها وهي ١ — الطب الباطني العام ٢ امراض الطفولة الاولى وامراض الاطفال — ٣ — طب المناطق الحارة ٤ — الصحة العامة

ودرجة ماجستير في جراحة الاسنان ودرجة ماجستير في الصيدلة ودبلومات خاصة هي —

١ — دبلوم الصحة العامة ٢ — دبلوم طب المناطق الحارة وصحتها ٣ — دبلوم الرمد ٤ — دبلوم الطب الشرعي ٥ — دبلوم علم الاشعة الطبية

وسينشأ دبلوم ان خاصان للكيمياء التحليلية والكيمياء الحيوية

بل أن هذه السنة نفسها قد رأت انشاء قسمين جديدين كبيرين للتخصص احدهما في الجراحة والآخر في الامراض الباطنة وصارت الفرصة بذلك متاحة لكل طبيب مصري او غير مصري ان يتزيد من علمه ويستكمل من فنه على احدث طراز ونظام وأن يحصل على تلك الدرجات العالية في مسقط رأسه وبلاده

وصار لكل قسم من اقسام الطب من المعامل والمتاحف ما تمتاز به الكلية سواها من كليات الخارج وهي ثروة عظيمة لا تقوم بمال ولا عتاد ولا يقاس بها غير المتحف المصري ان كان يقاس معهود احد اعظم المعاهد

اما مستشفى قصر العيني فقد تحول الى دار علاج نظيفة كاملة الادوات والمعدات حتى يحق لنا الآن على ضوء تلك الذكريات وهو الذي درج نيفاً وعشرين سنة حيثه ودهاناً في القرن الماضي ولم تعد قصر العيني من إهابه فحسب بل تغيرت معالمه ومعداته الداخلية لراحة المترددين عليه من طلبة واطباء ومرضى وفتحت به اقسام جديدة لفروع الطب الحديثة

وتضاعفت بهِ حجر العمليات وأنشئت مساكن جديدة للنواب وعرف محاضرات غير ما زاد منها في مبانى كليه الطب حارته

بل ان الطلبة دأبهم قد اصابهم التغيير والتبديل فظهرت منهم الطالبات لدراسة الطب اسوةً بدراسه التمريض والتوليد وأنشىء لهم ناد يضم شتاتهم ويقيمون بهِ حفلاتهم وزاد عددهم وتوثقت صلاتهم بأساتذتهم

بل ان ذلك التجديد العظيم لم يكن ليشفي نفوس المتعطشه الى التقدم والارتقاء فصحَّ العزم على انشاء مستشفى جديد ومدرسه جديدة في جزيرة الروضه تشدّ ان أزر المعهدين القديمين المجاورين وقد تمّ بالفعل انشاء جانب كبير من مستشفى فؤاد الاول التعليمي ونقلت اليهِ العيادة الخارجيه التي يؤمها نحو واربعه آلاف مريض كل يوم كما نقل اليها منذ بضعة اسابيع ٤٥ سريراً للامراض الباطنه فاذا استكمل صار بهِ الفان من الاسرة غير الالف الباقيه في قصر العيني وغير مائتي سرير في مستشفى الاطفال الذي اشترتهُ الحكومة لحساب التعليم ومائتي سرير في مستشفى كتشنر اي ٣٤ سرير مما ليس له مثال ولا ضريب في عالم الشرق وكثير من جهات الغرب جميعاً

على ان عظمه المعاهد العلميه لا يجب ان تقاس بفخامه مبانيها وكثرة اسرتها ونفقاتها وانما هي في الحقيقه بكفاءة رجالها واذا كنا قد اتخذنا للعلم الطبي في مصر داراً شامخه الذرى فيحاء واسعة فإننا لم نكن لننسى ان العلم والبلاد سيظلان من ذلك الغرس محصولاً يانع الثمرات

ولذا فان تلك المعاهد لم تبنَ للتطبب والتعليم فحسب، بل كذلك لاجراء المباحث العلميه التي هي مناط التفاخر اذا سوقه قامت وقد بدىء بالطلاب فجهزت جوائز ثمينه ذهبية ومالية للمبرزين منهم فهناك ميداليات ذهبية باسم عيسى حمدى باشا للامراض الباطنه وعلم وظائف الاعضاء وأخرى باسم ماكن للجراحه الاكلينيكيه وباسم فلدس للطب الباطني الاكلينيكي وجائزة ماليه باسم محمد شاهين باشا للتخصص في الصحه العامه ومثلها باسم مطلوم للصيدلة وباسم بحرى كذلك وصندوق آلات جراحية هدية كلان الفرنسي في كل عام الى أول الطلاب المتخرجين وميداليه ذهبيه في الجراحة باسم علي ابراهيم

وثنينا بالمتخرجين فصار لا يدخل الطالب عداد المدرسين حتى يقضي عليهِ سنوات في الاستزاده من الدرس والتخصص ثم ينال ارقى الشهادات كالدكتوراه في الفن الذي يدرسه وحتى تشهد له اساتذته بالاستعداد والكفاءة وصار لا مطمع لناشىء أن ينال رتبة الاستاذ أو في يمينهِ عدداً غير قليل من الابحاث القيمة الطريفه التي تنشرها له الجامعه أو المجلات المصريه والاجنبيه تشق بها طريقه الى الامام

وجعلت الكلية لا تكتفي بالاختبارات العلمية في الخارج كما لا تكتفي بارسال البعوث وجعلت تدعو كبار الاساتذة الاجانب في كل شتاء ليحاضروا الاطباء والطلاب في اطرف المواضيع بل احدثت اخيراً في ارسال بعوث من الطلبة ليحضروا اسبوعاً او اسبوعين في احدى الجامعات الخارجية وبدأت بجامعة باريس في الصيف الماضي ليتعارفوا ويمزجوا اذهانهم وعقليتهم وليعرفوا ان العلم لا دين له ولا وطن ولا امة وان الذين يعملون حياتهم سبيله هم المفلحون

كذلك زادت الصلة بالكليات الطبية الانكليزية بكثرة وفود الطلاب المصريين للحصول على شهاداتها العالية القيمة بل لقد تم اتفاقنا مع الكليات الالمانية ان نوفد الساطلاباً للعلم في بلادنا وان نوفد اليهم مقابل ذلك من اطبائنا من يكونون من طلبة الدراسات العالية ويعرفون اللغة الالمانية

وقد وصلت الامور من التقدم ان كثر في البلاد عدد الاخصائيين واختفى العهد الذي كان يطلب العائلات فيه وقفاً على الاجانب تباهون به ويفاخرون وسار الاطباء المصريون علماً على نهضة بلادهم تشرفها في اي مؤتمر حلوا واي جمع نزلوا

ويضيق العد اذا بدأت ذكر النابغين منهم في فروع الطب ونواحيه اما الابحاث العلمية التي وصل اليها هذا المعهد الجليل في دراساته المتوالية الى الآن فما تفخر به اي معهد في اي مكان واذا كان قد اشترك في بعضها الاساتذة الاجانب في العهود الماضية كاكتشاف الانكلستوما والبلهارسيا ودورة حياتهما فان الجيل الجديد والحمد لله قد كذب الخطأ الذي طالما اشاعه المغرضون من ان العقل المصري قد اصابه الخمول والكسل وهذه ابحاث علمائنا في امراض [illegible] وهذا باحث عن اسباب حصوات الحالب وآخر عن [illegible] تصحيح [illegible] وأمراض القلب وآخر يبحث [illegible] وعن امراض الكبد والشرايين [illegible] مثل هذه العجالة وما [illegible] من علماء العالمين ولا [illegible] ارادوا حرفاً في قاموس الفن الشريف الذي [illegible]

## ٣ — [illegible]

[illegible] هذه السطور الثماني [illegible] الاخيرة وقد [illegible] حياته [illegible] بالمعهد الذي فيه ربي ومنه خرج واليه عاد [illegible] الحافلة [illegible] ثم [illegible] الآن ان [illegible] اي [illegible] الاكرمون والتي [illegible]

بهدم العلوم الطبية يوماً بعد يوم هدماً لم يخطر بالجراح ولا جرى على ذهن طبيب

ولكن هناك غير هذا العامل الشخصي اموراً اجل خطراً واكبر قيمة تجعل من الواجب جعل هذا المعهد في صورة مثالية تشرف البلاد

فمصر هي قائدة الشرق تطلع اليها اعين الاقطار العربية الشقيقة وهي في الوقت نفسه ملتقى القارات القديمة الثلاث بعبر ارضها ومياهها وهواءها المسافرون والتجارة من جانب العالم الى جانبه الآخر وفيها تمثلت حضارة الفراعنة وحضارة العرب وحضارة اوروبا معاً وما أحرى وطنا وهذا شأنه ان يكون بلداً نموذجيًّا في اهله ومعاهده ونظمه جميعها

ولقد استيقظت البلاد وحكامها وعلى رأسهم المليك العظيم الراحل فؤاد الأول الى هذه الحقيقة كل التيقظ ، فلم تضن بالمال على دراسة الطب حتى لقد قررت نحواً ومليونين من الجنيهات لانشاء مستشفى فؤاد الاول وكلية الطب الجديدة وتحسين قصر العيني وكلية الطب القديمة وشراء مستشفى رعاية الاطفال بالمنيرة وقد صرف من ذلك الى الآن مبلغ مليون وثمانية الف من الجنيهات

اما الخطة التي رسمناها للمستقبل فستقضي الى تخصيص قصر العيني لذوي الامراض المستعصية ولأقسام التخصص والى تخصيص مستشفى فؤاد الاول للامراض المعتادة من جراحية وباطنية وسائر فروعهما وان تقسم كلية الطب الى جزئين احدهما ينقل الى المباني الجديدة ويشمل أقسام البكتريولوجيا والطفيليات وعلم التشريح المرضي وعلم الاقرباذين وهي علوم ذات صلة وثيقة بالمستشفى

اما القسم الباقي فسوزع على مباني الكلية الحالية ويخصص المبنى الشمالي لانشاء معهد للصحة العامة مستكمل لمعامل فحص المياه والاغذية والمخلفات واجراء التجارب البكتريولوجية والكيميائية ذات الصلة بذلك الفرع الهام من العلوم الطبية

ويخصص المبنى المواجه له في الجنوب الذي يليه لعلم وظائف الاعضاء بفروعه الثلاثة والمبنى الجنوبي الذي تشغله الآن لمدرسة الصيدلة اما المبنيان الغربيان فيخصص احدهما للطب الشرعي في دورين فوق نادي الطلبة ويخصص الآخر بأدواره الثلاثة لعلم التشريح بناحيته ومشرحته ومعامله وسيضاف اليها مبنى سابع تؤوي ادارة الكلية ونهواً للاجتماعات والاحتفالات

وهكذا نجد الاقسام المختلفة جمعاً سبيلاً الى الاتساع بما نؤمل ان يكفيها حقبة طويلة اخرى من السنين وييسر لها سبل البحث العلمي في هذا المعهد الجديد . ومن خططنا المرسومة ان نسع مستشفى رعاية الاطفال الذي ضمته الجامعة اخيرا الى مستشفياتها العامة فيبلغ مائتي سرير وان نعد مستشفى كتشنر بعد الحاقها الاخير مع مجلس ادارته لعلم طالبات الطب وفن ذلك العلم وان ننشيء في مدرسة الطب الجديدة معهدا كاملا يستطيع علماؤه للابحاث انقطاعاً ليحلوا الكثير من المعضلات الطبية والصحية التي تجابه الاطباء والبلاد الآن وفي المستقبل

بل انا لن نستريح انا خاطر او نطمئن هدوسا حتى نشيء بجوار هذه المعاهد كلها معهدا لطب المناطق الحارة فمن العجب ان طالبا مصريا يود التخصص في هذا العلم لا يجد مندوحة عن السفر الى اوربا بعيدا عن بلاده دائما هي في المناطق الحارة بل انه لمن العجب ان طالبا انجليزيا او فرنسيا او المانيا او ايطاليا يرغب في تلك الدراسة فلا يجد في مصر المدرسة التي تشفي غليله فيحج اليها كما يحج طلابنا الى اوربا للدراسة في الفنون الطبية الراقية بها

ولا شك ان موقع مصر الجغرافي يتيح فرصة نادرة لتلك الدراسة فانه فضلا عن المرضى من تجارة السفن القادمة من الشرق الاقصى وركابها وهم الذين تعدون مدارس طب المناطق الحارة في ليفربول وهامبورج ومرسيليا ولندن والجزائر عادة العالم يوجد امراضنا الموطنة دائما من البلهارسيا والانكلستوما والملاريا والديدان المعوية وتضخم الطحال والبلاجرا وهي من اهم امراض المناطق الحارة

وقد شرعنا بالفعل في الاتصال بأولي الامر في هذا الشأن مؤملين قرباً انشاء معهد لطب المناطق الحارة يحمل اسم الزعيم الراحل الذي كان له فضل عناية بعصر الوطني في مدرسة الطب من ثلاثين عاماً ونود ان نرى فيه الطالب المصري بجانب الطالب الانجليزي او السوري او الفرنسي او الالماني او الايطالي في مدرج واحد ومعمل واحد ويحاضرهم الاساتذة المصريون فهما هم وهي ثقة ومرجع

ان هذه الصورة التي ذكرتها لكلية الطب وفروعها كانت في الواقع صوره مثالية خيالية من عدة سنوات ولكنها قد تحققت في كثير من نواحيها وبدو المستقبل واضحاً باسماً لاتمام نواحيها الاخرى

وكما اننا نجاهد الآن في هذا التحقيق آمل رشة في علو شأن المعهد الذي علمنا وفيه تكون لنا الذكرى التي نعمل في ساحتها الى اليوم وفي مستقبلها امام تمثال سيده العظيم وسل وهي دلائل الشكر لما نشاهده

وان العلم حمة لسطر بها وسأبانه وطلابها شيئاً آخر غير مجرد اتمان حرفة السابقين انه يتطلب منهم البحث والاستقصاء وشحذ الفكر في اكتشاف اسرار الجسم السليم والجسم العليل

ان الصورة المثالية التي نرجوها لهذا المعهد الجامعي ونسعى لبلوغها هي ان تصل فيه التخصص الى أرقى درجة وان تكون اكبر معهد في الشرق للعلوم الطبية وان تحفظ مراجع المؤلفات والرسائل الطبية باسماء علمائه المصريين وان تخفف آلام الانسانية بفضل اكتشافاته وابحاثه وانه بذلك لجدير وعليه لأمين ان شاء الله

# مصلحة الآثار

للدكتور سليم حسن

وكيل مصلحة الآثار المصرية

١ — ما هو تاريخ اشتغال المصريين بدراسة الآثار في مصر ؟

— بعد فك رموز اللغة الهيروغليفية ، واتجاه الأنظار الى دراسة الآثار المصرية دراسة حديثة أنشىء المتحف المصري سنة ١٨٥٧ بجهود أحد العلماء الفرنسيين «مارييت باشا» وقد كان من الطبيعي ان يكون من ضمن رجال المتحف والمصلحة في الاقاليم بعض المصريين وقد نبغ من هؤلاء أكثر من واحد ، في مقدمتهم المرحوم احمد باشا كمال ، اذ انهُ قام بعمل كثير من الحفائر العلمية ، ووضع عدَّة مؤلفات قيمة بالنسبة لذلك العهد كما كان لهُ مقامهُ المحترم بين معاصريهِ من العلماء الأجانب

وكان للمرحوم احمد كمال باشا طلبة يدرسون عليهِ ، وقد نجح في آخر سنة من حياتهِ في حمل الحكومة على انشاء مدرسة عالية لدراسة الآثار المصرية افتتحت هذه المدرسة فعلاً في أوائل عام ١٩٢٤ ، ولكن القدر وافاه قبل افتتاحها بقليل وعند انشاء الجامعة المصرية سنة ١٩٢٥ ألحق بها قسم للآثار تابع لكلية الآداب ، ضمت اليهِ المدرسة القديمة ، واختير الاساتذة من بعض المصريين الذين اشتغلوا بهذا الفن ، وعاونهم بعض الأجانب من علماء الآثا

٢ — من هم الأساتذة الأحياء الذين أسسوا دراسة الآثار في مصر ؟

— كان طلبة المرحوم احمد باشا كمال عديدين ، ولكن الذين استمروا حديثًا في الدراسة واتخذوها عملاً لهم هما اثنان الاستاذ محمود حمزه الأمين المساعد للمتحف وأنا وقد كان زميلاً ثانيًا في ذلك العهد صاحب السعادة احمد باشا عبد الوهاب وزير المالية السابق ، والاستاذ رشيد بن شافعي مدير مصنع طرابيش القرش والاستاذ احمد البدري ناظر مدرسة القوم الثانوية

٣ — ما هي حدود قسم الآثار والنتائج العلمية التي وصل اليها مدة اشرافكم عليهِ

— عندما عينت للتدريس في كلية الآداب ، وجدت أن رفع مستوى الدراسات الاثرية لا يتم الا بعمل حفائر علمية لكي تساهم الجامعة بنصيبها بين الجامعات الكبرى ، ولكي تكون هذه الحفائر مدرسة عملية لتمرين الطلاب فيها وفي نفس الوقت كان لي مساعدون يعاونونني في الاشراف على هذه الحفائر وهؤلاء لم يمرنوا التمرين الكافي ، وكثيرون منهم بحكم النظام الآن

بأي حفائر عليه ، لا تقل في قيمتها عن قيمة اية حفائر تقوم بها أجنبي وقد انتهت هنا هذه الحفائر موسمها الثامن وظهرت المؤلفات الخاصة بعضها

اما هذه الحفائر التي نقوم بها فهي في منطقة اهرام الجيزة ، ولست اريد الاطالة في الحديث عما لهذه المنطقة من الشأن،ولا عن الآثار القيمة التي عثرنا عليها ، او الفوائد العلمية التي اضافتها هذه الحفائر الى العلم ولكن يكفي ان نذكر ان نتيجة هذه الحفائر قد كشفت كشفاً تامًّا عن عصر ملوك الاسرة الرابعة ، وقد وجدنا مقابر الكثيرين من الاسرة المالكة في ذلك العهد ، مع ما احتوته من آثار هامة ، كما ان الحفائر في الموسم الاخير حول ابى الهول ، اتاحت الفرصة لحل كثير من رموزه ، واصبحنا لأول مرة نعرف حقيقته وتاريخه والملوك الذين كانوا يقدمون له احتراماً خاصًّا ، ويقيمون المنشآت تخليداً له

٤ هل تتفضلون بذكر شيء موجز عن حقيقة أبي الهول ؟

من المحقق ان تمثال أبي الهول يمثل أحد الآلهة وقد صنع في الاسرة الرابعة ، ولم تصل الى اسمه في ذلك العهد ، ولكن الحفائر الاخيرة اماطت اللثام عن الكثير مما يختص به ، فنحن نعرف الآن انهُ كان يعتبر الهاً من آلهة الشمس . اسمهُ « حور محيس » اي « حورس في الافق » ولأول مرة علمنا انهُ كان لهُ اسم آخر هو الاصل الذي احدثت منهُ كلمة « ابي الهول » محرفة عن الاصل القديم نار هون

كما كشفنا حوله عن لوحات كثيرة أهمها اللوحة العظيمة التي أقامها الملك امينوفيس الثاني من الاسرة الثامنة عشرة ، جاء فيها انهُ تولى الملك وهو « في سن الثامنة عشرة وأنهُ كان قويًّا محبًّا للجياد ، وليس في المملكة من ناظره »كما ذكر أيضاً انهُ قام برحلة من منفيس الى الهرم وأعجب بتمثال ابي الهول وأمر بانشاء هذه اللوحة تخليداً لذكرى ... آثار اجداده وقد وجدنا هذه اللوحة مقامة في مكانها كما وجدنا المعبد الذي اشار اليه

٥ — ما هو صدى هذه المكتشفات في الدوائر العلمية الاوربية ؟

— ذكرت لكم ان هذه الحفائر اضافت كثيراً من المعلومات الهامة الى التاريخ المصري ، وعلم الآثار المصرية ومن الطبعى أن تكون النتائج التي وصلنا اليها موضع اهتمام علماء الآثار في كل مكان وجميع الذين يعدون منهم بزوروها كما ان المؤلفات العلمية الخاصة بها تعنى بالحصول عليها جميع الهيئات العلمية ، ويسرنا أن نذكر انها كانت موضع تقديرهم ، كما ان اكثر المجلات الخاصة بالآثار أشادت بهذه الحفائر ورحبت بالنتائج التي وصلنا اليها

٦ ما هي الاسباب التي تحول دون نشر مؤلفات الآثار التي كتبها مصريون باللغة العربية لغة البلاد ؟

—الحقيقة انهُ ليس هناك صعوبة في التأليف باللغة العربية ، ولكن هناك عامل هام لا عكس اعماله وهو اننا في مستهل حياتنا العلمية الاثرية وأكثر علماء العالم لا يجدون اللغة العربية ، فأصبح من الخير ان ينقل لهم أبحاثنا ونتائج مجهوداتنا الى لغاتهم لكي يتحققوا من ان المصريين لا يقلون عنهم في شيء ، وان لهم أبحاثاً تفيدهم ، كما استفدنا نحن وما زلنا نستفيد من ابحاثهم وهناك امم كثيرة مثل اليابان وروسيا وبولندا تكتب علماؤها بحوثهم العلمية الصميمة باحدى اللغات الثلاث الانكليزية او الفرنسية او الالمانية وهذا لا يحول دون وضع هذه المؤلفات باللغة العربية متى توافرت الوسائل اللازمة والطرق المناسبة

٧ — ماهي الصورة المثالية التي ترجونها لدراسة الآثار في مصر ؟

— ان ما ارمي اليه هو تعميم دراسة الآثار في كل ناحية من نواحي الحياة المصرية ، وان ارى المصريين يقومون بالبحث عن تاريخ اجدادهم على صورة تماثل الصورة التي وصل اليها العلماء الاجانب والتفكير في هذا الموضوع يؤدي الى ان ندرك اننا يعوزنا شيء كثير للوصول الى هذه الغاية واني اقدم بعض أمثلة اتمنى تحقيقها في القريب العاجل

اولاً — قيام بعض الشبان المصريين الذين درسوا الآثار بحفائر علمية واسعة النطاق ، واني اذكر مع السرور ان بعض هؤلاء الشبان قد بدأ فعلاً بمثل هذه الاعمال

ثانياً انشاء متاحف محلية في عواصم المديريات ، واذا كانت البلدان المتوسطة في اوربا لها متاحف بها اقسام مصرية تحوي مكتشفات هامة في جهات مصر ، وهي مهد هذه الحضارة القديمة ، ان ننشأ فيها متاحف في مختلف الاقاليم تبين اولاً الآثار المكتشفة في هذه الجهة ، كما تحوي ايضاً بعض الآثار المكتشفة في جهات أخرى والتي تزيد عن حاجة المتحف المصري ، ولا يخفى ما في انشاء مثل هذه المتاحف من فوائد ، اذ انها على الاقل توجه انظار سكان كل مديرية الى تاريخها القديم وتبعث نشاطاً وتنافساً في الاقبال على الحفائر

ثالثاً — ان تهتم وزارة المعارف بتسهيل دراسة التاريخ والآثار في مدارسها بان تعهد الى فنيين بالقاء محاضرات ودروس ، وتنظيم الرحلات ، وحفظ مجموعات كاملة من الصور للآثار المصرية حتى يشاهدها التلاميذ والطلبة بالفانوس السحري

رابعاً - ان تشجع وزارة المعارف المؤلفين المصريين من الاثريين بنشر ابحاث تهم الشعب المصري ، وتسمى وجهة لآثار أجداده بطبع هذه المؤلفات ومنح المكافآت اللازمة واني أؤكد انهُ في اليوم الذي تقدم فيه وزارة المعارف على ذلك ستقدّم لها اكثر من فرد من المصريين مؤلفات نفيسة تشرفهم كمصريين ، وتأتي بالفائدة المرجوة للوزارة وللهيئات العلمية وللمصريين جميعاً




## والاحياء الدنيا

### تجارب جديدة طريفة

منذ عهد قريب أقام المهندس الأميركي « هس » المختص بالاضاءة ، مأدبة أعد لها كل ما لذ وطاب من الاكل والحلوى ولكنه أعد كذلك أساليب خاصة لاضاءة بهو المأدبة ، فبدلاً من الاكتفاء بالمصابيح الكهربائية المألوفة ، أعد مصابيح خاصة لها مصاف لونية تحجب من ضوء المصابيح جميع الألوان الا اللونين الأخضر والاحمر على اختلاف درجاتهما وأقبل المدعوون الى المائدة وهم مرحون جذلون ، ولكنهم ما لبثوا ان فركوا عيونهم ليعلموا أفي يقظة هم أم في منام فاللحم المشوي رمادي اللون والكرفس وردية والبن أحمر كالدم والليمون كالبرتقال والقهوة صفراء باهتة والسلطة الخضراء سوداء قاتمة والفول السوداني أرجواني وكان الطهي على أجود ما يمكن ان يكون ، ولكن هذه الألوان الغريبة أثرت في حواس المدعوين ، فمعظمهم لم يقبل على الطعام وبعضهم غادر المائدة قبل نهاية المأدبة وأصيب مدعوان بقيء عنيف

وقد كانت هذه المأدبة دليلاً على ان تأثير الضوء لا ينحصر في حاسة البصر بل تشمل الحواس الاخرى كحواس الذوق والشم واللمس وليس الغرض من هذا المقال الا بيان بعض ما كشفه البحث الحديث عن تأثير الأضواء المختلفة في بعض الحيوانات الدنيا كالميكروبات والهوام والحشرات

تقاس أمواج الضوء بوحدة تعرف باسم « انغستروم Angstrom » فما هو الانغستروم ؟ خذ قلم رصاص وخط به خطاً على ورقة بيضاء هذا الخط عرضه في الغالب مليمتر فالانغستروم جزء من عشرة ملايين جزء من عرض ذلك الخط — أي من المليمتر والعين البشرية لا ترى من أمواج الضوء الا ما كانت سعته تتفاوت من ٤٠ انغستروم الى ٨ انغستروم فالأمواج التي طولها أكبر ٨ انغستروم لا تحس بها عيوننا لطولها ولكن تحس بها بعض أعصابنا لأنها أمواج حرارة اما الأمواج التي يقل طولها عن ٣٣ انغستروم فلا تحس بها عيوننا لقصرها وهي تختلف بحسب قصرها من الأشعة التي وراء البنفسجي الى الأشعة السينية بين الأشعة التي وراء البنفسجي والأشعة السينية مختلفة من الأمواج يتفاوت طولها من ٣٠٠

انتشرت الى ألفين هي موضوع بحث دقيق الآن في غير دائرة واحدة من دوائر البحث العلمي

قد يصحّ ان توصف هذه الأمواج بأنها امواج أشعة مميتة ولكن قدرتها على النفوذ من الأجسام يسيرة فهي لا تحرق الجلد ولكنها قد تفرّحهُ الاّ انها تبيد المكروبات وقتل المكروبات من ضرورات الجراحة والعلاج ولذلك عمد « هس » صاحب النادرة وجمعٌ من مهندسي الاضاءة الى استنباط مصباح صنعت « شركة وستنهوس للمصابيح » مائة نموذج منهُ وبعثت بها الى مائة طبيب ليجربوها في بعض نواحي العلاج ومما تستعمل لهُ هذه الاشعة قتل الاحياء الدقيقة التي تكون في مواد الغذاء المعدة للخزن او للحفظ ويتوقع هؤلاء المهندسون ان تصبح هذه المصابيح في متناول العامة بعد خمس سنوات

هذا في ما يتعلق بالاشعة التي تقتل الحيويات المجهرية ولكن هناك طائفة اخرى من الامواج تستعمل لمكافحة بعض الهوام والحشرات التي تفتك بالمزروعات ليلاً فيصنع لهذه الحشرات شركٌ اساسهُ مصباح قائم فوق صفيحة من النفط او فوق ورقة عليها صمغ طريٌّ ، فيجتذب الضوء الحشرات اليها ، فتقع في الصفيحة او تلصق بالورقة

بعض الحشرات يجذبها ضوء نستطيع ان نراهُ ، وبعضها ينفّرها هذا الضوء وبعضها كالخنافس تبصر ضوءًا لا يراهُ الانسان ولكن معظم الحشرات والهوام التي تطير في الليل تبصر بامواج من الضوء الذي نراهُ ، وهو المائل الى الضوء المزرق اما اللون الاحمر فلا يجذبها لان عيون الحشرات على ما يظهر لا ترى الاحمر ولا الاخضر فالمصباح الاحمر يجذب من الحشرات اقل مما يجذبهُ المصباح الابيض اللون ، حالة ان الاصفر والذهبيّ ينفرانها وهناك باعث على الظن ان الاشعة التي وراء البنفسجي اشد الامواج جذبًا للحشرات

ثم هناك ناحية اخرى فالملاءمة بين الحياة وورق النبات الاخضر اوثق واشهر من ان يحتاج الى تعريف تتخذ الورقة من الارض والهواء مواد تصنع منها بفعل مادتها الخضراء (الكلوروفل) وضوء الشمس اصول غذائنا ووقودنا وكان الظن اولاً ان البزور لا تنبت والازهار لا تتفتح الا بفعل ضوء الشمس ولكن التجارب الحديثة اثبتت غير ذلك فقد ظهر ان تعريض اي نبات زهري لضوء كهربائي قوي ساعتين كل يوم يفضي الى ازهار ذلك النبات وقد اثبت احد الباحثين « [illegible] » ان الاصفر والبرتقالي والاحمر هي الالوان الحيوية في حياة النبات ، واما الازرق والبنفسجي وما اليها فألوان الاسكان او الموت

ثم ان فلت وحص وجدا ان معالجة [illegible] من اللون الاحمر تفعل فعل السمّ في النبات

ان ضيق النطاق يحول دون الاسترسال في هذا الموضوع الفتان ولكن ما تقدم دليل على ان ميدان البحث الذي تمهده هذه المباحث ميدان لا حدود لهُ

# اقفل تلك النافذة

## كيف عارضت الدول اولاً في انشاء المحاكم المختلطة

لو شاء الباحث لمضى في بيان هذا الجشع العثماني الى مدى لا حدّ لهُ ففي المحفوظات المصرية الملكية من الحقائق ما يكفي لكتابة فصل أو فصول على هذا النمط ولكنا نقف عند نهاية سنة ١٨٧١ وهذا التاريخ يصلح كغيره من التواريخ لانزال الستار على هذا الباب

إلا أن القارئ قد يستغرب لماذا شدّدنا في الفصول السابقة على « الناحية الادبية » من ميزانية أعمال اسماعيل ، وأصررنا على أنهُ إذا بدا للباحث ان طائفة من النفقات التي انفقها لم يكن لها قيمة يقيم لها المالي وزناً خاصاً، فانها راجحة في ميزان « القواعد الأدبية »، ثم عمدنا بعد كلّ ذلك إلى تخصيص صفحة بعد صفحة رسمنا فيها صورة يغلب عليها حديث الارتكاب وبيّنا أن الخديو أنفق عشرات الألوف من الجنيهات على سبيل الرشوة فهذا التناقض الظاهر يحتاج الى قليل من التفسير

ان المفتاح إلى سرّ هذه المشكلة هو القول الصريح بأننا لا نحاول أن نجعل من اسماعيل قديساً لأنهُ لم يكن كذلك بل كان ابن بيئتهِ، وكان متصفاً بمساوىء فضائلهِ وفضائل مساوئهِ فكان يوزع المال على السلطان والصدر الأعظم [illegible] لانهُ كان في حربٍ مع تركيا ، وكانت هذه وسيلتهُ في اقامة الحرب

سبق لنا أن قلنا أن الجنرال ستون ونحو أربعين من الضباط الاميركيين الذين استخدموا في خدمة الخديو بعد انتهاء الحرب الاهلية الاميركية قيل لهم أنهم انما يدخلون في خدمته للكفاح في سبيل استقلال مصر . وقد كانت الدعوة الى انتضاء سيوفهم في سبيل الدفاع عن الحرية ، هي المغناطيس الذي جذب هؤلاءِ المحاربين القدماء الى الشرق بعد تسريحهم من الحرب الاهلية وكان الاختيار قد وقع عليهم لأن اسماعيل أدرك أنهُ اذا اختار اوربيين ، فكأنهُ منح اوربا رهناً اول على استقلال بلادهِ بل انهُ كان قد اعد معداتهِ ليعلن تحديهُ لتركيا اثناء الاحتفال بافتتاح ترعة السويس وكان قد اتفق مع الملك فكتور عمانوئيل على ان يهم تركيا من ملك ايطاليا

انها اذا تدخلت في اعلان استقلال مصر تخش تدمو ت واسطولها بامحان تعض البلدان العثمانية الثائرة وترامى الى سمع سولون الثالث هذا النبأ فعارض اشد معارضة فاضطر اسماعيل ان يتخلى عن خطته لما تبين معاومة فرنسا فاباء اوربا على اسماعيل ان يحارب تركيا حمله على الالتجاء الى حرب يقوم فيها المال مقام المدفع

ولا يمكن اقامة الدليل على اقوال قاطعة كهذه اذ ليس ثمة كتاب ازرق في صفحاته ما يؤيدها ولكنها قائمة على تأكيدات صادرة من مقام عالٍ لا يمكن ان ينقض اقواله ولكن كل شيء يؤيد هذه الحقائق الاساسية التي نستخلص منها ان طموح اسماعيل الى تحرير مصر مما لا يتطرق الريب اليه بل ان اتجاه سياسته كلها يؤيد ذلك وليس ثمة باعث على الشك في قول الكولونيل شايه لونج وقد كانت خبرة الخديو بالجشع العثماني . مما أثبت له قدرته على احد الاستقلال بالسيف اذا سمح له أن يتحدّى السلطان وكذلك نستطيع أن نفهم وجهة نظره وهي كما يلي

« أن أوربا تأبى عليّ باعلان استقلال مصر ومحاربة تركيا اذا اوصى الامر في سبيل الحصول عليه وإذن فلا أقر بالاصلاح القضائي والاستقلال الذاتي بالسلاح الوحيد الذي باح لي ابي سأشتري ضمائرهم ان هذه الغاية جديرة بهذا البذل »

ولكن الراجح أن التاريخ الذي ذكر لمهاجمته تركيا كان خاطئاً فهو لا يتفق مع انتظام الضباط الاميركيين في خدمته فالتواريخ في عقود خدمتهم أما سابقة فقليلاً لتاريخ او بعد البرهة وأما بعيده ثم أنه لا يتفق مع الحقائق التي بسطها نوبار باشا في الرسالة التالية التي كتبها من باريس في ١٢ مايو سنة ١٨٧ -

« في الحفلة الساهرة التي أقامها السفير الاسباني قال لي لورد لويز أن لورد كلارندون كان قد علم من نواح مختلفة ما أوصى به الخديو في أميركا من السلاح وأنه أمره (لورد ليونز) بأن يحدثني في الموضوع ويحذرني من أن الطريق التي نسلكها معوّجة طريق وعر ولا تفضي الى شيء طيب

« ودعيت الى زيارة لورد ليونز في اليوم التالي فذهبت فأعاد عليّ ما كان قد قاله وأضاف اليه أن ستانتن (القنصل الجنرال البريطاني في القاهرة) قد تلقى أوامر بأن يسائل الخديو فقلت أني لا أعلم شيئاً مما زعم من أمر شراء الاسلحة فأجاب لورد ليونز بأنه يعلم كل العلم أني غير مطلع على ذلك ، ولكن ما وصل من الحقائق صريح وقاطع ولا سبيل إلى الشك فيه ثم قال انه اذا لم تحل المسألة فقد تسفر عن متاعب وعقد جديدة لا ترغب فيها أوربا وقال أنه من الطبعي أن الخديو يرغب في أن يكون مستقلاً ، ولكن لما كان سموه ذكياً وحكيماً فانه يدرك ان هذا التسليح يثير ريبة الباب العالي ومخاوف الدول[1]

---

(١) مخطوطات حادس وثائق الاصلاح القضائي ١٨٧ — ١٨٧٥

وث ... كره مؤرخة في ... او سنه
١٨٧٠ بعث بها نوبار الى القاهره ...
من إملاء فردينان دلسبس نقرأ ما يلي
« قابلت الآن نوبار ده حراموت
فسألني هل اعلم ما فعله الخديو الآن
فقلت لا فبيّن لي ان حكومة الامبراطور
... [illegible] ...
... [illegible] ... ان
هذه الاسلحة ... ان الحكومة
ولاسيما الامبراطور لا ترغب في عقد عقد،
وان هذه الاسلحة بدلا من ان تعزز مكانة
الخديو توهنها » (٢)

بلغت معلومات عن
معاهدة عقدها الخديو مع
الولايات المتحدة ارسلت
وبها سموه لاستخدام
... [illegible] ...
امرك ... واوصى
... [illegible] ...
حربية وطربيدات وانه
عزم ... ان يرفع علم
الثورة على السلطان
... [illegible] ...

في أول مارس ١٩٣٧ ... [illegible] ...
... (المقطم) ... [illegible] ...
الحاكم ... [illegible] ...
الذي ... الخديو (اسماعيل)
ورث ... [illegible] ...
والسياسة ... الاوراق والجداول ...
... [illegible] ...
محفوظة في ... المحفوظات ...
... [illegible] ...

لو عمد الكاتب الى
كتابة ... في ادب النفس
... [illegible] ...
... هذا ... وقد كان لا بد
... [illegible] ...
... من الدماء ... كاساً
... [illegible] ...

ان ... اوربا ... [illegible] ...
... من اميركا ... والخسارة ...
... على الخديو» (١)
وفي كتاب ... مؤرخ في ١٨ ... نو
... ١٨٧ ... [illegible] ... رئيس

... [illegible] ...
اعظم ... [illegible] ...
... [illegible] ...
واد ... [illegible] ... اكثر الامم

(١ و ٢) ... [illegible] ...

رخاء ، فانها مدينة في ذلك لعصرنة كرومر وبعد نظر اسماعيل اني لن احاول هنا ان اسوغ التأكيد الاول بل اسوقهُ على انهُ قول ينهض عليهِ الدليل اما العامل الاساسي في القول الثاني فهو الاستقرار الذي تمتع بهِ مصر نتيجة للاصلاح القضائي الذي بذل اراخام في سبيله جهداً عظيماً مشعاً حشع الوزراء في الاستانة بينما كان نوبار في العواصم الاخرى يحاول اقناع رجال السياسة المحرّبين

ولا بد من كلمة في طبيعة هذا الاصلاح القضائي انهُ ولبد ما توصف بهِ مصر في القانون الدولي من انها دولة تتمتع الدول الاجنبية فيها بامتيازات خاصة وهذا يعني ان الاجانب فيها لا يحاكمون بمقتضى القانون المصري وقانونها يشمل المصريين لا الارض المصرية فالانكليزي كان قبل هذا الاصلاح ، اذا باع بضاعة لبرتغالي فيها ، او الاسباني اذا باع بضاعة لهولندي ، لا يهم احدهما قضية في محكمة مصرية استصداراً لحكم يؤيد حقه في استيفاء مالهِ ، بل كان على الاول ان يهمها في القنصلية البرتغالية فيرضى بتفسير القنصل للقانون البرتغالي ، والثاني في القنصلية الهولندية فيقبل تفسير القنصل للقانون الهولندي ، وقد لا يحور با كثر من ذلك

وكلُّ هذا كان من شأنهِ ان يبث الاضطراب في المعاملات التجارية ويحول دون ورود رؤوس الاموال الاجنبية لاستغلالها في البلاد فالاصلاح القضائي الذي كافح اسماعيل في سبيلهِ كفاح متشبث مستميت ، نصَّ على انشاءِ قضاء مختلط او دولي وعلى اصدار قانون متناسق نطبق في البلاد كأنهُ دولة داخل دولةٍ وقد لخص لورد كرومر في احدى رسائله اختصاص هذه المحاكم قال

« ان تفصل في القضايا المدنيه والتجارية والنزاعات الناشئة من تملك الارض ، بين الاوربيين ( يريد الاجانب ) والمصريين او بين الاوربيين ( يريد الاجانب ) من جنسيات مختلفة او بين الاوربيين ( يريد الاجانب ) والحكومة المصرية » (١)

لما بدأ احتلال انكلترا مصر كان قد انقضى ست سنوات على انشاءِ المحاكم المختلطة وكان من اثرها بث روح الاستقرار والضمان في الاعمال حتى اصبحت مصر لا تحتاج الا الى استقامة السر اوبلنج باربع — كما كان يعرف لورد كرومر حينئذٍ — وصدق قصدهِ وبارع حياله ، لكي تقام ميزانيتها على اساس سليم ولولا ذلك المميد ( برو فصل ) العظيم لضاعت الثمار الطيبة التي جنيت من الاصلاح القضائي ، ولكن لولا انشاء المحاكم المختلطة وما بثهُ من روح الثقة ، لانهار الى الارض الهيكل الذي اقامهُ انكلترا بسعيها الصادق

ثم هنالك عنصر آخر لا يجب الاغضاء عنهُ عند ما يلام اسماعيل على انفاقه مبلغ ٢٨٩٫٤٢١

(١) مصر بعد كرومر تأليف اللورد لويد هامش صفحه ١٧ المجلد الاول

حسياً على الاول ، للفور من تركيا بالاصلاح القضائي والاستقلال الذاتي وهو منطو في القول المأثور «خير للدين سكنون سوياً من الرجال ان لا يمدوا حجارة» والا رد ملنر الذي وصف الخديو بقوله انهُ « عشاش اصيل » يقيم لنا الدليل على صحة هذا القول المأثور فهو يقول في كتابهِ « انكلترا في مصر » « ولا يمكن ان نصور تصويراً صادقاً مبلغ الفساد الذي كان الوكلاء الدبلوماسيون الاجانب — ولاسيما في عهد اسماعيل — يعمدون اليه في استعمال نفوذهم لينتزعوا من مصر المسكينة الضعيفة مالاً بوفية لأوقح المطالب

« لم يكن الغرض الاساسي من الفوز بامتياز ما في تلك الايام استغلال ذلك الامتياز استغلالاً نافعاً ، بل اختراع سبب لاهماله ثم مطالبة الحكومة بتعويض وعلاوة على ذلك كانت كل خسارة تصيب اي اجنبي ، او اي ضرر يلحق بهِ حتى ولو كان ناشئاً عن حادث هو المسؤول عنهُ ، فرصة تغتنم للمطالبة بتعويض فاذا سرق ماله وقع اللوم على الحكومة لانها لم تقم الحراس الاكفاء واذا جنح زورقهُ الى الشاطىء لام الحكومة لانها لم تنظف قعر النهر مما تراكم فيهِ ويقال ان اسماعيل قال لاحد حشمهِ في خلال مقابلة مع احد الاجانب اقفل تلك النافذة لانهُ اذا اصاب هذا الكريم زكام كلفني ذلك ١٠ آلاف جنيه ، وليس في هذا القول اي مبالغة

« فلما انشئت المحاكم المختلطة ، كانت المبالغ المطلوبة من الحكومة تعدل ٤ ملايين جنيه اما ما عثله هذه المبالغ من الضرر الذي لحق بالمطالبين بها ، فيمكن ان يدرك من ان احدهم كان يطالب بمبلغ ٣٠ مليون فرنك فحكمت لهُ المحاكم المختلطة بالف جنيه » (١)

ان العبرة التي نستخلص من هذه الفقر المقتبسة واضحة فاسماعيل كان واهناً وظهرهُ الى الجدار وقد كانت بعض الوزارات الاوربية تؤيد هؤلاء المبتزين وتحرضهم على ابتزاز المال من الخديو وهذا قول فيهِ معنى التحدي ، ولكنهُ يستنتج من كتاب اللورد ملنر الذي تقدمت اليهِ الدول ، أذن لاسماعيل في محاربة تركيا لكي ينتزع منها نسميهِ الاصلاح القضائي والاستقلال الذاتي وكان عليهِ ان يحاربها او ان يدفع مبلغ ٥٠ مليون فرنك تسوية لطلب قدرته المحاكم المختلطة بالف جنيه واما ان يشتري الخلاص من هذه الحالة باشباع جشع الموظفين العثمانيين فهل من الانصاف ان نلام على سعيهِ الى حمايته بتلك الوسائل — الى المطالبين الاجانب — حالة ان قولهُ المحافظة على اساليب الضغط الدبلوماسي الاوربي تعني ابتزازاً مُوَّها اذا كان ذلك من الانصاف فالمثل اللاتيني السائر « Salus populi suprema lex » اي « سلامة الشعب هي القانون الاعلى » خطأ في خطأ

أما أوربا فقامت في التخلي عن امتيازاتها ولم تقف عند الاصلاح القضائي موقف عطف

(١) كتاب اللورد ملنر «انكلترا في مصر» الصفحة ٤٤

ورضى إلاَّ أن معالجه اكابرا للموضوع كان مما شرّفها وقد استغرق سعي نوبار شهوراً تحولت الى سنين فلما فاز من الوزارات الاوربيه الموافقه على انشا المحاكم المختلطة [illegible] وفرنسا تمانع في انشائها بعد موافقه الدول الاخرى ولما أعربت عن رضاها كانت المحاكم قد بدأت عملها فعلا ان قصة المساعي التي بذلها نوبار من اقصى أوربا الى اقصاها [illegible] في ذلك اسماعيل

كانت القاهرة قد أبلغت في ١٨ أكتوبر سنة ١٨٦٧ ان وزارة الخارجية البريطانية «تعترف بضرورة الاصلاح القضائي وبكره مساوىء النظام القائم وتبدي استعدادها مع [illegible] الدول الى شرطه تعهد الحكومة المصريه بموافقه الدول»[1] وفي ٨ نوفمبر ١٨٦٧ جاء من اماما أن [illegible] وافقت على مشروع الاصلاح القضائي على شرطه حل مشكله الضمانات التي تمنح للاجانب حلاً [illegible] وعلى شرطه تدبير فترة الانتقال وانشاء مدرسة للحقوق لتدريب قضاة المستقبل ولكن الامور لم تسر هذا السير الحسن في فرنسا وكتب نوبار الى القاهرة في ٥ مارس سنة ١٨٦٩ ما يلي

« أشار عليَّ الجنرال فلوري بأني اذا كنت أرغب في الوصول المفاوضات الى خاتمه سريعة تبعث على الرضاء فعليَّ أن أطلب مقابلة الامبراطوره أن أقول لها أن مولاي الخديوي قد أمرني بأن أسأله هل جلالتها سوي زياره مصر لحضور الاحتفال بافتتاح ترعه [illegible] لانه اذا كانت سوي ذلك فهو يرغب في اعداد الاحتفاء بها احتفاء يليق بمقامها [illegible] وقد قال الجنرال ان هذا العمل [illegible] على اعماظها ، وانها هي المسيطرة [illegible] لافالت كان [illegible] وزير الخارجية حينئذ [illegible] ) [illegible]

« أما [illegible] قائلة بعد [illegible] أن [illegible] الاتجاه ولكنه غير مستحيل لان شكله [illegible] الاتجاه الى الامبراطورة [illegible] أن أطلب [illegible] سموكم»[2]

[illegible] الجنرال في [illegible]

والراجح ان هذا [illegible] والمؤرخ [illegible] الاتفاق لم [illegible] الامر التي قابلهم [illegible] كانت [illegible] الاصلاح القضائي

[illegible] يظهر ان الامبراطوره [illegible] في [illegible] الامور على ما [illegible] وفي ٢٤ مارس سنة ١٨٦٩ ارسل [illegible] الى [illegible]

«عندي من الوزاره ما يثبت لي ان قبول الحكومه [illegible] فلي ان [illegible] سموكم ولا ريب في ان وفاة مدام لافاليت قد يؤخر [illegible] ايام»[3]

(١) [illegible] ملف الاصلاح القضائي ١٨٦٧ (٢ و٣) [illegible] ملف الاصلاح القضائي ١٨٦٩

واذ كان نوبار يدين بما لها في اوربا ، راجع اسماعيل مخطوطاته فلاحظ ان احداً لم يفاتح الولايات المتحدة الامريكية في الموضوع ، فكتب الى نوبار ما يلي

«عزيزي نوبار في موضوع الاصلاح القضائي ، لم نفاتح الولايات المتحدة ... فجدير بنا ان نفعل ذلك الآن »[1]

وكذلك كان والظاهر ان وشطن كانت قد تلقت انباء رسمية عما يدور في هذا الصدد ونقول القاضي برنتي ولكن من سخرية القدر أن اول نبأ اتصل بحكومة وشنطن عن مشروع الاصلاح ، كان مفرغا في قالب نداء الى الولايات المتحدة لتستعمل نفوذها لمنع تحقيقه وكان هذا النداء باسم ابرز احد أنصارها ... الحاكم المختلطة وعمدة رجال القانون في مصر في رسالة مؤرخة في ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٦٧ وموجهة الى وزير خارجية اميركا اعربت حكومة الدوبان عن رايها أنه يبدو لها ان تعديلات يراها تهدد لا سيما لأنه من جميع حقوق الأجانب ... في مصر ... لأوانه وان الجهل والتعصب والمفاسد المتأصلة في العناصر الوطنية تحول دون دعوتها ... أعلى وظائف القضاء »[2]

ان المعارضة الناشئة عن وقوف حكومة الدوبان هذا الموقف وضعت عراقيل كثيرة في طريق نوبار ولكنه كان قادراً على النهوض بالتبعة الملقاة عليه فقد كان متصفاً بالتأول وحسن الحيلة والصراحة ، فلم يقنط من طرق أبواب الوزارات في أوربا ولكن روسيا القياصرة لم تكن حرجا من أوربا حينئذ أكثر من روسيا السوفيت الآن وكان نظرها الى الواجب يختلف عن نظر لندن فالذهب كان في نظرها مفتاحاً من مفاتيح التعمل واذن كان لا بد من الاعتماد على مساعي ... في ... فأرسلت اليه برقية في ١٣ يناير سنة ١٨٧٣ وكان لا يزال في الاستانة فاذا ... معانيها على ما يلي

« ... ان ... مبلغ ٨ آلاف جنيه في ... (الدبلوماسية) وضعها في طرف واكتب عليه عنوانا ... ثم سلمه الطرف وقل له انك ... هذا الطرف ... الخاصة التي ... لعمل جهاز ابنتي فاذا سأل عما فيه فقل انك لا تعلم واجعل ان يفتح الطرف أمامك حتى يظن انك لا تعلم شيئاً عما فيه »[3]

كانت روسيا في تلك الايام سيدة الروم الارثوذكسيين من المسيحيين وذات سلطان عظيم في الاستانة فكانت ... الى مد نطاق امبراطوريتها الى ... وكان سفيرها من أعظم الامراء الذين لهم ... الى ... معاداة ... فلو عارض في الاصلاح القضائي لعاد على اسماعيل ... وقد كان الجنرال اجنانيف سفير القيصر فلذلك كانت خطة اسماعيل تنطوي

(١) اسم الكتاب ... والمحاكم المختلطة تأليف ... برنتي القاضي بالمحاكم المختلطة بالاسكندرية ص ٧٣

(٢) ... ملف ... سنة ١٨٧٣

على كسب عطف هذا السفير فاقبل ابراهام على عمله بما عرف به من الدقة والنظام وفي يوم ١٥ يناير انبأ اسماعيل بانهُ سيعالج مسألة الظرف وفقاً لتعليماته ثم سلّمهُ للجنرال إغناتيف[1]

الاّ ان سير الامور كان بطيئاً ولم يستطع « مراقب » الخديو ان يبيء مولاهُ باي تقدم نحو الغرض الاّ في ١١ فبراير قال في رسالة

« قال لي « الكبير » كامارا انهُ اذا شئنا ان ننهي مسألة الاصلاح القضائي فعلينا ان نعطيه المال الذي وعد به، لان المدير قد تمّ سراً فصل الحسابات الذي يطلب عشرين الفاً من الجنيهات فقلت له اني وعدتك حقيقة بمبلغ من المال ولكني قلت ذلك على شرطين اولهما ان تأتيني بكتاب من إغناتيف بان روسيا توافق على جميع الشروط وثانيهما ان تنهي المسألة في خلال شهرين فذهب كامارا ثم عاد وهو يقول بق لي عندما أقول لك ان إغناتيف قد بذل جهده ولكن المسألة لم تنته بعد وقد تطول اذا لم تسلّم المبلغ الذي وعد به »[2]

وتلقى ابراهام رداً من القاهرة في اليوم نفسه ومؤداه انهُ قد خولهُ دفع مبلغ ٨ آلاف جنيه وان الباقي وهو ١٢ الف جنيه يرسل عندما تسلمهُ إغناتيف كتاباً ينص على أن حكومتهُ خوّلتهُ حق الموافقة على الاصلاح القضائي فكتب ردّ ابراهام على هذا مؤرخاً في ١٣ فبراير وقد اكّد فيه انهُ سلّم إغناتيف مبلغ ٨ آلاف جنيه على اساس القواعد التي وضعها الخديو فلما كان اول مارس جعل كامارا يشدّد على ابراهام بوجوب دفع الباقي من المبلغ وهو ١٢ الف جنيه للسفير وأنبأهُ بأن الرسالة الخطيرة التي تنص على الموافقة ستسلم في ذلك المساء وقد سلمت فعلاً ولكنها كانت كما نعتها الخائنون « مبهمة وعامة وغير محدودة » فلما أبلغت محتوياتها الى الخديو بالبرق أبرق بمحتواهُ الى ابراهام بتاريخ ٣ مارس

« لا معنى لهذا الكتاب ومن بواعث الأسف ان نكون قد تسلم مبلغ ١٢ الف جنيه لانهُ لن نعطيها كتاباً آخر الاّ لقاء مبلغ آخر من المال »[1]

وقد كان ابراهام عارفاً بمداخل هذه المعاملات ومخارجها فلم يخدع فأبرق الى مولاهُ بذلك وقد طال الاخذ والردّ بين ابراهام ووكيل السفير الروسي حتى منتصف شهر مارس اذ فاز ابراهام بكتاب من السفير وافٍ بالغرض فأبرق الى الخديو

« مولاي الخليل، دفعت المبلغ ... لاغناتيف وكان شديد الاغتباط »

ان سرد هذا البحث لا يعني فضح الجشع الروسي بل كيف تغلب الخديو على احدى العقبات التي هددت مشروع الاصلاح القضائي بالحبوط وقد كان هناك عقبات اخرى ولكن تخطاها بمنطق السياسي المحنك والمقدرة الدبلوماسية البارع

---

(١) ... ... ... ... ١٨٧٣

# مفردات النبات

من اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الدمياطي

— ١٧ —

## إبرة آدم الفاخرة

يقال لها يوكا ( Yucca ) عند أهل سنت دومنغو وهي شجيرة دائمة الاخضرار ساقها بسيطة أو متفرعة ترتفع مترين أوراقها كثيرة عديدة متضامة سلبة قائمة لونها أخضر يضرب الى الزرقة كاملة الحافة تماماً طول الواحدة منها متر وعرضها ٨ سنتيمترات مقعرة من وجهها العلوي ولها رأس شائك وأزهارها مجتمعة في عنقود طوله متران يخرج من وسط الأوراق الواحدة منها بيضاء تضرب الى الخضرة من الداخل ومبقعة باللون الارجواني من الخارج وشكلها كالجرس المدلى

اسمها العلمي ( Yucca gloriosa L. ) ( يوكا غلوريوزا ) وفصيلتها الزنبقية ( [illegible] ) (الليلياسه) وبالانجليزية ( [illegible] Adam's needle, mound lily ) والفرنسية ( Yucca glorieuse )

موطنها امريكا الحارة (فلوريدا) وهي ضرب من الزنبق الأبيض مرغوب فيه للزينة جداً في البساتين المقطعة من الصخور ( الحلبات ) لشبهها بشجر النخل والاناناس والصبار ولدوام اخضرارها وهي بطيئة النمو والإزهار ولذا ناسبها البيوت الزجاجية ( الصوبات ) في غير موطنها الاصلي أما اذا زرعت في العراء فلا تنجح

## إبرة الراعي المنسوبة لروبرت [1]

هي عشب سنوي يرتفع من ١٥ سنتيمتراً الى ٣ وورقه ذات ثلاثة فصوص أو خمسة مقسومة تقسيماً ريشيًّا ثلاثيًّا وأزهاره حمراء قرمزية أوراق تويجاتها كاملة الحافة طول الواحدة منها ضعف طول ورقة الكأس التي تكون مضلعة ولها سفاة كالابرة

اسمهُ العلمي ( Geranium Robertianum, L ) ( جرانيوم روبرتيانوم )[2] وفصيلته الجرانية أو فصيلة ابرة الراعي (Geraniaceae) (جرانياسيه) وبالانكليزية (herb robert, Scotch geranium)

والفرنسية ( géranium robertin, bec de grue, herbe à Robert, )

شائع في اوربا ( فرنسا وانكلترا ) وآسيا وافريقية الجنوبية ويكثر في الأراضي الزراعية نامياً نموًا طبيعياً وقد يزرع احياناً في المواضع التي تظللها الاشجار وعصارته تستعمل دواء قابضاً وعطراً كماء الورد

## إبرة الراعي المُخَطَّطه

هي عشب معمر ساقهُ مستديرة غير قائمة ترتفع الى قدم وورقه السفلى ذات خمسة فصوص وكل فص بيضي الشكل محدد الرأس مسنن الحافة جدًّا وأزهاره جميلة وردية تتخللها خطوط أرجوانية

اسمه العلمي ( Geranium striatum, L ) ( جرانيوم استرياتوم ) من فصيلة النوع السابق

وبالانكليزية (queen Ann's needle work, striped crane's bill)

والفرنسية ( géranium strié, bec de grue strié ) شائع في شمال اوربا وايطاليا وغيرها يزرع للزينة ويبدأ في الإزهار من شهر مايو

## إبْرَة الراعي اللانكشيرية

هي عشب معمر متساقط الأوراق ساقه مفترشة على الارض ذات عقد يرتفع من ١

(١) في الشام يطلقون على ما عندهم من انواع هذا النبات اسم (حرة) و (عبر) و (منقار الكركي)

(٢) اشتق اسم جرانيوم من جرنيون ( geranion ) عند قدماء اليونان من اخذاً من جرانوس ( geranos ) بمعنى كركي وذلك لشبه ثمره هذا النبات برأس الكركي ومنقاره

ستيمترات الى ١٥ أوراقه متقابله الوضع في كل واحدة منها خمسة فصوص غائرة وأزهاره كبيرة فرهاية اللون تتخللها خطوط أرجوانية

اسمهُ العلمي ( Geranium Lancastriense With ) ( جرانيوم لانكاستريسي )

أو ( Geranium sanguineum Lancastriense, Mill ) ( جرانيوم سانغوينيوم لانقاستريسى ) من فصيلة النوع السابق وبالانجليزية ( Lancashire crane's bill ) شائع في انجلترا وفرنسا وغيرها يزرع للزينة

## إبْرة الراعى القرمزية

هي عشب متساقط الاوراق جميل المنظر ساقه قائمة كثيرة الفروع ترتفع من ٣ سنتيمتراً الى ٦ أوراقه متقابلة الوضع في الواحدة منها خمسة فصوص وكل فص مقسوم الى ثلاثة فصوص صغيرة على هيئة خطوط وأزهاره كبيرة قرمزية تضرب الى اللون الارجواني اي حمراء كالدم

اسمهُ العلمي ( Geranium sanguineum L ) (جرانيوم سانغوينيوم ) من فصيلة النوع السابق وبالانجليزية ( bloody crane's bill ) والفرنسية ( geranium sanguin )

شائع فى أوربا (فرنسا وانجلترا) وغرب آسيا يزرع للزينة وهو احمل الانواع يزهر من مايو الى سبتمبر وعصارته تشتمل على حامض العفص واسمها الفرنسي ( rouge de geranium ) تستعمل في الطب قابضاً

## إبْرة الراعي ذات أوراق شقائق النعمان

هي عشب ساقه كساق الشجيرة يرتفع من ٣٠ سنتيمترا الى ٦٠ أوراقه [illegible] الواحدة [illegible] الى خمسة فصوص وكل فص [illegible] والاوراق [illegible] نفسها ثلاثيا وأزهاره كبيرة فرفيرية اللون أو حمراء ارجوانية

اسمهُ العلمي ( [illegible] ) ( جرانيوم أنيمونيفوليوم )

أو ( Geranium Lowei ) ( جرانيوم لووياي ) من فصيلة النوع السابق

وبالانجليزية ( [illegible] crane's bill ) شائع فى جزيرة ماديرة يزرع للزينة ويزهر في الصيف

## إِبْرَةُ الراعي المُبَقَّعة

هي عشب متساقط الأوراق معمر جميل المنظر ساقه الأرضية غليظة والهوائية قائمة ذات ضلوع على نوع ما شائكة الشعب مغطاة بشعر قصير ناعم أوراقه مقسومة الى ثلاثة فصوص أو خمسة مسننة الحافة الجذرية منها ذات عنق طويل جدًّا والعليا متقابلة الوضع عديمة العنق وأزهاره أرجوانية اللون فاتحة تتفاوت في الحجم

اسمه العلمي ( Geranium maculatum, L ) ( جرانيوم ماكولاتوم ) من فصيلة النوع السابق وبالانكليزية ( spotted crane's bill )

والفرنسية ( gerame maculatum )

شائع في اميركا الشمالية وعصارة ساقه الارضية تستعمل في الطب مقوياً للمعدة وقابضاً في حالات النزيف الباطني والخارجي والاسهال

## أذن الحمار المتوسط

عشب متساقط الأوراق ترتفع ساقه الى ٢ سنتيمتراً أو ٢٥ وله سوق كثيرة الامتداد على سطح الارض أوراقه بيضية الشكل ملساء تقريباً الجذرية منها ذات عنق والعليا تكاد تكون عديمة العنق ( جالسة ) وأزهاره زرقاء او بيضاء

اسمهُ العلمي ( Ajuga reptans, L ) ( آجوغا ريبتانس )[1] وفصيلته الشفوية وبالانكليزية ( bugle ) والفرنسية ( bugle rampante, consoude petit )[2] وهو شائع في اوربا يزرع للزينة ومشتهر عند العامة هناك دواء لالتئام الجروح ومبرد وقابض لطيف

(١) [illegible] أنهم عرفوا النباتات المسمى ( ajuga ) خاصة ادرار الطمث ولكن الراجح ان هذه الخاصة انما هي للنبات المعروف الآن ( بالعرصف ) وهو [illegible] ) واسمه العلمي ( Ajuga chamaepitys [illegible] ) وبالانكليزية ( yellow bugle or ground pine ) والفرنسية ( germandrée [illegible] )

(٢) [illegible] الخواص الطبية [illegible] اذن الحمار المتوسط واو حلسا [illegible] على الاول منهما اسم ( bugle ) مصحف عن ( bugula ) [illegible] الذي هو مرادف ( ajuga ) [illegible] ( buglossum ) مرادف ( anchusa ) اسم الجنس لابي حلسا او لسان الثور واسمه العلمي ( Anchusa officinalis, L ) وبالانكليزية ( common bugloss ) والفرنسية ( buglose ou buglosse des boutiques )

# مدارس الصحافة

## وبواعث انشائها

للدكتور لبل سبنسر
عميد كلية الصحافة بجامعة سيراكوس الامريكية
والاستاذ الزائر بقسم الصحافة بجامعة القاهرة الامريكية

ان الجامعات الاميركية في طليعة جامعات العالم اهتماماً بالصحافة، وبدرسها كفن من الفنون الهامة. وقد دعاها الى ذلك سببان رئيسان هما (١) قوة الصحافة ومنزلتها الاجتماعية (٢) حاجة الصحافة والنشر في العصر الآلي الحديث الى دراسة فنية ودربة عملية

منذ سنوات قليلة أخرج الاستاذ اوجبرن ( Ogburn ) بجامعة شيكاغو كتاباً عنوانهُ « التطور الاجتماعي » بسط فيه الافكار الى حقيقة جديرة بالتأمل هي ان المعلومات المدخرة عند اي فرد من الناس ترجع في أصلها الى عنصر اجتماعي . اي ان ما لدينا من المعلومات مأخوذ في الأصل عن غيرنا وان قدراً ضئيلاً من تلك المعلومات مكتسبٌ بالملاحظة الفردية والاستنباط الشخصي المبتكر وقدرة الرجل العادي على استنباط النتائج الجديدة بنفسهِ من غير الاستعانة بغيره قليلة لا تكاد تذكر أو بعبارة أخرى ان الأمور الفكرية التي ينتفع بها المرء في هذه الحياة قد اشترك في تكوينها واعدادها افراد عدة مجتمعة فنحن نعرف ما نعرفهُ لأننا تعلمناهُ عن الآخرين ، لا لأننا فكرنا فيه مستقلين . لقد درس الاستاذ اوجبرن ٥٠٠ وثمانية واربعين مخترعاً من اعظم المخترعات في العصور الحديثة فلم يجد في واحد منها ابتكاراً مستقلاً تام الاستقلال بمعنى ان صاحبه انفرد بهِ وحده ولم يعتمد في تكوينهِ على افكار غيره ، بل رأى في كل حالة أن المخترع أو الكاشف كان يستعين بالمعلومات التي كان لغيره الفضل في اعدادها

وهذه الحقيقة نفسها هي التي دعت الاستاذ روس في ( Ross ) بجامعة ( منيسوتا ) الى القول بان التفوق العقلي في المرء ليس نتيجة لمجهوده الفردي ولكنهُ أثر من آثار التفكير الجمعي ثم قال بعد ذلك أن كشف حقائق جديدة تضاف الى الحقائق القديمة عمل شريف جدير بالتقدير ولكنهُ عمل نادر الحدوث وان الاستقلال الفكري الذي نفخر بهِ احياناً ليس الأ سراباً خداعاً لا حقيقة له

والواقع ان الآراء التي لدينا وهي التي ننسبها كثيراً الى انفسنا وصلتنا اولاً عن افراد الاسرة والمتصلين بنا ثم جاءت بعد ذلك عن طريق الصحف والكتب والمجلات وما نأخذه عن الصحف أوفر وأكثر مما نأخذه عن الكتب والمجلات ولا شك ان ما نعلمه عن الزملاء والاصدقاء وغيرهم مقتبس معظمه من الصحف

فما تعلمونهُ عن الفيضان في اميركا وإضراب العمال هنالك قد جاءكم بنوع الصحف وما تعرفونهُ عن هتلر وموسوليني وستالين نقل جملة من الصحف كذلك ما تسمعونه عن الحرب في اسبانيا واعمال ايطاليا في الحبشة والازمة الوزارية في اليابان كل ذلك جاءكم عن طريق الصحف والاخبار التي تذاع كل يوم بالمذياع جمعتها الصحف ونقلتها الى محطات الاذاعة ونادت بها اليكم وغاية القول ان الصحافة اصبحت اقوى وسيلة لنشر الانباء والمعلومات المتداولة بين الناس وهذه المنزلة السامية للصحف في الحياة العصرية هي التي حدت بجامعات اميركا ودعتها الى العناية بامر الصحافة بانشاء مدارس خاصة لتلقين الناشئين من الطلاب والطالبات فنونها والتخصص فيها كما في الفروع الاخرى

ولا يفوتني ان اذكر ان الصحف في اميركا قوية وان الجامعات هنالك قد انشأت مدارس لها اعترافاً بفضلها على المجتمع وقد سررت كثيراً حين علمت ان الصحف في مصر تتمتع بحريتها ولا اعتبر ذلك امتيازاً لها بل اعده حقاً من حقوقها وأدهشكم لانكم تشعرون بحظكم هنا في احوال تجلس عليها نظائرها في بعض البلاد الاخرى كايطاليا والمانيا وروسيا اذ لا تستطيع شعب ان تتمتع بالحكم المستقل ما لم تكن صحافته حرة تعبر عن آرائه وطرائقه التي يريدها لحكم نفسه وتمتعكم في مصر بالحرية الصحفية يراث ثمين يجب عليكم المحافظة عليه هذا هو السبب الاول الذي اردت ان احدثكم عنه

اما السبب الثاني الذي دعانا الى انشاء مدارس للصحافة في اميركا فراجع الى تعقد الحياة الاجتماعية العصرية وازدياد الوسائل الفنية للنشر والاعلان فالحياة في القرون الاولى لم تكن في حاجة الى نظام رسمي منظم إذ كان الاب والام يتوليان تعليم الابناء في المنزل ويلقنونهم ما يلزمهم للحياة في مجتمعهم البدائي الصغير كما هي الحال الآن في العائلات الريفية التي تعتمد في العلم على تدريب الابناء على صيد الاسماك والحيوان والدفاع عن النفس وتعليم الفتاة شيئاً يسيراً من الطهي وطبخ الحبوب وحياكة الملابس وأمثال ذلك ولكن لما اتسعت الحياة وتقدم المجتمع اصبحت النظم اكثر تعقداً وصار التعليم الرسمي ضرورة من ضرورات المعيشة فالآباء والامهات لا يستطيعون الآن اعداد ابنائهم وبناتهم لعصرنا هذا ولعل الكثير منا يذكر ان معرفة المواد الثلاث القديمة وهي القراءة والكتابة والحساب كانت كافية لإعداد الطالب للحياة وعُدّته مهيأً للزعامة

لقد انقضى ذلك الزمان واصبحنا في عصر تشابكت فيه المصالح وتعددت اساليب المعيشة واحتاج [illegible] وسائل العمل والارتزاق ولا غرابة اذا قلنا اننا في عصر لا يستطيع فيه الشاب ان يحصل على القدر اللازم لسعادته من المعرفة الا بعد ان يصل الى سن الثلاثين ولابد ان هذا التزاحم على الحياة والميل الى التسابق فيها داعياً الى الاجادة والمهارة في الوسائل التي تكفل الفوز ومن اجل ذلك فان الناس بالتخصص والانقطاع الى بعض فروع العمل والتوفر عليها ليتسنى الانسان الاتقان فبدأ التخصص اولاً في الدين ثم في الطب ثم في الحقوق والهندسة وتبعها غيرها وجاء الآن دور التخصص في الصحافة ومن الصعب ان نذكر تعليلاً صحيحاً لتأخر التخصص في الصحافة عن غيرها من المهن الاخرى وربما كان سبب ذلك الظن بأن كل فرد يحسن الكتابة ويحرك [illegible] لم وضوع [illegible] اراء واعداد لآلاف يصلح ان تكون محرراً لصحيفة او مديراً لها

ولكن [illegible] بعد ان التحرير والنشر يتطلبان تعلماً فنياً وثقافة حرة واسعة النواحي

فالصحفي الحديث لا بد له من الالمام التام بالتاريخ والاجتماع والاقتصاد والسياسة واللغات ولقد رأينا [illegible] حدثاً جليلة لقادة عظماء قد نقلها بعض الصحفيين ونشرها في جرائده فنالت السخط والاستهزاء من القراء لا لأن تلك الخطب معيبة او بها نقص او سوء اختيار ولكن لان أولئك الصحفيين لم يكونوا ذوي المام تام بشئون الحياة وعلم واسع يمكنهم من فهم اغراض الخطباء وصوغها بالروح السامي والعبارات اللائقة التي تحدد المعاني وتوضحها وتنقلها الى القارئين كما يريدها أولئك الخطباء وهذا هو السبب عينه الذي يدعو الى رفع شأن بعض الصحف واسقاط غيرها فمديرو الصحيفة والمشرفون عليها هم الذين بيدهم ان يكسوها الحياة والذيوع او يسوقوا اليها الموت والافلاس

ولا [illegible] ان مهنة الصحافة ليست مقتصرة على الاخبار والمسائل العلمية والادبية التي [illegible] [illegible] قصيرة فهماً ولكن هنالك باباً هاماً من الابواب التي تعتمد عليها الصحف [illegible] الحياة والبقاء ذلك هو باب «الاعلانات» وهو باب ليس اقل شأناً واحتياجاً الى [illegible] سائر الابواب الاخرى فله من الوسائل والاساليب الخاصة ما يدعو القراء الى الالتفات اليه ولولا تلك الوسائل والاساليب ما اهتم به احد من الناس فيصيب الصحيفة [illegible] بهذا الاهمال ضرر جسيم وهذا هو الباعث على ان بعض الناس [illegible] تلك «الاعلانات» في بعض الصحف ولا يجدون باعثاً على قراءتها في صحف اخرى

مما تقدم يتضح لنا ان تحرير الصحيفة والاشراف عليها واظهارها للناس في ثوب لائق يتطلب منا في عصرنا الحديث تخصصاً في فنون الصحافة وانقطاعاً لدراسة وسائلها كما ينقطع بعض الطلاب لدراسة الطب او الحقوق او الهندسة او غير ذلك

العلم في خدمة الانسانية

# الغدد والحياة

## — ٣ —

### الغدد وتحديد الشباب وتعيين الشق

لما اتيح للعلماء تؤرا الشق هيں استطاعوا ان يمحصوا بهما اقوال الداعين الى تحديد الشباب بالعمليات الشقية operation ، فاستبدل شتناح العسوي بعملية زرع الغدد حقن الشلين (نوز الانثى) او الاندروستيرون (نوز الذكر) ولكن البديل لم يسفر حتى الآن عن اي دليل على انهما يعيدان النشاط للعجائز والشيوخ وفي ذلك قال سوكراد « طن شيناح ووروروف خطأ ان ... هو الباعث على ... وهذا رأي قائم على وهم لان ... ولدينا ... فالثور الخصي والجواد الخصي والديك الخصي لا ... في سرعة شحوخها او ... الثيران ... والجياد والديوك السوية » ولا يزال فورونوف يبحث في كل قطر من اقطار الدنيا عن اسرار التعمير ولا يزال كثير من الشيوخ يعللون بمباحثه أوهى الآمال

ان عزل الشلين والاندروستيرون والستوستيرون مكن العلماء من ان يوغلوا في بحث اسرار الشق التي امضّت عقول الناس قروناً طوالاً بهذه الانوار تمكنوا من تفسير بعض التجارب الغريبة التي تمت في القرن الماضي وما انقضى من هذا القرن ففي سنة ١٨٤٩ عمد باحث يدعى برتولد الى تجارب جربت ... من الزمان ونوعها قليلاً واعاد تجربتها وذلك بسلّه خصى الديوك ... في ورزها في الديوك نفسها ولكن تحت جلدها فلم تظهر على الديوك اي أثر من آثار ... وذلك لان الخصى ... من موقعها الجديد مفرزاتها الداخلية في الدم وهي ... الذكر الشقية ثم جاء باحث آخر سنة ١٩٠ وجرب تجارب من مثلها ... الاناث الشقية وفي سنة ١٩١٦ أخذ غودنل ... المبيض من دجاجة ... وتحوّل الديك دجاجة في مظهره الخارجي وسلوكه ذلك ان نوز المبيض أفرز في دم الديك فأنشأ فيه الخصائص الانثوية المتصلة به

ثم كشف الدكتور فرانك للي Lillie كشفاً كبير الشأن في هذا الموضوع عند ما شرع في دراسة الخناث وقد تمّ له ذلك وهو لا يعلم أن عالمين نمسويين كانا قد سبقاه إليه قبل ست سنوات

فلدى بعض المواشي توائم ويكون أحد التوأمين في بعض الأحيان ذكراً والآخر أنثى تتصف بصفات الشقين أي الذكر والأنثى وهو ما نعرفه عندنا بالخنثى والخنثى عقيم وأعضاؤها الجنسية غير سوية التركيب فتناول الدكتور للي في دراسته عشرات من هذه الخناث فوجد أن جهاز الدورة الدموية في كلّ من التوأمين ، لا يكون متصلاً قبل الولادة اتصالاً مباشراً بدورة الأم ، بل يكون أحدهما متصلاً بالآخر وكذلك يدخل هرمون الخصية من الذكر دم الأنثى وهي في أدوار نموّها الأولى فيحدث فيها تغيراً في تكوين خلاياها شبيهاً ببعض الشبه بالذكر

وما انقضى على ذلك بضع سنوات حتى تمكّن ساند Sand أحد علماء كوبنهاغن عاصمة الدنمارك من إجراء عملية طريفة ذلك أنه أخذ ديكا وزرع فيه مبيضاً ، وانتزع ريش الجانب الأيسر من جسمه عند إتمام عملية الزرع ، فلما نما ريش جديد مكان الريش المنتزع كان ريش الأنثى وذلك من تأثير مفرزات المبيض وكذلك أصبح هذا الديك نصف ريشه ريش ذكر والنصف الآخر ريش أنثى وفي سنة ١٩٣ أحدثت ماري جوهن Juhn الباحثة في جامعة شيكاغو ذكر طائر أسمر الريش وحقنته بالتوْر الشقي من امرأة ، فتحوّل ريشه وأصبح كأنه أنثى ذلك الطائر

هذه البحوث والتجارب تفسر لنا ما كان يقع للخصيان في قصور السلاطين ، أو للفتيان الذين كانوا يخصون للاحتفاظ بصوتهم رفيعاً كصوت النساء ( سبرانو ) للترتيل في الكنائس ثمّ أن دراسة تأثير الشق كشفت عن بعض الحوادث الغريبة التي نبّه إليها الطبيب الفرنسي كار[illegible] فمن الحوادث التي حدثت حادث رجل أصيب بعد حرب بمرض لازم الفراش [illegible] مرضه لاحظ أن شعر عارضيه توقف عن النمو وأن [illegible] أصبح عالي النغمة ، وكبر ثدياه حتى اضطر أن يستأذن [illegible] لمدة جراحة وأصبح كالنساء في [illegible] استوقف عنايته واسترعى اهتمامه فكان لما رآه هذا الطبيب جالساً في سريره في أحد المشافي هو يطرز وتفسير ذلك أن مرضه أحدث اضطراباً في غدده الشقية فأصبح خنثى وهذه الظاهرة ظاهرة الخناث كثيرة في النباتات ولكنها مشاهدة في الرجال كذلك ولعلّ أشهر حوادثها حادث رجل تبدو ثدياه كثديي المرأة وسلوكه كسلوكها ولكن أعضاءه التناسلية أعضاء رجل تام الرجولة ، فالخناث والتجارب المتصلة بهذا الموضوع هي الدليل القائم على تأثير إفراز الشق في تغيير خصائص الأحدا

***

إلاّ أن تفسير الشق بأدوار الغدد الشقية ليس بالتفسير العلمي الوحيد بل هناك التفسير

الآخر الذي تقدَّم بهِ العلاَّمة توماس هنت مورغان وهو القائم على عوامل الوراثة المطوية في الكروموسومات ثم لما نشأ علم المفرزات الداخلية تبيَّن لفطاحل ان هذه المفرزات ولا سيما مفرزات العدد التناسلية هي العوامل المسيطرة على تعيين شق الولد (sex) وهل يكون ذكراً او أنثى كان رأي ارسطوطاليس انهُ اذا كانت نطفة الذكر غير قوية، نشأ وليد ناقص وهو الانثى وظل الناس قروناً متوالية يعتقدون ان مفرزات الخصية اليمنى تولد الذكر حالة ان مفرزات الخصية اليسرى تولد الانثى واضيفت الى هذه العوامل عوامل اخرى ذكر بينها سن الوالد وغذاء الوالدة والحرارة عند الحمل بل وإتجاه الرياح ايضاً وفي أواخر سنة ١٩٣٣ حاول احد العلماء ان يثبت ان زيادة المادة القلوية مثل مادة بكربونات الصودا تفضي الى ولادة الذكور حالة ان زيادة المادة الحامضة كالحامض اللبنيك تفضي الى ولادة الاناث

ولا يزال العلماء الى يومنا هذا غير مجمعين على رأي واحد يفسرون بهِ تعيين الشق في المواليد ولكنهم يقررون أن الكروموسومات ومفرزات العدد الصم المختلفة هي العوامل الرئيسية

ثم هناك تفسير آخر فالاستاذ ليلي Lillie يعتقد ان كل خلية تنشأ من تلقيح نطفة بيضة ذكر تشتمل على خصائص الجنسين وان اضطراباً في العدد واحوال البيئة التي تكاثر فيها هذه الخلية، قد تفضي الى تغلب الذكر على الانثى او الانثى على الذكر

ولهذا الرأي خطرهُ من ناحيتهِ النظرية والعملية اما الناحية العملية فتبدو خطرها في ان مربي الحيوانات يهمهم تكثير الابقار والدجاج دون الثيران والديوك وقد حاول بعضهم ان يسيطر على شق الحيوان فاصاب قسطاً من النجاح فمن مختبر علم الحيوان بجامعة انديانا تمكن الباحثون من زيادة نسبة الدجاج الى الديوك من ٥ الى ٥ الى ٢٢، ٣٥ ٧٨، ٦٤ وذلك بحصر الثلثين في المراع الهوائي الذي في اعقاب البيض ثم وردت انباء من موسكو بانهم تمكنوا من السيطرة على شق الارانب ولكن بطريقة أخرى وذلك بفصل النطف الذكرية التي تدل كروموسوماتها انها تفضي الى ولادة الاناث وهذا الفصل تم بطريقة كهربائية ثم لقح بها ... الارانب تلقيحاً صناعيًّا وكان عدد الارانب الملقحة ... ٢ نصفه فكانت النتيجة ١٠٨ اناث ولكن هذه التجربة وما تلاها لم تسفر عن شيء يصح الاعتماد عليهِ مع ان كولتسوف وهو الباحث ... الذي قام بهذه التجارب ... من الامكان تطبيقها في المواشي

***

واذ كان انماس وروبنك وردل وغيرهم يبحثون في خلاصة الفص الامامي من الغدة النخامية، اتجه آسل الى دراسة الفص الخلفي، وكان قد هدى الى خصائصه اولاً في سنة ١٩١٧ وفي سنة ١٩٢٢ استخلص منهُ مادة ترفع ضغط الدم في العروق رفعاً سريعاً ثم ظهر ان لها

وظائف اخرى وهي حادث في الصلا في رحم الحبر حتى ان جرعة منها في ١٠ الف مليون جزء من الماء تحدث اقصى ما يمكن حدوثه من هذا الانقباض ففوائده اذن عظيمة جداً في الطلق والولادة وفي منع النزف

ثم اقبل على البحث في خلاصة الفص الخلفي من الغدة النخامية طائفة من الباحثين فاثبت اولهم كام ان الخلاصة التي استخلصها آبل يمكن ان تفصل الى مادتين دعا الاول « بترسين » والثانية بدوسين Pitocin فالاولى ترفع ضغط الدم والثانية تحدث الانقباض وقد استخلص حتى الآن ما لا يقل عن اثنتين وعشرين مادة مختلفة من الفص الخلفي من الغدة النخامية ولكن آبل يأبى ان يصوغ لها اسماء لان مباحثه حملته على الاعتقاد بان هذا الفص يفرز مادة واحدة اصلية وان جزيئة هذه المادة تنحل وفي خلال انحلالها تتولد المواد الجامدة وكل منها له خواص فسيولوجية يتميز بها هذا هو رأيه ولكن المباحث الجديدة لا تؤيده

.. الذين درسوا في الغدة ... رجال ندعى ... ثبت ... اذا نزعت النخامية من الجسم افضى نزعها الى ... الاعضاء التناسلية وضعف الغدة الدرقية واضطراب افراز السكر ( الغدتين اللتين فوق الكليتين ) ثم وجد أيفانس ان هناك صلة بين الغدة النخامية واستهلاك السكر في الجسم فقد تمكن مثلاً من احداث حالة البول السكري في جسم كلب بتغذيته بخلاصتها ثم ان آخرين بينوا ان الحقن بخلاصة النخامية يهيج فعل الغدة الدرقية وان نزع الغدد التناسلية يحدث تغيراً في انوار النخامية فهذه الاوصاف العجيبة التي تتصف بها الغدة النخامية حملت العلماء على تسميتها « سيدة غدد الجسم » وذهبوا الى انها تسيطر على سائر الغدد ... بها

... ان ... اكثر ... العلماء الى الغدد ... لعلهم ... الكلى ... الدال ... اذا ... في الجسم ... الجم ... سنة ١٨٥٥ ... الطبيب الانكليزي أدسن ... حالات ... من مرض ... جميعها الوفاة وكان من اعراضه ضعفاً في الجهاز العضلي ... والدورة الدموية ... ان هذا المرض مرتبط ببعض الاصابات في الكظرين فلما نشأ علم المفرزات الداخلية ... ان نعالج هذا المرض بخلاصة الغدد حضرت خلاصة من الكظرين ... عجزت عن شفاء المرض

وكان رجل يدعى هارتمان يدرس في جامعة بفالو الاميركية وكان قد عرف انتزاع ... اشهاره ، فلما بلغه نبأ الانسولين ، عمد الى البحث في علاقة الكظرين بهذا المرض المنسوب الى

أدسن الانكليزي ولكنهُ قصر بحثهُ على قشرة الكظرين Cortex لانه بدا لهُ ان القشرة دون سائر العدتين لها صلة بهذا المرض فاذا احدكم من كظور الابقار وفصل القشرة عن بقية الغدد واستخلص منها مادة فعّالة ، ازال منها كلّ اثر من آثار الادرنالين وحرّ بها في جسم تحت الجلد في هررة نزعت كظورها فظلّت حية نشيطة ، تقبل على اللعب والأكل والتراوح ، بل ان بعضها حمل

وفي شهر اكتوبر من سنة ١٩٢٧ اعلن هارتمان اكتشافهُ لمادة «الكورتين» (نسبة الى كورتكس اي القشرة) وهي خلاصة فعالة تؤثر هرمون قشرة الكظرين واثبت ان نقص هذه المادة في الجسم يفضي الى مرض أدسن فهل يفضي استعمال هذه المادة الى انقاذ المصابين به ؟ جرت التجربة الاولى في ٨ يوليو سنة ١٩٣٠ في شاب في الرابعة والعشرين من العمر فأطيلت حياتهُ قليلا ولكن المرض كان قد تمكن منهُ فتوفي بعد ذلك وسعى هارتمان وغيره من الباحثين الى الحصول على مادة «الكورتين» نقية من كل شائبة فلما جربت في المصابين بمرض ادسن كان تأثيرها محساً اذ انقذهم من موت محتوم وفي اوائل سنة ١٩٣٤ حضر كندل (المشهور بتحضير الثيروكسين (راجع الكلام عن الغدة الدرقية في هذه المقالة) مادة الكورتين بلورات نقية كل النقاوة

ومما اسفر عن البحث في الكورتين تبدّل الحادث (غلوكوما) الذي يفضي الى العمى في الشيوخ

وكان من ابرز نجاح بلغ في موضوع الاسواين ، ان عمد احد مساعديه ويدعى كولب Collip الى البحث في اربع غدد قائمة على جانب الغدة الدرقية (parathyroid) وكانت قد اكتشفت في سنة ١٨٥٥ شكل كل منها كحبة الفاصوليا وحجمها حجم حبة الحمص وهي زوجان كل زوج منها على جانب الدرقية الا ان وظيفتها كانت سرّاً مغلقاً ولكن ظهر بعد البحث انها اذا استؤصلت عرض اصحابها الى اصابة احدها بمرض يعرف باسم «تتاني» واعراضهُ حركات عصبية في اليدين والقدمين والوجه والقصبة تفضي في الغالب الى الموت ثم اثبت مكّلم احد علماء جونز هوبكنز ان نزع الغدد المجاورة للدرقية لا يفضي الى مرض «التيتاني» فقط بل الى نقص في مقدار الكلسيوم في الدم وكان يمكن من تحسين حال المصابين بالتتاني بجرع وافية من املاح الكلسيوم ثم لاحظ كولب ان النقص الشديد اذا استمر افضى الى التيتاني فوراً هولندر (...) عن هذه المشاهدة وحاول ان يجربها فاستخرج خلاصة من هذه الغدد بالتتاني بعد نقص تقبل دائم مضطوبة ، ولكنهُ أثبت كذلك في تجاربه نفسها انهُ اذا سبق هذا النقص تناول مقدار من ملح كاوريد الاموسوم لم يصب المريض بعده

الا ان العلماء لم يكتفوا بمعالجة التتاني باملاح الكلسيوم على طريقة مكّلم بل عمدوا الى

استخلاص المادة الفعالة من الغدد المجاورة للدرقية المزعجة في الماشية وكان اول من فعل ذلك طبيب تمارس في بلدة فرسولت بولاية مدسوتا الاميركية واستخرج خلاصة منها وسماها ونسخها للمعهد المستنصدى اي انه لم يربح من اكتشافه شيئاً ما واحداً

وكما ان املاح الكلسيوم استعملت اولاً في معالجة الداء، فخلاصة الغدد المجاورة للدرقية تستعمل الآن في معالجة الاحداث المصابين باعراض ناشئة عن نقص الكلسيوم في دمهم

***

ثم هناك سرٌّ عدة اخرى احد العلم الحديث يبسط اللثام عنهُ رويداً رويداً . ففي سنة ١٨٥٥ ظهرت رسالة موجزة في موضوع الغدة الكظرية ... ولكن مؤلفها كان مجهول وظيفتها وكان بعضهم يظن انها عضو اثريّ لا عمل لهُ . لا بل الا انها قد تصحبهم احياناً فتسدُّ قصبة الطفل فيموت احياناً وهي جسم رخو ورديُّ اللون قائم فوق القلب يكون وزنهُ عند الولادة نحو ربع اوقية ثم يكبر حتى يبلغ وزنهُ عند البلوغ اوقية كاملة ثم يصغر رويداً رويداً فلا يبقى منهُ الا اثر يسير . وقد ظلّ عمل هذا الجسم غامضاً حتى ... Gudernatsch فطعماً من الغدة الكظرية وغذى بها الضفادع (صغار الضفادع) فنمت نمواً هائلاً من دون ان تتحوّل الى ضفادع . وصنع « رولل » خلاصة من كظرية الثور وحقن بها حماماً مصاباً بضعف في غدته الكظرية فحدث في هذا الحمام آثار عجيبة اذ جعل يبيض بيضاً سوياً بعد ان كان يبيض صغار البيض فقط

وفي سنة ١٩٣٤ تمكن روبري — وقد كان من اعوان آبل قبلاً — من صنع خلاصة هذه الغدة وغذى بها الجرذان فظهرت نتائج تبعث على الدهشة . ذلك ان الاجيال المتتالية من الجرذان كانت تفوق بعضها بعضاً في سرعة نموّها وتبكير نشاطها الجنسي . فلما كان الجيل الرابع والخامس برزت اسنان الجرذان بعد انقضاء ٢٠ ساعة على ولادتها والمدة التي تنقضي بين الولادة وبروز الاسنان في الجرذان السوية ... ثمانية ايام وتفتحت عيون الصغار في هذين الجيلين بعد انقضاء يومين وكان هذا لا يتمّ الا بعد انقضاء اربعة عشر يوماً كذلك حملها بعد ثلاثة ايام من ولادتها وبعد ثلاثة ايام اخرى استطاعت ان تنسج . كذلك أسرع نموّ غرائزها الجنسية فجيلها العاشر استطاع ان يحمل نسلاً بعد انقضاء ٤٣ يوماً على ولادته مع ان السويّ منها لا يحمل نسلاً قبل انقضاء مدة على ولادته تتفاوت من ٨ يوماً الى اربعة اشهر ، فاذا اسرع نموّ الغرائز الجنسية في الصبيان والبنات بهذا المعدل بلغوا سن النضج التناسلي في الثامنة الى العاشرة من العمر

ان الباب الجديد الذي يفتحهُ كشف هذا النور الكظري ، ولاسيما في ترقية المواشي ، لباب سحريٌّ يحمل الانسان عندما يتأمل في ما قد يفضي اليهِ

والغدة الأخيرة من هذه الغدد العجيبة التي أطلق عليها ضوء العلم الحديث الغدة الصنوبرية Pineal وهي مخفية بين ثنايا الدماغ ولكن بعد مالها لم يحل بينها وبين العلماء فقد صنعوا منها خلاصة مائية فثبت انها تؤثر في انشطار البراميسوم فتزيد تكاثره سرعة ولما حقنت بها الشراغيف زادت سرعة تحولها الى ضفادع ثم جربها الدكتور غولدزر بالاطفال الذين تأخر نموهم الجسماني والعقلي ولكن النتائج التي اسفرت عنها تجاربهُ لا تعدّ حاسمة حتى الآن ومن غريب ما يروى عن الفيلسوف ديكارت انهُ حسب الغدة الصنوبرية مقرّ النفس ولكن العلماء لا يزالون في ريب من وظيفتها الحقيقية ولا يدرون هل تفرز شيئاً خاصاً بها أو لا

***

لقد أثبت العلم ان البنكرياس والغدد الدرقية والمجاورة للدرقية والخلوة والتناسلية والكظرية والصنوبرية غدد صمّ اي انها تفرز مفرزاتها في الدم رأساً بلا قنوات خاصة وقد أسفر البحث العلمي فيها خلال نصف قرن عن أنوار الانيفرين ( الادرنالين )والثيروكسين والانسولين والثلين والاندروستيرون والكورتين وغيرها مما لا يزال محصوراً في خلاصات مختلفة ولم يستفرد بعد او يحضّر صناعياً في شكل بلوري

ان دراسة الغدد الصمّ فتحت الباب الى علمين جديدين لا يزالان في مهدهما وهما الطب القائم على مفرزات الغدد الصم والطب النفساني القائم على تأثير هذه المفرزات في حياة المرء الذهنية والعاطفية

فقد أقام سوكارد الدليل على صلة وثيقة بين الغدد والشخصية ذلك ان الذهن والشعور في الانسان من أهمّ العوامل في خلق الانسان وشخصيته فعلى ذهنه يتوقف الرأي في هل هو أبله او ذكي او متوسط والذكاء تتوقف على الدماغ الذي يرثهُ الانسان من أسلافه ولكن نمو الدماغ يتوقف الى مدى بعيد على انوار الغدد الصم واهم من العقل في تكوين الشخصية انفعال الانسان ومداهُ وكنهُ لانفعاله او استسلامه لهُ فنحن نحب من الرفاق من كان مرحاً لعوباً وقد نعرض عمّن كان متقلباً وبه الغمام على النور والانفعال متصل اوثق الاتصال بالغرائز والغرائز تعتمد على الاعتماد على مفرزات الغدد الصم في طبعها وقوتها ( راجع مقال « الغدد والشخصية » في مقتطف اكتوبر ١٩٣٥ ص ٢٦٥ )

***

اما في علاج الامراض فالصفحات المتقدمة سلسلة متصلة الحلقات من الادلة على ان صحة الغدد اساس لصحة الجسد

من « تاريخ الاسلام السياسي »

# السفاح

للدكتور حسن ابراهيم حسن
استاذ التاريخ الاسلامي في كلية الآداب

## بيعة السفاح

بويع أبو العباس السفاح بالخلافة ليلة الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢ وقد أقام الخطبة في يوم الجمعة فخطب على المنبر قائماً وكان بنو امية يخطبون قعوداً في الناس وقالوا أحييت السنة يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بين في أولى خطبة فضل آل محمد، وندّد بالامويين لاغتصابهم الخلافة ولما اقترفوه من آثام وذنوب ضد آل النبي، وأنحى باللائمة على جند الشام، وأطنب في مدح أهل الكوفة، وزاد في أعطياتهم لإخلاصهم وولائهم لبيت العباس، وختم خطبتهُ بقوله « انا السفاح المبيح » ، مما يشعر في بادىء الرأي بأنهُ عوّل على سفك دماء كل من يقف في سبيله وفي سبيل دولته

يقول المسعودي[1] عن أبي العباس السفاح أنهُ كان جميلاً وسيماً ، ويقول صاحب الفخرى أنهُ « كان كريماً حليماً وقوراً ، عاقلاً كاملاً كثير الحياء حسن الاخلاق » وهذا يخالف ما يتبادر إلى الذهن من ان اسم السفاح مرتبط بسفك الدماء لايغاله في التمثيل ببني أمية

وقد ناقش الاستاذ نكلسن[2] لفظ السفاح في كتابه « تاريخ العرب الأدبي » فقال « لقد ذهب بعض المؤرخين إلى القول أن السفاح معناه الرجل الكثير العطايا أو المنّاح ومع كل فانهُ مما يهمنا ملاحظته أن هذا الاسم قد أطلق على بعض شيوخ القبائل في الجاهلية ويقال إن سلمة بن خالد الذي قاد بني تغلب في موقعة يوم كلاب الاولى سمي السفاح لانهُ أفرغ مزاد جيشه قبل الموقعة والذي أميل اليه أنهُ إنما سمي بهذا الاسم لقوله في أول خطبة له فأنا السفاح المبيح والثائر المبيح »

ونحن نميل الى الاخذ بأن لفظ السفاح انما اطلق وشاع عن أبي العباس بعد هذه الخطبة

---

(١) ج ٢ ص ٢١٥ (٢) Literary History of the Arabs p. 2[illegible]3

لما قام به من سفك دماء الامويين وغيرهم من الخارجين على الدولة ولا يبعد أن يكون قصده من عبارة السفاح المباح أن يتوعد أهل الكوفة لما اظهروه في ماضي أيامهم من تغير في الاهواء والميول وغيرهم من اعدائه ولا سيما الامويين الذين عوّل على التنكيل بهم لما اقترفوه من آثام وذنوب ، وتبشيره من يقوم بنصرته باغداق العطايا والاموال عليهم

ولما تمت لهُ البيعة تحول السفاح إلى الأنبار غربي نهر الفرات ، وبينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، وقد أسسها سابور بن هرمز احد ملوك الفرس فجاء السفاح فجددها وأقام بها المنصور ثم بنى المنصور في جوارها قصراً فخماً اتخذه دار مملكة ، وسميت هذه المدينة الهاشمية نسبة الى هاشم جد هذه الاسرة

وقد قضى السفاح معظم عهده في محاربة قواد العرب الذين ناصروا بني امية وقضى على أعقاب الامويين حتى انهُ لم يفلت منهم أحد الاّ عبد الرحمن الداخل الذي أسس الدولة الاموية ببلاد الاندلس ، كذلك وجه السفاح همه الى الفتك بمن والوهُ وساعدوه على تأسيس دولته فقتل أبا سلمة الخلال وأعقبهُ بسليمان بن كثير الذي أوصى ابرهيم الامام أبا مسلم به خيراً، وهمَّ بقتل أبي مسلم لولا أن عاجلته منيته

## محاربة قواد الامويين

أقام ابن هبيرة أحد قواد مروان بن محمد بواسط ، فأرسل اليه أبو سلمة ، الجيوش فحاصرته هناك ، ولما طال الأمر ارسل السفاح أخاه أبا جعفر فحاصره أحد عشر شهراً بلغه في نهايتها خبر مقتل مروان بن محمد فرأى التسليم وفاوض أبا جعفر في الصلح ، وانتهى الأمر باعطائه الأمان ، وتسلم ابن هبيرة كتاباً بحمل امضاء الخليفة العباسي ، ولكن هذه الدولة قد قامت على المكر والحيلة ، فانهُ لم تمض أيام حتى قتل ابن هبيرة وهذا أول غدر في الدولة العباسية ، وقد أخذ على عبد الملك بن مروان عدم وفائه لعمرو بن سعيد بعد ان ولاه عهده لان هذا مناف لأخلاق العرب ، فجاء أول خلفاء بني العباس ، واستهل خلافته بوضع هذه القاعدة التي سار عليها الخلفاء من بعده

## القضاء على أعقاب الامويين

ولقد تابع السفاح القضاء على بني أمية وأنصارهم ولم يبق عليهم ويخيل الينا أنهُ انما لجأ الى هذه السياسة لما كان من عداء العباسيين لبني أمية منذ أيام الجاهلية والعداء بين بني أمية وبني هاشم باقي الأثر لم يزده الاسلام الاّ تفاقماً وازديادا يضاف الى ذلك ما كان من

تأثير الشعراء ورجال البلاط في إذكاء نيران هذا العداء وما قام به بنو أمية من سفك دماء أهل البيت حين كان لهم السلطان

يقول المسعودي [١] ولما أُتي أبو العباس برأس مروان ووُضع بين يديه سجد فأطال ثم رفع رأسهُ فقال الحمد لله الذي لم يبق ثأري قِبَلك وقِبَل رهطِك ؟ الحمد لله الذي أظفرني بك وأظهرني عليك ! ثم قال ما أبالي متى طرقني الموت ، وقد قتلت بالحسين وبني أبيه من بني أمية مائتين ، وأحرقت شِلو [٢] هشام بابن عمي زيد بن علي ، وقتلت مروان بأخي ابراهيم وتمثل

لو يشربون دمي لم يروِ شاربَهم ولا دماؤهم للغيظِ ترويني

ثم حول وجههُ الى القبلة فأطال السجود ثم جلس وقد أسفر وجههُ وتمثل بقول العباس ابن عبد المطلب من أبيات لهُ

أبى قومنا ان ينصفونا فأنصفت قواطع في أيماننا تقطر الدما
تُورِثن من أشياخ صدق تقرَّبوا بهنَّ الى يوم الوغى فتقدما
إذا خالطت هامَ الرجال تركتها كَبَيْض نعام في الوغى متحطما

كان السفاح جالساً في مجلس الخلافة وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك الأُموي وقد أكرمهُ السفاح ، فدخل عليه سَديف الشاعر فأنشده

لا يغرنَّك ما ترى من رجال ان تحت الضلوع داءً دويّا
فضعِ السيف وارفعِ السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أُمويّا

فالتفت سليمان وقال قتلتني يا شيخ ودخل السفاح وأُخذ سليمان فقتل ودخل عليه شاعر آخر وقد قُدم الطعام وعند السفاح نحو التسعين رجلاً من بني أُمية ، فأنشده الشاعر

أصبح الملك ثابت الآساس بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها بعد ميلٍ من الزمان وياس
لا تقيلنّ عبد شمس عثارا واقطعنْ كل رقلة [٣] وغراس [٤]
ذلُّها أظهر التودُّد منها وبها منكم كحز المواسي
ولقد غاظني وغاظ سوائي قربهم من نمارق وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والإتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد وقتيلا بجانب المهراس [٥]
والقتيلَ الذي بحرانَ [٦] أضحى ثاوياً بين غربة وتناسي

(١) مروج الذهب ج ١ ص ٢١٣ (٢) مفرد أشلاء وهو البقايا (٣) الرقال جمع رقلة وهي النخلة تفوت اليد (٤) الغراس النخل والفسيلة التي تقطع من الأم أو تقلع من الأرض فتغرس (٥) ماء بجبل أحد ، قتل عنده حمزة بن عبد المطلب ودفن (٦) هو ابراهيم الامام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

أجل ! لقد أعاد إنشاد هذين الشاعرين ذكرى الماضي وما جرّه الأمويون على أنفسهم من سخط الناس لتنكيلهم بأهل البيت ولا زالت مأساة ابرهيم الامام عالقة ببال الخليفة العباسي فماذا كان من أمر هؤلاء الأمويين بعد هذه الذكريات المؤلمة التي أعادها الى السفاح شعراء دولته ؟ أمر السفاح بسليمان بن هشام فقُتل ، ثم أمر بمن كان في داره من أمية فضُربوا بالبساط وبَسط النطوع (١) عليهم وجلس فوقهم فأكل الطعام وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعاً

ولقد بالغ العباسيون في التنكيل ببني أمية فعولوا على استئصال شأفتهم ، وبعث عمه أخوه وأعمامه في البصرة والكوفة والشام ، ونبشوا قبر معاوية بن أبي سفيان ، فلم يجدوا فيه الاّ خيطاً مثل الهباء ونبشوا قبر يزيد بن معاوية فوجدوا فيه حُطاماً كأنهُ الرماد ولما قتل ابو العباس رجال بني أمية ، واستصفى أموالهم قال

بني أُميّة قد أفنيتُ جمعَكمُ فكيف لي منكم بالأوّل الماضي
يُطيّبُ النفس ان النار تجمعكم عُوّضتُمُوا من لظاها شرّ معتاض
مُنيتموا لا أقالَ اللهُ عثرتكم بليثِ غابٍ الى الأعداء نهّاض
ان كان غيظي لفوتٍ منكمو فلقد رضيت منكم بما ربي به راضي (٢)

ولم يقف العباسيون عند التمثيل بالموتى فقد قتلوا الأحياء واستصفوا أموالهم فليس من عجب اذا انصرف العرب عن العباسيين ودبّ في نفوسهم دبيب الكراهة لهم وللفرس الذين استأثروا بالسلطة دونهم لمالأة العباسيين لهم ، واعتمادهم على ولائهم ، فعمت الفتن والثورات في البلاد الأسلامية

## قتل أعوانه

وان في قتل ابي سلمة الخلال وزير السفاح الذي كان من أهم العوامل التي ساعدت على تأسيس الدولة العباسية لمثلا حيّاً على ما قضت به سياسة هذا الخليفة بالخلاص ممن ساعدوه وناصروه اذ رأى في وجودهم خطراً يهدد كيان دولته الناشئة وقد يكون من الحسن ان نأتي هنا بترجمة ابي سلمة لنقف على حقيقة الأسباب التي ادت الى اغتياله للخلاص مما اتُهم به من العمل على تحويل الخلافة الى العلويين

كان حفص بن سليمان ، ويكنى ابا سلمة الخلال ، مولى لبني الحارث بن كعب ، وكان من اهل اليسار في الكوفة ، اشتهر بالكرم وكثرة البذل لرجال الدعوة العباسية ، كما كان فصيحاً عالماً بالاشعار والسير والجدل والتفسير وقد اتصل بالعباسيين عن طريق صهره بُكَيْر بن ماهان كاتب ابرهيم الأمام فلما حانت وفاة بُكير اوصى الامام بان يعهد الى ابي سلمة بالقيام بأمر

(١) النطع بالكسر والفتح وبالتحريك بسط من الأديم ( الجلد ) (٢) الفخري ص ١٣٥

الدعوة مكانه ، فكتب اليه الامام بذلك ، فأخلص ابو سلمة للدعوة العباسية وبذل جهده في القيام بنشرها وإذاعتها. ويتفق المؤرخون على انه لما استقر احوال بني العباس عزم على العدول عنهم الى اولاد علي بن ابي طالب ولما عزم على تنفيذ رغبته في نقل الخلافة الى العلويين ارسل مع رجل من شيعة العلويين كتاباً وامره ان يقصد جعفراً الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي ، فان اجاب ابطل الكتابين الآخرين وان لم يجب لقي عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي ، فان اجاب ابطل كتاب عمر الاشرف بن علي زين العابدين ، وان لم يجب قصد عمر فذهب الرسول الى جعفر الصادق ودفع اليه كتاب ابي سلمة فلم يُعنَ له ورأى واجتمع بما ورد به رجل الشيعة بخراسان للعلويين حيث قال « مالي ولابي سلمة وهو شيعة لغيري ؟ » ثم وضع الكتاب على السراج فاحترق وسأله الرسول عن رد كتابه فقال [illegible] قد رأيت الجواب [illegible] بعد ذلك الى عبد الله المحض وسلمه الكتاب ودفع [illegible] الى جعفر الصادق وقال له

( هذا كتاب ابي سلمة يدعوني فيه الى الخلافة ، وقد وصل [illegible] بعض شيعتنا من اهل خراسان ) فقال له جعفر الصادق كلاماً يؤيد ما ذهبنا اليه من ان الفرس او الكثيرين منهم على الاقل لم يكونوا في ذلك الوقت شيعة للعلويين خاصة » ومتى صار اهل خراسان شيعتك؟ أأنت وجهت إليهم أبا مسلم ؟ هل تعرف أحداً منهم باسمه أو بصورته ؟ وكيف يكونون شيعتك وأنت لا تعرفهم وهم لا يعرفونك ! وهـذا كلام رجل من كبار العلويين وأعيانهم في ذلك [illegible] لم [illegible] رجال الشيعة وإن لم يكن عبد الله المحض قد وثق [illegible] ،

[illegible] لم يحفل بما سمع عن الكتاب الذي [illegible] بن علي

[illegible]

هذا [illegible] وكثير الأنصار [illegible] لم [illegible] الى

الخارج [illegible] أيام [illegible]

ومن [illegible] هؤلاء [illegible] أبي سلمة [illegible]

[illegible] له [illegible]

[illegible] ابي سلمة الى [illegible]

الخراسانيين [illegible] الآن [illegible]

[illegible] السفاح [illegible] على [illegible] قام أهل خراسان [illegible] له ،

فعمل على ان يتم هذا الامر على يد أبي مسلم ، فكتب اليه مع اخيه المنصور كتاباً يخبره فيه ان ابا سلمة يعمل على تحويل الخلافة الى العلويين وعهد له بمعاقبته ، وباطن الكتاب يشعر بتصويب

قتله ، فأرسل ابو مسلم رجالاً من اهل خراسان فقتلوه وتخلص منهُ السفاح وابو مسلم الذي كان يكرهه ويحقد عليهِ مقامهُ ، وبذلك هيأ ابومسلم سبيل قتله بنفسه ، وقد عوَّل السفاح على التخلص منهُ اذ كان شجيً في جسم دولته الاَّ ان منيته حالت دون ذلك حيث مات سنة ١٣٦ بعد ان قضى في الخلافة اربع سنين وستة اشهر

## اخلاق السفاح وصفاته

قال الطبري [١] كان السفاح جعد الشعر طويلاً ابيض أقنى الانف حسن الوجه واللحية

وقال المسعودي [٢] ولم يكن أحد من الخلفاء يحب مسامرة الرجال مثل ابي العباس السفاح وكان كثيراً ما يقول اعجبا العجب ممن يترك ان يزداد علماً ويختار ان يزداد جهلاً فقال لهُ ابو بكر الهُذَلي ما تأويل هذا الكلام يا أمير المؤمنين ؟ قال يترك مجالسة مثلك وأمثال أصحابك ، ويدخل الى امرأة او جارية فلا يزال يسمع سَخَفاً ويروي نَقْصاً فقال له الهُذَلي لذلك فضَّلكم الله على العالمين وجعل منكم خاتَمَ النَّبيين

كان السفاح يشجع الادب والعلماء ؟ وكان يُجزل العطاء على الشعراء والمغنين فقد دخل عليهِ ابو نخيلة الشاعر فسلم عليه وقال عبدك يا أمير المؤمنين وشاعرك ، افتأذن لي في إنشادك فقال له السفاح لعنك الله ؟ ألست القائل في مسلمة بن عبد الملك بن مروان

| | |
|---|---|
| أمُسْلِيمُ اني يا ابن كل خليفةٍ | ويا فارس الهيجا ويا جَبَلَ الارض |
| شكرتك ان الشكر حبلٌ من التقى | وما كلُّ من اوليته نعمة يقضي |
| واحْيَيْتَ لي ذكري وما كان خاملاً | ولكنَّ بعضَ الذكر أنبه من بعض |

فقال الشاعر أنا يا أمير المؤمنين الذي أقول

| | |
|---|---|
| لما رأينا امسكت يداكا | كنا أناسا نرهب الملاكا |
| وركِبْ الاعجاز والاوراكا | من كل شيء ماخلا الاشراكا |
| وكلنا قد قلتُ في سواكا | زورٌ وقد كفر هذا ذاكا |
| إنا انتظرنا قبلها أباكا | ثم انتظرنا بعدها اخاكا |
| ثم انتظرناك لها إياكا | وكنت انت للرجاء ذاكا |

فرضي السفاح عنه واجزل له العطاء

(١) ج ٩ ص ١٥٤ (٢) ج ٢ ص ٢١٧

وكان السفاح يطرب من وراء الستر ويصيح بالمطرب له من المغنين أحسنت والله، فأعد هذا الصوت. وكان لا ينصرف عنه أحد من ندمائه ولا مطربيه إلا بصلة من مال أو كسوة ويقول لا يكون سرورنا معجلاً، ومكافأة من سرنا وأطربنا مؤجلاً. على أنه سرعان ما احتجب السفاح عن ندمائه.

وكان السفاح إذا أحضر طعامه أنبسط ما يكون وجهاً فكان إبراهيم بن مخرمة الكندي إذا أراد أن يسأله حاجة أخرها حتى يحضر طعامه ثم يسأله. فقال له السفاح يوماً يا إبراهيم! ما دعاك إلى أن تشغلني عن طعامي بحوائجك؟ قال يدعوني إلى ذلك التماس النجح لما أسأل. قال أبو العباس إنك لحقيق بالسؤدد لحسن هذه الفطنة.

ويحدثنا المسعودي (1) في كتابه مروج الذهب عن زواج السفاح قبل توليه الخلافة من أم سلمة، وكانت قد تزوجت من عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي، فلما توفي تزوجت بعده من عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك الأموي فمات. وبينا هي ذات يوم إذ مر بها أبو العباس السفاح، وكان جميلاً وسيماً فسألت عنه وأرسلت له مولاة لها تعرض عليه أن يتزوجها، وقالت لمولاتها قولي له هذه سبعمائة دينار أوجه بها إليك — وكانت تملك كثيراً من المال والحشم والجوهر، فأتته المولاة وعرضت عليه ذلك، فقال السفاح أنا مملق لا مال عندي، فدفعت إليه المال، وأقبل إلى أخيها وطلب إليه أن يزوجه منها، فزوجه إياها، فأصدقها خمسمائة دينار، وأهدى من تلود بها مائتي دينار وزفت إليه في ثياب موشاة بالجواهر، وحظيت عنده حتى أصبح لا يقطع أمراً إلا بمشورتها حتى أفضت الخلافة إليه.

فلما كان ذات يوم في خلافته، خلا به خالد بن صفوان فقال يا أمير المؤمنين! إني فكرت في أمرك وسعة ملكك، وقد ملكت نفسك امرأة واحدة فإن مرضت مرضت. وإن غابت غبت، وحرمت نفسك التلذذ باستطراف الجواري ومعرفة أخبار حالاتهن والتمتع بما تشتهي منهن فإن منهن يا أمير المؤمنين الطويلة الغيداء، وإن منهن الغضة البيضاء، والدعجة السمراء. والبربرية العجزاء. فتفتن بمحادثتها وجعل خالد يجد في الوصف ويجد في الإطناب بحلاوة لفظه وجودة وصفه، فلما فرغ كلامه، قال له أبو العباس ويحك يا خالد، ما صك مسامعي والله كلام أحسن مما سمعته منك فأعد علي كلامك، فقد وقع مني موقعاً فأعاد عليه خالد أحسن مما ابتدأه ثم انصرف وبقي السفاح مفكراً فيما سمع منه، فدخلت عليه زوجته أم سلمة. فلما رأته مفكراً مغموماً، قالت إني لأنكرك يا أمير المؤمنين، فهل حدث أمر تكرهه، أو أتاك خبر فارتعت

---

(1) ج ٢ ص ٢١٥ — ٢١٧

لهُ ؟ قال لم يكن من ذلك شيء ، قالت فما قصتك ؟ فجعل يروي عنها ، فلم تزل به حتى أخبرها بحديث خالد ، فقالت فما قلت لابن الفاعلة ؟ قال لها سبحان الله يفصحني وتشتمينه ، وخرجت من عنده مغضبة ، وأرسلت الى خالد من النجارية وأمرتهم ألا يتركوا منهُ عضواً صحيحاً قال خالد فانصرفت الى منزلي وأنا على السرور بما رأيت من أمير المؤمنين واعجابه بما ألقيته اليه ، ولم أشك ان صلته ستأتيني ، فلم ألبث حتى سار إليَّ أولئك النجارية وأنا قاعد على باب داري ، فلما رأيتهم قد أقبلوا نحوي ، أيقنت بالجائزة واصلة حتى وقفوا عليَّ ، وسألوا عني ، فقلت ها أنذا خالد ، فسبق إليَّ احدهم بهراوة كانت معهُ ، فلما أهوى بها عليَّ وثبت ، فدخلت منزلي وأغلقت الباب عليَّ واستترت ومكثت أياماً على تلك الحال لا أخرج من منزلي ووقع في خلدي اني أوتيت من قبل أم سلمة وطلبني السفاح طلباً شديداً ، فلم أشعر ذات يوم الا بقوم هجموا عليَّ وقالوا أجب أمير المؤمنين ، فأيقنت بالموت ، فركبت وليس عليَّ لحم ولا دم فلما وصلت الى الدار أومأ اليَّ بالجلوس ، ونظرت فاذا خلف ظهري باب عليهِ ستور قد ارخيت ، وحركة خلفها ، فقال يا خالدا لم أرك منذ ثلاث ؟ فقلت كنت عليلاً يا أمير المؤمنين قال ويحك إنك وصفت لي في آخر دخلة من أمر النساء والجواري ما لم يخرق مسامعي قط كلام أحسن منهُ ، فأعده عليَّ قلت نعم يا امير المؤمنين أعلمتك أن العرب اشتقت اسم الضرة من الضر ، وأن احدهم ما تزوج من النساء اكثر من واحدة الا كان في جهد ، فقال ويحك لم يكن هذا في الحديث قلت بلى والله يا امير المؤمنين ، واخبرتك ان الثلاثة من النساء كأثافي القدر يغلي عليهن قال أبو العباس برئت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ان كنتُ سمعتُ هذا منك في حديثك قال وأخبرتك ان الاربعة من النساء شر صحيح لصاحبهن ، يشيبنهُ ويهرّمنهُ ويسقمنهُ قال ويلك ما سمعت هذا الكلام منك ولا من غيرك قبل هذا الوقت

قال خالد بلى والله قال ويلك وتكذبني قال وتريد ان تقتلني يا أمير المؤمنين ؟ قال مر في حديثك قال وأخبرتك ان أبكار الجواري رجال ، ولكن لا خصيَّ لهنَّ ، قال خالد ، فسمعت الضحك من وراء الستر ، قلت نعم وأخبرتك ايضاً ان بني مخزوم ريحانة قريش . وانت عندك ريحانة من الرياحين وانت تطمح بعينك الى حرائر النساء وغيرها من الاماء قال خالد فقيل لي من وراء الستر صدقت والله ياعماه وبرئت بهذا ما حدثت امير المؤمنين ، ولكنه بدَّل وغير ، ونطق عن لسانك فقال له ابو العباس مالك قاتلك الله واخزاك ، وفعل بك وفعل فتركته وخرجت وقد ايقنت بالحياة قال خالد فما شعرت الا برسل ام سلمة قد صاروا اليَّ ومعهم عشرة آلاف درهم وتخت وبرذون وغلام

# نثرات ندى

لراجي الراعي

---

قيل لي أنت بين سمّ الافعى ووثبة الأسد فأي الموتين تؤثر؟ فقلت لهم هاتوا لي رأس الاسد فان فيها الرجولة والصراحة لا غدر الرقطاء الكامن في نابها الحقير

جمعت بين الكتاب والطفل في سرير واحد وجئت بالنفس اسألها أيهما تؤثر فأجابت لساعتها مشيرة الى الكتاب هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت، اما الطفل فهو رمية الفلك الطائش، هو قطرة دم كثيفة علقت بسهم حاد من سهام «كوبيد» في احدى سكراته، هو ثمرة الشهوة الزائلة وأثر من آثار الجنون

خيّل اليّ ذات مساء ان قريحتي نضبت فهرولت الى الجبل وسجدت امامه قائلاً انا من ابنائك المعجبين بك، وهذه قريحتي بين يديك اطلبها كنت فأقلها من عثرتها فالتفت الجبل الى غاباته وينابيعه وامرها ان ترافق روحي ثم نظر اليّ نظرة الاب الرحيم وقال امشِ في طريقك ولا تخف فجنودي حراسك وعظمتي وغزارتي تحرسانك حيثما حللت فشكرت للجبل وعدت الى القلم والقرطاس فرحاً قرير العين غير خائف من العدو ومن النضوب

كأني بغصن هذه الشجرة يمد فوق رأسي ليقيني من الشمس اللاذعة فلله ما اكرم هذا الغصن! ما اشد حرأته واوفر مروءته!!

هذه الشجرة صورة أحدب على مهده هي الدهور التي تألبت وكوّنتني في

بذورها وهذه هي قوتي في جذعها وهذه هي موالدي في أغصانها وهذا هو أملي في اخضرارها وهذا هو يأسي في ذبولها وهذه هي مطامعي في قنّها وهذه هي أعصابي في أليافها وهذا هو هذري في أعاصيرها هذه حياتي في مائها وهذا موتي في فأسها نعم نعم انا هي وهي انا فاذا شئت ان ترسمني فارسمني في ظلها واذا شئت ان تبكيني فالق علي حفنة من ترابها

هل انا حبة ربّتها الغلة وبهرها دمي ، ام انا ما نقول جسد عند مخضع لروح قاهر

اربع هذه النجوم الباكية من الافق لا ربع مني كآبتي ودموعها

الفلسفة جدل طويل يتجاذبه الكفر والايمان

هذه الشمس التي تحجبها وشاح واحد من اوشحة الليل وظلٌّ واحد من ظلال الشجرة ليست بالجبّارة التي تحسّبها

في نفسي آلهة وشياطين — في نفسي ارواح بابلية وصراع مستديم - - في نفسي الجمال كل الجمال والقبح كل القبح يتنازعان السيادة في وجهي فلا تنظر الى وجهي ترى أثراً من السماء حتى ترى اساساً مندلعاً من افواه الجحيم

لا اريد ان اقيس هذه المسافات والابعاد المعروفة ، وانما أريد أن أعرف أين ينتهي عقلي وأين مبدأ جنوني أريد ان اقيس المسافة الروحية الفاصلة بين عربدتي ووقاري

بيروت




لوصفي زكريا

---

﴿ الوضع الجغرافي ﴾ تألف القطر اليمان من ثلاثة اقسام الاول المنخفض ذو الوادي والاراضي المنبسطة والاقليم الحار والهواء الرطب ويدعى « تهامة » ويجمع على تهائم ، والثاني المرتفع ذو الاطراف والهضاب الشاهقة والاقليم البارد والهواء الحدوي يدعى «قسم الحدود» او «قسم الجبال» ، وهي سلسلة جبال السراة ، والثالث المنخفض ايضاً شرقي قسم الجبال ، وهو ذو رمال وبسائط كانت في عهد ملوك سبأ عامرة غناء فاصبحت بعدهم عامرة قفراء ، ويدعى هذا القسم « الجوف » وهو عثابة تهامة في الغرب . واقليمه حار لكن هواءه جاف وجيد

﴿ وصف تهامة ﴾ تهامة رقعة عظيمة مستطيلة الشكل تمتد من الشمال الى الجنوب من جدة على ساحل البحر الاحمر الى عدن في ساحل المحيط الهندي ، على طول يقدر بالفي كيلومتر ، وهي منحصرة بين قسم الجبال و بحرين المذكورين على عرض يتفاوت بين ٦ و ١٢ كيلومتراً وهي تنقسم الى تهامة الحجاز وتهامة عسير وتهامة اليمن . وتهامة اليمن اما غربية وهي التي على البحر الاحمر واما جنوبية وهي التي على المحيط الهندي . وحديثنا عن الاخيرتين في الاكثر

كانت تهامة في الاصل مغمورة بالبحر الذي انحسر عنها في الطور الجيولوجي الاخير ويدل على ذلك انخفاض اراضيها ووفرة رمالها وكثرة الاحافير والاصداف البحرية التي تظهر في رملها السهلي ولا يزال انحسار البحر الاحمر وارتفاع سواحله . والتأ على كر الدهور فالرمال مارحت تطمر مرافئه وتمنع السفن الكبيرة من الوقوف الا على بعد شاسع . حدث هذا الطمر قبل اربعة او خمسة قرون في مرفأ غلافقة ، فقد كانت كما قال ياقوت في معجم البلدان مرسى زبيد ، وكانت زبيد عاصمة تهامة واكبر مدنها فيما مضى ، فلما اندرت غلافقة انحط شأن زبيد وحدث الطمر ايضاً الى حد كبير في مينا مخا ، فكان ذلك من دواعي انحطاطها وانتقال عمرانها الى الحديدة الحديثة العهد ويحدث هذا الطمر والاندثار الآن في اللحية وامثالها من الموانئ الصغيرة فتحدد غيرها على توالي العصور وهكذا دواليك

وبسيط تهامة يتموج تموجاً خفيفاً ويحدث فلعات متواضعة وتعترضه اودية حصوية متحدرة

من انحاء الجبال ، اكثرها جاف في اغلب ايام السنة وبعضها جار ، وتعترضهُ ايضاً كثبان رمال تزداد في بعض الاماكن وتمتد الى مسافات شاسعة وتتحرك سطوحها بفعل الرياح كما هو الحال بين الحديدة وباجل وحول مياه علاقة المدثر وفي بعض شطوط تهامة مرتفعات صخرية تؤلف آكاماً تظهر في سواحل الشحر سعيد ولاسيما حول مرفأ عدن

ومعظم بسط تهامة قابل للحرث والزرع وذو خصب يقوى في بعض الاماكن لاسيما اذا جادتها الامطار وفاضت الاودية المنحدرة من الجبال بالسيول وسقى الزراع حقولهم منها — حينئذٍ ينمو الزرع والغرس نمواً عظيماً وتغزر محاصيل الدخن والذرة والسمسم والتبغ والنيلة والقطن والبطيخ ، والاشجار المثمرة وهي النخل والموز والعنبا والليمون وغيرها وفي تهامة غابات وأجم برية شائكة وغير شائكة تنسب الى فصائل مختلفة منها العضل الذي يعملون منهُ فحماً والنكار والثمام اللذان يستعملان في بناء العشش والاكواخ وفيها من الاشجار غير المثمرة السمر والسلم والدوم والعشر والشورى والخروع الهندي وغيرها وتؤلف هذه الاشجار في بعض اماكن تهامة ادغالاً ملتفة كان يعتصم بها ثوار القبائل في حروبهم مع الدولة العثمانية

قال ياقوت وسميت تهامة لشدة حرها وركود ريحها وهو من التهم اه لا جرم ان تهامة شديدة الحرارة تتفاوت درجتها في الحديدة في الصيف بين ٣٠—٣٥ ليلاً و ٤٠ نهاراً ولا تقل في الشتاء عن ٢٤—٢٥ وانها شديدة الرطوبة تبلغ احياناً درجة الارهاق (٨٠—٩٠) وذلك لقربها من خط الاستواء ومجاورتها البحر لهذا لا يمكن سفر القوافل والمشاة والركبان في تهامة الاّ ليلاً خوفاً من الرعن ولا يمكن النوم في ليالي الصيف الاّ على السطوح وفي العراء وتهب فيها احياناً ريح السموم فتسفي الرمال وتحدث أعاصير ، ولا يلطف الحر الاّ هبوب الريح الجبلي الشرقي او البحري الغربي

واهل تهامة شافعية المذهب ، نحاف الابدان ، ربعات القامة او اطول ، سمر الوجوه لحر بلادهم ولاختلاطهم بالدم الصومالي او الحبشي من قديم الزمان وهم في الجملة أدمث خلقاً وألين جانباً وأرفد للغريب وأقرى للضيف من اهل الجبال لكن الامية اكثر انتشاراً في اهل تهامة منها في اهل الجبال ، وكذلك الشقاق والتناحر ويعزى ذلك الى ان الشافعية ليسوا كالزيدية ذوي ائمة وسادة يعنون بشؤونهم الروحية والزمنية الى حدٍّ ما والفرقة بين الشافعية والزيدية بارزة ملحوظة وهذه الفرقة سياسية وادارية اكثر منها مذهبية ، لو عني بشأنها لزالت

وسكان السواحل في تهامة يعملون في البحر بالنوتية وصيد الاسماك وبناء الزوارق وبعضهم بالغوص واستخراج الصدف واللؤلؤ ، ولهذه الحرفة تجارة رابحة ، ويعمل اهل الحديدة وعدن بتجارة الصادر والوارد من اليمن واليه وسكان السهول والقرى الداخلية يعملون في تربية الزرع والضرع ، ويعمل امثال اهل زبيد وبيت الفقيه بالصبغ والنسج مما سوف نذكره

وفي تهامة قبائل شتى أشهرها الصيحة والزرانيق والقحرى وبني صليل والعبسية والجرابحة

وبنو مروان ودوغان وبنو قيس وغيرهم. وليست هذه القبائل رحالة بل مستقرة في قراها وضمن حدودها، تعمل في الزرع والضرع، وتسكن بيوتاً من الاعشاش. والزرانيق أشد هذه القبائل بأساً وحدةً وأطولها يداً في قطع طريق البر وقرصنة البحر وفي تهريب السلاح والرقيق قبل نهضتها. ومواطنهم حول بلدة بيت الفقيه بين الحديدة وزبيد، حاربوا الترك العثمانيين مراراً ولم يزالوا مشاغبين لهم لما في مواطنهم من الحر الشديد والادغال الملتفة التي يختبأون بها. وارادوا ان يعيدوا الكرة هذه مع جلالة الامام الحالي بقيادة بعض الدسائس الاجنبية فساق عليهم جيشاً قبل بضع سنوات، فقمع فتنتهم وأسكت نأمتهم. والقحرى ايضاً من القبائل القوية تسكن بين وادي سردود ووادي ناحل، لكنها ليست من الشر في ما يماثل الزرانيق.

وكانت تهامة في أكثر عصور تاريخ اليمن ولاسيما في العصور الاسلامية منفصلة عن قسم الجبال. قامت فيها دول عديدة مستقلة، كدولة بني زياد وبني نجاح وبني الصليحي وبني ايوب وبني الرسول وبني طاهر. وسيأتي ذكر ذلك في بحث التاريخ. ويظهر ان هذه الدول ما استطاعت انشاءه والقيام في تهامة رغم حرها ووباء هوائها الا لكثرة محاصيلها ووفرة ريع المكوس التي كانت تتقاضاها من قوافل البر وسفن البحر الواردة من الهند وافريقية الشرقية ومصر والحجاز والشام. فكانت تهامة مركز التوزيع بين هذه الاقطار قبل فتح قناة السويس، وكانت مينا عدن ومخا مركز التصدير والورود. الا ان الدول المذكورة لم تكن لتقنع بتهامة، بل كانت كلما اشتد ساعدها ورأت ضعف ائمة الزيدية بسطت ايديها نحو الجبال فتملكها مدة، ثم أخلتها اذا عجزت عن حفظها. وهكذا كان شأن أئمة الزيدية، كلما قووا ورأوا خلو التهائم من الحفظة استولوا عليها، واذا ضعفوا اضاعوها وحكمها كبراؤها. وظل هذا الاخذ والرد حتى تم جمع [illegible] في عهد الترك الاخير سنة ١٢٨٩ هـ وفي عهد جلالة الامام الحالي سنة ١٣٤٣ هـ بعد ان [illegible] الذين كانوا اصحاب [illegible]

وتقع في ساحل تهامة في البحر الاحمر [illegible] لا يزورها الا الصيادون والغواصون. ولكن أكبرها حجماً وأهلها قدراً قمران [illegible] شمالي الحديدة، كان الترك انشأوا فيها [illegible] ثم احتلها الانكليز في الحرب العامة [illegible] ان هذه الجزيرة [illegible] الماء [illegible] الانكليز [illegible] ان احتلوها في الربع الاحمر [illegible] الماء المقطر [illegible] الداخلة والخارجة من البحر الاحمر [illegible] وتجاه هذه الجزيرة في ساحل اليمن [illegible] له مكانة عسكرية كبرى يدعى الشيخ سعيد [illegible] للحمود ومركز للبرق.

وفي ساحل تهامة وداخلها مدن وقرى عديدة منها في الساحل ميدي واللحية والصليف

وابن عباس والحديدة والطائف وعلافقه والخوخه ومخا وعدن وفي الداخل عمال وباجل والزيديه والمطبع والدريهمي والمنيره والزهرة والضحي والمراوعه وحيس وبيت الفقيه وزبيد ، وفي تهامه الجنوبيه وراء عدن الشيخ عثمان والحوطه والراحه وبير احمد والحسوة وغيرها

واكبر مدن تهامه وأشهر موانيها على البحر الأحمر في عهدنا ( الحديدة ) والظاهر من عدم ذكرها في كتب جغرافيي العرب انها لم تكن لمضي ثلاثه قرون او أربعه سوى قريه حقيره يقطنها الصيادون الا أنهُ بعد ان طمرت الرمال ميناءي مخا وعلافقه وتعذر على السفن ان ترفأ اليهما سعدت الحديده بالعمران وهي الآن مدينه كبيرة يقدر عدد سكانها ثلاثين الفاً ، جميعهم عرب شافعيه المذهب ، بينهم خلاسيون أمهاتهم من رقيق الحبش او الصومال وفيها قليل من الهنود البانيان والبهرة ومن اليونان والطليان المشتغلين بالتجارة والحديدة محاطة بسور بني سنه ١٢١٥ هـ لهُ خمسة ابواب وعدَّة ابراج ، وفي داخل السور دور حجرية جميلة بيضاء وبعضها ذو طبقتين وثلاث وثمه عدة أسواق تغص بحوانيت الباعة والتجار ومستودعاتهم وفيها حركه بيع وشراء واصدار واستيراد ، كانت أقوى من الآن كثيراً في عهد الترك وفيها عدة مباني حكوميه ومساجد ، غير ان ساحلها مكشوف ومعرض للانواء ، تلجأ السفن عند اشتدادها الى خليج الحمانة في جنوبها وحر الحديدة شديد ووبيء يزداد وطأته بحكم شدة الرطوبه ايضاً وفي خارج سورها احياء ودور كثيره كلها عشش وأكواخ وليس في الحديدة الآ قليل من البساتين لفقدان المياه الجاريه ولملوحة التربه ، ولذا تأتيها البقول والثمار من القرى والجبال القريبه منها وماء الشرب يجلب اليها من آبار بعد نحو أقل من ساعه ينقل في براميل [illegible] على عجلات تجرها الجمال وفي شمالي الحديده على بعد ٢٤ ساعه منها ( اللحية ) ، وهي بلدة [illegible] على البحر محاطة بسور وفيها ثلاثه مساجد ، وفي خارج سورها حصن ، ويجلب اليها ماء الشرب من آبار بعد ساعتين او ثلاث و ( الزيديه ) بلدة تبعد عن الحديدة ١٢ ساعة دورها عرائش ، تنسج [illegible] من ورق شجر اسمه الدوم يشبه النخل و « باجل » بلدة تهامية [illegible] صنعاء بعد [illegible] الحديدة [illegible] لها [illegible] ومسجدان ودار حكومه وفي جنوب الحديدة بلدة ( المراوعه ) ذات مساجد وحوانيت ومصانع لنسج القطن والبرود المعروفه ومعاصر لعصر السمسم [illegible] في اليمن [illegible] والنحاس و ( بيت الفقيه ) في جنوبي الحديدة على بعد اثنتي عشره ساعة وهي [illegible] على تل مرتفع ، وهواؤها [illegible] اجود ما في مدن تهامه ، دورها [illegible] الاحمر [illegible] العريش ، وفيها حوانيت كثيرة وخمسة مساجد أحدها جامع كبير ، وفيها حصن ، وقد اشتهرت بمنسوجاتها الجميلة المنسوجة من الحرير والقطن ، وعدد سكانها خمسة عشر الفاً ، وحولها نخيل كثير وفي جنوبي بيت الفقيه وعلى بعد ست ساعات تقع مدينة ( زبيد ) تبيت في فم وادي زبيد ووسط سهل خصب كثير النخل ، وأحيطت بسور

مربع الشكل شيد من الآجر ، وفيه أبراج كثيرة وأربعة أبواب وفي داخلها قلعة بني فيها دار للحكومة وجامع باسم بانيه اسكندر باشا ، وفي البلدة جامع آخر كبير لمصطفى باشا النشار أحد ولاة الترك في اليمن وفي زبيد من السكان عشرون الفاً ، ودورها من الآجر أو العريش وفيها جوامع ومساجد ومدارس عديدة قال القلقشندي في صبح الاعشى زبيد مدينة مبنية في مستو من الارض ، على البحر على أقل من يوم وماؤها من الآبار وبها نخل كثير ، وبها يجتمع التجار من الحجاز ومصر والحبشة وهي شديدة الحر لا يبرد ماؤها ولا هواؤها وقد كانت مشتى ملوك اليمن بني الرسول كما ان تعز كانت مصيفهم اه وبعد ان كانت زبيد قاعدة تهائم اليمن حافلة بالملوك والامراء الذين سيأتي ذكرهم في بحث التاريخ وبالتجار والسمار وبدور العلم والعلماء واللغويين ومنهم الفيروز آبادي صاحب القاموس المحيط الذي حط رحاله في شيخوخته فيها ومات سنة ٨١٧ ه وصنف لبعض ملوك بني الرسول مؤلفات الكتب العديدة في التاريخ والادب والطب انحط شأنها بزوال دولة بني الرسول ، ولا سيما بعد خراب مباني عاصمتهم مخا وزوال السفن والتجار ، الى كانت الحديدة ، ولم يبق من مجد زبيد وعمرانها ولا سيما من دور علمها وعلمائها الا آثار وفي جنوب زبيد بلدة ( حيس ) فيها عدة مساجد ومطاحن ومصانع للنيلة ومصانع للاواني الخزفية وفي اقصى الجنوب مرفأ ( مخا ) التي كانت في العصور الوسطى مدينة كبيرة تعد اكبر موانئ اليمن بل كل جزيرة العرب ، تدخل مرفأها الاميين سفن الهند والحبشة والزنج وتصل اليها من اهل مصر والحجاز وغيرها ، ومنها البن والطيوب والاصباغ والمنسوجات والمصنوعات الدقيقة وكان فيها ٧ - ٨ آلاف دار ، وعشرات من الخانات والمستودعات ، لا تزال أطلالها باقية وكان ابن البطال البائع في لواء تعز واقصده تصدر منها وتعرفه الاوربع باسم ( مخا ) [illegible] وحالها هذا العهد الى ان في جانب البحر مرفأها بالرمال فانطمرت السفن الى [illegible] الحديدة [illegible] بعدها البحر [illegible] ١٢٩ ه حينما هاجمها المصريون [illegible] وخربوها ، وقد [illegible] بحاها البا [illegible]

ومثل ذلك [illegible] من مدن تهامة الجنوبية [illegible] التي [illegible] فمنها [illegible] اكثرها [illegible] غيرها [illegible] البلدان [illegible] حاذون والمدن [illegible] والمهري [illegible] غير [illegible] جغرافي العرب ، عدن ولحج [illegible] والزواع والشقاق [illegible] والحصيب [illegible] والمحمة والكدراء والمهجم [illegible] وغيرها [illegible] في كتابه ( احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ) عدن [illegible] بلد جليل عامر آهل حصين دهليز اليمن [illegible] وخزانة المغرب ومعدن التجارات كثير القصور مبارك على من دخله مثرلمن سكنه مساجد حسان و معائش واسعة ، قد أحاط به جبل [illegible] الى البحر ، دار خلف الجبل لسان من البحر فلا يدخل اليه الا ان يخاض ذلك اللسان فيصل الى الجبل وقد شق فيه طريق في الصخر عجيب وعليه

باب حديد ومدوا من نحو البحر حائطاً من الجبل الى الجبل فيه خمسة ابواب ، الاّ انها يابسة عابسة لا زرع ولا ضرع ولا شجر ولا ثمر ولا ماء ولا كلأ كثيرة الحريق والوكف

وقال ابن فضل الله العمري في مسالك الابصار لم تزل عدن بلد تجارة من زمن التبابعة والى زماننا ، عليها ترد المراكب الواصلة من الحجاز والسند والهند والصين والحبشة ويمتار اهل كل اقليم منها ما يحتاج اليه اقليمهم من البضائع الاّ ان المقيم بها يحتاج الى ما يبرد به في اليوم مرات من قوة الحر ولكنهم لا يبالون بكثرة الكلف ولا بسوء المقام لكثرة الاموال النامية اه

قلت ما برحت هذه الاوصاف جارية في عدن على ما رأيت الاّ ان حالها قد حسن في الجملة بعد ان احتلها الانكليز في سنة ١٢٥٤ هـ فجملت بالشوارع المستقيمة والمباني الجميلة والمتاجر الحافلة، والحدائق المغروسة ، والحصون والمنائر الظاهرة فوق الجبال السود المحيطة بها ، والماء المشروب الذي استحلبوه بعد الحرب العالمية من قرية الشيخ عثمان ، وهي اليوم من اهم نقط المواصلة بين الشرق والغرب ومن أحصن حصون البريطانيين ومركز أساطيلهم البحرية والجوية ومحطة عظيمة تمون منها البواخر بالفحم والنفط وما يلزم ، وصدر كبير تستمد منهُ بلاد العرب وافريقية الشرقية عامة واليمن خاصة كل ما يلزمها من السلع ، وفيها وكالات البواخر التي تغشاها بكثرة في غدوها ورواحها بين الغرب والشرق ويقدر سكانها بخمسين الفاً اكثرهم عرب مسلمون وبينهم الصومالي والهندي والفارسي والافرنجي وبجنبه عدن ( الصهاريج ) او اسداد الماء وهي من أجمل الاعمال الهندسية في العالم تسع ثمانين مليون جالون ماء وتاريخ انشائها مجهول ، يرجع الى قبل الميلاد بخمسة قرون او عشرة وكانت هذه الاسداد مردومة عند احتلال الانكليز لعدن ثم كشفت ورممت في سنة ١٢٧٢هـ وعدن في شبه جزيرة على ساحل البحر في دلتا وادي لحج وبعدها ينتهي مخلاف لحج ، كما ان هذا المخلاف منتهى اليمن في الجنوب ويقيم سلطان هذا المخلاف في بلدة اسمها « الحوطة » تبعد عن عدن نحو عشرين كلومتراً ، وفيها من السكان نحو عشرة آلاف ، وفيها قصور السلطان واخوته ومساجد كثيرة وسلطان لحج عبد الكريم فضل العبدلي واخوه الامير احمد قد اخذا بحظ وافر من الثقافة والحضارة المعهودين عند سلاطين وامراء هذه الجهات ، ولهما عناية بالعلم والادب والزرع والغرس زرت بستاناً كبيراً للسلطان في شمالي الحوطة فوجدتهُ يحتوي على كثير مما لم اسمع الاّ باسمه من اثمار البلاد الحارة التي جلبت اشجارها من الهند كالجوافه والعاط والسيفافل والزاماهل والنارجيل والتمر الهندي والشكو والبيدان والعساء والحالي والمانجو وغيرها ناهيك بأثمار البلاد المعتدلة والامير احمد مؤلف مطبوع في مصر سنة ١٣٥١هـ دعاه «هدية الزمن في اخبار ملوك لحج وعدن» فيه بحث وتحقيق جديران بالثناء والاعجاب، خاصة وقد انقطع التحبير والتحرير بين امراء اليمن منذ عهد بني الرسول اصحاب زبيد(٦٢٠ـ٨٥٨هـ)

# الى الثلاثين . . .

لسيد قطب

---

إلى الثلاثين نُضّي الركاب حثيثـــة يا ليال
مضى من العمر أحلى اللباب فلست آسى لغال
مضى من العمر ما يستطاب من بهجة أو جمال
مضى كما جاء — عهدُ الشباب عهد المنى والخيال
وضاع في غمرة واضطراب ومرّ دون احتفال
فأسرعي يا ليال

علام من بعده تمهلين؟ وأيّ عيش يهاب؟
وما احتفالي بمرّ السنين؟ من بعد مرّ الشباب؟
وما الذي يا ليالي يكون بعد اكتهال الرغاب؟
يكون — واحسرتاه — السكون على ضفاف اليباب؟
يكون — كالعبد — عقل رزين! يعنو لشرط الصواب!
فيا لسوء المآب

فذلك العقل رمز القيود ونحن شرُّ العُداه
يذودنا عن مراقي الخلود وخير ما في الحياه
والطيش رمز الشباب المريد يسمو بنا عن مداه
فنحن رهن لهذا الوجود هتة وانتســـاه
فلا نبالي بصرف الحدود ولا نخاف العداه
فكلّ يوم حياه

نضاعف اليوم من المصاب أن لم أعش بالخيالِ
قضيت — واحسرتاه — الشباب كالكهل في كل حال
يحثّ بالنفس سبل الرغاب فلا يمسّ اعتدالي
ووجهتي في الحياة الصواب ونظرتي للمآل!
عصيت أمر الحياة المجاب فكان رشدي ضلالي!
فأسرعي يا ليال

الحضارة الحثية

# نواحيها الصناعية والتجارية

بقلم قيصر صادر

عضو جمعية العاديات ، سورية

## التجارة

يؤخذ من مخطوطات الكبادوك ان الحثيين كانوا منذ اقدم عهودهم تجاراً من الطبقة الاولى وعلى اتصال وثيق بسائر امم الشرق يتاجرون معها بشتى الاصناف اهمها الاصواف والماشية والمعادن وكان عندهم بيوت مصارف تجارية لترويج معاملاتهم وتمويل منتوجاتها حاجاتهم وكانت تربط بلدهم الكبرى ببعض منها مثلاً من القصة وقد عثر لهم على عقود بيع وشراء وتسلف على بضائع وقروض بمقابل رهونات مدونة على الآجر واستدل من بعض النصوص على وجود محل في الحواضر الكبرى يدعى كاروم اشبه بالغرف التجارية المعروفة في ايامنا مهمته تعيين معدل فوائد القروض بين التجار وتعد المرجع الأعلى لحسم الخلافات التجارية وكانت معظم قيودهم تختم بالرصاص وتطبع بطابع الغرفة المذكورة تحاشياً من التلاعب والتزوير وكانت وعداتهم معينة بخمسة ايام عوض اسابيعنا الحالية فمثلاً في عقودهم انه اتفق على ايفاء القرض المذكور بعد مرور تسع خمسات اي بعد خمسة واربعين يوماً

وعندما تقدموا في مضمار الحضارة مهروا في تعدين المعادن وصناعتها وادرت تجارتها بدر عليهم ارباحاً طائلة وقد اهتموا بها حتى ملوكهم وأخذوا يطلبون الى فراعنة مصر ارسال سبائك ذهبية ليصوغوا لهم منها حلياً في معاملهم الملكية بمقابل اجر محسوب بأثمن احذق الصناعة ثم اهتموا في القرن الحادي عشر بصنع الاسلحة وسائر مستلزمات الحضارة من معدن الحديد الذي كانوا يستخرجونه بكثرة من مناجم آسيا الصغرى وجعلوا معامل هذه الصناعات ومحال الصناعة الكبرى ملكاً للدولة واخذوا يتاجرون بمصنوعاتها مع سائر امم الشرق وقد عثر العالم الاثري

المسيو بورو داكان في حفريات تل رسيف على رسالة لملك حثي جواباً الى ملك غير معروف يقول له فيها « لقد اوعزت الى معاملي بأن تصنع ما اوصيتم به من اصلح انواع الحديد فعندما يتم عمله سوف ارسله اليكم » وأصحب رسالته خنجراً من الحديد كنموذج وقد كشف التنقيب عن اشياء كثيرة من تلك المصنوعات كاطواق وآلات واسلحة واصنام وتماثيل وعائم مرصعة بالذهب

وقد كان الامن مستتباً على طرق مواصلاتهم التجارية والثقة موطدة فتقطع قوافلهم المسافات الشاسعة وتقضي فيها اياماً والياليَ من غير ان تخشى بأساً ولم تكن طرقهم مستقيمة على شاكلة الطرق الرومانية بل كثيرة الالتواء كشبكة تربط كل البلاد الحثية بعضها ببعض وتدلنا الآثار التي شادوها على قارعة هذه الطرق على اتساع حلقة تجارتهم وبعد مداها في غربي مملكتهم كما انهُ في الجهة الشرقية كانت كركميش مقدمهم على الفرات وعقدة مواصلاتهم مع بلاد ما بين النهرين

## الصناعات والفنون

لا غرو انهُ لا يمكن ان يبلغ شعب من الشعوب مستواهُ الراقي في الفنون والصناعات ما لم يجتز سلسلة من المراحل الابتدائية لذلك نشاهد في آثار الحثيين تفاوتاً في درجات رقي فنونهم وصناعاتهم يختلف باختلاف العهود التي ترتدُّ اليها فيجدر بنا والحالة هذه ان نقسم هذه الفنون والصناعات الى قسمين تطلق على الاول اسم الفن الحثي الأسيوي وعلى الآخر الفن الحثي السوري نظراً الى ما لكل من هذين القسمين من عهودٍ متفاوتة ومميزات خاصة فبينما يكاد يكون الاول مشبعاً من الفن السومري لكثرة وجوه المشابهة بينهما نرى على الثاني مسحة من الفن الاشوري تزداد بروزاً مع تقدّم عهود التاريخ حتى تمتد منهُ الى الصميم على أن هذه التأثيرات لم تحلْ دون تكوّن الفنون والصناعات الحثية وتطبع بطابع خاص جعلناه موضوع بحثنا في خطوطه العامة

﴿ فن العمارة ﴾ فاذا أخذنا فن العمارة وهو من أهم العوامل في درس مدنية الشعوب دلتنا الآثار الحثية الباقية على عبقرية الشعب الذي شيدها فقد امتازت عمائر الحثيين باستقامة خطوطها السادجة وصحابة قواعدها وتوسط ارتفاعها وتناسبه مع امتدادها وتجلت هذه الأوصاف خاصة في الآثار التي اكتشفت في بوغاز كوي وهويوك كما بدت على انقاض قلعة كركميش

ومن أروع تلك الأدلة على قولنا حصون خاتوشا وأبوابها الحجرية التي تنم بضخامتها وصلابتها على ما كانت عليه تلك العاصمة القديمة من القوّة والمناعة وقد قامت في وسطها قلعتان على ذرى رابيتين تحيط بهما أسوار عليطة يبلغ سمك جدرانها اربعة امتار ونصف متر وهي مبنية بأحجار كبيرة الحجم متراصة تخللها دعائم على مسافات متوازية تزيدها متانةً يمتد منها باب حجري مستطيل الى قباب طويلة مزخرفة الجدران برؤوس اسود بارزة كأنها قائمة على

حراسة الابواب ويخرج من هذه القناب الى فناء داخلي تتفرّع منهُ سائر المشتملات من أبهاء وغرف وهياكل

ومما اكتشف ايضاً في حفريات بوغاز كوي بقايا قصور يتيسر معرفة شكلها الهندسي بفضل بقاء جدران طبقتها الاولى فوجدت مبنيه بأحجار جسيمه الحجم يتألف داخلها من رواق طويل يؤدي الى فسحه مكسوة بالبلاط يتوسطها بناية كبيرة يلوح من زخارف ابوابها انها كانت معبداً في فناء القصر وتقوم في غرب هذه البنايه غرف كثيره تشرف على الفسحه المذكورة وبمتاز هذه الأبنيه الحثية بأسسها العميقة خلافاً للابنيه الاشوريه التي كانت تقوم على سطح الارض

فيستنتج مما تقدَّم ان الحثيين بالغوا في صلابة بناء عماراتهم الكبيرة التي كانت من الصخر الصلد وحاطوها بكل ضروب التحصين وجهدوا في أن تكون غاية في المناعه ويظهر انهم بذلوا معظم جهدهم في تشييد قصور الملوك ومعابد الآلهه توخياً لرضاء أربابها

﴿الحفر والنقش﴾ وقد اغرق الحثيون في الاستكثار من الحفر والنقش على آثارهم حتى انتشرت نقوشهم في جميع أنحاء الاناضول وسوريا الشمالية على ان فنها لم يكن متجانساً في كل الامكنه على السواء ففي ياز يلي قايه وبوغاز كوي القديمتين تراه أقل رقيًّا مما هو عليهِ في كركميش وزنجيرلي فبينما كان الحفار الحثي يقصر همه في البدء على اخراج نقوش بائنه احد بقى على مرور الايام يحب الاجسام والقربَ من تصوير الحقيقة ويجهد في محاكاتها فمهر في ضبط اعضاء الجسم وصار لهُ ميزه خاصه بأسلوبه ومبتكراته ثم نحا آخر نحو الرقة وكاد يضاهي في بعض الآثار نقوش المصريين الرائعه

وربما كان من اشهر خصائصه تصوير الحيوانات حيث توصل بها الى محاكاة الشبه بامانه تكاد لا تصدق فخص منها نقوش الأسود التي برع في تمثيلها واكثر من صفوفها على ابواب قلاعه وقصوره ومعابده فمنها بدو لك جالسه وقد بطحت ايديها الى الامام كأنها تعبه من طول السهر وقد بانت اعضاء جسمها كافه وكاد تعد اضلعها ومنها تراها منتصبه كأنها تتحفز للوثوب وقد فتحت اشداقها ازأرة ساع من هول مشهدها وهنالك نقوش كثيرة على جانب عظيم من المهاره تمثل كلاباً تطارد سرب غزلان ومشاهد قنص وصيد قلَّ مثلها في محاكاة الطبيعة مثل نقش هو يوك الذي ظهر فيهِ وعل يعدو هرباً من نشابة الصياد وقد اقام الحثيون تمثالاً لابي الهول المصري في عاصمتهم الاسويه وبقله المكتشفون الى متحف استامبول حيث نشاهد مرمماً من الكسر ذا جسم عتيّ ووجهٍ بشري هم كبير يحاول الانسام

اما سائر النقوش فقد تنوعت موضوعاتها الى حدّ لا يحصر وأُسيح لنا ان نتتبع مبدعيها في حفلاتهم وطقوسهم واعمالهم وفي كل امر من امورهم ففي بوغاز كوى عثر على قاعدتي تمثال من حجر

الحص مرسين ، موش يمثل في احداهما رجلاً ملتفاً برداء وفي الاخرى فاتحاً الرداء وهو واقف وقفه بعد وابتهال امام هيكل تشبه معبداً كثير النقوش اكتشف له مثال من الفخار في معابد اشوروسيين ان كثرة نقوشه تساعد في عرف الاشوريين على طهور ارواح الاجداد من بوابدها

وقد تعرفنا بفضل نقوش أخر تعطي صدوع احد ابواب مدينة حاتوشا الى ملك حارب حاق الذقن يكسوه قميص حريري مشدود تكاد تبرز من تحته عضلات صدره الواسع اما رأسه فمغطى بخوذةٍ مصوبة الشكل تحتذي موفقاً مكوف الاهف ويحمل في طيات حزامه العريض خنجراً معوجاً بقبضة مزخرفة وقد امسك بيده اليمنى المقربة من صدره فأساً ذا حدين اما يده اليسرى فيراها بطبعه القبضة دلالة على شدة بأسهِ وهو في وقفةٍ تخاله فيها يأهب للمشي

وهنالك نقش آخر يريا آلهة الداباب العروي ممثلاً بساعد العب وقد امسك بيد عموداً كبيراً وفي الاخرى حزمة من سنابل الحنطة كأنه يشير بها الى ملك واقف امامه وقفة الخشوع والاحترام

وفي يازيلي قايه صور اشكال من الطقوس نقشت على سلسلة من صخور حملة تسترعيك بها مشهد يمثل مواكب من الآلهة والملوك والملكات وقد وقفوا في صفين متقابلين تتقدمهما اله عظيم على رأسه تاج عال وقد امسك بيده اليمنى قبضة من الاسلحة وأشاح باليسرى الى الهة الشمس الواقفة قباله مما فسره العلماء بحفلة زواج احد الملوك وارتقائهِ الى مصاف الآلهة

وفي محلٍّ آخر نرى الهاً شاباً ممسكاً بيده اليمنى شارة الملك وقد لفّ الاخرى حول عنق اله اصغر رمزاً الى حمايته ويجدر بنا ان نشير ايضاً الى بعض آثار هويوك التي تمثل مشهد بطوابٍ كهنة بالمسهم الرسمية حول ذبيحة مقدمة على هيكل بحضور الملك والملكة وان نذكر مشهد آخر يمثل الآلهة قاعدة في مجلس طرب وقد التف حولها بالخمر الاداري ودارت الرودين ولا نرتاب الى ان نلمح في الختام الى المشاهد الطقسية العديدة التي وجدت في ادخلانا وكركميش وفي غيرها مما لا يعد ولا يحصى

﴿ صناعة المعادن ﴾ عرف الحثيون صناعة المعادن من اقدم عصورهم [illegible] البرحلة وأن اما دميرة كما الحوا الحديد وصنعوا منهُ الرقائق المصورة والتماثيل وحاولوا الحارسي بالنحاس وركبوا منه مرحجها الشبه وسكبوا منه آنية وكؤوساً ودمى طلوها بالذهب والفضة واذابوا الفضة [illegible] لتتم احلامهم وصهروا سائر المعادن واستخدموها في [illegible] تشهد لنا بذلك ما خلفوه من شتى الآثار التي وسموها بميسمهم الخاص ووكثر فيها تماثيل الآلهة المسطحة ظهور حيوانات ومعظمها سليم الذوق ودقيق الصنع

﴿ صناعة الفخار والخزف ﴾ وقد اتقنوا كذلك صناعة الفخار والخزف وتفننوا في منتجاتها

فامتازت مصنوعاتهم باناقة اشكالها وزخرفتها وجمال الوانها ولاسيما الآنية المكتشفة منها في انحاء سوريا الشمالية حيث تطورت اشكالها العتيقة المتدلية واحدث ضرب من اشكال الآنية المعدنية فبسطت اعناقها وصار بعضها نظيفاً والبعض الآخر معقفاً وكان الاحمر لونها الغالب الأعم وسموا معظمها بفارع هندسية وغصون اشجار ملونة كادت تضيع لونها الاصلي ثم احدثوا يكسونها باشكال بعض حيوانات مثل السمك والبط والسلاحف وما شاكلها ويطلونها بالميناء اللامعة فصارت في منتهى الزخرفة كما دلت على ذلك مجموعة آنية بل برسف المحفوظة في متحف حلب وقد شبه العالم الاثري بوتيه بعضها بالخزف العلامي الجميل المكتشف في ايران

﴿الحفر على الاسطوانات﴾ ومما برع الحثيون في صناعة الحفر على الاسطوانات فقد عثر لهم على اختام ترتد الى القرن الخامس عشر ق م على جانب عظيم من دقة الصنع كثيرة الزخرف وقد حفر على بعضها صور آلهة حثية عارية مثل آلهة الخصب وقد نقشت حولها احرف هيروغليفية حثية كما اكتشف في قبور كركميش اسطوانات حثية الفن ولكنها مشبعة بروح اجنبية حيث ترى بعضها مزداناً بنقوش آشورية واخرى بتعاويذ مصرية وتصاوير آلهة وادي النيل، وقد برهنت هذه الآثار على مدى تأثر الحثيين في الامم التي اتصلوا بها

وقد بقي علينا ان نلم الماماً خفيفاً اذا تعاضينا عن ذكر مدى انتشار الفنون الحثية في سائر الاقطار الشرقية وتأثيرها في الحضارات التي ازدهرت من بعدها فأبيداً لانتشارها بذكر الصنم الحثي الذي عثر عليه في حفريات تابل بين آثار القرن الثاني عشر ق م وهو تمثال الاله تحشوب بقميصه القصير وسيفه المعوج في حصره وحذائه المعكوف الطرف ولحيته الكثة وشعره المسرّح وقد لبس على رأسه تاجاً تعلوه قرنان وأمسك بيده فأساً مهدداً بالبطش والانتقام

كما ان تأثير الفنون الحثية في سائر الفنون القديمة يبدو في كثير من الامور أخصها قواعد الاعمدة الوثابة المزدانة بنقوش وتماثيل حيوانات معروفة نكونها من مبتكرات آسيا الصغرى وفي جودة الحفر اليوناني وسائر الفنون التي تماثل ألسنة الحدود المنقوشة على آثار زنجيرلي وفي تماثيل الآلهة المنتصبة على ظهر حيوانات وفي غيرها من الاساطير الدينية وبعض الصناعات التي انتشرت من الحثيين الى بحر إيجه فاليونان

وصفوة القول ان اكتشاف الحضارة الحثية قد أبان مصادر كثير من الفنون القديمة وأظهر الأواصر المتينة المتوثقة بين الاقطار الشرقية منذ أقدم الازمنة وأوضح فصل هذه الدولة العريقة التي اذكت شعلة المدنية قبل اربعة آلاف سنة وحملت نبراسها احقاباً طويلة في أحلك ظلمات القرون السحيقة

# نفسية الجماهير

لطفي حلمي

اذا اجتمع نفرٌ من الناس لسماع محاضرة أو مشاهدة قصة تمثيلية فانا نتبين نوعاً من الشعور قد سرى الى عقول هؤلاء الناس جميعهم وان لم يكن على درجة واحدة في كل واحد منهم ومصدر هذا الشعور هو الممثل أو الخطيب ومنهُ ينتقل الى جمهور الحاضرين ولكن هذا الشعور ليس بالعميق الراسخ فسرعان ما يتبدّد ويتلاشى في مشاغل الانسان الكثيرة وكلما كان الأفراد مهيئين لمثل هذه الإيحاءات كان الامتزاج في عاطفة الجمهور أقوى وأكمل وكان تأثيرها أشد وأبرز والواقع ان الاستعداد لقبول هذه الإيحاءات يختلف باختلاف الأفراد وهو في الاطفال والنساء أظهر منهُ في الرجال وفي بعض الشعوب أقوى منهُ في غيرها وعلى هذا نجد عقل الجماعة مسرحاً لشتى الإيحاءات لا تكاد تظهر سلسلة حتى تعقبها سلسلة أخرى تجرفها في طريقها وتنزع منها مكانها ولا تتوقف دوام أثر هذه الايحاءات على كيفية انتشارها بأسهل الطرق ولكن على مقدار ما فيها من صلابة وحياة في العاطفة لأن هذه الحدة في العاطفة التي تصحب الآراء عادة هي التي تعمل على تثبيتها وتغلغلها في عقول الأفراد وبهذه الطريقة تسعى كل حزب الى كسب أنصاره بواسطة الجمل الساحرة والكلمات الخلابة التي يوهمها هؤلاء الأنصار أنها تحقق رغباتهم لان الأفراد يشعرون دائماً بوجود امتيازات خاصة مشتركة بين الجميع ومن أجل ذلك يجتمعون لا عادة أنهم يشعرون مجتمعين أكثر مما يشعرون متفرقين وعلى هذا تقوى بينهم شعور الزمالة كلما استهدفوا لخطر ويكافحون جميعاً على درئه فالخوف شعور وجداني لهُ فوائده العظيمة في الجمع بين الأفراد وفي تكوين الجماعات وبمقدار بقاء هذا الخوف يكون مقدار اتحاد هذه الجماعات والتئام صفوفها

ولم تغفل قادة الشعوب عن هذه الظاهرة السيكولوجية في الجماهير فعملوا جهدهم على استغلالها والانتفاع بها فاذا نجح القائد مرّة في ادخال الخوف في قلب الجمهور من أجل خطر — وهمي أو حقيقي — لم يصعب عليهِ بعد ذلك ان يقبض على زمام هذا الجمهور وأن يوجههُ كيفما يشاء هذا ما نراهُ في جميع الشعوب فقبل ان تندلع نيران الحرب يكون الرأي العام قد تهيأ لها عن

طريق الصحف والخطباء الذين لا يهدأون يدخلون الرعب في قلوب الناس بما يذيعونه عن زيادة تسلح احدى الدول المعادية لذلك كان أول واجبات الزعيم الشعبي أن يبث الخوف والكراهية وعدم الثقة في نفوس الناس لقد كشف جوستاف لوبون عن تلك العاطفة - الخوف — التي تحتل المكان الاول في أعمال الانسان فقال « ان روح الجماعة عاجزة عن أي نشاط ذهني وهي بين الاقدام والاحجام وبين هذين القطبين تتذبذب روح الجمهور وهي قد تدنو وتنأى تبعاً لشعور العطف أو الكراهية »

فاذا أدرك الزعيم رغبات شعبه وعمل على تجميعها استطاع أن يبعث فيه روحاً قوية قد تدفعهُ الى التضحية ويكفي ان تذكره بهذه الكلمات الشرف — الدين — الوطن فيثير فيه أهواءه الدفينة وميوله القوية وسلوك الجماعة يعتمد قبل كل شيء على سلوك الأفراد الذين تتألف منهم هذه الجماعة وتصرف الفرد يخضع للجنس والسن والبيئة ولكنهُ يعتمد في النهاية على السلالة أو بوجه عام على العوامل الوراثية وما دام الأمر كذلك فقد كان المنتظر ان يختلف سلوك الجماعات الفردية النزعة Individualistic Masses عن سلوك الجماعات الاجتماعية النزعة Collectivistic masses

وسنرى هل هذا صحيح أو غير صحيح واذا شبهنا المجتمع الانساني بجهاز عضوي ونظرنا اليهِ من الوجهة البيولوجية أمكننا أن نعرف على طبيعة الجماعة ونفسيتها وما ينتج عنها من تصرفات وكما يختلف الافراد في التكوين الجسمي كذلك الحال في الجماعات ففي الانسان نجد كل خلية تكتسب عناصر الوراثة من كلا الوالدين ، ونشاط الخلية تتأثر دائماً بالعناصر التي ورثتها كذلك الحال في الجماعة فان تكوين الكتلة البشرية يخضع دائماً لتصرفات الفرد وعلى ذلك نجد أن هناك شبهاً قويًّا بل تطابقاً محكماً بين خلايا الانسان الواحد وبين الناس في المجتمع

هذا من الناحية البيولوجية أما اذا نظرنا الى المجتمع من الناحية النفسية — السكولوجية — فانا لا نجد اختلافاً كبيراً بين الانسان والجماعة الاَّ أن الخلايا في الانسان أسرع اتصالاً بعضها ببعض من اندماج الافراد في الجماعة ففي الاول رباط مادي لا نجد مثله في الآخر ولكن هذا الرباط يستبدل في الكتلة البشرية بما نسمى انفعال المشاعر أو الايحاء

ولست أميل هنا الى الدخول في موضوع غامض بالبحث في طبيعة انفعال هذا الشعور فقد تكون الحركات المتوافقة للخلايا ناتجة من انفعال نوع من أنواع الشعور ومهما يكن فان في الجماعات البشرية دوافع قوية متصلة تنتقل من فرد الى آخر كتلك التي نجدها في خلايا الجسم البشري وكما يحدث ان الخلايا التي في الانسان تؤثر في حركات غيرها كذلك الحال في الكتل البشرية فانا نجد صدى التأثير هو الذي ينتقل من شخص الى آخر ويمكننا أن نستنتج من هذا ان حالة التأثير في الجماعة هي مجموع تأثير الافراد غير أن السلالة والسن والجنس والنمو في الافراد وغيرها من مؤثرات البيئة تجعل « التفاعل » في الجماعة غيره في الافراد إذ أننا نجد في الجماعة كما في حياة الافراد العملية دوافع شتى تتصارع وتتناضل هذه الدوافع هي التي تتسلط

على حركات الجماعات كما تسلط على حركات الافراد وهي دوافع غريزية خالصة

ولكن هذه الدوافع وحدها لا تكفي لتكوين كتلة نفسية متماسكة تحيا حياة اجتماعية متماثلة اذ لا بد أن تكون بين الافراد شيء من التجانس العقلي. دع رجلا يقوم بين مائة من الناس يعنى على الامة ضعفها وهككها فسرعان ما يلتف حوله هؤلاء المائة ولكن اذا كان هؤلاء المائة من أجناس وشعوب مختلفة فانهم سرعان ما ينصرفون عن الخطيب لان كلامه لا يعنيهم في قليل أو كثير

وعلى ذلك يجب أن يكون هناك بعض التشابه في التكوين العقلي أو ما يسمى بالتجانس العقلي في الجماعة وكلما زادت درجة التجانس في الكتلة البشرية كان التكوين النفسي للجماعة أيسر وكانت مظاهر الحياة الاجتماعية فيها أظهر وأوضح

فاذا أصبح لجماعة متجانسة شخص يثير فيها الحماسة والعمل فان شعور هذه الجماعة لا يلبث ان يتحد وقد يمر بعقل كل واحد منهم في تلك اللحظة كل العمليات العقلية التي شاعت في ذلك الجو الجديد ويصبح من السهل اقناعهم وتوجيههم الى حيث يريد الزعيم بل قد يكون اقناعهم أسهل من اقناع الفرد لأن أعمال كل عضو في الجماعة غير أعمال الشخص الذي يواجه الموقف كفرد مستقل. فالفرد في الجماعة لا همَّ له إلا أن يجد قوة الجماعة ولكن الجماعة لن تحاول أن تبقي على كيانه أو أن تحافظ على حريته فهو في هذه الحالة يصبح فرداً في الجماعة يفقد فيها شعوره الشخصي وادراكه لذاته كشخصية تميزه . وعلاوة على ذلك فانهُ باندماجه في الجماعة يفقد كثيراً من المسئولية الشخصية إذ يشعر أن مشاعر غريبة قد غمرتهُ وقوى أخرى خارجية قد جرفتهُ في هذا الطريق الجديد وهو عاجز عن أن يقف أمام تيارها لذلك يكون من اليسير جدًّا على الزعيم أن يتلاعب بتلك الجماهير التي أسلمتهُ قيادها يوجهها كيفما يشاء فهي تسير وراءه بعاطفتها لا بعقلها تسمع كلماته فتفتح لها قلوبها وترى اشاراته فتسارع الى الاستجابة لها فتندفع في فورة العاطفة وحرارة التأثر فترتكب من أعمال الطيش والتدمير ما يثير عجب جميع الناس الذين لم تمسهم نيران الثورة ولم تستجب قلوبهم لنداء العصيان ولكن ليس لنا أن نعجب لأمر هذه الجماهير التي طاشت أو لتلك العقول التي ضلت فان هذه الظاهرة النفسية وان بدت لنا غريبة شاذة هي نتيجة طبيعية لتلك الثورة الجامحة فاذا وقفنا على الصفات النفسية للجمهور ما هالنا أمره. فالجمهور ساذج عاطفي الى حدٍ كبير ، كثير الاندفاع قليل الثبات ، متطرف في كل شيء قابل للايحاء ، مستهتر في تحكمه ، متسرع في حكمه فهو شبيه بالطفل المتروك أو الهمجي غير المكبوح وقد يكون في بعض الحالات أقرب الى الوحش الضاري منهُ الى الانسان العادي اذا فهمنا هذه الحقائق الأولية في نظريات نفسية الجماعات ما رمينا الجماهير الساذجة التي تفقد عقلها في الازمات النفسية العنيفة بالانحطاط الخلقي والثقافي ووقفنا على تلك الحقيقة المهمة وهي ان الجمهور لا يصحبه اي شيء من الشعور الخلقي والعقلي الذي يصحب أعمال الافراد الذين يكونونها

وقد يخطىء كثير من الناس فيعزون أعمال التلف والتخريب الى الرعاع المستهترين والواقع أن جميع الافراد سواء المهذب المثقف أو السوقي الأمي تكونون في حالة عقلية واحدة في تلك الثورات النفسية الشاذة اذ الكل يتبع نداء الغريزة ، ويندفع بتأثير الايحاء

لقد فهم شكسبير عقلية الجماهير فهماً دقيقاً فلا تخلو قصة من قصصه التمثيلية الكثيرة من الاشارة اليها والتعرض لها وأقوى مثال على هذا ما جاء في مسرحيته الرائعة « يوليوس قيصر » من موقف الشعب الروماني بعد قتل قيصر فقد نجح بروتس زعيم المتآمرين في اقناع الشعب بضرورة قتل قيصر لانقاذ روما حتى أن الشعب اعتبر القتلة أبطالاً جديرين بالخلود فلما جاء « مارك انطوني » وجد نفوساً خاضعة لقيصر وأتباعه فلم يشأ أن يهاجم القتلة أو أن يسيء الى قصدهم بل عمد الى استمالة الجمهور اليه بأن حدثهُ عن أعمال قيصر وكيف ان قيصر قد بنى لهم مجداً خالداً وشاد لهم امبراطورية عظيمة دون أن يكسب لنفسه شيئاً

وسرعان ما انقلب ذلك الجمهور الحانق الساخط على قيصر واتباعه الى جمهور ثائر على القتلة المجرمين فاندفع في فورة العاطفة يطالب بدم قيصر البريء وهنا يورد شكسبير حادثة طريفة قد تكون حقيقة تاريخية ثابتة وقد لا تكون ولكنها على اى الحالات حادثة يمكن ان يقدم عليها جمهور في مثل تلك الثورة الجامحة والهياج العاطفي العنيف خرج الشعب الروماني جموعاً مندفعة تبحث عن القتلة فصادف في طريقهِ رجلاً فسأله عن اسمه فأجاب الرجل « سنّا » فلم يكد الجمهور الثائر يسمع هذا الاسم حتى انقض على الرجل يريد الفتك به لانه كان يبحث عن احد الاشخاص المتآمرين يدعى « سنا » وعبثاً حاول ذلك المسكين ان يقنع الجمهور انهُ « سنا » الشاعر لا سنا « المتآمر » هذه الحادثة البسيطة وان لم تكن حقيقة تاريخية ترسم صورة واضحة لنفسية الشعب الثائر الذي لا يعرف الاّ الانتقام والتدمير سواء كان هذا التدمير يتصل بالسبب الحقيقي الذي من أجله يثور أو لا يتصل وتعليل هذا أمر يسير فالجمهور في حالة هياجه كالفرد في ثورة غضبه وكما ان الفرد يخرج بهِ الغضب أحياناً عن دائرة التعقل فيتلف ويدمر كل ما يلقاه أمامه وقد يكون بعض نفسه ان أعوزه ذلك كذلك الجمهور تدفعه حنقه وجنونه الى قلب كل ما يراهُ أمامه وهذه ظاهرة نفسية طبيعية فهو في تلك الحالة ثائر مضطرب فيريد ان يرى كل شيء حولهُ ثائراً مضطرباً أي انهُ يريد أن ينفّس عن نفسه بخلق الجو الملائم لطبيعته الثائرة ومن الخطل ان نأخذ مثل هذا الجمهور بالشدة والعنف فانما ان فعلنا ذلك نريد النار اشتعالاً وكم من شخصيات عظيمة ذهبت ضحية الثوران الجامحة لأنها لم تفهم نفسيات الجماهير وما اكثر الذين كان يرجى منهم مستقبل عظيم تخرّفهم الجمهور في طريقه لانهم تصدوا لهُ

والواقف على تاريخ قادة الشعوب يدرك تماماً أن هؤلاء القادة لم تكونوا اذكى الناس أو اكفأهم ولكنهم كانوا أجرأهم وأكثرهم صبراً وأعرفهم بنفسية شعوبهم

# الرتب العسكرية

## في مصر والعراق

للدكتور امين المعلوف

كثر البحث في هذه الأيام في توحيد الرتب العسكرية في اللغة العربية فرأيت ان اكتب شيئاً عما أعرفهُ عن الرتب العسكرية في العراق وقد كانت في أيامي كما يأتي من أدناها الى أعلاها وسأذكر الاسماء المصرية ثم العراقية ثم الانكليزية والفرنسية

| الرتبة المصرية | الرتبة العراقية | الرتبة الانكليزية | الرتبة الفرنسية |
|---|---|---|---|
| نفر | جندي | Private | Simple soldat |
| وكيل أوباشي | جندي اول | Lance corporal | — |
| اوباشي | نائب عريف | Corporal | Caporal |
| جاويش | عريف | Sergeant | Sergent |
| باشجاويش | رأس العرفاء | Sergeant major | — |
| صول | نائب ضابط | Warrant officer | — |

هؤلاء الارتبة يقال لهم في مصر صف الضباط وفي العراق ضباط الصف ثم الضباط وهم من ملازم ثانٍ الى مشير فجميعهم ضباط

| الرتبة المصرية | الرتبة العراقية | الرتبة الانكليزية | الرتبة الفرنسية |
|---|---|---|---|
| ملازم ثانٍ | ملازم ثان | Second Lieutenant | Lieutenant |
| ملازم أول | ملازم أول | First Lieutenant | |
| يوزباشي | رئيس | Captain | Capitaine |
| صاغ | رئيس اول | Second Captain | |

هؤلاء الاربعة يقال لهم ضباط اعوان والواحد عون

| الرتبة المصرية | الرتبة العراقية | الرتبة الانكليزية | الرتبة الفرنسية |
|---|---|---|---|
| بكباشي | مقدم | Major | Commandant |
| قائمقام | عقيد | Lieut. Colonel | — |
| ميرالاي | زعيم | Colonel | Colonel |

هؤلاء الثلاثة يقال لهم في مصر ضباط عظام وفي العراق قادة والواحد قائد

| | | | |
|---|---|---|---|
| لواء | امير لواء | Brigadier general | General de brigade |
| فريق | فريق | Major General | General de Division |
| — | عميد | Full General | General d'une armée |
| مشير | مشير | Field Marshal | Marechal |

وأحياناً يسمى المشير في العراق العميد هؤلاء الاربعة يسمون في مصر صاغ كرام وفي العراق أمراء فيقال تحية الامراء اذا كان لهم تحية خاصة

ثم ان الرتب العسكرية العراقية وضعت اولاً في الحجاز ثم عدّلت في دمشق ثم في العراق عدلها الفريق جعفر باشا العسكري وكان وزيراً للدفاع وعاونهُ في بعضها وكان رحمه الله يتقن لغات كثيرة فمن اللغات الشرقية العربية والتركية والكردية والفارسية والافغانية وقليلاً من الروسية ومن اللغات الأوربية الفرنسية والالمانية وتعلم أخيراً الانكليزية وأتقنها قلت انهُ عدل الرتب العسكرية في العراق وقد اقترحت عليه يوماً كلمة عميد للكولونل لان كلمة كولونل أصلها من كلمة عمود فلما عرضها على جلالة الملك قال العميد كثيرة للكولونل أي الزعيم فاجعلها لأكبر رتبة في الجيش وهكذا كان أما العقيد فكلمة شائعة في الشام والعراق يقولونها لزعيم القوم في يوم القتال وأظن أصلها من «عقد لهُ لواء» وأما المقدم فرتبة كبيرة كانت في زمن المماليك ثم في لبنان وهم يطلقونها على من هو دون الامير ولعلّ بعض اخواننا المصريين لا يروقهم لان المقدَّم عندهم هو رئيس الفعلة او العمال ولكن المقدَم كانت ولا تزال عند العرب رتبة كبيرة ولعلَّ بعضهم يفضلون ترجمة الكلمة الفرنسية وهي القائد ولكن القائد لا تصلح لها فقد يكون القائد ملازماً او يوزباشيًا او أمير لواء بقيت مسألة أخرى وهي الخوف من استعمال الافرنج للرتب العسكرية بلفظها العربي وكتابتها بحروف لاتينية كما يستعملون في أيامنا الكلمات الآتية وهي

Ferik, Lewa, Miralai, Binbashi, Yousbashi

كأن هذه الرتب حصصت لنا نحن المشارقة قلت لو عرفنا كيف نحفظ كرامتنا وترجمنا هذه الكلمات لما وقع ذلك او لو انا اسمعنا نحن انفسنا عن كتابتها بحروف لاتينية ولو ان الكاشي او الميرالاي او اللواء عند ما يكتب اسمه بالافرنجية على بطاقته يكتب Major أو Colonel أو General لما حصل ذلك او لو سألني واحد ما هي رتبتك في الجيش وكان كلامهُ معي بالانكليزية فقلت مثلاً أنا Captain فقال هذه الرتبة ليست عندكم بل عند الانكليز والفرنسيين لقلت لهُ ماذا كانت رتبة ابراهيم باشا الكبير وماذا رأيك في قيادته لأجاب He was a great General وهل الرتب العسكرية ملكاً لكم وعندي ان أحسن وسيلة لالغاء ذلك ان تصدر البرلمان قراراً ويترجم هذه الرتب بالانكليزية والفرنسية وينشر قراره بصفة رسمية فلا تعود الجرائد الفرنسية والانكليزية تكتب اسم الفريق فلان باشا Ferik so & so ولكن General so & so والمسألة بسيطة جداً اني لا أحب التعرض للسياسة ولن أفعل ولكن لا أرى وسيلة لحفظ كرامتنا في هذا الصدد الا هذه

# سير الزمان

---

## المستعمرات

من الناحية الاقتصادية

---

## لواء الاسكندرونة

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

# المستعمرات

## من الناحية الاقتصادية

## ١ — للدكتور شاخت
### في مجلة « الشؤون الخارجية »

ان بلدان اوربا الشرقية بلدان زراعة على العالب ، فالسوق الالمانية في نظرها لها المقام الاول ذلك ان المانيا تستورد الآن ١٤ في المائة من صادرات بولونيا ، و٦ في المائة من صادرات تشكوسلوفاكيا و١٧ في المائة من صادرات النمسا و ٣ في المائة من صادرات المجر و٢٩ في المائة من صادرات بلغاريا و ٢ في المائة من صادرات رومانيا و٣٦ في المائة من صادرات يوغوسلافيا و٤٥ في المائة من صادرات اليونان و٦٤ في المائة من صادرات تركيا وزوال السوق الالمانية يفضي الى أسوإ الآثار في حياة هذه البلدان الاقتصادية والاجتماعية ثم ان السوق الالمانية لا تقل شأناً عما تقدم في نظر البلدان السكندينافية فالرخاء في اوربا لا يمكن ان يقوم الا على أساس من الرخاء في المانيا

في عصر الإقبال الذي كان يسود الامم قبل الحرب الكبرى لم يكن لموضوع المستعمرات والمواد الخام . الشأن الذي له الآن وهذا القول يصدق على المانيا صدقه على غيرها وقد بلغت اموال المانيا المستثمرة في الخارج قبل الحرب ٢٤ بليون مارك وكانت تجني منها الفوائد التي تحتاج اليها من هذا المال في شراء المواد الخام التي تحتاج اليها حيث تشاء وكانت الاسواق التي تباع فيها هذه المواد حرّة مطلقة من القيود وكان من النادر ان ترى موارد المواد الخام خاضعة لاحتكار فعلي تمارسه شركات دولية ضخمة قوية وكانت المعاهدات التجارية المعقودة الآجال تضمن حرية التجارة الدولية وكان قد جرى الامم الكبيرة على اساس الذهب وكان الذهب قاعدة صالحة للتبادل وكانت ابوابها حرة الى البلدان الجديدة ومنها مطلقة من القيود ، وينظر اليها بعين العطف والتشجيع

جميع هذه القواعد الاولية والاساسية في التجارة الدولية والمعاملة بين الامم قد زالت فالقيود قد فرضت على الهجرة ، والذهب قد حذف من سفر النقد في معظم البلدان ، والمعاهدات التجارية تعقد لمدى قصير ، والحواجز والحصص وما اليها تثقل التجارة الدولية وتقف سدوداً في وجه تيارها وعلاوة على ذلك لقد احد من المانيا المال الذي كان مثمراً لها في الخارج

والبلدان التي فيها موارد المواد الخام خاصة كالتجارة لعقود دقيقة وقد رأينا نتيجة هذه الخطة في السنوات الاخيرة فقد نقصت تجارة العالم الى نحو ثلث ما كانت عليهِ وضعفت الثقة الدولية حتى كادت تزول ، وتحطم نظام الاعتماد المالي الدولي لانهُ قائم على الثقة

فلما ضعفت التجارة الدولية ونقص مقدارها ، عمدت البلدان الكبيرة الى استغلال موارد الثروة التي فيها ، وكثيراً ما نرى المانيا من هذه الناحية بالانطواء على نفسها ولكن الذين يرون المانيا تدلك ينسون ان فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة الاميركية وروسيا سبقتها الى ذلك فالاكتفاء الذاتي (autarchy) في ميدان الاقتصاد تمَّ من تلقاء نفسهِ ، في البلدان التي تحوي على مصادر لمعظم المواد الخام التي تحتاج اليها الصناعة ، والتي تتمتع بنظام نقدي واحد يسهل التعامل والتبادل بين اجزائها فخفض قيمة الجنيه ما كان ليسفر عن النجاح الذي أسفر عنهُ ، لو لم تقف بلدان الدومنيون في ذلك اثر انكلترا وفرنسا لولا تطبيق نظام نقدي واحد عليها وعلى مستعمراتها ، لما استطاعت ان تجني من هذه المستعمرات اكبر قدرٍ من الفائدة

ولئلاَّ يتهم الدكتور شاخت بالقاء الكلام على عواهنهِ بقولهِ ان الامبراطورية البريطانية والامبراطورية الفرنسية سارتا في طريق الاكتفاء الذاتي (اوتاركي) أورد أرقاماً آتى بها ان نصيب بلدان الدومنيون والمستعمرات والمحميات من صادرات بريطانيا العظمى في الاعوام الاخيرة السنة الاخيرة زاد من ٤١ في المائة الى ٤٩ في المائة وزاد نصيب بريطانيا مما تستوردهُ منها من ٣١ الى ٤٢ في المائة وزاد ما تستوردهُ فرنسا من مستعمراتها في العشر السنوات الاخيرة من ١ في المائة الى ٢٦ في المائة وزادت صادرات فرنسا الى مستعمراتها من ١٤ في المائة الى ٣٢ في المائة اما الولايات المتحدة الاميركية وروسيا فاتساع مساحتيهما وغنى اراضيهما بالموارد الاقتصادية الخام يجعلانهما في غنى تقريباً عن التجارة الدولية

يقابل هذه الدول الاربع ، دول كثيرة السكان محدودة الاراضي والتي كانت اراضيها لا تنطوي الاَّ على موارد [illegible] للمواد التي تحتاج اليها ، فهي شديدة الاعتماد على البلدان الاخرى في الحصول على معظم ما تحتاج اليهِ

وكان رجال السياسة اكتشفوا مؤخراً فقط ان الامبراطورية البريطانية [illegible] على سطح الكرة الارضية ، [illegible] نصف محصول العالم من الصوف والمطاط ، وربع [illegible] من الفحم ، وثلث محصولهِ من النحاس وكلَّ محصولهِ تقريباً من القصدير [illegible] مجلس اللوردات من عهد قريب ظهر منهُ ان الامبراطورية البريطانية ، غنية بالمواد [illegible] مادة من خمس وعشرين مادة لازمة للأمم الصناعية الكبيرة ، وان محصولها من مادتين أخريين لا بأس بهِ ، وانها في حاجة الى استيراد ما تستهلكهُ من خمس مواد اخرى فقط

ومعنى هذا ان المانيا تستورد بأربع من هذه المواد فقط، وينقصها مادتين أخريين لا بأس بهما وانها تعتمد على الاستيراد في ما تحتاج اليه من بقية المواد وهي سبع عشرة مادة. قال الخطيب في مجلس اللوردات: وانما نحن والحالة هذه نرى ان المانيا واليابان وايطاليا قلقاً نعم ان بريطانيا من اكثر الامم تعلقاً باهداب السلام ولكن الباعث على ذلك انها تملك كل ما تحتاج اليه. ومما يستوقف النظر بوجه خاص في كلام هذا الخطيب انه بين حب السلام والسيطرة على موارد المواد الخام من صلة. وقد كان على حق عندما قال ان الامة المسيطرة الصلة بموارد المواد الضرورية مصدر من مصادر القلق في العالم.

الا ان حالة المانيا تختلف عن حالة اليابان او حالة ايطاليا. وعلى الرغم من حاجة الامم اكتسحت اليابان منشوريا وفتحت ايطاليا بلاد الحبشة الا انه لا يزال في الامكان ان نقول ان اليابان وايطاليا من صف الامم التي تملك مواردها الى حد الامم الراضية بما تملك اما المانيا وهي الدولة الكبيرة الوحيدة التي لا تزال غير راضية عن حالها ولذلك ستبقى المانيا على الرغم من حبها للسلام مصدراً من مصادر القلق العالمي ما دامت محرومة من المستعمرات وموارد المواد الخام من دون حل فرصها

وفي سنة ١٩٢٩ عندما كانت الدول لا تزال سخية في منح الاعتمادات المالية لالمانيا وعقد القروض، وعندما كان الذهب لا يزال قاعدة للمعاملات التجارية الدولية، انفقت المانيا في استيراد ما تحتاج اليه من ١٤٦٠ مليون جنيه منها ٨٨ مليون جنيه انفقت في استيراد مواد الغذاء والمواد الخام وبضائع غير تامة الصنع. ولكن مبلغ وارداتها هبط في سنة ١٩٣٥ الى ٣٣٦ مليون جنيه منها ١٨٠ مليون جنيه في استيراد مواد الغذاء والمواد الخام وبضائع غير تامة الصنع. وهذا يدل على ان التدهور الذي قد نزل بالمانيا الصناعي. فقد انفقت المانيا في سنة ١٩٣٥ مبلغ ١٦٠ مليون جنيه في شراء المواد الخام وبضائع غير تامة الصنع، وهو اقل حداً مما تحتاج اليه صناعتها للمحافظة على مستوى معيشة شعبها. فالعجز الورقي الذي اتاح لها ان تحرر مشروع دوز عندما انهالت الاموال على المانيا من الخارج، قد تحول الى الواقع عندما امسك المتمولون ايديهم. وبهذا فقد السحر به اذاً قول من يقول ان المانيا تستطيع ان تبتاع كل ما تحتاج اليه من دون ان يكون لها مستعمرات. انها لا تستطيع ذلك لانها لا تملك من المال خارج بلادها ما يكفيها لذلك وهي لا تملك هذا المال لان الدول الاخرى لا تستهلك من مصنوعاتها الا قدراً يسيراً

وفي هذه الحالة، يزول العجب الذي يستولي على الكتاب ورجال السياسة، عندما يقرأون ان المانيا تحاول ان تصنع المواد الخام التي تحتاج اليها في بلادها بوسائل صناعية. اما نعلم انه اذا اصبنا النجاح في صنع بعض المواد التي نستعيض بها المواد التي كنا نستوردها، فذلك يكلفنا كثيراً

وادن لا بدّ من ان الانصراف عن مبدإ الاكتفاء الذاتي لانهُ يفضي الى انخفاض في مستوى المعيشة في بلادنا ولكننا لسنا مخيَّرين في ذلك ، ما زالت الاحوال السياسية تحول دون نشاطنا الاستعماري ولن يستتب السلام في اوربا حتى تحل هذه المشكلة

ولا يسعني في هذا المقام الآن اقول ان مبدأ الاكتفاء الذاتي لا يصح ان يكون هدفاً تحدى اليه الركائب انهُ مناقض لقواعد الحضارة فالاكتفاء الذاتي يعني العزلة والنقص في التعامل الاقتصادي يفضي الى نقص في التعامل الذهني وكذلك تندثر وسائل التبادل العلمي والفني والثقافي فالحياة الاقتصادية القائمة على مبدإ الاكتفاء الذاتي تفضي الى اكتفاء ذاتي في الحياة العقلية والعالم لا يرقى الا بالتبادل

***

وهناك فريق من الكتاب والمفكرين يذهب الى ان العودة الى التبادل الاقتصادي الحر يزيد حظ المانيا منهُ ويصبح كذلك قادرة على شراء ما تحتاج اليهِ من المواد الخام وسبيلهم الى هذه العودة خفض الحواجز الجمركية والغاء نظام الحصص وتشجيع التجارة الدولية الحرّة وكل مفكّر يوافق على هذا الرأي ، ولكن العبرة في التنفيذ والحائل الاكبر دون التنفيذ ، ان قوة البلاد الاقتصادية ، اصبحت في هذا العصر العامل الاساسي فيما تفرزها من مقام سياسي فامتلاك موارد المواد الخام اصبح في عهدنا مسألة سياسية ، بعد ان كان ولاً مسألة اقتصادية

وكذلك اصبح تعسر قاعده النقد وسيلة تستعمل للضغط السياسي فالناس تطلب ان تمنع المواد الخام او اباحتها تفضي الى التأثير في حالة خصم او تدنو على الدوالي وقد رأينا تطبيق هذا الرأي في فرض العقوبات على ايطاليا ورأينا كذلك ان كل امة شريفة لا تخضع مختارة لذلك إذ يستحيل عليها ان تسلم بالعيش وهي رهن رحمة الدول الاخرى

ومما يقال في هذا الصدد ان المستعمرات بوجه عام ، ومستعمرات المانيا السابقة بوجه خاص لا قيمة لها في الناحية الاقتصادية فاذا صحّ ذلك فلماذا تحتفظ بها الامم الاخرى ومن الخطإ ان نشير الى ان مستعمرات المانيا السابقة لم تكن ذات شأن في حياة المانيا الاقتصادية قبل الحرب ، لان التجارة الحرة كانت واسعة النطاق حينئذٍ والمانيا كانت تستطيع ان تبتاع ما تحتاج اليهِ من اسواق العالم المختلفة فلم تكن في حاجة في استغلال مستعمراتها استغلالاً تاماً

ومع ان مستعمرات المانيا كانت وليدة العصر الحديث ، من العقد التاسع في القرن الماضي الى مطلع الحرب الكبرى ، الا انها انجزت فيها من الاعمال والمنشآت ، اكثر مما أنجز على ايدي امم اخرى خلال قرون من الزمان في بعض مستعمراتها

## ٢ - للمستر كيلنغ

### في مجله « الكونتمبورري »

اذا صرفنا النظر عن البواعث السياسيه وجدنا ان البلدان التي تطالب بمستعمرات تبني مطالبتها على حاجتها اليها من الناحيه الاقتصادية لانها تجد فيها موارد للمواد الخام واسواقاً للمصنوعات ومنافذ لازدحام السكان وهي حجة تبدو مقنعه ولكن هل تؤيدها الحقائق ؟

اما في ما يتعلق بالمواد الخام ، فكلمة المستعمرات بوجه عام تعني المناطق المباحة للاستعمار اي المناطق التي ليست دولاً ذات سياده او مستقلة استقلالاً داخليًّا كالبلدان الدومينيون والهند في الامبراطورية البريطانيه . فالمستعمرات بهذا التحديد تصدر جزءًا ضئيلاً جدًّا من صادر المواد الخام ولعلّ المواد المهمة المشهورة للصناعة ، الصادر من مستعمرات هي المطاط ( وهو يكاد يكون احتكاراً استعماريًّا ) والقصدير . حتى اذا اضفنا الى ما تقدم المواد التي لا تصدر المستعمرات منها اكثر من ٣ في المائه من محصولها العالمي لما اضفنا الا النحاس والقصبات والفاناديوم والشاي وجوز الهند ، اي ان المستعمرات لا تصدر الا اربع مواد او خمساً ليست كلها في مقدمة ما يحتاج اليه الامم الصناعيه وهذا القول يصدق بوجه خاص على المستعمرات الافريقيه فما تصدر من افريقية كلها من المواد الخام الصناعيه والغذائية اقل من ٤ في المائه من محصولها العالمي فمستعمرات المانيا السابقة كانت لا تصدّر الى المانيا الا مقداراً يقل عن واحد في المائه مما تستورده المانيا من المواد الخام

أما المواد الخام الاساسيه في الصناعه والغذاء كالفحم والحديد والنفط والقطن والنحاس والقمح واللحم والالبان فمصدر جميعها من بلدان مستقلة ذات سياده لا من المستعمرات ويمكن ان يقال بوجه عام ان المصادر الرئيسيه لمواد الصناعه والغذاء الاساسيه هي الولايات المتحدة الاميركيه وروسيا السوفيتيه والامبراطورية البريطانيه فمن الخطأ القول بان اعادة توزيع المستعمرات تسدّ النقص في ما تحتاج اليه البلدان المطالبه بها من المواد الخام للصناعه والغذاء

ولكن ان لم يكن لها جدوى لسدّ هذا النقص فهل للسيادة السياسية فائدة اقتصاديه ؟ ان الرد المألوف على هذا السؤال هو ان السيادة السياسية ، ذات شأن ، فلا شك في اثناء الحرب ولكن المستعمرات لا تجدي نفعاً اذا كانت الدوله صاحبه السياده لا تملك من القوة البحريه ما يمكنها من ابقاء تلك الاتصال مفتوحه لنقلها . فلننظر في أثر السيادة السياسيه من الناحيه الاقتصادية في ايام السلم ، فهل للدولة المستعمره امتياز اقتصادي على سائر الدول في البلدان الخاضعة لها ؟

ليس ثمة ريب في ان هناك بعض امتيازات واولها قائم على الرسوم الجمركيه التفضيليه التي تفرض على الصادر من المستعمرة . فهذه الرسوم تفرض في بعض البلدان التي لم تبلغ شأواً اقتصاديًّا بعيداً كوسيلة لزيادة ايرادها ولا يجوز توجيه النقد اليها من هذه الناحية ولكن

بعض المستعمرات فرض « ضرائب التصدير » لا بقصد زيادة ايراد البلاد ، بل بقصد تفضيل بلاد على اخرى من البلدان التي تستورد محصولاتها وفي مقدمة البلدان التي تعمد الى هذه الوسيلة في مستعمراتها فرنسا والبرتوغال الا أن رسوم التصدير التفضيلية في مستعمرات البرتوغال ... في العالب حالة انها في المستعمرات الفرنسية عالية حداً الا اذا كانت المواد المصدرة الى فرنسا نفسها اما في الامبراطورية البريطانية فليس ثمة رسوم تفضيلية الا على ركاز القصدير فما يفرض عليه عند تصديره من ملايا او نيجيريا عالٍ حداً الا اذا كان مرسلا الى انكلترا او احد اجزاء الامبراطورية

ولا ريب في ان « التفضيل » على هذا المنوال غير مرغوب فيه من الناحية ... حيث يكون الاحتكار ولكنهُ لا يعرقل قدرة اي امة من الامم على شراء ... اسواق العالم الاخرى ، اذ لا نعرف مادة واحدة ، في البلدان التي تعتمد على هذه الوسيلة محتكرة فيها احتكاراً تامًّا . حتى ركاز القصدير المشار اليه لا يستخرج منهُ من مناجم ملايا ونيجيريا الا ٤ في المائة من المحصول العالمي والباقي يستخرج من مناجم في بلدان اخرى لا تفرض رسوم التصدير التفضيلية

وهناك نوع آخر من التفضيل ينجم عن شركات المنتجين الكبيرة التي تنشيء ما يشبه احتكاراً ثم تتحكم في الاسعار على نحو ما فعلت في المطاط والنحاس ، فكانت النتيجة ، ان تحكمها ورفع الاسعار افضيا الى زراعة اشجار المطاط في بلدان اخرى ، واستغلال مناجم نحاس كانت مهملة ويظهر ان الشركات والحكومات قد افادت عبرة من حوادث الماضي فحسمت ( فيما يتعلق بالقصدير والمطاط ) تمثيل البلدان المستهلكة الرئيسية في المجالس الاستشارية للشركات او الحكومات وينتظر ان يشمل هذا النظام مواد اخرى منعاً للتحكم . علاوة على ذلك ان الشركات التي تتحكم بالاسعار لا تفرق بين دولة وأخرى تفضيلا وتمييزاً ... الدول ... في نظرها سواء

الا ان ما تقدم يؤثر فقط في ما تشتريه الدول من المواد الخام الصادرة من المستعمرات . ولكن الدول المطالبة بالمستعمرات تطالب بها لانها تريد ان تستغلها . والردُّ ... هذا ... ان الدول المطالبة لا تملك من رؤوس الاموال ما يكفي لهذا الاستغلال وهذا يصدق بوجه خاص على المانيا لان اليابان وايطاليا صدّرتا قدراً من المال لاستغلاله واليابان ... في الصين ومنشوكو وجزائر الهند الشرقية الهولندية وملايا البريطانية ولايطاليا مصالح ... في ... والعراق وفي بعض بلدان اميركا الجنوبية

ولكن لنسلم جدلا هنا ايضاً بأن البلدان المطالبة بالمستعمرات تملك قدراً ... الاموال لتصديره وتثميره فهل ثمة عقبة ما تحول دون تثميره في المستعمرات الخاضعة لدول أخرى ؟ ليس في مستعمرات بريطانيا وهولندة على الاقل ما يبعث على الشكوى ففي ملايا البريطانية مناجم حديد ومعادن تملكها اليابان، ومزارع مطاط يملكها الايطاليون ، واليابانيون ، وغيرهم

وللشركات الاميركية نصيب كبير من السيطرة على مناجم المغنيسيوم في الشاطئ الذهبي ومناجم البوكسيت في غيانا البريطانية. والمادة الوحيدة في الامبراطورية البريطانية التي يقصر استغلالها على البريطانيين هي النفط. ولكن النفط في المستعمرات البريطانية ليس محصوراً في أحد نوعيه خاص. والاميركيون يسيطرون على قسط وافر من مساحات النفط في جزائر الهند الشرقية الهولندية. والامثلة على ذلك متعددة

الاّ ان مشكلة المواد الخام، هي في المقام الاول مشكلة نوعية الثمن ولا سيما عندما يوفى الثمن نقداً [illegible] اذ لا ريب في الفائدة التي تجنى، عندما تكون المواد الخام في منطقة تستعمل نفس النقد الذي [illegible] العملة التي تستوردها. لذلك رمت الدول المستعمرة السيطرة عبر [illegible] على [illegible] الخام بواسطة اقامة الحواجز الجمركية [illegible] المستعمرات. ومع ذلك [illegible] هذه [illegible] أمر آخر. [illegible] هذه الامم [illegible] ما تصدره [illegible] طريقة [illegible] أساليب [illegible]

[illegible] كثرت [illegible] ان المستعمرات اسواق كبيرة، ولكن هذا الفصل واقع حقا والواقع ان [illegible] الباب المفتوح في نصف مستعمرات العالم مضمونة بمعاهدات دولية أي ان المستعمرات التي تشملها هذه المعاهدات لا يسعها ان تقيم حواجز جمركية تفضل بها دولة على اخرى من دول الحماية. ولم تستثن اليابان ولا المانيا من ذلك. وهذه المعاهدات تشمل جميع بلدان الانتداب من طبقة A و B وكل حوض الكونغو، بما فيه شرق افريقية البريطاني وافريقية الاستوائية [illegible]، وغرب افريقية البرتغالية، والسودان وروديسيا الشمالية [illegible] في [illegible] كانت [illegible] الدول [illegible] ١٩٠٦ في مؤتمر [illegible] وبريطانيا المشهور [illegible] لا تشملها معاهدات [illegible] ومع ذلك، فان [illegible] في العالم لا تبتاع اكثر من ١٠ في المائة من مجموع الصادرات العالمية

فمشكلة «المقد الاجنبي» التي لا بد منها للدول المحرومة في شراء ما تحتاج اليه من المواد الخام ليست مسألة استعمارية، بحلها توزيع المستعمرات من جديد. انها مسألة تمت الى انعاش التجارة العالمية اولاً، والى بعض العوامل السياسية [illegible] حتى انعاش التجارة العالمية وحده لا يكفي، [illegible] رات الصين تقاطع اليابان، والهنود في مختلف بلدان العالم يقاطعون صادرات المانيا، ومصانع السلاح والذخيرة تلح في الحصول على مقادير كبيرة بل استثنائية من المواد اللازمة لها

اما موضوع المستعمرات من حيث هي مقاعد للسكان فله بحث آخر

# لواء الاسكندرونة

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

---

﴿خليج الاسكندرونة﴾ هو الخليج الوحيد على الساحل السوري ذو القيمة الاقتصادية والحربية البارزة ، ويبلغ طوله نحو ستين كيلومتراً وعرضه دون الاربعين وعمقه ٣٧ متراً ، والمسافة بينه من مدينة الاسكندرونة وبين مدينة جرابلس على نهر الفرات لا تتجاوز مائة ميل في حين ان المسافة بين بيروت وبين مدينة ( ابو كمال ) على الفرات ايضاً تربي على ثلاثمائة وخمسين ميلاً وهذا يدلنا على ما لهذا الخليج من الشأن الاقتصادي في مستقبل الايام بالنظر الى انهُ يحوي الميناء الطبيعي على البحر المتوسط الابيض ليس لشمال سوريه فقط بل له وللقسم الشمالي من العراق ايضاً وان نظرة واحدة على المصور الجغرافي تقنع المرء بان هذا الخليج هو الملجأ الطبيعي للاساطيل يحميها من عواصف البحر واخطار الغواصات ويزوّدها بمعظم ما تحتاج اليه

﴿لواء الاسكندرونة﴾ يتألف لواء الاسكندرونه من الاقضية الثلاثه الآتية (١) الاسكندرونه (٢) قرق خان (٣) انطاكيه ويهمني ان اوجه نظركم الى ان الكتب والاحصائات التي وضعت قبل هذه الازمه وما فيها من اغراض في التحريف والتبديل ومخالفه الواقع نصت على ان الترك في اللواء هم اقليه فقد جاء « في الجوله الاثرية » للاستاذ وصفي زكريا ص ٥٦ وقد طبعت سنه ١٩٣٤ ان الترك مع التركمان يؤلفون من خمسه وثلاثين الى اربعين في المائه من مجموع السكان، وفي الاحصاء الرسمي الذي صدر في حلب سنة ١٩٣٢ كان عدد السكان في اللواء كما يأتي بالتقريب ٢ ٠٠٠ من العرب السنيين و ٥٥ ٠ من العرب النصيريه و ٢٥ من العرب المسيحيين و ٤٤ من اليهود و ١٣٥٥٠ من الارمن و ٢ ٠٠ من الكرد و ١٠ من الشركس و ٠، ٧ من الترك وجاء في الملحق رقم ٣ من البيان الذي اصدرتهُ اخيراً لجنه الدفاع عن الاسكندرونة ان مجموع عدد السكان في اللواء ٨ ، ٢١٩ منهم ٢٤٢، ٨٥ من الترك و ١١، ١٠٣ من العرب و ٩١١، ٢٤ من الارمن و ٥٨١٧ من سائر العناصر وتكون الترك نسبة ٩، ٣٨ في المائه والعرب ٧ ، ٥٧ والارمن ٣٧، ١١ وسائر العناصر ٦٦، ٢

وقد طبقّت السلطة الفرنسيه على هذا اللواء المعاهدة التي عقدتها مع الترك في اليوم العشرين

---

(١) نص المحاضره التي القاها في جمعيه الشبان المسلمين في القاهره في مساء يوم ٢٣ مارس سنه ١٩٣٧

من ا ٢ و ر نشرين الاول - سنة ١٩٢١ وهي معاهدة انقرة وكان مستقلاً في ادارته ووراءه واشغاله العامة وكان المتصرف فيه مربوطاً بمندوب المفوض السامي وكانت اللغات الرسمية فيه العربية والتركية والفرنسية وهما هو جدير بالذكر ان الدولة المنتدبة عينت في حدوده الجغرافية وسياسته السياسية بالنسبة الى منطقته حلب تعييرا يضم اليه اكبر عدد من الترك ممكن ويخرج منه اكبر عدد من العرب ومع ذلك فقد أتت النسبة المئوية كما تقدم ، وفي ( الحولية الاثرية ) ان النصيرية يقطنون في الاسكندرونه والساحل الممتد منها الى بلدة عرسوس وفي نفس انطاكية والجبال الممتدة منها غرباً نحو مياه السويدية ، ويقطن الارمن في جبل موسى وأعضاده الممتدة حتى ساحل البحر وفي ناحية كسب وفي بلدة قرق خان، ويقطن الشركس في قرى حران والريحانية وهم من سهل العمق ويه بن الترك وكذلك التركمان - وهم الذين نزلوا تلك الانحاء في زمن الدولتين الاموية والصلاحية -- في جبل اللكام وأعضاده الى شمال الاسكندرونة وشرقها وفي بعض سهل العمق وفي الجبل الاحمر واعضاده الممتدة الى جنوب عرسوس وكسر لك ويقطن الكرد في جزرة اللحف شمال السهل المذكور

ووجد ان الامية في لواء الاسكندرونة ٥١ في المائة بينا هي في لبنان ٤٢ وفي دمشق ٥٥ وفي حلب ٦٣ وربما استفادت هذه المنطقة من نهر العاصي فائدة كلية من مائه لاجل الري ومن قوته لاجل تحريك الآلات وتوليد الكهربائية فقد وجد ان مربعه الادنى بالقرب من انطاكية في سنة ٣٢ / ١ ثلاثين متراً مكعباً في الثانية في حين لا يتجاوز هذا المربع في نهر بردى اكثر من اربعة امتار ، ووجد انه ينحدر انحداراً كليًّا بالقرب من انطاكية فدرود البلاد بقوة تابع الوف الاحصنة ، ويوجد معدن الكروم في الاسكندرونة والذهب بمقادير صغيرة في مسيل نهر بالقرب من انطاكية ، والنحاس بمقادير قليلة وملح المعدن الحديد في جبل اللكام او امانوس

الشهادة بسوريّة هذا اللواء قبل ان يحلو قضية الاختلاف عليه بين الترك والعرب قال ابن ان الصخور التي تفصل الشام من الشمال عن اسيا الصغرى ليس لها مثيل في التخوم الطبيعية ، وقال شيخ الربوة وهو من علماء القرون الوسطى حد الشام من ملطية الى العريش وعرضه الاعرض من منبج الى طرسوس وعد ياقوت الحموي من الشام الثغور وهي المصيصة وطرسوس وآدنه (اضنه) وجميع العواصم من مرعش والحدث وغير ذلك . وقال ابن حوقل المتوفى في القرن الرابع للهجرة في كتابه ( المسالك والممالك ) « ان انطاكية أنزه بلد الشام بعد دمشق » وجاء في المعلمة البريطانية في طبعتها التاسعة « ان الاسكندرونه تقع على اقصى الساحل السوري الشمالي حيث يؤلف هذا الساحل مع ساحل آسيا الصغرى او الاناضول زاوية وهذه المدينة هي ميناء حلب وتكون بطبيعة الحال ميناء سكة حديد تمد على نهر الفرات » . وجاء في دائرة

الخلوف الاسلامية «ان الاسكندرونة او اسكندرية العرب — كما جاء في مخطوطات الاصطخري وابن حوقل — هي ميناء حلب على البحر الابيض المتوسط وانها كانت في عهد ... تابعة لجند قنسرين — حلب (اي منطقتها الحربية بحسب ... تلك الايام العسكرية) ... في زمن ابي الفداء ولكنها ... بعد ذلك شأنها ... الى ... حلب التي كانت احدى في الاشياء» وقال الاستاذ ... انه ... (بيدكر) ان حد الشام من طرس الى مصر ... (...) ... الجغرافي المشهور حد الشام من جبال اللكام الى طرسوس ... (...) ... والوثائق الرسمية على عهد الدولة العثمانية كانت تسمى البلاد ... وصحراء سينا جنوباً «عربستان» او بلاد العرب ... بان نجد الدماء ... ان صديقنا العلامة المرحوم الاستاذ هوجارث ... جامعة اكسفورد قد قال «... سورية كقطر يحده البحر وصحراء الحماد وجبال طورس وصحراء سينا كوّن لدينا منبسط جغرافي متناسق بحدود طبيعية صريحة وهي وحدة في مظهرها الخارجي ... وان مكانة الاسكندرونة ناشئة عن علاقتها مع ممر سلان، وهو باب سورية في عهد التواريخ — الذي هو عبارة عن مدخل هين الى سهول سورية الشمالية التي كانت انطاكية وحلب عاصمتها منذ القدم وكذلك فان الاسكندرونة هي المرفأ المهم لسورية الشمالية ... وان الخصائص الجغرافية التي ... بها انطاكية تجعل منها عاصمة سورية فانها تتجه الطرق ... المباشرة من البحر الابيض المتوسط الى الداخل الخ »

﴿الشعوب السامية ولواء الاسكندرونة﴾ ذكر المؤرخان اليونانيان (هيرودتس) و(ريبوفون) ان (ميريانيدروس) وهي مدينة كانت قريبة من الاسكندرونة كان يقطنها فريق من الفينيقيين ابناء عم العرب، وجاء في كتاب «مجمل التاريخ» للاستاذ (كوك) ان السلالة السامية — وهي تشمل الارمن والبابليين والاشوريين والعرب والفينيقيين والعبرانيين والموآبيين تسكن المنطقة التي تحدها فيما يحدها من الشمال جبال طوروس وفي ... الدفاع عن الاسكندرونة ان مباحث علم اصل البشر التي قامت بها ... الجامعة الاميركية في بيروت والتي احدثت في امستردام واكسفورد قد دلّت على ان سكان الجبال في مناطق الاسكندرونة وانطاكية لا يختلفون في شيء عن سكان جبال سورية ولبنان وبلاد العرب الجنوبية، ولدينا نص تاريخي على ان الملكة زنوبيا الندمرية (الزباء) دخلت انطاكية فاتحة في سنة ٢٦٦ للمسيح وان صورتها نقشت على سكة هذه المدينة ولدينا نصوص اخرى على اتصال العرب بتلك الانحاء منذ القدم وقد جاء في التاريخ ان عربان البادية هاجموا ضاحية انطاكية في سنة ٤٩٤ للمسيح، وفي مدينة (الرها) في الشمال كان بيت

(الاعر) سيطر على الساحل الغربي في شمال سورية ، وبعد فتح ابو عبيدة حمص بعث خالد بن الوليد الى قنسرين فلما نزل بالحاضر زحف عليه الروم بقيادة ميناس اعظم رجالهم بعد هرقل فالتقى الجيشان في الحاضر فقتل ميناس ومن معه قتلا لم تقتل الروم مثله فماتوا على دمه حتى لم يبق منهم احد واما اهل الحاضر فارسلوا الى خالد انهم « عرب » وانهم انما حشروا ولم يكن من رأيهم حربه فقبل منهم وتركهم

ومما هو جدير بالذكر ويدل على نوع الشعب التي كانت تسطن تلك الانحاء وانها سلالات سامية ان ابا عبيدة ابن الجراح لما وصل الى جبل اللكام (امانوس) وهو الجبل الذي يبتدىء من البحر في منطقة الاسكندرونة صالح سكانه (الجراجمة) وهم رجال المارونية في لبنان — وكانوا يومئذ من سكان ... — على ان يكونوا اعواناً للمسلمين ... وصالح في جبل اللكام — والمسالح جمع مسلحة وهي الحامية المسلحة

ومن الامور الدالة على ارتباط هذه المنطقة بسورية ارتباطاً وثيقاً ايضاً ان السلوقيين كانوا يدعون انطاكية (انطاكية سورية) تمييزاً لها وبين المدن اليونانية الاخرى التي شاطرتها هذا الاسم ، ودعي ممر (بيلان) او ممر (امانوس) في الوثائق التاريخية (باب سورية)

ولهذه المنطقة شأن عظيم في تاريخ النصرانية فقد دخل هذا الدين انطاكيه في سنة ٣٣ للميلاد ومن هذه المدينة انتشر التبشير به في الانحاء وفيها نشأت الخلافات الدينية المذهبية وفي العهد الروماني ظهر فيها رجل من رجال النصرانية كان له شأن كبير وهو يوحنا فم الذهب الذي اشتهر بصلاحه وطنيته ... ومواعظه التي كان يلقيها على اهل انطاكيه الى ان ... في طريقه الى المنفى ، وكانت انطاكية في سالف العصور مقراً لجميع البطاركة ولا تزال الى الآن مقراً لبطارك الشرقيين ويطلق عليهم اسم بطارق انطاكيه وسائر المشرق والمشرق ... هي امة سورية والنصارى فيها من صميم السوريين

﴿الوجهة الاقتصادية﴾ تتجلى الوحدة الاقتصادية بين هذا اللواء وحلب بان عاصمة الحمدانيين هي السوق الطبيعية لمنتجات هذا اللواء من حصر واثمار وحرير وفحم نباتي واسماك ، وفي هذا اللواء وما لها من مناظر خلابة ومياه عذبة وهواء نقي هي المصطاف الطبيعي للحلبيين ، والقسم الاعظم من التجارة الخارجيه التي تمر بالاسكندرونة هي اما ان تكون واردة من حلب او صادرة اليها ودلت الاحصائيات بين عامي ١٩٢ و ١٩٣٣ على ان ٢١ في المائة من مجموع ما دخل مرافىء سورية الاربعة — وهي بيروت وطرابلس واللاذقية والاسكندرونة — من صادرات وواردات (وبضائع النقل « ترانزيت » داخلة في ذلك) هو من اسكلة الاسكندرونة

﴿النصيرية﴾ هي طائفة العلويين المنتشرة في هذا اللواء وفي الجهات المجاورة له وتسمى النصيرية نسبةً لنصير غلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، وقد انتشر في الـ[illegible] الى [illegible] ومن عقائدهم انهم يؤلهون علي بن ابي طالب ويعتقدون ان مسكنه الـ[illegible] حتى اذا مر [illegible] بهم [illegible] قالوا السلام عليك يا ابا الحسن ويقولون ان الرعد صوته والبرق ضحكه ، وان سلمان الفارسي رسوله ويحيون ابن ملجم قاتله ويقولون انه خلص اللاهوت من الناسوت وفي [illegible] ان كلمة « عمس » المتركبة من علي ومحمد وسلمان هي كلمة المرور [illegible] ، وهم يحفظون [illegible] ويعظمون الخمر ويرون انها من النور لاجرم انهم يعظمون شجرة العنب [illegible] ما جاء في المجلد السادس من خطط الشام للاستاذ كرد علي ان صاحب « تاريخ الـ[illegible] » قال انهم ليس لهم ديانة خاصة بل هم مسلمون شيعيون جعفريون [illegible] ان الائمة [illegible] معصومون من الخطأ وان قول الامام دلالة قطعية وهو لا يمكن ان يخالف القرآن والحديث ولا يحق لاحد ان يؤول القرآن سوى اهل البيت ، وهم ينتسبون الى طريقة تدعى [illegible] وهذه الطريقة هي التي ادت الى افتراقهم عن الاثنى عشرية وهم فيما بينهم قد تفرقوا الى عشائر وأفخاد ترجع كلها الى اربعة اصول كبيرة هي الخياطون والحدادون والـ[illegible] والمتاورة

وقد افتى غير واحد من رجال الدين المتأخرين بصحة اسلامهم استناداً الى ما جاء في الحديث « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو منا » والى آيات واحاديث اخرى [illegible] وردت في كتب الفقهاء المتقدمين

﴿الاسكندرونة﴾ وتقع الاسكندرونة على الطرف الشرقي من الساحل الجنوبي وعلى الغرب منها والى الشمال تقع ( باس ) حيث تبتدئ الحدود بين تركيا وسورية ، وقدر لي ان ازور الاسكندرونة في سنة ١٩١٢ لما كنت ذاهباً في الجيش العثماني الى حرب البلقان فألفيتها مدينة ذات منظر جميل تحيط بها روابٍ زمردية من جبال الاكام وهي واقعة في [illegible] الارض ويبلغ عدد سكانها في الاحصاء الحديث زهاء خمسة عشر الفاً منهم العرب والترك والارمن ، وهؤلاء لجأوا اليها بعد الاضطهادات التي ذاقوها في بلاد الترك ، والعرب [illegible] وعلويون ومسيحيون من الروم الارثوذكس غالباً وذكر الذين زاروها في الآونة الاخيرة ان مبانيها مثل سائر مباني المدن الشرقية الناهضة المصطدمة بالمدنية الحديثة منها القديم المرقع والمتداعي والأكواخ التي يقطنها الفلاحون في الجهة الغربية ومنها الجديد الذي لا [illegible] مبان غربية لا بحجره ولا بالآجر الاحمر — القرميد — الذي يكسو سطوحه وكذلك الحال في طرقاتها وشوارعها فمنها الضيق المعوج ومنها المستقيم المعبد العريض ولها مرفأ صغير في جهتها الشرقية وبالقرب منه المكس والمعامل والمستودعات التي منها شركة النفط و[illegible] السوس

ولما زرنها لم يكن قد تم بعد فرع سكة الحديد الذي ربطها بحلب وهو فرع يمتد منها الى قلعة بحسة على رأس حصنه تدعى (طوبراق قلعه)

أطللنا على المدينة من ممر (بيلان) او ممر ايسوس وهو الذي دعاه الاقدمون (باب سوريه) ومشينا في طريق منحدرة فوجدنا المستنقعات تحيط بهذه المدينة وهذا سر وباء الملاريا او البرداء التي تهلك بأهليها في أيام القيظ والحر، ويبلغ الحر فيها مع الرطوبه في الصيف درجة الاشباع لوقوف جبل اللكام سداً من ورائها حتى اذا اصطدم هواء البحر بهذه الجبال تجمعت منه الابخرة وتكثفت بحيث تحجب قرص الشمس

وأذكر اني أكلت فيها سمكا من المرجان مقلواً لم أستطب سمكاً مثله وقد اشتريتهُ من طاهٍ يحمل مقلاته ويبيعهُ في الشوارع

بنا هذه المدينة (اسعون) أحد خلفاء الاسكندر في سنة ٣٣٣ قبل المسيح تخليداً للنصر العظيم الذي احرزه هذا الملك الجبار على دارا ملك الفرس في معركة (ايسوس)، ولما فتحها المسلمون في زمن ابي عبيدة بن الجراح وجدوها خراباً يباباً فلم يرد لها ذكر في فتوحاتهم لكنها استعادت سؤددها بالتدريج حتى ان السيدة زبيدة زوج هرون الرشيد بنت فيها حصناً او صرحاً ربما كان نفس الصرح الذي رممهُ ووسعهُ احمد بن ابي داوود الايادي في زمن الخليفه الواثق وظلت هذه المدينه ممراً للغزاة من المسلمين والروم الى ان استولى عليها الصليبيون فعادت الى الخراب وأصبحت ملجأ للصوص من البر والبحر الى ان طلب التجار الافرنج المقيمون في حلب من الدولة العثمانيه في القرن العاشر للهجره ان تجعلها فرصة حلب فأجابتهم الى طلبهم، وكان لها شأن ولى وجه وال السنين لان الاكثر اتخذوها اقرب محطه للهند بطريق البحر المتوسط وقد فقد هذا الشأن اكثره وتنوعت الطرق التي توصلها بالداخل وفي سنة ١٢٤٨ جاءها ابرهيم باشا المصري بجيشه فأنشأ فيها مصنعاً للسفن يأتيه بالاخشاب اللازمه لهُ من جبل اللكام وفي سنه ١٢٩٥ جعلتها الدولة العثمانية قضاء تابعاً لولاية حلب

***

﴿انطاكيه﴾ شادها سلوقوس نيكانور احد خلفاء الاسكندر الثلاثه في سنة ثلاثمائه قبل المسيح ودعاها باسم والده ثم استولى عليها الرومانيون فابتدأ حكمهم فيها في سنة ٦٤ ق م وتربع على كرسي الولايه فيها اكابرهم «الحولة الاثريه ص ٥٢» امثال بومبوس ويوليوس قيصر واغسطوس جاء هذا اليها في سنة ٣٨ ق م ومعهُ زوجه كليوباترة، وفي التاريخ ان جوليا دومنا السيدة السوريه الحمصية زوجه الامبراطور سبتيموس سفيروس كان لها فضل عظيم على

بتعميده انطاكية حين احرزت انها كراكلا المولود في حمص على ان يرد الى هذه المدينة ما سلبه والده الامبراطور عنها من الامتيازات  وفي اواخر القرن الرابع للمسيح دخلت انطاكيه في قبضة البيزنطيين  وفي سنة ٦٣٨ فتحها المسلمون على يد ابي عبيده بن الجراح ،

وفي كتاب « الاعلام » للاستاذ خير الدين الزركلي «ان حبيباً الفهري وهو ابو عبد الرحمن حبيب بن مسلمة بن مالك الفهري القرشي دخل دمشق مع ابي عبيده فولاهُ ابو عبيده انطاكيه وقد توفي سنة ٤٢ هـ »  وزاب انطاكيه الرخاء وتهدمت تهدماً كبيراً في زمن الامويين

وفي اواخر القرن الخامس للهجرة فتحها الصليبيون  ولكن في سنة ٦٦٦ هـ افتتحها عنوة الملك الظاهر بيبرس بعد معركة من اشد المعارك هولاً على السكان ، ثم جاء الفتح العثماني فبقيت في قبضة العثمانيين الى اواخر الحرب العالمية ، ومن المهم ان يذكر القراء ان الاهلين فيها وفي سائر انحاء اللواء استقبلوا الجيش العربي استقبال الفاتح المنقذ وايدوهُ في اعماله  وانطاكية مذكورة في التاريخ دائماً بالزلازل التي كانت تنتابها كالزلزلة العظيمة التي اصابتها سنة ١٨٢٢ وكان عدد سكانها في زمن ثيودوسيوس مائتي الف ولكنهم كانوا في سنة ١٨٣٥ خمسة آلاف وستمائة تضاف اليهم ستة آلاف جندي مصري بقيادة ابراهيم باشا ويبلغ عددهم اليوم خمسة وثلاثين الفاً  وقد جلب الى هذه المدينة ماء ( دفنه ) في انابيب حديدية وانيرت بالكهرباء وفيها اربعة وعشرون مسجداً واربع كنائس وكنيس واحد لليهود  وصادراتها الصابون ومنافج الحرير والصوف والحبوب وزيت الزيتون والسمك والدبس والقطران وفيها صناعات متنوعة للغزل والدباغة والنسج والخشب وفاكهتها من اجود فاكهة  وقد ذكر لي صديق من اهلها ان اربع حبات من دراقات — من خوخها تزن اقة كاملة ، وهذه المحصولات لا تباع في اسواق حلب فقط بل ان فاكهة انطاكيه تزاحم فاكهة الشام في اسواق بيروت ايضاً  واذا صحت الاخبار التي تناولتها الالسن اخيراً وأفاضت في ذكرها الصحف من ان في هذا اللواء ينابيع للنفط بالقرب من الاسكندرونة وانها متصلة في جوف الارض بينابيع الموصل فسيكون لهذه الينابيع شأن خطير في مستقبل هذا الجزء من بلادنا العزيزة

***

لقد آمنت بالحق قبل ان أؤمن بالوطن ولو لم اعلم ان هذا اللواء جزء من بلادنا [illegible] لا سحراً ما نزلت للوقوف هنا أزهق أسماعكم الحماسة وأضيع أوقاتكم الثمينة الدفع [illegible] الحق والوطن ثابتاً ، ومن لا يؤمن بالحق لا يؤمن بالوطن

# حديقة المقتطف

---

## بوشكين

أمير شعراء روسيا

لحلم متري

---

## اوجين اونيل

من مسرحياته « فصل معترض »

لفؤا عياني



قيصر صادر

صاحب الرسالة النفيسة في «الحضارة الحبشية» التي نشرنا خاتمتها في هذا الجزء

# بوشكين

«أمير شعراء روسيا»

الملم متري

## عصر الشاعر

غزا نابليون روسيا عام ١٨١٢ واعتبر الروس غزوه أكبر ظاهرة في تاريخ روسيا الحديث الى ان وقع الانقلاب الشيوعي ولقد أثار توغل الجيش الفرنسي في روسيا الشعور القومي بل كان سبباً مباشراً للثورة الفكرية بل لتلك الروح السياسية الخطيرة التي عاشت فيها سحائب الخصومة وانقدت في نفس الشعب السلافي المجد الحمية الوطنية فاشترك الفرد والجماعة في غاية واحدة نبيلة هي دفع المعتدي للاحتفاظ باستقلال الوطن ولقد أتيح لقادة الجيش كما أتيح لقادة الجماهير ان يضطروا العاهل العظيم «نابليون» الى الارتداد عن روسيا بعدما عانت جيوشه شتى المصاعب وبعد ان احتمل الجندي الفرنسي ألم الجوع في شتاء قارص البرد شديد الزوابع الثلجية أما «موسكو» فقد أحرقها أهلها وأما نابليون فقد رجع الى باريس لا يلوي على شيء

ولقد كان انتصار روسيا ... الى باريس ... لفلسفة ... الافكار الاجتماعية ... محكم مظهره أشد الى تلك الارض ومراطه ... الى تلك ... الخاص بالانحطاط الأوروبي

استطاع الأدب ان يكون مظهراً عظيما من مظاهر الحياة الاجتماعية بل كان الادب حصناً منيعاً ... مقدسة بين أيدي الشباب ولقد نشأت في هذا العصر تلك الخصومة الخالدة بين المحافظين على آداب القرون الوسطى وزعمائها المخلصة وبين أصحاب الجديد ممن يرون الحياة كما هي لا يعيشون على الماضي ولا يجدون من القديم معبوداً ولعل الشاعر «جريبويدوف» يحدث في شيء من السخرية في قصته الرائعة التي عنوانها «الهم من الذكاء» «... » عن هذه الخصومة الادبية

ولقد تألفت جماعة من شبان روسيا وبعضهم من الحرس القيصري ينادون بحرية الفلاح والدستور على انه لم يمض دسمبر سنة ١٨٢٥ حتى شنق منهم خمسة من بينهم الشاعر المعروف «ريليف» وعرفوا بالديسمبريين وكان ذلك صدمة قوية هزت الأدب والآداب في الصميم سددها الى الديمقراطية القيصر «نيقولا الاول»

كان الأدب في اوربا إبان تلك الثورة الاجتماعية في روسيا بالغاً شأواً عظيماً بل كان نبراساً يضيء ظلمات ذلك العهد الذي تمثل فيه الطغيان بصور من هذه الصور «الاقطاعية» البالية وطبيعي ان ينتقل الفلسفة في شتى مناحيها والادب في شتى صوره الى روسيا حيث هذا الروح الأدبي الناشيء في ساحة الجهاد وهنالك تنشط الدعاية للتفكير الحديث وللأخذ بأسباب الرقي العقلي ولمع الشعر في هذا العهد مكانة رفيعة بل قد بلغ كماله المرموق في امير شعراء روسيا الشاعر العبقري «الكسندر سيرجيفتش بوشكين» الموصوف بالمتنبي

وُلد «بوشكين» في موسكو في ٧ يونيو وفي رواية اخرى في ٢٥ مايو سنة ١٧٩٩ وكان أبوه نبيلاً وأمه تمت الى ابراهام هانيبال الزنجي الأفريقي الذي قربه بطرس الاكبر فورث منه شعره الجعد ومزاجه الحاد تلقى علومه في مدرسة تساركو سيلو على مقربة من بطرسبرج وكان يكثر من الاطلاع فكسبه أبيه الزاخرة بالمؤلفات الفرنسية كان يجيد عدة لغات يطلع على آثارها ويكلف بما احتوته من آثار علم وأدب وعرف عن اخلاقه الاستهتار والسخرية والاسراف ولقد حوى شعره كثيراً من هذه السخرية التي تميز بها طبيعة بعض الشعراء

نشرت قصائده الأولى بعد ما بلغ الخامسة عشرة من عمره وفي عام ١٨٢٠ نشرت قصته الشعرية البارعة «رسلان ولودميلا» وفي السنة نفسها عين في منصب في «بسارابيا» بجنوب روسيا ابعاداً له من النفي الى سيبيريا وكان الباعث على نفيه قصيدة في «الحرية» اذاعها مخطوطة ولقد أتيح له وهو في القوقاز ان يستوحي روعة تلك البلاد فكتب «سجين القوقاز» وهي قصة شعرية تصف غرام فتاة شركسية بشاب روسي وفي عام ١٨٢٤ عاد الى قرية أبيه في «بوسكوف» بعد ان نظم قصيدة رائعة في البحر عند مغادرته اودسا وهنالك قضى سنتين كتب فيهما أدعى مخلفاته الادبية الخالدة ومن بينها ذكريات حياته التي أودعها الشعر كما كتب قصته الطريفة «أوجين

أونيجين» واننا لنلمس في دراسة هذه القصة الروح الشعري الذي تأثره بوشكين كما نستطيع ان نلمس في سطوره قوله «روح» الشاعر الانكليزي بيرون ولقد كان « بيرون » عنه روحاً عمثله الشاعر في ماضي شعره بل كان الصخرة النادرة التي قام عليها نبوغ الشاعر « بوشكين » لم يتأثر بوشكين في بيرون نزعة الرومانطيقية بل كانت « الواقعية » هدفه الأسمى ولعلك واجد أثر هذا في « كونت نولين » بل في «أوجين أونيجين» وهي وحي روسيا في نفس الشاعر وما استطاع ان نعثر عليه فيها من مثل صادقة هي الحياة الواقعية نفسها بل انها لتتشبه في كثير تلك الحياة التي كان الشاعر نفسه يحياها والتي تصور فيها الاجتماع الروسي بأحلى معان ولقد كتب مأساته الكبيرة « بورس جودنوف » عام ١٨٢٥ وبعدها بعام واحد انعم عليه القيصر بالعفو التام وعين مؤرخاً للامبراطورية ان روح « دالا جونشاروها » عام ١٨٣١ ولقد كتب يومئذ تاريخاً لثورة « بوكاتشيف » كما كتب قصة « ابنة الضابط » عام ١٨٣٣ وقد نشر نثراً ملخصها في مجلة فرار الماضي وكذلك كتب « ابنة القبطان » عام ١٨٣٦ » ثم بارز « هكرن دانتس » في ٢٧ فبراير سنة ١٨٣٧ وكان هذا الرجل عدواً ولكنه أثار غيرة بوشكين مما وجهه الى روحه من العناية الا ان دائرة المعارف البريطانية تنكر ان باعث هذه الغيرة كان لها ما يؤيدها واسفرت المبارزة عن جرح بوشكين جرحاً بالغاً وفي بعد يومين متأثراً به

## الشاعر

كان بوشكين خيالاً الخيال لا يدنو من خيالات الأدباء خلف كتباً يدرسها بالمرأة وقصص حب فيها رواجه اشد ما كان الاساطير الآن والمرأة ما زحت دورة من صور فكرية وخيالاً لا تسرح بخيال الشاعر بل هي ما زحت مصدراً من مصادر الوحي الفني الذي لا ينضب له معين

جهد بوشكين في ان يحمل شعره مثلاً روعاً لامعة التآلف بين الحقائق ن وخيالاً انما الفطرة تصل شاعريته بها والمعاني الفنية التي يوحي بها الأدب ولا عجب وقد قال عنه « جوجول » «ان بوشكين لظاهرة عربية بل انه تلك الظاهرة الفريدة للروح الروسي » وقال عنه دوستويفسكي «ان السر لتمثل في شاعريته» وحقاً لقد

عرف ان يمد الى الوجدان الانساني وان كان قد استلهم الفن الاوروبي الشعري الاّ ان طابعه الروسي لم يفارق خواطره التي تصل بطله الكبير كل شيء في حياة الشاعر لهُ منحاه الشعري ولعل الشاعر نفسه وحدة تلك القصيدة الكبيرة قصيدة الكون والحياة وشعر پوشكين تسحه العاطفه الانسانيه بل العاطفة الالهية والجمال والذوق ان بطرس الاكبر قد اصطلع بجهود مضنيه في سبيل الاصلاح الاجتماعي واما پوشكين فقد وصل الينا في هذا الحقل لتقرير الوجدان واثبات الروح الانساني وان قصائده لمصباح قوي ينير ظلمات النفس ويحمل للحياة الاجتماعية والعملة رسالة الفكر الموهوب وإذن پوشكين نبي مكرم »

استمد پوشكين شاعريه من معينين الأول أقطاب الأدب الاوروبي لا سيا الكتّاب الفرنسيين الذين هيمنوا على الحياة العقليه في القرن الثامن عشر والثاني الثقافة الانكليزية التي قامت على « بيرون » « وشاكسبير » «وسكوت» وأما وحي « شاكسبير » فأنت تستطيع أن تجده في قصة « بورس جودينوف » تلك الدرة الثمينه في الشعر المرسل ولعل ما فيها نشبه من وجوه كثيرة قصه شاكسبير « الأوقات العسيرة » وفي « بورس جوديوف » نحس تهديد دمتريوس لموسكو وعلى رأسها بورس المطعون انهُ قاتل « تساريتش » ولقد طالع پوشكين تلك القصة لطابق تاريخ « كارامزن » وهي تبين مدى العذاب النفسي الذي شغل حياة المغتصب الظالم وخطر يوم الدينونه الذي نقترب منهُ أما قصة « الغجر » « The Gipsies » وتمثل في بطلها الكو « Aleko » جماع الفطرة الاجتماعيه في النفوس الانسانيه المسكينه التي تضمها الشعب الروسي وان هؤلاء الفقراء الذين ينتقلون من بلد ليرتحلوا الى آخر نشأوا أحراراً لا يعبأون بهذه القيود المد ... ولا يعرفون شيئاً عن أوضاع الحياة التي فرض على المجموع انهم يبتعدون عن كل تهذيب أو تعليم الاّ تلك الثمار البدائيه التي وارثوها وهذا پوشكين بلسان «الكو» نادى الكبرياء لتسخر بها فيقول ألا فلتشقي وتهلك عما انها المعطرة به وقد جعلها انطلالا لا تحمل قانون وانما لا تعني ان تعذب أو تعاقب انسانا واما المعنى المقصود انهم كالنهر السيال تصادف السهل الدهاس فيجري ويجيء على المكان الصخري ليرتطم به وأنهم اصحاب دماثة خلق وعزة نفس لا ينزعون الى مهانة

أو يصلون صياً ولقد رى « بوشكين » طمعه الاشراف بهذا السديد الذي نطق به « الكو » ويقول بوشكين عنهم « ما أسخف هذه الفرص الى تخرج الى هذا الوجود لتمضي بضعة اعوام فتضيع نصفها في تقدير مفاخرهم من فوس العير انها لحسه الرياء» وليس «الكو» الا فتى يرك حياة المدن ويرح الى طائفة من هؤلاء «الغجر» وكان صيف الشؤم لديهم -- وهو على حد تعبير « دوستويفسكي » ممن تردد بهم الحاجة واحتمت حياتهم بالاحقاق واستوعبهم الادب الروسي الحديث

كن بوشكين من دعاة الاشتراكية وهذه خواطره تتساءلها دعوته الانسانية وعاطفته الكريمة بل تلك هي هواه الخالدة التي مادي تحقيق «المسيه الروسية» التي تضمن للفرد حريته ومعه امام ما عكسه ان يأتيه من خير للجماعة والمسيه الروسية قائمة على الجديد في أساليب الاجتماع حتى تمهد الحياة للانسان فرصة من السعادة المنشودة هي تسعى جهدها نحو الحرية في أوسع حدودها وأعمق معانيها لايجب ان يحمل الشعب « الكبرياء المريضة » التي يتصف بها رجال الدين أو اصحاب السلطة انما يجب ان يأخذ بلباب الدين وهو التسامح والمحبة وان يعمل الحكام لخير الشعوب ولقد كان بوشكين قطباً من اقطاب الشعر العالمي وقد اعترف ملحق التيمس الأدبي ان ترجمته متعذرة لان الوحدة بين معانيه وشعوره وأسلوبه لا تنفصم الا ويضيع سر الجو الذي تخلقه براعته المماسة

وهاك مقطوعة الصغيرة « احبك » فيها يقول

« اني اعترفت لك وهالك اعترافي الآن انني احبك الآن ان ذكرياتك لما تزل بهي ولست اريد ان انهي لك الى شيء من الألم فانا لن أرجو لك مفاجأة أخرى لقد انطفأ سراج املي وعذابي وانكن فلي نفس بهذا الحب الذي تعرفه نفسي ويه اسوى رأي الحسود والطالب اني لا بد حبك من نفس القلب فياحبذا لو تسعدين بعاطفة كعاطفتي »

لقد اكبر العالم شاعرية بوشكين لما فيها من روعة وروح انها عيون ثرة للقلوب المتعطشة للجمال والحق ، بل هي انحل الرحمة وان خواطره لتصدر عن قلبه الغني الى المجتمع الروسي كالورد النضير تحلو الندى في بهجة الصباح او كالنرجس الغض اذ يبكي في ظلال المساء

# فصل معترض

## Strange Interlude

« اما الانسان فضعيف بائس ، وألعوبة
في ايدي القدر ، ولكنه نبيل ويتألم بجمال
وجلال ! »
سدني دارك

يقول « تشارلز لام » في « الملاهي المسلية » ، ولا بأس ان يضحك الانسان ويسر ويمتع نفسه بمسرات الحياة ولهوها ، على أن يكون في ذلك معتدلاً حكيماً . ويرى « برنارد شو » أن الملهى يجب ان يكون « معملاً للفكر وحانياً ومنبهاً للوجدان ، ومطهراً للسلوك الاجتماعي ودرعاً واقية من البلاهة واليأس ، ومعبداً لارتقاء الانسان » ويقول في موضع آخر « إن الملهى مكان لا يرتاده الانسان إلاّ لينسى نفسه ، حيث يكون قد خُدِّرَ اهتمامه وأُثيرت عواطفه الى أقصى درجات الاستعداد والنشاط ، وتلاشى وعيه »

ولقد كانت المسرحيات عند قدماء الاغريق من اسمى انواع الادب وفنونه ، تعنى بالمسائل الاساسية الهامة التي تشغل حياة الانسان ، فكانت صوراً لفلسفتهم ومظهراً لآرائهم في الحياة ، وهي التراث الخالد الذي أبقوه اثراً حياً في الادب العالمي ، كمسرحيات سوفوكلس واسكيلس ويوريبيدس وما بقي منه ليس الا جزءاً ضئيلاً من تفكير ذلك الشعب العبقري وأثراً نفيساً من عبقريته التي بقيت على مر العصور ، وكانت أساساً لمدنية اوربا وثقافتها العقلية

ولعلّ اروع مظهر من مظاهر الدراما الحديثة ان المؤلفين المسرحيين يعملون ما في استطاعتهم للتعبير عن خفايا النفس الانسانية ومراميها ، واظهار الافكار على ملامح الوجه قبل النطق بها وهم يسعون بواسطة « الملهى » - المسرح - ليس للتعبير عن حقائق الحياة الظاهرية فحسب ، بل ولبيان المشاعر والافكار الخفية التي هي العامل القوي في حياتنا

العملية وهم يسعون بذلك الفرد الى ما وراء هذه الحياة العادية التي يحياها للوصول الى اعماق النفس الانسانية والارتشاف من مصادر الفكر الصافي والينابيع المجهولة المدفقة نوراً وفكراً سامياً وبعد فهذه رسالة « اونيل » التي يعمل من اجلها — بواسطة شخصيات مسرحياته — لاظهار العالمَيْن المختلفين اللذين يحيا بهما الانسان — العالم الظاهر ، عالم الحقيقة والواقع ، و — العالم الخفي — الذي يستتر وراءه الانسان ، عالم الاحلام والافكار المدهشة كما يبدو ذلك في مسرحيته Strange Interlude

فكم ، اذن ، حار « اونيل » بهذه الشهرة العالمية وامتاز على اقرانه وزملائه بمسرحياته الرائعة ؟

ا لم يكن — كما قال (كلود بروين) « فريداً ممتازاً بقصصه حين رسم لمعاصريه صوراً حقيقية منوعة لحياة الشعب الاميركي ، وصفحات ملونة من آماله وامانيه ، وادوائه وعاداته ، وآلامه وشقائه ، مما لم يتسن لمؤلف مسرحي قبله عرض هذه الصور الخالدة على المسرح بقوة وصدق وحادية ؟ ! »

***

نصل الآن الى نقطة هامة في تطور شخصية اونيل الادبية ، بعد تنقله بين المذاهب الفنية المختلفة ، فاذا بنا عند مسرحيته الفريدة ( فصل معترض ) Strange Interlude وهي قصة «امرأة واربعة رجال» وتطورها في نواحي الحياة المختلفة ، وهي مسرحية طويلة ذات تسعة فصول ويستغرق تمثيلها خمس ساعات جرت وقائعها في اميركا وتمتد خمساً وعشرين سنة وتظهر هذه المسرحية مُعَبَّرَة بالاحاديث النفسية الداخلية لكل شخص من اشخاص القصة على حدة ، وذلك بعد ان يقول كل شخص دوره في القصة بصوت عال ، يلتفت جانباً ويقول وكأنهُ يناجي نفسهُ ما يدور في نفسهِ ومن مزاياها انها تزخر بالقوة والحياة ، فتشعر بها كأننا امام امر واقع فهي تؤثر في المشاهدين والمستمعين تأثيراً قوياً ، حتى ليشعر هؤلاء حين انتهائها انهم امام قصة حقيقية تمثل وتجري وقائعها في الحياة وليس على المسرح

تحلل لنا هذه المسرحية ، وهي مأساة متشابكة الحلقات ، نفسية امرأة معذبة بائسة فهي قصة حياتها وحبها ومغامراتها وخلاصتها ان ( نينا ) Nina وهي ابنة

أستاذ من ( نيو انكلند ) في اميركا ، خطيبت الى طيار اميركي اسمه ( غوردون ) Gordon قتل في الحرب الكبرى وكان قد نصحه ابوها ان لا يتزوج من ( نينا ) قبل عودته سالماً من ساحة الحرب ، خوفاً على ابنته ان تبقى ارملة فيما اذا لم يعد زوجها وكذلك ذهب ( غوردون ) وحارب في فرنسا ، ولكنه لم يعد كألوف مثله ، فنقمت الفتاة على ابيها نقماً عظيماً ، لانه مانع من زواجها عن حب ، وقضى على آمالها وهي تحلم بحبها وخطيبها المفقود !

رفع الستار في الفصل الاول عن بيت الاستاذ حيث نجد (تشارلز مارسدن) Charles Marsden وهو قصصي مشهور وصديق للعائلة من زمن طويل عاد من اوربا ، وهو أعزب ، متعلق بأمه ومخلص لها الاخلاص كله ، وهو يحب ( نينا ) ويتودد اليها بيد انه لأسباب نفسية ، لم يصرح لها بحبه ، فهو حيي خجول ، ذو شخصية غامضة ، نكاد نراه في كل فصل من فصول المسرحية ، يحوم حول المأساة ، وكأنه يشعر بها ، ولكنه يحجم عن الولوج في هذا المأزق فهو في بيئة مشبعة بالمؤامرات والحقد والشحناء

ثم ان ( نينا ) تصاب بحالات عصبية شديدة وعلى وشك ان تفقد عقلها وهي تعلن حقدها الشديد وسخطها من أبيها الذي قضى على احلامها فقرر الاطباء تمريضها في احد المستشفيات لمواساة الجنود العائدين من ساحات القتال ، وتوقف نفسها على خدمة الجرحى ذكرى لحبيبها المفقود ( غوردون ) !

وأما في ( الفصل الثاني ) فانا لا نزال في بيت الاستاذ ، وهو الآن مريض نازع سكرات الموت ، وحوله ( تشارلز مارسدن ) صديق العائلة تعني به بانتظار ( نينا ) تدخل ( نينا ) بيت أبيها ومعها الدكتور ( نيد دارل ) Ned Darell احد أطباء المستشفى، و ( سام ايفنز ) Sam Evans ، وهو شاب معجب بها ويحوم حولها

اما الدكتور ( دارل ) فهو بعيد عن تأثير العاطفة الحسية، ولا يهتم بالنساء كثيراً، ولكنه شديد الكراهية لتشارلز مارسدن ويبغضه بغضاً شديداً فهل تكون ( نينا ) سبباً لذلك ؟!

( نينا ) مريضة النفس واهنة ، منهوكة القوى ، حزينة يائسة ، تنتابها أوجاع مقلقة ، فيشير عليها الدكتور ( دارل ) بالزواج لوضع حد لآلامها النفسية المبرحة

وحينا تسأله ( بينا ) عن زوجها ، يقول لها بصراحة الشاب ( سام ابن عمر ) وعمل نصيحته وتزوجها

تمر على هذه الحادثة سنة ، تزور بعدها ( بينا ) وزوجها بيت حماتها ( ام سام ابن عمر ) ، وتكشف هذه لها سراً عائلياً ، وهو ان في العائلة مرضاً وراثياً عضالاً ، قضى على ابي سام وحده وأودى بالموت في مستشفى المجانين ، وتطلب الى بينا ان لا تكون لها أولاد ولكن هذا الانذار يأتي متأخراً ، وأم ( سام ) قاسية القلب وتريد ان لا يكون لابنها أولاد ! وأما بينا فهي على العكس من ذلك ، تحب ان تكون سعيدة وان يكون زوجها مغتبطاً بها ، فاذن يجب ان يكون لها ولد ولو كان من شخص آخر ! ؟

تمضي الزمن ، والوقت يمر بسرعة حرجت ( بينا ) من المستشفى والولد لم يولد بعد ، وزوجها ( سام ) قلق الخاطر مضطرب البال ، يشعر بالكآبة واليأس ، وقد تغيرت طباعه واضطربت حياته ، وخمدت في نفسه جذوة النشاط ، فلم يعد قادراً على العمل وكثرت الاشكالات ( في المحل الذي يعمل فيه ) فيبدره اصحاب المحل ويهددونه بالطرد اذا لم يعد الى الاهتمام بعمله ومع ان ( بينا ) بدأت تشعر الآن بفتور من زوجها ( سام ) ، الا انها لا تزال له في قلبها بعض الحب ، وهي تريده ( ان يكون سعيداً )، وتشعر انها لهذا انها ترضى زوج خطيبها الاول ( عوردون ) وهي ما زالت [illegible] ، وان كان هو قد صار ربما تحت التراب !

[illegible] اذن ؟ واخيراً [illegible] محرجاً [illegible] من هذا الأرق فهي [illegible] كل [illegible] ( [illegible] ) [illegible] سراً لولدها الذي تريده وتحلم به [illegible] الذكر [illegible] خاطر - ولكن كحالم فقط ، لا تهمه الا حقائق العمر المجردة [illegible] تحب وحادثه نحو ( بينا ) فهذا مما لا شك فيه !!

ثم [illegible] ( بينا ) ان [illegible] ام سام على القصة كما هي وان تشدد عليه بطلب الطلاق منها ، بيد ان ( [illegible] ) وهو على [illegible] لم يعمل بما طلبت منه ( بينا ) تريث قليلا اذ تراءى له [illegible] هذا الامر [illegible] حال سام فيما اذا عرف الحقيقة ، ولذا يغتنم فرصة غياب ( بينا ) وزوجها من الغرفة فيخبر سام انه سيكون أباً عن قريب ،

ويترك رسالة ( لينا ) تعلمها بعزمه على السفر الى اوربا

تمر سنة على هذه الحادثة ، فيجد سام عملاً ويصبح رجلا نشيطاً مجدًّا عاملاً ولا سيما بعد ان رزق ولداً ، فأصبح يفخر بحياته العائلية وعمله النافع ، قليل الاهتمام بالحوادث العامة ولكن ( دارل ) يعود فجأة ، فيخبرها ( تشارلز ) عن ( دارل ) ويبلغها نشوءه واعماله ، و( نيا ) لا تزال تحبهُ ، واما هو فقد خمدت عاطفته نحوها

ويلي ذلك مشهد رائع مؤثر ، ربما كان اجمل ما في القصة ، حيث تجمع ( نينا ) واصدقاؤها الثلاثة ، يتحدثون بصراحة والطفل (عوردون ) في الطبقة العليا من المنزل يشرف عليهم ويتحتم على ( دارل ) أن لا تعترف بأن ( عوردون ) ابنه ، لذلك نراه يبعد عن هؤلاء ويذهب في مهمة الى (پورتوريكو) للاشتغال ببعض المسائل العلمية هناك

وتمضي عشر سنوات تتقدم خلالها (سام) ويجد له مقرًّا في ( بارك افنو ) وهو لا يتميز عن غيره من رجال الاعمال في اميركا ، بوجهه الاحمر المورد ، واعتداده بنفسه وشموخ انفه !

ثم يعود دارل ويجتمع بنيا والولد ( عوردون ) الذي يكره عمه ( ! ) الدكتور ( بد دارل ) كرهاً شديداً ، ولكنهُ لا يعرف سبب ذلك البغض والنفور ، وفي الوقت نفسه يحب أباه ( ! ) سام وأما ( نيا ) التعسة البائسة ، المعذبة المتألمة ، فتعيش في جوٍّ حافل بالاكاذيب والدسائس والخداع ، وتسعى لاكتساب ود (دارل) لعوده اليها وفي خلال ذلك نرى ( عوردون ) الصغير أمهُ تعانق (دارل) فتثور العواطف في نفسه ويأتي بالسفينة الصغيرة التي أهداها اليه دارل ويلقيها على قدميه فتحطم ، وتعلمُ الاثنين انهُ سيحذر اباه ( ! ) سام مما شاهد منهما

نصل الآن الى الفصل الذي قبل الاخير وقد جرت حوادثه بعد بضع سنوات ، على اليخت الذي يخص ( سام ) فنرى ( عوردون ) وهو يقوم بدور في المسابقات المائية مختاراً من قبل ( الجامعة ) التي يدرس فيها ، وهو خطيب الآنسة ( مادلين ) وهي الآن في اليخت مع ( سام ) و ( نيا ) و ( دارل ) و ( تشارلز ) يشاهدون المسابقات التي يشترك فيها ( عوردون ) ( دارل ) و (تشارلز ) يلاحظان بدقة كل حركة تصدر من ( نينا ) انها تفكر في ( مادلين ) — خطيبة ابنها عوردون —

لانها ستتزوج منه وتحرمها من ابنها ، وهو رمز لحبها واخلاصها لحبيبها الاول الطيار (عوردون) ولذلك فهي تعزم على ان تستسلم الفتاة (ماداين) بالمرض الوراثي المتأصل في اسرة (ايفر) لتحول بينها وبين الزواج من ابنها . ولكن (تشارلز) وقد لاحظ عليها ذلك ، وفهم ما عزمت على عمله وقوله ، يتدخل في الوقت اللازم ويمنعها من الكلام

انتهى السباق ، واذا بعوردون هو السابق ، فتستولى عندئذ على سام غمرة شديدة من الهياج والفرح فيقع مغشياً عليه ، وتنسى (نينا) في تلك اللحظة نفسها وهمومها ، فتبكي بسعادة وتعانق سام

واخيراً فنحن في حديقة منزل (ايفر) في (لونج ايلاند) ، واذا بسام قد مات وخابت (ماداين) خطيبها (عوردون) بالطيارة لمشاهدة (نينا) وتشاء القدر ان تعود (دارل) فجأة من مقر عمله في (بورتو ريكو) ، و (تشارلز) موجود كالمعتاد (في هيئة الرحام !)

نشاهد الآن منظراً مؤثراً حيث يعلن (عوردون) كل ما يحسه من حقد وصيحة نحو (دارل) — ابيه — ثم يهجم عليه فياطمه عندئذ تصرخ (نينا) وتقول

— عوردون ! ماذا فعلت ؟ انك تضرب اباك

فيلتفت عوردون الى امه متعجباً ويقول

— هذا ما كان يشعر به ابي لو كان حياً او ليس العم دارل خير اصدقائه ؟ !

انا السر ولا يزال حقيقياً مكتوماً

وتطير بعد ذلك بالطيارة (عوردون) وخطيبته (ماداين) وتمر الطيارة محلقة فوق الحديقة وتتذكر (نينا) حبها الاول (عوردون) الطيار الذي كان له في نفسها اعمق الاثر ، وكانت له دائماً محاسنه ومحبته ، فيصرخ (دارل) ويترنح صراخه بهدير الطيارة قائلاً « إنك ابي يا عوردون ! » ثم يتوارى عن الانظار وتبقى (نينا) مع (تشارلز) وقد ماتت عاطفتها وحنت الى الابد حدوة حبها ! اما تشارلز فلم يحقق قلبه يوماً للحب وتنسى (نينا) من (تشارلز) وهو الوحيد الذي بامكانه الآن ، ان تُسبغ عليها نعمة الحياة الهادئة والعيشة الرضية !

بالخصوص وتعليق فؤاد عباني



## مع المتنبي

بحث للدكتور طه حسين بك في جزئين عدد صفحاتهما [illegible] من القطع المتوسط
لجنة التأليف والترجمة والنشر

كانت الذكرى الألفية لوفاة المتنبي حافزاً قوياً لدراسة هذا الشاعر دراسات حديثة تتفق وروح هذا العصر فهبَّ أبناء العربية في مختلف البقاع والأمصار يحيون هذه الذكرى ويميطون اللثام عن سر عظمة المتنبي وكان أن أفردت هذه المجلة لأول مرة في تاريخها عدداً خاصاً تولى إخراجه كاتب واحد هو الاستاذ محمود شاكر وقام على أثره كتاب آخرون يحللون هذه الشخصية الفذة وكان آخر ما صدر كتاب الدكتور طه حسين بك وقد قسم بحثه إلى خمسة كتب فأما الكتاب الأول فقد تناول فيه حداثة المتنبي وشبابه وبدأه بالكلام في نسب الشاعر غير أنه لم ينته إلى قرار في هذا الموضوع كما خاض الأستاذ شاكر في بحثه إلى مرافئ صلة نسب المتنبي بالعلويين ثم تكلم الدكتور عن الحياة الاسلامية عند مولد الشاعر فلخص ذلك البحث القيم الذي عقده عن هذا العصر في كتابه «ذكرى أبي العلاء» ثم انتهى منه إلى الكلام عن طفولة المتنبي فخالف فيه مصريين دخول المتنبي مدرسة من مدارس العلويين في ما ذهب إليه ذلك وعنده «ان الارستقراطيين المتازين من الشيعة العلوية ومن أهل السنة لم يكونوا يرسلون أبناءهم في طور الصبا إلى المدارس العامة وإنما كانوا يتخذون لهم الأساتذة والمؤدبين فإذا شبوا خلوا بينهم وبين الاختلاف إلى مجالس العلم في الأندية والمساجد الجامعة إنما كان أوساط الناس وعامتهم هم الذين يرسلون أبناءهم إلى هذه المكاتب والمدارس» وان اختلاف المتنبي إلى مدرسة من هذه المدارس لا يدل عنده على أمر خاص إنما يدل على الاتجاه الذي الذي وجه إليه الصبي وقد تناول بالتحقيق الخصال الثلاث التي ظهرت في شعر المتنبي الذي قاله في صباه وهو يختلف إلى المكتب كما تناول بالدرس والتحليل شعر المتنبي في طرابلس وفي اللاذقية واستعرض ما قاله من الشعر الحاد العنيف الذي انتهى به إلى السجن في حمص وما قاله بعد خروجه منه

وأما الكتاب الثاني فتناول فيه حياة المتنبي من خلال شعره في ظل الأمراء من الأوراجي حتى أبي العشائر كما تناول في الكتاب الثالث حياة هذا الشاعر في ظل سيف الدولة وهذه الفترة من حياة المتنبي هي «خير أعوامه وأخصبها وأنفعها وأكثرها حظاً من الانتاج الممتاز المسموع» وقد وجد الشاعر في سيف الدولة ومملكته تأييداً لنزعته القومية وما كان يشتهي من هوى عربي قوي وصادف عنده بيئة خصبة ممتعة ذكية نافذة فلاءم بين نفسه وبين هذه البيئة وقد حلل الدكتور شعر المتنبي في سيف الدولة ومراثيه لأقاربه وخاصته ووصف حروبه

مخالف صدر ما شاكراً فيها انقطاعه . عرام الشاعر بحولة أحت سيف الدولة من خلال مرثيته فيها ورد اا ك ر ر ه ه القصيدة الى الحين المتصل بين الشاعر وسيف الدولة بعد ان فارقه وانه لا يفهم من هذه القصيدة الا ان القصيدة كان من الشاعر وتحسن اليه عن بعد كما كانت تحسن الى غيره من القصاد وأهل الادب . ومد ادبي في هذا الكتاب الى آخر حياة المتنبي في ظل أميره فصور لنا ما لاقاه الشاعر أخيرا في هذه البيئة من مكائد ودسائس فرحل عنها لنبدأ حياة جديدة في ظل كافور ولم يكن الشاعر يقدر خدعة كافور حين استدعاه اليه فاستجاب دعوته تحته اطماع واماني ما لبثت ان ذهبت مع الرياح وكان لما لقيه من خيبة الامل أثر قوي في شعره ظهر فيما ساول به كافوراً وبيئة المصرية فلا دع القول ومن السخرية وقد ساول المؤلف كل ذلك بالبحث والتحقيق في كتابه الرابع

اما الكتاب الخامس فمد فيه حياة المتنبي الاخيرة بعد فراره من كافور حتى لقي حتفه وقد انتهى فيه المؤلف الى رأي خاص او خاطر الخ علة --كما يقول-- هو ان المتنبي لم يذهب ضحية القصيدة البائية الفاحشة ولا ضحية جشع في ماله او متاعه وانما أدى مرته الى القرامطة والى العرب ثم خيانته التي اضمرها في الكوفة وسجلها في نفسه في شيراز وعاد وفي نفسه ان يعبث فيها ويملأ الارض اذا انتهى الى بغداد

هذه نظرة سريعة في هذا الكتاب النفيس ولولا علمنا انه ألف والدكتور مصطاف في اوربا وهو بعيد عن المراجع لكنا طالبناه بذكر المؤلفين المحدثين والمتقدمين عند نقد آرائهم بدلاً من اسنادها اليهم اجمالاً وتعميماً ولعله يفعل ذلك في طبعة ثانية ان شاء الله

---

## مجلة الشرق

الشرق بدأ عامها العاشر فما أجمل هذه الذكرى !

قبل عشر أعوام كانت الشعلة الادبية المتقدة في اميركا الشمالية توشك ان تخمد ولم تكن لتجد لازهارها طاقة تجمعها ولا لانفاسها نافخ يردّها الى التوهج ولكن مشيئة الله التي أبت الا ان يتم نور هذه الشعلة قيضت لها الاستاذ موسى كريم - احب « مجلة الشرق » فحملها بيديه الى اميركا الجنوبية والف حوله ادباء العروبة هناك - في البرازيل - وفتح وإياهم افقاً جديداً تطلع اليه العالم العربي , وما انفك ان سمعنا في جنباته هذه الانغام المقدسة التي ما تزال ريح الشرق تهب عليها وخرجت لنا من آثار الشرق ملحمة فوزي ، وأعاصير القروي ، وعبقر شفيق ، ومنمات فرحات ، واغاريد العصبة التي نشر لواء العروبة هناك

وانا نهنئ هذه الفرصة السعيدة ونهنئ هذه المجلة الزاهية الحانية على الأدب بعامها العاشر الذي درجت اليه في ثوبها القشيب المتجدد ، وأنا لنرجو أن نعود الى درس أثر هذه المجلة في الصحافة العربية التي انشئت بعد ذلك في ربوع المهجر

الصيرفي

## شعراء مصر

### وبيئاتهم في الجيل الماضي

تأليف الاستاذ العقاد — صفحاته ٢ ٢ قطع وسط — تطلب من ٨٠ ، المطبعة المصرية

من أظهر سمات أدبنا الحديث تلك الدراسات الحافلة المستفيضة التي تناول الشعر والنثر في العصور المختلفة والرجوع بهما الى البيئات التي نبتت فيها وتفرعت عنها واستمدت ألوانها وصورها من ثقافاتها الموروثة والمكتسبة

ولم تعد الكتابة مقتصرة على ترجمات متصارية لحياة هؤلاء الشعراء والكتاب ولم يعد النقد الأدبي محصوراً في عرض شامل لأساليبهم الفني ومقابلة بين سموهم والرجوع بالمعاني والأخيلة إلى معاني القدماء وأخيلة المعاصرين لهم بالطريقة التي سلكوها في شعر المتنبي وأبي العلاء والبحتري ولكن النقد الأدبي قد سما الى أفق آخر من التحليل الدقيق والاستقراء العميق وفيما أخرجت المطابع أخيراً من الدراسات الادبية شواهد على الاحاطة الواسعة بكل ما يتصل بالأدب من الزمان والمكان وما يحيط بحياته من احوال اجتماعية وملابسات سياسية وأثر انعكاس كل عصر في نفس شاعره او انعكاس حياة الشاعر في العصر الذي عاش فيه ومن أجل ذلك قرأنا عن ابن الرومي والمتنبي وغيرهما شيئاً جديداً لم يعن القدماء به ولم يشغلوا بالاشارة اليه او التحدث عنهُ على بعد أثره في تكوين مذاهبهم الادبية وتحديد اتجاهاتهم وخلق صورهم واستلهام معانيهم

على أنك لا تقع في الدراسات الجديدة على ما تناول شعراء عصر واحد كما نقرأ في الأدب الانكليزي مثلاً عن العصر الفكتوري أو شعراء القرن التاسع في فرنسا لهذا كان كتاب الاستاذ العقاد عن شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي عملاً أدبيًّا لا بدَّ منهُ ولا غنى عنهُ لأدبنا الحديث، ومن الواضح أن أديباً كبيراً كالأستاذ العقاد توفر على دراسة الأدب العربيّ في عصوره المختلفة وأحاط بمذاهب النقد العربية لا بدّ وان يكون لهُ رأي ناضج في الشعر تسنده سانحةُ من مقدمات صحيحة، محصها التأمل الطويل وصقلها الدرس العميق، وهذبها الذوق العالي، وأملاها الحس المرهف، وهي صفات اجتمعت للاستاذ العقاد، كاتباً منفرداً في ادبنا الحديث كشاعر وكاتب وناقد على ان هذه الخصائص وان اجتمعت لأديب فأنها لا تصرفهُ عن الفطرة من خلال مراجعه الخاص الى كل لون من ألوان الفنّ والادب وان هيأت له ما لا يتاح لغيره من نفاذ الفطرة وعمقها واتساعها وانك لتقرأ في كتابه عن شوقي وتلمس شواهد ذلك كله ولعلَّ فصولهُ في حافظ ابراهيم والبكري وعبد المطلب واسماعيل صبري وعبد الله فكري وعلي الليثي وعثمان جلال والبارودي والتيمورية من أعلى الفصول الأدبية قيمة واقومها بحثاً واسلوباً

## المخطوطات الملكية في مصر

وأسباب الحملة المصرية في سوريا (١٨٣١ -- ١٨٤١) للدكتور اسد رستم

عصر محمد علي زاخر بالفتوح والحوادث والانقلابات والمؤامرات التي لا تخلو منها عصر زاهر في تاريخ أية أمة وليس هناك شك في ان يكون المرجع الوحيد لكل هذه الامور الى تلك الشخصية النادرة العبقرية العظيمة — شخصية محمد علي

في النصف الثاني من القرن الماضي عني الكتاب والمؤرخون الاوربيون بدراسة التاريخ المصري والعثماني المعاصر ، لكن في معظم الاحوال كانت كتاباتهم لا تخلو من روح التحيز التي تتعاون مع مآرب الدول التي ينتمون اليها لتحقيق أغراضها السياسية ويخيل اليَّ انهُ باستثناء كتاب « الامبراطورية المصرية تحت حكم محمد علي » للاستاذ المؤرخ محمد صبري وكتاب « المسألة المصرية منذ حكم محمد علي » للاستاذ شفيق غربال فانا لانجد ابحاثاً اخرى في هذا الموضوع الهام للمؤلفين المصريين او السوريين

أخيراً كان الدكتور أسد رستم « استاذ التاريخ الشرقي في الجامعة الاميركية ببيروت » موفقاً كل التوفيق في دراساته العميقة التي بدأها منذ أعوام باحثاً منقباً عن كل ما يتعلق بالحكم المصري في سوريا (١٨٣١ — ١٨٤١) وذلك بعد انتهائه من مؤلفاته النفيسة « فتوح ابراهيم باشا في سوريا وآسيا الصغرى » وعمله الفاخر « مجموعة الوثائق العربية الخاصة بتاريخ الشام تحت حكم محمد علي » وكان طبيعيًّا للاستاذ ان يعتمد في تحقيق ابحاثه التاريخية على مجموعة المخطوطات المصرية في قصر عابدين التي تم تبويبها وتنظيمها بعناية الراحل العظيم المغفور لهُ الملك فؤاد الاول وأصبحت اليوم تُعد مرجعاً يأخذ عنهُ مؤرخ العصر الحديث لان هذه الذخيرة التاريخية الثمينة كانت الى عهد غير بعيد مبعثرة او مكدسة في زكائب ملقاة بين جدران الدفترخانة

والغرض الرئيسي الذي من أجله وضع الدكتور أسد رستم رسالتهُ النفيسة عن « المخطوطات الملكية لمصر وأسباب الحملة المصرية في سوريا (١٨٣١- ١٨٤١) » هو ان يجعل في متناول من يدرس التاريخ المصري المعاصر فكرة وافية عن وجهة النظر المصرية لاهم الحوادث فيما بين العامين ١٨٣١ و١٨٣٣ في الشرق الادنى ومن المحتمل ان تكون من نتائجها ان تثير بعض النقد العلمي والجدل المفيد فيكشف الستار عن الحقيقة وبذلك تكون هذه الرسالة قد أدت واجبها

تناول المؤلف الفاضل في رسالته وبعبارة أوفى في كتابه النفيس الكلام على المخطوطات الملكية ومحافظ مشتملاتها في الشؤون العسكرية والبحرية والادارية وأوامر الجيش وخطط المعارك والتقارير السياسية وأعمال الجاسوسية واوراق الاعداء المصادرة وأهم الحوادث اليومية

ثم يلي البحث الاصلي للمؤلف وهو الحملة المصرية في سوريا وأسبابها « الرسمية » كموقف عبد الله باشا والي عكا وتحديد الامبراطورية العثمانية واسبابها غير الرئيسية ( غير المباشرة ) التي لخصها المؤلف في المقاصد غير الطيبة للباب العالي واستغلال مصر وبعض موارد ( عدم كفايتها ) ووادي النيل وطبيعة مصر وسوريا كوحدة جغرافية مستقلة النواحي الوطنية للنزاع

وقد حاول المؤلف ايضاً تحليل جميع هذه الأسباب على ضوء الوثائق الرسمية فوصل الى عدة نتائج منها ان محمد علي في نزاعه مع السلطان محمود كان يحارب للمحافظة على ثروته ومنصبه ومقامه كما حاربه ايضاً للمحافظة على حياته

وذكر الدكتور رستم انهُ كان من اسباب النزاع بين مصر وتركيا عوامل جغرافية ومنها اقتصادية تلك العوامل التي جعلت سوريا ميداناً للخصومة بين محمد علي والسلطان محمود فان مصر على الرغم من خصبها لم تسد حاجة محمد علي الى الخشب فكان عليه ان يستورد معظم مايحتاج اليه من الوقود والاخشاب التي يحتاج اليها في اعمال الحرب والسلم فاضطر ان يحذو حذو تحوتمس الثالث ورمسيس الثاني في العصور القديمة وابن طولون في العصور المتوسطة اي ان يبحث عن الاخشاب التي يحتاج اليها في سوريا وبلاد القرم وخير مقياس نقيس به ما كان لخشب سوريا وكيليكيا من المقام لدى محمد علي هو مقدار ما قطعه الجنود من أشجار الجراج الخامة بين ١٨٣١ و ١٨٤ فما كاد ابراهيم باشا يصل الى اطنه حتى أصدر اوامر مشددة لبناء طرق تصل بين الجراج والبحر حتى يسهل نقل الاشجار منها الى مصر كذلك وقطعت اشجار اخرى من غابة ازر لدان وارسلت الى معامل الذخيرة والسلاح في مصر اما المعادن فلم يكن رجال محمد علي موفقين في البحث عنها

كذلك كان محمد علي في حاجة شديدة الى الرجال الذين يعتمد عليهم في حروبه فان مصر التي لم يزد عدد سكانها عن الأربعة الملايين حينئذٍ لم تستطع ان تقدم لهُ الجند الاشداء وهو في حاجة الى جهودهم سواء لزرع الارض او لخوض غمار المعارك فان الجيوش العديدة التي حشدها من رجال مصر وخسائره في حروبه في بلاد العرب والسودان والمورة قللت من اليد العاملة في مختلف اعماله الزراعية والصناعية كذلك عدم ملاحة في الجند السوداني جعله يتطلع الى سوريا وسكانها الشديدي المراس الكثيري العدد ونحن لا ندهش اذ رأينا محمد علي يعتمد عليهم ... وهو القائل « من حيث انسان احسا جنودي فادربهم حيساً كبيراً ولا أحمي به إلا على صفاف دجلة والفرات »

الواقع ان المؤرخ العالم الدكتور رستم يستحق منا كل شكر ورجو لو ان واصل وحبذا الحال لو ظهرت هذه الرسالة النفيسة باللغة العربية عبد الرحمن زكي

## قواعد النقد الادبي

تأليف لاسل آبركرومبي استاذ الادب الانكليزي بجامعة لندن وتعريب الدكتور محمد عوض محمد
الاستاذ المساعد بكلية الآداب بالجامعة المصرية نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر

لهذا الكتاب مكانة خاصة يحتلها في تاريخ أدبنا الحديث فهو اول حجر في أساس نهضة ، وما أحوج أدبنا الى قواعد جديدة في النقد

وقد بدأ المؤلف مقدمته بالحديث عن الخطوة الأولى في تاريخ النقد وهي التي بدأها سقراط عند ما دعا الشعراء أن يخبروه عمّا عَنَوْهُ بشعرهم ، ثم بيّن ان دولة الأدب تحتلها ملكات ثلاث الانتاج ، والتذوق ، والنقد وان من مزايا هذه الملكة الأخيرة تمكين من رزق القدرة على الانتاج الأدبي من استخدام مواهبه كاملة واستغلالها على أحسن وجه ممكن وكذلك من رزق القدرة على تذوق الادب فان ذائقته تصبح مبنية على أساس من الفهم وحسن التقدير

أما الفصل الثاني فقد حاول فيه المؤلف شيئاً من البحث العلمي في الادب ادّى به الى سرد أهم قواعد نظرية الأدب ، وانه فنّ يرمي بواسطة اللغة الى إيصال التجارب التي لها قيمة في ذاتها والتي يمكن تذوقها لذاتها وان وظيفته هي ان تكسبنا قوة الخيال التي نتصوّر بها التجارب ذات المغزى العميق

وأما الفصل الثالث فقد أفرده المؤلف لكتاب أرسطو في الشعر شارحاً فيه نظرته في الشعر عامة لأن أرسطو كاد يلم فيها بجميع المسائل التي تتولد منها القواعد التي لا بدّ للنقد منها مع بيان أوجه الخلاف بينه وبين أفلاطون . ثم تكلم في الفصل الرابع عن أصحاب النظريات الذين ثبت ان قضاياهم ذات فائدة في النقد بادئاً بهوراس الذي يعتبره أكبر اسم في تاريخ النقد بعد أرسطو وقد كانت قصيدته « فن الشعر » سبباً في نشر آراء ارسطو في كل أدب أوربي وانتهى من ذلك بعد عرض لبعض رجال النقد ولبعض المذاهب المختلفة في الادب الى رأي « ميروني » المعبّر بأقواله عن المثل العليا للنقد الحر والهادي الى الطريق القويم للنقد الصحيح بكافة أنواعه . ثم ختم المؤلف كتابه بالنظر في رأي ميروني

هذه نظرة سريعة ألقيناها على هذا الأثر الطيب الذي أتحف به الدكتور عوض لغته وأبناءها وهو دائماً لا يضنّ عليها بنقل نفائس الآثار اليها ففاوست وهرمن ودوروثيه درّتان في تاج الأدب العربي الحديث ولعله يتحفنا بعد ذلك بنقل كتاب الاستاذ لاسل « الشعر موسيقاه ومعناه » بعد تطبيق نظرياته على الشعر العربي وهو خير من يستطيع ذلك

حسن كامل الصيرفي

## دياطاسرون طيطيانوس

### لحضرة الاب اس مرمرجي الدومنكاني

Diatessaron de Tatien

ان كل من عني بدرس كتب الاناجيل المقدسة، وبنقد رجالها واوضاعها، وبجمع الاناجيل الاربعة لتكمل بعضها بعضاً وتتكوّن منها انجيل واحد بين سياق الحوادث باجلى مظاهرها، يعرف ما هو « الدياطاسرون » ومن هو طيطيانوس

فالدياطاسرون هي كلمة يونانية معناها « احداً عن الاناجيل الاربعة » اعني مجموعة الاناجيل الاربعة وهذه المجموعة اصلها يوناني — سرياني كتبها طيطيانوس اولاً باللغة اليونانية التي كان يحذقها ثم ترجمها الى السريانية وذلك في اواسط الجيل الثاني للمسيح ومن بعده نقلها الى العربية ابو الفرج عبد الله ابن الطيب في الجيل الحادي عشر

اما طيطيانوس فهو رجل اشوري من شمالي العراق ومن اصل رفيع، درس الآداب اليونانية والرومانية وطاف في بلاد اليونان وايطاليا، وساعد القديس يوستينوس الفيلسوف السوري في عمله، وخلفهُ في تعليمه، ثم عاد الى بلاد اشور حيث كانت اللغة السريانية هي السائدة فجمع الاناجيل الاربعة في واحد وكتبها باللغة اليونانية اولاً ثم ترجم ذلك الى السريانية خدمةً لاهل وطنه فان البلاد العراقية لم تكن تعرف اللغة اليونانية ولم تكن لدى المسيحيين فيها اناجيل مترجمة الى السريانية فيكون طيطيانوس قد خدم بلاده ومواطنيه خدمة جليلة

وانتشر كتاب طيطيانوس في بلاد الاشوريين وكان المسيحيون السريانيون يقرأونهُ في الكنائس وقت الصلاة، يستعملونهُ للقراءة في بيوتهم كما يشهد بذلك المؤرخ الشهير أوسابيوس

والانجيل طيطيانوس الرباعي هذا هو عظيم الاهمية من الوجهة التاريخية، الكتابية لانهُ مأخوذ عن الاصل اليوناني وهكذا يثبت الترجمات اليونانية اللاحقة التي بين ايدينا وأقدمها يعود الى الجيل الرابع ومطبع ... [illegible] حضرة الاب مرمرجي الدومنكي، باري

ان حضرة الاب مرمرجي هو [illegible] استاذ المدرسة الكتابية والآثارية الفرنسية في القدس »، وهو من تلك الرهبنة الدومنكانية الجليلة الشهيرة بمباحثها العلمية ولاسيما بكل ما يختص بالكتاب المقدس ومتفرعاته، من المباحث التاريخية والجغرافية والاثرية والفسيرية ويظهر من كتابهِ الضخم الذي يقع في ٧٥٠ صفحة من القطع الكبير بما فيهِ المقدمة والذيل، انهُ رجل ضليع من العلوم الكتابية فانهُ اخذ الانجيل طيطيانوس الرباعي السرياني، وقابله مع الترجمة العربية، وصحح النص العربي من الاغلاط النحوية الكثيرة التي تشوههُ، وعاد فترجمهُ الى اللغة

الفرنسية ، وهي الترجمة الفرنسية الاولى للدياطاسرون الجليل الاثر ، وعارض تلك الترجمة بالترجمات السريانية القديمة، ودل في حواشيه على المخطوطات السريانية . وأضاف الى ذلك كله اربعة روامير خارج النص فجاء سفراً نفيساً وخاتمة كريمة في سلسلة المؤلفات الكنائسية العلمية

ومع حضرة الاب مرمرجي في مقدمته بحاثاً كبيراً اذ شرح لنا من هو ططيانوس وما هو الانجيل الرباعي ثم انكب على درس النص العربي واخذ يبحث فيه و يقدره ونقد جذوره فيظهر معاني الترجمة العربية بمقابلتها مع النص الاصلي السرياني و يعطي لذلك امثلة عديدة جداً وكل هذا بترتيب محكم ورجوع الى الآيات وارقامها واصل الانجيل الذي اخذت عنه

فجاء كتابه تحفة ثمينة خدم بها العلوم الكتابية والعالمين العربية والفرنسية معاً خدمة جلى

الارشمندريت مشيل عساف

هتلر و ستالين

أسس الأستاذان محمد صبيح عبد القادر ومحمد عبد الرحيم عنبر داراً للثقافة العامة ، والغرض من هذا المشروع هو رفع المستوى الثقافي العام المتعلمين المصريين وغيرهم من قراء العربية في اقطارها ، فتقرب لهم ما ابتعد عنهم من دور التفكير العلمي العام في شتى شؤون المعرفة ، وتقدم لهم مبسطات العلوم والآداب في اسلوب مقبول

وكانت باكورة هذه الدار ان اخرج أحد مؤسسيها الاستاذ محمد صبيح عبد القادر كتابين أحدهما عن هتلر والآخر عن ستالين فشرح في الأول الحركة النازية وكيف بدأت وتكلم عن حياة مؤسسها وما لاقاه اعضاؤها من اضطهاد وسجن ومحاربة اعداء الفكرة لهم بشتى الطرق والوسائل واخيراً تغلب على كل الصعوبات واستخدم الامة ... [illegible] على الماركسية في بلاده ... [illegible]

وشرح في الكتاب الثاني الشيوعية والاشتراكية ... [illegible] من الشيوعيين، وهو كارل ماركس واقتبس بعض عبارات ... [illegible] وهو ان ماركس اكتشف قانون التطور في تاريخ ... [illegible] هذا التطور ان الواقع المادية للانسان هي التي تكيف عقائده ونوع حكومته واسلوب تفكيره واما ... [illegible] ماركس فهي ابعض ما تصدمك في فلسفته لانه يحارب ... [illegible] ثم لخص حياة ستالين ومولده وثقافته وتمشيه لمبادىء كارل ماركس وجهاده الكبير واصدار جريدته «برافدا» وسجنه ونفيه اكثر من مرة الى اصقاع سيبريا وتكلم عن لينين و ... [illegible] في آخر ايامه من ستالين و بغضه له حتى كان يعمل على اخراجه من سلطته وكره ستالين لتروتسكي ونفيه من البلاد وختم كتابه بفصل ممتع عن الحياة في روسيا

# فهرس الجزء الثالث من المجلد التسعين


رابطة
الاصلاح الاجتماعي
مكانة الطفل في المجتمع
لسعادة احمد نجيب الهلالي بك
لمحة تاريخية في تنشئة الطفل
لاحمد فهمي العمروسي بك
اجرام الاحداث في مصر
للدكتور محمد عبد المنعم رياض
الاطفال الشواذ
لامين سامي حسونه بك
الاطفال ذوو العاهات
للسيدة زاهية مرزوق
الطفل وأوقات الفراغ
ليعقوب فام



سعادة الأستاذ الكبير أحمد نجيب الهلالي بك
الوزير الأسبق لوزارتي المعارف ، والتجارة والصناعة
ورئيس رابطة الإصلاح الاجتماعي ، ومؤتمر الطفل

# تقدمة

هذه مجموعة المحاضرات التي ألقيت في الجلسات الثلاث لمؤتمر الطفل الذي عقدته « رابطة الإصلاح الاجتماعي » وقد استمع إليها من وسعتهم دار « الاتحاد النسائي » من صفوة الجمهور، من طلبة ناهضين، وشبان مثقف، وسيدات وصبايا، وشيوخ يؤمنون بفكرة الإصلاح — فرغب إلينا الكثيرون منهم أن نعمل على نشرها، تيسيراً لقراءتها وتعميماً لفائدتها

وها نحن أولاء نلبي تلك الرغبة الكريمة، في نشر المحاضرات، شاكرين « للمقتطف » الأغر ترحيبه بها، وإفساح صدره لها

وأكبر ما نأمل أن نلقى من عناية القارئ بالاستفادة منها، قدر ما لقيت من عناية أصحابها بإعدادها .

السكرتير العام

سيد مصطفى

# مطالب الطفل فى المجتمع

## كلمة سعادة الاستاذ الدكتور احمد نجيب الهلالى بك

الوزير الأسبق لوزارتى المعارف ، والتجارة والصناعة ،
ورئيس رابطة الإصلاح الاجتماعي ، ومؤتمر الطفل

---

سيداتي — سادتي أحييكم أزكى وأطيب تحيه وأشكر لكم ما أوليتموني من شرف كبير بافتتاح هذا المؤتمر وكل مؤتمر للاصلاح الاجتماعي عيد أشهده بفرح متجدد لقد نهضت البلاد لمصالح شتى ومضت قدماً في السياسة والاقتصاد والعمران ولكن حالتنا الاجتماعية بقيت ضعيفة متخلفة، كما بقيت جميع المشروعات والتدابير الاجتماعية مجرد آمال وأحلام كسراب الماء فوق رمال الصحراء

والمتأمل في أحوال الأمم الاخرى يرى أن البرامج الاجتماعيه هي التي خلقت البرامج السياسية وأن الاحزاب السياسية إنما قامت على أساس الاصلاحات الاجتماعية ولكن الوضع السامي في مصر عكس ترتيب الوجود فانصرفنا الى القضية السياسيه وتفرغنا لها حتى كدنا نتخلى عن كل قضيه سواها ثم جرينا في السياسة شوطاً بعيداً ، أما في الميدان الاجتماعي فقد ثبتت أقدامنا حيث كانت ولئن كان لنا فى الماضي عذر نحتج به فلا عذر لنا بعد اليوم

***

أيها السادة

أساس الاصلاح الاجتماعي التعاون والتكافل فالجهود الفردية في هذا الميدان قليلة البركة بطيئة الحركة ، تكاد لا تجدي نفعاً ولا ترد على البلاد خيراً

والمشاهد أن العصر الحاضر هو عصر الجماعات في الماديات وفي الروحانيات فالأعمال المادية العظيمة في حاجة إلى الشركات ومصالح المهن والايدي العاملة في حاجة الى النقابات وأعمال الخير والاصلاح في حاجة الى الجماعات وإذا كنا نرتاح لتأليف الشركات والنقابات ونجد فيها دليلاً على حياة البلاد فمما لا شك فيه أن جماعات الاصلاح أدعى للغبطة والارتياح لتجردها عن كل نزعة فردية او غاية شخصية وهذه المؤتمرات التي تعقدونها ان كانت اليوم مؤتمرات صغيرة تؤمها فئة قليلة فستكون غداً باذن الله مؤتمرات كبيرة تمثل طوائف البلاد كلها وسيكتب الله لكم في سجل الحسنات أنكم كنتم طلائع الاصلاح وحوارييه وأنتم إذ تعقدون مؤتمر الطفل تعالجون موضوعاً خطيراً ذا أثر كبير في حياة البلاد الصحية والاقتصادية والسياسية والحربية فضلاً عن نواحيه الانسانية والاجتماعية ومن المسلم به عند رجال الحرب والسياسة والاجتماع أن قوة كل امة تتوقف على زيادة عدد السكان وزيادة موارد المعيشة ، أو كما يقول العرب كثرة العيال وسعة الحال ونمو السكان لا يكون إلا من طريق العناية بالطفل

وإذا كان كثير من علماء النبات والحيوان يؤكدون أن بعض النباتات تخصب وتزدهر بالهواء والنور والشمس ، فاذا زادت العناية بها رقيت فى الحياة درجة درجة حتى تدب فيها الروح الحيوانية فما أولى ابناء الوطن بمثل هذه العناية ، وما أعظم الفرق بين جيل ضعيف مهمل جامد الحال على اول درج الحياة ، وجيل شديد قوى نام بلغ أعلى الدرج وورد ماء الشباب والحياة تخطى منه كأس رويّ

وها أنتم أولاء ترون حالة الاطفال في بلادنا ، فسواد الأمة يجهلون تمام الجهل كيفية تدبير الطفل ، وطرق تمريضه وتغذيته وتنميته وتقويته ووقايته عوامل العلل والضعف والأطفال الذين يسلمون من الموت يحيون حياة ناقصة من حيث الجسم والحيوية ومن حيث العقل والروح وكل أمة تهمل شأن الاطفال الى هذا الحد تنحدر انحداراً قومياً وتكون عرضة للضعف والانزواء

وأما الأغنياء فيعتقدون انهم يحلون قضية الأطفال بمجرد الحاقهم بالمدارس وأنهم إذ يكلون أبناءهم الى المربين الرسميين يتحللون من كل تبعة وهم في ذلك مخطئون فصحة الأطفال

وتربه الاطفال لا نكون إلاّ في البيت وصفاء الطبع وجمال الأدب وطيب الخلق لا تكتسب إلاّ في البيت ذلك لأن الابوين أقدر على الالتفات للجزئيات وعلى معرفة أحوال الطفل وطبعه ومزاجه ولان البيت وإن كان مجتمعاً خاصًا هو أصل المجتمعات كلها والعادات والأخلاق التي تكتسب فيه أصل العادات والاخلاق كلها وأثر المنزل في الطفل أشد وأبقى من جميع المؤثرات الأخرى أما التربية المدرسية فهي تربية تابعة أو تربية تكميلية تكمل ما يستمده الطفل من حياته المنزلية وإن كان لها أثر في تشكيل الاخلاق وتكوين العقول والطباع

وتربية الاطفال في حاجة الى تعاون العلم والطب والاخلاق والقانون ، وهيهات أن يتيسر للسواد الاعظم تدبير الأطفال من غير معونة الحكومة وجماعات الاصلاح من طريق التشريع والبذل والدعاية

فالدعاية والإرشاد فريضة على كل مصري قادر ذلك لان الطفل ليس ملكاً خالصاً لأبيه حتى يصح أن يقع كل العبء عليه هو تعديه وتربيه حتى إذا كبر انفصل عن أمه وأصبح ملكاً للوطن بحكم الواقع وبحكم القانون فمن حق الوالد على الوطن أن يعينه بالرأي والتدبير ومن المسلم به في أصول الشرائع أن الآباء كلما كانوا غير قادرين على تربية أبنائهم اشتد واجب الحكومة في أن تقوم مقامهم

***

فاذا أراد الوطن أن يخرج من اطفاله رجالاً ونساء صالحين للكفاح الفردي وللكفاح القومي وجب على الحكومة وعلى الطبقات المستيرة أن توفر للآباء والامهات جميع العوامل والمؤثرات التي تجعل من الاطفال رجالاً كاملين صالحين للنهوض بالتكاليف الخاصة والعامة وما من أمة عظيمة الا سلكت هذا السبيل، وعكفت من التغلب على الفقر والجهل من طريق العناية بالأطفال وتربيتهم التربية الحقة التي تضمن لهم أجساماً سليمة وأخلاقاً متينة ، أنفساً قوية

***

ومن دواعي الغبطة ان يتطوع فريق من كبار العلماء والإحصائيين والمفكرين ليبسطوا لنا آراءهم في قضية الطفل، ويؤدوا بذلك دَيناً وطنيًّا وحقًّا إنسانيًّا فالله أسأل أن يمنحهم من حسن الجزاء على قدر ما يبذلون لبلادهم من غيرة وإخلاص ووفاء

# لمحة تاريخية في تنشئة الطفل

لأحمد فهمي العمروسي بك

ناظر مدرسة المعلمين العليا ومعهد التربية سابقاً

---

سيداتي سادتي

خلق الله الكائنات الحية وأودعها غرائز تكفل لها الحياة والبقاء وهذه الغرائز على تعدد مظاهرها لا تخرج عن ثلاثة أنواع الأول غرائز غايتها حفظ الشخص والثاني غرائز غايتها حفظ النوع والثالث غرائز اجتماعية مثل التعاون على العمل في فصائل النمل وتجمع الطيور الرحالة وطيرانها أسراباً في أشكال مثلثة

والذي يعنينا منها الليلة غريزة حفظ النوع في الإنسان وهي التي تبعثه على حب ولده وتحفزه الى العمل على حفظ حياته وإسعاده جهد الطاقة ولا يكون ذلك الاّ بتعهده وتنشئته أرقى تنشئة وأخذه من الحداثة بأهدى أساليب التربية والتهذيب

يحدثنا التاريخ أن الفرس والمصريين واليهود كانوا يعنون بتربية الأطفال مسترشدين في ذلك بمعالم مذاهبهم الدينية أما في أثينا وروما فكان الأمر على الضدّ من ذلك اذ كانت حياة الطفل محقرة وحريته ممتهنة فان الطفل المهمل كان لقاطه من اللقطاء يملكه من يأخذه من المارة وكانت الكنائس تأخذ منهم عدداً وافراً لاستخدامهم في شئونها المختلفة وظلّ استعباد الأطفال المهملين جائراً الى أواخر عهد الدولة الرومانية

على أنهُ منذ القرن الرابع الميلادي أنشأ الفرنسيون ملاجئ للأطفال ولكنهم للأسف خلطوا عملا صالحاً بآخر سيئ فحشدوا الأطفال والمرضى والفقراء في صعيد واحد وقد نشأ بلا شك عن اختلاط هذه العناصر المتنافرة من الأضرار بالطفل ما لا يتصوره العقل لذلك فصلوا بعضها عن بعض واختص كل منها بما يناسبه عنصراً من تلك العناصر وها نحن أولاء نرى بين ظهرانينا ملاجئ « فان سان دي بول » مثلا قد وقفت جهودها على تربية اللقطاء

اما حماية الأطفال بحماية قانونية فلم تظهر في اوروبا الاّ في النصف الثاني من القرن التاسع

عشر ، واول قانون فرنسي نص على وجوب حماية الاطفال وتسليمهم الى مهملين وذوي عاهات وأيتام ولقطاء ومحرمين احداث وعمال قصر يعملون في المصانع والمعامل لم يصدر الا حوالي سنة ١٨٧٤

يبئنا تاريخ الادب انهُ لم يخل عصر من تلك العصور الغابرة مع ذلك من كتاب وشعراء دفعهم الحنان الأبوي الى الاهتمام بالاطفال ومراقبة أطوارهم وأحوالهم عن كثب فدرسوا طباعهم وترجموا عن عواطفهم نذكر من أقدمهم الكاتب النابه « فلوطرخس » الذي عاش في منتصف القرن الأول الميلادي ، فانهُ بعث الى صديق له بكتاب دائع الصيت في عالم الأدب — عقب موت ابنته الوحيدة — يصف فيهِ رقة شعورها وصفاً مؤثراً اذ يقول

« انها كانت تتوسل الى مرضعتها ان تمنح ثديها لا للأطفال الذين كانوا يلعبون معها فحسب ، بل للدمى التي كانت تلهو بها وتهش لرؤيتها وتجلسها على مائدتها وتغدق عليها أرق عبارات الملاطفة وأعذبها، كأن فطرتها السليمة تحس وجوب مقابلة الاحسان بالاحسان »

اما في الشرق فيكفي نذكر أبيات شهيرة لحطان بن المعلى يصف فيها عطفه على بنانه وهي

« لولا بنات كزغب القطا رددن من بعض الى بعض
لكان لي مضطرب واسع في الارض ذات الطول والعرض
وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض
لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني من الغمض »

ولا بد أن يكون عدد هؤلاء الكتّاب والشعراء قد ازداد شيئاً فشيئاً حتى بلغ حدّاً لا يستهان بهِ في القرن الثامن عشر عندما ذاعت تعاليم « روسو » وفلسفته في تربية الطفل

ولم يكد يبلج القرن التاسع عشر حتى توجهت افكار الناس جميعاً الى الطفل وأصبحت كل أسرة في السهر على أبنائها كالزارع النشيط الذي يتعهد غرسه بالحرث والسقي ليأتي في الغد بأوفر نتاج وأجود حصاد

وقد صدّر الكاتب الفرنسي « فيلكس توما » كتابهُ « التربية في الأسرة وجنايات الآباء على الابناء » بديباجة استهلها بقوله « بينما ممالك كثيرة تنحطُّ ودول إذ بالقرن التاسع

عشر نرى دولة جديدة تنشأ بين أحضانه وأخذت قدمها ترسخ فيه يوماً فيوماً تلك هي دولة الطفل

من هذا نرى أن القرن التاسع عشر امتاز على ما تقدمه من القرون بأنه عصر الطفل فالشعراء في فرنسا من عهد « فيكتور هيجو » الى اليوم اهتموا جد الاهتمام وعنوا أيما عناية بدراسة نفسية الطفل الغامضة وميوله المتغيرة وراقبوا نشأته تدريجيًا من عالم الظلمة والخفاء الى عالم النور والجلاء ، وقد حذا حذوهم في ذلك الكتاب والفلاسفة والعلماء والاطباء فالتفوا جميعاً حول مهد الطفل يراقبون حركاته وإشاراته وابتساماته ويدوّنون تجاربهم حتى أخرجوا للناس صورة حقيقية للطفل تختلف كلَّ الاختلاف عن الصورة التي صورها له علماء القرون السابقة والتى كان للخيال والمبالغة فيها أثرٌ كبير

ولكنا مع ذلك ما زلنا مقصرين في واجب الطفل غامطين حقوقه الطبيعية أليس من حق الطفل ان يولد صحيح البدن سليم العقل نعم ولكن أيان له ذلك ومعظم الناس لا يقدمون على الزواج إلاّ بعد أن يسرفوا في الملاهي والملذات حتى تنحل قواهم وتفسد عقولهم فينسلوا ذرية ضعافاً تشكو مدى الحياة الآلام والامراض التي ورثوها عن آبائهم دون أن يكون لهم أي ذنب فيها

« وقد جنى جرمه سفهاء قوم وحل بغير جارمه العقاب »

لذلك اهتمت بعض الأمم الراقية بالامر اهتماماً عظيماً وحرمت عقد قران رجل بامرأة إلاّ إذا أثبت كلاهما طبيًّا انه معافى من الامراض الفتاكة المزمنة حرصاً على سلامة النسل وحفظه من الامراض العقلية والعاهات الخلقية

يقول أفلاطون « إنك اذا محضت الناس النصح في هذا الصدد فكأنك تخاطب صمًّا لا يسمعون لانهم ينقادون الى الميول والاهواء دون الاصغاء الى نداء العقل وهدى التفكير »

أليس من حق الطفل على أمه أن تتجنب — في أثناء الحمل — كل ما من شأنه أن يضر بصحته حسًّا ومعنىً ؟ إذ ما من عمل تأتيه او فكر يمر بخاطرها الا وله اثره في حياة الجنين

لقد كان توماس هوبز أحد زعماء الحركة الفكرية في انجلترا في القرن السابع عشر يشكو ميله الى العزلة عن الناس والخوف منهم ويعزوها الى انزعاج امه عند اقتراب الاسطول الاسباني من شواطىء انجلترا وكان ذاك جنيناً في بطنها

ألا يجب على الام في هذا الظرف العجيب الذي تغرس فيه بذور الغرائز والاستعدادات والميول في نفس الطفل أن تعزل الحياة الاجتماعية العامة شيئاً ، فلا تعدد تلك الزيارات الطويلة المملة للاقارب والأباعد ولا تسرف في غشيان دور السينما والتمثيل ولا تبالغ في الأنق والتجمل إذا كان فيهما ما يضيق على الجنين في صحته ؟

أليس من حقوق الطفل ان تعنى الوالدان بتربيته في المنزل تربية بدنية خلقية ؟

وانما قلت تربية بدنية خلقية لأن التربية العقلية تجيء بعدها فالعقل لا تظهر الا في سن متقدمة

لذلك كان توماس أرنولد مربي انكلترا الحديثة يقول ان التعجيل بالاطفال الى طلب العلم وحشد رؤوسهم بمسائل علمية لا يفهمونها قد يودي بعضلاتهم وبصائرهم ويخمد فيهم غريزة البديهة وملكة الابتكار ولن تلاقي الاطفال في حياتهم الأولى وبالاً شراً عليهم من سبق عقولهم لأبدانهم

وفي هذا قال عروة بن الزبير بعد ثلاثة عشر قرناً لولده « يا بنيّ العبوا فان المروءة لا تكون الاّ بعد اللعب »

والمروءة هي القيام بما فوق الواجب كنصرة العدل ونجدة المستغيث وحماية الضعيف

ولا يقصد الانكليز من الرياضة البدنية ، التي بلغت عندهم شأواً بعيداً وجعلت منهم أمة عظيمة ، الى تقوية الاجسام فحسب، بل تقوية الأخلاق وتقويم الطباع كما قصد اليه عروة بن الزبير

ولقد خطت فرنسا خطوة جديدة في سبيل العناية بالأطفال وتوسيع نطاق حقوقهم فأصدرت في سنة ١٩١٢ قانوناً يقضي بتشكيل محاكم خاصة لمحاكمة الاطفال على قواعد جديدة ونمط حديث أرشدهم اليها العلم بعقليات الاطفال والالمام بنفسياتهم

ولا بد ان نسمع قريباً أنهم أنشأوا وزارة للطفل منفصلة عن وزارة المعارف دون ان تعارض معها وتفرغ لشئون الاطفال خاصة وتعاون الاسرة والمدارس والمصانع والمعامل والسجون على القيام بهذه المهمة الشاقة وتمدهم بما قد يستجد من افكار وتستنبط من آراء وأساليب من علم النفس الحديث ولا عجب فالاطفال هم رأس مال الدولة والدعامة التى يقوم عليها مستقبلها

# اجرام الاحداث فى مصر

للدكتور محمد عبد المنعم رياض

---

مسائل الاحداث من أهم ما يجب ان يشتغل به الباحثون في اصلاح المجتمع المصري ، بل قد تكون أهم هذه المسائل ، لارتباطها ارتباطاً وثيقاً بكيان الأسرة ، وهي الدعامة الأولى في بناء الوطن ، لذلك يجب ان لا يقصر اهتمامنا على رجال الجيل الحاضر بل يجب ان نضع نصب عيننا رجال الجيل المستقبل ، واني لا أكون مغالياً اذا قلت ان البلاد التي تنشد التقدم يجب ان تهتم برجال الغد أكثر من اهتمامها برجال اليوم، وما رجال الغد الا الاحداث الصغار، فكل حياة بعد من الرقي انما هي حياة فرد تحتاج الأمة الى سواعده وعقله وفيما يبذله من جهد لتقوية مركزها اللائق بين الأمم وما التزاحم بين الدول الا تزاحم بين الأفراد، وكلما كانت أفراد الأمة أقوى صحة وأقوم خلقاً وأغزر علماً، كلما استطاعت ان تخوض غمار التزاحم وتخرج فائزة منصورة الجانب والأمم الكبيرة التي وصلت الى ذروة المجد ما أقامت مجدها الا على أكتاف شبانها و[illegible] الى الدرجة التي تؤهلهم ليساهموا في تشييد البناء الا لأن طبقة منهم قد [illegible] ، فخرجوا منها [illegible] الا [illegible] وطنهم ويقومون بواجبهم نحوها ، ولا أقصد [illegible] الذكور [illegible] للاناث نصيباً كبيراً في خدمة البلاد قد يفوق [illegible] في اقامة صرح الوطن كما ساهم الرجل حتى [illegible] في دائرة الزوجية الخالصة والأمومة الحقة ، بل قد يكون بقاؤها في هذه الدائرة [illegible] لمهمة من أخطر المهمات هي ان تبث في ولدها وزوجها وأهل بيتها روح الوطنية والاقدام وتكفيهم مما يعوق وحاجات البلاد ، وعلى الأقل تخفف عنهم الكثير من متاعب الحياة فيستطيعون التفرغ لأداء ما عليهم على أكمل وجه - لم يكذب بسمارك وجلادستون عندما قالا ان كل ما وصلا اليه من مجد كان يرجع لزوجتيهما، ولم يبالغ لامارتين عندما قال ان كل عمل مجيد أساسه المرأة ، بل ان روزفلت رئيس الولايات المتحدة الاسبق اعتبرها حلقة عظيمة في سلسلة الحياة الوطنية وقال انها أعظم شأناً وأهم عملاً من الرجل

فالعناية بالاحداث سن ومات هي ادن اول ما يجب ان يبدأ به كل اصلاح اجتماعي، وبلادنا احوج ما تكون لهذه العناية، اذ يكفي ان تلقي نظرة على شوارع المدن الكبرى لنجد حالة محزنة تدل على انا نهم بأرض الطرق وحجارتها اكثر مما نهم بتلك الارواح البريئة التي تجول في ارجائها وتفرش أديمها، فصغار المسولين والمتشردين وباعة الاشياء التافهة وجامعو اعقاب السجائر يملأون الشوارع والطرقات بملابس قذرة مهلهلة لا تكاد تقيهم قر الشتاء او لفح الشمس، وهناك عصابات تستغل هؤلاء الاطفال اسوأ استغلال وتحرضهم على التسول بل على الاجرام واني لأذكر انهُ قد اكتشف من مدة قريبة امر عصابة منظمة تقذف بهؤلاء الصغار في الشوارع لجمع اعقاب السجائر ثم تتولى بيعها، وقد وجد البوليس ان لهذه العصابة سجلات بين ما يجمعهُ كل طفل وبين حسابات العصابة من ايراد وكأنها شركة منظمة من شركات الاستغلال ولكنهُ للاسف استغلال للطفولة ولنفوس بريئة كان يمكن ان تدرب على العمل الشريف المجدي — هذه حالة يجب ان لا نُغمض العين عنها بل يجب ان نبادر باصلاحها اسوةً بالبلاد الاخرى التي سارت شوطاً بعيداً في سبيل هذا الاصلاح

٢**

قد يكون من المدهش ان نعلم ان مصر كانت في طليعة البلدان التي اهتمت بانقاذ الاحداث من وهدة الاجرام والتشرد — فقد بدأ الاهتمام بهم في سنة ١٨٨٣ عند وضع اول قانون للعقوبات فنص على معاملة الاحداث المجرمين معاملة خاصة، وفي سنة ١٩٠٤ عند تعديل قانون العقوبات أفرد باب للاحداث المجرمين تقرر فيه امكان ارسالهم الى مدرسة اصلاحية بدلاً من السجون العادية، وهذا الباب وان كان صغيراً لا يزيد على بضعة مواد الا انهُ تظهر بدء العناية بأمر الاحداث وباصلاحهم ثم انشئت في سنة ١٩٠٥ محكمة خاصة لمحاكمة الاحداث في القاهرة والاسكندرية حتى لا يختلطوا بالكبار من المجرمين، وكان اول قاضٍ لمحكمة الاحداث بالقاهرة عبد الخالق ثروت باشا رحمه الله عليه، فكان يبحث قضاياهم بعناية خاصة ويضع تقارير وافية بما يراه وقد ذكر ضمن ما لاحظهُ ان قانون سنة ١٩٠٤ قد اقتصر على معالجة الاحداث المجرمين ولكنهُ لم يتناول نوعاً آخر شديد الخطر وهو تشرد الاحداث، واقترح انشاء مدارس صناعية لايواء المتشردين من الاحداث ووضع قانون بشأنهم وفعلاً صدر قانون في سنة ١٩٠٨ لمعالجة الاحداث المتشردين وامكان ارسالهم الى مدرسة اصلاحية لتقويمهم وابعادهم عن وسط التشرد الذين يعيشون فيه -

كل هذا تمّ في اوائل القرن الحالي وهو بدء طيب كان يجب ان يتبع باهتمام مطرد، ولكن على الضد لم تلبث تلك العناية ان فترت بعد ذلك، فالتشريع القديم الذي سبقت به مصر طائفة من البلدان منها فرنسا

– لان هذه لم تعلم محاكم خاصة بالاحداث الا في سنة ١٩١٢ — هو التشريع الذي لا يزال قائماً الى الآن والمحكمتان اللتان انشئتا في سنة ١٩٠٥ لمحاكمة الاحداث بالقاهرة والاسكندرية هما المحكمتان الوحيدتان في القطر المصري بل قد يلوح لي ان نظامهما بدأ يعود الى نظام المحاكم العادية مع انهُ قصد بانشاء محكمة خاصة للاحداث ان تكون هيئة شبه عائلية بعيدة عن نظم المحاكم فلا رجال بوليس ولا منصة عالية ولا جمهور نظارة ، حتى لا يتعود الطفل مثل هذه المناظر وقد يجد فيها لذة تحبب له التردد على دور القضاء ويخيل لهُ عقله الناشيء انهُ أتى عملا عظيماً أقام له رجال الحكومة واجتمع لهُ بسببه جمهور كبير فمحاكمة الاحداث في البلاد الاجنبية تتمُ امام قاضٍ واحد يجلس في حجرة بسيطة ومعهُ مساعد او مساعدة ويتحدث مع الطفل كأنهُ والده بل ان بعض ولايات امريكا عينت للقضاء في مسائل الاحداث سيدات لانهنَّ اعلم بطرق معالجة الطفل وادعى لطمأنينته وتعرف مواضع الضعف او النقص التي تحتاج الى العلاج من الرجال، بل اكثر من هذا تشترط بعض الدول في قضاء الاحداث التخصص في دراسة طباع الاطفال وتقسم اليهم اخصائيين في هذا النوع من الدراسة، ففي ايطاليا صدر تشريع في سنة ١٩٣٣ يقضي بأن تعاون قاضي الاحداث عدةٌ من الرجال والسيدات يجمعون له معلومات وافية عن نشأة الطفل وبيئته حتى يستطيع ان يقرر جميع الظروف المحيطة به وتجري المحاكمة في جلسة خاصة لا يدخلها الجمهور ولا أثر فيها لمظاهر السلطة بل ذهب التشريع الايطالي الى أبعد من ذلك فاشترط تخصيص هيئة من المحامين للدفاع عن الاحداث فلا يتولى الدفاع عنهم الا من كان اخصائياً في امور معالجتهم وهناك في دائرة كل محكمة قائمة باسماء هؤلاء الاخصائيين يختارون من بين الاشخاص الذين اعدوا بحكم دراستهم او بجهوداتهم الاجتماعية لاداء هذه الرسالة الخطيرة الخاصة بالاحداث

***

هذا في الخارج اما في مصر فلم يخط حتى الآن خطوة جديدة في هذا السبيل ونظام الاحداث عندنا لا يزال في حاجة الى عناية كبيرة من الوجهة القضائية او الاجتماعية فمن الوجهة القضائية محاكم الاحداث في مصر والاسكندرية امام المحاكم العادية بل ان في مصر والاسكندرية اللتين فيهما محكمتان خاصتان تنظر قضايا الاحداث امام محاكم الجنح المستأنفة وقد يوضع الحدث في قفص واحد مع المجرمين العتاة او المزورين او المتجرين بالمخدرات ثم ليس في البلاد اصلاحيات كافية، اذ ليس عندنا الا الاصلاحية الخيرية وهذه خاصة بالمتشردين واصلاحية اخرى زراعية في المرج للمجرمين واصلاحية صغيرة للبنات مجرمات ومتشردات بجوار اصلاحية الخيرية وهذه الاصلاحيات قليلة جداً لا تفي بحاجة البلاد وكثيراً ما يوقف ارسال الاحداث

اليها لازدحامها بمن فيها. وليس هناك محل للمماثلة بيننا وبين البلاد الاخرى في هذا الشأن فاكثر هذه البلاد ملأى بالاصلاحيات وهي في الواقع مدارس صناعية او زراعية مهمتها اصلاح المجرمين او المتشردين الاحداث وابعادهم عن طريق الاجرام وترغيبهم في الدروس وسلوك سبيل قويم بوسائل حديثة مشوقة تجعلهم يقبلون على هذه المدارس بمحض ارادتهم

كذلك من الوجهة الاجتماعية اما لنا مجال واسع للاصلاح فالعدد الاكبر من الاحداث يدفعون الى الاجرام او التشرد بتحريض اشخاص لا يلحقهم اي عقاب مع انهم هم المجرمون الحقيقيون واكثر التشريعات الحديثة تقضي بمعاقبتهم باشد العقوبات ومن المدهش ان اكثر هؤلاء المحرضين هم من اقرب الناس للاحداث كآبائهم او اولياء امورهم وكثيرون منهم لا يحفظون تلك النعمة الجليلة نعمة الابوة فيسيئون استعمال سلطتهم على الاطفال ويشجعونهم على الاجرام او التشرد او على الاقل يكونون اسوأ قدوة لهم او يهملونهم ويتركونهم بلا ملجأ يتجولون في الشوارع ويتضورون جوعاً واني لاذكر عندما كنت في وقت ما وكيلا لنيابة الاحداث ان جاءتني ام حكم عليها بالحبس مراراً لسرقات وطلبت مني ان انزع ابنها وهي طفلة في السابعة، من حضانتها لانها تخشى ان تنشأ البنت على سلوك امها، ولم اجد في التشريع ما يساعد على نزع هذه البنت فلجأت الى الطريق الاداري حيث استطعت الحاق البنت بأحد الملاجئ

لهذا يجب ان نتلافى نقص التشريع المصري في هذه الناحية بوضع نظام يكفل ابعاد الطفل من اسرته اذا كانت الاسرة هي سبب فساده، ومثل هذا النظام متبع في كثير من البلاد الاخرى بل قد وصلت العناية بالاحداث في تلك البلاد ان اصبح القوم هناك يعنون بتقصي اسباب الشذوذ في الاطفال الذين يتضح انهم غير عاديين في سلوكهم او تفكيرهم باعتبار ان هذا الشذوذ قد يؤدي الى الاجرام او يجعلهم غير صالحين لخدمة المجتمع وهناك دور خاصة تقوم بفحص هذه الحالات طبيًّا ونفسيًّا وتتابع كل حالة بما تستحق من عناية وقد قرأت لاحد الاطباء القائمين بادارة مستشفى من هذا النوع في نيويورك اسمه الدكتور وليام لا يحوورد انهُ وجد حالات كثيرة ظهر فيها من الضروري معالجة حالة والدي الطفل قبل الطفل ذاته اذ معالجة ما يحصل في حياة الاسرة ذاتها من اشكالات هي السبب الاصلي لشذوذ الطفل او انحرافه عن الطريق السوي

***

بقيت مسألة تدل على انهُ حتى في وسيلة الاصلاح الوحيدة التي نلجأ اليها في مصر وهي وجود اصلاحية للاحداث لا نزال بعيدين عن الغاية المنشودة فالاحداث الذين يتخرجون من الاصلاحية يتركون وشأنهم في هذا البحر الخضم من دون أية عناية بل قد لا يجدون عملاً يرتزقون

منهُ من نوع العمل الذي دربوا عليه في الاصلاحية ، ولا يبقى أمامهم الا العودة الى الاجرام او التشرد مرة أخرى، كأن الأمر ساقية تدور في مكان واحد حتى انهُ لو وضعت سوابق كثير من المجرمين المعتادي الاجرام الذين في اصلاحية الرجال لثبت انهم دخلوا في حداثتهم اصلاحية الاحداث . ولا علاج لهذه الحالة الا بانشاء نظام لرعاية الاطفال بعد خروجهم من الاصلاحية ، وانا نعتقد انهُ قد بديء في وضع مثل هذا النظام بانشاء مؤسسة صناعية يشتغل فيها الاحداث المخرجون من الاصلاحية ويا حبذا لو قرن ذلك بانشاء جمعية تتولى رعايتهم في هذه المؤسسة او خارجها

***

هذه بعض المسائل التي تحدها الباحث في مشكلات الاحداث . وغيرها كثير لا يمكن الالمام به في مثل هذا المقام على اننا نكتفي بان نشير الى ان مسألة الاطفال تأثرت كثيراً ربما يمس المجتمع في صميمه ولهذا تعد مشكلة الاحداث لا في مصر فقط بل في غاية ما تكون فيه في أكثر البلاد المتمدينة بل ان كثيراً من المؤتمرات الدولية تعقد دورياً لبحثها ، ورأوى وسائل الاصلاح والمعالجة التي تحت اساسها وأقرب مؤتمر دولي عقد في هذا الشأن هو الذي عقد في بروكسل سنة ١٩٣٥ وكان أهم ما تعرض له المسائل الآتية

١ — تخويل السلطة لقاضي الاحداث او لهيئة خاصة للاشراف على استعمال الوالدين لسلطتهم بحيث تستطيع الحد منها عند اللزوم

٢ — العناية بالاطفال في القرى (وهذا موضوع يهم مصر جداً للحالة السيئة في القرى المصرية والعمل على تعضيد حركة عودة الاطفال الى الاقاليم وعدم ... الاطفال ... وامده بما يحتاج اليه الطفل من عناية )

٣ — معاملة المجرمين الاحداث معاملة خاصة أساسها وضع المذنب تحت ملاحظة طبية ونفسية وسيكولوجية ، بتعاون الدرس والمربي المنساني والناصح ... الجرم ، على ان يكون العلاج مرتباً ... بما في كل طفل بما يتفق وحالته ... الطفل ... ان ... المؤتمر قرر ان يستعان ... بتدبير المال اللازم ... مقترحاً ... سرض على غير ... او على الذين ... أطفالا ، أي ... العراب والمحرومين من الاطفال في تربية اطفال الامة الذين ... العناية الاصابة

فاذا كان من فوائد هذا المؤتمر الحالي ان ... النظر الى مشكلات ... واله ... الى حلها او ... الى بعض ... الاصلاح في هذه ... الهامة لادى بذلك اكبر رسالة احتماعية لبلادنا في الوقت الحاضر

# الاطفال الشواذ

للامين سامي حسونة

ناظر معهد التربية

١ — التربية الحديثة تعنى بالطفل من المادة الدراسية وهي في ذلك تخالف ما درجنا عليه من العناية بالدروس المدرسية وحشو أدمغة التلاميذ بشتى المعارف دون نظر الى الطفل نفسه فقد كان همنا ولا يزال مناهج الدراسة وشغل اليوم المدرسي بالدرس والتحصيل . اما المدرسة الحديثة فتجعل الطفل نفسه مادة الدراسة فتتناول وظيفتها نمو الطفل جسميا وعقليا وروحيا ولذلك اشترك في اعداد وسائل التربية للطفل اخصائيون في هذه النواحي منهم الطبيب والسيكولوجي والمعلم وخبير الشؤون الاجتماعية وهؤلاء جميعاً يتعاونون في هذه الوظيفة السامية ومن ذلك نشأت العيادات الطبية السكولوجية واتسع عملها واصبحت جزءاً مهماً لعمل المدرسة للعلاج والارشاد

٢ — ولما كان التعليم قد صار الزامياً في جميع الدول المتمدنة وخاصة في مرحلة التعليم الاولي أو الابتدائي وفي المرحلة التالية ايضاً في كثير منها بحكم ان الانفاق على التعليم قد صار من خير الوسائل لاستثمار مال الدولة ولما كان الاطفال لم يولدوا جميعاً كاملين ذوي استعداد واحد فقد تعاون هؤلاء الاخصائيون في ايجاد التعليم الملائم لكل فئة فبرز السيكولوجي في الميدان واخذ يعمل مع الطبيب والمعلم والخبير الاجتماعي وقسموا الاطفال الى فئات ثلاث الموهوبين والعاديين والشواذ فالموهوبون هم الاذكياء وهؤلاء اذا تم الملائم كما هو يكون منهم العلماء والزعماء والبارزون في جميع الاعمال . والعاديون هم الاغلبية ولهم تعليمهم الخاص ايضاً . واما الشواذ فهم المرضى والبائسون وشذوذ هؤلاء اما جسمي واما نفسي أو عقلي ومنهم من شذوذه الخلقي وذوو الشذوذ الجسمي يجب ان تكون لهم مدارس خاصة وتعليم خاص يعدهم للحياة العملية ويجب ان يهيأ لهم اسباب السعادة في مرحلة التعليم وان يلحقوا باعمال تحسن حالهم بقدر الامكان والسبب في عزلهم في مدارس خاصة ان لا يشعروا بالنقص والعزلة اذا وجدوا في مدارس العاديين ولان اساليب تعليمهم وعلاجهم تختلف عن اساليب تعليم العاديين وعلاجهم . ومن هؤلاء الصم والبكم والعميان والمصابون بقصر النظر والاعرجون والمقعدون والمرضى والمعرضون لداء العلل الصدرية والقلبية ولهؤلاء الاخيرين مدارس تسمى مدارس الهواء الطلق

وهنا اقف قليلا لازيل سوء الفهم الشائع بمصر عن مدارس الهواء الطلق فقد حين طلبت الوزارة للمدارس ان تعنى بالتعليم في الهواء الطلق واخذ كل مدرس ينقل تلاميذه الى حوش المدرسة يعلمهم

في الهواء الطلق سوا أكان الجو صاوا سليماً ام شديد الحرارة ام ذا رياح تحمله بالاتربة ومرت الايام وتام المشروع ونسب الحماسة له وفي الايام الاخيرة قرانا في احدى جرائد الصباح اليومية ان تعصهم تقدم لوزير المعارف بمشروع يقضي بانشاء مائة مدرسة من مدارس الهواء الطلق في الارياف تقوم كل مدرسة في قطعة ارض مساحتها فدان وتحيط بسور من الاسلاك الشائكة وتبنى الاساس بالحجر وتكمل البناء باستعمال الطوب النيء للاقتصاد طبعاً - وكل هذا للاسف خلط في خلط ولا يقوم على دراسة او معرفة الحاجة الى هذه المدارس فمدارس الهواء الطلق لا يقصد منها مجرد التعليم في الهواء الطلق ولا يقصد منها ان تكون لجميع التلاميذ وان كان من المسلم انها تكون خيراً من المنازل المستأجرة لمدارسنا وانما المقصود ان تكون للمرهفين وهؤلاء يحتاجون لتعليم خاص لئلا يصيبهم ارهاق وعلاج جسمي خاص والعاب رياضية خاصة وغذاء خاص وراحة في اسرة اثناء النهار خصوصاً بعد الغداء ويقوم بالاشراف عليهم مدرسات وممرضات يكونون تحت اشراف طبيب باستمرار ويحسن ان تكون مدارسهم داخلية لضمان العلاج والاشراف على المريض ومن يتمه من الاطفال ينقل الى المدارس الاخرى العادية على ان نلاحظ في ذلك ان الاطفال المسلولين فعلاً يجب فصلهم في مدارس خاصة بهم حذر العدوى وتسمى المصحات والعجيب في الاقتراح انه يستعمل المائة المدرسة في الريف مع ان المدن هي المحتاجة الى هذه المدارس حيث يكثر المرهفون واطفالنا في الريف والحمد لله يمرحون في الشمس والهواء الطلق طول النهار

٣ — نأتي الآن للشذوذ العقلي وقبل ان نتكلم عنه يحسن ان نقول ان علم النفس التجريبي قد تقدم تقدماً كبيراً في العشرين السنة الاخيرة فاصبح من الميسور قياس الذكاء والقدرات العقلية ومعرفة الموهوبين والعاديين وناقصي الذكاء بواسطة مقاييس مقننة يعتمد عليها كل الاعتماد وقد صار لهذه المقاييس شأن هام لا في تدبير اساليب التعليم فحسب بل في حل كثير من المسائل التعليمية ومن بينها مشكلة الامتحانات فعلى اساس هذه المقاييس يوزع التلاميذ في الفصول المختلفة بالمدرسة ويهيأ الدراسة المناسبة لكل فئة ومن نقص ذكاؤهم عن مستوى خاص ( ٧٥ / من الذكاء العادي ) عادةً تنشأ لهم مدارس خاصة تسمى مدارس الشواذ عقلياً وتكون الدراسة فيها عملياً وفرديه لكل طفل بحسب استعداده وقدرته وتؤهل للعيش الهيء والرضا بالحياة

٤ — والنقص في الذكاء والتأخر في الدراسة قد يكون ناشئاً عن امراض جسمية كالزوائد الانفية واضطرابات افرازات بعض الغدد الصم او الامراض المتوطنة او الامراض الوراثية او اصابة مخية او مرض قديم من امراض الطفولة كدسونتاريا حادة او حمى التيفود وكل هذه يعالجها الطبيب وهنا سر فائدة تعاون الطبيب مع المدرسة وفائدة العناية بصحة الطفل وقد يكون السبب ناشئاً من اضطراب البيئة او فقر الاسرة وسوء المسكن او التغذية او ادمان احد

الابوين او سوء معاملة المدرس. وهنا تبرز فائدة الخبير بالشئون الاجتماعية واتصال المدرسة بالمنزل. وقد يدهشون لو علموا ان كثيراً من الأطفال الأذكياء يذهبون ضحية الاضطراب العائلي او ضحية نظامنا المدرسي

ويتصل بالشذوذ العقلي شذوذ آخر يمكن ان نسميهُ بالشذوذ الخلقي وأقول يتصل به لأن الشذوذ الخلقي يؤثر في العمل وفي قدرة التحصيل. وأسوأ انواع هذا الشذوذ ما يصل الى درجة الاجرام عند الاحداث ولذلك أُنشئت لهم اصلاحيات الاحداث لا ليسجنوا فيها بل لاصلاحهم وعلاجهم. وعلى هذا يجب ان تكون الاصلاحيات في يد مربين مصلحين وتحت اشراف عيادة سيكولوجية. وقد صار من الميسور علاج الشذوذ البسيط عند الاطفال كالكذب والسرقة والشراسة والخوف وما شاكل ذلك بارشاد العيادات السيكولوجية وباتصال المدرسة بالبيت وازالة أسباب هذا الشذوذ

والآن يجب ان اقول كلمة عن الشواذ بمصر وأين هم وواجب وزارة المعارف نحوهم. لا جدال ان الشذوذ بأنواعهِ موجود بمصر ويجب ان ننشئ للشذوذ الجسمي مدارس على ميزانية التعليم العام وان يعد المدرسون لهذه المدارس اعداداً خاصاً

أما الشذوذ العقلي فيكون فيه ان [illegible] جميع المدارس [illegible] الذكاء ثم نسير في تعليم كل فئة [illegible] كالأغبياء [illegible] ٧٥ [illegible] مدارس خاصة [illegible] الدراسة [illegible] أساس [illegible] والتوجيه المهني

ان نظام توزيع التلاميذ [illegible] مدارسنا [illegible] جميع التلاميذ [illegible] في قدرتهم العقلية وذكائهم. ومن أجل ذلك [illegible] كثرة الرسوب والاخفاق في الامتحانات وكثرة المطرودين من المدارس الاميرية وقلة نسبة النجاح في المدارس الحرة. فالتلميذ الذي تكرر رسوبه [illegible] ويطرد من مدرسته الاميرية ويخفق فيها ايضاً لانها لم تعطه التعليم الملائم لذكائه بل استعجلته فوق طاقته. لا تتهموا المدارس الحرة بانحطاط التعليم فيها بل لوموا النظام والاساليب

٦ — [illegible] عدداً لا بأس به من الشبان ذوي الاستعداد [illegible] لمجاراة رغبات التربية الحديثة وكانوا [illegible] قادرين على اجراء مقاييس الذكاء وتوزيع التلاميذ على مقتضاها ويجب الانتفاع بهم في هذا الامر وفي [illegible] التعليم توجيهاً يلائم كل فئة ويجب ان يمنحوا شيئاً من حرية التصرف وان يقوم العمل بالمدرسة على المرونة وحل المشكلات كلاً منها على حدة لا التقيد باللوائح والمنشورات والعمل من اجل النتائج والامتحانات

٧ — اذا آمنا وصدقنا ان الطفل هو مادة الدراسة الحقيقية وان المواد الدراسية يجب ان

تصاغ على قدر استعداد الاطفال واذا آمنا بأن التعليم هو اعداد للحياة السعيدة وان مرحلة التعليم هي جزء من الحياة ولذلك يجب ان نعمل على جعلها سعيدة ايضاً لا مرهقة منفرة ، اذا آمنا بكل ذلك فقد آن الاوان ونحن في مستهل عهد يتطلب التجديد والنهوض أن نحاسب انفسنا محاسبة دقيقة وان نسأل مثل هذه الاسئلة

١ — هل المدرسة المصرية بيئة صالحة لنمو الطفل جسميًّا وعقليًّا وروحيًّا

٢ — هل التلميذ في نظر المدرسة المصرية اهم من المواد الدراسية ام هما الاول هو الدرس والتحصيل والنجاح فى الامتحانات

٣ - هل هناك تعاون بين المدرسة والبيت

٤ هل نحن ندرك ان انفاق المال على التعليم من احسن وسائل الاستثمار فى الدولة

٥ — اذا كانت الميزانية لا تسمح بالتوسع وانشاء مدارس خاصة للشواذ فهل فكرنا في التجديد والتغيير فى المدارس الحالية بدلا من انشاء مدارس جديدة على غرار المدارس الحالية وهلا فكرنا في انشاء بعض المدارس الحديثة في حدود الميزانية بالغاء بعض المدارس الحالية

٦ هل تعليم البنت بحالته الراهنة تعليم مستقيم يعد المرأة حقًّا لرسالتها المقدسة وهي الامومة

٧ — هل التعليم عامة بحالته الراهنة يهيء جوًّا من السعادة فى المدرسة ويعد للحياة السعيدة المستقبلة بتوجيه كل طفل توجيهاً يلائم استعداده وقدرته

٨ هل المباني المدرسية الحالية صالحة لنمو اطفالنا وهل اجورها الباهظة تدفع لصالح الاطفال ام لصالح الملاك وهل هذه الاجور تعادل الارباح المعقولة لجانب من المال اذا وظف في بناء مدارس على الطراز الصحي الحديث واقرب الطراز الصحي الحديث ولا اقول الطراز ذي الابهة والفخامة لان المدرسة الحديثة هي المدرسة الصحية البسيطة المنسقة الواسعة الساحات والملاعب

٩ — ثم هلا نرى معي بعد هذا البيان ان المدرسة المصرية بحالتها الراهنة لا تعالج الشذوذ فحسب بل تخلقه خلقاً من غير قصد

لقد اضطلعت وزارة المعارف وحدها بأمر التعليم والتربية وقيدتنا بأغلال من القوانين واللوائح والمنشورات ومن الكتب والادوات المدرسية ايضاً ولم تترك لنا نحن المعلمين شيئاً من الحرية والتصرف والابتكار فى حقنا ان نسأل هذه الاسئلة وامثالها لانا أدرى بحاجات الطفل في مراحل نموه المختلفة

ان مصر استيقظت وهذا أوان النهوض والتجديد ! !

# الاطفال ذوو العاهات

للسيدة راهبة مرزوق

المفتشة بوزارة المعارف العمومية

إن موضوعي اليوم لمن أهم الموضوعات الاجتماعية وأخطرها ولا سيما في مصر ، حيث تقع العين في كل مكان وزمان على عشرات من الاطفال ذوي العاهات ، منتشرين في الشوارع والطرقات يستدرون عطف الجمهور على ما اصابهم من ظلم الحياة

***

سادتي إن ما شجعني على الوقوف امامكم اليوم هو شعوري بامكان استثارة شعوركم نحو تلك الطفولة البريئة المعذبة التي نبذها المجتمع واشمأز منها وهضم حقها وانهال حرباً عليها ، لا لذنب جنت ولا لجريمة ارتكبت ، إلاّ إذعانها لحكم الطبيعة القاسية ، وحرمانها في تلك الحياة لتذوق صنوف الذل والبؤس والشقاء

ان مشكلة العاهات في مصر تخطو خطوات واسعة في سبيل الخطورة والتعقد . وقد أثبت التعداد الاخير ان في مصر ما يقرب من نصف مليون شخص ذي عاهة منهم ٩١ آلاف أعمى ، و ٢٦٦ الف أعور وحدود البصر، و٢١ الف أصمّ وأبكم والباقون ذوو عاهات اخرى لم اتمكن من حصرها ، تشمل ضعف العقل ، والمقعد ، والأبتر ، والأعرج ، والأشل وغير اولئك وعلى العموم فان إحصاء العاهات جميعها يسفر عما يقرب من ٣ / من سكان القطر المصري

ولقد أحست الحكومة المصرية صنعاً عندما سنت قانون منع التسول ، ولكن هيهات لها أن تمنع ذلك التيار الجارف ، اذ ليست العبرة بالقوانين وانما العبرة بالعمل

وفي رأيي ان ما تقوم به الافراد والجماعات من تفهم أسباب التشرد والعمل على تلافيه لهو أجدى من ألف قانون

ويجب ألاّ نأخذ على هؤلاء الشواذ تسولهم، فطبيعة حب البقاء تدفعهم الى طلب الرزق والعيش، وانما يجب أن نأخذ على أنفسنا تركهم يتسولون لاعتقادهم أنهم اجسام بشرية مهملة عديمة النفع لاسبيل لها في الحياة الا أن تعيش متطفلة على الغير، ويجب ان نعتني بتعليمهم وتثقيفهم حتى نيسر لهم طرق الحياة، فيخف عن المجتمع هذا الحمل الثقيل ، ومن يدري فربما ظهر منهم النوابغ والقادة والمفكرون

ولا يمكن أن تعد الامة عادلة إلا اذا اعطت كل فرد من أفرادها من دون استثناء حقه كاملا في التمتع بالثقافة والعلم فكما ان للطفل الشاذ الحق في أن يأكل ويشرب وينام كذلك له الحق في ان يتعلم ويتثقف ويساهم في بناء حضارة أمته ومستقبلها

وللطفل الحق في ان يخرج الى تلك الحياة صحيح الجسم قوي البنية متمتعاً بحقوق الطفولة ويجب ان تعطـهُ العناية الصحية والعلمية والخلقية من يوم ولادته الى يوم ولوجه حياة الكفاح وإن تعذر ذلك او كانت الوراثة حائلة دون سعيه فيجب ان نرحم الطفل ونرحم أنفسنا ونمنع تكوينه وإن ما سنته المانيا من منع هذا النسل المشوه لخطوة جريئة تستحق الشكر والثناء

وربما يدهشكم أيها السادة اذا علمتم ان ٩٥ / من العمى في مصر كان يمكن تلافيه والوقاية منهُ وكم من أطفال أصابهم العمى دون ... [illegible] تلك اللحاق [illegible] وما ذلك الا لاهمال الأم وجهلها او لعدم ملاحظة المنشأة او عدم الاعتناء [illegible] الخاصة وغير ذلك وفي مصر نجد ان في كل الف شخص ٨ عميان و١٨٠ من [illegible] وشك العمى وبعبارة أخرى فان عدد اصابات العين ٢٦ اصابة لكل الف شخص، وهذه [illegible]

وأما من جهة الصمم والبكم فهما أخف وطأة وأقل خطراً ومن الغريب انا لا نجد بين المتسولين ومحترفي الشحاذة من هو مصاب بالصمم او البكم الا نادراً جداً وربما كان ذلك ناتجاً من عدم ظهور تلك العاهة أمام عين الجمهور فلا يتمكن المصاب بها من استثارة العطف عليه

وأما ضعف العقل فهذا على ما أظن لا يمكن إحصاؤه حتى الآن لعدم استعمال اختبارات الذكاء على الاطفال عامة فما نجده في الاحصاء العام انما هو تعداد الاطفال البلهاء فقط وأنتم تعلمون أن [illegible] درجات ولا [illegible] الأصل الاحتياط [illegible] الاجرام [illegible] ورة وتعدداً [illegible] في [illegible] المجرمين [illegible] لديهم

* * *

وهناك طائفة أخرى من ذوي العاهات هي نتيجة المدنية والحضارة، فلا يمر يوم الا ونسمع بحوادث الترام والسيارات ويذهب الأطفال والرجال ضحيتها اما الى الموت وإما الى عاهات [illegible] وكم من أطفال حرموا لذة الجري واللعب فأصبحوا مقعدين، وكم منهم أصبحوا [illegible] وكم منهم فقدوا حاسة أو عضواً من أعضائهم

ولو أمكن عمل تعداد صحيح لهـذه الفئة لهالكم أيها السادة تضخم النسبة [illegible] ان هذه الحال يجب ألا تستمر فكم منكم لديه أولاد يخاف عليهم ويخشى غائلة تلك الحوادث فيجب علينا إزاء

دلك ان نهب لنحافظ على النشىء المستقبل الذي نحن أحوج ما نكون الى صحة بدنه وخلوه من العاهات ونحب ان نحافظ على العين والقمير منهُ ونصد عنهُ مكاره المدنية الآلية

وليس من بلد الآنَ وفيه الآن حركة واسعة النطاق لحفظ النشء ضد الحوادث والأهوال وفي سبيل دلك يتضامن الشعب مع الحكومة لسلامة الاطفال ولقد سمعت بانجلترا في الصيف الماضي وزير المواصلات يتحدث بنفسه الى الاطفال خاصة في هدا الموضوع ويدنع عليهم راجياً ان يسمعوا نصيحةَ الأبوين ويتبعوا التعليمات والارشادات المعطاة لهم في المدرسة عن كيفية عبور الشوارع وإرشادات البوليس وغير دلك مما تضمن لهم السلامة العامة

***

وكثيراً مانجد الاطفال في مصر يتحدون الترام وسيارتهم الوحيده للهو والتسلية ، أو يلعبون في الشوارع العامة معرضين انفسهم للأخطار وما دلك الآَّ لمجرد حبهم الطبيعي للعب والتسلية وهم في الحقيقة يجب ألا يلاموا على دلك وإنما يجب ان نلوم انفسنا على عدم انشاء المحلات اللائقة والكافية لاشباع ميلهم الطبيعي للعب اداً فيجب على الحكومة ان [illegible] انشاء ملاعب الاطفال وتزويدها بما يجب من الألعاب المسلية البريئة الى بلد الاطفال وتجدد نشاطهم وكثيراً ما نجد في البلاد الاوربيه والاميركيه هده الملاعب مزودة [illegible] منظمة أحسن تنظيم وبها اخصائيون لاداره الالعاب وارشاد الاطفال

يجب علينا ان نفكر جديًّا في مشكلة الاطفال ذوي العاهات ، ويجب علينا ألا نتركهم في الشوارع يهيمون بل يجب أن ننشىء لهم المعاهد العلمية الصحيحة التي فيها يجد الاطفال ما يحتاجونه من التربية والتعليم والتوجيه الخلقي والعملي الصحيح الذي يعده ويمكنهُ من تذوق لذة الكفاح في الحياة ولو اتسع الوقت لذكرت لكم المدهشات التي يراها الانسان عند زيارة هده المعاهد في اوروبا واميركا ، فنجد الشخص الذي يقرأ بلسانه ، او يكتب ويرسم برجليه ، وغير دلك مما يدلنا على قوه استغلال كل ما يمكن استغلاله من أعضاء المرء ليعوض نفسهُ جانباً مما فقده بفقدان الأعضاء الاصلية

ولا أطيل الحديث ايها السادة،ولكني متأكدة أن في وسع كل فرد ما نفع [illegible] أمته في ناحية من النواحي ، وهدا ليس بالمساعدة في إعطاء الشحادين والسوائلين القروش والملاليم ولكن بدعم الدعاية او مطالبة الحكومة بإنشاء ملاعب للاطفال في كل قسم او بجمع التبرعات للجمعيات الخيرية،او فهم الاطفال فهماً صحيحاً يخفف عبء المشاكل الاجتماعية التي نجدها في المنازل المصريه

# الطفل وأوقات الفراغ

لبعقوب فام

---

يقصد بأوقات الفراغ تلك الفترة الزمنية التي تعقب النشاط المدرسي ، فالطفل يذهب الى المدرسة في الساعة الثامنة مثلاً ويخرج منها في الساعة الرابعة بعد الظهر ، ثم يستذكر دروسه ساعتين او ثلاثاً ، وينام بعض الوقت ويقضي البعض الآخر في الاكل ولوازم الحياة الضرورية وما يبقى بعد هذا يعتبر وقت فراغ في حياة الطفل

واول شيء نلاحظهُ في مصر انهُ ليس للطفل فراغ بالمعنى الذي نفهمهُ لان معظم ساعات النهار تمضي في الدروس والمدرسة وما يتصل بهما عن قرب او بعد ، ومجموع ما يصرفهُ في هذا يقرب من ستين ساعة في الاسبوع وهذا بالطبع كثير على صبي ما بين العاشرة والسادسة عشرة ، وقد حرّم على المصانع في الغرب ان تشغل العمال البالغين اكثر من ٤٨ ساعة في الاسبوع وبعض الامم جعلها اربعين ساعة فما بالك وهؤلاء اطفال بصفة يحتاجون الى الحرية ليمموا نمواً بعدر من دونها

لقد غالينا في مسألة العلم مغالاة جعلتهُ عبئاً ثقيلاً على الناشئة ، ولا سيما والتعلم في مصر من الاعمال الشاقة المرهقة التي تنوء بها قوى الاطفال البدنية والعقلية ، وعوضاً عن ان تكون المدرسة امتاعاً للاطفال اصبحت تكليفاً لهم ، وحرام ان ننوء اطفالنا بتكاليف الحياة وهم في مستهل حياتهم

الواقع ان التعلم عملية تتم في نطاق النشاط العادي ومن غير حاجة الى هذا الارهاق يستطيع الطفل ان يتعلم ما نشاء وما يراد لهُ عن طريق اللعب والنشاط الحر الذي ينبعث عن دوافعه النفسية ، ولست اعرف طفلاً واحداً خرج من اسرة حديثة راقية من دون ان يكون قد تعلم مبادىء القراءة والاملاء او بعض اللغات ، والحساب والجغرافيا وما اشبه وذلك عن طريق اللعب والنشاط الحر دون ارهاق او تكليف ثقيل ، فاذا كان هذا مستطاعاً في بعض الحالات فلماذا لا يكون مستطاعاً في جميع الحالات ؟ لا بل لماذا لا نتعلم الاطفال عن هذا الطريق — طريق اللعب والنشاط الحر — كل ما نرغب ان يتعلموه ؟ ولماذا لا تبسط المدرسة طرقاً متعددة مناسبة تجعل التعلم في حكم اللعب عوضاً عن ان يكون في حكم الاشغال الشاقة ؟

يخطىء من يظن ان الحياة مؤسسة على المعارف والمعلومات او الحقائق المسجلة التي نتعلمها في المدرسة او في غير المدرسة . اما بالطبع لا انكر ان الحقائق نافعة للحياة ، بل خير لي ان اعرف

الجهات الاربع الاصلية ، وشفعي ان اعرف الشرق والغرب والشمال والجنوب ، حتى لا اضل الطريق الى هذا المكان او ذاك ، وحتى استطيع التفاهم مع الناس ويدلوني على مكان حديقة الحيوانات دون ان تكلفوا انفسهم الذهاب معي ، وخيرٌ لي وذلك ان تكون في استطاعتنا تمييز الالوان حتى نستطيع ان نتفاهم مع الناس ، هذا حق ، ولكنهُ حق من الجهة الاخرى ان هذه المعارف والحقائق ليست اساسية للحياة ، فالفرد يستطيع ان يعيش وينشط دون ان تكون له هذه الحقائق والدليل على ذلك ان الجالسين في هذا البهو قد يختلفون فيما بينهم على تحديد هذه الجهات وهذا يحدث عادةً عند ما ينتقل المرء الى بلد غريب ، أما الالوان فأمرها مشهور معروف لأن اختلاط الالوان مرض منتشر الى حدٍّ ما وهو ما نسميه Colour Blindness وهو مرض يصعب اكتشافه في الفرد المصاب به ، وعلى كل حال ماذا يفيد الأعمى من الالوان !

الغاية من هذا الكلام ان الحياة لا تتوقف على معلومات معينة يتلقاها الفرد في المدرسة او في غير المدرسة عن طريق التلقين ، وانما ما ينفع الحياة هو الاختبار ، الحياة والعيش من يوم الى يوم ، الأخذ والعطاء بين أفراد الناس ، الاحساس المباشر بمؤثرات الحياة حولنا ، وهذه جميعاً لا يحصل عليها الطفل من الجلوس في حجرة الدرس ، وانما ينالها من مشاركة الكون الطبيعي حوله ، ومن اتصاله اتصالاً مباشراً بالاحياء ، بالنظم الاجتماعية

في المدرسة يحصل الطفل على معلومات وحقائق قد يحتاج اليها في حياته العامة ، وقد لا يحتاج اليها على كل حال ، وفي خارج جدران حجرة الدرس يخضع لمؤثرات الحياة ، وقد تجد لهذه المؤثرات نشاط ينبعث عن دوافعه النفسية ، ونشاطه هذا هو في الواقع الأساس الذي تقوم عليه حياته في مجموعها في المدرسة يعرف ، وفي خارج المدرسة يعيش ، ونحن هنا نطلب العيش للطفل لأن عرامنا في هذا البلد بجمع المعلومات المبعثرة المتناثرة قد طغى على تقديرنا للحياة والعيش لقد اصبحنا نرغم أطفالنا على اهمال الحياة والعيش من أجل مناعب الحياة ، من أجل بعض المعلومات والمعارف التي لا تسمن ولا تغني من جوع

اذا كان الأمر كذلك فحياة الطفل تتوقف الى حدّ كبير على نشاطه خارج حجرة الدرس ، او على أوقات فراغه ، ونوع النشاط الذي يقوم به من تلقاء نفسه من دون ارغام أو ضرورة خارجية ، هذه القوة هي التي تكوّن الطفل وتكشف حياته من جميع جهاتها ، وتنمي ملكاته العقلية والبدنية ! وماذا نطلب نحن الآن هذا ؟ ماذا نريد غير تكشف حياة الطفل وتنمية ملكاته ؟

لا نقصد من كلمة « الفراغ » الوقت الضائع لغير غاية أو قصد ، الذي نراه يتناثر من بين أصابع الناس بالدقائق والساعات ، فهذا وقت لا ينفع الحياة بحال من الاحوال . وانما يقتطع منها

لغير سبب الاّ الكسل والاهمال ، وهذا هو الحال مع كثير من الشبان والرجال الذين يمضون ما يقرب من خمس أعمارهم في شرب عدد من فناجين القهوة على قوارع الطرقات انما نقصد بأوقات الفراغ تلك التي يقضيها الصبي في نشاط حر من تلقاء نفسه منبعث عن الدوافع الطبيعية للحياة كاللعب مثلاً

اللعب ميدان فسيح من ميادين الحياة تنشط فيهِ لأغراض سوحاها الحياة نفسها . انهُ ضرورة من ضرورات الحياة كالغذاء والتنفس سواء بسواء مع فارق بسيط بينهما ، وهو ان الضرر الناشيء عن حرمان الطفل من اللعب ضرر مؤجل تظهر آثاره بعد سنين كثيرة ، بينما الضرر الذي ينتج عن حرمانه من الغذاء حرماناً باتاً ضرر عاجل تظهر آثاره في أيام معدودات

نريد ان نثبت هذه الحقيقة في ذهن الجمهور المصري وهي ان الحياة تتوقف على نوع النشاط الذي تقوم به ، فلا ينفع الحياة شيء سوى ما تقوم بهِ هذه الحياة في مجموعها وفي تفاصيلها ، الحياة كرسده كاملة والحياه في اعضائها المتعددة، وبعبارة اخرى لا ينفع الرئة مثلاً الا ما تقوم بهِ هي نفسها ، اذا ما انفتحت وتفتحت في هواء نقي ، فالرئة لا تصبح قوية بحال الا اذا نشطت ، والاّ اذا كان نشاطها منظماً مستمراً ، وعندما يضعف نشاطها تضعف هي ، ثم اذا انقطع نشاطها انقطعت بها سبل الحياة

هذا هو شأن الحياة في مجموعها وفي تفاصيلها ، نريد ان يكون طفلك غذاء ، فمهد السبل لقدميهِ لتنشط ، دعهُ يجري ويعدو ، ولا نستطيع ان نرى سبيلاً غير هذه لمثل هذه الغاية ، فأرجو ان تسمحوا لي ان اكرر هذه الحقيقة مرة اخرى وهي ان الحياة لا تقوم بحال من الاحوال الاّ على ضروب النشاط الذي تضطلع بهِ الحياة

١ — اذا كان الامر كذلك دعونا نعود الى موضوع اللعب، لنرى مقدار صلاحهِ كميدان للنشاط الفردي، ولا اظن احداً منا ينازعنا في ان اللعب بانواعهِ ميدان صالح لنمية الجسم في مجموعه . ولتقوية اعضائه كل على حدة هذه حقيقة مفروغ منها ، اذا كنا نريد اطفالنا على ان يكونوا اصحاء البدن اقوياء البنيه معتدلي القامة على جانب وافر من النشاط ، فما علينا الاّ ان نمكنهم من أخذ حاجتهم من اللعب

٢ — ولكن الناحية المادية من اللعب ليست هي كل ما يناله الفرد من هذا الضرب من النشاط ، فقد استقرَّ في ذهن البعض من قديم الزمان انه نشاط مادي بدني صرف ، والحقيقة على خلاف ذلك ، لان علماء التربية مجمعون على انهُ نشاط عملي اجتماعي ايضاً ، فالارتباط بين البدن والعقل امرٌ مفروغ منهُ ، هذه المادة التي ينطوي عليها جمجمة الرأس والتي يتم فيها النشاط العقلي هي مادة بلاشك، شأنها كشأن جميع المواد تتغذى وتتكيف وتنمو وتنشط كباقي الاعضاء، سواء بسواء وحظ هذه المادة من النشاط الذي ينبعث من اللعب حظٌ وافر عزيزٌ ، فهي بحكم مركزها

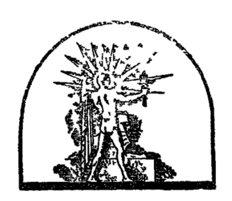
تهمس على كل انواع النشاط، ولا يمكن ان يتم نشاط ما في أي جزء من اجزاء الجسم دون ان يمر هذا النشاط اولاً بتلافيف المخ او ما يتصل به كالحبل الشوكي ذهاباً واياباً فكل حركة يأتيها الانسان طوعاً لا بد وان يمر به

٣ — قلنا ان اللعب ليس نشاطاً مادياً صرفاً، والآن نقول انه نشاط يشمل جميع مناحي الحياة من عقلية واجتماعية وبدنية والفرق بين اللعب والعمل في رأينا هو ان الاول منهما ينبعث من دوافع نفسية، بينما العمل منشأه الدوافع الخارجية، فالنجار الذي يحصل شيئاً آخر على النجارة ومع ذلك يشتغل بها لاقامة اود حياته وحياة عائلته انما هو يشتغل، ولكن الطالب الذي يمارس النجارة للتسلية فهو يلعب، وهذا الضرب من النشاط له اثره في اخلاقه وتكوينه، وهكذا الحال في جميع مرافق الحياة، فقد يكون الامر الواحد لعباً وعملاً شاقاً في نفس الوقت

والناس قد اصطلحت على ان تترك اللعب لاوقات الفراغ، او بمعنى آخر يلعب الانسان اذا لم يكن مكلفاً من جهة ما القيام بعمل معين، وفي آخر الامر يصبح اللعب نوعاً من العمل بهواه الفرد ويصطبغ به اجابة لميوله الخاصة ومشاعره النفسية

ونحن ندعو في التربية الى الاكثار من هذا الضرب من النشاط فان عليه يتوقف مصير الفرد، ونريد من الامة المصرية ان تراعي ميول الاطفال عندما تسن لهم مناهج التعليم حتى لا يصبح العلم اشغالاً شاقة يدفع اليها الاطفال قسراً وهم صاغرون

تحاول وزارة المعارف ان تدخل هذه الروح — روح اللعب — الى حجرات الدرس، فان نجحت في هذا خدمت اطفال هذا البلد، وان عجزت دونه، ستبقى مشكلة التعليم قائمة في مصر



[illegible] » [illegible] انكليزي وبالعكس
٢ قاموس [illegible] انكليزي وبالعكس
» [illegible] عربي انكليزي فقط
» انكليزي عربي فقط
٢ » سقراط سنرو عربي انكليزي (باللفظ)
٥٠ » » » » انكليزي عربي (باللفظ)
١٠ » » » » » وبالعكس
١٠ التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢ الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)
٤٠ العكلة الماني (لتعليم الالمانية بسهولة)
٤ في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١ عشرة ايام في السودان » » »
١٢ مراجعات في الادب والفنون للاستاذ عباس العقاد
١٥ روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة
(الاستاذ محمد عادل زعيتر)
١ روح السياسة » »
١ الآراء والمعتقدات » »
١٦ اصول الحقوق الدستورية » »
٨ الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون)
١٥ حضارة مصر الحديثة (لأليف كبار رجال مصر)
١٠ الحركة الاشتراكية (لرمزي مكدونالد)
١٥ ملتقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
٨ اليوم والغد (الاستاذ سلامة موسى)
١٠ محاورات » » »
٨ نظرية التطور وأصل الانسان » »
١٢ اناتول فرانس في مباذله للامير شكيب ارسلان
١٥ الدنيا في اميركا (للاستاذ امين بقطر)
١٠ المرأة الحديثة وكيف نسوسها (عبدالله حسين)
١٠ جريمة سلفستر بونار (اناتول فرانس)
٥ المرأة بين الماضي والحاضر
٥ مركز المرأة في شريعتي موسى وحمورابي
١٥ حصاد الهشيم (للاستاذ ابرهيم عبدالقادر المازني)
١٠ قبض الريح ( » » » » » )
٨ سهام وروائع سمر مسور مصور
١٠ رسائل غرام جديدة (سليم عبدالواحد)
١٠ الغربال في الادب العصري (ميخائيل نعيمة)
٥ حكايات للاطفال ، اول (مصور بالالوان)
٥ » » ثان » »
٥ » » ثالث » »
٥ تذكرة الكاتب طبعة منقحة لاسعد خليل داغر
٢٥ جمهورية افلاطون (للاستاذ حنا خباز)
٦ مراقي النجاح (الارشمندريت بشير)
٥ مريم المجدلية (موريس ميترلنك)

٥ [illegible] الاجتماعية (للاستاذ علي فكري)
٥ خواطر حمار (للاستاذ الجمل)
٥ التعليم والصحة للدكتور محمد بك عبد الحميد
١٥ الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥ ذكرأ وانثى خلقهم » » »
٥٠ علم الاجتماع (جزآن كبيران » »
١٥ اسرار الحياة الروحية » »
٣٠ الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور فخري
٢٠ المرأة وفلسفة التناسليات » »
٢٠ الضعف التناسلي في الذكور والاناث »
١٥ الرفقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي محمد)
١٠ بائس » » » »
٥ مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٠ القصص المصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠ مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢ رواية اهوال الاستبداد ، مصورة
١٠ » فاتنة المهدي ، او استعادة السودان
٨ » الانتقام المدنب (اسعد خليل داغر)
٥ » فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٢ » ماربرت ، مصورة (توفيق عبد الله)
١٢ » غرام الراهب او الساحرة المحذورة
٧٥ » روكامبول ، ١٧ جزء (طانيوس عبده)
٢٥ » ام روكامبول ، ٥ اجزاء »
٢٠ » ماردليان ، ٣ اجزاء »
٢٠ » الملكة ارابو ٤ اجزاء »
٢٠ » الاميرة فوستا ، جزآن »
٢٠ » عشاق فنيسيا ، جزآن »
١٦ » الساحر العظيم ٤ اجزاء »
١٦ » كابيتان ، جزآن »
١٦ » الوصية الحمراء ، جزآن »
١٦ » بائعة الخبز »
١٢ » فلمبرح ، جزآن »
١٠ » فارس الملك »
١٠ » ضحايا الانتقام »
٨ » المرأة المفترسة »
٥ » المسكرة الحسناء »
٥ » مروحة الاسود »
٥ » شهداء الاخلاص »
١٦ » دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠ » فرنسوا الاول » »
١٠ » الجموح قنوت » »
٨ » حورية » »
٨ » الملاهان الطريدان » »
١٢ نبوغ الانسان (جبران خليل جبران)
٥ النبي ( » » » )
٥ آلهة الارض ( » » » )

علي [illegible]



[illegible]

[illegible]

و[illegible] ان [illegible] اول ناظر [illegible] الأمير [illegible]

# المقتطف

الجزء الرابع من المجلد التسعين

١ ابريل سنة ١٩٣٧ — ١٨ محرم سنة ١٣٥٦


## اين تبدأ الحياة

### بحث في دقائقها الصغرى

في مقدمة المعضلات التي تواجهها العلماء، معضلة طبيعة الحياة

لهذه المعضلة وجوه كثيرة تستوقف انظار الباحثين وتستحث هممهم، كالامراض التي مصدرها وراثي، وتحسين النسل، ووسائل تجديد النبات والحيوان، وغيرها، ولكنها جميعاً لا يمكن ان تحل على الوجه الاتم الا اذا حلت تلك المعضلة الاساسية، معضلة طبيعة الحياة.

قد كشف العلماء حقائق جديدة تميط اللثام عن بعض هذه الطبيعة، ككشفهم ان [illegible] يسبب انواعاً خاصة من السرطان، او ان الاشعاع يهتك بالنوامي السرطانية، ولكن الغوص الى اعماق السر متعذر الا اذا فهمت الحياة من حيث علاقتها بدقائق المادة وما تنطوي فيها من النظام والطاقة

قال الانسكلوبيديون الفرنسيون في القرن التاسع عشر، ان الحياة هي ما يقاوم الموت ولكن ما هو الموت؟

ليس ثمة صفة واحدة من الصفات التي نسندها الى الاجسام الحية، لا يمكن ان نسند كذلك الى الجوامد. فالجسم الحي يتكاثر وكذلك بلورة الملح والسكر. والشرغوف الذي يقطع ذنبه ينمي ذنباً آخر، وكذلك البلورة التي انتزع جزء منها تستكمل نفسها بالجذب. والاحياء تستجيب لحوافز خارجية، وكذلك جزيئات الغاز المؤين، تستجيب لحوافز خارجية عند ما

يكون الغار في مجال مغنطيسي او كهربائي الانسان والبراميسوم سيمسان، ولكن من المكروبات ما يعيش من دون شمس ، ومن الحوامض ما تناول الاكسجين و يطلق ثاني اكسيد الكربون

فليس ثمة مقياس واحد يمكن ان نقيس به الحياة في جميع الاجسام حتى ان الضفدع بقي حياً او سلاً قلبه ووضعه في محلول خاص ، بقي ذلك القلب حياً شهورا ، وقد بقي حياً سنين لا نعرف مداها بل حد قطعه من نسيج القلب ، كما فعل العلامة كارل بقطعة من نسيج قلب الفرخ وهو جنين ، ووضعه في المحلول المغذي الموافق ، بقيت تلك القطعة حية وهي مفصولة عن القلب

واذا فحص هذا النسيج بالمجهر ظهر انه مؤلف من وحدات كل وحدة منها شبه كتلة صغيرة من الهلام وهي الخلايا كل خلية من هذه الخلايا ، حية ، وثمة ما يبعث بل الاعتقاد ، بانه في الامكان ، ان تبقى الخليه منها حية على حده ، كما ابقينا قطعة من نسيج القلب ، اذا كان لنا من الوسائل الدقيقة ما يمكننا من تناول خليه واحدة على حدة وانا نعرف ان الخلايا تستطيع ان تعيش منفردة ، لان هناك انواعاً عديدة من النبات والحيوان قوام الفرد منها خلية واحدة ، تقوم بجميع ما يحتاج اليه الجسم لبقي حياً وخلايا النسيج انما ليست الا خلايا تخصصت في عمل معين

واذن نستطيع ان نقول ان الاجسام الحية المركبة ، يمكن ان [illegible] الى الاعضاء فهذه الاعضاء كل منها على حده ، وان الاعضاء يمكن ان تجزأ الى الانسجة [illegible] الانسجة كل منها على حده ، وان الانسجة يمكن ان تجزأ [illegible] كل خلية منها على حده فهل الخلية هي الحد الادنى للاحياء؟ هل يمكن ان [illegible] هذه الاجزاء كل منها على حده؟ اما هنا [illegible] تشريح الخلايا ، الى حرء [illegible] فيه [illegible] الحياة ومنه تنبثق شعلتها ؟

***

راقب خلية حية على شريحة مجهر قوي ، ترى امامك آية التحول الدائم [illegible] العمل [illegible] الخلية و [illegible] جدارها ، الخلية (البروتوبلاسمة) دائمة [illegible] ذلك [illegible] باطنها واجزاء ، يختلف بعضها عن بعض وتختلف [illegible] من سائر [illegible] في تركيبها [illegible] ، فنقول ان الحياة قوام هذه الاجزاء [illegible] من المادة [illegible] الاساس

في مركز هذه الكتلة الهلامية ، او على [illegible] من المركز ، تجد جسماً كروياً [illegible] [illegible] واهنا من المادة التي تحيط به هذا الجسم الكروي المركزي [illegible] اسم « النواة » والمادة التي تحيط به داخل جدار [illegible] « سيتوبلاسمة »

في امكانك ان تجرح جدار الخلية ، من دون ان [illegible] بل وفي امكانك ان [illegible] جانباً كبيراً [illegible] من دون ان تسلب الخلية [illegible] الحياة واعرف من هذا ان [illegible] من [illegible] دون [illegible] ذلك ان الخلية [illegible] في ذلك المحرم ان [illegible] [illegible] ولكن اذا اذيت النواة [illegible] الصحة عن ما تقدم [illegible] الكتلة

المركزية شديدة الاحساس ، بادنة المفعول ، لانستطيع ان نزيل جزءاً منها ، وان نبقيها حية

ونستطيع ان نكشف عما للنواة من الشأن الخطير في حياة الخلية ، بحيث [illegible] بعض التجارب بالخلايا [illegible] وهي [illegible] ما تعلم نوعان خلايا الانثى وخلايا الذكر [illegible] بعض [illegible] ادا احاطت [illegible] حالة الانثى [illegible] او [illegible] [illegible] او [illegible] [illegible] خلية الذكر [illegible] حديدة [illegible] امكانك ان تأخذ هذه [illegible] وتشطرها شطرين بحيث تكون النواة كاملة في احد الشطرين ، ثم [illegible] الشطر الذي يحتوي على النواة كما تقدم [illegible] ، واما الثاني فيبقى عقيماً وفي بعض [illegible] بعض الحيوانات تكون النواة صغيرة جداً بالقياس الى كتلة [illegible] فاذا نزعت النواة [illegible] وهي تكاد تكون كاملة ولكنها عاجزة عن التوليد

[illegible] ثم [illegible] [illegible] الانثى ، ومن ثم [illegible] خلية الذكر [illegible] الانثى [illegible] او [illegible] [illegible] [illegible] احراء [illegible] الاجزاء من [illegible] [illegible] كما نراه لها رأس هو [illegible] حداً [illegible]

ولكن [illegible] الذكر على [illegible] الولد التي [illegible] ان تحمل كذلك [illegible] الحياة الى [illegible] النواة [illegible] [illegible] عدم

لقد جربت هذه التجربة ، واسفرت عن نتيجة عجيبة [illegible] من [illegible] بيضة لا اثر فيها للنواة ثم جيء بخلية ذكر [illegible] خلية الذكر [illegible] فاندمجت فيها ، وكأنها نقلت اليها مادة النواة المفقودة ، لا [illegible] ذلك [illegible] [illegible] فانقسمت وتكاثرت و [illegible] [illegible]

[illegible] الرواد [illegible] [illegible]

[illegible] الدكتور [illegible]

[illegible]

التي [illegible] من الناس [illegible]

العلماء [illegible] ( [illegible] ) [illegible]

كونه من الماء ولما كانت النواة [illegible] [illegible]

الوراثات لا [illegible] جزءاً اكبر [illegible] الخلايا الذكر [illegible]

[illegible]

والواقع [illegible] اشق الامور ان [illegible] [illegible] عوامل الوراثة التي [illegible] الى مليون [illegible] [illegible] ان [illegible] الخلايا الدقيقة من اعقد الاجسام [illegible] في الكون ، والباحث ان يطلع على بعض هذا العقيد ، بعرضها على شريحة المجهر ، واستعمال بعض الاصباغ المؤاتية [illegible] هذه الاصباغ نستطيع ان

تبين في النواة احساماً عصوية الشكل او هي كسلسلة حلقاتها من المقانق (السجق) هذه الاجسام تعرف باسم «كروموسومات» وقد ترجمت بلفظ الصبغيات في المجمع الملكي للغة العربية وهي توجد في الخلايا التناسلية وجودها في سائر خلايا الجسم وهي في جميع الخلايا في نوع واحد من الحيوان على مثال واحد ونمط واحد في شكلها وعددها

فخلايا نبات الذرة تجد في نواتها عشرين صبغياً وخلايا الرنوق اربعة وعشرين وخلايا الضفدع ستة وعشرين وخلايا الانسان ثمانية وأربعين وخلايا الفرس ستين

وقد حاول أحد الكتاب المشتغلين بالعلم — جورج غراي وهو متصل بجامعة هارفرد — ان يحصي هذا العدد في خلايا الفيل والنمل، وهما اكبر الحيوانات ... فلم ... كأن احداً لم يتناولهما بالبحث من هذا القبيل

ومما يدلك على قرابة الانسان لبعض القردة ان عدد الصبغيات ... آسيه وافريقية كعددها في خلايا الانسان وأما قردة اميركا ... فلا ... الانسان وعدد الصبغيات في خلاياها يبلغ أربعة وخمسين

***

ولعل البحث الذي أثبت علاقة هذه الاجسام العصوية بالوراثة، من أجل البحوث العلمية التي تمت في عصرنا وأدقها وقد كان رائدها الاستاذ توماس هنت مورغن الاميركي

حصرت هذه البحوث في ذباب الفاكهة (درسوفيلا ملانوغاستر) لانها سريعة التناسل ويمكن ... في احوال ... التجارب العلمية وكانت الطريقة، ان يفحص الاستاذ مورغن ... هذا الذباب جيلاً بعد جيل، لعله يرى ... حدثت من ... ثم يحاول ان يربط بين هذه ... وبين ما ... صبغيات الخلايا ...

فعندنا ذبابة الدروسوفلا، حمراوان في الاحوال السوية ولكن تولد ذبابة ... احياناً ... البحث الحاضرة، راقب الباحثون ... التي ... ظهر لهم فيها تغير ... في منطقة معينة وعلى مثال ذلك عثروا تسع ... وربطوا بينها وبين ما يحدث في الصبغيات من ...

وقد ... الباحث، ... عشر سنوات، عندما اكتشف الاستاذ ملر، ان الاشعة ... في الخلايا الوراثية، ... التحولات الفجائية ... التي تصاب بها ... هذا الاسلوب من البحث، انه حيث ... الاشعة ... تحول في المنطقة المرتبطة بها ... بحث ورغن

الا ان بحث الاستاذ ملر اثبت، ان اصابة الصبغي بالاشعة السينية، ... تأثير ... او تأثير ... وفي بعض الحالات، ... جزء من الصبغي ... وفي حالات ... جانب من هذا الجزء المفصول بصبغي آخر وفي حالات اخرى انشطر الصبغي شطرين فلصق احدهما بصبغي والآخر بآخر وكذلك تأت في نواة

الخلايا ، تركيبات صعبه جديده ، ظهر اثرها في صفات الذباب وتركيبها

هذه التجارب تؤيد ما كان ظناً حتى الآن وهو ان الصفات مؤلفه من جسيمات تدعى عوامل الوراثة ... اى ان الصفات ليست أجساماً لا تتجزأ بل تتقسم جسيمات

لم يتمكن احد حتى الآن من رؤية احد هذه العوامل حتى اقوى المجاهر لا تستطيع تبينها ولكن فرضها ، واتساق هذا الفرض مع الحقائق التجريبية المختلفه ، لا يقل قيمه عن فرض الذرات لتفسير تفاعل المادة الكيميائي

فعوامل الوراثة ... هي ذرات الوراثه كما ان المقادير او «الكوانتات» هي ذرات الطاقة

واحدث التجارب تدل على ان اصابة بعض العوامل الوراثية ادى قد يسفر عن اضرار جسيمة بل قد يفضي الى الموت وهذا يحملنا على الظن ان عملها في نواة الخلية ليس السيطره على الوراثة فقط ، بل والسيطره على الحياه نفسها كذلك اما وقد ظهرت صلتها بالحياه وصار ترجمة ... بعوامل الوراثه لا بد فرأينا ان نسميها جزيئيه بصغر جرثومه وجزيئيات للجسم

* *

يعود الفضل في كشف هذه الحقيقة الى المستر ديمريك ... احد علماء الوراثه والنسل في معهد كارنيجي بوشنطن فقد انقضت عليه سنوات وهو يراقب أثر التحولات الفجائية ... في قدرة ذباب الفاكهة على اخلاف النسل واستوقف نظره بوجه خاص تجارب قام بها الباحث باترسن في جامعة تكساس ذلك ان هذا الباحث بحث ... وجنس تحولا فجائياً تقع في ثلاث مناطق معينه في الصبغيات ، ... ان ... احدا ... مميته اى ان الذريه الملقحه التي ... التحولات ، ... لا ... النمو تموت ... التي ... أشعة اكس ... ادنا ...

وانبع ديمريك هذا البحث ، بدراسة دقيقة في خلايا ... يحصر بحثه في خلاياها الداخلية فوجد ان خلايا الجسم ، ... المضي في النمو اذا اصيبت تلك المناطق في ... التي أحدثت في تجارب ... وكذلك ... ان هذه الخلايا تموت ، حاله ان الخلايا التي حولها طلت حيه نامية متكاثرة

وبعد بحث طويل اشترك فيها التجريب البارع ، والاستنتاج المنطقي ، وصل ديمريك الى نتيجه خطيره ، وهي ان الوفاة يمكن اسنادها الى اصابة ... بعض الجزيئيات فقط ولا يبعد ان تكون ناشئه عن اصابة جزيئيه واحده

فما هو حجم هذه الجزيئية ؟ من يدري ؟ ولا سبيل الآن الى ... حجمها الا بالبحث عن عدد الجزيئيات في الصبغي ، ثم قسمة المادة التي تتألف منها الصبغيات على عدد الجزيئيات ، لمعرفه وزن الجزيئيه الواحده

اما عدد الجزيئيات في الصبغي الواحد فيظن انه يماثل عدد العقد التي في الصبغي

وبالمقابلة بين عدد العقد في الصبغي الواحد وعدد [illegible] الى عرف ما يقابلها من التغير في عدده، ظهر ان عدد الجرثيات [illegible] ثلاثة الآلاف

وقد استنبط المستر بايتر [illegible] طريقة جديدة لتقدير عدد الجرثيات، ذلك ان [illegible] وهذه العدد قوامها خلايا كبيرة الحجم، بل ان حجم هذه الخلايا [illegible] والصبغات فيها تفوق في حجمها مائة وخمسين [illegible] حجم [illegible]

وقد كانت هذه الحقيقة معروفة من سنوات، ولكن [illegible] لم يخطر له ان يبحث في هذه الخلايا عن طريقة [illegible] وما حدث فيه من التحول ولكن الدكتور [illegible] فطن الى ذلك سنة ١٩٣٢ [illegible] هذه الخلايا بطريقة خاصة وأصبغت بأسلوب خاص، [illegible] سلاسل، مؤلفة من مناطق مستعرضة، متفاوتة الحجم، [illegible]

فالمنطقة في الصبغي ليست بالجرثيمة، ولكنها [illegible] ونستطيع معرفة عدد الجرثيات باحصاء عدد هذه المناطق في [illegible] الواحد

هذه المناطق من اصغر الاشياء التي [illegible] ذلك خطأ في احصائها محتمل بل مرجح [illegible] ٢٧٠ ولكن من عهد قريب استنبط الباحث كلمن [illegible] ان عددها يبلغ ٥٠ [illegible] انها لا يبعد ان تبلغ عشرة آلاف، ولكنه قال [illegible] فيقول انه ليس هنالك ما يمنع ان يكون اكثر من ذلك

ولكن لنلتزم خطة الحذر [illegible] فاذا كان في خلية [illegible] آلاف [illegible] خمسة آلاف جزء [illegible] لا يزيد على [illegible] من كتلة الخلية [illegible] الخلية وكذلك يبدو لنا اننا امام تركيب [illegible] خمسة اجزاء من مائة مليون [illegible]

فهو تركيب [illegible] هذه [illegible]

يرد [illegible] جزيء عضوي كبير [illegible] الكرة عبر مستقر التركيب [illegible] من شكل و [illegible] شكل وتركيب آخرين [illegible] اذا فرضنا ان الجرثيمة جزيء عضوي فقد [illegible] ثم يعود [illegible] لتسترد الجزء المفقود [illegible] شطرين،

لا ينشطر الجزيئات بل يضاعف عدداً ينمو جزيئات جديدة محاذيه للقديمة فتبقى الطائفة القديمة في شطر وينقل الطائفة الجديدة الى الشطر الثاني

وهذا الاسلوب ، متسق ، في رأي العلماء ، مع القول بان الجزيئمة جزيء عضوي كبير

واذا كانت الجزيئمة جزيئاً فرداً فيجب ان يكون جزيئاً ضخماً ولست الجزيئات العضوية الضخمة بالشيء الغريب بل ان علماء الكيمياء يعرفون عشرات منها بجزيء بعض المواد البروتينية ، قوامه الوف من ذرات — ولعل اشهر مثل على ذلك جزيء زلال البيض ولكن هذه الجزيئات معقدة التركيب الى ابعد حد ومن المتعذر تمثيل تركيبها في صفحة من هذه الصفحات

وقد اقترح الدكتور دميرك على سبيل التمثيل جزيئاً عضوياً صغيراً مما تتسع صفحة مجلة له ، ودل على تركيبه ، وقال ان الجزيئمة ، اذا كانت جزيئاً عضوياً ، فهي على مثال هذا الجزيء ولكنه اكبر واشد تعقداً

اما المادة التي اختار جزيئها لضربه مثلاً فتعرف باسم « الحامض اليمونوكلايك » ( Ivonucleic ) وهي احدى المواد التي تولد من انحلال بروتين النواة

ان جزيء هذا الحامض يشتمل على ٥٩ ذرة ايدروجين و ٤٣ ذرة كربون و ٣٢ ذرة اكسجين و ١٥ ذرة نتروجين و ٤ ذرات فصفور — ومجموعها ١٥٣ ذرة

وهذه الذرات مرتبة في مجموعات مختلفة والمجموعات منظومة في صورة متسقة والمركب غير مستقر فيفقد احدى هذه المجموعات كاملة ثم يستردها او يفقد ذرة من احدى المجموعات نفسها ، وهذا الفقد يغيره ويغير تأثيره الكيمائي والحيوي كذلك

***

قلنا ان جزيء هذا الحامض يشتمل على ٥٩ ذرة ايدروجين واربع ذرات فصفور فاذا اصيب هذا الجزيء بقوة من الاشعة السينية ، ... ان ... أثر الاصابة افلات ذرة ايدروجين ، يكون الجزيء قد فقد في مجموعة جزءاً من ٥٩ من مقدار الايدروجين الذي فيه ولكن اذا اصيب الاصابة عينها من الاشعة السينية الى الخارق ذرة فصفور كان ما يخسره الجزيء ربع ما فيه من الفصفور وقد تكون هذه الخسارة مما لا يعوض لجسامتها وعلى ذلك فان ذرة واحدة من الجزيء قد تكون بحيث يتعذر تعويضها ، واذا تعذر ذلك وقفت الخلية عن النمو اي ادركها الموت

وكذلك ترسم صورة المادة الحية ، بضوء هذه الحقائق الجديدة ، صورة تجعل اعظم الشأن لذرة واحدة من ذرات المادة ، ... من ... تلك الذرة ، تتوقف الجزيئمة استقرارها وتحول وانواع الجزيئمة ... الصبغي ... فاذا وقف نمو الخلايا وقف التناسل واشرفت الحياة على ختامها

# مشروعات السودان

## وصلتها بالري في مصر (1)


لحسين سري باشا

وكيل وزارة الأشغال


لعلي لا أحيد عن الصواب إذا ما تحدثت إليكم، أن أتناول دائماً موضوع نهر النيل(1) ومياهه التي تجري بين جانبيه فإنها تخترق واديه، فتغدق في طريقها الحياة كاملة على أرض مصر، وتجري الخير فياضاً على من يستظلون بسمائها، حتى أصبح هذا النهر العظيم علماً على بلدنا السعيد، بل ورمزاً لوجوده فعلياً، وكان ذلك مما عرفاناً بجميله وشعوراً بخيراته « إن مصر هبة النيل ونعمته »

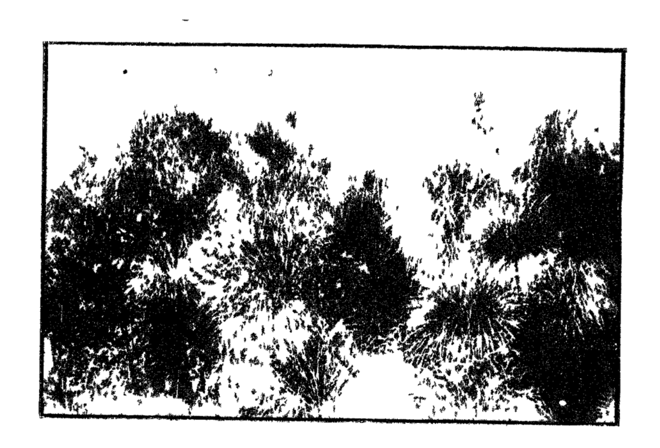
### مصادر النيل

يستمد نهر النيل مياهه من المصادر الاربعة الآتية (1) النيل الابيض (2) نهر السوباط (3) النيل الازرق (4) نهر العطبرة

ويستمد النيل الازرق ونهر العطبرة بامداد النيل الرئيسي بالجانب الاعظم من مياهه مدة الفيضان وهما مما يحملانه من المواد، سر خصوبة أرض مصر، والعامل في تجديدها وما ترسب فيها من الطمي كل عام إلا انه على الرغم مما لهذين النهرين من الآثار الواضحة في خصب الاراضي المصرية، فان فائدة نهر العطبرة تقتصر على مدة الفيضان فقط، وذلك لانقطاع أمداده بالكل في شهر ديسمبر من كل عام، حيث يصبح بعد هذا التاريخ عبارة عن سلسلة من المستنقعات لا اتصال بينها وتستمر على هذه الحال حتى موسم الفيضان التالي كذلك تقل إيراد النيل الازرق في مدة الصيف كثيراً، فلا يزيد مقدار ما يمد به النيل عن 3 / من الايراد الصيفي، وقد يقل في بعض شهور الصيف الى 5 / من مجموع الايراد اي ان إمداد النيل الازرق يكاد يكون منعدماً في هذه الشهور

(1) ملخص محاضرة ألقيت في المؤتمر السابع الذي أقامه المجمع المصري للثقافة العلمية

(2) [illegible] الري في مصر [illegible] 1934 ص 666 — 677





ممر من الممرات الخشبية التي اقامتها مصلحة الري لاختراق نبات البردي لمعرفة حركة المياه
التي تسير على جانبي بحر الجبل في داخل منطقة السدود

وتلاحق هذه الظاهرة الطبيعية ايضاً على نهر السوباط ، إذ انه بعد النيل بمقادير وفيرة من المياه مدة الفيضان ، ثم يتناقص إيراده بعد ذلك حتى يقل كثيراً في شهور الصيف ، بل انه يكاد يجف طول هذه الفترة في بعض السنين

أما النيل الابيض فانه يعد نهر بالجانب الاكبر من مياهه مدة الصيف لذلك كان العامل الاول في الري المستديم بمصر ، وعليه يتوقف نمو الزراعة الصيفية ، وهي الحجر الاول في أساس ثروة البلاد وحياتها ولذلك تتجه أنظار رجال الري في كل عهد ، قصراً يعرفون مقدار مائه ، ويربطونها بالقياس الى حاجة الارض في موسم الزراعة الصيفيه

ويستمد النيل الابيض مياهه من بحر الجبل وبحر الغزال والاخير منهما قليل الفائدة ، ولا يزيد مقدار امداده للنهر على ١٠ / من مجموع الايراد ، بل انه قد يكون مصدر خسارة في بعض السنين ولذلك فإن إيراد النيل الابيض مدة الصيف ، يتوقف على مقدار المياه التي تأتي اليه من بحر الجبل

فمن الطبيعي وهذا أما لمياه بحر الجبل من الشأن — أن توجه جانباً كبيراً من اهتمامها الى تعرف مقاديرها والعوامل التي تؤثر فيها وهي في طريقها اليها وكان مظهر هذا الاهتمام ان قامت وزارة الأشغال منذ زمن طويل بدراسة مجرى النهر في تلك الأنحاء ولما تبين لها ان مقادير كبيرة من المياه تضيع سدى في جزء من بحر الجبل معروف « بمنطقة السدود » بدأت تفكر فيما يمكن لها عمله ، لتلافي هذه ضياعها ، وتعمل على توفيرها لتنتفع بها مصر في التوسع المنتظر في ارضها الزراعية

ولقد أسفرت الدراسة المستمرة حتى وقتنا هذا عن عدة حلول ، ورأت [illegible] ان اوزم [illegible] الجهات لأمكن من دراسة هذه الحلول [illegible] [illegible] أنسب لتحقيق [illegible] [illegible] [illegible] ان [illegible]

## بدء الرحلة

في [illegible] صباح يوم ٢١ ديسمبر الماضي [illegible] القاهرة على متن احدى طائرات شركة المواصلات [illegible] الخرطوم قاصداً الخرطوم

وكانت الطائرة التي اقلتنا تسير خلال رحلتها بسرعة متوسطها حوالى ١٦٠ كيلو متراً وعلى ارتفاع من سطح الارض يتفاوت بين ٠٠ و ٢ متر وتتبع في طريقها خطوطاً مستقيمة في معظم الأوقات ، وتبعد عن مجرى النيل بضعة كيلو مترات وقد هبطت بنا للتزود بالبنزين ثلاث مرات الأولى في الأقصر والثانية في حلفا والثالثة في كريمة ، احدى مدن مديرية حلفا وبعد رحلة استمرت ثلاث عشرة ساعة ، وصلنا الخرطوم في الساعة السابعة من مساء اليوم نفسه

وحوالي الساعة السابعة من صباح اليوم التالي ، وعلى متن الطائرة ، بارحت الخرطوم بعد ان قضيت ليلى بها قاصداً — وبصحبتي مدير مكتبي — مدينة الملاكال ، وهي مركز تفتيش اعالي النيل التابع لمصلحة الري المصرية فوصلناها الساعة الحادية عشرة صباحاً ، اي بعد ان تركنا الخرطوم بأربع ساعات فقط على ان تلك الساعات القلائل التي قطعنا فيها هذه المسافة الطويلة ، وهي حوالي ٨٥ كيلو متراً ، تجعلني اذكر بالحمد ما اكتسبناه من الطيران من توفير في الوقت الى راحة في السفر وبعد عن مشقاته ويكفي ان اذكر ان المرحلة بين الخرطوم والملاكال تبلغ عادة في النيل — وهو الطريق الوحيد بين هذين البلدين — فيما لا يقل عن ثلاثة ايام وثلاث ليال ، تسير فيها الباخرة بلا انقطاع هذا الى بضعة ايام أخرى ، يضطر المسافر الى قضائها في الخرطوم بعد وصوله اليها ، انتظاراً لميعاد قيام الباخرة بها

ولما ان وصلت مدينة الملاكال توجهت ومعي رجال الري الى مستعمرة مصلحة الري المصرية هناك ، وهي تضم مساكن الموظفين ومساكنهم ، وتكون الجزء الأكبر من المدينة وهذه المساكن مقامة على شكل هندسي انيق وسط حدائق متسعة ، وهي مزودة بالماء المرشحة وتضاء ليلاً بالكهرباء ولم تعن مصلحة الري بجعل المستعمرة على هذا الشكل ، الا اعداد سبل الراحة لموظفيها في تلك الانحاء ، حتى تعوض عليهم بعضاً من متاعبهم التي يجدونها في القيام بأعمالهم المضنية ونظراً الى كثرة ... [illegible] ... قنوات لحمل مياه المطر الى النيل ... [illegible] ... مكسوة بالاحجار ... [illegible]

ومن وراء مستعمرة الري ، قرية الاهالي ، وهي مجموعة من أكواخ مستديرة الشكل ، تسمى « تُكَل » وتشاد من حدائل القش ، ثم تطلى بالطين ، ولها سقوف من القش ايضاً مخروطية الشكل تمنع تجمع مياه المطر فوق هذه الاكواخ

وبين ضفتي النيل أمام المستعمرة ، رسو جانب من البواخر والمهمات العائمة ، التي أعدتها مصلحة الري لانتقال مهندسيها من جهة الى أخرى للقيام بأعمالهم وكذلك عدد آخر من بواخر حكومة السودان والبواخر هي سبل النقل الوحيدة في تلك الانحاء ، اذ ليست هناك طرق زراعية أو خطوط حديدية تصل بين الاماكن المختلفة ولهذا السبب اتجهت الانظار نحو العناية بشؤون الملاحة ، وقامت مصلحة الري المصرية من جانبها بتعميق مجرى النهر أمام الملاكال بانشاء جسر عمودي على السعة العرضية للنيل ، اصبح بذلك وجود مجرى ملاحي صالح تجاه المدينة ، يمكن لبواخرها ان تمخر عبابه في اي وقت من غير صعوبة او مشقة ولصيانة هذا الجسر من تأثير العوامل الطبيعية ، غرست على جوانبه أشجار « البيسبان » ونجحت نجاحاً كبيراً ، اذ عملت على تماسك أجزائه وابقائه في مأمن من فعل الامطار ومياه الفيضانات المتعاقبة

## طبائع القبائل

وعند وصولي الى هذه الاشكال ، كان أخص ما استوقف نظري اهل هذا القسم الجنوبي من السودان أولئك أبناء الطبيعة ، يعيشون في كنفها على فطرتهم فلم يتقدموا خطوة واحدة نحو أبسط مبادىء المدنية ، بل تراهم يسيرون عراة الاجسام تماماً ، ولا يزاولون في معاملاتهم تلك النظم التي نعرفها ، وانما قواعد أملتها عليهم بساطة طبعهم ويكون الاهالي في هذه المنطقة من قبائل تختلف أخصها بالذكر « الشلوك » و « الدنكا » و « النوير »

فقبائل « الشلوك » تعيش في الجزء الاوسط من مديرية اعالي النيل ، وهم عمالقة ضخام الاجسام، لكنهم ضعاف وجلودهم لامعة براقة ، شعورهم مرسلة سوداء ثم يقصونها ويصففونها في اشكال جميلة غريبة ولقد شاهدت عليهم أمارات الكمال التام في مظهرهم وحركاتهم وعلمت أن لهم أميراً يحكمهم ، ويقدمون له اسم الخضوع

وهم يسكنون في قرى مبعثرة السكان داخل أكواخ من القش والطين ولا عمل لهم سوى رعي الانعام وصيد السمك والحيوانات وحرابهم هي أداة التعامل ، فلا يدخرون شيئاً ومما يلفت النظر أنهم وعاداتهم ان لهم ديناً هو خليط من الوثنية وعبادة الاجداد والارواح وانهم يكثرون من اقامة حفلات الرقص ، كل منها لغاية خاصة فبعضها قرباناً من الآلهة لانزال المطر ، وبعضها للحرب او الموت او الدفن او غير ذلك

اما قبائل « الدنكا » فيقطنون الجزء القبلي من مديرية اعالي النيل ، وهم طوال الاجسام ويسيرون عراة ، الا المتزوجات من النساء ، فانهن يسترن عوراتهن بجلدين أحدهما من الامام والآخر من الخلف والجميع ، رجالاً ونساء ، يتزينون بالخرز والودع ويحاولون ... الذي يلبسه الرجل - كما علمت - دليل على جاهه وثروته وقد لاحظت من حياتهم ان رعي القطعان هو كل ... وأهمها البقر الذي ... ويقدسونه ، ويطلق الرجال في ... ويرقصون أمامه ، حتى لا يمرض او يقل ...

ومما يعرض له صغارهم قوة تخرج جباههم ليحملوا بذلك شعاراً وانهم كانوا ... وهم في ... من العمر الى الغابة ليعملوا مع الوحوش الضارية والافاعي ، حتى اذا ما نالوا شرف قتلها وهم فرادى ، أهلهم ذلك للدخول في عداد الرجال

ولهم في معاملاتهم واحوالهم الاجتماعية قواعد عرفية يخضعون لها ويطبق هذه القواعد مجالس تجمع اكبر الاشخاص سناً في كل قرية او عشيرة والى هذه المجالس تحتكم الافراد في جميع مسائلهم ، حتى ما كان منها مختصاً بأمورهم العائلية

واما قبائل « النوير » فيشبهون « الدنكا » في اجسامهم ولهجتهم ، ولو انهم أضعف بنية

وأقتح لوناً وهم مشتتون جماعات صغيرة في بحر الغزال وبحر الجبل وتراهم يلطخون اجسامهم ووجوههم بالرماد ، ليتقوا بذلك لدغ الناموس ، ويتركون شعورهم منفوشة إلا النساء فانهنّ يكوّرنها على أشكال مختلفة

وقبائل «النوير» معروفة بالغدر والقسوة وميلها الشديد الى الغارات وقد كانوا وقت زيارتي لهذه الانحاء ، يقتتلون مع قبائل الدنكا غربي بحر الجبل بالقرب من بلدة « توبي » الواقعة شمال مدينة مَنْجَلا كذلك فهمت من بعض من قابلتهم من رجال الانكليز الحكام هناك ، ان هذه القبائل تعتقد في روح عليا خلقت الدنيا وسيطرت عليها ، ولهم في الحياة الآخرة فكرة مبهمة وان من عاداتهم في الموت رش المقابر بعد دفن الموتى بالماء ، كما انهم يضعون بجوار الجثة بعض ما كان يشتهيه الفقيد في حياته كغليون الدخان أو غيره ، ليتسلى به حتى يصل الى عالم الأرواح

## صبغة البلاد

وبعد ان اقمنا في الملا كال يوماً وبعض يوم ، غادرناها على ظهر باخرة من بواخر مصلحة الري فأخذت تشق بنا عباب النيل الأبيض متجهة نحو الجنوب وهو نهر متسع المجرى منحدر مياهه بين جانبيه في سرعة قليلة ، لذلك كان أقرب الى البحيرات منهُ الى الانهر ، وكنا نرى على جانبيه أرضاً منبسطة يكسوها العشب في غزارة تبدو بها كأنها بساط أخضر لا تقطعه الا أشجار منثورة طوراً ، ومجموعة طوراً آخر وتنفصل هذه السهول عن مجرى النهر أخاديد تملأها المياه في بعض فصول السنة وبقي هذا المنظر ثابتاً حتى بلغنا بلدة التوفيقية على الجانب الأيسر للنيل ، وهي التي كانت مقراً للمكتشف العروف الشهير « صموئيل بكر » وأصبحت خراباً واطلالاً بالية ثم واصلنا المسير فمررنا بمصب نهر السوباط ، ومن هناك انحرف مجرى النهر نحو الغرب ، لكنهُ بقي باتساع مجراه وقلة انحداره مياهه ، وبالسهول المترامية على جانبيه ، واني كنا نرى فوقها اسراب الطيور ، تغطيها وتعلوها بين الزراعات والادغال حتى تصل الى مدن الزراف الثائرة ، وبعد منها مأوى يقيها بأسر عائلة الطواري ، الجزيرة ومن هناك النيل الابيض بعد مصب نهر السوباط عدة مجار للماء تعرف « بالخيران » وأشهرها خور لولي وهو يقع الى يسار النهر ويسير موازياً لهُ مسافة تبلغ حوالى ٥٠ كيلومتراً ثم يتصل به في بعض المواقع

وقد رحلنا في النيل الابيض استغرقت ست ساعات من ملاكال ، وصلنا الى مصب بحر الزراف وهناك اتخذنا طريقنا وسط هذا المجرى وهو في مدته حدث المجد اب بعدد الجوانب ،

يبلغ عرضه حوالي ثلاثين متراً وعلى جانبيه تنمو حشائش كثيفة تعرف « بأم الصوف »
وفي الداخل الغربي على الضفة الغربية أشجاراً كثيفة تمتد مسافات كبيرة على طول المجرى
اما الضفة الشرقية فخالية من الاشجار ، ولا يوجد غير الوادي ونهر مكسو بالحشائش دون
وسطها ، وعلى بعد نحو عشرة كيلو مترات من المصب ، عدة تلال حجرية تعرف بجبال الزراف
وما ان توغلنا جنوباً ، حتى رأينا على الجانبين غابات كثيفة من اشجار متوسطة الارتفاع تسكنها
كثير من الحيوانات الضاريه

وبعد ان قطعنا وسط بحر الزراف مسافة ٣٢ كيلو متراً من مصبه ، رسونا بباخرتنا ،
وسلكنا طريقاً بالبر انشأته فرقة من مهندسينا المصريين خلال العام الماضي على الجانب الشرقي
للنهر وقد بلغنا المكان الذي يعمل فيه هؤلاء المهندسون بعد ان سرنا حوالى ٧٥ كيلو متراً ،
وهناك شاهدنا اعمالهم التي يقومون بها من مسح المنطقة الواقعة الى الشرق من بحر الزراف ،
وفحص طبوغرافيتها بواسطة اعمال الجس ، ليجمعوا بذلك البيانات اللازمة لبحث احد المشروعات التي
تناولها تفكيرنا للقيام بتنفيذه في منطقة السدود وتعترض اعمال المهندسين في هذه الغابات
صعوبات متعددة ، اهمها طرق المواصلات ولذلك كان اول ما يعنون به شق الطرق خلالها
ولما كان هطول الأمطار وكثرة المستنقعات يجعلان استخدام العمال صعباً فانهم يعمدون الى
استعمال آلات ميكانيكية من النوع الحديث تعرف بالجرارات ، يمكن بواسطتها تمهيد طريق طوله
كيلو متران في اليوم الواحد وانه ليسرني في هذا المقام ان اسجل لمهندسينا المصريين تأديتهم
لأعمالهم في دقة بالغة متحملين مشاق وصعوبات مضنية في هذه الأماكن التي تنعدم فيها
وسائل المدنية ، والتي يندر بها الانسان وتكثر الحيوانات المفترسة

عدنا بعد مشاهدتنا لأعمال المهندسين الى النهر ثانية ، فواصلنا السير فيه ، وقد بقي مجراه على
حالته السابقة الا اننا بعد ان قطعنا حوالي عشرين كيلو متراً اخرى ، اخذ النهر يلتوى في
منحنيات حادة وكلما امعنا في السير ازداد عدد المنحنيات حدة كذلك كان اتساعه يزيد آونة
ويقل اخرى ، وعلى جانبيه بدأنا نرى نبات البردي ينمو بكثرة وسط حشائش ام الصوف
ومن بعده نبتت غابة جميلة من اشجار الدوم على البر الايسر ، وبقي البر الايمن مغطى
بالحشائش دون الشجر ، حتى اذا ما سرنا مسافة أخرى ، اخذت غابات الدوم تبدو لنا على الجانبين
وسط المستنقعات التي بدأت في الظهور ثم عادت هذه الاشجار فاختفت ، وبدأ الوادي يغطيه
نبات البردي ثانية ، حتى اذا ما وصلنا الى بعد كيلو ١٧٥ ، بدأت المستنقعات تنتشر على جانبي النهر ،
وكانت تزداد كلما اتجهنا جنوباً كذلك بدأت الجزائر من هذا الموقع تتعدد على الجانبين ،
بعضها يأخذ من مياه النهر ، والبعض الآخر يصب فيه

فترة الصيف ، وبدأت مياه النهر في الارتفاع ، فانها تفيض على جانبيه حين تمر هذا الوادي الفسيح ، وعند ذلك يتسع سطحها ، فتفقد جانباً كبيراً من مقاديرها بما يضيع منها في ملء البرك وفي تسرب الارض والبخر وهذا البخر [illegible] وجود البردي [illegible] الاخرى حيث دلت البحوث التي أجريت [illegible] على ان مقادير الماء التي تضيع بالبخر [illegible] على بالحشائش ، اعظم قدراً مما يضيع لو كان سطح الماء مكشوفاً خالياً من الاعشاب

ولقد قامت مصلحة الري منذ سنة ١٩٠٦ حتى الآن برصد مقادير المياه التي يأتي بها بحر الجبل الى هذه المناطق ، والمقادير الاخرى التي تصل منها الى النيل الابيض ، ثم استخرجت من ذلك مقدار ما يضيع منها في منطقة السدود ، فظهر انها مقادير كبيرة ، إذ بلغ متوسطها السنوي نحو ١٤٠ ملايين من الامتار المكعبة وقد بلغ اقصى ما ضاع في سنة ١٩١٥ حوالي ٤ ملايين من الامتار المكعبة ، ولم يحدث ان قل هذا القدر في اي من السنين المنحطة الايراد عن ٧٥٠ مليون متر مكعب

ومن ذلك يتبين فداحة الخسارة في هذه المياه ، وهي التي ستكون مصر في اشد الحاجة اليها في المستقبل ، ولذلك لا بد من التفكير في العمل على تلافي ضياعها وتوفيرها ، كي ننتفع بها في موسم الزراعة الصيفية

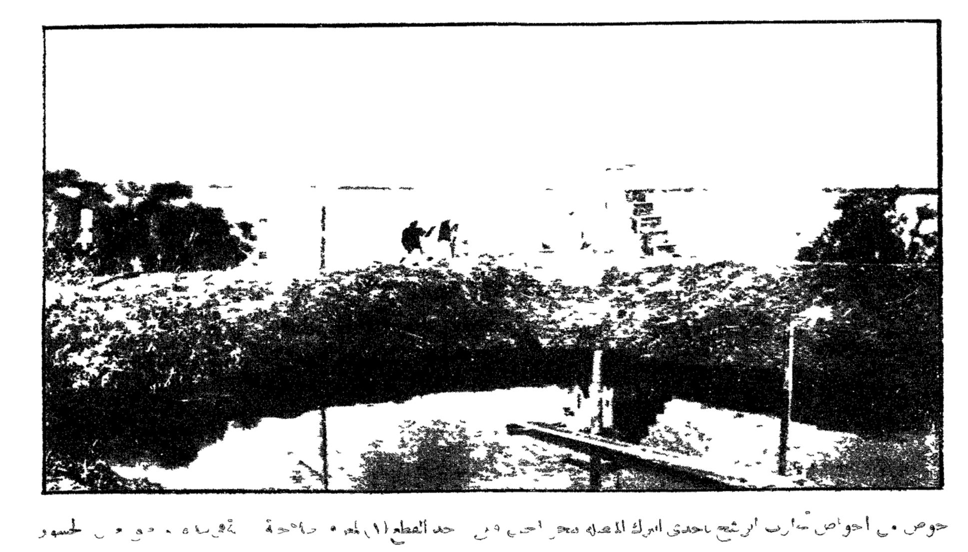
وقد يقال ان مصر في حاضرها لا تعوزها الحاجة الى هذه المقادير الضائعة [illegible] ان قامت وزارة الاشغال بتعلية خزان اسوان للمرة الثانية ، وأوشكت ان تتم انشاء خزان جبل الاولياء الا انه امام ما نشاهده من الزيادة المستمرة في عدد السكان ، وما يتطلبه ذلك من زيادة التوسع في المساحات الزراعية ، نعتقد ان مصر لا بد بعد تمام الانتفاع بمياه الخزانين ان تصير في اشد الحاجة الى مقادير اضافية من المياه تستخدمها في كل خطوة من خطوات التوسع في المستقبل البعيد ولذلك وجب ان نوجه تفكيرنا من الآن الى المشروعات التي من شأنها توفير الماء لتكون معدة للتنفيذ والانتفاع بها في الوقت المناسب

## الري والبحيرات الاستوائية

[illegible] بعد استكمال مشروعها الزراعي [illegible] ٢٥ مليارا من الامتار المكعبة [illegible]

٥ مليارات [illegible]
٣ « [illegible] الارتفاع في خزان جبل الاولياء
٦ « متوسط [illegible] السنوي في ورود الماء

٦ مليارا المجموع



حوض من أحواض تجارب الرشح باحدى البرك الأهلية بجوار حسب [illegible] حد القطع (١) لمياه جارية [illegible] الحسور [illegible]

فاذا اضيف الى ذلك ١٫٢٥ مليار مقدار ... ... في مياه خزان بحيرة تسانا بعد اتمامه ، كان مقدار المياه التي يمكن الحصول عليها ٥٫٥ ... ويبقى بعد ذلك حوالى ثمانيه مليارات لا يدمن تدبيرها للوفاء بجميع الاحتياجات في المستقبل ... ولا بد ان ... في ... هذه الغاية الا الى البحيرات الاستوائيه ، حيث يمكن ان تجعل منها مستودعاً فسيحاً يخزن فيه مقادير وافرة من المياه لتنتفع بها في استكمال حاجات الزراعه ، كلما ازداد التوسع في الاراضي الزراعية

ولقد كانت بحيرة « البرت » اولى البحيرات التي اتجهت اليها انظار رجال الري لتحقيق هذه الفكرة ، ولذلك تناولوها بالبحث والدراسة ... الى امكان تحويلها الى خزان يدخر فيه في متوسط السنين ما يربى على ٥٫١٢ مليار من الامتار المكعبة ، اي ما يعادل مرتين ... يمكن ... خزان اسوان ان يخزنه بعد ... ولكن ... مهما بذلنا من الجهود لزيادة ايراد هذه البحيرة مدة الصيف ، فان مقادير وافرة من ... سوف ... عند اجتيازها منطقة السدود اذا بقي النهر على حالته الحاضرة ، و ... ما باجراء تعديلات ... من شأنها ان تمنع ضياع الماء في هذه المنطقة

ولهذه الاسباب قامت وزارة الاشغال منذ زمن بعيد بالتفكير فيما يمكن لها عمله من المشروعات لتحقيق هذه الغاية ، واسفرت دراستها عن اقتراح مشروعين يمكن الاخذ بأحدهما بعد أن يتم بحثهما لمعرفة مدى صلاحية كل منهما من الناحية الفنية ، ومقدار تكاليفه حتى يمكن المفاضلة بينهما

و ... الاول من هذين المشروعين باقامة جسور بحر الجبل وسط منطقة السدود ابتداء ... « ... بور » لمنع طغيان مياهه على شاطئيه ... البحوث التي قامت ... الري ... الآن بصدد هذا المشروع ، على ... هذه المناطق ... من ... المياه من ... الى الاعتدال ... في إقامة الجسور

***

أما المشروع الثاني فيقضي بانشاء تحويلة النهر إلى الشرق من بحر الزراف خارج منطقة السدود تصل بين مجرى بحر الجبل والنيل الابيض ... بها مقادير المياه اللازمة لمصر في حاضرها ... بعد اقامة خزانات أعالى النيل ، وذلك مع ترك مجرى بحر الجبل الحالي ... ذلك القدر من المياه الذي ... للملاحة ... التي لا ... الاخشاب ... على شاطئي النهر ويدخل منطقة السدود ...

ولقد تمت دراسة مشروع آخر يقضي بتحويل بحر الجبل عند بلدة « الجميزة » جنوبي

مدينة « نور » الى مجرى جديد يسير الى الشرق يصله بمجرى يسمى « فيفو » ومنهُ يسير في نهر يفور احد فروع نهر السوباط ثم في نهر السوباط في النيل الابيض ولكن لما ظهر ان نفقات هذا المشروع قد تبلغ نحو الثمانية ملايين من الجنيهات ، بينما لا يزيد مقادير المياه التي يوفرها على مليار ونصف مليار من الامتار المكعبة فقط ، اتجه الرأي الى دراسة مشروع آخر يقضي بانشاء هذه التحويلة بحيث تمر في الارض المرتفعة شرقي منطقة السدود مباشرة وعلى مقربة الى ان تتصل بحر « الزراف » عند كيلو ١٩ غربياً ، وتسير فيهِ حتى تصبه في النيل الابيض

***

هذه هي المشروعات التي اقترحت لمنع ضياع المياه في منطقة السدود ولاشك أن تنفيذ مشروع منها ، سوف يترتب عليهِ زيادة مقادير المياه التي ترد الى مصر من المناطق الاستوائية ، لا في فترة الصيف وحدها ، وانما في جميع فصول السنة بما فيها مدة الفيضان فاذا ما جاء فيضان عال ، فان توفير المياه التي كانت تضيع في منطقة السدود ، سيكون مبعث خطر على سلامة مصر ، إذ لا بد ان تعمل هذه المقادير على زيادة ارتفاع مياه الفيضان في حدود الاراضي المصرية عند ما يبلغ اقصى ارتفاعه وهذه هي الصعوبة التي تعترض لها المشروعات التي نعني القيام بها في منطقة السدود

ولما كانت هذه المنطقة تعتبر في الوقت الحاضر كمصرف تتسرب اليهِ مقادير وافرة من مياه الفيضان وتبدد فيهِ ، فكل مشروع يقترح لزيادة مقادير المياه الصيفية لمصر ، يجب ان تتوفر فيهِ في الوقت نفسه من الوسائل ما يسمح باستمرار منطقة السدود في أداء وظيفتها المشار اليها وقت الفيضانات العالية وذلك بانشاء قنطرة في قناة السدود يمكن بواسطتها اطلاق ما يزيد عن الحاجة من مياه بحر الجبل مدة الفيضان الى المستنقعات الممتدة على جانبيه

فاذا ما تم مشروع منطقة السدود ، فانه يمكن لنا القيام بعد ذلك بانشاء خزان بحيرة « البرت » ونكون بتنفيذ هذين المشروعين قد عملنا على منع ضياع المياه في تلك المناطق ، ثم تخزين مقادير اضافية من المياه في بحيرة « البرت » لتنتفع بها مصر في زيادة التوسع في اراضيها الزراعية ، كما نكون قد قمنا بتنفيذ مشروعين من أهم المشروعات التي تتطلع اليها مصر للوفاء بحاجة أهلها في كل وقت ، بل والعمل على زيادة ثروتها وتوفير أسباب الرفاهة لها

# تأثير الشمس

## في شؤون الناس

### هل تؤثر الشمس في العدد والاخلاق ؟

من المقابلات التي تستوقف النظر، موافقة فترات الرخاء والاقبال في اعمال الناس، لكثرة ظهور الكلف على وجه الشمس. ففي سنة ١٩٢٨ عندما كان الاقبال على أشده، كانت الكلف على اكثرها عدداً واشدها نشاطاً. وفي السنة الماضية اي سنة ١٩٣٦ اذ لاحت تباشير الانتعاش بعد سنوات الازمة العالمية القاتمة، كان عدد الكلف الشمسية آخذاً في الاقتراب من ذروته العليا. يقابل هذا ان الازمة بلغت اشدها في سنتي ١٩٣٢ و١٩٣٣ عندما كانت كلف الشمس على اقلها

ولست هذه المقابلة فريدة في بابها بل ان الدكتور هارلي ستتسن [illegible] الاستاذ بمعهد ماسشوستس التكنولوجي، يقول على ما جاء في مجلة « خلاصة العلم » ان البحث في التاريخ الحديث من هذه الناحية يسفر عن ان خمساً من الازمات السبع العامة التي [illegible] العالم في الخمسين السنة الاخيرة وافقت في ظهورها كثرة الكلف و[illegible]

فهل هذه الموافقة مجرد اتفاق ام في جعبة العلم ما يفسر هذه الظاهرة [illegible]

### الجو والحالة النفسية

هل خطر لك ان تسأل نفسك لماذا تحس في بعض الايام بأنك نشيط [illegible] لانك حي ثم لماذا تحس في أيام اخرى بتعب وفتور وتراخ وهبوط في الهمة ؟ أيمكن ان يسند ذلك الى حالة الجو ؟ أيمكن ان نلوم الهواء ؟

عرف العلماء من عهد بعيد ان كل قدم مكعبة من الهواء الذي نتنفسه تحتوي على دقائق مكهربة — وتعرف باسم ايونات او شوارد — بعضها مكهرب كهربائية موجبة وبعضها مكهرب كهربائية سالبة وهذه الدقائق محمولة في الغبار وقطيرات الماء وما اليها ولكننا ما زلنا في مفتتح عهد جديد في فهم ما لهذه الدقائق من التأثير في الشؤون الحيوية لأن العلماء لم يتمكنوا الا من عهد قريب من السيطرة على حالة الجو الكهربائية سيطرة خاضعة لقواعد التجربة العلمية

فالايونات يمكن توليدها في الهواء باطلاق شرارات كهربائية فيه او اشعة اكس او مقذوفات الراديوم حتى شعلة من النار في موقد متأجج تؤين الهواء الى حد ما اي تولد فيه هذه الدقائق المكهربة أي الايونات

ثم هنالك اجهزة خاصة تمكن العلماء من ان يخرجوا من قدر معين من الهواء في معمل البحث الدقائق المكهربة الموجبة أو الدقائق المكهربة السالبة ثم يدرس تأثير الباقي

على هذا النمط وجد الاستاذ دسور [illegible] في جامعة فرنكفورت ان المرضى الذين يتعرضون للدقائق المكهربة الموجبة يشعرون بالتعب والاعياء والدوار والصداع فاذا ازيلت الدقائق المكهربة الموجبة من الهواء الذي تنفسوه وتعرضوا للدقائق المكهربة السالبة زال الصداع وحل محله شعور الانشراح والنشاط

وقد جرت التجارب في ضغط الدم وتأثرها بحالة الهواء من حيث وجود الدقائق الموجبة او الدقائق السالبة فيه فظهر ان وجود الاولى يزيد ضغط الدم فينشأ عن ذلك [illegible] عام وان وجود الثانية يخفف ضغط الدم ويحدث شعور الراحة والطمأنينة بل هنالك ما هو اعجب مما تقدم ذلك ان استنشاق مقادير من الدقائق المكهربة السالبة مدى [illegible] الى تحسين الحال في [illegible] في المائة من اصابات ضغط الدم ولا ريب انك ايها القارئ قد سمعت المصابين بالروماتزم يتحدثون بما يشعرون به من [illegible] حالة الجو قبل حدوثه [illegible] هذا الشعور وهو اشبه ما يكون بالتنبؤ [illegible] علمي ؟

[illegible] الاستاذ دسور ان الناس [illegible] الروماتزم [illegible] آلامهم [illegible] وارتفاع [illegible] [illegible] الدقائق المكهربة ( الايونات ) ومعروف عند علماء احوال الجو ان [illegible] سبقها هبوط في [illegible] الهواء و[illegible] الى سطح الارض هواء [illegible] دقائق التراب وقد ثبت ان الهواء الذي يكون بين دقائق التراب تكثر فيه الدقائق المكهربة الموجبة ولعل وجود هذه الايونات يزيد آلام المصابين بالروماتزم قبل انحدار العاصفة

ثم ان الهواء يحتوي على ايونات كبيرة وايونات صغيرة وقد اكتشف الباحثون في معهد [illegible] ان الايونات الكبيرة تكثر بعد الغروب والايونات الصغيرة تكثر قبل الشروق ولعل هذا الفرق بين الليل والنهار [illegible] الفرق في الرطوبة [illegible] في هذا [illegible] تفسيراً لأثرهما [illegible] في جسم الانسان

[illegible]

[illegible] الآن [illegible] الادلة التي [illegible] القول بان الكلف [illegible] [illegible] الارض [illegible] ذلك الضوء [illegible] تأثير [illegible] في حياة الانسان على [illegible] الارضية ولنذكر ان [illegible] قد يؤثر تأثيراً مباشراً في [illegible] وعن طريقه يؤثر في عددنا واحلامنا

ومن ... المعروف ان الكلف الشمسية تبلغ اكثرها ... [illegible] اقلها في فترات متعاقبة طول الفترة منها احدى عشرة سنة ... [illegible] اكثرها تكون جو الشمس اشد ما تكون اضطراباً ، ... [illegible] اذا قيست بها العواصف التي تقع في المناطق الاستوائية على سطح الارض ... [illegible] العواصف الارضية ذلك الوصف الأعجمي « عاصفة في فنجان » والعواصف التي تحدث في جو الشمس عندما تكون الكلف على اكثرها ، مؤلفة من غاز الايدروجين وبخار الكلسيوم وغيره من العناصر و تدور دوراناً رحوياً عنيفاً في اتجاه عقارب الساعة او ضده ... [illegible] زوابع او اعاصير تصحبها تيارات قوية في جو الشمس

في مركز هذه المناطق المضطربة من سطح الشمس ، ... [illegible] من الحرارة انخفاضاً يكفي لنقص اشراقها نقصاً ... [illegible] عند رصدها بالمرقب ، ... [illegible] كأنها لا ... تشوب وجه الشمس كما تشوب الكلف وجه الحسناء وقد عرفت منذ ... [illegible] القرن الرابع عشر

والكلف ... [illegible] الظاهرات الشمسية التي استرعت انتباه الانسان ... [illegible] في فهمها وتفسيرها ... [illegible] جاء في بعض كتب الصين، ان كلفاً رؤيت ... [illegible]

وفي القرن السابع عشر عني بها غليليو فرصدها ورسمها وقاده ... [illegible] الى القول بان الشمس جسم متغير منكراً بذلك القول السائد حينئذ وهو ان الشمس جسم منزه عن التغير والتحول وقد كتب غليليو حينئذ الى احد اصدقائه « يلوح لي ان هذا الكشف سيكون جنازة القول بثبوت السماوات »

وقد كان غليليو عالماً حقاً فرصد هذه الكلف وراقب حركتها وانتقالها على وجه الشمس ولكنه لم يتمكن من فهم طبيعتها وأسبابها الا ان بعض الباحثين ذهب ... [illegible] الكلف أجسام ... [illegible] تدور حول الشمس ... [illegible]

[illegible]

... [illegible] الكلف ... [illegible] الشمس ... [illegible] الاحوال ... [illegible]

... [illegible]

[illegible] ... الكلف ... [illegible] طلاسمها ... [illegible] تحمد الامل في الوصول الى معرفة ... [illegible] للعلم ... [illegible] الرأي ، فعمد

إلى حجارة الحديد — المصوّرة الطيفية الشمسية — والى باحث شاب كان قد انضم اليه يدعى « فرديناند اليرمن » فصور الشمس به الوف الصور وكان ذلك في مرصد يركس حيث كان هايل مديراً له

كان هايل قد صور وجه الشمس في ١٢ يناير سنة ١٨٩٢ فتبين في الصوره ألسنة مندلعة من غاز الايدروجين ونقعاً شعثاً لامعة من بخار الكلسيوم ولكن هذه النقع بدت وكأنها تحت السطح لا عليه اي انها كانت اقرب الى الطبقة الاولى التي يتألف منها غلاف الشمس فدعاها « فلوكيولي » وهو لفظ لاتيني يعني نقعاً مشعثة ككتلة من الزغب او الندف ثم انه رأى في الصورة نفسها نقعاً قاتمة هي النقع التي يطلق عليها اسم « الكلف » فسأل هايل نفسه « هل بين النقع الشعث اللامعة والكلف علاقة ما؟ »

احد الصور المتعددة التي صورت في مرصد يركس فرأى فيها مفصلات لم يرها قبلا ثم صور طائفة أخرى من الصور بمرصد جبل ولسن فتبين ان الكلف والندف وجهان لاعاصير او زوابع كهربائية مغنطيسية تثور في الغازات التي في طبقات الشمس العالية وقد رصدت هذه الكلف رصداً منتظماً خلال الثلاثة القرون المنقضية، وعينت مواعيد كثرتها وقلتها، فكشف طول دورها، وقد دونت الدورات العشرون الاخيرة منها تدويناً علمياً

ان اشد العلماء تحفظاً متفقون على ان اخص وجوه التغير في نطاق الارض المغنطيسي، توافق موافقة دورة الكلف الشمسية والارصاد المدونة في خلال القرنين الماضيين تؤيد ذلك ولكن العلماء لم يعثروا على تعليل هذه الظاهرة الا في مستهل القرن العشرين

## مغنطيسية الشمس والارض

ففي سنة ١٩٠٨ ثبت للعلامة هايل ان كلف الشمس مراكز لمناطق مغنطيسية عظيمة مغنطيسيتها اقوى جداً من مجال الارض المغنطيسي وظل المفتاح الثاني الى حل هذا اللغز مطوياً الى ان تقدمت الاذاعة اللاسلكية ففي بدء العهد اللاسلكي ساد الرأي ان الامواج اللاسلكية تسير في خطوط مستقيمة فلا يمكن ان تلتقط على مسافات بعيدة عن محطات الاذاعة لان تحدب سطح الارض يحول دون ذلك ولكن مركوني اثبت بتجربته البديعة التي قام بها سنة ١٩٠١ ان تحدب الارض لا يحول دون التقاط الامواج اللاسلكية المذاعة من اوربا بأجهزة قائمة على سواحل امركا

وعندئذ عمد العلماء الى محاولة تفسير ذلك فقال العالم كنلي الاستاذ بجامعة هارفرد انه يعتقد ان في مناطق الجو العالية طبقة من الهواء مؤينة اي تكثر فيها الايونات او الشوارد بفعل اشعاع الشمس، وانها لذلك تصلح ان تكون بمثابة عاكس يرد الى سطح الارض الامواج اللاسلكية المنطلقة في الفضاء والظاهر ان العالم الانكليزي هيفسيد جال الخاطر نفسه على حدة واعلن رأيه بعيد ما اعلنه الاستاذ كنلي ولذلك تدعى هذه الطبقة في عرف المهندسين اللاسلكيين باسم طبقة كنلي هيفسيد

وقد اكتشفت طبقة ثانية وثالثة من هذا القبيل فوق طبقة كيلي هيفسيد وبها تفسر الاصداء اللاسلكية فاذا جمعنا بين ما يعرف عن الناحية المغطيسية من طبيعة كلف الشمس، وما يعرف عن كهربة جو الارض في طبقاته العاليه، تمهد لنا السبيل لفهم الاضطرابات المغطيسية في جو الأرض وكيف تتبع في سيرها اضطراب جو الشمس وقد اثبت العالم النرويجي الدكتور ستورمر ان الاضواء الباهرة الملونه التي تظهر في المناطق الشمالية من الارض وتعرف باسم الشفق القطبي الشمالي يمكن تفسيرها بدخول كثير من الدقائق المكهربة جو الارض عند حدوث الشفق

ثم عني الدكتور أبت Abbot احد علماء المعهد السمثصوني الاميركي بقياس قوة اشعاع الشمس سنين متوالية، في اميركا وغيرها من البلدان كشيلي وجنوب افريقية معتمداً على اجهزة دقيقة كل الدقة فتبين له ان مقدار الحراره الذي يتصل بالارض من اشعاع الشمس يقل قلة ظاهرة عندما تكون كلف الشمس على اقلها وان هذه القلة لا تلاحظ في مكان دون آخر بل في جميع الامكنة التي انشئت فيها محطات لهذا الغرض وقابل هذا ان مقدار الحرارة المتصل بالارض من اشعاع الشمس يزيد عندما تكون الكلف على اكثرها وأشدها نشاطاً، ويتفاوت مقدار الحراره بين القلة والزياده من ٣ الى ٤ في المائة

ومن أعجب ما يتصل بهذا الموضوع عموماً علاقة كلف الشمس بالفصول الجافه والماطره على سطح الارض بحث قام به الدكتور دوغلاس في جامعة اريزونا الاميركيه فقد قضى الدكتور دوغلاس حياته في دراسة الحلقات البادية في قطوع جذوع الاشجار ولا يخفى ان كل حلقة منها تمثل مدى نمو الشجرة خلال سنة واحده فوجد ان هذه الحلقات غير مساوية في ثخانتها فصنع جدولاً بها وقابل بينها وبين الجداول التي دونت فيها الظواهر الجويه فوجد من دراسة ألوف الاشجار بهذه الطريقة ان سنوات الجفاف والمطر في الجانب الجنوبي الغربي من الولايات المتحده الاميركية، تسير وفقاً لدوره الكلف الشمسية فكأن تلك الاشجار الغابية في اميركا كانت صفحة من صفحات الطبيعه دونت فيها دوره الكلف قبل ان ينبسط المرقب

وقد كانت الموافقة بين ثخانة الحلقات ورقتها من ناحيه وكثره الكلف وقلتها من ناحية أخرى، تامة من عصرنا الى أواخر القرن السابع عشر ولكن الوفاق زال في السنين السابقة لذلك مدى قرن تقريباً اي ان توالي الحلقات واختلاف ثخانتها لا يوافق موافقة دقيقة ما هو معروف عن دورة الكلف الشمسيه ومدتها المعروفه بوجه عام فمال دوغلاس الى الظن بان نظريته غير صحيحه ولكن في سنة ١٩٢٢ كتب اليه الاستاذ موندر الى انه كشفت مدونات فلكية ثبت منها ان الكلف كان قليلة جداً في الفترة الواقعة بين ١٦٤٥ و١٧١٥ فعاد دوغلاس الى تطبيق نظريته على حلقات الاشجار فوجد فيها ما يؤيدها

ومع ان الاستاذ دوغلاس يربط بين ثخانة الحلقات وجفاف الجو او رطوبته فلا يستبعد ان تكون هنالك عوامل اخرى تؤثر في نمو الاشجار او قلة نموها تتسق مع الجفاف اوالرطوبة

كالتفاوت في مقدار اشعاع الشمس ونسبة ما فيه من الحرارة والاشعة التي فوق البنفسجي وغيرها من عوامل النمو

فالشجرة يمكن ان تحسب نموذجاً عضوياً لتأثير الشمس في الاحياء على سطح الارض

## تجارب طريفة

هذا الموضوع ، اي تأثير الاشعة المختلفة في نمو النباتات ، من الموضوعات التي تعنى بها الآن عشرات من العلماء في معاهد مختلفة كمعهد السمثصوني وشنطن ، ومؤسسة طمسن في مدينة يونكرز ( بلاد نيويورك ) ومعهد بويس طمسن للبحث النباتي في مدينة يونكرز بنيويورك ، وقد اجريت تجارب متنوعة غرضها ان نكشف كيف تستجيب النباتات في اثناء نموها لامواج مختلفة من الاشعاع فقد ظهر مثلاً ان تعريض بزور الخس لضوء الشمس قبل بذرها ضروري لا نباتها اما التفاح فيمكن انضاجه بزيادة قوة ما وجه اليه من الاشعة التي فوق البنفسجي ، وعلاوة على تبكير نضجه تكتسب قشرته رونقاً وردياً جميلاً

اما تأثير الاشعة التي فوق البنفسجي في الوقاية من الكساح وعلاجه ، فاشهر من ان نبسطه في هذا المقام ولا يبعد ان يكشف البحث لنا عن صلة وثيقة بين قوام ضوء الشمس المتصل بالارض والفيتامين ( د ) المقاوم للكساح في بعض النباتات ومما يرجح هذا الرأي ان النباتات التي لا قيمة لها في مكافحة الكساح تكتسب هذه الصفة بتعريضها للاشعة التي فوق البنفسجي ... ان تعريض بعض النباتات للاشعة التي فوق البنفسجي مدة لا تزيد على دقيقة ... زيادة في مقدار الرماد والكلسيوم والفصفور في اوراقها

ولكن ... النباتات لا تتأثر الاشعة على المنوال المتقدم ... وهو نبات لا ... الكساح لا ... فيه الفيتامين المقاوم للكساح بعد تعريضه للاشعة التي فوق البنفسجي ... ان نوعاً من البرسيم الاميركي الذي ينمو في الحقول يكتسب هذه الصفة ولكننا اذا ... مظلمة كان خالياً منها

ولا يستبعد ان يكون للاشعة التي فوق البنفسجي — وقد قست قياساً دقيقاً وظهر انها تختلف باختلاف ... الكلف ... وجه الشمس — تأثير يسير في المحاصيل فهل يتاح لنا في المستقبل ان نعرف الصفات الغذائية والصحية في المحاصيل التي نزرعها ونجنيها ، وكيف تختلف باختلاف العوامل الطبيعية ... انما لا نعلم شيئاً الآن عن العلاقة بين قوام ضوء الشمس من الاشعة ... النوعة اللازمة لصحتنا وهنائنا

وما يمكن ان ... الآن ان علماء الطب قد بدأوا يستشعرون صلة بين الفيتامينات التي نتناولها وسلوكنا ... ولا يبعد ان نكشف في المستقبل ... الصم ، وهي ... التي يرتبط بها جانب كبير من حالاتنا النفسية ... عداتنا ، او الاتجاه ... الغدد التي تصب افرازها في الجسم ... مقبل ، ان ... الناس ، ... والتفاؤل والتشاؤم ، والاشراق والقتام ، والقوة والفتور ، ونعزو وجوده من ... ترجع في اصلها الى حالة الشمس



# التعليم المختلط


للدكتور رسل جولت

[illegible] بالجامعة الأمريكية


موضوع التعليم المختلط من افضل الموضوعات للمناظرات العامة لان سعة نطاقه وكثرة ما يمكن ان يقال فيه تأييداً لوجهيه ، تجعلانه كذلك حتى في بلدان الغرب ، حيث احرزت النساء أعظم انتصاراتهن ، لا يزال موضوع التعليم المختلط ، مثاراً للجدل والنقاش وفي الولايات المتحدة الامريكية التي فاقت غيرها من الأمم في الاخذ بهذا النظام ، ما زلنا نرى جماعات كبيرة ، تسلم بمساواة النساء للرجال مساواة كاملة ، ولكنها مع ذلك لا تزال متمسكة بوجوب تعليم الجنسين كل على حدة

ويمكن أن يقال بوجه عام ان التعليم المختلط في الغرب ، بلغ اوسعه نطاقاً في البلدان الشمالية او الانجلوسكسونية ، وأضيقه نطاقاً في بلدان الجنوب او البلدان اللاتينية ولعل للاقليم اثراً في انتشار التعليم المختلط حتى في البلدان الانجلوسكسونية ، لم تأخذ انكلترا بالتعليم المختلط في مرحلة التعليم الثانوي ، مدى ما اخذت به الولايات المتحدة الاميركيه اما ايطاليا وفرنسا فغير راضيتين عنه واما روسيا فمن عمار نظام تعليمي جديد وقد جعلت التعليم مختلطاً في جميع مراتبه

ان في وسع الباحث ان يخرج من تجارب الغرب لهذا الضرب من التعليم بحقائق وقواعد ، قد تكون اذاعتها مجدية في معالجة هذه المشكلة التي تعنى بها مصر الآن

اعدت المرأة من فجر التاريخ الانساني ، لتكون والدة الجنس فكان لهذه المهمة التي القيت اليها ، اثراً لامفر منه في حياتها فقد كانت مرتبطة ببيتها وحيرته المباشرة حالة ان الرجل وقع عليه عبء الصيد والقنص والكفاح لتدبير القوت وحفظ الكيان وبارتقاء الاجتماع الانساني ، زادت مهامها داخل البيت ، كاعداد الطعام واللباس علاوة على حمل الاطفال وتربيتهم وكذلك حددت وظيفة المرأة الولود جميع نوع عملها في البيت ولكن كر الاعوام والقرون ، وتأصل العادة والتقليد ، اسبغا على عمل المرأة هذا ، سمة القانون المنزل ، بدلا من ان يحسب نتيجة للاحوال الاجتماعية التي نشأ فيها ومنها وقد روي عن روح

في ايام سقراط القول التالي وجهه الى زوجته ان الآلهة قد سوت طبيعة المرأة بحيث تقوم بعملها وتنهض بتبعاتها داخل البيت وسوت طبيعة الرجل ليقوم بعمله وينهض بتبعاته خارجه فليس بالمستغرب اذاً ان يهمل تعليم الفتيات ، حتى بعد ان نظم تعليم الصبيان في المجتمع وكان من الطبيعي ان يظن ان الفتاة في الاجتماع البشري البدائي ستطيع ان تتعلم كل ما هي بحاجة اليه ، وهي في دارها

من الناحية التاريخية ، نظم نصب الدولة في شؤون التعليم لاجل الصبيان اولا اما تنظيم نصب الدولة في تعليم البنات ، فقد جاء متأخراً ، بعد ان ظل زمناً من شأن البيت والكنيسة فكان النتيجة ، ان انشئت اولا مدارس وكليات للصبيان والشبان فقط في الولايات المتحدة الاميركية ظل تعليم البنات في بعض المدارس ، غير مسلم به ، حتى العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر وفي المانيا لم يسمح لهن بالانتظام في الجامعات حتى سنة ١٨٩٥ وعندئذ اذن لهن في سماع المحاضرات فقط اذا سمح بذلك الاساتذه ولم تنشأ كليات للبنات في جامعة كمبردج الا سنة ١٨٧٢ وظلت جامعة اكسفرد تأبى منح الرتب العلمية لهن حتى سنة ١٩٢٠

فلما اعترف للبنات في بعض البلدان ، بأنه يحق لهن ان ينلن نصيباً من التعليم الذي تهيمن عليه الحكومة ، ظهر ان المعاهد الوحيده القائمة هي معاهد لتعليم الصبيان والشبان ، فكانت المطالبة باباحه فرص التعليم للبنت ، وكأنها مطالبة بالتعليم المختلط فاما ان ينظم الفتاه في احدى مدارس الذكور واما ان يسد في وجهها سبل التعليم وكانت نتيجه المطالبة ، بتعليم الفتاة ، ان فتيات كثيرات ، انتظمن في النظام المدرسي الحكومي ، في مراتبه المختلفه

والادوار التي اجتازتها مشكله تعليم البنات في الغرب ، تختارها مشكله تعليم البنات الشرقيه الآن

ولما كانت معظم البلدان التي أحدثت نظاماً من التعليم المختلط ، او به كذلك ، قد فصل بين الدين والدوله ، في النظم السياسية ، فالتعليم المختلط في هذه البلدان ليس خاضعاً وجه من الوجوه ، لمقتضيات التعاليم الدينية ونواهيها فليس في أوربا او اميركا ، من واحد يحاول ان يقيم الحجة ، على وجوب فصل الاناث عن الذكور في التعليم ، لان النواهي الدينية تقضي بذلك ولكن مقابل هذا ان فريقاً من المربين في الغرب ، يعترض على التعليم المختلط ويقيم أدلة على ما يلاقيه من المصاعب الادارية والعملية ويواجه هؤلاء فريق آخر يؤيد نظم التعليم المختلط لما يجنى منه من الفوائد الاجتماعية والاقتصادية

ليس ثمة ريب في ان الولايات المتحده الاميركية ، أكثر الامم أخذا بنظام التعليم المختلط فالاميركيون يؤمنون به كل الايمان ، ولذلك تجدهم اخذوا به في جميع مراتب التعليم الاولى والابتدائي والثانوي والعالي بما فيه تعليم الحرف والصناعات والفنون ومع ذلك لا تزال بعض الجامعات الاميركية العظيمه ، كجامعات يال وهارفرد وبرنستن مقصوره على الشبان فقط ، حالة ان طائفة من أهم الكليات الاميركيه ككليات فسار وبرن مور وسمث ، مقصورة على الشابات فقط الا ان جميع جامعات الدولة ، في الولايات ثماني والاربعين احدثت نظام التعليم المختلط ما عدا واحدة منها

وفي مقدمة الادلة التي يوردها المعترضون على التعليم المختلط في اميركا (١) ان تعليم البنات والشبان معاً يجعل من المتعذر على القائمين بشؤون التعليم ، ان يفرقوا تفريقاً طبيعياً بين الجنسين ، وفقاً لاستعداد كل منهما وحاجاته فهذا الدليل قائم على ان التعليم ليس مجرد تدريب عقلي يصلح للفتيان كما يصلح للفتيات بقدر واحد ، ولكن التعليم في نظرهم اعداد الافراد بما يلزم لهم من الآراء ووجوه التمرين والدربة للقيام بما تطلب منهم في المجتمع فهذا الرأي يفرض ان ما تحتاج اليه الفتيات من الناحية الاجتماعية ، غير ما يحتاج اليه الفتيان (٢) ويقول المعترضون في اميركا على التعليم المختلط ، ان الجنسين يجب ان ينفصلا في دور المراهقة حتى يستطيع كل جنس ان ينمي على حدة الصفات التي يتميز بها والتي ركبتها الطبيعة فيه فالتعليم المختلط في مرتبة التعليم الثانوي قد يحول بوجه عام دون اكتمال الخصائص الانثوية في الفتاة وصفات الرجولة في الشاب ولما كانت الفتيات اسرع الى النضوج من الصبيان فمن الواضح ان الصبيان في اميركا لا يرغبون ان ينافسوا البنات في مرتبة التعليم الثانوي ، لان لبنات تفوقهم نشاطاً عقلياً وثقة بالنفس ومما يزيد في هذا الشعور ان البحث الاستقرائي اثبت بعض الشيء ان البنات في هذه المرحلة من مراحل التعليم ، تفضل على اعمال الدراسة بوجه يفوق همة الصبيان ، ولعل ذلك ناشئ عن رغبتهن في اثبات جدارتهن بمساواة الجنسين ، فيبذلن من الجهد في دروسهن ما يجعل الامتياز المدرسي معقوداً بلوائهن على الغالب وهذا بحكم الطبع يقرر في الصبيان شعورهم بتفوق البنات عليهم وقد يفضي الى تأثير نفسي يصعب استئصاله في ما بعد

اما حجج المؤيدين للتعليم المختلط في أميركا ، فأهمها (أولا) ان التعليم المختلط في جميع مراحله — الا في المدن الكبيرة — أدعى الى الوفر والاقتصاد (ثانياً) من شأنه بث الروح الديمقراطية والمساواة بين الجنسين (ثالثاً) انه يقرر روح المنافسة الشريفة والتعاون بين الجنسين ، وهي روح لا بد من تعزيزها لمواجهة مشكلات الحياة بعد اتمام الدراسة (رابعاً) انه يقضي على الاوهام التي تحيط علاقة الجنسين احدهما بالآخر ، ويبني هذه العلاقة على اساس خال من الكلفة وهو ما تقتضيه احوال المجتمع الحديث في الاعمال والحياة الاجتماعية هذا ما يمكن ان يقال بوجه عام عن آراء المؤيدين للتعليم المختلط والمعارضين فيه

ولكن التعليم المختلط في معاهد التعليم العالي لا يحتمل جدلاً في نظر الفريقين ذلك انه من المتعذر انشاء جامعات خاصة بالشبان واخرى خاصة بالفتيات ، لان مهمة انشاء الجامعة والانفاق على امدادها وجمع طائفة من الاساتذة الممتازين ليس بالعمل السهل ، علاوة على كثرة نفقاته فقد جاء في دائرة معارف التربية ما يلي «اما في ما يتعلق بالتعليم الجامعي فمن الواضح ان ابواب المعاهد العالية تفتح للنساء عند ما يشتد مطالبتهن بذلك لأن التعليم المختلط هو السبيل الوحيد لاباحة هذه الفرص للنساء ان نفقات التعليم الجامعي تجعل انشاء جامعات خاصة بالنساء امراً متعذراً تقريباً»

# الصحافة وأثرها

## في النهضات القومية

محاضرة الدكتور [illegible]
عميد كلية الصحافة بجامعة [illegible] بأمريكا والاستاذ
الزائر بقسم الصحافة بجامعة القاهرة الامريكية

سيداتي سادتي تشيد الامم الحديثة مجدها على دعائم خمس هي -- زعامة دينية رشيدة وقادة يحكمون في شئون التربية واساطين في فنون المال وقضاء عادل وصحافة نزيهة فقد ذكرت الدين في مقدمتها لانه اساس الخلق المتين ومن غير الخلق المتين يتسنى له ان يحكم الشعب واية امة كسرت شوكة الاخلاق فيها تستطيع ان تحافظ على كرامتها ومجدها بين الامم الاخرى يحدثنا التاريخ القديم ان مصر تسنمت ذروة المجد في العالم يوم كان الدين فيها قويا ثم تدهورت من سماء علائها حين انهارت اركانه وتهدمت دعائمه اما قادة التربية فلا غنى عنهم لنقل تراث امتهم العقلي من السلف الى الخلف وهم اذا قصروا في مهمتهم اسرعت شعوب اخرى فتسربت في بلادهم بمدارسها واساليب التربية فيها وفرضت عليهم ثقافتها ومدنيتها وتقطع حينئذ الصلة بين حاضر الامة وماضيها

ولرجال المال المحنكين والمصارف المالية اعظم شأن في ازدهار التجارة و[illegible] الصناعة والقيام بالمشروعات الاقتصادية التي تقف على نجاحها سيادة الامة المادية والامة التي لا تستطيع تثمير اموالها وتدعيم سياستها الاقتصادية هي امة ضعيفة يعاني اهلها شظف العيش و[illegible] الفقر والهوان

وما احوجنا الى قضاء عادل يفقه التشريع ويطبق القوانين تطبيقا [illegible] الجميع افراد الشعب على اختلاف [illegible] ومذاهبهم فلا [illegible] [illegible] الا [illegible] [illegible] واما الصحفيون [illegible] [illegible] كل [illegible] [illegible] الشعب في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] خطيرة ومسئولياتها خطيرة [illegible] امام الوطنيين [illegible] [illegible] [illegible] يكون عليهم [illegible] [illegible] وشرح المسائل القومية العامة ومدى [illegible] [illegible] [illegible] النزعات الخاصة [illegible] افرادا او جماعات وتبين مدى تأثر المشكلات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ان مكانة الصحافة في بناء النهضة القومية لاتي [illegible] على مسؤولية مزدوجة مسؤولية

الامة ومسؤوليه الصحافة نفسها فمسؤولة الامة نحو الصحافة هي ضمان الحرية لها لنشر جميع الاخبار من كل نوع يهم المجتمع الوقوف عليه سواء في ذلك الاخبار المحليه او القوميه او الدولية تنشرها دون قيد ولا شرط وما من شك في ان اي تحديد حريه النشر يضعف من ثقه الامه في الصحافه والحكومه معاً—الصحافة المباشرة والحكومة المقيدة وقد لا يظهر الاثر في هذه الثقة بعد عام او جيل ولكنها اخيراً لابد ان تنهار وتتهدم اقول اخيراً لاني اتحدث هنا المساء عن النهضات القومية وهي لا تمتد الى شهور وسنين فقط بل الى قرون فالامم العظيمة تضع خطتها وترسم سياستها مقدماً لعدة اجيال اما ما نسموهُ اليوم بمشروع الخمس السنوات فهو خيط واه في نسيج تقدم الامه

وقد قال ابراهام لنكلن قولاً مأثوراً أصبح مثلاً في الولايات المتحدة الاميركيه وهو « قد تستطيع ان تخدع بعض افراد الشعب طول الزمن وتستطيع ان تخدع جميع الشعب ردحاً من الزمن ولكنك لن تستطيع ان تخدع كل الشعب طول الزمن » فانهُ لابد ان يأتي وقت يعرف فيه الشعب ان الصحافه لا تنشر من الاخبار الا ما يرضي الحكومه او ما تخدم به طبقه خاصه من طبقات الشّعب او حزباً معيناً او مذهباً خاصًّا وعندئذٍ تنهار قوة هذه الصحيفه كعامل في بناء النهضة القوميه واني اكرر قولي واحذر من ان تقف الصحيفه جهودها على خدمه طبقة خاصة او حزب معين او مذهب خاص لان حرية الصحافة قد تمنحها الحكومه ولكن يفقدها الشعب فان الصحافة التي يتعرض محرروها لسخط العامه وتعرض دورها لمهاجمتهم لانها تنشر مقالات او اخباراً قد تتعارض مع رغبات ذلك الحزب او هذا المذهب فانها لا تعد من الصحافة الحرة ولكنها تعد مغلولة مقيدة

قال الرئيس ولسن ان اخبار اليوم هي غذاء الرأي العام وهذا الغذاء ضروري لجميع طبقات المجتمع لنماء عقولهم واعداد مكانهم فوق مسرح النهضه القوميه و [illegible] هذا الغذاء هو الصحافة الاسبوعيه واليوميه فان الاخبار التي ينشرها [illegible] تلك الصحافة فمن الواجب ان يهدم الغذاء كما لا [illegible] ان الصحافه التي [illegible] رغباتها لا تستطيع اداء مهمتها في النهضات القوميه [illegible] كاملة وجب عليها ان [illegible] الامة [illegible] تكافح [illegible] لها من مسالك عدة [illegible] المصلحه

وكما ان نحص [illegible] رجال الصحافة [illegible] في جميع القضايا واهم واجبات الصحافه [illegible] جهود في هذا الشأن [illegible] منزلتها وقيمتها وعلى هذا يجب ان تعتبر الصحافه نفسها معهداً للخدمه العامه

وغير خاف ان كثيراً من المحررين قد لا يتسنى لهم الوصول الى المثل الاعلى الذي تتطلبه الصحافة ولكن ذلك لن يقلل من مسؤوليتهم نحو المجتمع فان في كل مهنة رجالاً قد لا تقدر شعورهم وليس ذلك في صناعة دون الاخرى بل في كل طبقة حتى في رجال الدين انفسهم وفي رجال القضاء والتربية ولا اتردد ان اقول ان في خدمة الحكومة رجالاً لا يهمهم شيء اكثر من تناول مرتباتهم وهنالك فرق بين المحرر وبين غيره من الناس لان خطأ المحرر مشهور ظاهر للعيان وقد قيل ان رجال الدين اذا اخطأوا يستغفرون الله فيغفر لهم والمحامي قد يستعين بمنطقه وجداله للتخلص من خطأ وقع فيه وكذلك المدرس والطبيب في قدرة كل منهم ان يعمل من الحيل ما يستر به خطأه ولكن المحرر اذا اخطأ ظهر خطؤه واضحاً امام الناس وثبت في نفوسهم فالمحرر مهما اوتي من اللباقة وحاول ان يستر خطأه او رأب صدعه يستحيل عليه ان يخدع القارئين

ومهمة الصحافة في النهضة القومية ان تتناول بوضوح شؤون الامة لنفسها كي تحدد خطة قومية حيالها ثم هي تقوم باظهار حقيقة امتها امام الامم الاخرى ثم تظهر حقيقة الامم الاخرى امام الشعب الذي تقوم على خدمته وقد يكون التوضيح بطريقة مباشرة فتسجل الحوادث الهامة يومياً ولا تقف جهود الصحفي على هذا التسجيل فحسب بل يجب ان يوضح بقلمه علاقة الحوادث بعضها ببعض واكثر صحفنا تؤدي خدمة جليلة بتسجيل الحوادث المحلية وبوصفها للشعب فبفضل الصحافة والمذياع الذي يستقي اخباره من الصحافة يوقف الشعب على كل ما يحدث في امته وها هي مصر اليوم في نهضتها القومية مدينة بهذه الحماسة الوطنية التي تهز مصر كل رائز لبلادكم مدينة للصحافة التي لم تأل جهداً في اذاعة الاخبار لاثارة الرأي العام واثارة الحماسة الوطنية الى درجة لم تعرف من قبل ونقلل من فضل الصحافة التي تنعكس على مرآتها صفحة الشعب للحكومة والحكومة للشعب على واحد وهو ان من يريد الوقوف على دقائق الامور لا تكفيه صحيفة واحدة ولكنه في حاجة الى قراءة صحف عدة وهذا كما نعلم يحتاج الى تعديل في الصحافة ليكفي القارئ بصحيفة واحدة فالصحافة تتهم اليوم بكثير من العيوب منها اثارة الرأي العام وعدم الدقة في كشف الحقائق والمغالاة في نشر حوادث الاجرام عن ان النقد الذي يوجه اليها بحق ناشئ عن حريتها اكثرها وما تعرضه هذه الحرية من اثر في رواية الاخبار وكتابة المقالات وكل ما تنشره من الشؤون السياسية من المشاهد ان الصحف التي توالي الحكومة لا تظهر أي خطأ في أعمالها فجميع أخبارها تحدد لسياستها وكل مقالاتها مدح واطراء لها ومن جهة أخرى نجد الصحف المعارضة للحكومة لا ترى شيئاً حسناً في كل ما تقوم به الحكومة فجميع اخبارها السياسية موجهة ضدها وكل مقالاتها حملات منظمة عليها هذه الحملات العدائية وما تنطوي عليه من تجريح غير عادل للزعماء السياسيين نتيجتان —

الأولى انهُ قد يأهب كثير من ذوي العقول الفذة والمقدرة النادرة عن الاشتغال بالمسائل العامة وخدمتها فان هؤلاء السادة لا يحتملون الهجوم اليومي على أشخاصهم والدخل في كل كبيرة وصغيرة من شئون حياتهم بل والخوض في أخص خاصة أسرهم والتعريض بها أمام جمهور قد يكون مرتاباً نحن نعرف رجالاً ممتازين كانوا يودون ان يقفوا حياتهم على خدمة وطنهم ولكن مغالاة الجرائد في مناصبتهم العداء حالت دون تحقيق أمنيتهم وهنالك عيب أكثر خطراً وهو محاولة هدم ثقة الشعب التي يوليها زعماءه الوطنية وحكومته النيابية فكم من حرب ضروس شنتها الصحافة المعارضة على رجال الحكم وكان من نتائجها اضعاف ثقة الشعب في زعمائه حتى ليعتقد رجل الشارع ان كل هم رجال الحكم انما هو الاستيلاء على مرتباتهم في آخر كل شهر واستغلال مناصبهم لكسب شخصي لا يقره القانون

لقد أنشأتُ عدّة جرائد صغيرة في أوقات مختلفة وكان مبدئي في تحريرها ان تكون مستقلة عن جميع الاحزاب وكنت امدح الرجال وأشد أزرهم لمجرد آرائهم وقوة مبدئهم وليس لانتمائهم لاي حزب مهما كان لونه واني حين كنت أخوض معركة انتخابية اخفق فيها من أناصره — ومن الحق ان اقرر اني طالما خسرت في هذا السبيل — فاني كنت أحذر جرائدي من مهاجمة ذلك الموظف المنتخب الذي كنت أعارض في انتخابه ما لم يأت عملاً لا يقره القانون و يتوافر لديّ أدلة لا تقبل الشك في انهُ اذا قدم للمحاكمة ثبتت ادانته هذه الخطة تؤلف بين ابناء الامة وتوحد صفوفهم واذا ما التفت امة حول رجال الحكم فيها فانه لن يسهل على احد ان ينال منها او يعطل الحوادث او يدعي الدعوة داخل [illegible] السلطة الادارية او التنفيذية من اعمال

ان الصحافة في مجموعها تحسن اداء واجبها عند توضيح علاقة المسائل الدولية بالمسائل الوطنية وما يتصل منها باعمال جمهور قرائها غير انهُ كثيراً ما تنشر الجرائد اخباراً لا قيمة لها مما يحدث في الممالك الاخرى واجدر بها لو وجهت جهودها الى الاتجاهات والعوامل الاساسية الوثيقة الاتصال والشديدة التأثير في احوال الامة او الجمع [illegible] الصحافة تطورات [illegible] امتها امام الامم الاخرى فما زال فريق كبير من العامة ولست اقصد بذلك صحافة بلد خاص بل صحافة العالم اجمع — وهنا ينبغي ان اقرر ان صحافة بريطانيا العظمى قد تقدمت مثيلاتها في العالم في توضيح حقيقة [illegible] الشعوب الممالك الاخرى [illegible] الجرائد الانكليزية بانها « جرائد دعاية » فحسب ولكن هذه التسمية لا تنطبق على الواقع فهي صحافة وطنية سامية استطاعت ان تشرح للعالم معنى الحياة البريطانية من نبل مثلها وافكار ابنائها

لو سئلت عن الخدمات الجلى التي تستطيع الصحافة الحرة ان تؤديها [illegible] رجي لقلت بلا تردد ان اعظم مجهود لها [illegible] الشعب ان توجهه الى [illegible] العصر الحديث

معروفة للعالم بحقيقتها واني لا استطيع ان احكم على مدى معرفة الدول الاجنبية غير الولايات المتحدة الاميركية بالبلاد المصرية لاني لم اعش طويلاً خارج بلادي اما عن الشعب الاميركي فان مصر الغابرة او مصر كما كانت ، معروفة حق المعرفة ، غير ان مصر الحديثة او مصر كما هي اليوم ، فمعرفة القوم بها ضئيلة لمصر شهرة عظيمة بمجدها الغابر اما مجدها الحاضر فاني اخشى ألاَّ يكون كذلك لقد جعلت مصر اليوم نفسها مسرحاً ومرآة لامسها، اما يومها فاصبح مجهولاً لم تعره العناية حتى يصح للعالم رؤيته الجديد

فالرجل العادي والمرأة العادية في اميركا لا يعرفان عن مصر سوى انها بلاد الاهرام وابي الهول وقبور الفراعنة يتحدر فيها نهر نحو الشمال فيغمر الارض سنويًّا عائداً متجهاً الى البحر

وعلى هذا فمصر مملكة تستهوي السائح بضعة ايام يجول في ربوعها ويطوف في ارجائها ليعود وجيوبه عامرة بالجعارين والتمائم وعلى حقيبة سفره بطاقة النزل دليلاً على انهُ زار الارض التي هرب منها بنو اسرائيل فالاميركي العادي لا يعلم ان مصر بلاد لا مطر بها في بعض المناطق يسودها الجو المعتدل طول العام — وهو يجهل انها تنتج اجود انواع القطن ذي الشعرة الطويلة الممتاز في العالم — وهو لا يعرف فواكهكم وخضركم التي لا مثيل لها والتي تبدو لكم شيئاً عاديًّا — وهو لا يدرك ان مصر خير منتجع لقضاء العطلات وانها انسب مكان لاقامة ملعب عالمي في الشتاء فالاميركي الذي لا يعرف هذه المحاسن لا يزور مصر في الشتاء ويؤثر ان يذهب الى انكلترا او جنوب فرنسا وايطاليا او ... واني شخصيًّا لآسف على اني عشت نصف قرن قبل ان ازور مصر لاول مرة فاذا استطاعت صحافة البلاد ان تجعل من اهم اغراضها بيان المكانة الممتازة التي تشغلها مصر الآن وما لها من مجد وحضارة رائعة واذا استطاعت ان تصور كل ذلك امام العالم تصويراً بارعاً فانها اذن تساهم باوفر نصيب في النهوض بهذه البلاد

واخيراً اود ان ابين لكم ان مهام الصحافة السامية انما ترتكز على ثلاثة اركان

اولاً — توجيه الرأي العام وذلك بالتعبير عن رغباته ثانياً — عرض التطورات العالمية على الشعب خصوصاً ما كان له اثر مباشر في الاحوال المحلية وتدبير سبل تقدمها ... ثالثاً عرض صورة لافراد الامة وشعبها وحالاتها امام العالم

فاذا اردتم ان تكون في الامة شعب مستنير فلا بد ان يلم افراد هذا الشعب بالمشكلات الهامة واغراض السياسة واذا كان لا بد من زعامة رشيدة فواجب السلطات المدنية ان تعرف حاجيات الجماهير وتأثيرات التطورات الدولية في المملكة واذا كان للمملكة ان تنعم بالرفاهية والرخاء وجب ان تصور شعبها بالمظهر اللائق به امام اعين العالم لتجتذب اليها الانظار وهذا المسلك يتيح الفرصة للصحافة لتأدية رسالتها في النهوض بالامة



# عمر بن عبد الله

## ابن ابي ربيعة

— ١ —

لجبرائيل جبور
احد اساتذة الادب العربي
بجامعة بيروت الاميركية

دنا موسم الحج عام ٢٣ للهجرة وكان موسماً حافلاً [illegible] عمر بن الخطاب وكان العرب قد اخضعوا الفرس والروم وعادوهم على ممتلكاتهم في العراق وفارس وفي الشام ومصر وكان قد انحدر الى الحجاز سيل كبير من سبي هذه الامصار فرّق في أهاليه وأخذ يقوم لهم في مختلف الاعمال وشرعت وفود الحجاج تؤم بيت الله الحرام قادمة من بلدانها المختلفة [illegible] مهم عمال عمر عليها وكان من سنّته فيما يروون ان يأخذ عماله بموافاة الحج في كل سنة فيحاسبهم ويناقشهم في سياستهم ويفسح لرعاياهم مجالاً لشكاياتهم

وانسلخت ايام الحج بهدوء وسلام فتفرّق الناس الى اوطانهم وغادروا مكة الا من اراد البقاء فيها للتبرك بمشاهدها او العيش في حماها ، فعاد عمر الى المدينة [illegible] والساعة وغيرهم من ذوي الحاجات وشهر ذي الحجة [illegible]

وكانت الليلة السادس والعشرين من الشهر [illegible] ولم يبق له الا ايام اربعة حتى يولد من جديد وقد وافقت الليلة الرابع من تشرين [illegible] وكانت الليلة من الليالي [illegible] الثقيلة المظلمة ، وقد رقدت يثرب مدينة النبي في هدوء ذلك الظلام واجمة ساكنة غير عالمة بما خبأت لها من الامر صبح ذلك الليل

هو ذا الفجر يتنفس وينعش طيب انفاسه [illegible] المدينة من ربى واودية ثم هو ذا هو يحرك فيبرز أُحُد ويظهر العقيق وتبدو [illegible] والنخيل والابيع ، قد نهض الخليفة عمر باكراً الى الصلاة كعادته وأخذ [illegible] الى المسجد النبوي فوكل بالصفوف رجالاً حتى اذا استوت تقدم هو فكبّر

ودخل في هؤلاء الناس رجل فارسي، مولى للمغيرة بن شعبة، لعله لم ينم تلك الليلة، أو لعله كان يرقب مثل تلك الليلة المظلمة لينفّذ في فجرها جريمته النكراء، فاستوى في الصف الاول، ملفع الرأس، متنكراً، وقد اتخذ خنجراً طويلاً له رأسان مقبضه في وسطه، وهو ذا هو يندر من صفه، والخنجر بيده، حتى يصل الى الخليفة عمر، فيطعنهُ، فيقع عمر وينادي وهو يعالج الموت ابن عوف ان يتقدم الناس بالصلاة

مات الفاروق وذاع النبأ في المدينة فاستسلمت الى حزن عميق، وانها لفي حزنها وصوت الناعي يحمل شيخ قريش يتردد في كل بيت من بيوتها ليحمله الركبان الى سائر انحاء الجزيرة والعالم العربي، اذا بصوت البشير في بيت صحابي اسمهُ عبد الله ابن ابي ربيعة يؤذن بولادة صبي لهُ. فالوا فسمي الصبي باسم الخليفة المقتول وكنّي كنيته. وذكر هذا الاتفاق لبعضهم فيما بعد فقال « أي حق رُفع وأيّ باطل وُضع »

واذا نسبت هذا الصبي الى اصل فالعرق كريم هو من قريش وما أدراك ما قريش. قريش فخر العرب، واذا نسبتهُ الى عشيرة فالنسب شريف، فمخزوم ريحانة قريش. بل هو من أشرف فروع مخزوم بني المغيرة واليهم كان يشير ان يذكر

فانظري أسماء هل تعرفينهُ أهذا المغيري الذي كان يذكرُ

وعز بني المغيرة في قريش كان يدها وأجل أبنائها ثلاثة: هشام والوليد وأبو ربيعة. اما هشام وقد عز كانه حتى لقب برب مكة وصار الناس يؤرخون به ... حتى اذا مات أحدثت قريش تؤرخ بوفاته وفيه قال

وأصبح بطن مكة مقشعراً كأن الأرض ليس بها هشامُ

وأما الوليد فقد ساد حتى لقب بالوحيد وزعموا انهُ أوّل من ... على الأكابر من رجال قريش وحكم في عكاظ وأدرك محمداً نبيّاً فأنكر عليه رسالته وقال ... الى محمد وأنا كبير قريش وسيدها فأنزل فيه « وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » وأنزل فيه مرة أخرى «ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالاً ممدوداً وبنين شهوداً ومهدت لهُ تمهيداً ثم يطمع أن أزيد كلا انهُ كان لآياتنا عنيداً». وأما ابو ربيعة وكان فارس بني المغيرة فقاتل يوم عكاظ برمحين فيما يزعمون فسمي ذا الرمحين وقد قال في هؤلاء الثلاثة الشاعر معتزاً بمجدهم

وما ان بكيت سوى هشام وذا الرمحين ثم والوليدا
أولئك ان يكن في الناس جودٌ فان لديهم حسباً وجودا
هم خير المعاشر من قريش وأوراها اذا قدحوا زنودا

وحا ه امّ أبا جهل ، وكان من اسد خصوم لمـ ه وابنه عكرمه فلما ... الأخير على النبي ... قال ... فاتماً على حليه فرحاً ... وقال مرحباً بالراكب المهاجر وقال ... ثم ... رسول لله صلى الله عليه و ... وآله لرجل داخل عليه من الناس شرف ولا مشروف ... عكرمه وهو بعد مشرك ولم يسلم »

وكان من اسماء الوليد عمارة وخالد ، والاخير معروف ... جاهليته مشهور في الاسلام وكان من اسماء ... عبد الله والد هذا الصبي الذي تركناه شاباً في مهده على فراش وثير في بيت ... وجاه وجد ...

ولم ... فراش ... اخرى

وكان ... عبد الله ... رحومه ثم ... الخدود ... وافداً مع الحج عام ... عمر وكان من الذين استاميروا ... وتي فيما نظهر عاملاً لعثمان طول خلافته ، حتى اذا حوصر عثمان يوم الدار ... عبد الله من اليمن لنصرته ، فسقط عن ... عمر لم يتم الثالثة عشرة ... في كل ... التي ... عن اتصال عمر بوالده ... في امر ...

...

وهناك ... اكثر ... والده ... وقد ...

وكان ... ذكرا وكان ... اسه ذلك العمر ... قال وفيه عبد الله ... ولدت ... وكان لعمر ... زوج من ... ام كلثوم ... واخت أسماء ذات النطاقين والدة عبد الله بن الزبير ، وهذا يفسر لنا اتصال عمر بآل الزبير ، وعائشة بنت طلحة ابنة امرأة اخيه

ولقد روّج عمر من عير واحدة ورزق اولاداً ذكرت الاخبار منهم اثنين صبياً وبنتاً اما الصبي فهو جوان وقد نشأ رجلاً صالحاً ضرب بصدقه المثل واما البنت فقد زوجت من محمد ابن مصعب بن الزبير

﴿ نشأته ﴾ كم يكابد الباحث في تاريخ رجال القرون الاولى من العناء اذا حاول درس نشأة هؤلاء الناس وحياتهم ايام صباهم ... الاشارات الى هذه الامور ... وقلما عنوا ايضاً كما نعني مؤرخي اليوم بتدوين سير الرجال في كتب خاصة فاكثر اخبار رجال التاريخ العربي ... نرى اخباراً عن شعراء في كتب الدواوين وأخرى عن رجال الحرب والسياسة في كتب الأدب ... هؤلاء القدماء شيئاً ليس باليسير وقد كتبت عنهُ ... كتب خاصة قصرت على ... ان عمر كان من ... احبار عمر بن ابي ربيعة ... في اخبار ابن ابي ربيعة ... ابن ابي ربيعة ... كل هذه الكتب. ولولا ان ... وورد له في « أغانيه » قدراً لم يفرده لشاعر آخر او ... ابن ابي ربيعة ... في عالم الخفاء ، ويجب ان لا ... الشعر غير ان هذا الديوان على كثره غير تام ويظهر لي ان اكثر شعر عمر قد ضاع ولذا كله فانا لا نزال نجهل اخبار نشأة عمر الاولى فكيف قضى صباه ؟ واين ؟ ومن أين اتاه الشعر ؟ وكيف نهج هذا المنهج ؟ كلها امور يصعب درسها

واري ان كثيراً من نواحي حياته في طفولته وصباه سيظل معمضاً مبهماً حتى يقيض الله لاحد الاثريين ... هذه الكتب التي ذكرناها ان كان فيها ما يقع عليه – او على الاقل على ما ضاع من شعره

﴿ أين نشأ ﴾ والراجح انهُ نشأ في المدينة عاصمة الحجاز ومقر الخلافة ، دون ان يفوته التردد إلى مكة موطن آبائه ، وكانت المدينة ... عصرها الذهبي تنعم في لين العيش ، مال عظيم وغنى وافر وشباب انقطعوا عن السياسة وانصرفوا الى اللهو وجوار بالالوف ورغبة في سوت ... القوم فنشرت فيها كثيراً من حضارة اقوامهم ذوي المدنية من فرس وروم مع ما يتبع هذه الحضارة من ضروب اللهو والوان العبث فنشأ الغناء وعقدت له حفلات عامة

وخاصة ، وكان عمر من أسبق المترددين اليها ويُنشر اخلاط الشباب بالجواري وعبرهن فيشا العبث وكان في المدينة وادٍ بهيج هو العقيق منتزه اهل اللهو في ذلك العصر ، وكانوا اذا سال يهرعون اليه رجالا ونساء ويعقدون حول ضفافه حلقات الانس والطرب ويا من ... المغنين فيسمعونهم من عذب اصواتهم ويتروي آخرون تحت نخيله يلهون ويمشون

***

تلك نعمة هردت بها المدينة بين سائر مدن الحجاز ولم تكن لتحظى بها الا اذا سال العقيق ولهذا لم ... هؤلاء الناس الذين كاد يخلو قطرهم من الماء والخضرة ان ... بهذا الحظ النادر ، وكان العقيق يحدث اليه الجماهير ويمشون على ارجله يستمعون بهذا الجمال الذي يحيط بهم كل ... توحد بينهم ... والسرور والدعة وهم في ... واحد ... لا تسمع منه ... أصوات ... المحبين ونجوى العاشقين ... حاب ... ألذ الانعام وهذه أحلى الاحلام ... عمر ... في كل ... يحدث ...

وتسمع ... خرير المياه في ذلك الوادي وهمسات ... وطرفا ... كل العقيق وتبحث عن عمر ... هذه ...

... ورحل عائلات ... عمر ...

الطا ...

فترى عمر ...

للجمال ...

الدخا ...

عرق ...

والعرا ...

مع ...

لحظ ...

... كان ...

ثم يعود الى نفسه وقد غمرتها تلك الروعة ، واذا بها دون شعراً جيداً يؤثره عمر وراء

الغانيات ويدسر في مواكبهن وركابهن ويصل وإياهن الى ديارهن وهو في نص هذا الشعر يحاول ان يعرى ويتأسى فلا يرى ما يعبر به عن عزائه ويرد اللائم على غائه سوى لقاء الحبيب في الموسم القادم

فقلت له ما من عزاءٍ ولا أسى  عسل، فؤادي عن هواها فأقصر
وما من لقاءٍ يرتجى بعد هذه  لنا وله دون الثقاف المحمر
فهات دواء للذي بي من الجوى  والا فدعني من ملامك واعذر

**

{ هيئته } ليس من شك في أن عمر كان جميلاً ولعل هذا الجمال كان من العوامل التي دفعت النساء الى حبه فجملة معجباً بنفسه حتى زعم البغدادي ان عمر كان يعزل بنفسه لحسنه وجماله ولكن هذا الحسن لم يوصف لنا كما وصف هو حسن اللواتي تغزل بهن فقد كان يكتفي بالافتخار به ويذكر أن النساء كن ينظرن جماله ويلهجن به ويتشوقن الى مناجاته حتى نعته بعضهن — فيما زعم — بالقمر

وكان عمر — فيما يظهر — طويلاً رأته احدى أميرات بني أمية بين قوم من عمومته وهم جلوس يتحدثون وذكرت أنه فرعهم طولاً وبهرهم جمالاً

وكان أسمر اللون شاحباً لطول الحمى في أكثر الاحيان ولعل مصدر هذا هو السهر والسمر والتعرض لبرد الليل وحر الهاجرة في سراه وتهجيره بالنساء الى هذا هذه وهذه فلبس أبهى الحلل وتزين بأحسن الوشي ويطيب بأعطر الطيب حتى قيل فيه انه كان من أعطر الناس وأحسنهم هيئة ، وربما بلغ به حبه للزينة أن خضب نجائبه التي يركبها بالحناء وكساها القطوع والديباج وكان له جواد وضع في عنقه طوق ذهب له غلام خاص بوسمه

وكانت له مشية خاصة فضحته ذات يوم وقد تنكر فعرفته بها الثريا فيها وكان في وجهه أو بالاحرى في فمه علامة فارقة لا ندري تماماً الوقت الذي ظهرت فيه وهي اسوداد الثنيتين العليتين ويزعم بعضهم أن الثريا إحدى حبيباته ضربته في مداعبة بظاهر كفها وكانت النساء تختم في اصابعهن الخنصر فادمت الخواتم ثنيته وكادت أن تقلعهما وخاف أن تسقطا فقدم البصرة في العراق فعولجتا له وشدتا وسودتا وكانتا في فمه من أعمق الذكريات

{ بعض نواحي حياته } لقد اتفق اكثر القدماء والمحدثين ان عمر شاعر تملكه الدل والزهو واعل مصدر ذلك هو الاصل الكريم الذي تحدر منه والجمال الذي منحه والشعر الذي أوتيه أو لعل النساء كما يزعم البعض هن اللواتي افتتن به وسابقن فيه واستبقن الى مودته

وتهالكهن عليه فاصطره هذا الى شيء من الدل والغرور ولقد حدث عن نفسه فقال ادركت وانا شاب أعشق ولا أعشق وقال من شعر يصف فيه مجلساً لصاحباته وتذكرانه موضوع حديثهن أوله :

« هيج القلب مغان وصير »

للتي قالت لأتراب لها قطف فيهن انس وخفر
قد خلونا فتمنين بنا اذ خلونا اليوم نبدي ما نسر
فعرفن الشوق في مقلتها وحباب الشوق يبديه النظر
قلن يسترضينها منيتنا لو أتانا اليوم في سر عمر
بينما يذكرنني أبصرنني دون قيد الميل يعدو بي الاغر
قالت تعرفن الفتى قلن نعم قد عرفناه وهل يخفى القمر

روي ان ابن ابي عتيق لما سمع أبيات عمر هذه قال انت لم تنسب بها انما نسبت بنفسك انما كان ينبغي ان تقول قلت لها فقالت لي فوضعت خدي فوطئت عليه

وقد تصدت له فتاة حريثة فقالت له لا اكون من نسائك اللاتي تزعم ان حبك تيمهن وله يصف حب صاحبه له

وانها حلفت بالله جاهدة وما اهل له الحجاج واعتمروا
ما وافق النفس من شيء تسر به واعجب العين الا فوقه عمر

وله يدل بجماله ويذكر صبابة حبيبته ، وخوفها عليه من العين

اخشى عليه العين ان نظرت به وترى صبابتها به فتزينه

بل قد علا في دله وتيهه وغروره حتى زعم ان بعض الفتيات كن يكابدن عناء السفر لرؤيته في الحج

اومت بعينها من الهودج لولاك هذا العام لم احجج
انت الى مكة اخرجتني ولو تركت الحج لم اخرج

ارأيت الى اي حد كان تيهه ودله وغروره ارأيت كيف انه يرى ان النساء كن يتشوقنه فهو مناهن وحديثهن وغايتهن في الحج ماذا اقول ، ان له نفساً من الشعر غالى فيه حتى حل نفسه موضع الانبياء عند جمعه

وادا ما ... ثرت ... مرطها ... ت باسمي وقالت يا عمر

وال الجمهور ... في ... وذلك الحاجة وانجاهه في كثير من الامر ... شاوها أو ... لها فهو ... وراء ... يابه ويلح في طلب ... حتى يدركها ... لاول ... ان ... الا ... مع ... وذلك والواقع ... ان الى هذا الدليل ... لعلها أ ... آثارد ... حدا ... ان يحدل في سمعه ... رال وراء ... في شعر ... ويعجز في أبيه أ ... سمعه ... ان حبه وقد جاء دوره ليدل ...

***

... قصه ... حبه حات من هذا الالحاح ... ذلك كان شأنه مع امرأة ... الدؤلي وغيرها ... كان ... الحج وقد رأى ... ورأسها ... وبلح عام في ... الرسل ... وداء ... لي ... رسالها وكان ... » وكان ... الحجاج ليسأل عن هذه ولك وما ... ويحرص على العرب ... حتى يعقد بينهُ وبين روابط الحب

وهناك ... أخرى في ... عامت صنعتها في اخبار حبه وشعره وهي ... له للتحدث والسمر مع ... وبشعره ولا أظن الادب العربي عرف صديقاً للمرأة سميراً لها ... وكان ... حد معجبات بطرفه وحديثه تتشوق اليه ويسعين لقياه ويذكرن ...

... بالشاعر العاشق فاني ارى في كثير من قصص حبه ... لم ... مع الكثيرات على مجلس أنس وطيب سمر ولذة حديث ...

... الحديث تماراً ما حي مثلها لعمرك ما ...

# النشوء الخالق

وطمة من فلسفه رغسن

لحنا حبار

ولد هنري رغسن في باريس سنة ١٨٥٩ فهو اليوم مناهز للثمانين من عمره. وكان في صباه دارساً مجداً بدا عليه من مخايل النجابة والذكاء ما أهّله للفوز بجميع جوائز المدرسه ولكنهُ تخصص في درس الطبعيات والرياضيات فأوصلهُ مواهبهُ الخارقة، وجهاً لوجه، امام الميتافيزيكا الكامنة وراء كل العلوم فعرج على درس الفلسفة ولذلك دخل « ايكول نورمال سوپريير » او مدرسه العلوم العليا سنة ١٨٧٨ . وتخرّج منها سنه ١٨٨١ فتعيّن للحال معلماً للفلسفة في كوليج رولان واتصل سنة ١٨٩٨ الى كرسي الفلسفه في « كوليج دي فرنس » وظلّ في ذلك المنصب حتى استقال عنهُ مؤخراً

## مؤلفاته

اصدر برغسن سنة ١٨٨١ اوّل مؤلّفاته وهو كتاب « الزمان وحرية الاراده » وسنة ١٨٩٦ اعقد مؤلفاته، وهو كتاب « المادّة والذاكرة » وسنه ١٩٠٧ آية فنه، وهو كتاب « النشوء الخالق » وقد جعله هذا الكتاب بين عشيّة وضحاها براس الفلسفة وزعيم اساطينها فهو الفيلسوف الاوحد في فرنسا بعد « ديكارت »، وفي كل اوربا بعد « كنت » واصدر في سنة ١٩٣٥ آخر مؤلفاته وهو كتاب « اصلا الدياة والاخلاق »

كان برغسن في اول نشأته سبنسريّاً صميما يقبل نظرية النشوء وهي محور الفلسفة المركّبة، التي بسطها سبنسر في مؤلفاته الضخمة على انهُ كان كلما اعاد قراءة تلك المؤلفات يتّقد حماسةً وحدّةً في قضايا ثلاث

الاولى في المادة والحياة الثانية في الجسد والعقل الثالثة في الحتميه والحرية

كانت تجارب « بستور » البكتريولوجيه قد قضت على نظريه التوالد الذاتي وبعد مرور مائة سنه، اجريت في غضونها الوف من التجارب، لم يتقدّم الماديون خطوة واحدة في حلّ معضلة « اصل الحياة » . ومع ان الدماغ والعقل مترابطان لم يزل نوع الرابط بينهما سرّاً غامضاً

فرر هنري برغسن في وسط العجاج المنعقد في جو اوربا بين الآراء المتناحرة وكان ثائراً على الآراء الحتمية الماديه وخلاصة فلسفته « ليس هذا الكون نظام منتهية كاملاً » معرفنا إياه ناقصة ، بل هو صيرورة او استمرار ، ومهمة الفلسفة الرئيسية ان تعمل ما يقصر عنه العلم، وهو ادراك معنى الحياة » فمبدأ الحياة ، ذلك السر الغامض الذي يدفع وتغيري وتطور حركة الحياة بلا انقطاع ، ذلك المبدأ — élan vital — قد انشأ العقل ليعرف عالم المادة العديمة الحياة

لست اجهل ان فلسفة برغسن اوسع من ان تجمع شواردها مقالة واحدة ولا سيما بقلم رجل لم يدخل الفلسفة من أبوابها على اني أورد في ما يلي ملخص قطعة من كتابه « النشوء الخالق » ، عنوانها « معنى النشوء » The meaning of evolution وردت في ص ٢٦٤—٢٨٦ من ذلك الكتاب ولو ترجمت بحروفها الى اللغة العربية لشغلت ما لا يقل عن عشرين صفحة من مجلة المقتطف واليك خلاصتها مع التبسيط والتوضيح تقريباً لمتناول غير الاخصاصيين

***

ان محرّك الحياة الاصلي في حاجة الى الخلق او الابداع تعترضهُ في سبيله المادّة لكنهُ يتحكّم بها ، ويبثّ فيها اعظم قدر ممكن من الحريه وكيف ذلك ؟

الجواب يمكن وصف الحيوان الراقي وصفاً عامّاً ، بأنهُ حاصل على الأعصاب المحرّكة المتكفله بأفعال الهضم والدوران والتنفس والتمثيل ووظيفة هذي الأجهزة تغذية الجسم العضوي وترميم ما تهدّم من خلاياهُ ، ووقاية المجموع العصبي ، وإمدادهُ بالنشاط الذي ينفقهُ الجسم في الحركة وتتوقف زيادة تركيب الاجسام العضوية على صيرورة تركيب المجموع العصبي والروابط بين أقسام الجسم العضوي ، فيجعل العضو الواحد متأثراً بما يحدث للعضو الآخر فيستمر التركيب فيه الى ما لا نهاية لهُ وحفظ الجسم منوط بالمجموع العصبي فهو القوة الوازعة في مملكة الحيوان

ويقوم تهدّم المجموع العصبي بازدهاء العملية الاوتوماتيكية ، والعملة الاختياريه تعدُّ أولاها الثانيه بآلة ملائمه ففي الجسم العضوي محركات جمة ، في النخاعين الشوكي والفقاري ، تتوقع الاشارة للانطلاق في العمل الملائم وهي تستخدم الارادة في بعض الاحيان لتعيين وقت الانطلاق ، فاختيار منهج المكانيكا وكلما زاد عدد المكانكات في الجسم العضوي زاد الدماغ ارتقاءً وذلك الارتقاء هو زيادة الضبط والتنوُّع والفاعلية والاستقلال فالجسم العضوي بهذا الاعتبار كآلة تعدّل ذاتها في كل فعل جديد ، كأنها مصنوعه من المطّاط وقد وجدت هذي الصفة في « الاميبا »( أدنى طوائف الحيوان ) قبل نشوء المجموع العصبي وعملها حينذاك كعمل الجنين ، مستقلة عن التركيب الذي في أعلى طوائف الاحياء اذ لا حاجة هنالك الى عناصر مساعدة ، فتحوّل محركات ، عملها توزيع النشاط

،ألف اعمال الحياة في أدنى طوائف الحيوان وفي أرقاها، من نوعين من الافعال رئيسين ،وهما
١— احرار مدد الطاقة ٢— انفاق ذلك المدد بواسطة مادة لدنه في جهات لا ترى
ومصدر تلك الطاقة الطعام الذي تمّ هضمه والطعام المهضوم نوع من المفجرات ، التي تنتظر الشرارة لاطلاق ما فيها من النشاط وأصل الطاقة الاول هو الشمس ، تناولها منها النبات وخزنها في أجزائه ثم تناولها الحيوان من النبات تختزن تلك الطاقة في الاجسام العضوية كما تُخزن المياه في الاحواض ، والكهربائية في البطاريات وكل ذرّة من الكربون تمثل قدراً من الماء ، او حملاً من المطاط ، مرتبطةً بالاوكسجين الذي في الحامض الكربونيك
وهذا النشاط المخزون مستعد للانطلاق لدى كل سانحه فكل حياة ، نباتيّة او حيوانيّة ، هي كناية عن جهدٍ راد به جمع النشاط ثم اطلاقه ذلك ما رغب المحرك في المادة في اتمامه ولا ريب في فوره لو ان قوّته غير محدودة، او ان وافاه المدد من الخارج على ان ذلك المحرّك محدود القوة ، فيستحيل ان يتغلب على جميع العقبات وان قوّتهُ عرضة للمقاومه والتمزّق والتقهقر ونشوء العضويات هو عبارة عن صدّ ذلك النزاع واوّل مشاهد ذلك الحادث ،هو عالما النبات والحيوان ، المتبادلا التعاون دون سابق اتفاق بينهما (خلافاً للنظرية الحتمية) لان النبات يجمع الطاقة لا لاجل الحيوان ، بل لاجل ذاته ولكنهُ في واقع الامر ، ينفق القليل مما دخره على ذاته ويحتفظ بالكثير الذي يتناوله الحيوان ولا يمكن موازنة قوّتي الخزن والانفاق في الجسم العضوي فيرجح الخزن في بعضها ، والانفاق في البعض الآخر ، دون تدخل قوة خارجة بل يتم ذلك الفعل بالميل المزدوج الموروث من المحرك الاصلي

من هنا كان انشعاب النشوء في فرعين اصليين ، هما النبات والحيوان وكلٌّ من هذين الفرعين يتصرّف كأن حركة الحياة تنتهي عنده ، لا انها محاربة ذاته ، وذاته تُعنى لا بغيره ، ولاجلها يحيا ويعمل لا لكائن آخر لذلك اصطدم التنازع في عالم البيولوجيا (على ما هو مرسوم في مذهب شوبنهور ونظرية داروين) وليس المحرك الاصلي المسؤول عن ذلك التنازع

ليس من الضروري توقف الحياة على الكربون انما الضروري خزن الطاقة الواردة من الشمس ومن الممكن ان يتم ذلك بغير ما ألفناه من الصور وعليه فقد تكون الحياة في الكواكب في غير مجراها في سيّارنا هذا ومن الخطأ الفاضح حصر الحياة في الكرة الارضيه وليس من الضروري حصر الحياة في الاجسام العضويّة فان جمع الطاقة وانفاقها غير محصور في اختبارنا فان الحياة سيكولوجيةٌ في جوهرها ونظامها وهي غير منقسمة كالمادة (اي انها لا تشغل حيّزاً) فان المادة والفعل مسبوكان في قالب الفضاء وفي الفضاء وحدة وجمع . فالوحدة هي النقطة الهندسيه ، والجمع هو النقط متجاورة (وخلاصة مذهب دمقريطوس ان المادة والفضاء هما كل ما في

الوجود ) اما طبيعة النفس فليست كذلك « فأنا » — سيكولوجيًّا — وحدة في جمع ، وجمع في وحدة فالجمعية والفردية مظهرا شخصيتي هذي هي الحياة عامةً فهي كالشعر واحداً في بنائه ، متعدداً في ابياته وكلماته وحروفه وهنالك توازن بين الفردية والجمعية فاذا برز ميل في الحياة الى الفردية فالله ميل الى الجمعية واذا برز ميل الى الجمعية ، فالله ميلٌ الى الفردية أعني انهُ متى نشأت في الحياة جمعية مالت الى الانشعاب فينقسم الواحد الى فروع ، كما في النبات ، وفي الهيئة الاجتماعية حيث نرى الحزب الواحد ، او المذهب الواحد ، قد انشعب الى احزاب او فروع فتنشيء الهيئة الاجتماعية فرديات تحت جمعيتها ، وجمعيات فوق فرديتها فالمديرية مثلاً جمعية بالمقابلة مع المراكز ، وفردية بالقياس الى الدولة وهذي في دورها فردية بالقياس الى البشرية وجمعية بالمقابلة مع المديريات

والفرع في الشجرة جمعية باعتبار الاوراق ، وفردية باعتبار الاصل وفي الخلايا الجسم العضوي جمعية بالنسبة الى الذرات التي تؤلفها ، وفردية بالنسبة الى الجسم الذي تؤلفهُ

في اصل الحياة شعور خافٍ ، تؤلف شذراته المتزاحمة المادَّة اما الشذرات المستمرة في وجهتها دون تزاحم فتؤلف العمل فالحياة صاروخ ، نام وستنقظ فيام حيث قضى على الحياة بالاوتوماتية وستنشط حيث يمكن الاختيار والعمل الحر ويتناسب ذلك الاختيار في الحيوانات الدنيا مع المحرك الاصلي اما في الانسان فيتناسب مع المجموع العصبي ، الذي فيه المحرّك والحساس فالكائن الحي مركز عمل فيه قدر من الامكان داخل الى الدنيا يتفاوت ذلك القدر في الافراد وفي الانواع وهو يبدو في حركات الاعصاب كأنهُ صادر من الدماغ وهنالك نسبة بين درجة التعقد والتركب في المجموع العصبي وبين درجه الاختيار والمقدرة على الادراك والعمل والحقيقة ان الشعور الكوني المتصل بالنفس هو غير صادر من الدماغ ( اراد بالشعور الكوني هنا غير الشعور الشخصي الذي ينحصر في الفرد الواحد من العضويات ففي فلسفة برغسن يشبه الشعور الكوني سحابة تملأ الفضاء وقد تقسَّم ذلك الشعور ، كما تنقسم السحابة فكانت اقسامه نقطاً هي الشعور الشخصي )

ولكن ذلك الشعور الشخصي ، المفصول من الشعور الكوني نطابق الدماغ مطابقة ماء النهر مجراه مع ان الماء ليس من المجرى ولا هذا من ذاك فلا يجوز الحكم على الانسان والحيوان بوحدة العقل لان الفرق بينهما هو بالكيف لا بالكم فقط والمشابهة الدماغيّة بينهما هي دون ما يوهَم كثيراً ( هنا معارضة صريحة للمذهب المادي ، والفكرة الموحدة عالم الحيوان والانسان ) الانسان ابداعي ،والشعور فيه غير محدود اما الحيوان فهو عبد المكانيكا ولكن الانسان سيد الميكانيكا ومرجع ذلك في الانسان اللغة والهيئة الاجتماعية تدخر الافكار

والجهود فيهما فيُصَان بهما الانسان من نوم النبات فتركيب الدماغ والهيئة الاجتماعية علاقات خارجية لسموّ الانسان عن الحيوان بهذا الاعتبار تكون الانسان عرض النشوء والحياة تيّار في المادة يسرع منها ما امكنهُ وواضح ان الطبيعة ليست لاجل الانسان وهو مشترك في النازع ضمن دائرة الطبيعة ، كغيره من الاحياء فليس الانسان ميزان النشوء ، بل هو نهاية احد خطوطه ( لا يرى برغسن ان النشوء سار في خطوط لا حصر لها ، وليس في خطٍ واحد صاعد من المادّة الى الانسان لا بل ان المبدأ الاصلي ، او المحرك الاصلي انشعب الى شعاب ، وشعابه الى شعاب وقد انقرض بعض تلك الخطوط وظلّ في استمراره البعض الآخر ومن تلك الخطوط في العالم الحيواني خط الفقاريات وخط الحشرات فرأس الخط الفقاري هو الانسان ورأس الحشرات طوائف النحل والنمل فاحفظ ذلك )

***

الحياة امواج متراكمة فاذا صدها صاد صادمتهُ كموجةٍ فما نجح من تلك الموجة ، وقف او نهض وما تغلب على الحاجز فاز بالحرية من الاول النبات والحيوان ومن الثاني الانسان وفيه وحده وَاصَل الشعور الكوني تقدمه هذا هو معنى النشوء ( اي النشوء الخالق )

وقد جمع الانسان العقل الى البديهة وهما طرفا الشعور المنشعبان عنهُ فالبديهة في شعبة الحياة — او في قالب الحياة والعقل في شعبة المادة او في قالبها والانسان السامي (السبرمان) هو ما تساوى فيهِ العقل والبديهة ، ولعلنا اسمى ارتفاع تلك الانسانية موقفا بمراحل وقد يوصلنا اليها نشوء آخر ( غير نشوئنا الحالي الذي شغل ملايين سنة في نقل الانسان من الحيوانية الى منزلته الحاضرة ) اما في حالتنا الحاضرة فالبديهة صحية على مذبح العقل وقد ضحى بها الشعور ليتمكن من الفوز على المادة ، وعلى ذاتهِ فتشكل هو تشكل عقل وظلت البديهة حولهُ كسحابة حول نوّره منيره تلك السحابة قائمة ، لكنها تنير حين تكون الانسانية مهددة

والبديهة ضالة الفيلسوف المنشودة وكلما تقدمت الفلسفة ادركت ان البديهة عقل العقل فهي من العقل كالعقل من الغريزة فهي حياة الحياة وقد فصل العقل عنها على نحو تكوين المادة على هدي الصورة بدخلنا الفلسفة دائرة الحياة الروحية وتّرينا علاقة النفس بالجسد

لقد اصاب اصحاب النفس باصغائهم الى صوت الضمير ولكن هنالك العقل ينادي بالعلة والمعلول واصابوا باتمامهم بالبقية ولكن هنالك العلم يريهم اتحاد العقل والدماغ المتبادل ، كلٌّ اتجاه واصابوا في تمييزهم الانسان عن الحيوان ولكن هنالك البيولوجيا يريهم تاريخ نشوء الانواع نشوءاً تدريجيًّا ولكن اذا كان ثمة نفوس فمن اين اتت ! وكيف اتصلت بالجسد تلك مسألة لا تجاب « ويسئلونك عن الروح ، قل الروح من امر ربي »

# مهمة الحكومة

## في التربية (١)

لعلي حسن الهاكع

اقدم جزيل الشكر لهذه الهيئة الكريمة التي دعتني لالقي من فوق منبرها بحثاً في « مهمة الحكومة في التربية » وفي الحق انها بهذه الدعوة الى الكلام عن مهمة الحكومة في التربية انما تمهد الى في الكلام عن مهمة الحكومة في كل شيء

ولما كان موقف التربية المصرية بالغاً مبلغه من الشأن لم اتردد ولم اتخاذل عن التزام الصراحة في التشخيص والجرأة في العلاج واني لواثق بأن رجال الحكم والنفوذ سواء أفي وزارة المعارف كانوا أم في الحكومة سوف يتقبلون هذه الصراحة بفسحة في الصدر ، وهم اول من يعلم اني اتكلم عن نظام ومبادىء لا عن افراد ، كما اعلم عن كثير منهم انهم يشكون ويصبون الى العلاج مهما بلغ من مرارة

لم تأت كلمة التربية عفواً ، وانما قصدت بالذات فما برحت الحكومة والرأي العام يسميانا معلمين ،ولا زالت مهنتنا تسمى تعليماً ، بل وما فتئت الادارة الحكومية التي اختصت بالمهمة تسمى وزارة المعارف حقاً ان لكل شيء من اسمه نصيباً ، فالعملية منسجمة مع التسمية المألوفة ، اذ لا يزال الرأي العام مع الاسف متأثراً بالمهمة المحدودة التي تعارفنا عليها بأن عملنا ينحصر في نقل المعلومات وان المدرسة ليست الا حوانيت للمعارف وان التعليم الثانوي مثلا لا ينفصل عن الابتدائي الا بمقدار الزيادة في قناطير المعلومات التي تفرغ في ادمغة النشء ، وان مهارة المعلم انما هي مهارة في الكيل والتفريغ

نعم لا تزال هذه المهمة الاصيلة في بناء أشرف عنصر خلقه الله واعداد ارقى عوامل الانتاج وهو الانسان ، لا تزال في مصر متحدة هذه الصورة الضئيلة حتى لدى بعض الخاصة ، اذ لا يفهم من العمل العام الذي لا اكذب واقول انا نقوم به ، بل الذي كان يجب ان نقوم به ، الا انه تلقين للمعلومات انما تربية الخلق ، انما تعهد الفكر والجسم ، انما الاعداد للحياة الاقتصادية والاجتماعية وما فيها من جهاد وتعاون ، فبعد عن التصور والى هذا الادراك المحدود لصورة المشكلة ومداها يرجع ذلك الموقف البارد العديم الاكتراث الذي

---

(١) محاضرة ألقيت في بهو يورت في جامعة القاهرة الامريكية بدعوة من قسم الخدمة العامة

يلزمه الرأى العام امام مشكلة المشكلات المصرية ، وهي التربية ! وصدقوني ان المقالات ومختلف البحوث التي تعج بها الصحف والمطبوعات لا تقرأ على انها بحث في أمر خطير بل على انها مقالات أدبية لها لذتها فحسب

كم ضرب الباحثون في تيه المشكلات الجمة التي تئن منها البلاد وكم خيل الى البعض انه قد وضع يده على موضع الداء ، وكم يئس البعض الآخر من اتساع جبهة المشاكل وشديد وطأتها وتفرع شعابها على نواحي الحياة ثم نفض يده منها ولكن النظرة الهادئة النافذة الى الاعماق تستطيع ان ترجع العلل الى أصل واحد ومشكلة واحدة أساسية واليكم استعراضاً بسيطاً

تشكو البلاد من تفكك التماسك القومي بتشقق الاهالى طبقات عديمة الالتحام وتتصدعها الى ثقافات متباعدة في المنشأ والروح حتى فقدت القومية طابعها الموحد وأصبح المرء حائراً عن الاهتداء الى المصرى النقي الذى تتمثل فيه خصائصه الجمة ، وتشكو من انهيار الخلق الذى جعل من الفرد مخلوقاً عصباً ضعيف القوة والحيلة ، ومن الجماعات قطعاناً يعوزها التماسك الروحي فالأسرة لا أبقت على شرقيتها الطاهرة وتقاليدها ، ولا بلغت العصرية العربية وفضائلها وتصرخ الامة من عطلة المتعلمين الذين فقدوا صلتهم بالحياة العملية ووقفوا بشهاداتهم الورقية صفاً صفاً متحسرين على جهود بذلوا في سبيلها شبابهم وأموال أهلهم وآمال دونهم وتتحسر الخيرات المدفونة في باطن الارض والتي على سطحها وفي سمائها ومياهها على اربابها وهي تتفقد عبثاً الهمة التي تستغلها والحياة القروية تحتضر في الهوة التي تزداد اتساعاً وتفصلها عن المدينة ونعيمها والحكومة تئن من بيروقراطية تخضع الجوهر للشكل وتجر وراءها اسرافاً وتعقيداً نحن في حاجة الى القضاء عليهما لتدبر المطالب القائمة بعد ان نعمنا بالاستقلال ثم هناك فوق كل ذلك تخبط في العلاج بين الاصابة والخطأ ، فلا سياسة ثابتة تجاه المشكلات ، ولا مبادىء مقررة راسخة تضيء لنجحها طريقاً سويا مستقرا انها كلمة واحدة لا تجمع هذه المشكلات فحسب ، بل فيها سحر الشفاء هي الداء وهي الدواء — هي التربية هي التربية التي تدعم التماسك القومي وتقوم بناء الشخصية القوية العصرية ، التي تجالد الصعاب بعزيمة جبارة ، هي التربية المسئولة عن عطلة المتعلمين اذ لم تعدهم الا لحياة مرسومة ضئيلة ، هي التربية التي حجبت انظار حاصلاتها الاساسية عن خيرات البلاد المطمورة ، هي التربية المسئولة عن اهمال القرى باعمالها بحسب الحياة الزراعية المصرية النقية ، وأخيرا هي التربية التي خلقت البيروقراطية لان ربيبها المسكين لا يستطيع التصرف في أمر من الامور فيعمل كالآلة هي التربية المسئولة عن كل شيء واذا كان للتربية هذا الاثر البليغ ، وهذا السلطان المتحكم ، واذا كانت التربية على رأس التبعات التي وضعت في اعناق ولاة الامور اولاً وعناصر التربية وما اكثرها ثانياً ، فقد آن الاوان لان نقدر كبارنا وقادة الرأى فيما هذا المدى والسلطان وكيف انه اعداد الامة المقبلة ونشأوها

جميل بل واجب مقدس علينا ان نعنى بقوة الدفاع ونبحث في تدبير الموارد المالية واستغلال الثروات الطبيعية وتدبير العمل للعاطلين وترقية المهن والحرف ، وحسن ان تدعو الكتاب

المقالات ويصدر الباحثون عشرات التقارير التي لم تبق على ناحية الا وتناولتها بالبحث والعلاج . ولكن من السهل ان ندرك عبث ذلك كله ان لم يصل الى التربية وهي اصل كل مشكلة . نحن ام ان تعوزنا الهمة والوسائل ونحن امة ناهضة متوثبة الى الحياة المثلى القت زمامها الى حكومة هي محل ثقتها وعلى رأسها ملك شاب يفيض همة وغيرة . فجدير بالحكومة وهي تنعم بهذه الثقة والمنعة ان تولي مشكلة المشكلات المصرية التي تتحكم في كل عنصر من عناصر الموقف عناية خاصة تفوق عنايتها بسائر مهامها ولتقبل على الامر في حماسة فلا تبخل بالوقت ولا بالمال . وكفى تقديراً للتربية ان يعلو كبار رجال السيف عن خطرها فيقول عزيز باشا المصري في محاضرته عن واجبنا الحربي بعد المعاهدة وعلى هذا المنبر « لذلك اقول لكم ولحكومة اليوم ولحكومات المستقبل الجيش والمعارف هما كل شيء حافظوا عليهما ولو شئتم التقصير في شيء فليكن في اي شيء الا الجيش والمعارف »

موضوع المحاضرة « مهمة الحكومة في التربية » ومعنى ذلك انها ليست محاضرة فنية في التربية بقدر ما هي محاضرة في سياسة التربية . لذلك يقتضي الامر الا اعرض لمختلف الامور الفنية التربية الا بقدر ما يتصل بالسياسة العامة للدولة وبمشكلات البلاد القائمة ولذلك وجب ان ابدأ بمقام التربية بين مهام الدولة في ضوء سلطة الحكومة عامة ثم بيان تاريخي عن تطور نظام التعليم العالي في مصر ونصيب الحكومة فيه ، ثم بيان مشكلاتها الحالية ولاسيما المركزية والبيروقراطية من ناحية واعداد المربي من ناحية اخرى ثم اختتم الموضوع برسم خطة عملية للاصلاح

﴿ التربية بين مهام الدولة ﴾ يتحدد مقام التربية وخطره بين مهام الحكومة اعتباران سياسيان لا يتصلان مطلقاً بما تعارفنا عليه من الاعتبارات المألوفة كالديموقراطية او الدكتاتورية والاستبداد ولا من حيث الملكية والجمهورية ولا الوضع الدستوري او البرلماني انما من حيث توزيع السلطة بصفة عامة اما اولهما فمدى سلطان الحكومة وتحديده موقفها من حرية الفرد ، وثانيهما مكانة التربية في حد ذاتها بين الواجبات القومية وتحديد نصيبها بين مختلف المهام . اما شأن التربية من الناحية السياسية فمعول كاندل في تحديده « ان نصيب الامور السياسية والاجتماعية في الانظمة التربوية يطغى كثيراً على نصيب النظريات السيكولوجية والفلسفات التربوية التي تحاول ان تتناول الفرد كشخصية منعزلة »

واما عن شأن التربية في حد ذاتها ومكانتها بين مهام الدولة ففيما سبق من القول في المقدمة وفيما سنتلوه ما يغني عن الاسهاب والافاضة . واما عن مدى سلطان الحكومة وتحديده امام الفرد اي الشعب وهو ما يتصل اتم الاتصال بالناحية الاولى فذلك سوقف على سياسة الدول المختلفة وتحديدها بين المذاهب السياسية في الحكم . وهناك ميدانان لهذا التحديد فالميدان الاول سلطان الحكومة على الفرد والثاني توزيع السلطة بين الهيئة المركزية من جهة والسلطات الفرعية والاقليمية من جهة اخرى . ولن تجد بلدين متماثلان في سياستهما في ايّ من الميدانين لان هذا التحديد انما يرجع الى ارتقاء الدولة السياسي بكل ما في تاريخها وجغرافيتها من حوادث وعوامل ، انما لا بأس بذكر طرفي كل ميدان على وجه التقريب

اذ لن تخرج كل دولة من وضعها الخاص عن كل طرفين

في الميدان الاول اي ميدان سلطة الحكومة على الفرد نجد مبدأ الانفرادية او [illegible] يشغل طرفاً وهو مبدأ كان يسيطر على البلاد الديموقراطية في القرن الماضي ولاسيما في البلاد الصناعية والتجارية ويتفق مع روح المنافسة الاقتصادية التقليدية والحرية الفردية اذ يقصر مهمة الحكومة على صيانة الامن والدفاع عن البلاد ولا يجعل للتربية شأناً قومياً ، كما يتفق مع الروح الانكليزية التي تقدس الحرية الشخصية اعتماداً على فطنة الفرد ونضوجه الاجتماعي الا انه يتجاهل العطف والانسانية ثم نجد في الطرف الآخر مبدأ السيطرة الواسعة على الفرد ويزعمه في القديم كثير من فلاسفة اليونان الذين يرعون الى الطوبية واشهرهم افلاطون وفي الازمنة الحديثة الاشتراكية التي احدثت تعديلا في جميع الانظمة الحديثة ، والتي تبلغ منتهاها المتطرف في الشيوعية وهي تذهب الى حد السيطرة المطلقة على كل ما يختص بالفرد حتى في انتاج الثروة وملكيتها وتوزيعها

وامام التطور الاقتصادي والاجتماعي الحديث الذي من مظاهره انقلاب الحياة كلها وألوانها انقلاباً كاد يتم احياناً بسرعة البرق مما عرض الحياة القومية لاكبر الاخطار ان تركت خالية من التوجيه والاشراف في ضوء سياسة قومية ، وامام موقف الانفرادية الجامد الذي يترك العامل فريسة لمعاملة لا تعتبره الا آلة من الآلات الانتاجية ، بلا اعتبار لذاته ولاحساسه وآلامه حتى بدأ المجتمع يتمخض عن ثورات تهدده بشر وبيل امام ذلك كله أحدث جميع الانظمة تتحول شيئاً فشيئاً حتى في انكلترا نحو الطرف الثاني اخذت تخرج من مذهبها الانفرادي الى تدخل الحكومة في الاعمال العامة كالصحة والمواصلات والانتاج وتوزيع الثروة [illegible] أس هذه الامور واصبح الآن نصيب الحكومات [illegible] امراً [illegible] مهما [illegible] اشكالها ، ان ملكية او جمهورية ، ان دكتاتورية [illegible]

اما في [illegible] الثاني اي توزيع سلطة الحكومة [illegible] الحاجات [illegible] اخرى ، فكلما [illegible] الامة [illegible] كل الاعمال [illegible] او الادارة الرئيسية [illegible] في الا [illegible] والتي تكون في الامريكية [illegible] المحافظات الاقاليم [illegible] الى حد كبير للسلطات [illegible] والمركزية [illegible] الا بالنظام العام [illegible] السياسة العمومية [illegible] السياسة الحديثة في تطورها [illegible] الآخر الذي [illegible] في الولايات المتحدة الامريكية

والخلاصة انه اصبح من المقرر ان تمد الحكومة سلطانها الى وجهة [illegible] امور لم تكن في القديم من مهامها بعد ان اصبح خطراً قومياً تركها مطلقة في يد الافراد والطوائف تابعة لاهوائها وشهواتها وان التربية يجب ان تكون لها نصيب شامل [illegible] في المجتمعات القديمة بعد ان ثبت انها الاداة الاساسية الانشائية من مهام الحكومة اذ هي البناء الاساسي الذي اذا استقام وبلغ الكمال لا تعنى في آخر الامر عن مهامها الاخرى التي تظهرها شذوذ

المجتمع الحالي بمظهر العمل الاساسي للحكومة بل اقول غير هياب لو استقامت امور التربية حتى باتت مثلها الاعلى الذي يحلم به الطوبيون لاستغنى المجتمع عن القضاء وعن الشرطة وعن معظم مظاهر السلطة التقييدية الحالية ولم يكذب هيجو لما قال «من فتح مدرسة اغلق سجناً» واليكم افلاطون في طوبيته التي وضعها [illegible] المبدع في كتابه الجمهورية جعل التربية على رأس امور الدولة [illegible] بالحكم [illegible] الذي [illegible] جعل وزير التربية كبيراً لزملائه واسلم الاطفال للدولة وجعل التعليم اجبارياً وكذلك ارسطو لم [illegible] عليها بمكانتها وان لم يسمها كافلاطون ويقول نابليون «ان التربية أم المسائل السياسية» فاذا طالعنا [illegible] الاستاذ [illegible] الانكليزي يقول «ان التربية سوف تكون اكبر واهم موظفي [illegible]»

بيان تاريخي — والآن نترك هذه المقدمة التي انارت لنا قيمة التربية [illegible] الحكومة ونرجع الى الوراء قليلاً لنوجه نظرنا نحو تطور المهمة في مصر لنصل منها الى الحاضر [illegible] لنلمس المشكلة ونتتبع تطورها المتأصلة في الماضي

كان التعليم في مصر الى ما قبل العصر الحديث دينياً بمعنى الكلمة، وكان الازهر كعبة العلوم والمعارف تحيط به هالة من المعاهد والمكاتب متصلة ثقافته [illegible] مع مطالب الحياة العامة ثم طفرت البلاد بفضل الزعيم الاكبر محمد علي الذي [illegible] الثقافة ان مستقبلها موقوف على [illegible] كل شيء فجعل التعليم على رأس نواحي النهضة التي [illegible] ادخل الى البلاد النظام الفرنسي الذي لا يزال [illegible] متمكنه في [illegible] نواحي [illegible] السنون الطويلة التي اشتغلت فيها [illegible] من مشاعل [illegible] اسماعيل [illegible] الطويلة — ان الاحتلال الانكليزي [illegible] يمكن ذلك النظام الفرنسي [illegible] بمركزيته وبيروقراطيته [illegible] النظام الفرنسي وقد احدث [illegible] على ولاسماعيل من [illegible] ما يسوغ لهما هذا الاجراء [illegible] السبل فكان لا بد من [illegible] النظام الفرنسي [illegible] وفقاً على [illegible] النواحي لا التعليم وحده، حتى [illegible] القانون [illegible] والصنائع [illegible] رسمياً و [illegible] عن [illegible] وكما ان هذا العمل [illegible] الا [illegible] الحالة التي لا تقتصر على [illegible] بل جميع نواحي الحياة

[illegible] الاقاليم [illegible] لورد كرومر المسؤول عن السياسة الانكليزية [illegible] الا [illegible] وكراهيتهم [illegible] الى الموظفين الآخرين، ولذلك [illegible] دخلوا على نظام التعليم الفرنسي الا اقدام [illegible] وتشكل مجالس المديريات التي تحولت مدارسها غير الاولية مع الرمي الى طبعة من

مدارس الوزارة واخيراً سمت اليها ، و [illegible] لسوء حظ مصر ان لورد [illegible] و [illegible] احتار للاشراف [illegible] التعليم لما اتفق [illegible] المستر دنلوب [illegible] على الرغم [illegible] وراءه عدم الكفاءة [illegible] الى السيطرة القاسية والدعوى [illegible] الاسباب [illegible] وما [illegible] بهذه الصفات من عندي بل ابي اقتبستها من اقوال الاحبار والامريكيين امثال السير فالنتين تشيرول وجورج [illegible] واللورد جورج لويد المعروف ولا تنسوا الدكتور مكلان مدير الجامعة الامريكية والدكتور جولد عميد كلية الآداب والعلوم بها [illegible] كان من سوء حظ مصر ان عهد بالتعليم الى رجل هذه صفاته ورعاه

وحسبنا ان نظامه كان سروقراطياً لا [illegible] عند [illegible] تمكيناً وما أبدع الدكتور جولد اذ يقول ان التعليم في مصر شأن النظام الفرنسي [illegible] ou [illegible] h [illegible] [illegible]nch

ومن الاسف ان الانقلاب الذي [illegible] قام [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] ان [illegible] [illegible] [illegible] تسقط في [illegible] [illegible] [illegible] الاخرى [illegible] البلاد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الى [illegible] [illegible]

[illegible] النظام [illegible] في مصر [illegible] [illegible] [illegible] الاجتماعي [illegible] حصره في التشكل لا الجوهر [illegible] [illegible] نقل [illegible] العقلية [illegible] التي [illegible] [illegible] فلا [illegible] لا نقل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الواقع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] واما [illegible] [illegible] والاتحاد [illegible] [illegible] وكذلك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] التي [illegible] الرسمية [illegible] والآداب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الادبي [illegible] [illegible] [illegible] ٨٠٢ [illegible] [illegible] الا [illegible] بالرجوع [illegible] [illegible] ١٨١٣ [illegible] [illegible] نظام [illegible] في مصر [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] الفراغ [illegible] هؤلاء [illegible] هذه [illegible] [illegible] الاخرى [illegible] والحكومي نوعاً آخر [illegible] وأسماً [illegible] في نصدع [illegible]

[illegible]

# السيلوتكس [illegible]

خشب [illegible] [illegible]

[illegible]

كنت في مقتطف [illegible] سنة ١٩٢٣ مقالا على «صناعة الخشب [illegible] [illegible]» وفي اوائل نوفمبر سنة ١٩٢٦ [illegible] المرحوم محمود [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حينئذ ، بأ صناعة السيلوتكس من مصاصة القصب ، الى [illegible] [illegible] [illegible] وزير الزراعة وحينئذ [illegible] [illegible] رؤية السيلوتكس [illegible] [illegible] بالأمس حيال من كبار [illegible] والمهندسين وارباب الاملاك [illegible] [illegible] اسم السيلوتكس [illegible] احدهم ماذا [illegible] [illegible] [illegible] الخشب الطبيعي ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ايضاً [illegible] « [illegible] [illegible] ذات الخشب [illegible] [illegible] [illegible] أو القش » [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مصاصة القصب ، [illegible] [illegible] فدهش جداً لانه لم [illegible] اطلع على مقال المقتطف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] آنفاً ولا [illegible] أ [illegible] « [illegible] والمخترعات » الذي [illegible] [illegible] [illegible]

ثم طلب الى ذلك المناول الذي استعمل السيلوتكس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] محل [illegible] ذلك الخشب الصناعي ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وسقف [illegible] [illegible] [illegible] وكيل شركة السيلوتكس الاميركية [illegible] [illegible] [illegible] متوسط [illegible] [illegible] [illegible] السيلوتكس [illegible] [illegible] [illegible] أكثر ، هذه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كالملبن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وهي خشب اسفنجي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] السلوتكس [illegible] [illegible] في مقتطف [illegible] سنة ١٩٣١ واقترحت [illegible] على وزارة الزراعة [illegible] [illegible]

والسيلوتكس مادة عازلة من مواد البناء ، تمنع الحرارة والرطوبة [illegible] [illegible] [illegible] وشور القصب ومصاصته على شكل ألواح كبيرة [illegible] ، متينة ، خفيفة [illegible] [illegible] مصاصة

القصب على غيرها من القصالات الزراعيه العاطلة لصناعة السيلوتكس ، لان ألياف قصب السكر من أطول الالياف وأمتنها ، ومتانتها تتجلى حينما تصنع منها الالواح المانعة للحراره والبرودة وذلك لان الخلايا الهوائية الدقيقه التي [illegible] بالملايين في السيلوتكس سواء في الالياف المفردة ، أو فيما بين الالياف ، تكسب السيلوتكس خصائص منع الحراره وهذه الخلايا هي التي تحدث المناعة ضد الحراره والرطوبه وتجعل مادة السيلوتكس مسيكة اي لايخترقها الماء ويصنع من السيلوتكس ألواح متينه عازلة ، كل ١٠٠٠ قدم مربعة منها ، تزن ٦٠ رطلا وقد علمنا ان السيلوتكس قد استعمل في قبة بهو الاحتفالات العامه الكبرى في الجامعه المصريه وفي كازينو ثغر السويس وغيرها من المباني الضخمه الحديثه في أنحاء القاهره وغيرها

وحصلت شركة السيلوتكس على امتياز من حكومه الولايات المتحده باستعمال طريقة كيميائية ، اطلقت عليها اسم [illegible] [illegible] تمكن بها من صون السيلوتكس من عبث الحشرات والسوس وتطبق هذه الطريقه على كل ما تصنعه من السيلوتكس وهي نتيجة مباحث [illegible] قسم المباحث والجمعيات [illegible] [illegible] وبعد بحثاً محسوساً في [illegible] الحراره والرطوبه [illegible] لعوامل البلى الطبيعي [illegible] [illegible] التي [illegible] منها كل سنه [illegible] الحكومة الامريكية ، و[illegible] الكيمياء في الخدمات [illegible] [illegible] طويلا ، وفي الخسائر المشار اليها اذا طرقت [illegible] [illegible] عوامل القضاء [illegible] فصار ميسوراً الحصول على مواد صناعية للماء أو مواد [illegible] عملا [illegible] كيميائياً حاسماً ، وتحسب تلك المواد في مصاف مضادات السوس أو الانحلال ، ومثال ذلك الفولاذ الذي لا يصدأ والخشب الطبيعي المعالج [illegible] المحاولات الكيميائية المضادة [illegible] [illegible] والخشب المعالج [illegible] ذلك [illegible] وسائل العلاج التي تحول دون السوس [illegible] [illegible]

وثبت ان شركة السيلوتكس [illegible] التي أطلقت عليها اسم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وهي [illegible] [illegible] الواحاً ، [illegible] [illegible] سميم الفطر والار[illegible] ونحوهما [illegible] الحشرات [illegible] [illegible] الكيمائي ، غير قابل للذوبان في الماء وغير طيار ، ولا رائحة له [illegible] [illegible] [illegible] المخلوقات البشريه ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] السيلوتكس [illegible] [illegible] [illegible] السيلوتكس [illegible] الخشب [illegible] [illegible] [illegible] الصوت [illegible] ويمكن [illegible] [illegible] الخشب الطبيعي واذا استعمل [illegible] [illegible] يمكن [illegible] على لونه الطبيعي او دهنه [illegible] وتستعمل [illegible] [illegible] [illegible] وغيرها من المباني [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] داخلي لمنع الحرارة الشديده [illegible] [illegible] مكاتب الاعمال [illegible] [illegible] والتكنات وبيوت العمال واكواخ الدواجن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الكنائس والمدارس والانديه وتصنع منه الواح اعتيادية للمباني [illegible] الاحجام

اوردت في حرء ماض من المصطف بعض الحيوانات [illegible] عرها في ما يلي

الذكر والانثى

قالوا الذكر خلاف الانثى والانثى خلاف الذكر [illegible]
الحيوان والانثى ما صغر منه ولو كانا من [illegible]
والكلمة شائعة في جزيرة العرب والشام والعراق [illegible] منه
سموه جرداً وما صغر سموه فارة [illegible]
تقول بقرة اى الواحدة من جنس [illegible] الذكر والانثى [illegible] الفار
معناه انه العظيم من الفار لا انثى الحل منه [illegible] الكلاب
الحشرات . في الجزء ص ١٦ [illegible]
فقد ذكر [illegible] انثى [illegible] وان الذكر [illegible]
ويقال له [illegible]
ولا يخفى ان العرب كانت تسمى كل حيوان [illegible] الكبير
بالشهم والذال [illegible] وهو من [illegible] كالمهما
ويعرف البيض الى [illegible] في جزيرة العرب والشام والعراق

ومثله [illegible] وقد ذكرت ذلك في مادة [illegible]
الارونبا انثى الوعل فالوعل لعدهم عمرلة [illegible] وعلا
وهو عمرله المعز [illegible] فاسم [illegible] الاسم في
ايامنا ومثل ذلك الخزز وهو ذكر الارنب اي العظيم منها والخرنق وهو الانثى اى الصغير

ومثله الصـ ـر ن اى السـ ـر الدكر وفسره حمد الله المروبي بالسنور البري كما جاء في الصفحة ٥٣ من هذا المعجم . وامثلة ذلك كثيرة في اللغة يراها من يقرأ كلامهم في وصف الحيوانات وهاك امثلة منها . انى سأستعمل في بعضها الاسماء اللاتينية وفي البعض الآخر الاسماء الانكليزية وذلك لسهولة المقابلة

فأر Rats & Mice

مأخوذ من فأر التراب حفره ونبشه العامة في مصر الفار واطلاقه على العام منه والصغير صواب اما بعد منه ... الجرذ ... فانما اصل ان يقال الجرذ والعصل للعظيم منه والفارة للصغير ولكن العامة في مصر لا تفرق بين النوعين فكله فار عندهم وهذا جائز لغة ولكنه غير جائز علميًّا جرذ ... الجرذ دان ... صلان هي الفار العظيم والجرذ اكثر شيوعاً Rat

فارة Mouse Musculus

... الشائع في الشام والعراق على الصغير منه فيقال فارة ذكر وفارة انثى ألا ترى ابن المقفع في كليلة ودمنة ... الجرذ بالفارة فالجرذ هنا العظيم من جنس الفار والفارة هي الصغير منه

فالفأر كل ما ... فأر من هذه الدرسات الفارضة وهو يشمل الكبير منها اي الجرذ والصغير اي الفأرة فالفأر اسم جنس ... الكبير منه فهو جرذ وعصل وزان صرد وسبب للذكر وللانثى ... جرذ ذكر وجرذ انثى واذا اريد الصغير الذي يألف البيوت فهو فأرة للذكر ... فأرة ذكر وفارة انثى وكلاهما فأر اي الجرذ والفارة فأر ... حول الداء ... الصغير وهذا ... ما اعم فالفارة واحد الفار اي ... على الصغير منه اما استعمال الفار ... في مصر ... الكبير منه بالجرذ او العصل والصغير بالفارة ... كاطلاق اعراب على الزاغ والعقعق وكلاهما غراب اي من ... الزاغ خلاف العقعق فالفارة والجرذ فأر لكن الواحد خلاف الآخر ومثله القمري والدبسي وكلاهما ... لكن الواحد خلاف الآخر ومما يحسن الاشارة اليه ... فاذا صغير صار ... اي اذا صغير ... العصل او الفار ... فهو الجرذ ... العصل او ... اي اللحم المجتمع وهو ... والثانية اي الفارة شائعة على السنة العامة بمعنى العضلة في الشام والسودان وغير آخر ان اللاتين صغروا الفار فصار معناه العضلة والعرب اشبه فصار

معناه الفصلة والفار الصغير وهذا يؤيد ما قلتهُ قبلاً اي ان الأنيث قد يراد بهِ الصغير

فصيلة الشياهم والواحد شيهم Hystricidae The porcupines

فصيلة من القضّام لها شوك كالمسالّ وليست هي القنافد فهذه من فصيلة آكلات الحشرات وقصيرة الشوك

شيهم نيص شيهام دُلدُل مدحّج صرب Porcupine

حيوان من فصيلة الشياهم وان أكثر هذه الأسماء شيوعاً هو النيص ولكنهُ لا يقال قنفد فالقنفد من آكلات الحشرات والشيهم والنيص من القضّام كالفأر وأهل [illegible] يسمون هذا الحيوان بالقنفد خطأ

فصيلة القنافد حيوانات [illegible] من آكلات الحشرات [illegible] hedgehogs [illegible]

قنفد

حيوان من آكلات الحشرات [illegible] الجرذ [illegible] شوك [illegible] اسمهُ عند بعض العامة في الشام [illegible] اما في مصر والعراق وجزيرة العرب [illegible] ص ١٢٤ وذكرت لهُ اسماء [illegible]

وفي معظم المعاجم [illegible] الحيوانين [illegible]

حيوان [illegible] من اكلات الحشرات [illegible] الشوك ولكن يجب الفرق بينهما

بنت وردان والجمع بنات وردان [illegible] الافاعي

لا [illegible] وردان [illegible] الاسم وهو الاسم [illegible] تسمي الواحدة [illegible] وردان [illegible] بنت وردان الا [illegible] بنات وردان [illegible] الجدار

ولنذكر الآن بعض الطيور منها طائر مشهور عند الادباء وهو الشحرور وطائر آخر مشهور في الشام وهو [illegible] وطائر آخر مشهور عند الصيادين وهو [illegible] او [illegible] وهذه الطيور اما متشابهة في جسمها او في لفظها وسأذكر لها الاسم العلمي والاسم الفرنسي [illegible] حتى أتمكن من ايضاح ما أريد ايضاحه

شحرور شَحْرور Blackbird Turdus merula F Merle

طائر اسود في عظم لسد... سره اي الصفار به حسن الصوت وهو مشهور يعرفه الادباء في مصر والعراق والشام بهذا الاسم اما في مصر فلا تعرفه العامه بهذا الاسم ويسمونه الدُّح ولم أر من ذكره من اصحاب المعاجم في مصر على صحته الا البحاري بك فأنهُ كان عالماً واديباً مشهوراً اما الآخرون فقالوا شحرور فقط وقالوا تارة الدح وتارةً السَّكَّلة ولا يخفى ان الاسم الحسن لهذا الطائر مثل اسم السُّمنة او الدح او السكله

سُمْنة والجمع سُمَّان وسُمان Thrush Turdus musicus & other species, F Grive

طائر أغبر لا... طويل أكحل العينين أصفر المنقار يدخل في الشجرة والجمع السُّمَّان والسمان وقيل هي الطويلة الذنب وقيل دبساء مثل القشرة (المخصص ٨ ١٦٢) هذا احسن ... في سواحل بيروت ولكنهم في بيروت يشددون الميم وابن سيده يجمعها ... في عن ابن سيده من كتب اللغة واسم السمنة في مصر الدُّح اوردها الدميري فقال الدح طائر صغير في حد اليمام من طير الماء سمين طيب الطعم وهو كثير في ساحل الاسكندرية وما يشابهها من بلاد السواحل قاله ابن سيده اه هي فان سيده ذكر الدح في ٨ ٦٧ لكنه اراد به الفروج كما هو واضح في كلامه قال ابن سيده «دجاجة مقرَّجة ذات فرارج قال ابو حاتم انشد الاصمعي قول العاني والديك والدحّ مع الدجاج وقال انا وجدت الدح اعني به الفروج» ... اي ان ابن سيده قال الدح هو الفروج فاستعارها الدميري لهذا الطائر والكلمة شائعة ... في الاسكندرية ولعلهم استعاروها لهذا الطائر اي السمنة وفي محيط المحيط للبستاني في ... والعامة تقول سُمْنة وللجمع سُمن وسمان ... هذا صحيح وقد ... محيط المحيط وهم في هذه الكلمة كما وهم ... كثيرا

... نوع من السُّمَّان او السمان شائعة في مصر ويريدون بها ... او السمان جمع سمنة واظنها العجمية يدل على ذلك اسمها النوعي اي ... على الصخر هذا وقد اوردت السمنة وانواعها في ص ٢٤٧ وص ٢٥٢ ... معجم الحيوان ... فيها ما يكفي لجلاء هذه الكلمة

Quail F Caille

... لوى

للواحد والجمع والوا... سماني للواحد وللجمع والواحدة سماناة وجمعها سمانيات

طائر ... وهو من ... المواطع مشهور ... في العراق ... والوراء ... اسمها عند العامة في مصر ... عمان وفي ... الشام ... السمان في ... وما ذكرته ... والصحيح من الكلام

الطيش Gannet Syn Booby

طائر قال ابن سيده والطايش حمه العمل (الدميري) وهو طائر من طير الماء على قدر البطة اسود الرأس والعنق والظهر ابيض الصدر والبطن واسفل الذنب (عن طيور مصر) ذكرته في ص ١٠١ وذكرت هناك السبب في تسميته بالاطيش

ابله Noddy

طائر مائي يقف على السفن حتى يكاد يقبض عليه قاله الدكتور بوست ذكرته في ص ١٧٣ فاذا نقله احد من قبل بوارد الخواطر فارجو اصلاحه

بطريق Penguin

طائر مائي قصير الجناحين قاله الدكتور زلزل وفي القاموس البطريق السمين من الطير وجب نسبة هذا الطائر الى زلزل لا الى القاموس لان زلزل استعارها من القاموس

قرلّى زَمّاق حاطف طاه ملاعب ظله قاوند مارور Kingfisher

طائر مائي صغير طويل المنقار قصير الرمكي والرجلين جميل المنظر اسمهُ عند العامة في مصر وفلسطين صياد السمك وابي الرفص وفي بيروت ديك البحر ذكرته في ص ١٣٨ وذكرت ثلاثة انواع منهُ ولم يذكره احد على صحته وانما ذكروا شيئاً مما جاء في المقتطف والصواب ما ورد هنا

واق Bittern

والواحد واقه طائر من فصيلة مالك الحزين طويل العنق والرجلين والاصابع والاظافير قصير الرمكي اصفر الريش مع رقشه وتوشم تحت العرلة فيختفي في النهار بين الاسل ويكثر الصياح في الليل

ذكرت هذا الطائر في المقتطف وسميتهُ الغجاج والايس وكنت مخطئاً كما بينت في معجم الحيوان ص ٣٥ وقد نقل كثيرون عني هذا الخطأ فليصلحوه لان النقل كان من قبل المصادفة

سُبَد والجمع سِبدان صُوَع والواحدة صوعة Nightjar Syn Goatsucker

طائر من طيور الغسق اصفر او اغبر موشم بخطوط سود مسرول الساقين واسع الفم مفلطح

الرأس والمنقار وحول منقاره شعرات كالهلب يعرف في الشام باني غمتي وفي مصر بابي الموم وفي المغرب بطير الموت وفي السودان بالبقرة لكنهم يطلقون هذه الكلمة على نوع من الحجال ايضاً ذكرت هذا الطائر في المقتطف وفي معجم الحيوان في ص ١٥ وما يليها ولم يذكرها احد من اصحاب المعاجم الا في معجم واحد فعسى ان يذكرها مع وصفها لانهُ الصواب دون غيره ويصلح الخطأ الشائع ويرفع الخاصرة عن الصوع لاني لم اسلم بهِ على ماورد في معجم الحيوان ص ١٥٣

**زمّج الماء** Gull

طائر مائي انواعهُ كثيرة يعرف في الاسكندرية بالنورس وفي بيروت باللورس والزورس وفي حلب بالدبكله وفي بغداد بسعيج الماء وله اسماء اخرى ذكرتها في ص ١٢ من معجم الحيوان وجمعها الحمه . اما النورس واللورس فمعرب اسمه اللاتيني وقد وردت بعض هذه الاسماء في معظم المعاجم واري الاقتصار على زمج الماء لانهُ عربي

**كركر** Skua Bya Jaeger

طائر مائي نشبهُ النورس اي زمج الماء يطارد الطيور الضعيفة ويسارعها صيدها وان تحقيق هذا الطائر يرجع الى الدكتور زلزل ذكرته في معجم الحيوان ص ١٣٤ و ٢٣ و ٢٠٥

**خرشنة** Tern

خطاف البحر طائر يشبهُ النورس زعموا ان الكركر يطارده وينازعهُ صيده وان تحقيق هذا الطائر يرجع الى الدكتور زلزل ذكرته في ص ٢٤٦

[illegible] [illegible]

[illegible] ( [illegible] ) [illegible] او [illegible] في [illegible] كثيراً في [illegible] ولا [illegible] والجهات الا [illegible] ذكرته في ص ٢٣٠ [illegible] اما [illegible] الا [illegible] لا في البحر الاحمر

**غطّاسة** Diver F Plongeon

نوع من طير الماء غطاط يغتمس كثيراً ( الماح ) ذكرته في ص ١٠

**غطاس غوّاص** Grebe

طائر من طيور الماء يعرف في مصر بالغطاس وفي البصرة بالغواص ذكرته في ص ٨ ١ ولم يذكر اصحاب المعاجم الاخرى الغواص فاني لم اذكره قبلاً وقد ورد في الدميري والقزويني

# صيحة الشاعر

## كلمة رئيس تحرير المقطم

### في حفلة ذكرى حافظ ابراهيم

في مثل هذا الحفل التذكاري، تنقبض النفوس أسى، لأن الشاعر الذي كان يملأ المحافل بوحي شعره [illegible]، أو يبعث القوة والحكمة في ساعة الضعف والتهور، أو يفري الظلمة ويجلو القتام بطرفه المشرق، قد طوته الارض

أما أنا فأشد حزني على نفسي، لأنه أتيح لي أن أمتح من نبع صاف فاض فاكتفيت بالوشل

يفجر الله الطبيعة في أوقات هي تختارها، ينبوعاً متدفقاً من [illegible] فتبعث الى الناس تكون تأمل في جوهره شكل انساني، ينشق قوته من العقل فكراً و[illegible]، ومن [illegible] بالخير والجمال والحق، شعراً وحكمة، ومن الكمال الخلقي وقاراً و[illegible] و[illegible] أجل [illegible] في النفس التي يسمح له، ما يرفعها عن مستوى المعاني الزائلة، و[illegible] الارادة

ثم تسترد الطبيعة هبتها وتجفف ينبوعاً فيه ادخرته في [illegible] صاحبها في قوم لتبدد به، عاهف قوم آخرين وتسكت عن [illegible] إلى أن [illegible] يحاور فيندب عما فعل، حاسباً أن ذلك [illegible] والـ[illegible] المطر، والصداح الصادح، حذرون [illegible] وأسانا، والحقيقة [illegible] لا [illegible] السجع، ولم تستضيء بالمصباح، ولم تسكر على شدو العندليب

من منا، من منكم، بالذات حافظ وصحابته وتلامذته، لا يتمنى الآن، [illegible] يعود بنا الزمن ويكر سيرته الاولى، اذ كنا نجلس الى حافظ ونصغي معه [illegible]، لكي نور منه بهدره كهدير البحر، او سكتة كنسمة الربيع؟ من منا من منكم، لا يتوق الآن وقد انطفأ مصباحه، ان يلتقي حافظاً كل يوم، ليستشف في عينيه الحنونتين، ألفة الشعر وقد استقرت له أذنابه في الليل السابق، على ما يريد ويرضى؟ من منا، من منكم لا يتحسر الآن وقد سكت صداحه، لأنه لم يسمع حافظاً ألقى بيانه، وكأن صوته وهو يلقي طاقته [illegible] ظاهرات الطبيعة، لا حركة وتر ولهاة، يملأ جوانحك روعة فتحاول أن [illegible] الروعة ويأخذ عليك الافتتان والاعجاب كل سبل الا سبل الاعجاب والافتتان

قد يستطيع الفلكي ان يقيس أجرام الكواكب وأبعادها، على عظمتها وبعدها،

والطبيعي دقائق الذرات، على دقتها وتناهيها في الصغر، والنفسي خفايا العقل وحدود الذكاء، ولكني لا أعلم، ان احداً يستطيع ان يغرس ابن العلم الصالح في نفس تلميذه، ولا ابن الصديق المرشد في نفس صديقه، ولا ابن الشاعر المبدع، في شعب بأسره، اذ يوقظ فيه شعوراً كامناً بالعز، وتوقاً مستكناً الى الكمال

***

قلبوا ديوان حافظ، تجدوا انه على الرغم من نفحات بديعة فيه لم يكن شاعر الطبيعة في مظاهرها الكونية، يتحدث من شروق الشمس وغروبها، وتغريد الاطيار وخرير الجداول، وألوان السماء وتعاقب الفصول وانبساط الصحراء وموسيقى الاجرام، أوتاراً يعزف عليها انغاماً علوية تتردد اصداؤها في درب التبان وعقود الثريا، ويكشف لنا في انغامه عن اصحاب البصائر القاصرة والعقول المكدودة، عن رؤى جديدة من الخير والجمال

ومن حسنات حافظ، انه لم يصنع الكلف بالطبيعة، فلم يجر قلمه في ميدانها، الا في لمحات نادرة من لمحات الالهام، لان ملكة الشاعر السليمة فيه تكبته جادة التقليد

الا انه كان شاعر طبيعة أخرى لها كالطبيعة الكونية وهاد وسهول وقنن، وفيها صفاء وقتام، وتغريد ووجوم، هي في وهادها وسهولها كرم ولين، وفي جنانها وقننها شمم وعزم، وفي صفائها وتغريدها طرب وظرف، وفي قتامها ووجومها ألم على مصص وتحفز للوثوب

تلك هي طبيعة النفس المصرية

وقد تميز حافظ، في جميع ادوار حياته، بذلك الاحساس المرهف، الذي يتغلغل في هذه النفس الكريمة، فيستطلعها ويفنى فيها، ولاسيما في حالات وجدها ولوعتها، ثم يبدو من اغوار الالم مولوداً جديداً، وقد ارتدى من كمال الالم، وحلو النغم، رداء الشعر العالي ولذلك كان [illegible] لسان هذه النفس [illegible] فطرب وكان [illegible] وطالما [illegible] فكان [illegible] كئيباً وعز [illegible] وطالما [illegible] وزمجر فأنذر وأثار، فكان بوقاً مدوياً للكفاح

***

ايها المحفل الكريم، تجيء على الامم ادوار تطوى فيها على مضض، فتفقد ثقتها بالحياة وتنحدر مناط أملها من مراكب النجم، الى مستوى التراب، وتسام خوراً وعدواناً تحس بهما ولكنها لا تستجيب، وتتراءى لها الحق ملثماً بلا تمزق اللثام والعز مخصياً فلا تسبق اليه الاسنة والرماح، ثم تدوي فيها صيحة الشاعر فتعصف بالعباب الهادىء كموجة طاغية وبالعقل المطمئن كفتنة مجتاحة وبالارادة الوادعة كاعصار عات واذا الرماد في الموقد الخامد ينتثر شرراً واذا الحق الذي كانت تراه ولا يحركها يزحف عليها كأنه زوبعة من الرمل يدفعها الهبوب، واذا الامة تنتفض انتفاضة البعث

وقد كان صوت حافظ المدوي في ايام البراحي، الجريء في اوقات المحاملة والنهاف، المحرك بلاغته المستمدة من بوهج الشعور، أحد الاصوات التي احدثت هذه الصحوة في نفس الشعب المصرى

هذا الاحساس الشعبي الصادق، هو سر الامتياز في شعر حافظ، وطد له في دولة الادب عرشاً، وفي قلوب الشرقيين عامة، والمصريين خاصة الف عرش وعرش وأمد زعامة مصر الادبية في اقطار الضاد بآيات سارت حرت على الألسن وحفظها الشباب في المدارس وانشدها على المنابر وتغنى بها في الحفلات وما زال اذكر وقد انقضى ربع قرن من الزمان ان (غادة اليابان) كانت القصيدة العربية الاولى التي حفظتها كاملة مع اخواني، في لبنان وانا في الحادية عشرة من العمر

***

أدمى قلب حافظ ان يرى أمته تتحكم فيها أيدي الاعراب، وثارت نخوة الجندي في صدره، فجعل من قلم الشاعر في يده، بوقاً من أبواق الكفاح

قصر الدوبارة هل أتاك حديثنا فالشرق ربع له وضج المغرب

***

أحسبوا القتل ان ضاق بعفو انتقاصاً أردتم أم كيادا

أحسبوا القتل ان ضاق بعفو انتقاصاً اصابتم أم سدادا

ليت شعرى أتلك محكمة التفتيش عادت أم عهد نيرون عادا

ان من يوجه الكلام على هذا النحو القوي، الى ... في ... هذا القرن لكأنه ينادي القوم الى النزال، ويحرض على الاحتلال ... ان احساسها الناطق يرى ... حافظ ... شعراً ... صادقاً، في عشرات القصائد التي نظمها في ... والاستاذ الامام ... و مصطفى كامل وسعد زغلول

أنا لا ألوم المستشار اذا غلا في ... او تمادى

فسله ان يستقيل وشأنا ان نسعدا

ان شعر الثورة المصرية، كامنه ومحمدة، اتصل بنا وألهب نفوسنا أيام السادة، اذ كنا نقرأ شعر حافظ الملتظى وطنيه ومأمله، ونحن احداث في ربى لبنان

الا ان حافظاً أدرك بصيرة الشاعر النافذة، وبداهته الملهمة، ان لا يكتفي بالنفخ في بوق الكفاح، لان الشعب الذى ساحر خصمه ودهره، وهو غير متمكن من العلم عدة،

ومن الخلق الأبي والرجولة سلاحا ، فقضي عليه بالحسنة فراح يجاهر قومه بعيوبهم ، باعثاً على أحدهم الشعر نداء النذير ، فكان قلم الشاعر في يده حافزا من حوافز الكمال فهو آنا يهيب

رجائي في قومي ضعيف كأنه جبان وزير سوّدته مناصبه
ودائي كداء الدين عز دواؤه وحظي كحظ الشرق نحس كواكبه
فنالت لي وجدان قومي فارتضي حياتي ولا أشقى بما انا طالبه
ينامون تحت الضيم والأرض رحبة لمن بات يأبى جانب الذل جانبه

وآنا يطالب بأخذ الاهبة للكفاح

من رام وصل الشمس حاك خيوطها سببا الى آماله وتعلقـا

وآناً يريد ان ينبه للابداع السحر

أرونى نصف مكتشف أرونى ربع مخـترع

ومن العجيب في حافظ ، وهو الذي نشأ نشأة عسكرية وادبية انه كان في طليعة شعراء العربية المتأخرين الذين ادركوا ما للعلم من المقام في الحضارة الحديثة ، وان العلم والاختراع والصناعة ، سبيل الى القوة والسطوة اللتين يريدهما لقومه فأكثر من الاشارة الى ذلك في شعره المتأخر ، ولكني أكاد أؤمن الآن ، بأن من أوتي بصيرة الشاعر وبداهته ، تتجلى له الحقائق في لمحات الالهام ، من دون ان يكد العقل الواعي في دراستها واستيفائها

***

شهد العصر الذي نشأ فيه حافظ وترعرع واملأت اعطافه رجولة ووطنية وهتفت في نفسه ازاهير الشعر البديعة ، فريقاً من الرجال الرجال ، كانوا ملء العيون والنفوس ، علماً وفضلا وحكمة وقوة من الاستاذ الامام وجمال الدين والبارودي الى مصطفى كامل وسعد زغلول الى قاسم امين وعلي يوسف وشبلي الشميل واسماعيل صبري ويعقوب صروف والارض انها السادة ، عمادها صدق الصالحين وقدوتهم ، وحكمة الملهمين وابداعهم هم سقوها من الأدران ، بل ان الحياة لا تسدد ، وقد لاتحمل الا في صحبتهم او في كنفهم وقد خالط حافظ هذا الرهط الممتاز من الرجال وارتبط بهم بروابط الود والاحترام ثم رأى عقدهم ينثر فريدة اثر فريدة ، حتى اصبح على قوله

أو كلما ارسلت مرثية من أدمعي فى اثر مرتحل
هاجت بي الاخرى دون اسى فوصلت بين مدامع المقل

فكان قلم الشاعر في يده ريشة طالما رسم بها صفحات مألوفة متأرجحة ، من تاريخ مصر الحديث ، في الدين والسياسة والعلم والادب والغالب ان حافظاً كان اجود شعراً ، وأبلغ تصويراً في مراثي أولئك الذين كانت حياتهم ومآثرهم تمت الى الوطنية المصرية والاصلاح

الاجماعي لان ها بين الباحثين من حماة الشعب كانا أعلى مكانة في نفسه ، واجمع لعانته ، يشير حد منهما ، فيه تلك الهزة التي لا تكون الشعر بغيرها الا كلاماً موروناً مقفى

وقد راجعت معظم ما قاله في الرثاء ، فاتفيته اجاد ايما اجادة ، في رثائه البارودي ومصطفى كامل والاستاذ الامام وسعد زغلول ومن كان على طرازهم من اقطاب هذه البلاد

أيا قبر هذا الضيف آمال أمة فكبر وهلل والق ضيفك جاثيا

هنيئاً لهم فليأمنوا كل صائح فقد اسكت الصوت الذي كان عاليا
ومات الذي احيا الشعور وساقه الى المجد فاستحيا النفوس البواليا

*

ليت سعداً أقام حتى يرانا كيف نعلي على الاساس البنايا
قد كشفنا بهديه كل خاف وحسبنا لكل شيء حسابا
جحجح المطلين نمضي سراعاً مثلما نطلع الكؤوس الحبابا
حين قال (انتهيت) قلنا بدأنا نحمل العبء وحدنا والصعابا

واتسعت وطنية حافظ الصادقة ، وترامت الى ما وراء الافق المصري ، مدركاً قبل ثلاثين سنة ما رأينا نرمقه بعين الامل ونسعى الى تحقيقه بالتبادل الادبي وتعزيزه بالرحلة والاجتماع

ان يختلف نسب نؤلف بيننا أدب أقمناه مقام الوالد
(ابو تمام)

فكان قلم الشاعر في يده رابطة من روابط الجوار

هذي يدي عن بني مصر تصافحكم فصافحوها تصافح نفسها العرب

***

ايها المحفل الكريم اذا اجتمع لامة في قلم شاعر ، بوق للكفاح ، وحافز للكمال ، وصفحة متألقة من التاريخ ، ورابطة قوية من روابط الجوار ، كما اجتمع للامة المصرية الكريمة ، في قلم حافظ ، فقد فازت من الدهر باحدى فرائده ، اذ لا تتاح لكل امة في كل جيل مثل هذه الهبة العلوية

واذا وضعت الحرب اوزارها ، وامتد رواق السلام والطمأنينة ، يجب ان يتحول البوق مزماراً وينتقل من الميادين الى الخمائل وتبدل بألحان الطرب والرقص انغام الزحف والقتال

ولكننا ايها السادة مع حاجتنا الى شعر الجمال والطمأنينة والطرب على انواعه ، يجب ان نذكر ان الحرب التي شهد حافظ مرحلتها الاولى ، قد انتقلت من ميدان الى ميادين

والكم يا شعراء [illegible] الشعر [illegible] الشعور ، ما لا [illegible] عشرات المقالات فاعدوا لها اذا شئتم ان تكرموا حقاً هذا الراحل الكريم ولكم من ذكره العطر وأثره الحي ومن تقدير هذه الامة الوفية خير الجزاء فؤاد صروف



# غيو الشاعر

## او اشعار فيلسوف

لخليل هنداوي

---

# النبي : لبوشكين

أمير شعراء روسيا

عيو الشاعر او

# اشعار فيلسوف

## ١٨٥٤ — ١٨٨٨

[ الحال هداوى ]

لعل طبيعة هذا العبقري كانت حلبة عرسه في اباحها وحهودها الحباره ، اقترن فيها عمل الخيال والحقيقه والفلسفة والشعر ، ولعل هذا الاقتران سرٌ تحيه العبقريه ليدل على ان الشعر والفلسفة هما مادتان تنحدران من مهوى واحد وسعسان الى هدف واحد ولقد اقام « عيو » على دلك برهاناً واصحاً — برغم قصر عمره — وكأن جهوده الخفيه كانت تلح عليه في اتمام رسالته قبل ان يداهمه الموت وكدلك أدى رسالته الرائعه ، وكان كالقائد العلم الدى سادبه واحه هنا وهنالك وهنالك ، يرحف من مكان الى مكان ومن نظريه الى احتها ، ومن محث الى آحر .. قله في الفن نصيب ، وله في دراسات الدين نصيب ، وله في الاجتماع والاحلاق نصيب ، وله في عالم الشعر والخيال نصيب

نظم ديوانه « اشعار فيلسوف » في الرابعه والعشرين من عمره ، في سن التهاب الشعور وتأجج العاطفه ، ولكن عقله كان المهيمن على ديوانه ، فيه جملة اهواء وعواطف يتصرف بها العقل بهدوء، ولكل قطعة فكرتها السامية الفلسفيه، ولهذا اراك تبحث عن شعره اذا كنت تكره التفكير ، وهذا لا يمنعنا ان نقول ان شعره وان كان قليل الاجنحة كثيف الخيال ، تعوزه تلك الرقه الحالصه ، فهو مثال لشعر المفكر الذي يأخذ الفكره العميقة عاريه مجرده ، ويكسوها جناحين لتحلق بهما في عالم الجمال

يمثل « عيو » في ديوانه هذا روح الفلسفه الهائمة القلقه التي تهبط حينا وادى اليقين المطمئن ، وتهيم حيناً في شعاب الشك وهذه الروح — برغم قلقها — تدفع بقوه لا تعرف التردد الى ارتشاف جمال الوجود والاندماج فيه ، وتراها في سبيل هذا الاندماج لا تبالي الاخطار ولا تثنيها عن بغيتها شيء ومن ذا لا يشعر بذلك القلق الذى كان يدفع هذه النفس الى التنقيب في الجزر النائية والعوالم المجهولة ومن ذا لا يحس حنان هذه الروح التائهه التي تعود العوده الى وجودها الاول كما تعود قطره الندى الى الشمس وراء كل هذا الطموح فكره تدعو الى تضامن اجزاء

الكون واتحاد هذه الاجزاء حتى يصبح الوجود قيثاره واحده تتجاوب أوتارها وتتلائم ألحانها

يقول عيو في مقدمة ديوانه محللا مدرسته الشعريه « هنالك مدرستان في الشعر احداهما تتحرى عن حقيقة الفكره وصدق التأثر، وأمانه التعبير وبساطته، حتى ترى ان المؤلف قد استحال انساناً وفي هذه المدرسة لا ترى شعراً يخلو من فكره او عاطفة تظهر عليه والمدرسة الثانية ترى عكس ذلك، فقيمة الافكار وعمقها — عندها — مسأله تابعة للشعر، وروعة أخيلته وأوهامه لا ترتبط بالفلسفة ولا بالعلم، واما الشعر عندها لعبة خيال وأسلوب، وأكذوبه رقيقة لطيفة لا ينخدع بها أحد حتى الشاعر نفسه ألا ترى الممثل — لكي يؤثر في الناظرين ويخدعهم بحقيقه ذلك — تراه يغير صوته ويبالغ في حركاته، ويتجاوز الحد في التعبير عن عواطفه، وكذلك الأمر في الفنان عند من يرون « ان الفطنة او المكيده شرطاً ضروري للفن » وهم يريدون ان يكون الشاعر هو نفسه « يسمع قلبه »

ونحن لن نأخذ بهذا المذهب الثاني لانه يضحي بكل جد في الفن ونرى على عكس ذلك ان الوسيلة الوحيده لصيانة مقام الشعر ازاء العلم هي ان يطلب الحقيقة كما يطلبها العلم، ولكن بغير وسيلته وأسبابه، وعلى غير طرائقه واذا كان من حقهم ان يقولوا ان الشعر هو أدنى الى الحقيقة من التاريخ أفلا يمكن ان يكون اكثر فلسفه من الفلسفة ذاتها ؟

قد يعترض علينا معترض بأن المسائل المجرده للفلسفة والعلم الحديث لم توضع بلغة شعرية، فنجيبه بأن الفلسفة — من نواح عديده — تمس الاشياء الاكثر لمساً وأكثر ما هو أشد قبولا للتأثير لانها تصبح اذ ذاك عقده وجودنا نفسه ومسألة مقاديرنا وحظوظنا والفلسفة في عصرنا هذا تريد ان تحل محل الدين الذي كان يمد الشعر ينابيع مختلفة، على ان لغة الفلسفة لا تنوء في الحقيقة باحتمال الشعر الا حينما تغدو مجردة ضيقة ولكنها اذ ذاك قد يكون خسارها اكثر من ربحها فأعمق المعاني تحمله في العالم ألفاظ بسيطة وهذه الالفاظ، في استطاعة الشاعر ان يستعملها فيتصرف بها كما يريد التأثير وبدلا من ان ينفي العاطفه عن شعره يحيطها بالفكرة الفلسفية وهذا النوع من التأثر الصادق الذي يرافق الفكرة الفلسفة هو ما نريد ان نهيمن على هذا الديوان فاترى هل خدعنا ؟ ولكن هل يمكن ان يكون شيء اقوى من الحقيقة والصدق ؟ او انا نزعم كل ما تمسنا لم ندرك شيئاً ؟ القارىء وحده سيحكم ! »

وكذلك نشر « غيو » ديوانه سنة ١٨٨٠ وقامت له الاندية الادبية وقعدت، وكتب اليه « س » بعد ان هنأه « ان رأيي في عمق الفكرة كرأيك » وكتب اليه « سنسر » « وعلى الرغم من اني لا استطيع ان انظر الى اسلوبه الشعري واخيلته فاني استطيع ان اراه من حيث نتائجه الادبية والفلسفية ، اني معجب بتركيب افكارك وعواطفك » ورأى فيه « ستارسمت » علامة من علامات الشعر الخالد انه لا يفقد قيمة افكاره بالنقل ، وناقشه « كفيلسوف مثالي » يقول بالمثل الاعلى ، على ان الفكرة ليست كما يزعم « غيو » بأنها « زهرة صفاء ، وزبد خفيف من امواج صفاء » وان الفكرة ذات قيمة خاصة وتأثير في الكون [1]

---

مختارات من شعر « غيو »

— ١ —

رحلة سعيدة !

لما كنت طفلا كنت احلم بالاسفار
وبالرحلات عبر البحار
وتحت ناظري الحالم كانت تخطر شواطئ جميلة
نائية على الاوقيانوس في ضباب الصحراء

اردت [illegible] ان امشي ، وان اعمل ، وان اعرس حياتي ، لكن [illegible]
واذا مر [illegible] الصبا ، سعيد بالالام
[illegible] قواي المضطربة التي احسها في [illegible] تجرى [illegible]

وحينذاك فتح يوماً لناظري أفق اكثر حلاوة واشد امعانا في الهرب من هذه المرافئ الجميلة النائية على ارض مجهولة ، حيث كانت تحملني اليها احلامي

---

(١) هذه كله موجزة لآرائها كاملة في توضيح هذه الشخصية وقد آثرت تلخيص مذهبه ونظرياته الفنية في المقالات التي نشرها تحت عنوان « النظريات الذهبية »

حيل الي انى ارى الحقيقة المديدة المرّ
واحسست ان رجاء لا نهاية له يعرو قلبي
فسبتُ — نه — كل فكره انسانية ، لاقفى في اللال فسبها الالهى

مشت طويلا ، واوعد الخالد بسم لي دائماً في اعماق السماء الصافية
مشيت ، وعلى حبيبى كاس فتوتي شاحبة ، ولكن املى كان سمو مع الألم
فما ان الالم ميم قمة الانسان .
فدعوت الالم دون وحل ليلك على جسدى المنهوك
انتها الحقيقة ! اريد ان اكون جديراً بك !

مضت الايام وجريت في احلامي ،
والافق الذي كان منيراً قد اظلمت نواحيه
و فقدت حماستي و نشاطي والايمان الذي يرفعي و يسمو بي
اصبحت منهوك القوى ، والرجاء في قلبي دوى

والآن ماذا بقي لي ؟
هل احمل من النجوم المعبوره عصاً مترعاً او حطاماً ، او زهرة تعلق بها
عي ، وافكارى تعود تجد شعاعاً من الايام الداهنة ؟

لا ! أأس ثمه نعيم تستريح اليه النفس،
فالسماوات باقيه على صمتها القدسي ،
ولكن — من اللانهايه العائمه — احسست شيئاً يدخل في قلبى النشوان
فدميه !

---

— ٢ —

**الفكره**

ايها الرسم النورانى الهائم
الذى بسم و دخل في نفسي ،
ايها الكأس المحنح ، الذى لا ستقر له جناح !
ايها الفكر المتحرك اهدأ !

ما أنت ؟ لا أدري ، وأراني انتظرك بالأمل ،
فالى أي مدى تستطيع نورك الغامض كشف الخفية ؟
ربما كنت تحمل عالماً ، وربما كنت الحقيقة !

اراني شاحب اللون اراءك
من خوف ومن رجاء معاً
فما عسى ان يكون سرك ؟
بل ارتعش حين احاول أن أقبض عليك
وجودي كله يخفق ويحيا لنظرتك العميقة
فلماذا تطير عني سريعاً ، وتتوارى عن قلبي ؟

لا مفر ! ايها الفكر الخالد .
سعيد من يستطيع ان يستبقيك !
وسعيد من يطير على جناحيك ،
الى أعمق ما في الغد ..

— ٣ —

الاقاصيص

وكانت اشجار السنديان الجرداء تمد اذرعها لريح الشمال
ولا يزال زعزع العاصفة يصفر في الجو
وفوق رؤوسنا تتوثب الغيوم المجنونة كطيور جرحها بأسرها الريح
مشينا نحن مقوسي الظهور ، حاملين فوق رؤوسنا التي ناءت بأعباء الفكر
وامام اعيننا بين الطريق وعره كالجداء ، وهي مثلها لا تنتهي
وكنا نصعد دائماً
وفجأة لاح من الغمام المفتح لنا من الاعالي شعاع انار لنا البرية القفراء كأنه سقط على قلبنا
وفي هذه اللحظة القصيرة كم رعشة انسابت من الطبيعة النائمة ، ومن الاشياء الى انفسنا
وارى ناظرنا كل شيء قد اختلف واشتد وتبسم ، وشعرنا بأنفسنا بأن رقة
عربية تسلل فينا وخيل الينا ان السأم والالم هربان من هذه الفجوة التي فتحها الشعاع
واحسست اني اصبحت اكثر قوة وأملا
وسألت نفسي « اية قوة غريبة تفيض علينا بعدها » !

ان شعاعة شمس تستطيع اذاً ان تبدل قلبا ، و الفكر الانساني الذي يقوده الصدف حتى العالم يقوده اصبح لا يملك نفسه أل بي عقلا شبيهاً بهذه الشجرات التي يهزها الريح ، ولا تدري من أمرها الا الانحناء للريح !

اني غير قادر — ما دام قلبي يخفق — على ان أدخل فيه في لحظة ما فرحا أو ألماً ، بل أراني لست حاكما على دموعي !

بلى ! لكي تقطر دمعة من عيني ، او تتولد بسمة مني ، يجب ان ترضى عن ذلك هذه الرغبة المتقلبة ويبغي لشقائي وفرحي ان يكون في جو العالم الفسيح دمعة خرساء وشعاعه تحيب ؟

كنت أنفر من شعوري بضآلتي في هذه الحياة

وغير قادر على حبس نفسي في نفسي

وحيداً مع فكرتي ، حراً كاله

ثم قلت لنفسي « لماذا هذه الكبرياء ؟ ان قصيدة أبدية تمر وتحيا في الوجود أنا مقطع من مقاطعها ، او كلمة ، ولم أصر بيتاً من أبياتها

وما هي اذا وجدت رقه تسكرني في هذا النشيد الالهي الذي يحملني ؟

أزن مع هذا « الكل » وما عسى يحدثني ان أسمع هذه الكلمة العذبة الحرية !

اني أوثر عليها كلمة اخرى هي التضامن !

انها مساعدة بعضنا بعضاً ولحن متحد هكذا تحلى الحياة في نفسي

وجميل جداً الشعور بهذه الكائنات ترتعش معاً في هذه الوحدة الواسعة ،

كما يرى في الشعاع الواحد اضطراب الذرات الذهبية الساطعة في النور

انا لا املك لي نفسي ، وكل كائن لا شيء دون الكل ، ولا شيء لوحده

ولكن الطبيعة كلها تزن له في كل كائن . وعلى حضنها الفسيح تتحد جميع الكائنات متآلفة متساوية

اني لاكاد احس الورد يتفتح في قلبي

واشعر مع الفراشة اني ألثم الزهرة

وليس هنالك جهود منفردة ، ولا لذائذ دانية

فالكل متآلف متماسك ، يركض الهم والسرور من كون الى كون

وكونك هو كوني ، وكوني كونك

واريد ان يكون كونكم جميعاً كوني !

وان يكون سعادتي مشيده على سعادة الكل

وان احمل في قلبي المتمدد — ولو تمزق — كل الانسانية

على ان فرحاً اكثر عمقاً واكثر سعه يحمل الى انه آت
حيث لا يقدر احد ان يطرب او يتألم وحده
حيث كل شيء يتآلف ويمتزج من طرب وشقاء وفكر
حيث يتجاوب في النفس معيداً صدى أبدى !
وهكذا تؤلف جميع الناس بأيديهم المتصافحه سلسلة طويلة ، كل حلقة خافقة حية فيها لا تسطر الى اختها اذا ضربت الا باهتزاز
لان الالم يكل حده — حين يجمع بين القلوب —
ويرفعها بخفقة واحدة ، واذ ذاك يصبح رقيقاً كالرأفة ، شفيقاً كالرحمة
لتسع اذاً ولتتفتح قلوبنا لكل هزه من هذا الكون الفسيح ،
ولنيل نصيبنا من كل الآلام التي تهز اثقالها الكائنات المتمرده
ولنطلب نصيبنا من اللمعات البعيده التي تنشر عليها كالآمال
هادمين اخيراً بأنفسنا هذا السد الابدى — سدّ الذاتية —
عاكسين في انفسنا كل شعاع يصعد من الارض ، او ينحدر من السماء !
ولنكن من الطبيعة كلها عينها الصافيه

— ٤ —

## الموت الجميل

هنالك ورقة خلال رقادها في الليل ، تحدرت عليها قطره من ندى لثت بمحاه من الشمس
قالت اما هنالك شعاع فان يحرقني ، فأرى النهار اذ تيقظ !
خرجت من بين الورق فاخره الطل وقد سطعت الشمس لعينيها
فماتت نورها وصعدت قطره بخار خفيفه على جناح شعاع الى السماء
انا كهذه القطره الخفيفه ، اناديك ايها النور اتخرج من فضائك العميق
لقد ملأت الطل الابدى وحدي لمعانك ايها النور ، فليوقد صفاؤك في قلبي الحب الهي وايماني هما انت !
ايتها الحقيقة اريد ان أسه تحت شعاعك الطافح !
الحقيقة كما ادرى — تؤلم وشاهده الحقيقه قد تكون هي الموت ؟
ولكن ما هي ؟ أنتها العين انظرى !

من الشعر الروسي

# النبي : ابو شكين

## ١٧٩٩ - ١٨٣٧

سرتُ والنفس ظامئة ، متعثراً في قفر ٍ قاتم ٍ ،
ورأيت ملكا ذا ستة اجنحة حيث يلتقي الطريقان ويفترقان
التقى بأصابعه على عينيّ ، وكان لمسهُ رفيقاً كالنوم
ففتحت عيناي ، وكأنهما عقاب هرّت الصخرة تحتها ،
والتقى بأصابعه على أذنيّ ، فارتفع الصوت فيهما صيحة بعد صيحة
فسمعت الاجرام تدور وتصدح ، والملائكة تجرُّ أذيالها في الفضاء
والوحوش تتحرك في الاغوار ، والكرمة تعرش في الوادي

واستلَّ الملك لساني الخاطيء من فمي
وبيده محا كل ما ثرثرت به من الاقوال الفاسده
ثم التقى بيده الملطخة بالدم لسان الحية الحكيمه مكانهُ
ثم شق صدري بسيف ونزع القلب الخافق لهُ
ووضع محلّهُ في حشاي الدامي فحمه متأججه النار
فاستلقيت في ذلك القفر كأنه من التراب لاحياة فيها
وسمعت صوت الله
« انهض ايها النبي ، راقب واصغ ، واحترم امرك مشيئتي »
« طف بالبحار البر ، وجوّل في الطرقات المظلمة »
« واشعل النار في قلوب الناس ، بكلمتي » !




## خريطة العالم

كيف تبدلت بعد الحرب الكبرى

للأستاذ رمزي ميور

## اوستن تشمبرلين

# خريطة العالم

## كيف تبدلت بعد الحرب الكبرى (١)

**للاستاذ رمزي ميور**

### ١ — خريطة اوربا الجديدة

بقي لنا ان ننتقل من الكلام على الشروط الأدبية في المعاهدة — وهي الشروط التي لا بدّ ان تكون لحسن الحظ موقوتة قصيرة الأجل — الى الكلام على التعديلات السياسة الكبرى التي يحتمل ان تكون أبقى من الاولى وأدوم

لقد كان على الدول التي تولت وضع التسوية ان ترسم خريطة جديدة لجزء كبير من أوربا، لأن ألمانيا وتركيا قد دهمت ريحهما ، والامبراطورية النمساوية قد تصدعت أركانها ، والدولة الروسية قد انفصلت عنها ولاياتها الغربية . ولبثت تنتظر أن يوضع لها نظام حكم جديد ولذلك كانت التغيرات التي حدثت وقتئذٍ أعظم من كل ما تمّ في أية معاهدة أخرى في التاريخ الحديث ، لا نستثني من هذا التعميم ما أحدثتهُ حروب نابليون من تعديلات سياسية واسعة النطاق لكنها قصيرة الاجل واتخذت الدول رائدها في رسم الخريطة الجديدة مبدأ القوميه ، وحاولت جهدها ان تجعل حدود الدول منطبقة على حدود الأمم ، فتمّ ذلك التطوّر الذي كان في خلال القرون التسعة الأخيرة يعمل بالتدريج ومن غير قصد واضح على تشكيل خريطة أوربا السياسة على أسس قومية واتُخذت اللغة في معظم الأحيان أساساً للقومية ، وان كان التاريخ قد دل في أحوال كثيرة على ان وحدة اللغة لا تقوم دليلاً على وحدة الشعور الذي هو أساس القومية على ان هذا المبدأ لم يتبع في كل الاحوال

في شرق أوربا بقاع واسعة تختلط فيها اللغات اختلاطاً شديداً يظهر لكل من يطلع على خريطة اللغات ، وقد بلغ من اختلاطها أن احتاطت الدول احتياطاً خاصًّا لحماية الأقليات في هذه البقاع ، فوضعت لذلك عدّة معاهدات ضمنت تنفيذها عصبة الامم وكانت القرارات الخاصة بذلك الجزء من أوربا بصفة عامة مجحفة بدول الاعداء السابقين فقد عينت الحدود بين

---

(١) هذا المقال خاص من فصل « التسوية الى اعقبت الحرب » في كتاب « النتائج السياسية للحرب الكبرى » تأليف رمزي ميور استاذ التاريخ الحديث بجامعة منشستر سابقاً وترجمة محمد بدران ناظر مدرسة سيا فادن الابتدائية ونشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ننقله هنا لتكون لقرائنا بمثابة سند في كل ما يقال عن تقسيم الحدود الاوربية والمطالبة بالمستعمرات ونشير على قرائنا باقتناء هذا الكتاب لما فيه من فصول بين الزمان

ألمانيا وبولندا بحيث ترك تحت حكم الدولة الأخيرة مليونان ونصف مليون من الألمان، ووصلت ولاية روسيا الشرقية الألمانية عن بقية ألمانيا وأحيطت من معظم نواحيها بأراضي بولندية، وأصبح ثلث أهل المجر لحكم رومانيا ويوغسلافيا وتشكوسلوفاكيا، وأصبح النمساويون الألمان محصورين في حدود ضيقة، لا بني بلادهم بحاجة عاصمتهم الكبيرة مدينة فينا ومع ذلك فقد حرم عليهم ماتاً ان ينضموا الى جيرانهم الالمان لكيلا تقوى ألمانيا باتحادهم معها، وان كان انضمام الشعبين تطابق مبدأ القومية وكذلك أخضع عدد كبير منهم في إقليم الترنت Trent لحكم ايطاليا لتعزز مركزها في الشمال، ولم توضع لحمايته هؤلاء الرعايا الايطاليين الجدد معاهدة أقليات، لان ايطاليا دولة كبرى، مع ان الحوادث قد دلت على انهُ ليس في أوربا كلها طائفة هي أحوج منهم الى هذه الحماية

كذلك أُهمل مبدأ القومية القائم على أساس اللغة في حالة الألزاس واللورين فقد أعيدت هاتان الولايتان الى فرنسا بحجة قوية هي أن عواطفهما فرنسية وإن كانت اللغة السائدة فيهما هي الالمانية وكان ذلك اعترافاً بأن اللغة وحدها ليست أساساً كافياً للقومية

ومدت حدود بولندا إلى ما وراء البلاد التي تتكلم اهلها اللغة البولندية، وكانت حجة واضعي التسوية ان هذه الاراضي الزائدة كانت جزءاً من بولندا القديمة قبل تقسيمها في القرن الثامن عشر لكن الرغبة في تقوية بولندا لتكون حصناً يقيهم شر ألمانيا من جهة وشر روسيا من جهة اخرى، قد تكون لها أثر في هذا القرار ومهما يكن سببهُ فقد سويت حدود بولندا من الشرق بنزول الروسيا عن بعض املاكها، واكتفت معاهدة الصلح بتحديد التخوم الغربية

واخذت آراء السكان لتقرير مصيرهم في حالات قليلة، منها اقليم شلزويج الذي يتكلم اهله اللغة الدنمركية، وفي الجزء الجنوبي من روسيا الشرقية وجزء من روسيا الغربية، وفي سليزيا الجنوبية وإقليم تشن Teschen الصغير وكانت نتيجة الاستفتاء في شلزويج أن قسمت المقاطعة التي هي موضوع النزاع تقسيماً معقولاً بين الدنمرك وألمانيا أما في روسيا الشرقية فكانت الاغلبية الساحقة في جانب ألمانيا، وأجري الاستفتاء في سليزيا الجنوبية عام ١٩٢ تحت إشراف عصبة الامم، فكانت النتيجة ان قسم بين بولندا وألمانيا إقليم غني بالفحم، تكون من الوجهة الاقتصادية وحدة متماسكة، وإن اختلفت لغة أهله، ولذلك وضعت قيود شديدة لمنع اضطراب الإنتاج في هذا الإقليم

وكانت نتيجة هذه التغيرات كلها ان اختفت وحدات سياسة قديمة من خريطة اوربا، أو بقيت بصورة مصغرة، وان ظهرت في عالم الوجود وحدات جديدة لتضطلع بدورها على مسرح السياسة في المستقبل



الاوقيانوس
الاتلنتيكى
روسيا
سيبريا
اوقرانيا
بولونيا
المانيا
رومانيا
بلغاريا
البحر الاسود
آسيا الصغرى
سوريا
العراق
اسبانيا
مراكش
البحر الابيض

خسرت المانيا بذلك كثيراً من بلادها في الشرق والغرب ، ففي الغرب خسرت إقليمي الالزاس واللورين الغنيين ، وإقليمي يوبن وملميدي Eupen & Malmedy الصغيرين اللذين ضما إلى بلجكا وجزءًا من شلزويج ضم الى الدنمرك ، وفقدت في الشرق اقليم روسيا الغربية الواسع الرقعة الخصب التربة ، وسلخت منها بوزن Posen وجزء من سليزيا لكن المانيا رغم ذلك بقيت امة يزيد عددها على ستين مليوناً من الانفس اي اكثر دول اوربا سكاناً اذا استثنينا الروسيا ، وأعظمها كلها نشاطاً وقوة بلا استثناء ، ولا يمكن ان تبقى هذه الامة الى الابد ذليلة مهيضة الجناح

واما امبراطورية النمسا والمجر ، التي ظلت دولة من دول اوربا العظمى منذ القرن السادس عشر ، فقد محيت من خريطة اوربا من حيث هي وحدة سياسية ، واصبحت النمسا والمجر كلتاهما دولة صغرى داخلية لا منفذ لها على البحر ، وفي الدرجة الثالثة من خطر الشأن تحيط بها دول اكبر منها تحقد عليها وتسيطر على الجزء الاكبر من بلاد الامبراطورية القديمة . وفصلت الاقاليم الغنية المحيطة بفينا وبودابست عن هاتين العاصمتين العظيمتين اللتين كانتا مركزيهما المالي والتجاري فأصبحتا بعد هذا الانفصال مهددتين بالخراب

وأخرجت الامبراطورية التركية من اوربا او كادت ، اذ لم يبق لها إلاَّ إقليم صغير خلف الاستانة وشبه جزيرة غليبولي ، وذلك بعد ان بقيت هذه الامبراطوريه في اوربا خمسة قرون ، كانت تعد فيها من كبريات الدول ولو استطاع الذين وضعوا شروط الصلح ان ينالوا بغيتهم ، لأخرجوا تركيا من اوربا بقضها وقضيضها ، ولجعلوها دولة اسيوية صغرى ولقد كان من شروط معاهدة سفر التي قضى عليها في مهدها ان توضع الاستانة والمضيقان تحت إشراف عصبة الأمم ، وهو تدبير مرغوب فيه كل الرغبة لكن الاتراك نهضوا نهضة جديدة وانبردوا فوتهم الحربية في عامي ١٩٢١ ، ١٩٢٢ ، وقضوا على ما كان يراد بهم وتركت معاهدة لوزان الاستانة والمضيقين تحت سيادتهم ، بشرط ان تجرد المنطقة من السلاح وان تضمن سلامتها عصبة الأمم وخسرت تركيا ايضاً معظم املاكها في آسيا ، وسنتكلم عليها عند الكلام على التغيرات التي حدثت في خارج أوربا

وفقدت الروسيا كل ما كسبته في أوربا من أيام بطرس الأكبر ، وحال بينها وبين البحر البلطي (بلطيق) خروج ولايات هذا البحر وفنلندا من يدها ، ولم يبق لها اتصال بالبحار الاوربية الا بالبحر الاسود الذي يكاد يكون بحراً داخليًّا مغلقاً وكذلك أصبح اتصالها بأوربا الغربية متعذراً بعد انفصال بولندا عنها ، وأصبحت في أعين الدول الاوربية دولة مسودة طريدة ويكون من فنلندة Finland والدول البلطية الجديدة وبولندا ورومانيا سلسلة متصلة الحلقات تفصلها عن الحضارة الغربية وكل هذه الدول تنظر الى الروسيا نظر الخوف والرعب

وأقيمت على انقاض هذه الامبراطوريات المتهدمة عدة دول جديدة وضمت بعض بلادها الى دول قديمة ، فاتسعت رقعتها وزاد عامرها وعلت كلمتها في الشؤون الدوليه

وكان أهم الدول الجديدة بولندا وتشكوسلوفاكيا ( بوهيميا ) ، وقد استمدت هاتان الا ... لتان قوتهما من تقاليد قومية تليدة ، فصارت بولندا لا تقصر كثيراً عن أقوى الدول الاوربيه من حيث المساحة وعدد السكان ، وان لم تضارعها في مقدرتها الاقتصادية بلغت مساحتها ر ٣٨ كيلو متر مربع (اي أكبر من مساحة إيطاليا) وبلغ عدد سكانها ٢٩ مليوناً من الأنفس أما تشكوسلوفاكيا ، التي تبلغ مساحتها ٠ر ١٤ كيلو متر مربع والتي تبلغ سكانها ثلاثة عشر مليوناً ونصف مليون ، فكانت من أرقى الدول الصناعيه ، ومن الدول الجديدة هي فنلندا واستونيا ولتفيا ولتوانيا وكلها اقل شأناً من الدولتين الاوليين

ومن اعظم الدول التي علا شأنها بعد الحرب رومانيا ويوغسلافيا Jugo Slavia ، اللتان كانتا من قبل دولتين صغيرتين متأخرتين من دول البلقان ، لكن رومانيا بعد الحرب بلغت مساحتها ٣٠٠ر كيلو متر مربع تقريباً ( اي اكبر من مساحة بريطانيا العظمى ) ، وبلغ سكانها سبعة عشر مليوناً ونصف مليون وتكونت يوغوسلافيا ( او مملكة الصرب والكروات والسلوفين كما هو اسمها الرسمي الصحيح ) من بلاد الصقالبة ( Slavonic ) الجنوبية التي كانت تابعة للامبراطورية النمساوية ، ومن مملكة الصرب الصغيرة ، فصارت مساحتها ٠٠ر ٢٥ كيلو متر مربع ( اي اكبر من مساحة بريطانيا العظمى ) وبلغ سكانها اثني عشر مليوناً ونصف مليون وأخذت معظم البلاد التي ضمت الى هاتين الدولتين الجديدتين ، والتي زادت فيهما زيادة كبيرة عظيمة ، من إمبراطورية النمسا والمجر ، وهي اعظم ثروة وأرقى ... من بلاد الدولتين الا ... ، وكان هذا منشأ متاعب خطيرة لها ولذلك ... كلتا الدولتين معاهدة لحماية الاقليات وكانت اليونان ثالثة الدول التي ... بعد الحرب وقد ضمت اليها بلاد واسعة اهمها جزائر بحر ايجه الشرقي الجميلة وزاد سكانها زيادة كبرى حينما انتقل اليها آلاف من الاغريق اللاجئين من بلاد تركيا ، فأصبحت مساحتها ٢٧٠ر كيلو متر مربع وزاد سكانها الى ستة ملايين ونصف مليون

## ٢ — نتائج سياسية واقتصادية

تلك هي خريطة اوربا الجديدة بوجه عام فماذا كان اثرها ؟ اول ما يذكر انها تمثل انتصار مبدأ القومية انتصاراً نهائياً ، فقد اصبحت جميع الدول الاوربية دولا قومية وقد دل التاريخ على ان حدود الدول القومية هي اثبت الحدود وأدومها ، ولذلك يحق لنا ان نأمل ان سبباً من اهم اسباب القلق والاضطراب في اوربا قد قضي عليه ، بصرف النظر عما ارتكب من اخطاء

لكن انتصار مبدأ القومية على هذا النحو قد خرج عن حد الاعتدال ، فقد تركت له السيطرة الكاملة على جميع الشؤون الاقتصادية والحربية ، وعد من البديهيات ان لكل دولة ذات سيادة الحرية المطلقة في تقدير رسومها الجمركية ، وارادت الدول الجديدة ان تحقق ذلك الغرض الخداع وهو الاكتفاء بالنفس ، فأخذت تعمل للوصول اليه باقامة الحواجز الجمركية العالية ولما كانت الحدود السياسية الجديدة قد قطعت المسالك التجارية القديمة ، فإن هذه الحواجز ضاعفت النفقات القائمة في سبيل التجارة الدولية حينما كانت في اشد الحاجة الى الانتعاش ، واخذت هذه الحواجز تزداد وتشتد عما كانت عليه قبل الحرب ، حتى جعلت انتعاش اوربا وخروجها من الاضطراب الاقتصادي الذي سببته الحرب بطيئاً جداً

اما من الوجهة الحربية فان الآثار التي ترتبت على انتصار مبدأ القومية انتصاراً كاملاً كانت اكثر وبالاً من الآثار الاقتصادية ، ذلك بأن احداً لم يفكر حتى في تحديد قوات الدول الجديدة ، في الوقت الذي ارغمت فيه الدول المغلوبة على تخفيض قواتها الى اقصى حد ، وعلى الغاء نظام التجنيد الاجباري ولذلك قررت الدول الجديدة نظام التجنيد الاجباري ، وأنشأت لها جيوشاً جرارة في الوقت الذي خفض فيه الجيش الالماني ، وبقيت جيوش الدول الاخرى بعد الحرب كما كانت قبلها ، اي كما كانت حينما بلغت المنافسة في التسليح غايتها وبذلك اصبح واجب نزع السلاح الذي يلقى على عاتق عصبة الامم اشق مما كان يجب ان يكون

ومن اكبر دواعي القلق ما كان يبدو من رغبة الدول في العودة الى ذلك النظام الفاسد القديم نظام التحالف ذلك بأن الحرب قد خلفت وراءها كثيراً من المخاوف والاحقاد ، فلم تكن الامم حينئذٍ مستعدة لان تعهد بسلامتها الى عصبة الامم ، لأنها كانت تخشى ان تعمد أعداؤها المهزومون الى الانتقام لأنفسهم ، ولذلك عادت الى الاساليب الخطرة القديمة اساليب الأحلاف الدفاعية كانت فرنسا تساورها المخاوف من انتقام المانيا (كما كانت المانيا تخشى انتقام فرنسا بعد عام ١٨٧) ، ولذلك اصرت على الاحتفاظ بجيش كبير يمكنها من ان تفيء في ميدان القتال في وقت قصير مليونين من الجند كاملي العدة ولم تكتف بذلك بل وثقت صلاتها ببولندا وتشكوسلوفاكيا جارتي المانيا من الشرق والجنوب ، وان لم ترتبط معهما بحلف رسمي ، وأعارتهما ضباطها لدربوا وهما على تنظيم جيوشهما وكذلك فعلت الدول « الوارثة » وهي التي ورثت معظم املاك الامبراطورية النمساوية القديمة ، فانها لخوفها من انتعاش دولة المجر المحطمة كونت حلفاً دفاعياً قبل ان يجف المداد الذي كتبت به معاهدات الصلح وسمي هذا الحلف بالحلف الصغير ، وضم تشكوسلوفاكيا ورومانيا ويوغوسلافيا وفي هذا دليل كاف على ان لواء السلم الحقيقي لم يخفق على اوربا عندما وقعت معاهدات الصلح

وكان من اهم النتائج التي اسفر عنها التقسيم الجديد نتيجة لم يدرك كنهها حق الادراك وقتئذ، وهي ان هذا التقسيم قد احدث تغييراً كبيراً في التوازن الدولي بين البلاد الاوربية، وقلل كثيراً من تفوق الدول الكبرى لقد كان في اوربا قبل الحرب ست دول عظمى يزيد سكان كل منها على ثلاثين مليوناً، وهي بريطانيا العظمى، وفرنسا، والمانيا، والنمسا والمجر، وايطاليا، والروسيا، اما غيرها من الدول فلم يكن يسكنها اكثر من عشرة ملايين إلا أسبانيا التي يبلغ اهلها عشرين مليوناً وكان ثمة خمس دول سكانها بين مليون وخمسة ملايين وعشرة، وست دول بين مليون وخمسة ملايين وثلاث سكانها اقل من مليون

لكن هذه الحال قد تغيرت كل التغير بعد التقسيم الجديد، فنقص عدد الدول العظمى من ست الى اربع لان دولة النمسا والمجر محيت من خريطة اوربا، ولان الروسيا أخرجت نفسها ولو الى حين من اسرة الدول الاوربية اما الدول الثانوية التي تتراوح تعداد سكانها بين عشرة ملايين وثلاثين مليوناً، فزادت من واحدة الى خمس، وهي اسبانيا وبولندا ورومانيا وتشكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وزادعدد الدول التي تتفاوت سكانها بين خمسة ملايين وعشرة من خمس الى ثمان، والتي بين مليون وخمسة ملايين زادت من ست الى ثمان، وبلغ عدد الدول المستقلة في اوربا تسعاً وعشرين دولة بعد ان كانت اثنين وعشرين، ولم تعد هناك ذلك البون الشاسع بين كبار الدول وصغارها كما كانت الحال في القرن التاسع عشر ومعنى هذا ان ما كان للدول العظمى في قديم الزمن من سيطرة وسلطان قد زال، وكان تكوين العصبة في حد ذاته دليلاً على هذا الزوال

واهم من ذلك ان معظم الدول المنظمة في خارج اوربا من الصين الى بيرو ايقنت ان مصيرها مرتبط بشؤون اوربا، ولذلك بدأت تضطلع بدور هام في الشؤون العالمية، بعد ان اشتركت في الحرب وفي مؤتمر الصلح لم يكن في خارج اوربا دول كبرى قبل الحرب الا الولايات المتحدة واليابان، اما بعدها فقد اخذت اكثر من عشرين دولة من غير دول اوربا تطالب بحقها في ان يكون لها رأي في الشؤون الدولية ومن هذه الدول اثنتان ( الهند والصين ) تفوقان كثيراً اعظم الدول الكبرى اذا عددنا اساس التفوق ذلك الاساس العرفي السالف الذكر وهو تعداد السكان لكن هاتين الدولتين لاسباب عدة لا يقام لهما وزن كبير في الشؤون الدولية وثمة دولة اخرى غير اوربية (البرازيل) اصبحت في المقام الثاني بين الدول «المعطف والارجنتين من هذا الفصل»، وتسع اصبحت في المرتبة الثالثة، وثمان في الرابعة، اما سائر الدول فدويلات عديمة الشأن

وهذه الحقائق تنبيء بافتتاح عهد جديد في العلاقات الدولية يدل عليه انشاء عصبة الامم لقد كانت هناك ذكتاتورية أوربية تسيطر على الجزء الأكبر من العالم، وتمثلها طائفة من الدول الكبرى ترتاب كل منها في نيات الاخرى هذا النظام اخذ يحل محله بالتدريج نظام عالمي ليس

لأوربا فيه ما كان لها من شأن في الاربعة القرون السابقة ، ولا بد فيه للدول العظمى في أوربا وخارجها ان توطن نفسها على الاشتراك والتشاور مع غيرها من الدول

### ٣ — التغيرات التي حدثت في خارج اوربا

لقد سببت الحرب الكبرى أو عجلت حدوث تغيرات هامة في خارج أوربا ، لكن اهم هذه التغيرات حدث بالتدريج وبطريقة غير مباشرة ،ولم ينص عليه في معاهدات الصلح ، وهذه سنحاول بحثها في فصل آخر . اما هنا فسنبحث النتائج التي اسفر عنها مؤتمر الصلح . أهم تلك النتائج ان المانيا انتزعت منها كل مستعمراتها واقتسمتها الدول المنتصرة ، وان تركيا فقدت معظم املاكها الآسيوية التي ظلت خاضعة لسلطانها منذ القرن السادس عشر ، وان دولاً شبه قومية تحت حماية بريطانيا وفرنسا تكونت في الجنوب الغربي من آسيا

وانتقلت هذه البلاد الى الدول المنتصرة بالاتفاق فيما بينها ، لكنَّ انتقال يختلف عما كان يحدث في الماضي عقب الفتوح والانتصارات . ذلك ان الدول الغالبة انتدبت لتدبير هذه الاملاك الجديدة نيابة عن عصبة الامم ، وظلت اشراف العصبة على هذه الادارة . وقُسمت الانتدابات ثلاثة اقسام مختلفة . اولها الانتداب الخاص بالبلاد التي يرجى أن تصبح دولاً مستقلة قائمة بنفسها على مرّ الزمان ، وهذه هي البلاد التي سلخت من تركيا . وثانيها الخاص بالاقاليم التي يسكنها اقوام معظمهم متأخرون في حاجة الى الوصاية الى أجل غير مسمى ، ومثلها اقاليم افريقية الاستوائية . والنوع الثالث هو الخاص بالاقاليم التي يرجى ان تضم في يوم من الايام الى الدول المجاورة لها وان تكون مساوية لها في المنزلة ، ومثلها جنوب افريقية الغربي الذي يحتمل أن تصبح في آخر الامر جزءاً من افريقية الجنوبية المتحدة

بهذه الطريقة قسمت المستعمرات الالمانية بين فرنسا وبريطانيا العظمى والاملاك البريطانية المستقلة واليابان ، على ان يراعى في حكمها هذه الانواع من الانتداب ، فاستولت فرنسا على المستعمرتين الواقعتين في وسط املاكها الافريقية وهما مستعمرة الكمرون ( Cameroon ) الواسعة ، ومستعمرة توجولند الصغيرة ( Togoland ) بعد ان ضم منهما اجزاء الى مستعمرتي نيجريا ( Nigeria ) وساحل الذهب ( Gold Coast ) البريطانيتين

واستولت بريطانيا على اهم مستعمرات المانيا وهي بلاد تنجنيقا ( Tanganyika ) التي يمكن ضمها الى المستعمرات المجاورة — كينيا ( Kenya ) وأوغنده ( Uganda ) ونياسالند ( Nyasaland ) — لتتكون منها كلها مستعمرة كبرى في شرق افريقية . واعطيت بلجيكا جزءاً صغيراً من شرقيها لتعدل حدود املاكها الواسعة في بلاد الكونغو . وأعطيت استراليا غانة الجديدة ( New Guinea ) الالمانية وأرخبيل بسمارك ( Bismarck ) وضمت الجزائر الالمانية

في المحيط الهادي الجنوبي الى ويلندة الجديدة ، بعد ان نزلت لها بريطانيا عن معظم جزائر هذا المحيط وأخذت اليابان الجزائر الالمانية في المحيط الهادي الشمالي كما اخذت ولاية كيوتشو ( Kiao Chio ) الصينية وكان استيلاء اليابان على كيوتشو مضافاً الى ما انتزعته من الامتيازات في الصين اثناء الحرب بدءاً بجعل اليابان الدولة المسيطرة على تلك البلاد . لكن هذه السيطرة قد نشأ عنها متاعب جمة ادت الى تعديلها فيما بعد

ولم يكن تبديل السيادة على هذه الاملاك ليختلف في معناه عن المساومات الكثيرة التي كانت تحدث بين الدول الاوربية بعد ما اقتسمت افريقية وجزائر المحيط الهادي في الجيل السابق للحرب لكن التغيرات التي حدثت في الدولة التركية كانت اكبر دلالة وأعظم شأناً ، فلقد كانت هذه التغيرات كلها ترمي الى القضاء على السيادة التركية الحربية التي حالت دون تقدم الجزء الجنوبي العربي من آسيا اربعة قرون كاملة ، والى تحرير الشعوب التي طال عهد خضوعها لنير الاتراك ولو تمكن واضعو التسوية من نيل بغيتهم لجعلوا تركيا دولة حقيرة في قلب آسيا الصغرى ذلك بأن معاهدة سيفر التي قضى بلبها في مهدها قررت ان يؤخذ من الترك الاستانة والمضيقان وان يخرج الاتراك من اوربا ، ويحرموا فوق ذلك اخصب بقاع آسيا الصغرى ، وهو جزؤها العربي الذي كان في وقت ما اغنى ولايات الامبراطورية الرومانية وقد اعطي هذا الجزء لليونان كما اعطي الطرف الجنوبي العربي الى ايطاليا التي كانت تسيطر منذ عام ١٩١١ على جزيرة رودس وجزائر الدودكانيز ولو تم ذلك لاستحوذت ايطاليا على اقليم غني تستعمره ويسرح اليه الرائدون عن سكانها واريد ايضاً ان تستأنس ارمينيا Armenia الواقعة في الشمال الشرقي من آسيا الصغرى من جسم الدولة التركية ، وان توضع تحت حماية إحدى الدول العربية لكي تتاح للارمن فرصة للنهوض والنماء بعد ان كادت تقضي عليهم المذابح المتعددة لكن اميركا التي عرضت عليها هذه الامانة السابقة أبت أن تحملها ثم نهض الاتراك نهضة قوية بقيادة مصطفى كمال باشا فألقوا باليونان في البحر ، وهددوا القوى البريطانية التي كانت مرابطة في جناق لحماية المضيقين ، ومزقوا معاهدة سيفر شر ممزق ، وانتزعوا من سادة او الحاكمين بأمرهم فيها معاهدة اخرى في لوزان عام ١٩٢٣ ابقت لهم كل آسيا الصغرى وجزءاً صغيراً من اوربا

اما بقية البلاد التي كان يملكها الاتراك فقد خرجت من ايديهم خروجاً ابدياً على ما يظهر فمصر التي كان للسلطان عليها سيادة اسمية حتى وقت اعلان الحرب أعلنت عليها الحماية البريطانية في عام ١٩١٤ ، واعترف مؤتمر الصلح بضم هذه البلاد الى الامبراطورية البريطانية مع ان المصريين كانوا يطالبون بالاستقلال الذي ، لو بعد ذلك بزمن قليل وأما العرب سكان الجزيرة نفسها ، والبدو سكان بادية الشام ، فانهم لم يكونوا في يوم من الايام راضين بحكم الترك ، وكان

معظم أمرهم بيدهم فلما قامت الحرب ثاروا على الأتراك بزعامة أمير الحجاز وتحريض الكولونل لورنس ذي الشخصية الروائية العربية ، وكان لهم شأن كبير في الحروب التي انتهت بطرد الأتراك من بلاد الشام في آخر أدوار الحرب العظمى وفي الوقت نفسه أخرج الانجليز الترك من بلاد العراق أقدم بلاد العالم مدنية ، وبذلك كان لا بد من تنظيم تلك البلاد الواسعة بلاد الشام والعراق وجزيرة العرب فأنشئ فيها خمس دول جديدة

(١) شمال سوريا وكان من نصيب فرنسا تديره منتدبة عن عصبة الأمم ، وكانت تلك البلاد فيما مضى غنية ذات رخاء وفيها مدن انطاكية وحلب وصور القديمة وبيروت الحديثة ، وكان الغرض من الانتداب أن تعد هذه البلاد لحكم نفسها بنفسها

(٢) أرض فلسطين المقدسة الصغيرة وقد جعلت وطناً قومياً لليهود تحت حماية بريطانيا تديرها بالنيابة عن العصبة وكانت مهمة التوفيق بين مطالب اليهود المهاجرين الى تلك البلاد المهملة ، ومطالب العرب سكانها الأصليين مهمة شاقة للغاية لقد حاول مؤتمر الصلح فيما حاول أن يصلح أغلاط الماضي وأن يحيي الآمال والذكريات القديمة ، فأعاد الى الوجود مثلاً دولة بولندة ، وأحيا تقاليد بوهيميا القديمة ، ولكن أغرب ما حاوله وأقربهُ الى الروايات الخيالية مشروع اعادة اليهود الى وطنهم القديم ، الذي كانوا يسكنونهُ منذ ألفي عام

(٣) وأنشئت في بلاد الجزيرة القديمة ، أرض أور وكلديا وبابل ونينوى ، مملكة العراق الجديدة تحت حماية بريطانيا منتدبة عن العصبة ، وأجلس على عرشها أحد أبناء ملك الحجاز فهل نستطيع بعث حضارة جديدة في البلاد التي أشرقت منها شمس الحضارة على العالم في الزمن القديم ، التي ظلت مهملة عدة قرون ؟ ذلك لا يكون الا اذا قامت في تلك البلاد حكومة ثابتة قوية

(٤) وأنشئت حماية بريطانية أخرى في الاراضي الصحراوية الواقعة في شرق نهر الاردن وسميت بلاد « شرق الاردن » ، وأقيم حاكماً عليها أمير آخر من بيت الحجاز المالك

(٥) أما جزيرة العرب الواسعة التي يتكون معظمها من صحار قاحلة فقد تركت وشأنها تحت حكم ملك الحجاز ، ولكن ذلك الحكم كان قصير الاجل

وهكذا حاول مؤتمر الصلح أن ينشئ طائفة من الدول في بلاد الاسلام الواقعة في الجنوب الغربي من آسيا ، وان يصلح ما افسدتهُ القرح التركية منذ عهد طويل وتلك ناحية طريفة من نواحي التسوية التي قام بها مؤتمر الصلح ، لانها اباحت للعالم الاسلامي ، فرصة دعم ذاتيته والاضطلاع بمهمته في العالم الحديث ، ولانها تناقض الخطة التي سارت عليها دول أوربا طوال القرن التاسع عشر ، خطة اخضاع الشعوب الاسلامية الى الامم المستعمرة الغربية ، فهل تنجح هذه السياسة الجديدة ؟ ذلك أمر في ذمة المستقبل

# اوستن تشمبرلين

---

ان حياة السر اوستن تشمبرلين، وحياة شقيقه من ابيه المستر نفل تشمبرلين وزير المالية البريطانية الحالي، وخلف المستر بولدوين المتوقع، مثل آخر من امثلة متعددة في تاريخ بريطانيا السياسي، على توارث العبقرية السياسية في اسر معينة. ولعل اشهر الامثلة على ذلك الوزيران بت الكبير وبت الصغير، ولورد راندولف تشرشل وابنه ونستن تشرشل، وجوزيف تشمبرلين وابناه اوستن ونفل.

نعم ان في البرلمان الحالي، المستر لويد جورج وابنه وابنته، وبولدوين وابنه، ومكدونلد وابنه ولكن الابناء — ما عدا ابن مكدونلد وهو وزير الدومنيون الآن — لم يبلغوا من المقام بعد ما يبعث على القول بانهم ورثوا عبقرية آبائهم

***

ولد اوستن تشمبرلين في سنة ١٨٦٣ وكان عند وفاته في الرابعة والسبعين من عمره، وتلقى العلم في مدرسة رجبي ثم في كلية ترنتي بجامعة كمبردج وانتخب عضواً في البرلمان سنة ١٨٩٢ عن مقاطعة ورسترشير الشرقية

كان الانتخاب العام في تلك السنة قد أسفر عن فوز غلادستون وحزبه، ولكن الاكثرية كانت يسيرة وضعيفة، فرأى المحافظون أن يشدوا اجنحتهم ويستعدوا للنضال مع العناصر المؤيدة لهم في الاحرار في البرلمان. وجلس اوستن في المقاعد التي كان يجلس عليها والده، اذ كان لا يزال في [illegible] السياسي، وهذا المسلك كان في غير مصلحة الابن الشاب، لانه جلس في البرلمان، وكأنه جالس في ظل حجم عليه، لان اسم ابيه كان ملء الافواه والاسماع حينئذ

ثم اتيح للعضو الجديد — اي اوستن تشمبرلين — ان يلقي خطبته الاولى، فكانت بارعة في مادتها واسلوبها، فوجهت اليه الانظار، فاثنى عليه غلادستون، واغتبط به والده اي اغتباط

وفي سنة ١٨٩٥ عين اوستن لورد البحرية المدني، ثم نقل سكرتيراً مالياً للخزانة وفي سنة ١٩٠٢ عين وزيراً للبريد

وعندئذ وقع ما كان متوقعاً ذلك ان جوزيف تشمبرلن، والد اوستن، انفصل عن الحكومة، لانهُ كان يرغب في ان تكون مطلق اليدين في الدعاية الى التفضيل الامبراطوري — اي فرض ضرائب على الوارد الى بريطانيا، وجعل الضرائب على الوارد اليها من الامبراطورية اقل من الضرائب المفروضة على الوارد اليها من سائر البلدان وخرج كذلك المستر رتشي فعين اوستن تشمبرلين في وزارة المالية وهو شاب في الاربعين من العمر وقال خصومهُ انهُ عين في هذا المنصب، لكي يكون تعيينهُ بمثابة تأييد للدعاية التي بثها والده والحملات التي شنها على الحكومة لان البلاد الانكليزية حينئذ لم تكن مستعدة للاخذ بخطة التفضيل الامبراطوري

فكان تعيينهُ في ذلك المنصب العالي، وهو عادة سبيل الى رآسة الوزارة، وكونه ابن أبيه، من العوامل التي استثنت في سبيله ولكن أوستن تغلب عليها لانهُ كان قوي العقل والخلق، فعلم جميع الذين اتصلوا به ان يحترموه، حتى أصبح في عرف الجميع أحد قطبين أو ثلاثة اقطاب في حزب المحافظين، تلوح لهم زعامة الحزب ورآسة الوزراء، عن قرب، اذا حدث ما أخلى لهم منصب الزعامة والرآسة

فلما أتيحت الفرصة، فضل أوستن تشمبرلين وحدة الحزب، على النزاع في دعوته لا منافسة بينهُ وبين ولتر لونغ، وتخلى عن منصب الزعامة والرآسة لآخر هو المستر بونارلو، سلف المستر بلدوين

***

وكانت الحكومة البريطانية قبل الحرب في أيدي الاحرار وفي بدايتها، فلما اشتعلت نار الحرب في أثناء الحرب، وأراد لويد جورج ان يؤلف وزارة مؤتلفة، ودعي المحافظون الى الاشتراك فيها، عاد اوستن تشمبرلين الى الوزارة، كوزير لا كزعيم لفريق المحافظين وتقلد وزارة الهند، وهي وزارة دون وزارة المالية التي سبق انهُ تقلدها، ولما تكاثر الراغبون فيها ولكنهُ استقال في يوليو سنة ١٩١٧ لخطإٍ ارتكب بعلمه في الجيش البريطاني بالعراق وكانت استقالته، ودفاعه عن رجال وزارته في البرلمان من نواب الانتخاب والاحتلال، التي اتجه بهما مراقبوه، اذ رأوا في تصرفه تلك الصفة التي يقدسها الانكليز في رجال السياسة عندهم وهي قائمة على الايثار واختيار الطريق الشريف وسلوكه

وأعيد الى الوزارة وجعل عضواً في المجلس الحربي سنة ١٩١٨ ثم في يناير سنة ١٩١٩ جعل ثانية وزيراً للمالية، فلما انفصل المحافظون عن وزارة لويد جورج المؤتلفة سنة ١٩٢١، ورفض

بونارلو رعيم المحافطين حيئذ ، طن جميع الكتاب الساسيين ان الرعامة والرآسة لهُ لا ينازعه فيها منارع

ولكن المستر بولدوين اختير خلفاً لبونار لو رعيماً للمحافطين لان تشمبرلين كان لا يزال مفسعاً بوجوب الابقاء على الائتلاف وتقلد بولدوين رآسة الوزارة فلم يكن تشمبرلين من اعضائها ولكن عند ما الف ورارتهُ الثانيه في اواخر سنة ١٩٢٤ عين اوستن تشمبرلين وزيراً للخارجيه

وفي اثناء تقلده لهذه الوزارة اشترك مع السياسي الفرنسي بريان والسياسي الالماني شترزمان في عقد معاهدة لوكارنو المشهورة ، واهم قواعدها ضمان ايطاليا وانكلترا للحدود الفاصلة بين المانيا من جهة وفرنسا وبلجيكا من جهة اخرى بحيث تتحد الدولتان الضامنتان الدولة المعتدى عليها على جانبي هذه الحدود

وقدكان من اثر هذه المعاهدة ان اوربا اخلدت الى فترة من الطمأنينه والسلام ولولا الازمة الاقتصادية الدولية وما جرته في آثارها من الانقلابات السياسيه لكانت اوربا جنت ثمار هذه الطمأنينة

ولذلك منح اوستن تشمبرلين بالاشتراك مع بريان وشترزمان جائزة نوبل للسلام سنه ١٩٢٥

وبعد تخليه عن وزارة الخارجيه في آخر وزارة بولدوين الثانيه ، لم يعد الى تقلد المناصب الوزارية ، الا" وزارة البحريه فترة قصيرة من اغسطس الى اكتوبر سنه ١٩٣١ في الوزارة القومية الاولى ، ولكنهُ ظل عضواً في البرلمان ، يطل عليه كشيخ من شيوخ السياسة ، الذين نسمع رأيهم في المشكلات الخارجية خاصة ، بما هو جدير به من الاجلال والاحترام وقد كان صوته الذي ارتفع في آخر سنه ١٩٣٥ ضد الاتفاق الذي وضعه السر صموئيل هور وافل لافال من البواعث القوية ، على امتعاض الامة الانكليزية من ذلك الاتفاق اشد امتعاض وافضى الى استقالة السر صموئيل هور

وقيل حينئذ ان السراوستن تشمبرلين قد يعود الى وزارة الخارجية ، لان وجوده فيها ، يبعث على الاحترام والثقة ، ولكنهُ اراد ان يفسح المجال لمن دُن اصغر منهُ سنًا فعين المستر ايدن وزيراً للخارجية وهو الذي رباه اوستن تشمبرلين ، وتعهده عندما كان ايدن سكرتيراً خاصًا برلمانيًا له في وزارة الخارجية

***

فبوفاة السر اوستن تشمبرلين ، خسرت بريطانيا شيخاً من شيوخها السياسيين ، كانت حياته مثالاً بليغاً على اعلى التقاليد المتبعة في الحياة العامة فيها

# باب الأخبار العلمية

## الاقتصاد الموجه في مصر

### خطبة الرئاسة لعبد الوهاب باشا

### في المجمع المصري للثقافة العلمية

اصبح المؤتمر السنوي الذي يعقده المجمع المصري للثقافة العلمية وقد بات محطاً لانظار فريق كبير من رجالات مصر واهل العلم والفضل فيها لما يدور في مؤتمراته السابقة من محاضرات نفيسة القاها في شتى العلوم ما كان منها خاصاً بالقطر المصري وما كان عالمياً لا يقتصر على بلاد دون اخرى

لذلك أمَّ دار الجمعية الملكية للحشرات مساء ٩ مارس الماضي جمهور مختار من المصريين والمصريات يتقدمهم الدكتور احمد ماهر رئيس مجلس النواب وكامل ابراهيم بك وزير الزراعة السابق ومحمود صدقي باشا محافظ العاصمة سابقاً واعضاء المجمع وكلهم صاحب منصب كبير علاوة على ما اشتهر به من الفضل والعلم

وفي الساعة السابعة القى الدكتور فارس نمر باشا رئيس المجمع في دورته الماضية فالقى كلمة الافتتاح مقترحاً فيها السعي في سبيل الجمع بين جهود المجمع المصري للثقافة العلمية والمجمع الملكي للغة العربية جمعاً يفيد منه اللغة العربية العلمية سعة ونماء ونضارة ثم قدم خلفه في الرئاسة حضرة صاحب السعادة احمد عبد الوهاب باشا رئيس المجمع المنتخب لدورته القادمة وكان الدكتور نمر باشا يذكر المثل الاميركي « ان دويّ اعمالك يصم اذني فلا اسمع ما تقول » فقال ان اعمال عبد الوهاب باشا تغنيه عن كل تعريف

***

وارتقى عبد الوهاب باشا المنبر فاقترح في مستهل خطبته رفع الجلسة بضع دقائق لذكرى المغفور له الدكتور شاهين باشا رئيس المجمع سابقاً ثم شرع بعد ذلك في القاء محاضرته وكان موضوعها « بعض مظاهر الاقتصاد الموجه في مصر في السنين الاخيرة »

ويمكن ان نقسم محاضرة سعادته الى اربعة اقسام بعد تمهيد عام اما في قسمها الاول فقد عرف المحاضر الاقتصاد الحر او المرسل وهو القائم على نظريات الاقتصاد المتبعة في القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين اي امتناع الحكومة عن التدخل في اعمال الافراد والجماعات الاقتصادية والاقتصاد الموجه او المسيَّر وهو

الاقتصاد الذي تدخل فيه الحكومات في اعمال الافراد والجماعات الاقتصادية فتفرض عليها قيوداً وتعين لها حدوداً تختلف باختلاف البلاد وما تحتاج اليه

اما القسم الثاني فكان ضرب المثل على هذا الاقتصاد الموجه بمصر في الاتفاق الذي عقد بين الحكومة وشركة السكر وقد اسهب سعادة المحاضر في وصفه وبيان قواعده . تاتجه لبعده عن الاسهاب في الامثلة الاخرى التي ضربها في القسم الثالث من محاضرته

ومما قاله في هذا الصدد ان هذا الاتفاق من الامثلة على نجاح الاقتصاد الموجه نجاحاً عظيماً في تحقيق الاغراض التي يتجه اليها واتفاق السكر مثل على الاقتصاد الموجه في دولة بعينها ولكن بذلت مساعٍ لتطبيق قواعد الاقتصاد الموجه على انتاج السكر وتجارته تطبيقاً يكون دولياً في شموله

وكان القسم الثالث تعديداً للمساعي التي بذلتها الحكومة في توجيه الاقتصاد في مصر في ما يتعلق بالحبوب والقطن والذهب وغيرها وبين في كل منها بواعث النجاح اذا نجحت وبواعث الاخفاق كله او بعضه اذا اخفقت

وقد وقف القسم الاخير من محاضرته على موازنة بين الاقتصاد الحر والاقتصاد الموجه في حالة العالم الحاضرة وهل في الامكان العودة الى الاقتصاد الحر ورأيه ان العودة الى الاقتصاد الحرّ اطلاقاً امر متعذر لان اعتماد الدول المختلفة على الاقتصاد الموجه وقيام حياتها الاقتصادية على قواعده يقضي ولا ريب الى تقلقل واضطراب في حياتها الاجتماعية والاقتصادية اذا عادت فجأة الى الاقتصاد الحر ولكنهُ يرى ان العودة الى الاقتصاد الحر تدريجاً ممكن بل ولازم لان القومية الاقتصادية كانت من اهم بواعث الجفاء السياسي وتخفيف سورتها في مصلحة امم العالم جميعاً

ومن محاسن الاتفاق ان مؤتمر لاهاي الذي عقدته دول كثيرة اوسلو انقضّ من ايام بعد ما وصل الى قرار شبيه برأي عبد الوهاب باشا

## ادورد نكولي

نعت جامعة بيرن الاميركية في كبير من كبار اساتذتها بوفاة الدكتور ادورد نكولي عميد كلية الآداب فيها واستاذ علم الاقتصاد بعد ان قضى ما يزيد على ثلث قرن يعلم الشبان والشابات ويشغف عقولهم بالدروس التي كان يدرسها وبالمثل الذي كان يضربه

كان الاستاذ نكولي مشهوراً بين طلبة الجامعة الاميركية بانهُ بمثابة شيخ اكبر لطلبته يرجعون اليه في مشكلاتهم الخاصة فيعينهم على حلها بعطف الاب ولطف الصديق وخبرة الفيلسوف العملي وقد نشأت هذه الصلة بينهُ وبين طلبته من معاملتهم في الدروس التي كانوا يدرسونها عليه معاملة الرجال فيعين لهم الموضوعات التي يجب ان يعالجوها ويبين لهم

المراجع التي يصح الرجوع اليها معتمداً على ان من يعني العلم يجب ان يكون لهُ من نفسه باعث يدفعه على التحصيل وقد درس العميد الراحل كاتب هذه السطور «القانون الدولي» فكانت حصص الدراسة اشبه شيء بمعرض عام لشؤون الدول وما ينطوي عليها من القواعد للسياسة وفيه نصيب وللتاريخ نصيب ولرجال الاقطاب نصيب فحسبت انا جميعاً دراسة نبث فيها الحياة بما أنشأه من الصلة بينها وبين حوادث الايام وكانت الحرب العالمية على أشدّها حينئذٍ وكذلك كان في الاقتصاد وعلم السياسة المماثل

***

وكان اعتماده في التحصيل على الفهم لا على الحفظ ومن مبتدعاته في هذا الباب انهُ كان يلصق اسئلة الامتحان في دفتره ويكتب الطلبه اجوبتهم في صفحات ويصححها ويعيدها اليهم ثم يأتي امتحان آخر فيضع اسئلة جديدة في الدفتر نفسه ثم يجيء الامتحان النهائي فيضع أسئلة في الدفتر نفسه وقد تكون بعض اجوبتها مطويه في ثنايا اجوبة الامتحانات السابقه والاجوبه المكتوبه في الدفتر متاحه للطالب ولكن ذلك لم يفرغ ما لهُ اذا كان عمل الطالب فدونهم ان يرجع فاستخراج الحقائق من اجوبة لهُ او من مراجع مطبوعة يجب ان يكون دليلاً على فهمهِ ولم يكن بالنادر ان يعطينا الاسئلة في المكتبة ويتيح لنا الرجوع الى ما نريد من المراجع فيها

ولد الفقيد في سنة ١٨٧٣ وتخرج من جامعة اللنوي عام ١٨٩٨ واحرز لقب استاذ في العلوم من الجامعة نفسها سنة ١٩١٥ ثم رتبة دكتور في الفلسفة سنة ١٩٣٢

ان رجلاً يبقى معنيًّا بالتحصيل ومتابعة الدرس المنظم بعد ان بلغ منصب الاستاذ المكرم وبعد ان يناهز السيّين من العمر ويقدم لشهادة الدكتوراه وهو في التاسعة والخمسين لخليق بأن يكون مثالاً حيًّا لطلبته وجميع الذين يتصلون بهِ

جاء جامعة بيروت سنة ١٩٠٠ مدرساً، ثم عين عميداً لكلية التجارة فظل في ذلك ١٨ سنة ثم تولى رآسة الجامعة بالنيابة، بعد وفاة الرئيس هوارد بلس سنة ١٩١٩ وكان في مقدمة المرشحين ليكون رئيساً اصلاً فلما انتخب الرئيس الحالي انضوى تحت لوائهِ وخدم الرئيس والجامعة بكل ما اوتيه من علم وخبرة

***

وكان الاستاذ نكرلي من الرجال القلائل الذين جمعوا بين التحصيل العلمي العالي والمقدرة الادارية الممتازة، وكان في خلال قيامه باعباء الرآسة، وعمادة كلية التجارة اولاً ثم عمادة الآداب والعلوم اخيراً، يدرس الاقتصاد ويشترك في الالعاب الرياضية التي يمارسها الاساتذة والمدرسون، فكانت حياته مثالاً يحتذى في النشاط المنظم رحمة الله عليهِ

## نكبة الفيضان الاميركي

### بواعثها وطرق اتقائها

نكبة الفيضان في اميركا التي اشتدت في فبراير الماضي من اكبر ما عرف من قبلها في تاريخ اميركا الحديث والاصل في نكبة الفيضان هذه نهر أوهايو وهو احد روافد نهر المسيسبي المشهور

ان نهر أوهايو هذا ليس بالنهر الصغير فطوله يبلغ ١٢ ميل والحوض الذي تجمع مياهه فيه تشمل منطقة من أغنى مناطق الولايات المتحدة الاميركية واكثرها ازدحاماً بالسكان ومساحتها تفوق مساحة انكلترا والمانيا معاً

وهو يفيض عادة كل ربيع فتندفع امواهه في طريقها الى نهر المسيسبي عند ما تبدأ مطر الربيع في إذابة الثلوج المتكدسة على قنن جبال الالاشه واسنادها في العهد القديم عندما كانت هذه المنطقة الواسعة قليلة السكان كان فيضان هذا النهر العادي لا يحدث ضرراً كبيراً ولاسيما بعد ما يبلغ اعلاه ويفرغ ماءه في المسيسبي ولكن منذ ازدحمت هذه المنطقة بالسكان واقيمت على ضفات النهر المدن والمزارع اصبح الضرر الذي يحدثه عندما تفوق الفيضان مستواه السوي كبيراً جداً وقد افضى السعي الى حصر مائه بالجسور الى زيادة مدى النكبة على ضفات المسيسبي

ويقدر المهندسون ان قدراً من الماء يبلغ مليون قدم مكعبة تفرغ كل ثانية من نهر الاوهايو في نهر المسيسبي. ويجب ألاَّ ننسى ان روافد اخرى تفرغ ماءها في المسيسبي ولو كان فيضان هذه الروافد في فترات متفاوتة لسهل على المسيسبي ان يلتقي هذه المياه ويصرفها في مجراه من دون ان يفيض فيضاناً كبيراً. ولكن فيضانها في الغالب يجيء في وقت واحد تقريباً واكبرها فيضان نهر الاوهايو فيقصر مجرى المسيسبي عن الاتساع لها كلها فيفيض على حواشيه ويحطم الجسور ويطغى على المدن والقرى والمزارع

والظاهر ان فيضانات المسيسبي الكبيرة تحدث مرة كل ١٣ سنة وآخر فيضان من قبيل الفيضان الحالي حدث من عشر سنوات

ان الطريقة الظاهرة للسيطرة على هذه الفيضانات هي بناء الجسور على ضفاف هذه الانهر ولكن المشكلة في ذلك ان العمل يجب ان يكون شاملاً تتولاه سلطة عالية موحدة لا سلطات محلية في ولايات متجاورة وسبب ذلك ان بناء الجسور في اعلى النهر لحماية مدينة من المدن يزيد الخطر الذي تتعرض له المدن التي تأتي بعدها فاذا اكتفي بجسر علوه ٢٠ قدماً وعرضه ٢ قدماً مثلاً امام مدينة تبعد الف ميل على مصب النهر ويجب ان تكون الجسور اعلى كثيراً واعرض كثيراً امام مدينة تبعد ٥٠ ميل فقط عن المصب

وقد كانت هذه الاعمال في الماضي تتم في

كل مدينة ومنطقة بمعزل عن غيرها فالمدينة البعيدة عن المصب كانت تبني ما تحتاج اليهِ من الجسور بصرف النظر عن زيادة الخطر الذي تتعرض لهُ المدينة التي تليها

وهناك اقتراح آخر للسيطرة على هذا النهر وهو بناء أحواض كبيرة أشبه ببحيرات يجمع فيها جانب كبير من الماء الفائض ثم تستعمل في توليد الطاقة الكهربائية وأعمال أخرى وهذه هي الطريقة المثلى على ما يظهر ولكن نفقاتها كبيرة واظهر مثال عليها خزانات « مصل شولس » التي بنيت على نهر التنيسي وهو أحد روافد نهر الاوهايو

ولذلك قيل ان حكومة الاتحاد الاميركي تطلب البليونين حسبما لنفقتها في خلال السنوات الست القادمة على مثل هذه الاعمال اتقاء لمخاطر الفيضان واضراره

## الكيمياء الزراعية

### تمهيد السبيل للفوز بمحصولات عجيبة

من الميادين الجديدة التي تشترك فيها علوم الكيمياء والزراعة زرع النباتات في الماء لا التربة اذ تضاف الى الماء العناصر الحيوية المختلفة التي تحتاج اليها النباتات في نموها

وقد زرعت نباتات الطماطم على هذا النحو فكان محصولها مما لا يصدق بالقياس الى محصولها عند زرعها في التراب فبات الطماطم أولاً علا في نموه عند زرعه في الماء الى اضعاف ما يبلغهُ من العلو عند زرعه في التراب حتى لقد اضطر قاطفو الثمر ان يستعملوا السلالم لقطف الثمر من أعاليهِ وبلغ متوسط المحصول من نبات زرع في حوض من الماء مساحة سطحه فدان ٧ ٢ طناً ويقابل ذلك ان محصول النبات المزروع في ما مساحته فدان من الارض خمسة أطنان فقط

أما محصول نبات البطاطس في الاحوال عينها تقريباً فبلغ ٢٤٦٥ بشلاً في ما مساحتهُ فدان من الماء مقابل ١١٦ بشلاً في ما مساحته فدان من الارض

وقد بلغ نبات التبغ ( الدخان ) ٢٢ قدماً من الارتفاع

ومن هذا القبيل المحصولات التي جنيت من زراعة السكر والجزر وغيرهما في الماء

***

وقد ابتدع هذه الطريقة وقواعدها الدكتور جريك الاستاذ المساعد لفسيولوجية النبات في جامعة كاليفورنيا بعد مباحث استغرقت السنوات السبع الاخيرة وأساسها استعمال الماء الفاتر واضافة العناصر اللازمة لنمو النبات الى ويحتفظ بحرارة الماء بواسطة سلك وهو العالم او بطرق اخرى وحرارة الماء على الاكثر تختلف من ٢٢ درجة بميزان سنتغراد الى ٣ درجة بالميزان نفسه

## البيتسكوب

### آلة مبصرة جديدة عجيبة

الطاريات الكهربائية تعرف بالكلام المألوف في اللغة الانكليزية باسم «العين الكهربائية» هي على الغالب اجهزة يتحول فيها الضوء الى تيار كهربائي ويكون التيار ضعيفاً او قوياً وفقاً لقوة الضوء الواقع عليها او قوته وقد استعملت لاغراض متعددة متباينة فوضعت في المعامل مثلاً بحيث اذا ضعف نور النهار سواء أكان ذلك عند الظهر ام قبل الغروب حتى اصبح غير كاف لقيام العمال باعمالهم تأثرت بذلك هذه «العين العجيبة» وسيّرت المصابيح الكهربائية من تلقاء نفسها بجهاز خاص متصل بها ووضعت في بعض المدارس كذلك لهذا الغرض نفسه اي لانارة المصابيح عندما يضعف النور بسبب الغيم المتلبد اوقرب الغروب ويصبح من الضار بعيون التلاميذ المطالعة في ذلك الضوء الضعيف

وأحدث اختراع قائم على هذه «العين العجيبة» جهاز يدعى «بيتسكوب» اخترعه رجل اميركي يدعى آلان فيرتشايلد وهذا الاسم اي اسم الجهاز مركب من كلمتين يونانيتين معناها «مبصر الاجسام السائرة» اي ان هذا الجهاز الجديد يستطيع ان يتبين حركة الاجسام عن بعد

اتصور حيواناً جاثماً على غصن شجرة انه يراك وانت لا تراه ما دام ساكناً لا يتحرك فاذا تحرك ادركت وجوده كذلك البيتسكوب فانه لا يتبين جسماً من الاجسام ما دام ذلك الجسم ساكناً فاذا تحرك وكانت حركته في مجال العين الكهربائية ادركت ذلك ودونته اودلت عليه

حدث مثلاً على ذلك ما فعله المستنبط في مطار فانه اتفق مع فريق من الطيارين ان يحلقوا بطائراتهم لكي يمتحن المدى الذي يستطيع جهازه ان يتبين هذه الطائرات فظهر انه عندما تبدو الطائرات في مجال النظر على علو الفي قدم او ثلاث آلاف قدم يتأثر هذا الجهاز بحركتها فيقرع جرساً

قال فيرتشايلد ولو كنا في حالة حرب لكان استعمال هذا الجهاز من افضل الوسائل للانذار بهجوم جوي

*

### حرارة الشمس

تبلغ درجة الحرارة في مصباح غاز الاستيلين ... آلاف درجة ... درجة الحرارة ... الف ... قلب ... مصباح الاستيلين ... وضع في مدينة شيكاغو كانت حرارته ... اظهر كل ساعة وحرق كل حرج ... والمادة الحية في قارة امیركا الشمالية ... على الاول هو ... الدكتور كلايد ... فيشر أمين القسم الفلكي في متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك

# مكتبة المقتطف

## تآليف المستشرقين

بقلم الدكتور بشر فارس

س . د . ف . جوتين S D F Goitein — انساب الاشراف للبلاذري — طبع لاول مرة بهمة مدرسة العلوم الشرقية بالجامعة العبرية — أورشليم ١٩٣٦ — ٢٧ ص مقدمة باللغة العبرية و ٣٢ ص مقدمة باللغة الانكليزية و ٤٣٩ ص للنص العربي و ٩٤ ص بيانات — ٢٧ ½ × ٢ ½

ان هذا لسفراً نفيساً كان مطوياً فنشر والبلاذري غني عن التعريف فهو صاحب «فتوح البلدان» والظاهر ان الرجل كان أبعد صيتاً بكتابه «انساب الاشراف» ولفظة الاشراف هنا بالمعنى الجاهلي لا الاسلامي أي انها تفيد تلك الطائفة من العرب ذوي النسب الصحيح والجاه العريض الذين كان يجري عليهم من الديوان كذا وكذا من الدراهم

ويشتمل كتاب البلاذري — كما يقول الناشر (ص ٣) — «على تاريخ العرب في جاهليتهم واسلامهم الى القرن العاشر الاول ولكنه لم يرتب على سني الهجرة بل اتبع ترتيبه انساب قبائل العرب فاذا عرض ذكر رجل نابه في قومه أتى بخبره و بنكته المستجادة وما قيل فيه من الشعر أو بطائفة من شعره ان كان شاعراً واذا جاء ذكر خليفة من الخلفاء لم يقتصر على وصف سيرته بل أحيط بحوادث وقته»

واقتصر الناشر على طبع السفر الخامس من هذا الكتاب وفيه تاريخ الخليفة عثمان بن عفان ورهطه ومروان وأهله واخبار ابن الزبير ايام مروان وعبد الملك ثم انه عمل لهذا السفر مقدمة علمية بحث فيها عن اختلاف جمهور العلماء في عنوان الكتاب ثم عن مضمونه ومدى مشموله ثم عن خاصته بما انه كتاب أدب وعلم وهنا بسط طريقة البلاذري في الرواية فرأى من آساسها الامانة والعدالة والدقة ثم استعمال «الاختصار» من ناحية . سرد الروايات المختلفة باسانيدها على أسلوب المحدثين من ناحية أخرى ثم ذكر من أستند الى هذا الكتاب فذكر ممن ذكر ابن عساكر وابن خلكان والزبيدي والمسعودي وابن الاثير ثم وصف المخطوطة التي اعتمد عليها

وقد كان اعتماد الناشر على مخطوطة واحدة محروزة في الاستانة مشحونة بالاخطاء على قوله فاضطر الى ان يرجع الى مصادر أخرى يعارضها بها لنظفر بالنص الصحيح والحق ان النشر جاء على أتم وجه من حيث الطبع . واما ضبط الالفاظ واصطفاء الروايات فهما الحين بعد الحين نظر مثال ذلك

ص ٥٥، س ١٩، في النص «تجيء بهما فانهما حماران فقال » والوجه الاقرب « فانهما لماران »

ص ١٠٤، س ١١، في النص

« الا تتوبوا الى الرحمن تعترفوا عارة عصبٍ من حلمها عصبُ »

والصواب « عصبٌ من حلمها غَصَبُ »

ص ١١٥، س ١٧ « . ودرّ قرن الشارق » والصواب « ودَرَّ »

ص ١١٥، س ١٨ « صحيم الوسائع » والصواب « صَحْم »

ص ١٣٧، س ١٨

«ولا تتركنّي بالحشاشة انني أكرُ اذا ما الناس مثلك أحجما »

والوجه « اذا ما النكس » ( راجع لسان العرب مادة ن ك س . نبهني الى هذا الصديق الاستاذ محمود محمد شاكر )

ولم يفت الناشر ان يعمل لهذا السفر فهارس لاسماء الاعلام والقبائل والامكنة والامم وعسى ان يمضي في طريقه فيخرج الينا بالاسفار الاخرى ولاسيما السفر الموقوف على الجاهلية لقلة ما بين ايدينا من النصوص الراجعة اليها

---

R. Blachère — Un poète Arabe du IVe Siècle de l'Hégire Abou-t Tayyib Al-Motanabbî (Essai d'histoire littéraire) — Edit. Adrien—Maisonneuve, Paris 1935)

ر. بلاشير — شاعر عربي في القرن الرابع للهجرة [illegible]

( في النقد الادبي ) ٣٦٦ ص. ٢٥ × ١٦

قد كثرت التآليف في المتنبي هذه الأيام لمرور ألف سنة على وفاته، ولكن [illegible] فصل المتنبي مقتصراً على أبناء العربية. فهؤلاء علماء الافرنج [illegible] أبا الطيب حقه من العناية. ولعل أوفى بحث في أبي الطيب هذا الكتاب الذي [illegible] ( وهو من اساتذة مدرسة اللغات الشرقية في باريس ) ما [illegible] الاحداث واستقصى المسائل الادبية والتاريخية ومحصها جميعاً تمحيص [illegible] البحث العلمي

أما سعة اطلاع المؤلف فيدلك عليها تلك المراجع [illegible] الكثيرة [illegible] الحواشي. وأما دقة بحثه فتشف عنها طريقته في الفحص [illegible] الاجتماعية والسياسية والعقلية والدينية ومن تحفظ في قبول الاخبار ومن [illegible] ومن [illegible] في درس البيان الشعري

وما أظن المؤلف ترك شيئاً الا شرحه ، فلقد تحدث عن الخلافة العباسية والكوفة خاصة أيام نشأة المتنبي ثم عن حياة الرحل على تقلباتها وعن آثاره أنواعها ثم عن رواج ديوانه في الامم الناطقة باللغة العربية ومنزلته عند المستشرقين

ومما يذكر أن المؤلف جاء بآراء حديثه ودفع اخباراً متعارفة عن المتنبي فالفصل راجع اليه في تقديم حكاية نبوة المتنبي بالاشارة الى هيجائه القرمطي وفي تعليل رواج ديوانه بسط ما فيه من الخصائص مثل تدوينه شعره وجزالته وايجازه وحكمته

وظرافة المؤلف انه نظر الى شعر المتنبي بعيني اوربي (انظر الخاتمة ص ٣٤٢ وما يليها) فلم يعتز بما يضطرب فيه من الوان البيان والبديع ولم يستسلم الى حلاوة اللفظ ولا جزالة تجرد شعر أبي الطيب مما نسبط على أعين قراء العربية غشاء او بعض غشاء

ومما يؤخذ على هذا الكتاب النفيس (١) ان صاحبه أخذ ينظر الى شعر المتنبي بعيني اوربي بطريقة انتظامية Systematiquement حتى انه اتى على احساسه وما ادري هل لزم العلم والباحث في الادب ان يرتد ناقداً مقعد الحس ؟ أما نظل الادب أدباً وان سلط عليه مسبر البحث

وهنالك مأخذ آخر وصفته ان المؤلف لما جعل بسط آراء أدباء العربية في المتنبي ص ٣٠٥ وما يليها لم يحسن الانتقاء فتراه يجمع بين فؤاد افرام البستاني ومحمد كامل حلمي والعقاد والمازني والشيخ محمد الاسمر ، ذلك ان المؤلف انما يرى أدباءنا عن بعد

واني لأود ان اختم الكلام دون ان انبه الى بعض سقطات في ترجمة طائفة من ابيات المتنبي ومنها

١ — النص العربي

نور ظاهر فيك لاهوتيه فتكاد تعلم علم ما لن تعلما

ترجمة البيت الاول En toi est une clarte dont rayonne l'ètre divin

والصواب عندي Une clarté (أي ما تقدم) dont la divinite apparaît en toi

٢ — النص العربي :

يا ليت بي ضربة اتيح لها كما ابيحت له محمدها

أثر فيها وفي الحديد وما أثر في وجهه مهندها

ترجمة البيت الثاني Mohammad a honore ce coup, ainsi que le fer qui le porta

والصواب عندي Mohammad a ebranle la force du coup ainsi que la violence du fer par sa majeste son prestige etc

---

(١) الذي اعتمد به الدكتور طه حسين في تأليف كتابه «مع المتنبي» مصر ١٩٣٧

Louis Massignon et Paul Kraus – Akhbâr al-Hallâj—Editions Larose
Imprimerie 'Au Calame', Paris 1936

لوس ماسيبيون وبول كراوس — اخبار الحلاج — ١٤١ ص( فرنسية ) و ١١٢ ص ( عربية ) ٢٥×١٦

قد سبق لي ان تحدثت عن ذلك الكتاب الضخم الذي الفه الاستاذ ماسيبيون في الحسين بن منصور الحلاج المتصوف فكشف به غطاء عريضاً عن تاريخ التصوف في الاسلام وقد واصل الاستاذ ماسيون دراسته للحلاج فما انفك ينشر نصوصا له أو عنه وهذا سفر جديد فيه طائفه من أخبار ذلك المتصوف المنكوب وقد عاون الاستاذ ماسيبيون على اخراج هذا السفر الاستاذ بول كراوس من المدرسين في كلية الآداب بالجامعة المصرية الآن

ولهذا السفر مقدمة طويلة على جانب عظيم من الدقه العلميه فيهـا وصف مستفيض للمخطوطات المعول عليها ومحاوله لترتيبها ترتيبا زمنياً وفحص للروايات المختلفة وبحث في الاسناد

و في المقدمة ترجمة النصوص العربيه باللغه الفرنسية والترجمة صحيحة ما عدا هفوات لا يعتد بها أشير الى بعضها

ص ٦٦ — النص نزول الجمع ورطة وغبطة ( ص ٥ )

الترجمة L'accomplissement de l'union est abîme ou joie

والوجه عندي ou beatitude

ص ٦٨ — النص فقال للقوال قل ما يختار الشيخ ( ص ٥٩ )

الترجمة Dit au chanteur Chante sur le thème que le cheikh preferera

والوجه عندي Dit au recitateur Recite le thème que le cheikh preferera

ص ٦٠ — النص ونظر اليّ شزراً (ص ٧٠)

الترجمة Me lança une regard indigné

والوجه عندي Un regard courroucé

وما هذه الهفوات — ان صح انها هفوات— شيء الى جنب الجهد الذي بذله المترجمان فما لا شك فيه ان نقل نصوص فلاسفة الاسلام وبخاصة متصوفيهم ضرب من الاعجاز

و في الترجمة النصوص العربيه نفسها ولنا على نشرها مأخذ نذكر لولا تغليب روايات على روايات ومن ذلك

ص ١٥ ، س ١ — رواية الهامش افضل ( فذلك الخ )

ص ٤٤ ، س ٢ — «أنت المأمول بكل خير والمسؤول عند كل مهم»

خير من هذا ما في الهامش من روايات مثلا «انت المأمول لـكل خير والمسئول عن كل مهم »

Hilma Granqvist—Marriage conditions in a Palestinian village, II Helsingfors 1935
Edit Otto Harrassowitz Leipzig

هلمي جرانكمست — احوال الزواج في قرية فلسطينية — الجزء الثاني — ٣٦٦ ص و٣٠ صورة فوتوغرافية ٢٤ × ١٦

من العلوم المستحدثة في هذا العصر علم يقال له الاثنولوجية Ethnologie يبحث في عادات الامم التي ما تزال على فطرتها قليلا او كثيراً وهذا العلم قائم على المشاهدة البحتة وقديماً كان بين أيدي الرحالين والمبشرين من القسيسين الذين كانوا يؤلفون الاسفار في اخلاق الامم التي ينزلون بها واذا به اليوم ينتظم فتعالجه العلماء انفسهم على طريقة مستقيمة في الفحص والتنقيب

والسفر الذي بين يدي هو الجزء الثاني من كتاب يبحث عن الخطبة والزواج والحياة الزوجية والتأيم وميزة هذا السفر انه يسوق لكل حال من الاحوال المبحوث فيها حكايات تجعلك تلمس الوقائع مفصلة في ساعتك والتوفيق في هذا راجع الى ان الذي ألف الكتاب امرأة عاشت في قرية من قرى فلسطين زمنا واختلطت فيها بالنساء واستمالتهن فوقفت على اسرار عيشهن

ومما يؤخذ على هذا السفر النفيس ان صاحبته لم توفق في تعليل الوقائع توفيقها في بسطها ، ذلك ان التعليل علو على المشاهدة ليتصل بعلم النفس وعلم التاريخ ومن أدلة ذلك ان المؤلفة لما تكلمت على تعدد الزوجات ( ص ٢٠٨ — ٢١٣ ) وتفضيل العذراء على الايم ( ص ٣١ — ٣١١ ) اتت بعلل عدة لا يساير بعضها بعضاً ، من دون تمحيص ولا مراجعة وكأني بها وقفت عند الظواهر دون البواطن وكان الاولى بها ان ترتد الى جماعة العرب الاولى في جاهليتها وصدر اسلامها تستطلع العلل البعيدة وقد كان يعينها على ذلك الكتب المؤلفة في العرب الاولين مثل كتب لامنس اليسوعي ومثل كتاب العرض عند عرب الجاهلية لبشر فارس ( باريس ١٩٣٢ )

ثم ان المؤلفة خطر لها ان توازن بين عادات القرية التي عاشت فيها وعادات قرى عربية المنزع في بلدان أخرى مثل المغرب ومصر والشام والجزيرة ومن التآليف التي فاتها الاعتماد عليها في هذا الباب

كتب باللغة الفرنسية كاظم الدجيلي — بحث اجتماعي في الاسرة الاسلامية في الشام لهذا العصر ( باريس ١٩٢٢ ) ، ا . م . جوسون ( Goichon ) — الحياة النسائية في المزاب جزءان ( باريس ١٩٢٧ و١٩٣١ ) الدكتوره لوجيه ( Legey ) — محاولة في درس العادات الشعبية في مراكش ( باريس ١٩٢٦ ) ، خالد شبلة — الزواج عند مسلمي الشام ( باريس ١٩٣٤ )

كتب باللغة العربية نعوم بك شقير — تاريخ سيناء ( مصر ١٩١٦ ) ، بولس سلمان — خمسة اعوام في شرقي الاردن ( حريصا ١٩٢٩ )

Murad Kamil—Die abassinischen Handschriften Sammlung Littmann in Tuebingen, Leipzig 1936

مراد كامل — المخطوطات الحبشيه من مجموعه لتمن في (مدينه) بوبجن ٤٦ ص ٢٣ × ١٥

ان صديقي الدكتور مراد كامل ممن اوفدته الجامعة المصريه لتحصيل العلوم الشرقية في المانية وقد انقطع الدكتور كامل الى تعلم اللغات الساميه خمس سنوات في توبجن ثم في برلين هنا على الاستاذ متفوح Mittwoch وهناك على الاستاذ لتمن Littmann من أعضاء مجمع اللغة العربية والدكتور مراد كامل من اولئك المصريين القليلين الذين يرغبون في العلم حقاً فلا يهجمون على التحصيل ابتغاء نيل شهادات انما لتمسون بها الوظائف ومصداق ذلك هذه الرسالة الصغيرة حجمها الكبيرة فائدتها وقد فطنت الجمعية الالمانية للاستشراق die deutsche morgenlaendishe Gesellschaft الى فائدتها فقامت بطبعها ونشرها

والحق اني لا استطيع ان احدث قراء هذا الباب عن الرسالة تفصيلا لجهلي اللغة الحبشية كل الجهل وجل ما يتأتى لي من الكلام عليها ان الدكتور كامل أخذ ينظر في المخطوطات الحبشية التي كان جمعها الاستاذ لتمن ايام كان يقيم باكسوم والتي بقيت بين يديه على تعاقب الايام فجاء عمل الدكتور مراد وصفاً تاماً لهذه المخطوطات وصفاً قائماً على الطريقة العلمية السليمة في الفحص عن المؤلفات المجهوله فذكر عند كل مخطوطة نوع ورقها ومقاسها وعدد صفحاتها وسع الموضوعات فيها باباً باباً . واثبت الصور والرسوم التي تتخلل اوراقها ، ودون الاستهلالات والخاتمات ، ثم انه رتب المخطوطات على حسب مضموناتها كالدين فالتاريخ فالصلاة فالسحر ، وقد اضاف الى كل هذا فهرساً للالفاظ الفنيه

F Taeschner, Der Anteil des Sufismus an der Formung des Futuwwaideals in "Der Islam" Band XXIV, Heft 1, Januar 1937

ف . تشنر — حظ الصوفيه في تكوين المثل الاعلى للفتوه — رسالة منشوره في مجلة « دير اسلام » (الاسلام) — ٣ ص ٢٥ × ١٧

ان الاستاذ المستشرق الالماني تشنر انصرف الى البحث في الفتوه في الاسلام فألف فيها عده رسائل وهذه الرسالة هي المحاضره التي كان القاها في مؤتمر المستشرقين في رومة سنه ١٩٣٥ ويعرض فيها الى التمييز بين كتب الفتوه التي وضعها الصوفيه والتي عملها الادباء فيدل كيف حدث المتصوفه الفتوه الى طريقتهم وجعلوا منها موضوعاً عن المادة لمناحيهم وكيف سطا الادباء على معنى الفتوه من لدن المتصوفه ونالوا منه

واستشهد المؤلف على هاتين الطاهرتين بنصين قديمين احدهما من كتاب « تحفه الوصايه » للخرتبرتي والآخر من « كتاب الجماهر في معرفه الجواهر » لابي الريحان محمد بن احمد البيروني، فضلا عن تحليله لعده مؤلفات منها « كتاب الفتوه » للسلمي من ناحيه و « كتاب مرآه المروآت » لعلي بن الحسين بن حمدونه من ناحيه اخرى

والرساله على صغر حجمها مفيدة سليمة الطريقة في البحث

## الامراض الجراحية

الجزء الاول -- الامراض الجراحية العامه —لمؤلفه الدكتور مرشد خاطر
استاذ الامراض والسريريات الجراحية في معهد الطب وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق
طبع في مطبعه الجامعه السوريه في السنه ١٩٣٦

لا شبهة عندي ان مؤلفات معهد الطب العربي خير المؤلفات التي أتينا من دمشق وخيرها مؤلفات الدكتور مرشد خاطر ولا سيما هذا الذي بين يدي الآن واني لا أدري كيف انقده فالمؤلف صديق قديم كنا معاً في معهد الطب في دمشق الى ان خرجت منها في حوادث ١٩٢ فرأيت ان ابدأ النقد في ايراد مقدمة النفيسة لنعلم منهـا ما عاناه المؤلف وسائر الزملاء اساتذة المعهد الآخرين في تأليف الكتب العديدة التي يتحفوننا بها بين حين وآخر ايضا قال في المقدمة وقد أورد فيها فذلكة من تاريخ الطب في مصر وبيروت ما نصه

عمدت الله منذ توليت شؤون السريريات والامراض الجراحية في معهد الطب العربي بدمشق على تأليف كتاب في هذا الفرع يغني طلبة الطب عن مؤلفات الغرب ويسهل عليهم اقتباس هذا العلم ويكون في يد الطبيب العربي الممارس نوراً يستنير به في ظلمات الفن الجراحي الحالكة ، وفي خزائن الكتب العربية حجراً يسد به جزء من تلك الثغرة الكبيرة التي خرقها الاهمال ومرور الزمن في جسم اللغة العربية

وغير نكير ان لغة الضاد نامت عن العلم في عهد الدولة العثمانية التي بسطت سلطانها على بلاد العرب قروناً ثم استيقظت بعض اليقظة في معهد القاهرة الطبي وفي جامعة بيروت الاميركية ولم تطل يقظتها بل كانت نغطة مسبوت عاد اليه سباته العميق بعد ان نفضت عنهُ المنعشات التي أسعفت بها فلا جامعة القاهرة ولا الجامعة الاميركية ثبتتا في انهاض اللغة العلمية وترقيتها بل رأت الواحدة بعد الاخرى ان تعليم الطب وفروعه بلغة الضاد ضرب من المستحيل ، واذا أقررنا بان تلقين الطب باللغة العربية ، بعد تلك الفترة الطويلة ، من المعجزات فلسنا نراه اليوم مستحيلاً لا نجهل ان العرب بينا كانوا يعطون في يومهم كان الطب يسير في الغرب سيره المطرد ولما استيقظوا كانت بينهُ وبينهم هوة كبيرة لا يسدها الاَّ الجبابرة واستحدثت فروع لم يكن لها في الطب العربي ذكر ووضعت لها الوف المصطلحات ، ومنها علم الجراثيم ، والتشريح المرضي ، وفن النسج ، وعلم الاحياء ، وكلها قطعت من درجات الرقي في الغرب شوطاً بعيداً وكانت في الطب العربي القديم اثراً بعد عين فاذا ما رأت جامعة بيروت ان تعلم الطب باللغة العربية متعذر بعسر لهادعواها لان اساتذتها الاعاجم في ذلك العهد بعد ان اتقنوا العربية واستعانوا بعلماء العرب من آل البستاني واليازجي لم يستطيعوا متابعة هذا الجهاد حتى النهاية

اما الجامعة المصرية فلم تكن حالها حال الجامعة الاميركية ولا موقفها من لغة الضاد موقف تلك وكان في وسعها مواصلة جهادها ورفع عَلَم اللغة العربية على دورها عن مجرد ان يرفرف عليها علم لغة غيرها وفيها من علماء العرب من يسخرون العقول بفيض بيانهم ومن انصار اللغة من يعدون حجة فيها ولعل للسياسة ، قاتلها الله التي تستعبد اللغات كما تستعبد الشعوب ، الاثر الكبير في قلب لغة التدريس من العربية الى الانكليزية في معهد القاهرة على ما نظن وبذلك اعلنت الجامعة المصرية عجزها عن تعليم الطب باللغة القحطانية

ثم جاء دور الجامعة السورية وكان الاحرى بها ان تسمَّى « الجامعة العربية » لانها الجامعة الوحيدة التي تلقن الطب وفروعه بلغة العرب فلم تجارِ جامعة القاهرة شقيقة الجامعات ولا الجامعة الاميركية البيروتية في هذا المعنى بل رأت ان اللغة العربية المرنة صالحة لتعليم الطب والعلوم وانها كانت لغة العلم المشعة في العصرين الاموي والعباسي فمنها اقتبس الغرب علومه وعليها بنى اسس حضارته العلمية الحاضرة وان لغة هذا شأنها ترك ابناؤها في دور كتب العالم المؤلفات الناطقة بطول باعهم في مختلف العلوم لا تعجز اذا ما اعتراها داء عارض وأقعدها حقبة من الدهر، عن استعادة صحتها وفيها كل عناصر الحياة والنمو بيد ان اللغة لا تنهض الاّ بابنائها ، وابناؤها قد اعرضوا عنها الى سواها ، بعد ان رأوا اثداءَها التي كانت تدرُّ لبناً قد نضبت وكان الاحرى بهم ان يطعموها ويتعهدوها بما يصلحها ليعود درُّها فاللغة العربية غنية بما في معاجمها من المصطلحات المنسية ، وبما في اوزانها واشتقاقها من السعة فاذا توفر ابناؤها على العناية بها يعيدونها الى سابق مجدها فتتبوأ مقامها العلمي الرفيع الماضي وهذا ما فكرت فيه الجامعة السورية وما حققتهُ ، فانها احدثت منذ ست عشرة سنة تنفخ في اللغة روحاً جديداً ، هو روح العلم الذي لا تحيا اللغات الاّ به فوضع اساتذتها في مختلف الفروع مؤلفات قيمة أغنوا بها خزائن الكتب العربية وبرهنوا للعالم العربي ان ما كانت بدءًا الجامعات الاخرى حلماً قد تحقق

واذا كتب النجاح حتى الآن للجامعة السورية فقد حال طريقها من الاشواك والملم يلقي فيه كل يوم شيئاً جديداً فعلى الجامعة اذا شاءت بلوغ غاية النجاح ان تزيل هذه الاشواك وتمهد الطريق ليسهل على طلبة العلم سلوكه بسحب المصطلحات الجديدة المتواصل ووضع المؤلفات والجامعة السورية جادة في عملها وهي تعرض في كل سنة ثمرات أساتذتها اليانعة بما تطبعهُ من المؤلفات

هذا معظم ما جاء في المقدمة فهل وفق المؤلف في مصطلحاتهِ العربية وانى سأورد هنا بعضاً على سبيل المثال فأول ما وقع نظري عليه ما يأتي

التفجير drainage

في القاموس فَجَرَ الماء فجراً حبسهُ وفتح لهُ طريقاً وجعله ينفجر والمياه شقها وفجَّر الماء

بمعنى مجر شدد للمبالغة انتهى ما اريد نقله ولا شبهة ان المجير احسن كلمة لهذا المعنى والجراحون في ايامنا يعربون اللفظ الاعجمي ويقولون درنجة او درنية فأين هذا من ذاك وأما الكلمة الثانية التي بعدها

أحيائي biologiste

وكانوا مثلاً يقولون حيوي او عالم حيوي الكلمة قال احيائي كما قال المجمع اللغوي وهي كلمة عربية لا غبار عليها والكلمة التالية ما يأتي

الحامض الفنيي acide phénique

فانه لم يقل الحمض الفينيك او الحامض الفينك ولكنه عربها تعريباً ولا تثريب عليه في هذا الموقف ولكنه عربها وجعلها في حالة عربية ثم الكلمة الثالثة

المصوع opéré

كانوا يقولون مثلاً من عملت له عملية ثم الالفاظ التالية

الاستلقاح والاستمصال vaccinothérapie, sérothérapie, protéinothérapie

والاستهلاء فالاستلقاح هو المعالجة باللقاح والاستمصال المعالجة بالمصل والاستهلاء المعالجة بالهيولى ومنها

الحمرة الحميدة anthrax

الحمرة الخبيثة charbon

وكلاهما حمرة وهنا رحمه الله ... ولا يخفى ان هذين المرضين مختلفان تمام الاختلاف وان الاستعمال الفرنسي مخالف للانكليزي في المرضين بعض المخالفة

الصمامة الشحمية embolie graisseuse

تشحم الدم lipémie

ولوكان المجمع اللغوي لقال في الاولى الصمامة الدهنية وفي الثانية دم دَهِن او دُهنة الدم وكل ذلك مخالف لما جاء في القرآن الكريم في الشحم والدهن كما بينت سابقاً

هذا شيء يسير جداً من هذه المصطلحات وهناك مصطلحات كثيرة جداً منها الوهط والتسويل والإبالة والسويل خلاف الإبالة ومنها المقلوب والمكود والمأروق والإرقاء والمتحولة وهي التي سماها المجمع اللغوي المتموره والمعهد الطبي أسبق الى هذا الاصطلاح فاما لو سرنا على هذا المنوال ونحن في أول عهدنا في وضع المصطلحات وتوحيدها فانه لا يمضي زمن الا ونكون عندنا لغة أخرى ويزداد شقة الخلاف بيننا ونحن نريد التوحيد ومن هذه المصطلحات الآخ وقد وضع المجمع كلمة أخرى فيها خلاف الآخ والآخ عربية فصيحة ولعل بعض أعضاء المجمع لم يرقهم الاخ لأن فيها آخ فآخ وإيخ وأوخ لغة عامة شائعة ليس في الشام ومصر وحدهما

مل جميع أنحاء المعمور فهل نترك كلمة علميه فصيحة لأن أحد الاعضاء لم يستسغها ومن هذه المصطلحات ملتهم الجراثيم والداخليه المنشأ والخارجة المنشأ والعُصاب الوَرَبي والسحي العظمي والورم العظمي وأم الدم والرور والعقارب والحشة والريب وهو خلاف الريف وغيرها وهي تعد بالمئات والألوف وجميعها مع الاصطلاح الفرنسي

وهنا مسألة يحسن بأعضاء المجمع اللغوي الانتباه لها والتروي فيها فقبل ان ينتهي المجمع الموقر من وضع خمسة مصطلحات يكون المعهد الطبي قد وضع الوفاً فالمعهد له الحق في وضع هذه المصطلحات لأنهُ في قلب عاصمة من عواصم البلاد العربية ولأنهُ يعلّمها ولأن أساتذته من جهابذة اللغة والعلم فلا يسعنا الا القول هنا ان الزميل الفاضل وسائر الاساتذة قاموا بعمل تعجز عنهُ الجبابرة وهم جبابرة فليستمروا في عملهم ولا بدّ ان عملهم يثمر والناس من حولهم يختصمون على كلمة ويجادلون في غيرها ومن شاء البرهان على ذلك فهذا المجلد الأول امامنا ويتلوه خمسة اخرى والجملة ستة فهذا المجلد عدد صفحاته تكاد تكون الف صفحة مكتوبة بلغة عربية فصيحة

وانهُ قبل الانتهاء من العمل يكون أخصنا المؤلف وزملاؤه الافاضل بمعجم يكون اساساً لتوحيد المصطلحات العربية في الطب وصدق الله العظيم في قولهِ تعالى « ان الارض يرثها عبادي الصالحون » فعباده الصالحون في هذا العمل هم اهل دمشق امين المعلوف

## دائرة معارف المنزل الحديث

للآنسه نسيمة زكي ابراهيم — من قطع الموسط عدد صفحاته ٣٠٢

انمت الآنسه نسيمة زكي ابراهيم وضع موسوعة كبيرة تناول شؤون المنزل وادارته على احدث الطرق العلمية والعمليه واخرجت كتابها الاول « دائرة معارف المنزل الحديث » والكتاب مرتب ومبوب فالفصل الاول في المنزل وطريقة ماءة كتبه مهندس سان هو الاستاذ فريد ادرس اما فصول الكتاب الاخر فكتبتها الآنسه نفسها فالباب الثاني من الكتاب في حديقة المنزل وتنسيقها وزراعة الازهار والباب الثالث في ادارة المنزل وعلاج الجانب المادي فيهِ ومعاملة الخدم ونظافة البيت والساعات المنزلية والغسيل والكي والصباغة والباب الرابع وفيه مبادئ عن تربية الطفل وملابس الاطفال وغذاء الطفل والتغذية الطبيعية وفوائدها والرضاعة وفطام الطفل وهذا الكتاب احوج ما يكون اليهِ المرأة المثقفة لكي توجهها الى طريقة « فن ادارة المنزل » والواقع ان عائلاتنا المصرية محتاجة الى درس هذه الناحية من الحياة الاجتماعية والبيت هو المكان الذي يأوي اليهِ الانسان عقب الانتهاء من عمله فيجب ان يكون مكاناً صالحاً للراحة والهدوء والشعور بالنعيم العائلي وهذا لا يأتي الا عما تبذله فيهِ ربة الدار وانا لنهنئ الآنسه نسيمة بعملها الاجتماعي ونرجو لها اضطراد النجاح

## اسماعيل المفترى عليه

تأليف القاضي كراسس — ترجمة فؤاد صروف — صفحاته ٢٧٨ — ثمنه ٣٠ قرشاً مصرياً

كان عصر اسماعيل ، جد حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول ، حافلاً بالحوادث الخطيرة ففي سنة ١٨٦٦ فاز من السلطان بحق توريث أبنائه العرش بدلاً من اتباع نظام التوريث العثماني القائم على قاعدة الأرشد فالارشد ، وفي سنة ١٨٦٧ اتخذ لقب خديو ، تمييزاً له عن سائر الولاة العثمانيين، وفي سنة ١٨٧٣ اعترفت الاستانة لمصر باستقلالها مع بقاء الجزية ثم ان اسماعيل وجه عنايته الى تنظيم الحكومة والادارة والجمارك ومد السكك الحديدية وخطوط التلغراف وبنى المنائر ومرفأ السويس وحاجز الامواج في ميناء الاسكندرية وشق الترع للري وشيد السكاري وحارب النخاسة وبعث بحملة الى السودان لاستكشاف مجاهل القارة السوداء ، وفي عهده احتفل بافتتاح ترعة السويس وأنشئت المحاكم المختلطة

ولو ان ملكاً او أميراً ترك نصف هذه المآثر في بلاد أخرى لنعت بالعظيم ولكن من نكد الدنيا ان الاغراض المالية والسياسية تألبت على اسماعيل ، فتحكمت في مصيره فأزيل عن العرش ثم لوثت سمعته بما وصف به

فهل يرضى التاريخ بهذا الحكم على اسماعيل ؟ وهل كان حقيقة مبذراً للمال لنقص في ملكات التدبير ؟ وهل كان حقيقة طالب لذة يقدمها على شؤون الدولة ؟ وكيف يمكن ان نوفق بين هذا القول الاخير وقول الصحافي البريطاني ماكوان إذ قال — « من المفاوضة على معاهدة الى الموافقة على عقد لشراء فحم او آلات ، انه كان يعرف كل تفصيل من تفصيلات الادارة ولا يفوتهُ من الاعمال الادارية الا ما كان عاديًّا يسير من تلقاء نفسه وبكلمة ، من الاسكندرية الى وادي حلفا لا يكتفي سموه بالجلوس على الاريكة بل يحكم كذلك »

وكذلك قول القنصل الاميركي في تقرير سري « لقد وقف نفسه ونشاطه الذي لا يفتر على تقدم مصر » وتاريخ هذا الكتاب ١٥ سبتمبر سنة ١٨٧٣

فهل نعقل ان اسماعيل كان كما وصفهُ خصومه السياسيون والمرابون الدوليون الذين ابتزوا ماله واستعانوا بالساسة على قضاء اوطارهم ؟

هذه الاسئلة تزل في الصميم من تاريخ مصر الحديث وقد اتاح الله للحقيقة نصيراً في شخص القاضي كراسنس فقد فصل هذه المسائل وعشرات غيرها ، اوفى تفصيل مستنداً الى جميع المراجع المنشورة ، والى وثائق لا تزال مطوية ومحفوظة في سراي عابدين والمفوضية الاميركية بالقاهرة ووزارة الخارجية الاميركية بوشنطن

ان صدور كتاب من هذا القبيل بقلم قاض ومؤرخ اجنبي يجب ان يكون من الحوادث

ذات الشأن في حياة هذه البلاد العملية والوطنية. فانهُ علاوة على كونه كتاباً في التاريخ يغرى بالمطالعة، هو كتاب في الوطنية تحت مطالعة

وقد عني باخراجهِ باللغة العربية الاستاذ فؤاد صروف رئيس تحرير « المقتطف » بسماح من المؤلف وترخيص من دار النشر الانكليزية، وطبعهُ طبعاً متقناً وجلده تجليداً فخماً في دار النشر الحديث. عسى ان يستفاد بهِ في التربية الوطنية، لان تبيان مآثر الملوك والامراء والاقطاب وبعض مطامع الاجانب فيهم، من خير الوسائل لاقامة التربية الوطنية على أساس صحيح من العزة والكرامة

## « القصر المسحور »

تأليف الدكتور طه حسين — والاستاذ توفيق الحكيم — دار النشر الحديث بمصر

قصة ممتعة اشترك في وضعها علمان من اعلام الادب في هذا الجيل. وليس من المفروض ان اتحدث عن شخصيتهما في هذه العجالة. وان كنت حريصاً الحرص كله على ان اتحدث عن أثر ثقافتهما في ادب هذا العصر

تمتاز قصة « القصر المسحور » بما فيها من أخيلة قوية عشيتها استار من الفلسفة والنقد واي موضوع اثاره أي من الكاتبين خلا من الفلسفة او النقد؟! تحدث الدكتور طه عن قرية « سالنش » الباريسية وعن جمالها وكان تلك القرية بما نعم فيها المصطاف من روعة وجمال وهدوء اباحت لهما ان يجعلاها « مسرحاً » لقصتهما. ولقد ساول الدكتور في بدء حديثه بل في رسالتهِ الاولى التي اسماها « سمير شهر زاد » الاستاذ توفيق الحكيم شيء من النقد لايخلو من لذة او فكاهة او علم. قال عن لسان شهر زاد وهو يسألها لم لم تقض الشتاء في مصر « فتجيب » « هو الذي ردني عن مصر كتابه هذا الذي لم احبه ولااستطيع ان احبه. لانهُ كشهريار لم يفهمني وما اظنه سيفهمني » وهي هنا تذكر قصة « شهر زاد » ثم يتحدث الدكتور طه حسين فيقول « اني لم افهمك ولم احاول فهمك ولن احاوله لانك احب الي وآثر عندي واجمل في نفسي من ان امسك بهذا السوء الذي نسميه الفهم واستكشاف الحقائق. ومن فهم شيئاً فقد قتله » وليس من شك في ان « موضوع شهر زاد » او شخصيتها الخيالية قد كتب عنهُ طائفة كبيرة من الكتاب في اوربا. وكل اديب عالج شخصية « شهر زاد » فهو بلا ريب اكسب تلك الشخصية الواناً من شخصيتهِ هو واضفى عليها طابعاً فنيًّا لادبه. وانا لست أنسى هذه الخصومة التي قامت بين الاستاذين عقب نقد الدكتور طه حسين « لشهر زاد » ورد الاستاذ توفيق الحكيم في هذا الصدد بقوله « ولقد قرأت مقالك عن شهر زاد وما احسبنا

تلاقسا فيه عند رأي» ونشاء « الرمن » الاّ ان يستحيل « الحكمَ » الدكتور طه حسين على لسان « شهر زاد » في اولى مقالات الكتاب ولكن لعل ان يكون هذا التسحيل سبيلاً لخلود هذا الاثر الادبي للاستاذ توفيق الحكيم مما هجر به نهضة « التأليف » عندنا ولست اول الاقتباس او الترجمة ولا سيما في « قصة » اراد بها الاستاذ الحكيم « التمثيل » وهكذا مضى المؤلفان في رحلة طويلة تجمع الى اللذة هذا الشعور المعنوي الذي تعرضه الكاتبان لدرس الاعراض الادبية والاجتماعية في الحياة فقد حوى الكتاب احاديث خصبة عن طبيعة الاديب وعن ضميره وعن الحرية الفكرية التي تخرج عن مأوى لها في عالم الاشباح كما تخرج ... مكان تعيش فيه بين الاحياء فاذا امعنت في قراءة الكتاب فانك بين رسائل كلها ... تحدث هي نفسه وافكار تسوقها الاحيلة الرفيعة الى ذروة البلاغة ومن ابدع ما ... «آلة الزمن» و «فلسفة سنسها» ولعلها اذكرني بقصة ولز المعروفة The Invisible Man الرجل «غير المنظور» و«آلة الزمن Time Machine » وقصة «شهر زاد» لا بل كتاب «القصر المسحور» عمل ادنى نزع الى الدرس والتحليل في قالب عربي خيالي ولعل طابع الكتاب يجمع بين طبيعة الحياة الفرنسية واحسها الشرقية وثابت ان « الاثر » العربي قد ارتقى بل تجدد في الوانه وفنونه واعراضه وهو ما لم تصل اليه الشعر بعد فالكتاب يخلو من التزويق والهياكل والتراكيب القديمة التي تتحلى بها المؤلفات التي تقوم عليه مثلا « الف ليلة وليلة » وغيره من كتب القصص العربي وكذلك « ... » الدكتور طه في رسائل هذا الكتاب — لعل اسلوبه ... على انه قد كتب احلامه ... في نظر به ... « ... » في فمه لطائف رسائله وحي الخاطر وكأنها ... من سجيته نفسه فأما «الحوار» وطبيعي ان يختص به « الاستاذ توفيق الحكيم » فقد بلغ حد الروعة والاعجاب فقصة « القصر المسحور» اذن فتح جديد في سماء الادب المصري الذي يجب ان تكون قوامه المعاني لا الالفاظ والدرس والتحليل لا الخيال الاجوف القائم على الرنة

حليم مبري

## تاريخ الاستعمارين الفرنسوي والايطالي

### في بلاد العرب

### تأليف الاستاذ امين سعيد

منذ شهور قليلة من عام اخرج الاستاذ امين سعيد مؤلف الثورة العربية الكبرى وسلسلة تاريخ الاسلام السياسي كتابا جديدا عن تاريخ الاستعمار الانكليزي في بلاد العرب، ووعد المؤلف قراءه بعد ما يفرغون من ... اتمام قراءته سيجدون جزءا ثانيا له هو تاريخ الاستعمارين الفرنسوي والايطالي في بلاد العرب وقد بر المؤلف بوعده، وها هو ذا الكتاب

يظهر، فيضيف الى مكتبة الدراسات العربية التاريخية الحديثة سفراً هامًّا يسد فراغاً كبيراً، ويتناول بالبحث موضوعاً ظهرت فيه بشتى اللغات الاوربية عشرات ان لم نقل مئات المؤلفات

تناول المؤلف بالبحث ، في هذا الكتاب ، اتصال فرنسا الاستعماري ببلاد العرب ، فعد الحملة الفرنسية على مصر في عهد نابليون اولى مراحل هذا الاتصال وسار في بحثه مع الفاتح الفرنسي الكبير من الاسكندرية حتى الوجه القبلي ، ثم شهد معه ثورات المصريين المتصلة، وعودته الى بلاده ، ثم مقتل كليبر ، وتحالف انكلترا مع تركيا على اجلاء الحملة وبعد ان اتم اخراجها من البلاد وقف وقفة غير قصيرة عند النتائج السياسية والعلمية التي انتهى اليه غزو الفرنسيين لمصر

وانتقل المؤلف بعد هذا الى الحديث عن فرنسا في الجزائر ، ورسم صورة واضحة لجهاد شعب هذه البلاد، تحت قيادة الامير عبد القادر الحسني ، وما انتهى اليه الصراع من غلبة الجيوش الفاتحة واستباحة حريات البلاد وتملك الفرنسيين لها

وفي الفصل الثالث من الكتاب تفصيل لاستيلاء فرنسا على تونس ، مع التمهيد بذكر لمحة سريعة عن تاريخ البلاد وفي الفصل الرابع وهو اطول فصول الكتاب تفصيل استيلاء فرنسا على المغرب الاقصى وما احاط استعمار هذه البلاد من تنافس دولي اشتركت فيه ايطاليا وفرنسا وانكلترا والمانيا ، وما تمخض عنه التنافس من عقد مؤتمر الجزيرة الذي اطلقت فيه يد فرنسا ، فأخذ تكيد للحكم الوطني ، حتى اوقعت الشقاق في البيت المالك ، وعدت منه هي حتى استولت على الغنيمة الكبرى وهي المغرب الاقصى نفسه

وينتقل المؤلف بعد هذا من افريقيا الى آسيا ، ليبحث في اسباب عن المعاهدات السرية التي مهدت لاحتلال الشام والعراق، وموقف اليهود، وما انتهى الامر من انتداب فرنسا في سوريا ثم يناقش المؤلف نتائج الحكم الفرنسي لسوريا ، ويذكر في اخبار ثورات السوريين الاستقلالية وآخر فصول الكتاب ، هو القسم الخاص باستعمار ايطاليا لطرابلس الغرب وما سبق احتلالها من حروب اشترك فيها بعض قواد الدولة العثمانية،وختام هذه الحروب باستيلاء ايطاليا على شطوط طرابلس الشمالية ، ثم قيام الشعب الطرابلسي للنضال عن حريته

هذا مجمل سريع لكتاب تاريخ الاستعمار الفرنسي والايطالي في بلاد العرب ، ولا يفوتنا ان نذكر ان هذا الكتاب — ككتب المؤلف جميعاً — حافل بمجموعة من اهم وانفس الوثائق التاريخية والخرائط والصور النادرة للحوادث والاشخاص ، التي يتعذر جدًّا الوقوف عليها في غيره

ويقع الكتاب في اكثر من خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، وقد تعهدت نشره دار احياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة

## تاريخ التربية

تأليف عبد الله مشنوق — مطبعة الكشاف بيروت — طبعة ثانية صفحاته ٢٢٥ قطع المقتطف

مما يثلج له الصدر ان يتاح لمؤلف هذا الكتاب طبعةٌ ثانية ، لان هذا الاقبال على كتاب في تاريخ التربية ، دليل على ان في العالم العربي طائفة من القراء يهتم بالاصول ويعرض عن الزبد وتغيي بما ينفع الناس والكتاب جدير بهذه العناية فهو كأحسن ما اطلعنا عليهِ من مؤلفات العربيين في تاريخ التربية في عصورها المختلفة ، وتطورها وقواعدها وفلسفتها وسير اقطابها ، وان كانت السير في هذا الكتاب خاضعة بحكم الطبع ، اسيافه الخاص وهو يقتضي الاختصار فيها لتغليب المبادىء على التراجم . وحبذا الحال لو عني المؤلف باتحاف المقتطف ، أو بتأليف كتاب ، يكون غرضهُ الاول كتابة سير الاقطاب التربية ، او رسم صورٍ قلمية لهم في فصول خاصة ، بحيث تكون السيرة سبيلاً الى تشويق المطالع واغرائهِ بتتبع البحث ومن بواعث اغتباطنا انا ادركنا بعض هذا الغرض بكتاب « اساطين العلم الحديث » وانا لا نتردد مطلقاً في القول بان هذا الكتاب خير كتاب عربي لتدريس تاريخ التربية في مدارس المعلمين في الشرق العربي ، على نحو اتيحت لنا دراستهُ في كتابي مونرو وسيلي باللغة الانكليزية في عهد الطلب

---

## سميراميس

تأليف ارنست استار — ترجمة سليم سعده — دار النشر الحديث

ان يكن قد أصاب الشرق ما أصابه من علل وأوصاب ، فت في عضده ، ونالت من كيانه ، وعطلت من نشاطه ، وجعلتهُ تابعاً متعقباً بعد ان كان رأساً هادياً متبوعاً ، ان يكن قد أصاب الشرق من الوهن ما جعل شأنه من الهوان هذا الشأن ، وحاله من الزراية هذه الحال ، فليس ثمت شك في انهُ باقٍ كما كان عظيماً بقوته الروحية ، ملحوظاً بسموه المعنوي ، يبعث من سره ومن سحره ما يحير الغرب ، وما يابحثه دائماً — حين يعجزه اكتشاف كنهه — الى ان يصفهُ بالغموض ، وان يُضفي على سيرتهِ اهاباً من الخفاء

مهما قيل اذن في الشرق فلا ينكر عليهِ انهُ مهد الانسان الاول ، ومشرق حضارة البشر ، ومهبط رسالات النبوة ، ومصدر القوى الانسانية المعجزة الخارقة ، تلك القوى التي علمت الانسانية العلم ، ولقنتها الحكمة ، وعرفتها الفنون والآداب وهو وان عني برجالهِ ، واعتزَّ بسيرهم ، فهو كذلك قد عني بنسائهِ ، واعتزَّ بسيرهنَّ ، ولئن ذكر التاريخ أولئك النساء ، واحدة اثر واحدة ، فذكر مثلاً كليوبترا ، وجنشبسوت ، وهيبشيا ، وبلقيس ومن اليهنَّ فهو لا بدَّ ذاكر على رؤوسهنَّ تلك الملكة العظيمة الخالدة التي ان لم تكن ذهبت في أسلوب حكمها مذهب الاثرة

والاستعداد الفكري لكان يمكن ان تكون قد أفلحت في ان تغير خريطة الدنيا ، وتبدل من معالم الناس ، وتبعث شيئاً جديداً في التاريخ

هذه سميراميس ، ملكة أشور وعاهلة نينوى ، المرأة التي لم تكن الدنيا على رحبها لتتسع لما كان يجيش بهصدرهامن آمال ، الملكة التي وهبتها الطبيعة الى نعمة الجمال نعم القوة والرشاد والتوفيق توسعت في بناء ملكها ، فكانت تقود جيشها الزاخر الكبير وتوجهه يمنة ويسرة حيثما شاءت ، غازية ، فاتحة غانمة ، رابحة ، مصيبة ما تحلم به من اتساع ملكها ، وخفوق علمها فوق بلاد شتى وامصار ، حتى لقد مست آمالها مصر وكادت ان تحدث فيها حدثاً جللا

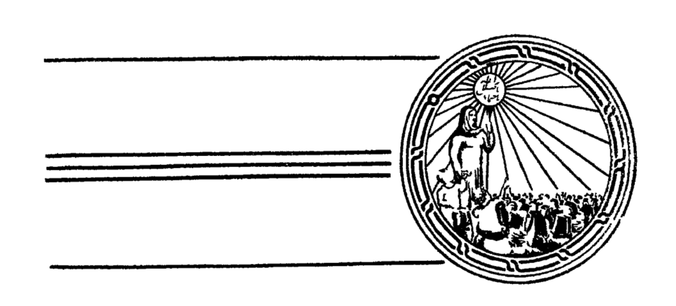
كانت ملكة واسعة الجاه ولكنها كانت كذلك امرأة ، ذات جمال ، وذات قلب ، وذات هوى لذلك لم يكن بد من ان يصطدم اسلوبها في تدبير دفة سفينة الدولة باسلوبها في الاستمتاع بحياتها الشخصية الخاصة اصطدم ادن السيلان احدهما بالآخر ، وكان لرجال الدين في هذا الاصطدام العنيف شأن ويد وكلمة ، وكان مبعث هذا في كثير من الاحايين هوى عنيف تملك قلب رئيس ديني كبير نحو سيدته وملكة بلاده ، وصاحبة العرش العظيم سميراميس فاخذت الدسائس تعمل من جانب خفي لا علم لها به ، ولا سلطان لها عليه ، واخذ هواها الخاص يطرد في سبيله لا تسيغ ان يعترضه معترض أو يقف في طريقه واقف ، وكان طبيعيًّا وقد انتهى الحال الى هذا الحد ان يتحرج ، وان يطرد في تحرجه ، وان يكون له غاية ، وان يكون منه نهاية — وقد كان — بعد جهاد شاق عنيف — المصير المحتوم ، فسقطت سميراميس

تنحرت الملكة القوية الباهرة ، ذات الجمال والسحر والسلطان على جناح طائر صغير وفيٍّ كان يحل بمكانه اللين الوديع الآمن طيلة حياته على كتفها الحنون الدفيء — هكذا كانت نهاية سميراميس وهكذا اباحت بهذه النهاية الموجعة ، كما اباحت سيرتها الحافلة ان يفرد لها التاريخ من تاريخ النابهات صحيفة مشرقة باقية

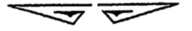
وقد راق الاستاذ سليم سعده ، قصة هذه الملكة العظيمة التعسة ، فأفرد لها من وقته الثمين المملوء بالمشاغل والمتاعب ، فنقلها الى العربية في أسلوب شائق وبيان ساحر كأنهُ الغدير الهادىء الفاص ، او النغم المسترسل الحلو الحنون يذهب بك مأخوذاً بعيداً بعيداً ، الى عصر غامض جميل من عصور التاريخ فيحيك بينهم ، في ظل سميراميس ، وصحبة عاشقيها ورجالها الدينيين ، حيناً من الدهر ويعرض عليك مشاهد حياتها المجيدة المجهدة اللذيذة عرضاً اخاذاً طريفاً لا تشعر له بآخر الا حين تقلب ورق الكتاب فلا تقع عيناك الا على غلافهِ الازرق الجميل ، فتعلم بذلك ان الحلم قد مضى ، وان القصة قد تمت فصولاً

حامد عبد العزيز

# فهرس الجزء الرابع من المجلد التسعين







# الرجل الصغير

لمحمد صادق عنبر

مجمع اللغة العربية الملكي

---

أهو طفل وليد وضع لساعته، أم ملك؟ أم كوكب جديد، طالع في هالته، من فلك؟ وهذه غرته على رسم هلال وهذه طرته تبارك الله ذو الجلال

وتلك بشرى شعره، كأن يد الله لونته من ألم أمه ليلة وضعته حال حين كأنه من لون فرحتها، ساعة استهلته

وهاتان عيناه الجميلتان صنعهما الله كأنهما من المسك أجمل سطين، في أصغر سكين، بديعتين من أصفى لجين

وذياك ثغره ما أبدع وما أجمل! إنه بعد ابتسامه بل يوشك ان يرف عليه طيفها فيذوب فيه هم قلبي، ويشتريها بالعمر كل محرومين وبالدنيا كل مملكين غير معصين

وهاتان شفتاه كأنهما حل مصورها على ابتسمها من وردة في كمها

وذان خداه طبعا شبه وردين لا تقطف واحدة منهما إلا شفعين اثنين

وذاك ابتسامه الحبيب الى أبويه لأنه من بين صلب الأب و ترائب الأم حلقة المبدع وقدره وفي الحشا كما أراد دوره

***

هو لطف الله يخص به الأسرة المختاره ويحسد عليه الجارة الجارة

هو وصلة إنسانية بين سلف وخلف و حاضر بين ماض عبر ومستقبل منتظر

وهو حلم الأم في يومها، وشغلها في نومها، وحبها الذي تتحرر به بعدلها ولومها، وهو قلب الأب وعنوان كيانه، وربحاء شبابه، وصلة من بين أحبابه يعطه لمستقبل عمل ويومه في رحوله أمل

وهو كون ضعف ضعيف، ولكنه أقوى ما في الكون، بل هو ضعف كمنت فيه القوة

كمون النار في الرماد، واستتر فيه الصبا والفتوة، كما تستتر النور من العين في سواد، وعزائم الشباب المرجوة، يوم الكريهة والجلاد

وهو للأمومة عنوان مثالها، وميزان رسالتها، وما رسالتها إلاّ أن تفرق نفسها لتجتمع في بنين وبنات، يتساوون في سنوات، او يتفاوتون في فترات

وهو بدايته أستاذ أبويه، ومرشد كافليه، لأنهُ ساعة تضعه أمهُ تضع على رأس أمه تاج الأمومة، والأمومة معنىً من السماء، وبهذا المعنى تعتز الأم وتختال لأنها تبدأ به رسالتها في الحياة، وما رسالتها الا ان تبني الفرد وهو وحدة الاسرة وبهذا يكوّن الاسرة وهي وحدة الجماعة، وهذه تكوّن الامة وهي وحدة الانسانية، ناهضة في سبيل ذلك بأثقل عبء من الواجب وتعانيه صابرة على نوائب الحق ومقتضياته وذلك لعمري معنى سام، ينظر الى معنى جليل من الرسالة الالهية التي شرف بها الانبياء

فهذا الطفل بل هذا الاستاذ الفاني الصانع تعلَّم أمه أول ما يعلمها الحنان، وهو أصل معاني الحب، وتغرس في قلبها الرحمة، وهي خير خلال الخير، ويبعث فيها الصبر، وهو أفضل الفضل، ويطبعها على الايثار، وهو أكرم مظهر من الكرم، ويغريها بالشجاعة وهي من أداة البطولة ويزين لها انكار الذات، وهو أفضل ما في الفضيلة، ويحملها ان تعوّل على نفسها، والتعويل على النفس رأس النجح في الحياة، ورأس مال الاحياء وهذه لعمري سبع خلال ينتهي اليها في الانسانية الكمال

وهو ينشىء في حسّ أبيه طائفة من الرهافة والإلهام لم تكن في حسه من قبل ان يكون أباً وهو على الاجمال يجعله بالملائكة أشبه منه بالانسان، بل يسمو بانسانيته الى مستوى يكاد يسمع فيه رفيف أجنحة الملائكة، ويتفجر في نفسه فصل طفولة سحري من السعادة لا سر به يفيض ولا نقص وينفجر ولا يتغير

ومن آية حنان الام أنها تدع اسمها الذي كا[illegible] [illegible] به وهي بعد فتاة، فلا تعود تعرف الاّ بالاضافة اليه

ومن آية حب الأب لابنه أنه يرى فيه أ[illegible] [illegible] [illegible] عينيه في غده، وحاميه في أهله من بعده، ولله در القائل

وإنما أولادنا بيننا [illegible] أكبادنا تمشي على الارض

[illegible]

# التربية الاستقلالية

[illegible]

[illegible]

سأحاول ان احدثكم عن التربية الاستقلالية لانها [illegible] للامة ان تعيش وتقوى فيه الا اذا اعدت لها افرادها اعداداً [illegible] اذن ان [illegible] اطفالنا بحيث تصبح شخصياتهم حرة [illegible] ولاجل ان تكون الشخصية كذلك يجب ان [illegible] فيها خصال ثلاث

الخصلة الاولى هي ان يعتمد المرء على نفسه في اعماله وأفكاره والخصلة الثانية هي ان ينسجم مع بقية افراد المجتمع ويكون عضواً نافعاً فيه وبعبارة اخرى لا يكون شاذاً عن المجتمع خارجاً عليه بل يتصل بشتى افراده في الرخاء والامساك [illegible] والخصلة الثالثة هي ان يكون الشخص قادراً على مواجهة شدائد الحياة بشجاعة وقوة صبر [illegible] ان [illegible] و [illegible] ان تحدثه

هذه هي الشخصية المستقلة تعتمد على نفسها وتنسجم مع افراد المجتمع بحيث لا تشذ عنهم ولا تتلاشى فيهم [illegible] بالشجاعة والاقدام [illegible] ان نربي اطفالنا على كل هذا ؟

الطريقة سهلة وتدور من حول محور واحد وهو الثقة بالنفس [illegible]—اي الثقة بالنفس— لا يجوز ان نفهمها [illegible] على انها صفة الغرور فالشخص المغرور هو الذي لا يرى عيوب نفسه او يراها على انها محاسن وزيادة على ذلك فهو لا يرى محاسنه الا بمنظار مكبر وعلى عكس هذا تماماً الشخص المحتقر نفسهُ الذي يبخس نفسه حقوقها ويكر عليها حسناتها وكلا هذين الشخصين المغرور والمحتقر نفسه لا يمكن اعتبارهما من الشخصيات الحرة المستقلة المتصفة بالثقة بالنفس فالواثق من نفسه هو الذي يفهمها على حقيقتها ويدرك ما بها من نواحي [illegible]

وله [illegible] اولاً ان نلقي نظرة [illegible] من الحياة [illegible] الكلام وعلى ذلك [illegible] الاسرة [illegible] في [illegible] حتى يخرج الى [illegible] في [illegible] الاسرة ثم [illegible] في الحياة فيمر الطفل [illegible] الى اخرى

لنأخذ [illegible] في الدور الاول من الحياة [illegible] في ذلك على امه وهي تطعمهُ وتقضي حاجتهُ وتعمل على توفير راحته وتحرى [illegible] وعلاوة على ذلك فهي لا تعافهُ ان أزعجها طول الليل بصياحه ولا تضربهُ اذا كسر أو اتلف شيئاً

فحياة الطفل اذن في هذا السن حياة سعيدة هادئة محفوفة بالامن والطمأنينة والشعور بالامن في هذا السن هو نادئة الثقة بالنفس والانتقال من هذا الدور الى ما بعده يجب ان يكون تدريجياً ما امكن ولكن قد يحصل غير هذا فربما ضرب الطفل اذا بكى وعوقب اذا اتلف ونهر اذا لعب أو تكلم امام الضيوف وكثيراً ما نسمع الآباء في وجوه ابنائهم في هذا السن قائلين (يا عيب ودا ما نستحش منى، ياه حياء ) الى غير ذلك مما لا معنى له في نفسه كطفل

وهذا التغير من حالة السعادة والراحة الى حالة الآلام والايذاء والمنع من شأنه ان يغير الشعور بالامن الى شعور بالقلق والاضطراب وهذا اول ما يظهر في الطفل ثقته بنفسه

ومما يضعفها ايضاً كثرة النقد والحصر والضبط فمن شأنها ان تشعر الطفل بانهُ لا يمكنهُ ولن يمكنهُ ان يأتي عملاً مرضياً ونتيجة هذا الشعور المؤلم الماس ان ينزوي عن الناس ويرغب عن معاملتهم وان قابلهم فانهُ يظل هادئاً صامتاً منكمشاً في نفسه وهذا هو الشخص الخجول الحساس الذي يخشى ان يتكلم او يتحرك امام الناس ان يسخروا منهُ

وعلى نقيض الطفل الذي يكثر من نقده نجد الطفل الذي يسرف في مدحه فمن الخطأ ان يظن الآباء ان كثرة المدح مشجعة للطفل بل الحقيقة ان الاسراف فيه يؤدي الى شدة الغرور والاسراف في كل من النقد والمدح يؤدي الى نتائج اخرى سيئة لا يتسع المقام لها الآن

وننتقل الى علة اخرى يرتكبها الآباء مع ابنائهم وهي عدم اتاحة فرصة المخاطرة للابناء يقوم بعض الآباء بحراسة ابنائهم ... خوفاً من الآلام وهذا خوفاً من جرح ايديهم ولكنهم بهذه الطريقة يحرمونهم من الجرأة واكتساب الخبرة نعم انهم يحافظون عليهم من بعض الخطرات البسيطة ولكنهم يحرمونهم من اكتساب صفة المخاطرة التي هي أساس الاقدام والشجاعة

والخصلة الاخيرة التي ... النها هي الاستقلال في الرأي وكثير من الآباء يفكرون لاولادهم ظناً منهم ان في هذا ... للوقت ... يرون على اولادهم في كل ... وتارة اخرى يملون عليهم كل شيء ... وهذا ... يفكر الطفل لان ... لا ... لا يفعل شيئاً من تلقاء نفسه ... النتيجة ان ... ابعاً لغيره في تفكيره وليس له ... نفسه ... ما

فعلى الآباء والمدرسين ... في الطفل ... انما ... في صميمه وقد يترك لديه ... نفسه ... اراد ... طفل ... الاستقلال ... فلنحذر التغيرات المفاجئة في ... الى ... ركز ... والحصر ولكن في نفسه رغبة الاسراف في المدح ... الرضا او الالم ... على بعض الاعمال ولنعطيه ... اداء اعماله بنفسه وكذلك فرصة المخاطرة وليدعهُ يفكر لنفسه ولكن موقف الآباء والمدرسين موقف الموجهين ليس الا ... كانه ... في الطفل ... نفسه ولكنها ... كاملة اذا كان لنا في الطفل ثقة بحسبها بنفسه فما فاذا حافظنا اذن على ثقة الطفل بنفسه واظهرنا له ثقتنا به نجحنا في تنشئته كشخصية قوية مستقلة

# أطفال الشوارع

للسيدة مرنا كمال الدين فهمي

---

ان مشكلة الطفل الذي يعيش في الشوارع من أهم المشكلات الاجتماعية والمعلومات والنتائج التي سأبني عليها كلمتي هي نتيجة أبحاث قمت بها بمساعدة بعض أصدقائي وتناولنا فيها خمسين طفلا كانوا يعيشون وينامون في الشوارع من المستحيل ، ان ألم بالموضوع كله في الوقت القصير الذي عندي ولكن سأجتهد ان اذكر لكم بعض الوقائع والحالات الضرورية التي ظهرت لي وأملي اثارة اهتمام جميع المهتمين بمصلحة الطفل المصري وشعورهم

لما حضرت الى مصر وسألت بعض الناس عن سبب وجود اطفال كثيرين يعيشون وينامون في الشوارع كانوا دائماً يردون عليّ بأحد الاسباب الآتية

(١) كل هؤلاء الاطفال يتامى (٢) هؤلاء الاطفال عاطلون ولا فائدة منهم

(٣) توجد ملاجيء كافية لهم ولكن لانهم عاطلون لا يريدون ان يذهبوا اليها

ولكن ابحاثي اظهرت انه ليس بين هذه الاسباب سبب صحيح فأولا من الخمسين طفلا واحد فقط كان يتيماً تماماً وما كان يمكن ان يقال عنهم انهم عاطلون ولا فائدة منهم ثالثاً بالرغم من مجهودات الحكومة وبعض الهيئات الخصوصية فانه لا توجد موارد كافية لسد حاجات هؤلاء الاطفال

الواقع ان وجود هؤلاء الاطفال في الشوارع ومعظمهم يعيشون فيها من اشهر وسنين يدل على وجود مشاكل اجتماعية خطيرة لا بد من حلها لان استمرارها يؤثر تأثيراً سيئاً في حياة الاطفال عموماً

يعيش الاطفال في الشوارع لاسباب كثيرة مختلفة متداخل بعضها في بعض ولكن بين العوامل الكثيرة التي لاحظتها عاملين مهمين جداً ، العامل الاول كثرة الطلاق والزواج بالنسبة لاحد الزوجين او كليهما فان اكثر من ٣٠ ٪ من الخمسين طفلا الذين درستهم وردت عائلاتهم كانت ضحية هذا العامل لان نتيجة هذا الطلاق والزواج كانت اهمال الطفل وسوء معاملته وكراهية الزوج الجديد او الزوجة الجديدة له وتعامل الهروب عدم امكان الطفل ان يتمشى مع حياة عائلته المقسمة — على نفسها — فيهرب أما العامل الثاني المهم فكان عدم استطاعة الوالدين او اولياء الامور ان يديروا شؤون الطفل ادارة حسنة هذا العامل ظهر في ٣٠ ٪ من الاولاد الذين درستهم ويرجع الى اسباب كثيرة منها ( ) موت الاب او الام (٢) ارسال الطفل للعمل وهو صغير السن جداً وتحت احتمال السعة ( ) الجهل العام بادارة الوالدين لشؤون اطفالهم

وعلاوة على العاملين السابقين المهمين جداً هناك عوامل اخرى كان من نتيجتها وجود هؤلاء الاطفال في الشوارع من هذه العوامل ( ) الانتقال من الارياف الى المدينة (٢) عاهات عقلية او جسمية في الطفل (٣) فساد اخلاق الوالدين (٤) اهمال الطفل (٥) رغبة العائلة في زيادة دخلها ولكن

من المفيد جداً هنا ان نلاحظ ان هذا العامل الاخير كان عاملاً ثانوياً في الحالات التي درسها

وعلاوة على العوامل الكثيرة المباشرة التي ذكرناها هناك عوامل عامة كان لها تأثير غير مباشر ولكنه مهم جداً في مشكلة اطفال الشوارع هذه العوامل هي (١) سوء حالة العمل (اعني ساعات عمل طويلة ومعاملة خشنة وأجر قليل) (٢) الفقر (٣) عدم وجود وسائل صحية للرياضة في المنطقة وطبعاً كان نتيجة ذلك ان حركة الشوارع وضوضاءها كانت مغرية جداً للطفل (٤) نقص التعلم والتدريب على صنعة من الخمسين طفلاً سبعة فقط دخلوا الى المدارس ومن هؤلاء السبعة واحد فقط قضى في المدرسة اكثر من خمسة اشهر

في هذه الكلمة الموجزة ليس لدي من الوقت متسع لأن ارسم لكم صورة شاملة لحاجة هؤلاء الاطفال وآلامهم وبؤسهم الذي يثير الشفقة ولا لأن اطيل الكلام في التأثيرات المضرة جداً التي تنتج من حياة الشوارع التي سميت بحق «مدرسة تمام الاجرام» وانما يكفي ان اشير الى ان ٣٠ / من الخمسين طفلاً الذين درستهم بدأوا فعلاً [illegible] اي انهم بدأوا فعلاً حياة الاجرام من المحقق اذن سواء من وجهة نظر المجتمع وطأة العذاب والتعاسة او من وجهة نظر حماية المجتمع من الاجرام ان هؤلاء الاطفال [illegible] عاجلاً ولكن كيف السبيل الى مساعدة هؤلاء الاطفال وكيف يمكننا ان نمنع اطفالاً آخرين من الالتجاء الى الشوارع ؟ من المهم جداً ان نفهم من الاول ان سياسة [illegible] والاصلاحات ليست حلاً كاملاً للمشكلة على قليل فائدتها بل يجب علينا ان نصل الى العوامل الاساسية التي تسبب هذه المشكلة فنستأصلها فاذا اردنا ان نقوم بالاعمال [illegible] وجب وضع برنامج منسجم لخدمات اجتماعية جديدة واصلاح اجتماعي شامل

لذلك فان اي برنامج هدفه معالجة مشكلة اطفال [illegible] امس مبدئين

المبدأ الاول يجب ان يكون العلاج [illegible] مسهلة فاية مساعدة تسدى الى الطفل [illegible] ان تسدى [illegible] ولا يمكن [illegible] هذه الحاجة من نواحيها المختلفة الا بعد دراسة [illegible] الاجتماعية

المبدأ الثاني [illegible] الا فقط حتى يرتكب هؤلاء الاطفال الجرائم [illegible] اي وقت كان ان نساعد الطفل في نشأته الاجتماعية العادية [illegible] خسيرة للخطوات التي يجب اتباعها والتي يجب ان تكون [illegible] لمعالجة هذه المشكلة

فأولاً يجب انشاء مأوى بسيط لاطفال الشوارع يؤويهم مؤقتاً [illegible] ودلك على سبيل الشروع فقط والى ان [illegible] اوسع نطاقاً فان هؤلاء الاطفال — وفي الشتاء خصوصاً — يتحملون

ألماً وعداءاً كثيراً ويكمشون معاً في الشوارع — وهم يرتجفون برداً — طلباً لشيء من الدفء والنوم

ثانياً لعل أفضل عمل في سبيل الناشئين الذين ليس لهم اقارب او الاطفال الذين لا تصلح اهلهم للعناية بهم هو انشاء ملاجيء او مدارس صغيرة للتعليم الصناعي او الزراعي ولكن من المهم جداً في هذه المعاهد ان تتيح للاطفال العناية الفردية الشخصية لانها ضرورية جداً لنمو اخلاق الطفل وشخصيته واحسن طريقة للقيام بذلك هو تقسيم الاطفال الى جماعات صغيرة تشبه الاسر ويكون شخص واحد مسئول عن جميع حاجاتهم وكل اوجه الاصلاح الخاصة بهم ويعيش على اتصال وثيق بالطفل وعلاوة على ذلك فانه من المهم جداً استمرار الاتصال بالطفل ومساعدته بعد خروجه من هذه المعاهد من ذلك نرى اننا في شدة الحاجة الى اشخاص احصائيين عندهم دراية كافية بطبيعة الاطفال ومشكلاتهم للقيام بالاعمال المطلوبة في هذه المعاهد

ثالثاً نحن في شدة الحاجة الى بحث القوانين الخاصه باسرار الاسرة وتعديلها فالطفل المصري في احتياج شديد الى قوانين عصرية لحمايته من القسوة وتأثير فساد الاخلاق والاستغلال والاهمال والى هيئة لتنفيذ هذه القوانين وكذلك نحن في احتياج الى هيئة عملها الوحيد هو العناية بالاطفال المهملين والذين تساء معاملتهم ويكون لها السلطة لنقلهم من بيوتهم اذا اقتضى الامر ذلك أليس من الغريب ان يكون في مصر جمعية للرفق بالحيوان ولا يكون فيها جمعيه للرفق بالاطفال وحمايتهم من القسوة ؟

رابعاً نحن في اشد الحاجة الى زيادة نشر التعليم الالزامي المبني على احتياجات هؤلاء الاطفال مع العناية بالتعليم الصناعي خاصة اما الاطفال ذوو العاهات العقليه او الجسمية فهي احتياج شديد الى تربية وحماية خاصه

خامساً نحن في شدة الحاجة الى معاونة اجتماعيه ورياضية مثال ذلك انشاء ميادين للعب واندية للاطفال ومنشآت كمحلة الرواد يجد فيها الاطفال لذة تشغلهم وتحل محل حياة الشوارع

سادساً نحن في شدة الحاجة الى زياده الموارد اللازمة لمساعدة الام التي تترك بلا معين مع صغارها بعد وفاه والدهم ولمساعدة الاسر التي تعاني شده الفقر ولكن لكي تكون هذه المساعدة انفع ما يمكن ان تكون يجب ان يرافقها مساعدة اجتماعيه فعاله مجديه للاسر

واخيراً علاوه على ما ذكر فاننا في شدة الحاجه الى اشخاص احصائيين والى شخصيات قادرة اخصص كل وقتها للقيام بهذا البرنامج من جميع وجوهه

ايها السادة الغرض من هذه الكلمه هو المطالبه باتخاذ الاجراءات التي ذكرتها ، هو المطالبة بالقيام باعمال للوقايه من التشرد والاجرام سو المطالبه بالمساعده والحمايه للطفل المصري المحروم هو المطالبه بتنميه تلك المواهب الثمينه كالذكاء والذوق والشخصيه التي توجد في هؤلاء الاطفال والتي اذا نميت تزيد كثيراً في ثروة الامه المصريه وهناءها وتساعد على رقيها وتقدمها

# دكتاتور المنزل

### لامين الغريب

---

سادتي، ليست الارض وحدها تدور، بل كل الحياة عليها دائرة تهبط اليوم من كان عالياً بالامس وتعلو من كان هابطاً. انظروا الى مركز الأب في الاسرة ولا نعد الى العهد الهمجي اذ تربع في دست الرئاسة جباراً عنيداً يأمر بالموت والحياة، يضع بيده ويشد بنابه حين يشاء، بل ننحدر الى عهد قريب اذ تلطف مع الايام فصار يكتفي بان يحتل رأس المائدة يأتيهم اطيب الطعام بلا اعتراض من زوجة ولا جلبة من ولد، يتكلم في كل العلوم والفنون، وامرأته وأولاده يصغون ويتساكتون، وعلى كل كلمة يؤمنون، ولكل اشارة يخضعون، ذلك عهد ذهبي كان للآباء ولن يكون، وباطلاً يتنهدون وعبثاً يتحسرون

وجاء عهد صارت فيه الام في المنزل كالملكة في الخلية صاحبة السلطة المطلقة والقول الاخير عهد تراجعت اصوله الى زمن بعيد بسبب البنون فيه الى امهم لا الى ابيهم وامتدت ذيوله الى عصر قريب يحيى الاب فيه ويحلب كالبقرة الحلوب وزوجته وبناته كزنابق الحقل لا تتعب ولا تغزل ومع ذلك سليمان في كل مجده لم يلبس كواحدة منها فهل من عجب ترى بعد نزول الاب عن كرسي الدكتاتورية وانتهاء الام ان يدور الزمان دورته الطبيعية وتنزل الام ايضاً ليحل محلها دكتاتور جديد

هذا العصر يا سادتي عصر الولد في الاسرة البشرية يجلس فيه، العرش الذي نحن له أقمناه ومن حنايا ضلوعنا بنيناه ويحكم بالامر الذي وليناه

***

لما كان البشر في اوائل عهدهم يعيشون في الآجام والكهوف بدائيين وفاتكين بعضهم ببعض كانت علاقاتهم العائلية ضعيفة يحمي الكبار صغارهم الى أجل معين ثم يتركونهم ليتولى كل فرد مهمة الدفاع أمام الخطر عن نفسه وكلما أمعن البشر في الحضارة والترف ازداد اتكال الاولاد على والديهم ومال الوالدون الى اطالة عهد الطفولة فيهم حتى قال أحد كبار الاجتماعيين في اوربا آخراً ان المتمدنين صائرون الى عهد قريب لا يبلغ الانسان سن الرشد فيه حتى الاربعين

وفي الواقع يصل اليوم الى سن الرشد كثيرون وهي الحادية والعشرون لكنهم لا يرشدون

وهكذا نجد الحضارة الحديثه تبدع العجائب في اختراعاتها وتتم من العظائم ما تبهي الحضارة وفي اليوم عين ذاته يطلع ما آنام حقيرة يعرفها اشخاص بلغت اجسادهم سن الرشد وظلت عقولهم تدب على الركبتين فهم كبار يرون آراء الصغار وهم رجال يعملون كالاطفال

مع ان الغرض من وجود الاسره هذه الجامعه التي بارك الله فيها واعتمد التمدن عليها انما هو تهذيب الطفل كي يصلح ويتمرن على واجب التعاون مع الناس فاذا ناست الاسرة هذا الغرض وصيرت محض وجودها غرضاً لا وسيلة لادراك ذلك الغرض وجعلت من صغارها ألاعيب في أيدي كبارها، اذا لم تمرن الأسرة أطفالها على طرق الاستغناء عنها والاندماج في أسرة العالم الكبرى شذت عن وظيفتها الحقيقية وأخفقت في مهمتها الطبيعية وهي اعداد بنيها لعضوية الهيئة الاجتماعية

***

اذا نظرنا الى الاحتياجات الجديدة في هذا العصر وجدنا النظام الذي نمشي عليه في تربية أولادنا لا يسد هذه الاحتياجات نحن في دور انتقال نريد التمسك بأساليب ألفناها في عصر سابق فنصطدم بمقتضيات حضارة جديدة غزتنا من كل جانب وتغلغلت في صفوفنا واجتاحت منازلنا رغم أنوفنا مدفوعة بتيار شديد لا ينثني ولا يحيد فصرنا نكتم جهراً في ما نحافظ عليه سرّاً ونستهجن التمدن الحديث وندعي على مضض أننا آخذون باهدابه لئلاّ تتهمنا الأكثرية العالمة بالتأخر والرجعة فاذا اخلدنا الى هوسنا او الى الاصفياء المتناقضين يوماً فيوماً من أصدقائنا استسلمنا الى التأوه والتحسر و ادينا بالويل والثبور وعظائم الامور

وكان مثلنا مع التيار الجارف مثل ذلك القروي الساذج الذي جاء القاهرة لاول مرة وسار الى الترام واقبل السواق من خلفه يقرع له الجرس وينادي « جوّد يا راجل جوّد يا راجل » فهو ماشي مطمئن لا يكترث ولا يهتم حتى اذا اقترب السواق منه صاح به « اتجوّد يا راجل » فالتفت قليلاً واجاب « جوّد انتا »

هذا النزاع الداخلي الخالي في اعماق نفوسنا بين ما نحن وما نحب ان نكون طبيعي في كل انتقال من حال الى حال وهو منشأ الفوضى الاجتماعية التي تروّعنا وندهلنا في هذه الايام ونسدد اسباب طفرات متباعدة تكاد تجعلها أمة واحده وتدفع اولادنا الى ما نسوقهم من حفظ ونحيمها من عواقب فلا نكاد نرى والداً نستصوب سلوك بنيه ولا ولداً يؤمن بمعارف ابيه واستفحل كالداء المنتشر قول الشاعر المأثور

والابن ينشأ على ما كان والده ان الاصول عليها ينبت الشجر

لكن للمسألة وجهاً آخر ، ولكل مسألة في الدنيا وجه آخر . فكيف ننتظر يا سادة من ولد تفتحت عيناه في المهد على طيارات سابحة في الجو تبسط سلطة الانسان على مملكة النسور وغواصات نازلة في اليم نازع الاسماك أسرار البحور . وأدناه على هدير سيارات خاطفة كالبرق وراديو ناقل الى غرفته أحاديث الارض بالطول والعرض — كيف ننتظر منهُ وقد تلقى هذه الغرائب مع فطرتهِ الاصلية مألوفة طبيعية ان يحترم آراء والده الجائرة وأفكاره الحائرة بين حقائق العصر الحالي وحالات الزمن الخالي

على ان للوالدين حقاً مقدساً في توجيه خطى الاطفال الى الطرق القويمة وسبيلهم الى ذلك أن يبدأوا العمل في الوقت المناسب

عقدت نقابة الاطباء البريطانيين مؤتمراً في ملبورن خطب فيه الدكتور سطن أستاذ طب الوقاية في جامعة سدني فقال « ان أهم السنوات في تكوين اخلاق الطفل هي بين الثانية والخامسة في هذه الاعوام الثلاثة تذاب طباعه وتصهر وتصنع منها كتابة المقبل فعاداته وميوله وأطواره ومخاوفه حتى أسباب صحته وأمراضه تنشأ كلها في ذلك العهد الباكر »

***

اجل وفي هذه الاعوام ايضاً يبالغ الاهل في تدليل الطفل والترفيه له حتى يصير بطبيعة الحال دكتاتوراً

جاءت امرأة فقيرة الى جيرانها الاغنياء تشكو لهم بلباقة ان ابنهم رشق نافذة بيتها بحجر فحطم الزجاج فصاحت أمه متهللة « بسلامته وهل استطاع ذلك بالله عليك ها ، الحجر لنحفظهُ مع مآثر طفولته كي نسر برؤيتها حينما يكبر »

وهكذا أيها السادة ، ما بين رخاوة الابوين وجهلهما الملومين حظاً بالعطف والحنان ينشأ اليوم في كل منزل طاغية عنيد هو بالقياس الى محيطه والوسائل الميسورة له أشد تحكماً من نيرون ولك وحكيز خان وهولاكو . وهكذا كلما امعنا النظر في الاسباب التي تمهد للطفل سبيل الدكتاتورية وجدناها صادرة من اهله لا مطبوعة فيه

تظهر في بعض الاطفال مزايا نسوء والديهم فيكل هؤلاء على الزمن في اصلاحهم . هذا يميل الى الكذب ، الاحتيال وذاك الى الضرب والتعدي وذلك الى السرقة او اشعال النار او تحقير الناس فيقولون ان الزمان كفيل بتقويم هذا الاعوجاج . يا هذا ان الزمان يغير بعض المظاهر . لكن ولدك مريض في اخلاقهِ فداوه بالتعليم والارشاد . وان تشعر بتحركك عن ذلك فاستنصح واستشر ولا تتكل على الزمان لانك بهذا الاهمال الجاني تهيء لوطنك اعداء داخليين اشد خطراً عليهِ وفتكاً بهِ من أعدائهِ الخارجيين

في لندن معهد مخصوص لاصلاح الاولاد الشاذين أسسته الدكتورة بهلر الاستاذة في جامعة فينا وقصدت وفيها من أجله ممعله بين انكلترا والنمسا فتقاطر الناس اليها من كل فج وصوب لتحاجها في وقف العلل قبل استفحالها وقد نظمت سلسلة من الوقوف الحوادث التي عالجتها واستنتجت من مجموع تلك الحوادث ان الآباء والامهات أولى بالاصلاح من الاطفال حدثت يوماً بولد اخرس عمره ثلاثة أعوام فقادها البحث في امره الى سبب غريب هو ان امه ذكية جداً تدرك ما يريد الطفل قبل ان يطلبه وهو حسب قلبها طبعاً ولسه دون ان يشعر بحاجة الى الكلام قال الشاعر العربي « ذكاء المرء محسوب عليه » اما هذه المرأة فكان ذكاؤها محسوباً على طفلها وقد عولج الولد في المعهد فخص اتعاده عن امه الذكية فصار الآن من فصحاء اللسان

كل ولد في الدنيا يتمنى لو يكون رجلاً ويغبط في ان يعامل كرجل كانت احدى الامهات الفقيرات تعطي ولدها الصغير مكنسة كبيرة فيسر بها جداً ويكنس مدخل البيت ويمر به اولاد الاغنياء فيحتقرون مكانسهم الصغيرة وينظرون اليه بعين الحسد ويتمنون لو تثق بهم امهاتهم كما وثقت به امه اذاً لكانوا يكنسون البيت مثله بطيبة خاطر

الولد يحب القوة ويميل الى كل شيء قوي واذا كان يصيح ويصخب ويضرب الصفيح في المنزل فلان الصحيح يمثل في رأيه القوة هذا الميل فيه قابل للتعديل والتحويل الى مظاهر الشهامة والاباء والمروءة ولكن بالاقناع والاغراء لا بالاستبداد والتحكم قال فلوبر « من قوة البشرية تستطيع نزع الحرية من صدور البشر ان الضغط لا يعلّم الناس بل يحولهم الى مرائين » وقال لامرتين « كل نفس بشرية في صباها تكون ديمقراطية والبرهان على ان الحرية هذه ... هو انها اول حلم من احلام الشباب » وما اصدق ... عمر بن الخطاب حيث يقول « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً »

لهذا ... ايها السادة منعت الحكومات الراقية ضرب الاولاد لا في المدارس و ... في البيوت ايضاً ومنذ عهد قريب رأيت في جريدة اميركية صورة امرأة مسجونة ... وتعلمون لماذا ؟ لمحض انها ضربت ابنتها الصغيرة بخيزرانة على اسفل ظهرها رحم الله افلاطون الذي قال « لا تقسروا اولادكم على آدابكم فانهم مولودون لزمان غير زمانكم »

***

وعلى ذكر البنات الاميركيات وتقلب الايام والتبدل الدكتاتوري في المنزل ... أروي لكم طرفة صغيرة من عهدي في نيويورك اعادها الى ذهني زواج الاميرة جوليانا وليه عهد هولندا منذ عشرين يوماً

فقد تزوجت امها الملكة ولهلمينا قبل ٣٦ عاماً فاسندت جريدة اهل حروب كانت اميركة هي السيدة الاهولر ولكن الشاعرة المشهورة للذهاب من نيويورك الى لاهاي ووافاها بوصف الحفلات واذكر من رسائلها مقابلتها الاولى للعروس والروع الذي تملك لبها عند امرها في الموعد المعين من العروة الملكة ثم قالت « رددت امام الباب خاشعة كيف احالس انا المرأة العادية ملكة من ربات العروش ! ولكن بعد هنيهة تذكرت أني من بلاد كل امرأة فيها ملكة ودخلت مطمئنة »

فهذه الطمأنينة الفكرية ، في المرأة الاميركية ، سرى مكروبها اليوم الى جميع فتيات الكرة الارضية ذهب الحياء الذي كان اسلافنا يرونه زينة الزينات للنساء والبنات وحل محله الاطمئنان المرسوم على وجوه ساطعة اسعة ، وقامات هيفاء رشيقة ، تمشي في المحافل كالسمهريات الذوابل لكن السيدة ولكن على حسن حالها لم يكن لها من المظاهر الخارجية ما تطاول به ذوات الدخان ولهذا لم تتكل في راحتها النفسية على شعرها المقصوص المموج وثيابها القاصرة بل على علمها الصحيح وذهنها الموقد لا بأس في ان يذهب من اولادنا الحياء السالف ليحل محله اقدام مبني من العلوم والمعارف لكن الخطر الخطير والشر المستطير في ان يذهب الحياء ولا يحل محله شيء من هذه الاشياء

ثم ان الولد يميل الى من يشعرون شعوره فلا تسخروا باولادكم ايها الوالدون ولا تتهكموا عليهم بل دلوهم على مكان الخطأ بلطافة ومعذرة بالملاطفة لان التهكم سهم حاد يجرح الولد في قلبه جرحاً لا يندمل ويربه في اهله اعداء لا اصدقاء ومعذرة لان اجدادنا العرب كانوا اساتذة كباراً في الكرم وقد تركوا لنا فيه امثولة دقيقة فلم يقولوا « الكرم بالعطى » بل قالوا « الكرم بالعذر »

لقد ستم اولادكم وأطعمتموهم واسعتموهم لكن فيهم جهله اساسية اودعها الله في كل رأس وهي عزة النفس فهلا حسبتم لها حساباً ؟ انت يا سيدي قد تطعم الجائع وتروي غلة العاطش وتحسب انك رفعت السماء عن نفسه لكن كلمة واحدة منك جارحة لنفسه العزيزة تذهله عن كل ذلك وتنسيه جميل فعالك لأن عزة النفس ليست في معدة الجائع كي تطفئ اشباع جوعه نعمك من احترام عزة نفسه

أحصت الولايات المتحدة اولادها آخراً فعلمت أن بينهم عشرة ملايين ولد مرضى ثبت حسرهم او اهلاهم او عفيهم وراء الحكومة مستقبل للدولة يبنى على مثل هذا الاساس ولم تقل « بعدي الطوفان » كما قال لويس الخامس عشر ملك فرنسا ، وكما يقول المرطمون المشهورون وهم في الدنيا كثيرون كلا بل انشأت دوراً مصلحة عامة للعناية بالاولاد واشتدت حيثاً من

الاطباء والممرضات والمعلمين والمعلمات يطوفون في طول البلاد وعرضها يعلمون العائلات من الوالدين والجاهلات من الوالدات حسن تنشئة البنين والبنات ثم بعث لدى البرلمان فقرر معاش للامهات الفقيرات كي تحسن حالة الاولاد على نفقة كل الوطن الذي سيكونون يوماً عماده

ولم تحرم عنايتها قرية ولا دسكرة لاعتقادها ان ما كل الريف نشر لا تقل قيمة نفسه عن نفس الغني المقيم في واشنطون او نيويورك وان طفلاً صغيراً في قرية حقيرة قد ينشق منه للعالم نسر او ادسون

موسى كليم الله ألقته أمه الفقيرة على صفة النيل كي تحنو عليه المثريات والسيد المسيح لم يولد في قصور الاغنياء بل في مغارة صغيرة والنبي محمد الرسول الكريم لم ينشأ بين الحرير والديباج والقطيفة والاطالس ومع ذلك أي رأس شامخ في الاجيال لا ينحني حتى الحضيض امام المهود الصغيرة التي احتضنت منذ عهد بعيد أولئك الاطفال الثلاثة !

احترموا جميع الاطفال أيها الاباء والرجال لان علم الغيب لم يعط لكم فتقولوا ان هذا الطفل الحقير ابن ذلك الرجل الفقير ليس مهمًّا ولا يعتبر فوالدن عرافت رئيس الولايات المتحدة كان صعلوكاً زريًّا مهملاً الى سن الاربعين وبعد ذلك برزت قوة نفسه العوامل الكامنة فخاض غمار الحرب الاهلية وكان أول من قاد في التاريخ ابن جندي الى ساحة القتال ومن كان يدري سنة ١٧٦٩ ان ذلك الولد اللاعب في أزقة اجاكسيو من جزيرة كورسيكا سيسوق يوماً امبراطرة العالم بعصاه كالغنم ويدعى نابوليون بونابرت ومن كان يدري في مدينة قوله البلقانية الصغيرة ان طفلاً من اطفالها اللاعبين في ازقتها اسمهُ ابراهيم سيصبح عند بلوغه الخمسين امام اسوار فيينا يهدد السلطنة العثمانية ويروع دول اوربا بل رأس حدثه المصري البطل ومن كان يدري في حي بني مخزوم من بلاد العرب ان طفلاً ولدته امه الصحراء بعد الحارث وهو يلاعب قدميه بيديه ولا يعرف أله قدماه أم لسواه — من كان يدري ان ذلك الطفل الصغير سيخوض في سن الخمسين معركة ذات السلاسل وهو من أعظم قادة التاريخ يلقب سيف الله ويدعى خالد بن الوليد

لو راعى والدو هؤلاء الاطفال معهم وأباحوا لكل طفل ان يصير دكتاتوراً في منزله لانحصرت عظمتهم كلها ضمن جدران البيوت التي ترعرعوا فيها وما شادوا ممالك ولا عرفت عنهم الدنيا شيئاً بعد ذلك فلا تسمح ايها الوالد بان تكون ابنك دكتاتوراً ولكن لا تحكم ابنك فيه ولا تجر في حكمك عليه بل اعد الروح الدكتاتورية عنك وعنهُ لانها مستكرهة منك ومنهُ وقد يصير هذا الولد الصغير عظيما عالميًّا بعد ما تصير انت نسياً منسياً

القاهرة امين الغريب

# اللعب فى حياة الاطفال

للدكتور علي فؤاد

مدير قسم رعاية الطفل بوزارة الصحة

سادتي موضوع محاضرتي الليلة « اللعب في حياة الاطفال » وكان يحلو لي أن أجعل عنوانه « اللعب حياة للاطفال » لأكون أصدق تعبيراً وأدنى الى الواقع والحقيقة اذ ان الحركة واللعب هما روح الطفولة ودليل الصحة

حياة الطفل مطالبة بالحركة ليسمو ويكبر — لذلك تراه يقضي نهاره يمرح ويلهو ولكن يظهر مع الأسف ان كثيراً من الناس يجهلون أو يتجاهلون هذه الحقيقة كم من أم شكت ضعف وليدها وهي لا تعلم أنها تربطه باللفائف وتمنع أعضاءه عن الحركة وهي ألزم اليه من الغذاء

يجب ان تدرك الأم أن من الضروري — اذا أرادت لطفلها جسماً نامياً — أن تترك له الحرية التامة ليتحرك ويلعب بين الهواء النقي والشمس المشرقة اذ ان الحركة تزيد سرعة الدورة الدموية فيزداد تبعاً لذلك الاكسجين والغذاء الذي يصل الى الانسجة . فالحركة والرياضة تقوي العضلات والاعصاب وأعضاء التنفس وتقل استعداد الطفل للمرض وتصفو دمه وتنضر لون وجهه الحركة تساعد عملية الهضم كما تساعد على افراز العرق وتزيد شهوة الطفل للطعام

نبدأ بالكلام عن الحركة لأنها أسبق من اللعب ظهوراً عند الاطفال

فالطفل اول عهده بالدنيا بعض الحركات البسيطة كالبكاء وتحريك الاطراف فاذا وصل الى شهره الرابع امكنه ان يرمي ما بيده ثم اجتهد في الحصول عليه وواجب الأم في هذه السن أن تقدم له أشياء صغيرة غير مضرة بصحته ... قابلة للكسر كالكرات المصنوعة من المطاط فاذا حان للطفل ان يحبو لزم أن تسمح له بذلك على ملاءة نظيفة مدة ساعتين كل يوم وأن تتركه ينهض على ركبتيه كلما عن له ذلك ولا بأس من مساعدته بعض الشيء فاذا أنس الطفل في نفسه هذا فانه يتدرج منه الى نزول درجات السلم وهذا التمرين الاخير يقوي عضلاته ويبث فيه الشجاعة — ثم يأتي بعد ذلك دور الوقوف ويليه دور المشي وبعد ذلك يتسع المجال أمام الطفل للجري والوثب واللعب ونعرف في هذا الوقت كيف يرضي رغباته وغرائزه

سادتي بعد سن الثالثة تزداد قدرة الطفل على الحركة فتراه لا يستطيع السكون ولذا نسمي هذا الدور بدور النشاط واللعب وفي هذا الوقت تنمو حواس الطفل وتظهر غرائزه كلما تقدمت به السن وفي هذا الدور تتأثر حياة الطفل الى حد بعيد وبالتالي يتوقف مستقبله على أمور ثلاثة أولها الوسط الصالح الذي يعيش فيه كالأهل والزملاء ثانيها — الألعاب التي يميل

اليها — ثالثها — ملاحظتهُ وارشاده لتتجه ميوله فى اللعب الى النافع المفيد من الوجهتين الجسمية والخلقية والعقلية لذلك يزداد واجبنا نحوه عن ذي قبل

لا شكّ في ان البيت هو أول مكان لأطوار اللعب والأبوان هما أول من يعنى بالأطفال ثم يأتي بعدهما المربون سواء في مدارس رياض الأطفال او المدارس الابتدائية ، وستبقى دائماً أبداً لألعاب البيت شأنها الخاص في تعليم الأطفال وتعويدهم حسن الخلق وحميد الصفات

عرفت الأسرة الأوربية مزايا ألعاب المنزل وما تحمله من سعادة حقيقية فخصصت للأطفال غرفة في المنزل للألعاب وسمحت لهم بالمرح والجري والوثب والصياح والغناء في فناء المنزل وحديقته ووضعت لهم في الحديقة أدوات اللعب وحددت مواقيت الالعاب مع تخصيص أيام الآحاد للنزهة في الحدائق العامة والحقول ولزيارة الأهل والجيران ليقضي الأطفال أطول وقت ممكن في الهواء الطلق والشمس المنعشة بهذا العمل تنسى هذه الاسرة متاعبها وتتمتع بقسط وافر من السعادة والهناء وتعلم أولادها معنى العشرة وقيمة الصداقة وتُرضعهم منذ الصغر حب الفضيلة والاخلاص

سادتي يتساءل الكثيرون — ألم يكفِ ما نحمل في سبيل تعلم أطفالنا في المدارس حتى تفرض علينا واجبات جديدة نحو لعبهم وجوابى لهؤلاءِ ان اللعب هو نوع العمل الذي يرتاح اليهِ الطفل وان الطفل انما يفصل لعبه على أخرى طبقاً لميولهِ وغرائزه فواجبنا نحو لعبهِ لا يقل عن واجبنا نحو المدرسة لا يقولوا انما نترك الحرية لأولادنا فى اللعب ما دام ذلك من حقهم للاحتفاظ بالصحة وليتركونا في راحة من أمرهم — لا ياسادة ان عليكم واجبات أخرى لا تقل عن كل ما تقدم وسأجتهد ان ألخصها لكم في الأمور الآتية

أولاً — عليكم بدرس ميول أطفالكم اثناء اللعب لتنميها وتوجيه غرائزهم توجيهاً نافعاً ولنضرب مثلاً لذلك غريزة المحاكاة فاذا لعب طفلك بعصاه الخشبية ممثلاً دور الفارس وجب ان تلفت نظره الى حلوها من اللجام ثم تتدرج معهُ من اللجام الى السرج ومن السرج الى العربة والاسطبل انك بعملك هذا تكون خير مرشد وشريك لطفلك على فهم ما يحيط بهِ من الأشياء اما الواجب على المربي فى المدرسة فلا يقل عن الواجب عليك لأنه يشجع الاطفال على محاكاة الخطباء والممثلين والمغنين وتقليد الرسوم ومحاكاة بعض الأشغال اليدوية وما يقال عن غريزة المحاكاة يمكن ان ينطبق على باقي غرائز الطفل

ثانياً — عدم السماح للاطفال ببعض الالعاب الضارة كاللعب بعلب الثقاب والمفرقعات والسكاكين او الاشتراك في المراجيح او الاصرار بالسير بقصد الفكاهة والضحك او هدم اعشاش الطير او حضور حفلات السينما في سن مبكرة

ثالثاً — الحرص على اختيار الزملاء في اللعب والمشاركين في ألعاب الجماعات [illegible]

وارشادنا ولا بأس بمشاركتنا لهم اذا اقتضى الامر ذلك ليتذوقوا جمال الالفة والمعاشرة وليعرفوا حقوق الزمالة فالطفل وسط رفاقه يشعر بضرورة خضوعه لقانون الجماعة والا ابعد من بينهم فتراه دائماً يعمل لكسب مودتهم ويمثل للنظام ويضحي برغباته الذاتية اذا تعارضت مع رغبة الجميع ان ألعاب الجماعات المنظمة من ما فيها من فائدة جسمانية تغرس في نفوس الاطفال حب النظام واحترام السلطة والمنافسة الصادقة الشريفة بالاضافة الى العقاب وضبط النفس عند النصر والصبر عند الهزيمة والاعتراف بفضل الغير

رابعاً — تحديد ساعات اللعب واختيار الاماكن الصالحة للالعاب واللعب الموافقة للسن والميول وتخصيص حجرة بالمنزل اذا امكن لتمريناتهم واصطحابهم للنزهة وزيارة الاقارب والجيران

خامساً — علينا ان نملأ عطلاتهم الصيفية بكل ما يبهجهم ويعود على صحتهم بالنفع وصحبتهم مثلاً الى بلاد السواحل ليقسموا وقتهم بين لعب في الماء وجري على الرمال وما ابهج ان نراهم اكثر النهار يبنون من الرمال بيوتاً ومدناً يلعبون ويمرحون بكامل حريتهم بين الهواء النقي والشمس الساطعة يلاطمون الموج ويملأُون صدورهم بالهواء فاذا حان وقت عودتهم رجعوا وقد اكتست اجسامهم سمرة تنم على انتعاش وصحة

سادساً — تشجيع الاطفال على الاشتراك في الفرق الرياضية بالمدرسة (كالكشافة وكرة القدم وكرة السلة والسباق والسباحة) لتقوى أجسامهم وتقوى مداركهم تبعاً لذلك

سابعاً — السماح لهم بالاشتراك في رحلات المدرسة لما في ذلك من مزايا عظيمة الاثر من الوجهتين الجسمية والخلقية او العقلية

ثامناً — الاستعانة بالموسيقى والأغاني والقصص في وقت الفراغ في تنمية الحواس وتهذيب النفس ويجب ان تجمع القصص بين الفكاهة والعظة البالغة لتكون دافعة للفضيلة ولا بأس من ادخال المعلومات في قالب قصص مشوق كحوادث كبير الابطال وحروب الامم ورحلات المستكشفين

سادتي وإن احتم مقالي أرى لزاماً عليَّ أن أنوه بفضل (فروبل) الذي عرف طبيعة الطفل وميله للعب وحرره من كل ما يقيد حريته من مقاعد خشبية او نظام نعص فأعد مدرسته التي أسماها (روضة الاطفال) ولم يسر ان يلبس العلوم ثوب الزخرف واساليب الالعاب وبذلك كسب حب الاطفال ونجح في استدراجهم لقبول ما يفرضه عليهم وراح يعطي دروسه في الهواء الطلق بحرية تامة بالالعاب وتحاشى بذلك الوقوف امام ميلهم للحركة وطبيعتهم الظروف ووصل في الوقت نفسه الى غرضه من تقوية احسامهم وتهذيب مداركهم فكللت اعماله بالفوز واصبحت رياض الاطفال في عهدنا تزرع الميل والرغبة في الدراسة وتسير بالنشء شوطاً بعيداً نحو الرقي والكمال

# تأثير صحة الأم في صحة الطفل

للدكتورة كوكب حفني ناصف

مديرة مستشفى كتشنر

يهمل الكثيرات من نساء مصر الاعتناء بصحتهن، فيسبب لهن ذلك أمراضاً قد تغدو مزمنة مستعصية العلاج. فالمرأة الفلاحة تضع طفلها عند الولادة ثم تبادر الى العمل بنشاط في أعمال المنزل أو الغيط، فيسبب ذلك انتقال بعض أعضائها التناسلية الداخلية من مكانها داخل البطن، فتتدلى المرأة مملوءة الى الاسفل. وليس الذنب في ذلك ذنبها هي قدر ما هو ذنبنا نحن الذين نفهمها في وضوح أن الربح الذي يعود علينا من مبادرتها الى العمل عقب الولادة ضئيل جداً إذا قيس الى الخسارة الفادحة التي ينالها من جرائه.

وكذلك نشاهد فقر الدم في الفلاحات الفقيرات لسكناهن أكواخاً طينية لا تصلح مبانيها لإنارة الشمس الوسطى لقلة العناية من أهل هذا البلد. ونشاهد بعض الأمراض الجلدية أيضاً كالبلاجرا الناتجة عن سوء التغذية. وقد سارت مصلحة الصحة ووزارة الزراعة خطوات طائلة في سبيل إصلاح هذه الحالة. ومن المعروف أن جميع الأمراض المتوطنة في مصر في الريف خاصة كالرمد والبلهارسيا والانكلستوما منتشرة بين الرجال والنساء على السواء. وهناك أمراض أخرى خاصة بالنساء كأمراض الجهاز التناسلي في المرأة. وعلينا أن لا ننسى البدانة أيضاً فإنها مرض قبيح منتشر بصفة خاصة بين نساء المترفهات اللواتي لا يقمن بأية حركة لحرق المواد الدهنية التي يأكلنها من الأغذية الدسمة التي لا يكاد يعرف لها مثيل في البلدان الخارجية.

ولا ريب أن معظم ربات البيوت يجعلها تشعر بالبؤس وإن لم تفطن هي الى ذلك وتصرفها

عن العناية باطفالها ، ويحملها داب احلاق غير رصية فتدشر في البيت حوًّا من النعس يحدث أثره السيءَ في هناء الاسره وفي مراح روجها وأولادها

وهنالك امراضٌ — كمرض السل وبعض أمراض القلب تُعرّض المصابة بها عند الوضع لخطر الموت ، وهنالك امراض يرثها الطفل فلا يبصر نور الشمس الاّ وهو محكوم عليهِ مقدماً بالشقاءِ المؤبد ولو ان رجالنا شاهدوا بعض الاطفال المشوّهين الذين أصيبوا وهم في بطون أمهاتهم بمرض معدٍ كالزهريّ فخرجوا الى هذا العالم ضعفى العقل بُلهاءَ مكسّحي الايدي عسري النطق، لادركوا وجوب العناية بالأم باعتبار ذلك جزءًا من العنايه بالطفل وقد قررت الحكومه المصرية ضرورة تقديم طالبي الزواج وطالباته شهادات طبية تقرر خلوّهم من الامراض المعديه ولكنّ هذه الاجراءات تكاد تكون شكليه ليس لها قيمة حقيقية أما في اوربا فالعنايه بالفحص الطبي أتم ، بل إن بعض البلدان جرى على تعقيم النساءِ والرجال المصابين بأمراض وراثيه سواء أكانت عقليه ام جسمانية

وتحدث عدوى الأُم لابنها ببعض الامراض كالزهري عن طريق الصبغيات (الكروموسومات) التي في بويضتها، وهنالك امراض اخرى يرثها الجنين ابان تكوينه واذا كانت الأم ... الدم ... فانها تصبح ابنها عن الطريقين معاً وتجيء صحة الطفل فاقد العزيمة معطل الاعصاب كارهاً للعمل ذا عينين مطفأتين لا تعبران عن اي نشاط ولا يستطيع تركيز فكره في شيء ... الحظ لا يكاد يوجد في مصر نساء أدمن الخمر

وعدا ذلك فهناك أمراضٌ كثيرةٌ كالرمد الصديديّ والسل، قد يرثها الام لاطفالها بعد ولادتهم، وبذلك تكون قد جنت عليهِ اكبر جناية على الرغم من الحنان الزائد الذي تظهره ... بلا فائدة

واني لأعجب كل العجب أن عدداً كبيراً من أبناء الريف عندنا ما زالوا ينظرون الى المرأة بنظرهم الى شيء قليل القيمة حتى انهم يستحلون أن يحرموا بناتهم من ميراثهن الشرعيّ ليزيدوا من نصيب اولادهم الذكور ، بل إن البعض منهم يعنون بمعالجة حاموسهم والمحافظه على صحته اكثر مما يعنون بمعالجة نسائهم فمثلُ هؤلاءِ الرجال يجب افهامهم أن إهمالهم المرأة المسكينه لا يقتصر على الاضرار بها وحدها بل تُشرك في جسمها اولادها الحاليين والمقبلين

# الاطفال الخدم

لفيح الله محمد المرصفى

مفتش التعليم بمصلحة السجون المصرية

﴿ تمهيد ﴾ صاحب السعادة الرئيس ، سيداتي ، سادتي تحيط بالامه المصريه كغيرها من امم العالم خاصة بعد الحرب الكبرى مشكلات سياسيه وأخرى اقتصاديه وأزمات ماليه ومعضلات كبرى اجتماعية لا حد لها ولا نهاية، الى عدم استقرار في سياسة التعليم العام بين ابنائنا في المدن والقرى الى اصلاح القرية واسعاد الفلاح تلك المعضلات مع اهمال الاخذ في اسباب علاجها والتغلب عليها وعلى ما يحيط بها من ظروف لا شك انها ستجعل حل كل مشكله وما يتفرع عليها عسيراً الا اذا هب القوم عاملين ما بين صوت الرأي العام تتعاون الجماعات وتتضافر الهيئات والحكومه متجهه الى الاصلاح الاجتماعي المنشود — وحينئذ يسهل حل كل ما استعصى من معضلات ومن اهم معضلات اليوم مشكلة الخدم وأخصها « مشكلة اطفال صغار الخدم»

﴿ صغار والخدم ﴾ اصبحنا اليوم ولا تخلو منزل من منازلنا منهم وحتى من لم يرد دخلها على ثلاث ... لا بد ان يكون لديه او تابع لزوجته خادم او ... وقد لا يريد ... على ... ولا تمل الا ... ولا يرضى ان تعيش بغيرها ... هؤلاء الاطفال صغار ... هاجروا من الريف في طلب الرزق وفراراً من الفاقة والجوع وهم على هذا يجهلون مهنتهم « الحديثة » لايدرون من امرها شيئاً ولا من « التدبير المنزلي » كثيره ولا قليله بل انهم انفسهم احوج ما يكونون الى ان يعرفوا ابسط قواعد النظافه الشخصية

فاذا جاز لنا ان نشير الى مجموع الخدم في انحاء المملكة المصريه من واقع احصاء الدولة لسنة ١٩٣٢ بما قدر ٢١٢٨٣٧ فما ذلك الا لنتبين نسبة صغار الخدم من هذا الاحصاء بما قدر ١٠٥٥٤ وممن لا تزيد اعمارهم على اربع عشره سنه وغير هؤلاء ممن نرى لزاماً علينا ان نخصهم بالذكر في هذا اليوم « من ايام عيد العامل » ومن هم لا يزالون بين جدران السجون ودور الاصلاحيات يقضون مدد احكامهم جراء ما اقترفوا من جرائم وآثام بين ظهرانينا وفي منازلنا

ومما هو جدير بالذكر تنبه القوم الى مهاجرة القرويين الى المدن والمحافظات فيا هي شغلت الافكار وعالجها المفكرون من قادة الرأي العام وها هي ذي حكومتنا الرشيدة الدستورية ساهرة عاملة على تنفيذ برنامجها الاصلاحي لخير الفلاح والقرية المصرية مما سيكون له اثر ظاهر في حياة الاحداث الهمل وصغار المجرمين ومن وجدوا السبيل الى الحياة المنزلية والتشرد والاجرام في المدن دون اي عناية او مشقة

﴿ جرائم صغار الخدم ﴾ لعلنا نسقط بأعاليلنا وحوادث الخدم سدا و علم فاذا لم نستطع سرد اغرب الحوادث واشهرها في هذه العجالة فلا اقل من اجمالها في جرائم السرقة والحريق والنصب والتزوير وهتك العرض وغيرها مما هو مألوف لنا واغلب تلك الجرائم ارتكب في منازلنا وعلى مسمع منا وعلى حد ابصارنا ونقرأ كل يوم عن تلك الحوادث والجرائم الفادحة ما يشيب لها الولدان شيباً

ومن الغريب في الامر ان كثيرين من اطفالنا صغار الخدم لهم صلة وثيقة بكبار اللصوص والعصابات فهؤلاء يستخدمونهم «ككشافة» أو دليل لمعرفة محتويات المنازل ولافراد العصابات في استمالة هؤلاء الصبية شتى الحيل المختلفة وما اقدرهم على اختيار ما يقع عليه عناية الاطفال من طرق الاستهواء

لست ممن يقولون ان معالجة مشكلة صغار الخدم من جهة هؤلاء الاطفال انفسهم فحسب بل علينا ان نبحث عن الاسباب والدوافع التي كانت ولا تزال سبباً في تكوين افراد هذه الطوائف من ابناء الامة على ما هي عليه من جهل واضطرار الى الحاجة وسوء في الاخلاق الى البطالة والفقر المدقع الى بحث وتحليل الحالة النفسية والعلاقة بين هؤلاء الاطفال ما كان ولا يزال الاصل في معث الاجرام وتكوين الاسرة المصرية كما اننا نسوء معاملتنا لهم منذ نعومة اظفارهم وتعذيبنا اياهم الى حد ان يرهبهم فيملك الخوف مشاعرهم ويسكن الحقد والانتقام قلوبهم ولا مشاحة في اننا نسيء الى انفسنا بذلك قبل ان نسيء اليهم فنا أخذنا الى الجرم والسعير وما احوجهم الى العطف والشفقة منا — ولعمري فان منازلنا من ناحية هؤلاء الاطفال اقرب الى دور الاصلاح منها الى المنازل الخيرة — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - «اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تكتسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون» — وفي حديث آخر «للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق» — ورأى ابو هريرة رضي الله عنه رجلا راكبا دابته وغلامه يسعى خلفه فقال «يا عبد الله احمله خلفك فانما هو اخوك روحه مثل روحك»

﴿ الحالة العقلية وصغار الخدم ﴾ ان الحوادث العديدة والجرائم الشائعة بين كثيرين من

اطفالنا صغار الخدم ما هي الا مرآة تظهر فيها بجلاء صور مختلفة من حياتهم العائلية فتجد منهم الابله وضعيف العقل او به مس من الجنون وما ذلك الا نتيجة لازمة لما هم مصابون به من امراض مزمنة او ما يحيط بهم من ظروف وعوامل نفسية متنوعة يدعي تحليلها وابرازها هؤلاء الاطفال أحوج ما يكونون الى عطفنا وحناننا

﴿ سوء معاملتنا لصغار الخدم وحوادث التعذيب ﴾ ومن أروع تلك الحوادث التي لم تغب بعد عن الاذهان حادثة تعذيب خادم صغير بكيه بالنار ووضعه تحت الرشّاش «الدش» البارد طوال ليلة من ليالي الشتاء القارس — وتلك الفتاة التي القت نفسها من نافذة منزل عال تخلصاً مما كانت فيه من تعذيب وسوء معاملة على الرغم من انها حاولت الانتحار مرتين كما قررت — وتلك الحادثة الصغيرة التي قذفت بنفسها من نافذة الحمام حيث كانت قد سجنت فيه — وغير هذا مما يضيق المقام عن سرده وفوق هذا ما لا يعد تحت الحصر من حوادث الانتحار والهرب والاجرام — وان الشدة وسوء المعاملة لهم من جانبنا لا تقل عما تحدثه التربية الفاسدة من الجرائم وسوء الحالة [illegible] في قصة بدهم واولادنا تحت سيطرتهم واعتمادنا في حمايتهم

ومما يجب الجهر به ان صغار الخدم على ما هم عليه من فوضى مطبقة من وسائل التخدم بواسطة سماسرة السوء ودون قيد ولا شرط فهم في عذاب دائم وبؤس من عمل لا طاقة لهم به ولا راحة تعوض عليهم متاعب اليوم وهم مضطرون الى حسن معاملة تلطف من حدة ذلك الشقاء اذ يستيقظون في الصباح المبكر بغير شفقة ولا رحمة في الساعة الخامسة صباحاً الى الهزيع الاخير من الليل ولا ينامون الا بعد ان يهرع كبار الاسرة الى مضاجعهم [illegible] من سهراتهم المملة الشائنة وقد تجاهل القوم او تناسوا ان هؤلاء صغار الخدم [illegible] الا اطفال [illegible] عاملهم [illegible] عليه من غرائز طبيعية حتى [illegible] اطفالنا [illegible] كثيرا من هؤلاء صغار الخدم لا يعلمون من امر احد رحمة [illegible] العصر [illegible] سوف يفيض الله عليهم رحمته وحنانه [illegible] في [illegible] الطفل) المباركة

وانا سنجمل فيما يلي ما نستحكم اليه فيما نراه من توجيه عام نحو طرائق العلاج ووسائل الاصلاح لهذه المشكلة التي نحن بصدد بحثها

اولا — ناحية التربية والتعليم

ا — من حيث تدريب الطلبة والطالبات بالمدارس والجامعات على الخدمة المنزلية بانواعها فينشأون على القيام بخدمة انفسهم ولا يأنفون من اداء الواجبات المنزلية

ب — توجيه الفتاة واعدادها لان تكون ربة منزل رشيدة في ادارة شئون مملكتها

لصغيرة من دون كلفة او عناء وعن رغبة وحب طبيعي للاسرة والاطفال

ثانياً نشر التعليم الاولي

ا — من حيث يقصد قانون التعليم الالزامي الى ان يهيأ للاحداث وسائل الدروس على الحياة العملية الشريفة بحسب استعدادهم وميولهم

ب — ان يكون للتربية الدينية المقام الاول في ربية النشء وبث الفضيلة في نفوسهم فلا خير في امة بدت امور دينها ورائها ظهرياً

ثالثاً — نشر المدارس الخصوصية في المدن والمحافظات لمختلف الطوائف من الشعب وحتى تشبع الرغبات المتباينة والميول الفطرية ولم يمكن لافراد الافراد ممن تعوزه اطفارهم للحياة الصحية الشريفة

والثاني الوجه العام — وضع القوانين التي تحمي الفرد المصرية من الامة من شر الجريمة والمجرمين وتحفظ كيان الاسرة المصرية في هذه القوانين

١ - قانون يوقف تيار الهجرة من الريف ويحفظ اماكنه ويهيء للحياة الزراعية

٢ — قانون ينظم الاسرة ويحدد مسؤولية الآباء والامهات حفظاً لكيان الامة

٣ قانون مكافحة الجريمة والوقاية منها ويشمل على تنظيم النواحي المهجورة من الحياة الاجتماعية خاصة من الاحداث الهمل وصغار المجرمين ومن هم دون الخامسة عشرة خصوصاً فيما يحول دون وجود الاطفال في البيئات الفاسدة [illegible] اماكن الخمر والميسر والبغاء

في النهاية وهانحن نرى الدم في اوفى حال الا [illegible] ارقى الامل والاصلاح القومي فالافراد والجماعات المثقفة تعمل متعاونة مع الحكومة [illegible] البلاد ورفعة شأنها

فان مشكلة الخدم في مصر واخصها صغارهم لا [illegible] الطوائف العاملة ولها شأنها و [illegible] ان [illegible] حقوقها اتصلها بالاسرة [illegible] وكيانها

ان الرب الذي يجب ان يصغى لصوت الحق [illegible] فيها الاحساس بالخير فيعطى هؤلاء الاطفال [illegible] الطبيعي وحريتهم الفطرية [illegible] القرب الذي نرى فيه هؤلاء الاطفال جميعهم واياهم حباً الى جنب [illegible] « المدرسة الحديثة » يحميهم القانون ويرفع من شأنهم الحرية والمساواة والاخاء ويأخذ بناصرهم العلم والصناعة الشريفة في ظل مليك البلاد الديمقراطي ورجال الحكومة الدستورية وزعماء الاصلاح الاجتماعي من ابناء الامة العاملين المخلصين

والله تعالى ولي التوفيق

# خاتمة

# وجوه الاصلاح الاجتماعي

## في مسائل الطفولة في مصر

للدكتور محمد عبد المنعم رياض بك

---

عالجت البحوث التي القاها خطباء مؤتمر الطفل اهم المسائل المتعلقة بالطفولة في مصر واظهر ما يتبين منها ان هناك جملة وجوه للاصلاح الاجتماعي تحتاج اليها البلاد لانقاذ الطفل صحيا وعلميا واخلاقيا بل انه يمكن القول بانه لما نطرق اي باب من ابواب الاصلاح العملي في هذا الشأن

﴿الاصلاح الصحي﴾ ففي الصحة لم نسر بعد في الطريق الصحيح فاطفال القرى لا يزالون في حالة من القذارة والاهمال تجعلهم اقرب الى ما كانوا فيه منذ العصور المظلمة — يكفي ان يلقي الانسان نظرة على اطفال الفلاحين في القرى واطفال الطبقات الفقيرة في المدن وهم اطفال اكثرية السكان ويرى الذباب يحوم حول اعينهم والامراض تنهش اجسامهم والجراثيم والحشرات والهوام تفتك بهم — يكفي نظرة واحدة ليتساءل المرء هل هذه حال أطفال يعيشون في عصر المدنية والتقدم والنور والعرفان ؟ والاطفال المصريون مع هذا الشقاء يتكاثرون ويزيد عددهم كل يوم فالآباء يلدون أطفالهم دون مبالاة في هوة من الشقاء لا قرار لها ولم نقم بأي عمل جاد لانقاذ هؤلاء الاطفال ولا بأية حركة لوقف تيار الاطفال الذين يولدون وما أجدرنا ان نبدأ بدرس نظام تحديد النسل في مصر وقد افتى فقهاء الشريعة الغراء بجوازه[1] بل بجواز التعقيم ايضا عند الضرورة ثم نتخذ الوسائل الفعالة لحفظ صحة الاطفال وصيانة عيونهم واجسامهم من العاهات والأمراض

﴿اصلاح التعليم﴾ والتعليم أيضاً لا يزال في حاجة الى اصلاح فجميع الاطفال يعلمون تعليما واحدا دون تمييز بين استعداد كل منهم فالاطفال الشواذ وضعفاء العقول يحشرون مع غيرهم في صعيد واحد ليتلقوا دروساً واحدة من معلم واحد فنجد الطفل الشاذ او الضعيف يتأخر ثم يتأخر الى ان يفصل من مدرسته ويوسم بالبلادة والكسل وما العيب الا عيب النظام اذ لو ان هذا الطفل ضم الى امثاله في فرقة تدرس بالنهار دراسة خاصة حتى اذا ما عرفت أسباب النقص فيها عولجت علاجاً خاصاً — لو كان هذا لصلحت حال هؤلاء الاطفال ولخرج منهم رجال نافعون للامة فدراسة شخصية كل طفل وتوجيهه الوجهة التي تلائم شخصيته ووضع نظام خاص لتعليم الاطفال الشواذ يجب ان يكونا اول ما يعنى به القائمون بشؤون الاصلاح الاجتماعي للاطفال في مصر

---

(١) راجع في ذلك بحث حضرة صاحب العزة الاستاذ الجليل احمد ابراهيم بك استاذ الشريعة الاسلامية وكتابه الحقوق المنشور كمقدمة لكتاب الاستاذ ... ومقاله ... «مدى استعمال حقوق الزوجية»

كذلك يجب ان تعاد بين آن وآخر بحث تعليم الاطفال حتى لا يبقى على وتيرة واحدة على مر السنين فهناك طرق حديثة انتجتها التجارب والدراسات الحديثة التي قام بها امثال مدام ماريا مونتيسوري [illegible] التي احدث منذ سنة ١٩١٤ تلقى في مختلف البلدان الاوروبية والامريكية محاضرات في الطرق الحديثة لتعليم الاطفال على اساس التدرج وعدم الارهاق مع ترغيب الطفل في النظام واعداد معلمين صالحين لهذا العمل الكبير وأنشأت بعض مدارس لتطبيق طريقتها تطبيقاً عملياً وأمثال الآنسة البرامت أروين التي نادت بترك الفرصة للاطفال ليكتسبوا تجربة بأنفسهم دون ضغط والاستاذ ألورث كولنجز الذي خرج من تجاربه بضرورة ترك التعليم وفقاً لمنهج دراسي معين حتى لا يتقيد المدرس بل يكون حراً في اختيار المنهج الملائم لحالة تلامذته (١)

ويجب ان يعلم القائمون بتعليم الاطفال ان من اول واجباتهم ان يكسبوا ثقة اولادهم وتلاميذهم فيأتي الولد لوالده او لمعلمه هادئاً ليفضي بما لديه او ليقدم ما عمله وهنا دور نفساني كبير يجب ان لا يغفله الوالد او المعلم اذ يجب ان لا يفوته تشجيع الطفل اذا احسن وتنبيهه اذا أساء ولا يخفى ان للتشجيع أثراً كبيراً في نفوس الاطفال كذلك يجب ان يشعر المعلم كل تلميذ بأنه خبير بحاجته وانه بحانبه يعاونه اذا كان في حاجة الى مساعدة او معونة وان يتم كل ذلك في هوادة وبدون اسراف وان لا يتوانى المعلم في علاج اي انحراف يجده في الطفل وكما يبادر الطبيب عند ظهور اول اعراض المرض باعطاء دواء ملائم للحالة يجب ان ينتبه المعلم عند ظهور مبادئ نقيصة من النقائص كالكسل او الكذب او عدم الطاعة او اتباع الاهواء وان [illegible] الامر عنايته [illegible] لان هذه المبادئ قد تكون مظاهر لحالة نفسية تجب المبادرة الى علاجها واهمال [illegible] كترك الحمى [illegible] في الجسم اتقاء لما بعد ان ظهرت اعراضها او كترك المريض اتهاماً [illegible] القدر دون علاج على ان عمل المعلم لا ينحصر على العلاج بل يجب ان يلجأ كالطبيب الى اسباب الوقاية فيلاحظ نماء الطفل محوطاً بالنظام وفي جو يتفق مع حالته ونشاطه وابعاده عن كل ما يؤثر في تكوين اخلاقه والمحافظة على اخلاق النشء في مصر هي الاساس الذي يجب ان يبنى عليه مستقبل البلاد لهذا تجب العناية باختيار القائمين بأمور تربية الاطفال ولا يمكن اصلاح الاحداث الا اذا اصلح الكبار من الاباء والامهات والمعلمين الذين يقومون بتربية الاطفال وتهذيبهم وليس في هذا قلب للاوضاع بل ان الوضع الصحيح هو ان يكون المعلم الكامل مثالاً يحتذيه العامل وينسج على منواله فمثل هذا المعلم الكامل يستطيع ان يربي الطفل تربية صحيحة وان يقوم ما يجده معوجاً في خلقه بل يستند في تقويمه فاذا وجده كذوباً او شرساً او غير مطيع او كسولاً نبهه لهذه العيوب لانه يشعر بانه هو براء منها

﴿ نزع السلطة الابوية السيئة ﴾ فاذا كان والد الطفل ووالدته او القائمون بتربيته يلعبوا

---

(١) راجع كتاب « ضحايا الاطفال » ألفه أحسن دي ايما وعربه الاستاذ محمد عبد الواحد خلاف

من الفساد ماداً لا سبيل الى تقويمه فيجب ابعاد الطفل عن هذه البيئة قبل ان يفوت الاوان — لهذا يوجد في اكثر القوانين الحديثة احكام تقضي بامكان نزع السلطة الابوية في الاحوال التي يتبين منها ان الآباء او أولياء الامور غير أهل لتولي تربية الطفل لقسوتهم او سوء خلقهم او استغلال الطفل لمنفعتهم الشخصية كتحريضه على التسول او الدعارة ومما تجدر ذكره هنا ايضاً ان مبادىء الشريعة الاسلامية لا تعارض هذه الاحكام، بل تساعد عليها — ومن الاسف ان القانون المصري لا يزال خلواً منها

﴿ اصلاح المجرمين والمتشردين الاحداث ﴾ ويتصل بالاصلاح الخلقي بحث اجرام الاحداث ومنع اسبابه وابعاد المجرمين والمتشردين عنهم واعادتهم الى الطريق القويم وقد بذل المصلحون في اكثر البلاد جهوداً موفقة في هذا السبيل وطبقت محاكم الاحداث شكل يجعلها مجالس عائلية تسعى التهذيب لا العقاب وجعلت الاصلاحيات دوراً للتعلم والتربية واوجد بجانب كل محكمة عدد من الرجال والسيدات مهمتهم الاشراف على الاحداث ورعايتهم ومساعدة القاضي الى الوصول الى المعلومات الصحيحة عن الطفل وعن بيئته ومعالجة حالة كل طفل وكل البيئة، وهم يختارون من المشتغلين بالمسائل الاجتماعية (١) Social Workers، وهذا عمل تستطيع السيدة ان تقوم به وان تتقنه اكثر من الرجل، وما حبذا لو وجدت في مصر هيئة للقيام بالتدريب على هذا العمل ويمكن على الاقل ان يخصص من الآن قسم من معهد التربية للتخصص على أعمال الخدمة الاجتماعية

هذه هي بعض وجوه الاصلاح التي رمى اليها مؤتمر الطفل وقد آن الوقت لمصر ان تنتبه لاطفالها فان في اصلاحهم صلاح الجيل القادم الذي سيتعهد شئون الوطن في المستقبل ونحن في حاجة كبرى — لا الى مؤتمر واحد — بل الى عدة مؤتمرات تبحث فيها مثل هذه الشئون الاجتماعية الهامة وقد فطن كثير من البلاد العربية الى خطورة دراسة المسائل الاجتماعية وانشئت لذلك هيئات ومعاهد خاصة وتلك هي باكورة الاقتداء بتلك الاعمال الصالحة قد ظهرت في مؤتمر الطفل وقد احدثت رابطة الاصلاح الاجتماعي صنعاً بهذه البداية فالطفل اهم ما يوجه اليه الاصلاح الاجتماعي حتى انه يسمى نحو صاحب الجلالة الطفل

(١) في مصر عدد من القائمين بالخدمة الاجتماعية ولهم اتحاد يسمى اتحاد القائمين بالخدمة الاجتماعية
Alliance of Social Workers

# قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنيت بنشرها «ادارة المطبعة العصرية» بشارع الخليج الناصري رقم ٩ بالفجالة بمصر

صـ
۳۵ القاموس ... (طبعة ثانية)
۷ « « « « « (...)
۷ « « ... انكليزي (... ماية)
۳۵ « « ... انكليزي وبالعكس
۳۰ قاموس ... عربي انكليزي وبالعكس
۲۰ « « عربي انكليزي فقط
۱۵ « « انكليزي عربي فقط
۷ « ... انكليزي (بالنقط)
۵۰ « « « « انكليزي عربي (بالنقط)
۱ « « « « « وبالعكس
۱۰ التحفة المصرية ... انكليزية (مطول)
۱۲ الهدية السنية ... انكليزي ... (بالنقط)
۹ ... (... ولد)
۱۵ في ... (الدكتور ... كلارك)
۱۰ ... في ...
۱۲ ... في الادب والعلم ... للاستاذ ... المقار
۱۵ ... ورحمه
للاستاذ محمد صادق رعد)
۱۵ روح ...
۱۰ الا... والمستعد...
۱ ... «
۸ ... (... وسياف ...)
۱۵ ... (... انكلترا وحال مصر)
۱ الحركة ... (... مكدو الد)
۱۵ ملوك ... اقتناء
۸ ... ومي
۱۰ ... «
۸ ... « «
۲۰ ... للامير شكيب ارسلان
۱۵ ... (للاستاذ ... مقطر ...)
۱۰ ... (... عبد الله ...)
۱۰ ... (... )
۵ المرأة ... الماضي والحا...
۵ ... وجرر ...
۱۵ ... (...)
۱۰ ...
۸ ... روائع شعر ... مصور
۱ ... (سليم عبد الواحد ...)
۱۰ المرأة في الادب العصري (... )
۵ حكايات الاطفال ج اول ... الالوان
۵ « « ... « «
۵ « « ... « «
۵ مذكرة الكاتب طبعة منقحة لاسعد خليل داغر
۲۵ جمهورية افلاطون (للاستاذ حنا خباز)
۶ مراقي النجاح (الارشمندريت ...)
۵ مريم المجدلية (... ترلك)

صـ
۱۰ التربية الاجتماعية (للاستاذ ... فكري
۵ خواطر حمار (... الحكيم)
۵ التعليم والصحة للدكتور محمد ... عبد الحميد
۱۵ الحب والزواج (للاستاذ ...)
۱۵ ذكرى ... حلمي « « «
۵۰ علم الاجتماع (... « «
۱۵ اسرار الحياة الروحية « «
۳۰ الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور فخري
۲ المرأة وفلسفة التناسليات « «
۲۰ الضعف التناسلي في الذكور والاناث «
۱۵ الرقعة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي محمد)
۱ ... « « « «
۵ مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
۱۰ القصص المصرية (قصة كبيرة ...)
۱ مسارح الاذهان (... قصة كبيرة مصورة)
۱۲ رواية اهوال الاستبداد ... مصر
۱۰ « فاتنة المهدي او استبداد ...
۸ « الانتقام المدني (اسعد خليل داغر)
۵ « فقر وعفاف (للاستاذ احمد ...)
۱۲ « ... مصورة (توفيق عبد الله)
۱۲ « غرام الراهب او ...
۷۵ « روكامبول ۶ ۱۷ جزء (...)
۲۵ « ام روكامبول ۵ اجزاء
۲۰ « ... ۶ ... اجزاء
۲ « الملكة ... اجزاء
۲۰ « ...
۲ « ...
۱۶ « الساحر ... ۴ جزء
۱۶ « ...
۱۶ « ...
۱۶ « ...
۱۲ ...
۱۰ « ...
۱۰ ...
۵ ...
۵ ...
۵ « ...
۵ « ...
۱۶ « ...
۱۰ « ...
۱۰ « الجنون فنون
۸ « حورية
۸ « الملاكمان ...
۱۲ ... (...)
۵ ... « « « «)
۵ ... « « « «)

جائزة اسعد باسيلي باشا

# الذكرى

## الدكتور يعقوب صروف

---

### مائة جنيه مصري

يقدمها اسعد باسيلي باشا عن يد

# المقتطف

لأفضل ثلاث رسائل

في الموضوع التالي وهو

## «العشرة المتقدمون»

«في تاريخ الفكر العربي»

---

الجائزة الاولى — خمسون جنيهاً

الجائزة الثانية ثلاثون جنيهاً

الجائزة الثالثة عشرون جنيهاً

تجد القارئ بياناً عن موضوع الجائزة في الصفحة الرابعة

# الدكتور يعقوب صروف

في شهر يونيو القادم يحتفل بازاحة الستار عن تمثال الدكتور يعقوب صروف في بهو المطالعة بمكتبة جامعة بيروت الاميركية

واننا نغتنم هذه الفرصة لنقدم وافر شكرنا الى حضرة صاحب السعادة اسعد باسيلي باشا والدكتور شحاشيري لما بذلا من همة وعناية في سبيل اخراج هذا التمثال من صورة جالت في أذهان اصدقاء الدكتور صروف وتلاميذه الى حقيقة واقعة ، وسيقف قريباً تمثاله في بهو المطالعة المذكور جنباً الى جنب مع تمثال رئيس جامعة بيروت الاميركية الاول الدكتور دانيال بلس ، والى الدكتور صروف الكبير نهدي العلامة الدكتور كرنيليوس فانديك والدكتور يوحنا ورتبات

ونقدم شكرنا كذلك الى حضرة السيدة الفاضلة والمثالة البارعة مدام برص بحري ، بعد افرغت التمثال في قالب نحاسي آلامها المفيدة وذوقها العالي وقد جاءت لجنة التمثال هدية منها ومع هذا الكلام صورة التمثال

وقد تولى عمله سبكاً في الاستاذ محمد حسن ناظر مدرسة الفنون الطبعية في مسبكها الخاص ووضع تصميم القاعدة وصنعها الاستاذ حسن رضوان ونرفع شكرنا أيضاً الى الدكتور بايرد دودج رئيس جامعة بيروت وأعضاء مجلس ادارتها لقبولهم هذا التمثال ووضعهم موعد الاحتفال بازاحة الستار عنه في خلال الحفلات السنوية التي توزع فيها الشهادات والدرجات العلمية على المستحقين

وليس يفوتنا أن نذكر ان اصدقاء الدكتور صروف وتلاميذه وقراء المقتطف جميعاً ينتظرون بفارغ الصبر تكريمه بعد أشواط من سنوات على وفاته وذلك في الثلاثين في معهد العلم العالي الذي تلقى فيه العلم ، وحيث انشأ مع صديقيه رفيقي الروح الدكتور فارس نمر باشا مجلة « المقتطف » سنة ١٨٧٦



# أسعد باسيلي باشا

جمع حضرة صاحب السعادة أسعد باسيلي باشا بين الأدب والفكر الى مزاولة المال فقد كان مفكراً وكاتباً وأديباً قبل أن يحترف [illegible] الحياة العملية [illegible] الى المضاربة

«كان أسعد باسيلي أول ظهوره في الحياة العملية أديباً سليم الفكر، والأدب [illegible] في النفس حتى لا يستطيع المشتغل به أن يتخلى عنه الى حرفة أخرى ولعل اشتغاله بالأدب كان نتيجة شعوره القوي بأنه حاو لرسالة [illegible] وأن من حقه أن يعرب عن آرائه وأن [illegible] وأن [illegible] توضيح [illegible] يلاحظ [illegible] من أحوال الناس وأحاديثهم ولم يكن الأدب [illegible] الى الحماة [illegible] كانت [illegible] وشخصية وذكاء [illegible] نجاحه

وأسعد باشا رجل عصامي [illegible] من ضحايا العصامية أهلها [illegible] وقدرة على [illegible] وذهن [illegible]

[illegible] من [illegible] النجاح [illegible] لا تكون الا [illegible] في [illegible] الالهام لرجل [illegible] على [illegible] الأوهام ولا اجتهاد [illegible] أقسم [illegible] أسعد باشا في طرابلس الشام من [illegible] أقام في مصر شارك [illegible] وما كاد [illegible] من أوربا في الحرب الماضي [illegible] بالاكتتاب لمشروع [illegible] الوطني حتى أسرع الى القاهرة وقابل [illegible] الحاس باشا [illegible] خمسة آلاف [illegible] الحكومة المصرية هذه [illegible] وما [illegible]

[illegible] في حياة [illegible] الاقتصادية [illegible] الأسوة [illegible]

ونحن ان نشكر لأسعد باسيلي باشا أريحيته [illegible] هذه الجائزة لذكرى [illegible] [illegible] واحترام [illegible]

الموضوع المقترح

# العشرة المقدمون

## في تاريخ الفكر العربي

---

اذا وهب واهب سخي مبلغاً كبيراً من المال لتشييد به صرحاً فخماً يضم بين جدرانه كلّ ما خلّفه عشرة من الرجال، كانوا مقدّمي رجال الفكر العربي في تاريخه المجيد، وتتصل به مدرسة لدراسة آثارهم خاصة، فمن نضع فيه؟

١ — الموضوع مقتصر على الادباء والفلاسفة والعلماء

٢ — لا يجوز ادخال رجال الدين ولا رجال السياسة والحرب

٣ — لا يجوز الاختيار من الذين على قيد الحياة

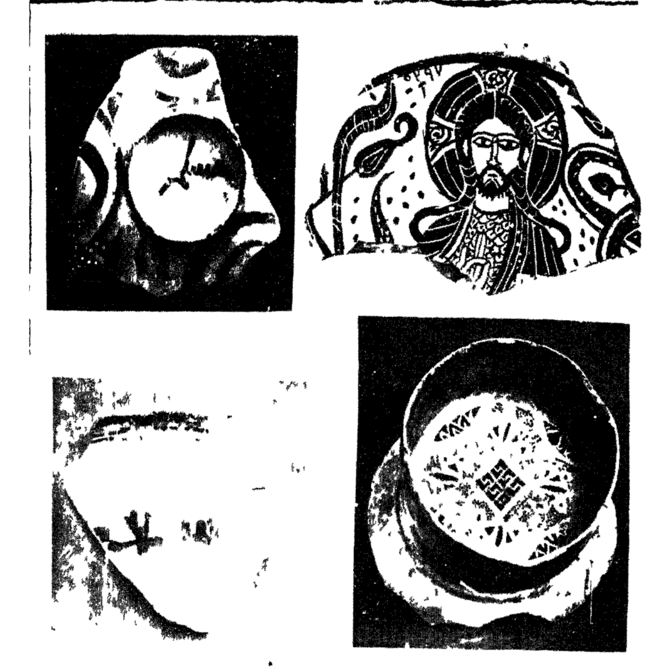
لقد اجمع كلّ من عني بدراسة الحضارة العربية على انها حفظت مصباح المعرفة منيراً في اشد العصور ظلمة، واضافت الى كنوز المعرفة كنوزاً جديدة لا تقوم بمال، وقد ظلّ اثر بعضهم حيّاً في معاهد اوربا الى مطلع العصر الحديث تدرّس مؤلفاتهم فيها بعد نقلها الى لغات الافرنج، ولا يزال اثرهم موضوع مباحث مستفيضة يقف عليها اقطاب العلماء في الشرق والغرب جلّ وقتهم وجهدهم

فمن هم مقدّموهم ابداعاً واثراً؟ سواء منهم المسلمون والمسيحيون، والنساطرة واليهود، والفرس والعرب والمغاربة فكل فيلسوف وكل عالم كتب باللغة العربية يجوز اختياره لهذا الصرح، وطبعاً كلّ اديب؟

والحكم يكون على إحسان الاختيار من جهة، وإحسان اقامة الدليل على وجوب هذا الاختيار من جهة اخرى فاختيار عشرة من الرجال وسرد تاريخهم لا يكفي بل يكون الاعتماد على تبين الميزة في الرجل المختار، واثره في ناحية من نواحي ارتقاء الفكر العربي

وسننشر في العدد القادم من المقتطف مقالاً لكاتب اميركي، في «اعظم المفكرين في التاريخ» عسى ان يكون نموذجاً صالحاً لما نقصد

﴿ وفي الجزء القادم بيان وافٍ عن سائر الشروط ﴾



فوق الى اليمين — قطعة من الخزف ذي البريق المعدني تمثل صورة السيد المسيح يحيط برأسه هالة من النور — فوق الى اليسار — قطعة من خزف فاطمي عليها امضاء صانعها مسلم
تحت الى اليمين — [illegible] إناء من الفخار به زخارف هندسية ونباتية دقيقة
تحت الى اليسار — قطعة من خزف فاطمي عليها امضاء صانعها سعد

# المقتطف

الجزء الخامس من المجلد التسعين

١ اوغسطس سنة ١٩٣٧ — ٢٠ صفر سنة ١٣٥٦


العلم في خدمة الانسانية

## الفيتامينات وأثرها

### في الصحة والمرض والنمو

يقال — والعهدة على الراوي — ان ادمند كين الممثل الانكليزي المشهوركان يتناول طعاماً خاصًّا لكل دورٍ يمثله ، فكان يتناول لحم الخنزير قبلما يمثل دور طاغٍ ولحم البقر قبل تمثيله دور سفاك ولحم الضأن قبل تمثيلهِ دور عاشق ولهان ومن الاقوال المأثورة في هذا الصدد . قل لي ما تأكل أُنبئك من انت

فما الصلة بين خمسين صنفاً من الطعام يتناولها المرء خلال حياته ، وبين صحته من ناحية وطباعهِ وخُلقهِ من ناحية اخرى ؟ لقد كشف العلم عن بعض الحقائق المتصلة بهذا الموضوع في حياة الحيوان ، وحياة الانسان حتى ان الاستاذ هنري شرمن احد علماء جامعة كولومبيا صرّح بعد تجارب دقيقة جربها في هذا الصدد في الجرذان انهُ في استطاعة الباحث ان يطيل متوسط عمرها ويجعلها اكبر واقوى بالاشراف على غذائها على نحو معيَّن

فكيف وصل العلم الى هذه النتائج ?

في سنة ١٨٩٧ تفشى في جزائر الهند الشرقية التابعة لهولنده مرضٌ قديم عرف في الشرق الاقصى من نحو الفي سنة ويدعى بري بري او «كاك — كي» وهو مرضٌ غريب تتأثر في المصابين

به اعصاب الحركة والحس تأثراً عظيماً فيصاب صاحبهُ باعياء عام وانحطاط في قواه العملية، وبالاستسقاء وبفقر في الدم تصحبهُ شلل راجف، تبدأ عادةً في الساقين وتنتشر صعوداً حتى تصل الى القلب فتحدث الوفاة

فعينت حكومة هولندة لجنة لبحث الموضوع عسى ان توفق الى معرفة سببه واستنباط علاج شافٍ لهُ

## الرز المقشور وغير المقشور

وكان بين الرجال الذين عهد اليهم في مكافحة هذا المرض رجل يدعى كرستيان أيكمان Eijkman كانت «البكتريولوجيا» في اوج شهرتها حينئذٍ بعد مكتشفات باستور وكوخ وغيرهما، فعمد ايكمان منساقاً بروح البحث الطبي السائدة حينئذٍ الى البحث عن ميكروب يحدث هذا المرض ولكنهُ شاهد مشاهدة استرعت عنايتهُ فانصرف بعض الانصراف عن البحث عن الميكروب الى النظر في تعليل ما رأى ذلك انهُ شاهد طائفة من الدجاج كانت تعيش على مقربة من معمله، وقد اصيبت بشلل يشبه الشلل الذي يحسب من اعراض البريبري فلم يستغرب ذلك لانهُ كان يعلم ان بعض الحيوانات معرض للاصابة بامراض يصاب بها الناس فقال لعل هذا الدجاج عدي بالمرض من انصاله بمن يرعاهُ واذ هو ماض في البحث عن الميكروب، كان يقضي بعض الوقت في مراقبة الدجاج ليعلم كيف اتصلت به العدوى

فلاحظ بعد قليل ان الدجاجات التي يسمح لها بأن تسرح في الحقل، تكث منهُ ثمارها ما تغتذي به، وتهمل في الشمس، لا تصاب بالبريبري (يعرف الضرب الخاص من البريبري الذي تصاب به الدجاج باسم «بوليينوريتس») أما الدجاجات او أفراخها التي أصيبت بأعراض هذا المرض وكانت قد حفظت في حظائرها وغذيت ببقايا الرز الذي كان السجناء يغذون به فبحث في الغذاء الذي تغذى به السجناء فلم يجد فيه ما يسترعي الانتباه الاَّ أن الرز وهو عماد غذائهم، كان قد قشر بالآلات الحديثة لازالة قشريه الصفراء وكانت القشور تطرح جانباً لاعتقادهم أنها لا تصلح للغذاء فخطر لأيكمان ان يقابل بين انتشار مرض البريبري في السجون المختلفة بالمقابلة بين أنواع الرز الذي تغذى به السجناء فتجلت لهُ حقائق غريبة

وجد ان ١٥ ألفاً من السجناء كانوا يغذون بالرز المقشر وان واحداً في كل ٣٩ منهم يصاب بالبريبري وان ٣٥ الف مسجون غيرهم كانوا يغذون برز غير تام التقشير وان واحداً منهم في كل ٤ كان يصاب بهذا المرض وان مائة ألف كانوا يغذون بالرز غير المقشور فلم يصب منهم بالبريبري الاَّ واحد في كل ١ ٧٢٥ مسجوناً فحدوث الاصابة بالبريبري بين

الذين يغذون بالرز المقشور ٣ ضعف عددهم بين الذين يغذون بالرز الكامل اي غير المقشور
ولما بين لهُ ذلك ابتدأ ابحاثهُ العلمية المشهورة فاخذ طائفة من الافراخ (جمع فرخ وهو صغير الطير) وغذاها بالرز المقشور دون اي شيء آخر وأ... جميعها «بالپوليونريتس» (بري بري الدجاج) وماتت واخذ طائفة اخرى وغذاها بالرز غير المقشور دون اي شيء آخر فلم يصب احدها بالمرض ثم اخذ طائفة من الافراخ المصابة ، واضاف الى رزها المقشور قشور الرز التي كانت تطرح جانباً فلم يلبث حتى شفيت مما الم بها وكذلك تمكن أيكمان من اكتشاف سبب « بري بري الدجاج » في غذاء ناقص لا في مكروب واثبت بتجاربهِ انهُ يستطيع ان يحدث المرض بازالة العناصر اللازمة من الغذاء ثم يستطيع شفاءهُ باعادة هذه العناصر الى الغذاء الناقص وبعد ذلك دعي الى هولندة وولد منصب استاذ في جامعة اوترخت
الاَّ ان شيئاً من الخطإ كان قد تطرق الى تعليل أيكمان لما رأى وكشف كان قد اشار وحرب اكل الرز كاملاً ولكنهُ لم يستطع ان يعلم سرّ الفائدة المطوية في قشرة الرز الخارجية ولم توجه عناية ما الى بحثهِ ، فظل مرض البريبري متفشياً وظل ألوف من الناس يموتون بهِ فلما نشبت الحرب الروسية اليابانية في مطلع هذا القرن عُطّل سدس القوات اليابانية عن العمل لتفشي البريبري فيها
وبعد انقضاء ثلاث عشرة سنة على تجاربه ، ذهب شاب بولوني يدعى كازيمير فونك Funk الى معهد لستر بلندن فكشف عن رسالة الطبيب الهولندي وبعد ما طالعها وتملى معانيها قال ان قشور الرز تحتوي على مادة كيماوية لا بدّ منها للصحة ، وحاول ان يستخلص تلك المادة مستعملاً الحمام لامتحان فعل ما يستخلص وبعد عمليات لا عداد لها من الحل والترسيب والتصفية فاز بمقدار يسير من مسحوق ابيض وربما ١/٥ من الاوقية كان قد استخلصهُ من رطل من قشور الرز ولما امتحنهُ وجد انهُ اذا اضيفت بضعة مليغرامات منهُ الى غذاء حمام مصاب اصابة قوية «بالپوليونريتس» شفاه منها فتشتد سيقانهُ وتستقيم عنقهُ الدائلة وتتحول حماماً سوياً

## اسم الفيتامين

ولما كان هذا المركب لازماً للحياة ( Vita ) ويحتوي على طائفة المركبات الامينية ( Amine ) دعا فونك هذه المادة المقاومة لمرض البريبري فيتامين vitamine الاَّ ان فونك كان على خطاٍ في ظنهِ انهُ استخلص الفيتامين النقي من كل شائبة والاسم الذي اطلقهُ عليهِ كان في غير محله لانهُ ثبت بعد ذلك أن هذه المادة الحيوية لا تحوي على المركبات الامينية ولكن الاسم الذي اختاره استهوى الناس ، فذاع في الخافقين وابقي عليهِ في الكتب العلمية بعد حذف الحرف

الاخير منهُ سنة ١٩٢ فصار Vitamin عن ان فونك كان اكثر توهماً في قوله ان المستقبل سيكشف عن امراض اخرى ترجع الى نقص هذه المواد الخفية في الطعام او خلوّه منها

وكان العلماء في ذلك العهد شغفين بدراسة ما تحتوي عليه الاطعمة المختلفة من مصادر الحرارة وقياس ما يحتاج اليه الرجل والمرأة والطفل والحيوان من الحرارة في حالتي اليقظة والنوم واستنبطوا لذلك اساليب متنوعة واجهزة بسيطة ومعقدة لكن الكيمياء كانت قد اصابت من الارتقاء ما مكن اصحابها من تحصير المواد المعدنية في الاطعمة نقية من الشوائب ، فعمد اليها الباحثون في الطعام والحرارة عساهم يستطيعون ان يتوصلوا عن طريق تجاربهم الى تركيب الغذاء الامثل لمختلف انواع الاحياء ذلك ان جسم الانسان كان في نظرهم اكثر من اتون حل ما يحتاج اليه مواد تكون بمثابة الوقود فقالوا لعل في مواد الطعام اشياء يحتاج اليها الجسم ولا نستغني عنها بصرف النظر عما تولده من الحرارة

وكان قد سبق الى هذا الضرب من البحث رجل يدعى لونين Lunin بدأ يجرب تجاربهُ في مدينة بال السويسرية سنة ١٨٨١ بنسبة فئران فوجد انهُ اذا غذاها باللبن عاشت وهي على أتم ما يكون صحة ونشاطاً ولكنهُ اذا احل محل اللبن سائلاً يحتوي على جميع مركبات اللبن المنقاة اي بروتين اللبن (كاسين) ودهنهُ وسكره (لاكتوس) واملاحه المعدنية محلولة في الماء ماتت بعد انقضاء شهر عليها وهي تتناول هذا الغذاء فخلص لونين الى النتيجة التالية وهي ان اللبن يحتوي على مادة او مواد غير البروتين والدهن والسكر والاملاح وان هذه المادة لا غنى عنها للصحة وانقضى عدد من السنين فاذا استاذ لونين يسأل نفسهُ أفي اللبن حقيقة مواد اخرى غير البروتين والدهن والسكر والاملاح المعدنية لا بد منها للحياة ام اخطأ لونين في تجاربه؟ وعلى كل حال قرَّر الاستاذ بكلهارنج Pekelharing في جامعة اوترخت ان يمضي في المباحث التي بدأها لونين فاعاد تجاربهُ فخلص الى نفس نتيجته وهي ان في اللبن مقادير يسيرة من مادة غير معروفة لها اكبر الشأن في التغذية

## تجربة هكنز الحاسمة

وفي سنة ١٩٠٦ شرع هكنز (فردريك جولند هكنز وهو رئيس الجمعية الملكية الآن) احد علماء جامعة لندن وهو لا يدري شيئاً عن مباحث لونين وبكلهارنج وأيكمان في مباحث كانت حاسمة في هذا الموضوع اخذ طائفتين من صغار ذكور الفئران كلٌّ منهما ثمانون فأراً وغذى احداها بغذاء مؤلف من كاسين ونشاء وسكّر القصب وشحم واملاح معدنية وكانت جميعها نقية من الناحية الكيمياوية وغذّى الطائفة الاخرى بالغذاء نفسه ولكنهُ اضاف اليه مقدار ملعقة شاي

من اللبن الطازج كلَّ يوم فكانت النتيجة ان فئران الطائفة الاولى لم تنمُ وان فئران الثانية نمت نموًّا سويًّا ثم قلب الغذاء واضاف اللبن الى غذاء الطائفة الاولى وحرم الثانية منهُ فانعكست آية النمو اذ اخذت الاولى في النماء وتوقفت الثانية عنهُ وفي سنة ١٩١٢ اذاع رأيهُ الآتي اذ قال «ليس في وسع اي حيوان ان يبقى حيًّا وهو يغتذي بمركبات من بروتين واملاح وكربوهدرات نقية من الناحية الكيماوية» وقد منح هكنز بالاشتراك مع أيكمان جائزة نوبل الطبية سنة ١٩٢٩ جزاءً لهما على مباحثهما

في صيف السنة التي شرع فيها هكنز يجرب تجاربهُ المشهورة، كان شاب اميركي يدعى المر فرنر ماكولم McCollum قد اتمّ بحثاً معيناً في الكيمياء العضوية بجامعة ييل كان قبل عشر سنوات قد غادر حقول كنساس مكتئباً لموت والده طالباً للعلم ولولا حث امهِ لهُ لكان على الاكثر فلاحاً الآن تعالج الرياح والسيول والآفات

كان في حداثتهِ فتىً خجولاً ضعيف البنية يكره دراسة القواعد اللغوية ويمقت الحساب وأخفق في اختبار الامتحان لدخول المدرسة العالية ولكن سمح لهُ بدخولها تحت التجربة هنا فقد ماكولم شيئاً من خجله ونبغ في دروسهِ وكان يكسب ما يوفي بهِ نفقات المدرسة باضاءة مصابيح الغاز في شوارع البلدة التي كان فيها وبنقل رزم الصحف من مكان الى مكان وبمساعدة مدرس الكيمياء التجريبية في معمل الكيمياء

وفاز بجائزة مكنتهُ من متابعة دروسهِ في جامعة ييل ولم يكد يمضي فيها حتى أدرك ان البحث الكيماوي يستهويهِ دون الطب وكان قد وطن النفس عليهِ قال «ولو عرض عليَّ سنة ١٩٠٦ أن أكون مدرّساً للكيمياء لقبلت» ولكن أحداً لم يعرض عليهِ ذلك فقضى سنة أخرى يشتغل باشراف باحث يدعى مندل في الكيمياء الفسيولوجية والفسيولوجيا التجريبية وهو ينتظر ان يتاح لهُ عمل يرزق منهُ

وفي نهاية السنة وجّهت اليهِ دعوة من ثلاث محطات للتجارب الزراعية، فأشار عليهِ مندل بالذهاب الى محطة التجارب الزراعية التابعة لجامعة وسكنسن حيث كانت تجري تجربة كبيرة الشأن في تغذية الحيوانات

وكانت المسألة التي تدور عليها التجربة هي هي، تلك المسألة التي بحثها لونين وبكلهارنج وهكنز — هل ثمة فرق بين قيمة غذاء عندما يعطى كما هو في الطبيعة وعندما تعطى المركبات التي يحتوي عليها وقد جعلت نقية كل النقاء بأساليب الكيمياء؟

## من الحقول الى الصُّراة

ولذلك قرَّر الباحث ماكولم Mc Collum ان يجرّب عدَّة تجارب لمتحن النظريات المختلفة فقد كان يرى ان مقدار الحرارة في الطعام ليس كلّ شيءٍ فيهِ والمسألة لم تكن علمية محرّدة في

نظر ماكولم ، لأن جامعة وسكنصن في بلاد تكثر فيها المراعي والقطعان ، وأصحاب القطعان كثيراً ما يلجأون الى الجامعة يسألون أساطين العلم فيها عما يجب ان يعدوا به قطعانهم وفي أول مايو سنة ١٩٠٧ بدىء في هذه التجربة العظيمة الشأن ، وعهد الى رجل يدعى هارت [illegible] في الاشراف عليها

أخذت أربع طوائف من العجول ، غُذيت أغذية مختلفة فواحدة منها غذيت بالحنطة ، وأخرى بالذرة ، وثالثة بالشوفان (الرمّير) ، والرابعة بغذاء خليط من الحنطة والذرة والشوفان وكان الباحثون يقيسون ما تأكلهُ العجول وما تتغوطهُ ويحللون هذا وذاك وكان من عمل ماكولم ان يحلل البراز ولكنهُ كان غير راضٍ عن أسلوب التجربة لانهُ رأى انها لا تمكن ان تخضع لقواعد البحث العلمي الدقيقة ، وان الذين يجرون تجاربهم في الحيوانات الصغيرة كالفئران والحمام والارانب الروبية على الطريق القويم فعزم ان يعيد تجربة هكنز على ان يحدث فيها تعديلاً واحداً وهو ان لا يدخل في غذاء الحيوانات التي يجرب التجارب فيها اي مركب كيماوي الاَّ اذا كان نقيّاً كل النقاء وتركيبهُ معروفاً حق معرفة

وبدلاً من ان يغذي الحيوانات بحنطة ، كما فعل الباحثون في تجربة وسكنصن ، وهي حبوب فيها مركبات معقدة التركيب ، عزم ان يغذيها بنشاءٍ نقي اي مركب من (ك٦ يد ١٠ او ٥ — $C_6 H_{10} O_5$ ) وبدل الالبن يستعمل زوبين اللبن بعد تنقيته ، وسكر اللبن بعد تنقيته وهكذا

ولم تمض عليهِ بضعة أشهر في وسكنصن حتى شرع في جمع الفئران ليجرب تجاربهُ فيها فلقي معارضة من مدير المحطة وعميد الكلية ومنع عنهُ المال لشراء غذاء للجرذان اما غذاء العجول فقد كانت الجامعة تنالا للسخاء في شرائه

ولكن ماكولم ذهب الى معمل ماكولم وجلس على كرسي فيهِ يبحث في الخطة التي ينوي الشاب ان يسير عليها ، وما خرج من هناك الاَّ وهو يؤيدها وكذلك استطاع ماكولم ان يمضي فيها

كان يعرف الفئران والجرذان من حداثته وكثيراً ما نصب الشراك لها مع شقيقهِ في الحقول ثم تعلم انها من خير الحيوانات لتجربة التجارب فمدى حياتها نحو ثلاث سنوات ومدة حملها ثلاثة اسابيع والانثى تستطيع ان تلد «بطنها الاول» وهي في نهاية الشهر الثالث من عمرها ولا تبلغ الشهر الرابع عشر حتى تكون قد ولدت ستة بطون ونفقات طائفة كبيرة من الجرذان يسيرة جداً

اكبَّ ماكولم على تجربتهِ الخاصة في اوقات فراغهِ من تجربة العجول ومن التدريس في الجامعة فاقام الفئران في صناديق صنعها بيديهِ من خشب وكانت نشأتهُ في مزرعة قد عودتهُ

الصبر على العمل الشاق ، فكان يشتغل ثماني عشرة ساعة كل يوم ولا يمل وكان يجيد تفسير النتائج التي يصل اليها ، وفرض الفروض التي يعرضها البحث ثم امتحانها وتملكه من البدء طموح عجيب ، واقتناع بانه على الطريق الصواب وراجع في ذهنه التجارب التي اشترك فيها في بامل ، لمعرفة مافي بعض الاغذية من القيمة والطاقة فضحك في نفسه ، لانه ادرك انها كانت بعيدة كل البعد عن قواعد التدقيق العلمي اما هنا فتجاربه دقيقة وكل عامل فيها خاضع للقياس فالجرذ في الصندوق هو اسير اختياره ، والاغذية التي تغذيه بها هي مواد كيماوية معروفة مركباتها ومصادرها

## ألغاز الغذاء

كان ماكولم يغذي جرذانه بالمقادير الصحيحة من مركب فصفات الكلسيوم غير العضوي وبروتينين تعين احدهما مستخلص من بزر القطن والآخر من الذرة ونشائين احدهما من القمح والآخر من الذرة وسكرين سكر اللبن وسكر القصب ومقدار كاف من الادهان وجميعها نقية من الناحية الكيماوية ولكن ظهر له ان الجرذان لا تستطيع ان تحفظ نموها وحيويتها معتمدة على هذا الغذاء فقط فكانت تموت قبل اوان موتها فظن اولاً ان هذا الغذاء تعوزه شيء ليصبح سائغاً لا مفر منه الشهية فحكم بان ما يجعل الطعام سائغاً عامل لا يستغنى عنه في أي غذاء ولكنه كان على خطإ في هذا الرأي إلاَّ انه لم يدرك ذلك حينئذٍ فاضاف الى طعام الجرذان ما جعله مقبولاً ومضى يبدّل في مقادير العناصر المختلفة الداخلة فيه فلما ثبت له ان بعض الجرذان عاش وبلغ الوزن السويّ حسب انه اتمّ اولى التجارب في التغذية بمواد نقية من الناحية الكيماوية وانه ادرك النجاح المرغوب

وفي خلال ذلك كان هنالك باحثان آخران احدهما يدعى اوسبورن Osborne والآخر مندل Mendel يجريان التجارب بقصد معرفة القيمة الغذائية والفسيولوجية في اصناف مختلفة من البروتين التي وكانا يعلمان ان في البروتينات المختلفة احماضاً « أمينية » مختلفة Amino acids وكان همّهما ان يعلما اي هذه الاحماض يجب ان يكون في البروتين الصالح للتغذية وكانا يستعملان في تجاربهما مواد غذائية نقية كالمواد التي استعملها ماكولم إلاَّ أنهما لم يصلا الى النتائج التي افضت اليها تجاربه من حيث الجرذان التي نمت وبلغت الوزن السويّ ولكنهما وجدا انهما اذا اضافا الى هذه المواد لبناً خالياً من البروتين - وهو عادة في شكل مسحوق اصفر يحضر باستخراج البروتين والدهن من اللبن ثم يجفف - كانت الجرذان تنمو نمواً طبيعيًّا فحكم مندل بان الباعث على النمو ما بقي في اللبن من المواد المعدنية وكان ايضاً على خطإ

وكذلك يتبين القارىء اليه الذي يسير فيه العلماء وهم يحاولون فهم سرّ من الاسرار، ولولا الشغف والمثابرة وغيرهما من الصفات التي يتصفون بها، لما قادهم الخطأ الى الصواب

وراًى ماكولم انهُ مبدل فكان تاعاً لهُ من المبالغة في التدقيق، فوالى التجارب واضطر ان يوقف عنها سنة كاملة لان منافساً اكتسح جرذانهُ فاماتها جميعاً، وفي سنة ١٩١٤ نشر في مجلة الكيمياء السولوجية رسالة فتحت عهداً جديداً في بحث الغذاء. وكان موضوع الرسالة، « استفراد مادة في الزبدة تؤثر تأثيراً قويًّا في النمو »

## كشف فيتامين A

احتوت هذه الرسالة وصف تجربة كان موضوعها الجرذ رقم ١٤١ ومدتها ثمانون يوماً في خلال هذه الايام الثمانين كان هذا الجرذ يغذى بطعام مؤلف من كاسين (زوين اللبن) ونشاء وسكر اللبن (لاكتوس) أجار اجار (وهو المادة التي تستنبت فيها الميكروبات احياناً) ومزيج املاح وشحم وكانت جميعها نقية من الناحية الكيماوية فنما الجرذ نموًّا طبيعيًّا ثم اخذ يهزل فاضيف الى غذائه مقدار يسير من خلاصة الزبدة، فاخذ وزنهُ يزيد زيادة سريعة وبلغت الزيادة ٥ غراما في ٣٥ يوما ثم ابدل ماكولم خلاصة الزبدة بخلاصة مح (صفار) البيض فظلت الزيادة مستمرة ولما استعمل زيت الزيتون بدل الزبدة وصفار البيض توقف النمو فخلص ماكولم من ذلك الى النتيجة التالية، وهي ان الادهان (fats) والزيوت (oils) تختلف في قدرتها على الإغذاء مع انها لا تختلف الا يسيراً في تركيبها الكيماوي وذلك لان في الادهان عاملاً غذائيًّا لم يعرف بعد يذوب في الدهن ودعاهُ فيتامين A

وكذلك توصَّل ماكولم الى معرفة ذلك العامل الغذائي الذي ظل بكلهارنج وهكنز انهُ في اللبن

واعاد مندل تجارب ماكولم متروياً في كل مرحلة منها اشدّ التروي، فاسفرت عما يؤيد ماكولم كل التأييد

ولكن مندل ظل لا يفهم السبب في ان اللبن الخالي من البروتين يؤاتي النمو ولا استطاع ان يحكم هل النقص في الغذاء الذي ركبهُ من مواد كيماوية يعود الى خطإٍ في مقادير عناصره المختلفة بالنسبة بعضها الى بعض او الى نقص عنصر اساسي غير معروف ثم إن ماكولم نفسهُ كان متحيراً فخلاصة الزبدة او مح البيض، بخلاف البيض الاعتيادي، مؤاتية للنمو، ولا يحمل اغذية اخرى كذلك وقرأ فونك ما كتب ماكولم ومندل فقال ان العنصر الفعَّال في خلاصة الزبدة التي استعملها الاول انما هو هو الفيتامين الذي يمنع البري بري

ومن الواضح ان جميع الباحثين كانوا لا يزالون حتى تلك الساعة يتلمسون الطريق في السه

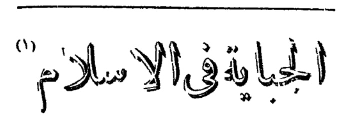
## كشف فيتامين B

عاد ماكولم الى حردانه عازماً على ان يجرب تجربة واسعة النطاق ، مع انه كان طلا يوالب سلسلة الاصابة بالزكام والصداع والالم ، الحلق والشعب وهبط وزنه الى ١٢٢ رطلا ولكن هذا البحث كان قد استهواه وملك عليه لبه فجرب سلسلة من التجارب ، منوعاً فيها مواد الغذاء ومراقباً نتيجة ذلك في نمو الجرذان فخلص الى ان الحنطة كغذاء تعوزها الاملاح وفيتامين . بعض البروتين والى ان الغذاء الوافي يجب ان يحتوي مقادير كافية من البروتين والسكر يوهيدرات والاملاح وفيتامين A وكان الرز من الحبوب التي استعملها في تجاربه فوجد ان الرز غير المقشور يؤاتي النمو . لكن اذا كان الرز مقشوراً واضيف اليه قليل من الزبدة اي فيتامين والاملاح لم تسد النقص فيه اي لم تعوضه الزبدة مما فقد بعد قشوره فاضاف الى الرز المقشور قليلاً من سكر اللبن (اللاكتوس) علاوة على المواد الاخرى فكان نمو الجرذان طبيعياً فقال ان في سكر اللبن عاملاً آخر خفياً من عوامل النمو لا غنى عنه فخطر له ان يفحص نقاء السكر الذي استعمله فوجد انه لم يكن نقياً كل النقاء ، ان في السائل الذي يستخرج السكر منه مادة خفية تؤثر في النمو ذلك انه عندما اضاف هذا المحلول الى غذاء حمام مصاب بمرض (البوليبوريتس) شفي من المرض فثبت انه في ذلك مثل شأنه لو تغذى بالرز غير المقشور فقال ماكولم ان هذا العامل الحيوي يدعى فيتامين B ، انه يختلف عن فيتامين A في ان فيتامين A يذوب في الدهن وأما فيتامين B فيذوب في الماء وان كليهما لا غنى عنه للغذاء الكامل

وكان هذا الفيتامين اي فيتامين B هو هو فيتامين فونك الذي يشفي من مرض البريبري وصحى اعلان . . اكتشافه فيتامين . . الذي يقي من «البليورتي» الى فهم كثير من الالغاز فكلا الفيتامين لازم للنمو السوي فهذا يفسر عدم نمو الجرذان التي اضيف الى غذائها المقي الزبدة الخ دون سكر اللبن ذلك ان سكر اللبن كان يحوي على فيتامين B وهو يفسر كذلك اذا نمت الجرذان نمواً طبيعياً في تجارب اوسبرن ومندل عند ما اضافا الى الغذاء لبناً اجرد ، هذه مدينة البروتين لان هذا اللبن يحتوي على فيتامين B وهو يفسر تجارب هوكنز الانكليزي وما الذي نمو في الجرذان عندما اضاف الى غذائها قليلاً من اللبن الكامل

***

لقد اتضحت مشكلة الفيتامين وقام بها الاساسية ان هناك مواد لا غنى عنها للصحة والنمو توجد منها مقادير يسيرة جداً في بعض الاطعمة ، وقد كشف ما كولم مادتين منها ، فهل ثمة اخرى؟ (وهذا موضوع البحث القادم)



لفارس بك الخوري
رئيس مجلس النواب السوري

## في عصر الامويين

كانت دولة العرب على عهد بني أمية في أوج عزها وعنفوان مجدها فكان العرب يمتهنون الشعوب الاخرى ويستضعفونهم ويسمون غيرهم « الموالي » أو « العلوج » ويحسبون ديارهم بستان قريش « ما شئنا اخذنا منهُ وما شئنا تركنا » تحرسه الدولة العربية هي دون الرعية يتناولون منها ما شاؤا وكان العمال يقولون للناس « انما انتم خزانة لنا ان كثر علينا كثر عليكم وان خفف مما خففنا عنكم » وبهذه العقيدة انتزعوا اموال الناس بحق وبغير حق وكان الخراج مفروضاً على الاراضي بمقدار ما تزيد بن غلتها عن حاجة الزراع وبحيث لا يترك للعامل الا ما يسد بهِ عوزه الضروري ومع ذلك فان بعض العمال سولت لهم نفوسهم ان يستولوا على الغلة برمتها فكانت الشكاوى ترفع الى الخلفاء من جور العمال وتهمهم في الجباية فاذا كان الخليفة منصفاً أنصفهم والا بقي الظلم سائداً والعسف مستعصياً من ذلك ما كتبهُ عبد الملك بن مروان الى الحجاج في امر اهل العراق ان «لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك وابق لهم لحوماً يعقدون بها شحوماً »

وكان للحجاج امثال كثيرون بين عمال الامويين في الظلم والجور وابتزاز الاموال بغير حق فزادوا في الجزية عن الحد الذي اقره الخلفاء الراشدون وخرجوا في الخراج عن النصاب المشروع وفرضوا على الناس الهدايا في الاعياد والافراح وتناولوا النقود بأقل من سعرها الرائج وكانوا يخرصون الحاصلات اي يحزرون مقدارها ويحسبونها باكثر مما هي ويقوّمونها بالسعر الذي ينالون بهِ ربحاً جزيلاً وكثيراً ما كان الخلفاء يغمضون العين عن امثال هذه الافاعيل لحاجتهم الى المال ليبذلوه في كمّ الافواه وغل الايدي وارضاء الناقمين والانفاق في وجوه البذر والبذخ

---

(١) من فصل في كتاب « علم المالية » تقوم بطبعه ونشره « مكتبة النشر العربي بدمشق »

واتصلت هذه الاعمال الدور العباسي ايضاً حتى كتب ابو يوسف الى الرشيد ينهره على العمال والجباة ويحرضه على الاقتصاص منهم لانهم « لا يعطون ... حقه ولا يعفون من تعذيبه وانما مذهبهم اخذ شيء من الخراج او ... ثم انهم ... من ذلك بعد بالعسف والظلم والتعدي ويقيمون اهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويعلقون عليهم الجرار ويقيدونهم بما يمنعهم من الصلاة وهذا عظيم عند الله شنيع في الاسلام » كان من اسلم يوضع عنه الجزية ويضم الى فرق المجاهدين ويتناول الاعطية والاقطاع فيتحول ما في يده من الارض الى الباقين من اهل قريته بجزيته ويؤدون خراجه فرغب الناس في الاسلام ليتخلصوا من ... العمال والجباة حتى قل ... كما هو المنتظر فلم تعد في حوزتهم تأديه الاموال المفروضة على قراهم وصار العمال يجبرون من اسلم ايضاً على البقاء في الارض وتأدية خراجها ولم تعد للاسلام عصمة ابداً فصار الرعايا ... وكان الناس امرهم الى عمر بن عبد العزيز الذي استن بسنة عمر بن الخطاب فكتب الى عماله « ان الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً » واعاد الامور الى مجراها السابق من جهة اعفاء المسلمين

ليس لدينا ارقام يوثق بها عما كان يرد الى خزينة الخلافة في عصر الامويين وانما يؤخذ من اقوال المؤرخين ان متوسط ارتفاع جباية الشام نحو مليون دينار وجباية مصر ثلاثة ملايين وجباية العراق عشرة ملايين وجباية البلاد الاخرى اكثر من خمسة ملايين فيكون المجموع اكثر من عشرين مليون دينار اي نحو عشرة ملايين جنيه انكليزي وهو المبلغ الذي يدخل في خزينة الخلافة فقط ما عدا الاموال التي يحفظ بها العمال والجباة لانفسهم او ينفقونها في الامور المحلية وهي اضعاف مضاعفة عن الارباع الذي يبعثون به الى بيت الخلافة وقد كان اكثرهم يختزنون الملايين من الدراهم والدنانير عندما يدخلون به ... من الاموال الطائلة حتى يصادروا ... ويعزلونهم ويحاسبونهم واستخراج المال المكنوز منهم جبراً ... عمر بن الخطاب الذي كان يمنع عماله من الحشد والارتزاق واذا وجد عند احدهم مالا قاسمه اياه او استخلصه منه وشاعت هذه الطريقة في عهد الامويين والعباسيين شيوعاً عظيماً

## في العصر العباسي

ازدادت الجباية في عصر العباسيين بتوسع الفتوح وانتظام حال الدولة واشتراك الموالي في الحكم والادارة فان العرب لم يكونوا اهل جباية ودراية في الامور المالية وتنظيم التكاليف والنفقات وانما كان الموالي من الفرس والروم اعرق منهم واطول باعاً في هذه الامور فعند ما بلغ بنو العباس مناهم من تقويض الدولة الاموية وولاية الامر بمساعدة الاعاجم من اهل خراسان

امتدت أيدي هؤلاء الاعاجم الى السلطة والاشتراك في الاعمال العامة حتى كادت تقضي على سيادة العرب وكانت أمور المال في جملة ما عني به هؤلاء الموالي لتكثير موارد الجزية وتشديد شكيمة الدولة على النحو الذي كان جاريًا في عهد كسرى

الخليفة العباسي الاول لم يتيسر لهُ جمع كثير من المال لقصر مدته وحداثة دولته ولكن المنصور بعده غصت خزائنه بالأموال الوافرة التي كانت تتسرب اليه من الأنحاء والأقاصي فأنفق منها ما أنفق في سبل الصلاح والحاجة وترك بعد موته خزينة احتياطية فيها ما يربى على خمسين مليون دينار وأوصى ابنه قائلاً « قد جمعت لك من الاموال ما ان كسر عليك الخراج عشر سنين يكفيك لأرزاق الجند وعطاء الذرية ومصلحة الثغور فاحتفظ بها فانك لا تزال عزيزًا ما دام بيت مالك عامرًا » غير ان ابنه المهدي لم يأبه بهذا الامر بل أسرف وبدد ما جمعه ابوه وما جربه لهُ أبوه ولم يخلف شيئًا للهادي الذي تولى الأمر بعده كما ان هذا ايضًا لم يخلف شيئًا للرشيد الذي بذل المال بسخاء عظيم ووصل عنهُ بعد موته أكثر مما وصل عن المنصور وقد جرى ملوك الاسلام على اختزان الاموال خلافًا للسنة التي استنها عمر بن الخطاب وبالغ المؤرخون في تعداد ما اجتمع في خزائن الخلفاء والملوك في الشرق والغرب فقيل انهُ وجد في خزانة عبد الرحمن الناصر خليفة الاندلس المتوفى سنة ٣٥٠ هـ نحو عشرين مليون دينار مع ان جبايته السنوية لم تتجاوز ستة ملايين

منابع الجباية في العصر العباسي لم تختلف كثيرًا عن منابعها في العصر الأموي وسنذكر شيئًا عن تفصيلها عند البحث في كتاب الخراج لأبي يوسف اما مقدارها فقد حفظ التاريخ ثلاث قوائم في تواريخ مختلفة جاء فيها مقدار الجباية في كل اقليم من أقاليم الدولة العباسية بحسب الارتفاع الذي كان يقدم لخزينة الخلافة

القائمة الأولى نقلها ابن خلدون في تاريخه وزعم انهُ استخرجها من أوراق رسمية من أيام المأمون اعتمد عليها في تدوين الدخل والخرج في عهد [illegible] ويرى [illegible] لا تمثل ذلك لاحتراق الديوان في عهد الأمين وضياع الوثائق وهذه القائمة [illegible] الى السنين بين سنة ٢٠٤ وسنة ٢١

والثانية قائمة قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٠٧ للهجرة والظاهر انهُ كتب هذه القائمة في كتابه (الخراج) معتمدًا فيها على ما وصلت اليه من الوثائق الرسمية عن جباية سنة ٢٢٥ في ايام المعتصم

والثالثة قائمة ابن خرداذبه صاحب كتاب المسالك والممالك الذي أدخل فيها مقدار الجباية الى سنة ٢٥

ولا يخفى ان الدولة العباسية اشتملت على جزيرة العرب بكاملها وبلاد ارمينية [illegible] وافريقية الشمالية كلها الى بحر الاتلانتك والعراق وبلاد فارس وما وراءها الى حدود الهند وأواسط آسيا الى الحدود الروسية وقسمًا كبيرًا من بلاد آسيا الصغرى فكانت الجباية في عهد المأمون من

هذه الدولة الواسعة [illegible] رواية ابن خلدون [illegible] ارتفاعات [illegible] وذلك يقارب ثلاثين
مليون دينار [illegible] الحيوانات والعروض [illegible] في [illegible] المحاصيل
والسكر وما [illegible] والزيت والعسل [illegible] الارقا [illegible] والبزاة
والاكسية والفرش وغيرها اما مجموع الجباية في عهد [illegible] والي سنة ٢٢٥ [illegible]
قدامة بن جعفر [illegible] من كتب أعمال [illegible] في عهد [illegible] المأمون [illegible] التي احصت
الارتفاعات حوالي سنة ٢٠٠ فقد نص منها [illegible] وبلغ ثلثمائة مليون درهم [illegible]
لدينا بعد هذا التاريخ احصاء [illegible] ارتفاع الجباية في الدولة العباسية واما [illegible]
[illegible] الدولة [illegible] الارتفاعات [illegible] العراق

اذا قابلنا [illegible] الارقام بعظم الجباية [illegible] الدول الاخرى [illegible] وجدنا ان خراج الخلفاء [illegible]
[illegible] الثروة [illegible] الدولة [illegible] أو وسعها [illegible] فان ارتفاعات الدولة
الرومانية [illegible] ارتفاع [illegible] مليون درهم ومجموع جباية الفرس في ايام كسرى
[illegible] تجاوزت [illegible] درهم غير ان هذا الرقم [illegible] كان يجبيه العمال ويسرقونه في
اعمالهم مع ما يرهقونه لخزانة الملك من قاعدة [illegible] الموازنة ولو [illegible] لنا احصاء ذلك عند العرب
لبلغت جبايتهم اضعاف جباية الفرس

في عهد الراشدين لم تكن قاعدة [illegible] الجباية ( تلزيمها ) جارية في دولة العرب بل كان العامل
يجبي الخراج والجزية ويستبقي من حصائلها ما يلزم لادارة عمله ويرفع الفضلة الى خزينة الخليفة
واذا لم تكفه جبايته طلب ما يلزمه من الخلافة ثم [illegible] التقبيل في عهد بني امية وازداد [illegible]
[illegible] وسيلة لاطلاق ايدي العمال بالعسف والارهاق [illegible] في هذا [illegible]
الدواوين المالية الواحد [illegible] في اصول الجباية [illegible] تجاراً في اسقاط [illegible]
العاليم التي [illegible] له جبايته [illegible] وحصلة اكثر [illegible] العسف والظلم [illegible] في
[illegible] البلاد [illegible] على ذلك خراج مصر الذي جباه عمرو بن العاص [illegible]
[illegible] اثني عشر مليون دينار وجباه عبد الله بن [illegible] في [illegible] عثمان اربعة عشر مليوناً
[illegible] مليون في عهد [illegible]

ان اسماء الولايات [illegible] اوردها قدامة بن جعفر [illegible] لا [illegible] تماماً مع الاسماء التي
[illegible] ابن خلدون [illegible] ذلك لا [illegible] للولايات حدود ثابتة
وعواصم [illegible] كان [illegible] احد واتصال العاصمة من مدينة
الى اخرى [illegible] الاول اسمين
[illegible] في [illegible] الثاني ادمجا في عمل واحد وظهرا باسم مدينة اخرى [illegible]

قاعدة للعمل الموحد. ومما يجدر الذكر ان جدول قدامة خلا من ذكر بزوره وابريسمه مع ان ارتفاعهما في جدول ابن خلدون ورد باربعة عشر مليون درهم وكانت في عصر المعتصم تابعة في طاعة العباسيين فاذا اضفنا هذا الرقم الى جدول قدامة تجاوز اربعمائة مليون درهم. وهذا يعدل بنقود هذه الايام ما يقرب من ثلاثة عشر مليون جنيه انكليزي. واذا اتخذنا قوة النقود الاشترائية مقياساً لقيمتها وعلمنا ان اجور العمال واسعار الغذاء كانت في عهد المنصور نحو ثلث ما وصلت اليه قبل الحرب العامة تكون هذه الواردات معادلة لـ ٣٩ مليون جنيه انكليزي. اما وقد تضاعفت ايضاً هذه الاسعار منذ قبل الحرب الى الزمن الحاضر فتكون واردات خزينة المأمون او المعتصم معادلة لمبلغ ٧٨ مليون جنيه انكليزي في هذا الزمان وهي جباية عظيمة جداً كانت ترد الى الخزينة العامة من صوافي الخراج والجزية والعشور على انها في هذا الزمان قد تناولت مطارح لا تحصى وادرت الكلف الاميرية تجبى عن عروض وسلع واعمال شتى ورسوم المسكرات والدمغ والطوابع على امور كثيرة مما لم يكن له اثر في عهد العباسيين كما ان واردات الدول الحاضرة تنفق جميعها في مصالح الدولة العامة فلا يبقى شيء منها والواردات التي ذكرناها في زمن العباسيين هي فضلات الجباية المرفوعة لخزينة الخليفة الخاصة

## وجوه الانفاق

بقي علينا ان ننظر في وجوه انفاق هذه الاموال الى ان تخرج منها الاموال من بيت المال بعد دخوله اليه. ففي الدول الحاضرة لا ينفق مال او اكثر من الاموال العامة من دون معاملة قانونية تقر امر الاعطاء من السلطة. اما عند العباسيين وغيرهم من دول القرون الاولى فلم يكن شيء من ذلك بل كان امر الاعطاء منحصراً بالخليفة من اموال خزينة الخلافة والعمال في اموال ولاياتهم فعسير ان يكون هذا الامر مقيداً بقانون او نظام او ... يجيز ويكافئ ويجير ويشتري ويدفع بحسب ما يملي عليه عقله وبحسب اهوائه ورغائبه. اللهم الا ما كان من دفع الرواتب المقررة لاعوانه وحاشيته والنفقات الضرورية لجنده والاعانات المعينة لذكره. وهذا الشطر من النفقات لم يكن في ايام السلم يستغرق الا جانباً من الواردات. ولدينا جدول عن الرواتب والاعطيات اليومية عن سنة ٢٧٦ في خلافة المعتضد العباسي عندما تولى الانفاق احمد ابن محمد الطائي فبلغ الخرج اليومي نحو سبعة آلاف دينار يدخل فيها ارزاق القواد وعلوفة الجند واجور الخدم والحشم ورواتب موظفي الدواوين وغير ذلك من النفقات المقررة فيكون الانفاق السنوي في هذا الباب نحو مليونين ونصف مليون دينار وما بقي من اموال الجباية الاخرى مرصدة في بيت المال على اجتهاد الخليفة ورأيه. ولم تكن هذه الارقام والوظائف جارية على شيء مما

معرفة في العصر الحاضر، بانه لم تكن له ادارة تامة وتشكيلات راسخة وانما كانت تتبدل بين سنة و سنة وبين خليفة وآخر بالغاء الوظائف واحداث غيرها وتخصيص رواتب وإبطال غيرها فلا قد ولا شرط فيها [illegible] واحداً يبقى في هذه الوظيفة [illegible] مرة ملايين دينار في [illegible] من بعده فلا يبقى مليوناً واحدا وقد ظهرت الحاجة مع ظهور الدولة العباسية فلم تعد الخلفاء يمكنون من الانفاق بالسخاء الكثير لذا قامت علي بن عيسى وزير المقتدر العباسي وضعها عن حاجة الدولة ونفقاتها [illegible] ٦ ٣ ولم يكن وضعه اياها لاجل [illegible] موازنة الية الدولة وانما جاء بها ليدفع عن نفسه التهمة التي ألصقها به مراجعه ابن الفرات بسبب العجز الذي ألم ببيت المال في وزارته فبلغ الدخل في [illegible] ٤ ٦ ١٤٢٨٠١ دنانير

ومن ذلك نرى ان احدث [illegible] في هذا [illegible] أول من [illegible] كانت عليه في عصر المأمون والمعتصم وظهرت ابواب جديدة للانفاق ووردت في جدول [illegible] الذي اثبته علي بن عيسى مثل نفقات الحرمين وطريقهما ورواتب القضاة في الممالك ورواتب ولاة الحسبة والمظالم ورواتب اصحاب البريد وزيادة رواتب الجند وعدده بحيث بلغ العجز في ميزانية تلك السنة اكثر من مليوني دينار ومن جملة اسباب هذا العجز [illegible] عصر الى عصر فالخلفاء وأهل بيوتهم والعمال والوزراء والقضاة والقواد والجنود كانوا في بادىء الامر يتناولون رواتب صغيرة جداً فازدادت مع الايام حتى صارت أرقاماً عالية من ذلك رواتب الخلفاء التي بدأ أبو بكر بفرضها على مقدار الكفاية مع الاقتصاد التام وبلغ جميع ما تناوله عمر في مدة خلافته كلها لنفقات بيته ونفسه الضرورية ثمانين الف درهم حسبها سلفه وأوصى بوفائها من أموال آل الخطاب ثم صارت هذه الرواتب [illegible] حتى بلغت حدا فاحشاً وصار الخلفاء يهبون الاموال والضياع لانفسهم ولاعضاء اسرهم واقربائهم من الرجال والنساء من الاسرة المالكة التي بلغت في عهد المأمون نحو ثلاثة وثلاثين الف نفس [illegible] الضياع والدساكر والاقطاعات والنقود والرياش ويجري عليهم الارزاق من بيت المال [illegible] لا مزيد عليه [illegible] ذلك رواتب القضاة فقد كان راتب القاضي في عهد الراشدين مائة درهم في الشهر ثم اربى حتى صار راتب قاضي مصر في عهد الامويين الفا ومائتي درهم وجاء في جريدة المعتضد العباسي ان راتب القاضي خمسمائة دينار في الشهر [illegible] جبرئيل بن بختيشوع رئيس الاطباء في عهد الرشيد [illegible] ملايين درهم في السنة يتناول منها من بيت مال العامة ( ١٨ ) ومن جيب الرشيد الخاصة ( ٤٢٠٠ ) ومن اصحاب الرشيد واهل بيته ( ٤ ) ومن البرامكة ( ٢٠٤ ) ومن غلة ضياعه ( ١٦٥ ٠٠ ) وعلى هذا المنوال ازدادت الرواتب والمخصصات وثقل عبؤها على بيت المال



# الجغرافيا الحديثة

## رسالتها وأغراضها

**مصطفى عامر**
أستاذ الجغرافيا في الجامعة المصرية

﴿ رسالة الجغرافية الحديثة وأغراضها ﴾ للجغرافيا كما لكل علم من العلوم رسالة تؤديها، وربما كانت رسالتها هذه أكثر اتصالا بالإنسان من رسالة أي علم آخر، فهي لا تدرس، كما يحسب الكثيرون، الظاهرات الطبيعية على سطح الأرض فحسب، بل هي تتناول كذلك دراسة الإنسان ومظاهر نشاطه، وتبحث في أثر البيئة في حياته، وأثره هو في البيئة التي نشأ فيها، ومن هاتين الناحيتين، الناحية الطبيعية والناحية البشرية، أي دراسة المكان ودراسة الإنسان، يتكون علم الجغرافيا الحديث.

ولا تقتصر فائدة دراسة الظاهرات الطبيعية على تفسير بعض أسرار هذا الكوكب الذي نعيش فيه، بل هي تتعدى ذلك إلى شرح طرق المعيشة وأساليب الحياة عند شعوب الأرض وجماعاتها، كل منها في بيئته الخاصة. وقد صح الآن أن المسائل التي تواجه كلا منها، سواء اقتصادية كانت أم سياسية، هي إلى حد كبير متصلة بالأحوال الطبيعية المحيطة بها. فإذا عرفت الأمم المجاورة كل هذه، أمكنها أن تنظر بعين العطف إلى مشكلات جيرانها، وأن تتفاهم وتتعاون معهم على حل هذه المشاكل، بما يلائم مصلحة الجميع. فمن الآن كانت من الشعوب يجنبها النزاع على الخصام، وتغلب الفكرة المشتركة في المصلحة الواحدة، وتصبح الحياة على سطح الأرض أسعد حالا مما هي عليه الآن.

هذه هي الروح التي تبثها الجغرافيا الحديثة في نفس كل من يدرسها، وهي تؤمن بالوطنية المعتدلة لا بالوطنية الطائشة، وتدعو إلى التعاون بين شعوب الأرض لأنها أجزاء من الوحدة الأرضية الكبرى التي لا تقبل تجزئة، إذ لا يمكن لجزء منها أن تعيش عيشة مستقلة عن بقية أجزائها. وقد ساعد تطور وسائل النقل في العهد الأخير، كما ساعد التقدم الاقتصادي، على توثيق الرابطة بين الأمم، وأصبح كل شعب عضوا من أعضاء الجماعة البشرية، يحس العضو الآخر، كما صار لكل حادث يحدث في ركن من أركان المعمورة صدى في بقية أركانها فمسائل الإنتاج والاستغلال، ومسائل الأسواق والتوزيع ومسائل الهجرة والاستعمار،

كلها اصبحت مسائل عالمية [illegible] حلها إلا بتفاهم امم الارض اجمع والتوفيق بين مصالحها المشتركة

[illegible] هذا كانت دراسة الجغرافيا [illegible] الشكل [illegible] في فهم ما يجري [illegible] حوادث ووزن الامور وزنا صحيحا ولا سيما [illegible] لمعالجة المسائل [illegible] [illegible] فالجغرافيا [illegible] الذي [illegible] تختلف تماماً عن [illegible] الجغرافيا [illegible] [illegible] عن الرؤوس والخلجان ، والبحار والانهار ، والسهول والوديان ، والمسافات والابعاد [illegible] على [illegible] العريب ان تبقى تلك الصورة البالية لعلم الجغرافيا شائعة [illegible] اغلب [illegible] ومنهم [illegible] من قادة الرأي وأساطين المعرفة [illegible] سألني كثيرون [illegible] بعض الزملاء الافاضل [illegible] الجامعة [illegible] هل للجغرافيا شخصية مستقلة [illegible] [illegible] فالجغرافيا [illegible] من علوم مختلفة ، اذ هي كما يقولون [illegible] بعض الحقائق [illegible] علوم الجيولوجيا [illegible] والبيولوجيا والنبات والحيوان ، كما انها تتصل اتصالا [illegible] بعلمي الانثروبولوجيا والاجتماع وليس هناك زعم أبعد عن الحقيقة من تلك الآراء أولا لان [illegible] العلوم بعضها ببعض واعتماد كل منها على الآخر هو من الامور المعترف بها في كل عصر وفي كل [illegible] ، وثانياً لان الجغرافيا الحديثة وان كانت تعتمد على بعض [illegible] التي [illegible] الباحثون في شتى العلوم ، فان اعتمادها هذا لا يتعدى [illegible] تلك النتائج في شرح [illegible] الجغرافية

ولقد [illegible] حددنا أغراض الجغرافيا في أنها تدرس الظاهرات المختلفة [illegible] التي يعيش [illegible] الانسان كما انها تدرس مظاهر نشاط الانسان كنتيجة لتلك الظاهرات وهذا [illegible] لا [illegible] به [illegible] غير [illegible] الجغرافيا فالانسان في هذا [illegible] يعيش في اقاليم [illegible] [illegible] بعض [illegible] على سطح [illegible] [illegible] الارض ويعيش [illegible] [illegible] أخرى [illegible] الري [illegible] الحرارة والانسان عامل [illegible] الوسائل [illegible] الانهار [illegible] ويستخرج المعادن من باطنها ، وهو [illegible] والآبار ويسوق ماء الري الى جهات لم تكن تعرف غير الجفاف والجدب [illegible] الطرق ويحرق الجبال ، ويقطع الاشجار [illegible] الغابات ، ويردم البرك و[illegible] المدن والقرى [illegible] إيجاد المواصلات السهلة السريعة بين بلاد الارض [illegible] كل هذا يمثل بعض نواحي نشاط الانسان على سطح الارض ، والجغرافيا تدرس كل تلك النواحي وتبحث في أسبابها ونتائجها ، وجميعها يدخل في ميدانها ويضمن دائرة [illegible] ، ويسوّغ قيامها كعلم مستقل عن بقية العلوم

﴿ الدراسات الجغرافية في الجامعة المصرية ﴾ أما وقد حدّدنا أغراض الجغرافيا وبيّنّا رسالتها ، فيجب علينا ان ننتقل الى بحث مقام هذا العلم من الدراسات الجامعية في الجامعة المصرية نشأت الجغرافيا نشأة محدودة ، فكانت عند قيام الجامعة في عام ١٩٢٥ تكوّن هي والتاريخ قسماً واحداً من اقسام كلية الآداب وكانت الدراسة في هذا القسم واحدة في السنتين الاوليين ، ثم يتفرع بعد ذلك الى فرعين ، أحدهما للتخصص في الجغرافيا والآخر في التاريخ ولم يكن للجغرافيا في ذلك الوقت مكان خاص بها كما لم تكن لديها الادوات الخاصة التي يستعان بها عادة في تدريسها وكانت الدروس تلقى باللغة الفرنسية ، مما يحول جهود الطلبة من التحصيل العلمي الى العناية باللغة غير أن هذه الحال لم تدم طويلاً ، ففي سنة ١٩٢٧ صارت اللغة العربية لغة التدريس ، وان كان قد بقي النظام السابق دون أن تلحقه تغيير أو تبديل وفي سنة ١٩٣١ نال قسم الجغرافيا استقلاله ، وأصبح قسماً قائماً بذاته ، وأخذ ينمو نموّاً سريعاً ويزداد نشاطه ، تتسع دائرة اعماله ، واتخذ له مكاناً فسيحاً سمح بانشاء مكتبة جغرافية تحوي عدداً كبيراً من الكتب والمراجع الحديثة ، كما سمح بانشاء متحف ودراسات صغيرة وأبهاء للمحاضرات والدراسة العملية ويدرس الآن في هذا القسم ستون طالباً ، منهم طلاب يعدون لدرجة دكتور في الآداب ، وستة ينتسبون الى قسم «الماجستير» والباقون في دراسة «الليسانس»

وقد زاد عدد اعضاء هيئة التدريس فأصبح ستة اساتذة ومدرسين ، ثم مساعد يقوم بالاشراف على الناحية العملية من الدراسة كالمساحة والخرائط اما الدروس فيتناول جميع فروع الجغرافيا الطبيعية والبشرية (وتشمل الناحية البشرية ، الجغرافيا الجنسية والاحيائية والتاريخية والاقتصادية والسياسية والاقليمية ) ، ويعنى القسم عناية خاصة بالدراسات الجغرافية الخاصة بمصر وحوض النيل ، وذلك من جميع النواحي التي ذكرناها ويقوم القسم بتعويد طلابه البحث والدراسة الشخصية ، فهو يختار في بدء كل عام موضوعاً جغرافيّاً ، يوزع اجزاؤه على الطلبة ، وهم يحاضرون فيه زملاءهم واساتذتهم بعد اعداده ، ويناقشون فيه بعد الانتهاء من القائه ويدرس البحث هذه ولو أنها مقصورة على طلبة الليسانس المتقدمين ، الا أن الكثيرين من طلبة السنين يأتون اليها بمحض رغبتهم مستمعين ، وهي ظاهرة تدل على ميل واضح للتحصيل دون نظر الى اي اعتبار آخر هذه كلمة موجزة عن النظام الحالي لقسم الجغرافيا ، وهو نظام لا نعتقد انه يقل شأناً عن نظم اقسام الجغرافيا ومعاهدها التي نعرفها في الكثير من الجامعات الاجنبية ، وانا لنرجو الا يطول الزمن حتى نستطيع ان نفخر بذلك كل الفخر وللقسم صلات طيبة بعض الجامعات الاوربية ، وقد نشأت تلك الصلات من العلاقات الشخصية بين الاساتذة المصريين واساتذة الجغرافيا بتلك الجامعات وقد ساعد هذا الجو في كثير من الاحيان على تسهيل مهمة بعثاتنا الجغرافية الى الخارج

وعلى الخصوص الى بريطانيا العظمى وفرنسا وقد سمحت جامعة لفربول كما سمحت جامعة مانشستر لخريجي قسم الجغرافيا بالتحضير للدرجات العالية مباشرة، وذلك بعد ان تحققوا من ان المستوى الذي بلغته دراسة الجغرافيا في الجامعة المصرية لا يقل عن المستوى المعروف في معاهدهم وقد كانت الفكرة عندما بدت فكرة ارسال بعثة جغرافية الى بلاد اليمن ان تشترك جامعة مانشستر مع الجامعة المصرية في هذا العمل العلمي الجليل، ولكن حال دون تنفيذ هذا المشروع على الوجه السابق قيام ظروف سياسية خاصة نشأت عن الحرب الايطالية الحبشية على اننا قد ذكرنا هذا المثل ليكون دليلا آخر على ثقة الجامعات الاوربية بمعهدنا ورجاله

﴿ دائرة نشاط قسم الجغرافيا ﴾ أما دائرة قسم الجغرافيا فتظهر في نواحٍ شتى فهناك أولا ناحية تعريف النشء ببلادهم، وهي تتمثل في الرحلات التي ينظمها القسم بين حين وآخر لاغراض جغرافية بحتة وقد قام الطلبة والاساتذة برحلات مختلفة الى منخفض الفيوم وخليج السويس وشبه جزيرة سيناء والواحات الخارجة، وهذا فضلاً عن الزيارات القصيرة لبعض الجهات في منطقة القاهرة وهي زيارات لا تستغرق في العادة أكثر من يوم واحد ويكاد يكون من البديهي أن من لا يعرف جغرافية بلاده ولا يعي تاريخها، لا يمكن أن يكون وطنيا نافعاً لوطنه مفيداً لقومه، كما أن من يجهل الحقائق الاولية لجغرافية العالم يكون محدود المعرفة والثقافة ويكون حكمه على الحوادث والشؤون العالمية حكماً ناقصاً

ثم هناك ناحية النشاط التي تظهر في المحاضرات العامة ونشر المقالات العلمية والكتب الجغرافية، ومحصول القسم من تلك الناحية محصول طيب اذا قدر بمحصول غيره من الاقسام وقد ظهرت بعض ابحاث اساتذة القسم في المجلات المعتبرة كمجلة الجمعية الجغرافية الملكية ومجلة كلية الآداب. وفي بعض المجلات الانجليزية والفرنسية كمجلة « الجغرافيا » التي تصدر بمانشستر ومجلة المعهد الانثروبولوجي الملكي بلوندرة ومجلة « الانثروبولوجيا » الفرنسية وقد طبعت الجامعة على نفقتها مجلدين هامين يجريان في البحث عن آثار مصر ما قبل التاريخ وهو البحث الذي يقوم به قسم الجغرافيا في جهة المعادي

كذلك اشترك القسم في المؤتمرات الجغرافية الدولية الحالية منذ عام ١٩٢٨، وقد ألقى ممثلوه في كل مؤتمر من تلك المؤتمرات ابحاثاً جغرافية عن مصر وقد اشترك القسم كذلك في عدة مؤتمرات اخرى منها المؤتمر الدولي للسكان والمؤتمر الدولي لعلوم ما قبل التاريخ والمؤتمر الدولي للعلوم الانثروبولوجية ونجح قسم الجغرافيا في العام الماضي في تنظيم بعثة جغرافية لارتياد بلاد اليمن وحضرموت ودراسة احوالها الجيولوجية والجغرافية والبحث عن ادلة تثبت سكنى الانسان فيها في عصر ما قبل التاريخ وقد اشترك في تلك البعثة قسم اللغة العربية لدراسة اللهجات والنقوش القديمة،

وقسما الجيولوجية والحشرات بكلية العلوم ، وكان المشرف على البعثة أحد أعضاء هيئة التدريس بقسم الجغرافية ممن عرفوا بالجد والنشاط ، وقوة الملاحظة والإلمام [illegible] بالتدريس وقد قضت البعثة في تلك البلاد زهاء ثمانية شهور ، جمعت في خلالها كثيراً من المعلومات [illegible] وهي تشتغل الآن بدرسها وفحصها تمهيداً لنشر نتائج بحوثها في الاوساط العلمية [illegible] ولا يخفى ما لموقع إقليم اليمن من شأن كبير في دراسة الكثير من مسائل الجغرافيا الطبيعية والبشرية ولا سيما هجرات الشعوب القديمة وانسالها ، إذ اليمن حلقة اتصال هامة بين شرقي افريقية وشبه جزيرة العرب

وفي الناحية التعليمية ، تعنى قسم الجغرافيا عناية كبيرة بالسعي لتحسين تعليم الجغرافيا في المدارس المصرية وقد اشركت وزارة المعارف بعض رجاله في وضع مناهج الجغرافيا الجديدة في مراحل التعليم المختلفة ، واتصل القسم في السنتين الاخيرتين بمدرسي الجغرافيا في مدارس القاهرة الثانوية ، ونظم لهم محاضرات خاصة في تلك المادة يحضرونها في اوقات [illegible] والقسم على اتصال دائم بخريجيه الذين يشتغلون بالتدريس والذين أصبحوا منتشرين في كل ناحية من نواحي القطر المصري حتى الجهات النائية أمثال مرسى مطروح والواحات الخارجة ونحن نرجو من وراء هذا الاتصال أن نصل بدرس الجغرافيا إلى المستوى اللائق به ، وإن نشجع بعض المدرسين الممتازين على مواصلة ابحاثهم الشخصية في الجهات التي [illegible] فيها [illegible] الرسمية

﴿حفائر قسم الجغرافيا في المعادي﴾ أما الحفائر التي يقوم بها قسم الجغرافيا للبحث عن آثار عصر ما قبل التاريخ في المعادي فيرجع عهدها الى عام ١٩٣٠ [illegible] أول موسم للحفر وأسفر عن نتائج علمية خطيرة لم تكن في الحسبان ولربما كان من الجدير [illegible] ان نشرح الظروف التي حدت بالقسم الى القيام بتلك الابحاث علاوة على [illegible] الدراسات الجغرافية التي تعنى بها دراسة الجغرافيا التاريخية ، وهي دراسة جديدة [illegible] من قبل ، والغرض منها تتبع الادوار المختلفة التي مرت بها الحضارة المصرية [illegible] ظهور الانسان اول مرة في مصر ، وبحث الجنس او الاجناس البشرية التي [illegible] العوامل الجغرافية التي سادت في خلال كل دور من تلك الأدوار وكما اننا ندرس الجغرافيا البشرية لمعرفة مظاهر نشاط الانسان الحالي وعلاقة ذلك بالبيئة الطبيعية التي يسكن فيها ، فانما ندرس الجغرافيا التاريخية لمعرفة حياة الانسان واعماله منذ العصور الحجرية وعلاقة ذلك بظروف [illegible] الجغرافية الطبيعية والنباتية والحيوان في تلك العصور من أجل هذا كانت دراسة [illegible] ما قبل التاريخ ، وان كانت متصلة بالناحية الاركيولوجية [illegible] الآثار متصلة كذلك [illegible] بالجغرافيا ومن هنا نشأ اهتمام الجغرافيين في كلية الآداب بدراسة عصر ما قبل التاريخ ، [illegible] رغبتهم متجهة الى فحص الجهات الأثرية القريبة من القاهرة والتي يرجع عهدها الى ذلك العصر حتى تسير الدراسة النظرية جنباً الى جنب مع التطبيق العملي

وقد وقع الاختيار فعلاً على الأكوام القائمة في الصحراء شرقي المعادي ، وحفرت الجامعة في تلك الجهة في خلال المواسم الثلاثة [illegible] ١٩٣٦ ) ، فبلغت المساحة التي تمّ حفرها حوالي ثمانية أفدنة . وقد أدى هذا البحث الى الكشف عن حضارة حديثة من حضارات مصر في العصر [illegible] التاريخ ، وهي حضارة لم نكن نعرف عنها شيء من قبل ، سكن أصحابها اقليم المعادي قبل قيام الأسرات ببضعة قرون ، وعاشوا بالزراعة وتربية الحيوان . وقد حذقوا صناعة الأسلحة الصوانية والآنية الفخارية والحجرية ، وعرفوا النحاس وصناعة الغزل والنساجة ، وشيدوا أغلب مساكنهم من أغصان الاشجار والطين . وإن كان البعض قد حفر كهوفاً عميقة في الربوة الرملية ، واستخدم البعض الآخر الحجر والطوب في البناء ، وربما كان ذلك لاول مرة في شمال مصر . وقد جلبوا معدن النحاس والملاخيت من سيناء ومادة القار ( الاسفلت ) وبعض السلع من فلسطين ، واتصلوا بالصعيد بواسطة النيل كما يتبين ذلك من دراسة بعض آثارهم .

هذه هي أهم مظاهر الحضارة الحديثة التي كشف عنها قسم الجغرافيا في المعادي ، والتي أدّى كشفها الى القاء ضوء كثير على حياة الانسان في الدلتا في عصر ما قبل التاريخ ، وعلى علاقته بجيرانه سواء أكان ذلك في مصر أم في خارجها . وقد كانت كل معلوماتنا عن ذلك العصر تأتي من الصعيد ، ونسب الكثير من العلماء نشأة الحضارة المصرية الى الوجه القبلي والمباحث الحديثة في المعادي وفي غرب الدلتا ( حيث تعمل بعثة [illegible] ) أظهرت ان الدلتا كانت دون شك أعرق حضارة وأعظم تقدماً وأكثر ثراء من الصعيد . وقد ساعد على تقدمها هذا تربتها الزراعية ومراعيها الغنية وموقعها الجغرافي الذي جعل اتصالها بالأقاليم المحيطة بها . ونحن اليوم نؤمن بأن الحضارة المصرية هي وليدة البيئة المصرية ، وليست حضارة غريبة وفدت مصر من الخارج ، كما نؤمن بأن تطور تلك الحضارة استمر منذ العصور الحجرية الى اليوم . وقد حافظت تلك الحضارة على صبغتها المصرية على الرغم من الغزوات التي انتابت هذا البلد في أوقات مختلفة .

وقد كان من نتائج تلك الاعمال الموفقة في المعادي أن استطاع قسم الجغرافيا [illegible] بعض الهيئات الاوربية التي تعنى بدراسة عصر ما قبل التاريخ في مصر ، والمهتمين به في بحوثها . وقد قام أحد أعضاء هيئة التدريس فيها بدراسة [illegible] الآلات الصوانية التي جمعتها البعثة البريطانية التي قامت بالحفر في جهة أرمنت ، وكان [illegible] جزء كبير من تقرير هذه البعثة ، كما اشترك في الابحاث التي تقوم بها بعثة بريطانية أخرى في اقليم الفيوم . وقد قدمت تلك البعثات الى متحف القسم بعض ما وجدته من آثار ، وفي هذا كسب كبير للمجموعة الدراسية النفيسة لعصر ما قبل التاريخ في مصر ، وهي المجموعة التي يعمل القسم على إعدادها وتنظيمها لتضاف الى متحف كلية الآداب في المستقبل .

# أهذا دم بشري

## أسلوب سريع في تفريق دم عن دم
## يعتمد عليه في المحاكم

ذهب رجلان الى الصيد معا ثم عاد احدهما ولقي الآخر حتفه في اثناء الصيد فلما سئل رفيق الصيد في ذلك قال انه لقي جثته صديقه في حالة تدل على انه اصيب خطأ بقذف ناري ودلت حوادث الفاجعة على ان روايته صحيحة ولكن ارملة القتيل لم تقتنع بما قيل فطلبت اجراء البحث وفي اثناء التحقيق سئل الرجل المشبوه عن بقع قائمة على السترة التي كان يرتديها وهو في الصيد، فقال انها بقع من دم إيّل اصطاده وجره الى المضرب الذي امامه قدعا وكل البيانه كمساوياً حسوا وطلب اليه ان يفحص هذه البقع وهل هي حقيقة بقايا من دم الايل

اخذ الكيمياوي السترة وعاد بها الى المعمل واقتطع منها القطع التي عليها بقع الدم وغمسها في محلول مالح ذلك ان التحقيق المطلوب منه كان يقتضي منه معرفة امرين اولهما هل هذه البقع بقع دم وثانياً هل هي بقع دم ايل ؟

فللاجابة عن السؤال الاول، اي لمعرفة هل هذه البقع بقع دم اطلاقاً، عمد الباحث الى المجهر باحثاً في الدم عن كريات الدم الحمر، ولكن البقع كانت قديمة، فانحلت الكريات وتلاشت، اذا كان ثمة كريات ثم نظر في المحلول بواسطة المطياف فرأى الخطوط السود التي يمتاز بها طيف الدم فاستوثق من ان هذه البقع بقع دم حقيقية

بعد ذلك تقدم الى البحث في هل هذا الدم دم إيل كما يقول صاحب السترة ام هو دم آخر فكيف فعل ذلك ؟

يعرف قراء المقتطف ما يراد بلفظي « الاجسام المضادة » وهي اجسام دقيقة يولدها الجسم عندما تدخله مادة غريبة تتهيج انسجته فتفرز مواد كيماوية تطلق عليها اسم « اجسام مضادة » وتصبح الجسم منيعاً لا تؤثر فيه تلك المادة ربما تطول او تقصر فالطبيب اذا شاء ان يحصن رجلا ضد مرض الجدري حقنه بميكروبات المرض بعد اضعافها

فيثير وجودها اساحه فتنشط الى افراز المواد الـكيماوية المعروفة باسم الاجسام المضادة وبذلك يصبح هذا الرجل منيعاً او محصناً ضد هذا المرض

وعماد الباحث في دم هذا المشبوه ، أجسام مضاده كذلك ، بل أنواع مختلفه منها ولـكنها يجب ان تكون رهن اشارته في الفاني والاناب لتتمكن من تجربة التجارب بها فعليه ان يصنعها أولا في دم بعض الحيوانات ، ثم يستخلصها منها وبعدها للتجريب بها متى شاء

وهو يتوسل الى غرضه هذا بالارانب فيأخذ منها طائفه مؤلفه من ٢٥ الى خمسين أرنباً ويقيم كلاً منها في قفص ويرقم كل قفص برقم ، ثم يحقن كلاً منها بقدر يسير من دم حيوان آخر ، فيثير وجود هذا الدم في دم الارنب اساح الجسم فيفرز المواد الكيماوية المعروفة باسم « أجسام مضاده » ويحقن الارنب الاول بدم الفرس والثاني بدم الغزال والثالث بدم الحمار والرابع بدم الدجاج والخامس بدم الهر وهكذا

ثم عليه ان يستخرج هذه الاجسام المضاده المنوعة من دم الارنب ليحفظها في أنابيب خاصه فيستعملها حين شاء فيجز شرياناً في أذن كل أرنب عولج بالطريقه المتقدمة ، ويجمع مقداراً من الدم السائل منه ، فيتركه في وعاء نظيف حتى يتخثر ، فينفصل مصل الدم عن المواد الجامدة التي كانت معلقه فيه ، وتكون الاجسام المضاده في هذا المصل ، فيوضع كل مصل في زجاجه وترقم الزجاجه برقم الارنب الذي استخرج المصل من دمه فاذا كان الارنب رقم ١ هو الارنب المحصن ضد دم الفرس كانت الاجسام المضاده التي في زجاجه رقم ١ هي الاجسام التي ستعمل في امتحان بقعه دم قيل فيها انها بقعه دم فرس

وعلى ذلك تكون هذه المصول معده للعمل ، ولـكن قبل استعمالها يجب ان يستوثق من انها تحتوي على الاجسام المضاده وليس ثمة فارق ظاهر بين مصل يحتوي على أجسام مضاده وآخر لا يحتوي عليها والاستيثاق من ذلك أسلوب بدع

تؤخذ عشره حمالات للانابيب وتوضع متوازية ويوضع في كل حمالة منها عشره أنابيب ويوضع في أنابيب الحماله الاول مصل دم أرنب محصن ضد دم الـكلب وفي أنابيب الثانيه مصل دم أرنب محصن ضد دم الدجاج وهكذا والغرض ان نعرف هل كل مصل من هذه المصول العشره يحوي على الاجسام المضاده الخاصه

ثم أخذ قليلا من دم الـكلب ، فيصب قطره منه في الانبوب الاول من كل حماله وقليلاً من دم الدجاج ويصب منه قليلا في الانبوب الثاني من كل حماله وهكذا ثم يهز كل انبوب هزاً عنيفاً حتى تختلط محتوياتها بعضها ببعض ، ثم تغطسه مدى بضع دقائق في ماء حرارته ٣٧ درجة مئويه وهي الحراره السوية في اجسام الحيوانات الدافئه الدم

وبعد ذلك يشرع الباحث في فحص هذه الانابيب والفحص عليه في الدقه ، لان اقل

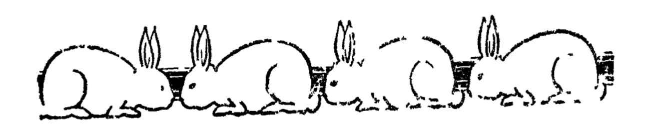
خطأ بركه قد يمضي الى اعدام بريء ولكن الكيميائيين المدربين لا يخطئون ، ولذلك لا تعتمد المحاكم في مثل هذه الشؤون الا على من استوثقت من كمال دربه ودقته فعندما يخرج الارانب من المعطس الساخن ، يرى في بعضها تعكّراً اذ يشاهد راسب ابيض في الانبوب الاول من الصف الاول والثاني من الثاني والثالث من الثالث

فعلى ما يدل ذلك فلنا ان المصل في الصف الاول كان مصل دم ارنب محصن ضد دم الكلب وقلنا انا اضفنا الى الانابيب الاول من الصفوف العشرة قطرات من دم الكلب فلم يحدث الراسب الا في الانبوب الاول من الصف الاول

اي ان في مصل دم ارنب محصن ضد دم الكلب مواد اذا اجتمعت بدم الكلب احدثت راسباً وهذه المواد هي الاجسام المضادة فاذا لم تحدث رسب دل ذلك على ان الاجسام المضادة التي تحدث ترسب مادة معينة غير موجودة. وهذا يعني ان مصل دم ارنب محصن ضد دم الكلب لا يحدث راسباً الا اذا اجتمع بدم الكلب وان مصل دم ارنب محصن ضد دم بشري لا يحدث راسباً الا اذا اجتمع بدم بشري وجميع هذه المعدات تعد مقدماً وليس على الكيمياوي الا القيام بمراقب الامتحان الاخيرة عندما تطلب اليه المحكمة ذلك

***

لنعد الآن الى قصتنا وقصيدنا عاد الكيمياوي الى معمله وقطع قطع النسيج الملطخة ببقع الدم وأثبت انها دم اولاً ثم حاول ان يعرف هل هي دم إيل كما ادعى صاحب السترة او لا فأعد انبوباً ووضع فيه مصل دم ارنب محصن ضد دم الايل واضاف اليه قليلاً من المحلول المالح الذي يحتوي على نقيع الدم الذي على السترة ، فلم يحدث اي رسوب ، فكان ذلك قاطعاً بأن الدم الذي على السترة ليس دم إيل ولذلك دم ذلك فأخذ انبوباً ووضع فيه مصل دم ارنب محصن ضد دم الكلب واضاف اليه قليلاً من المحلول المالح المحتوي على نقع دم السترة فلم يحدث رسب فكان ذلك قاطعاً أن الدم على السترة ليس دم كلب . ولما وضع في انبوبة قليلاً من مصل دم ارنب محصن ضد دم بشري وأضاف اليه قليلاً من المحلول المالح المحتوي على نقع الدم الذي على السترة حصل الترسب فثبت ان الدم على السترة كان دماً بشرياً



للحقيقة والتاريخ

# الزهاوي

## في ديوانه الأخير - تحية ذكراه الأولى

لأحمد محمد عيش (١)

١ --

« الأوشال » هو أحدث دواوين الزهاوي وأوضحها مقصداً وأصدقها اتجاهاً وأقربها وأكثرها معنىً وأظهرها على الاطلاق إبانة عن شخصيته أيما إبانة وكشف ما استتر منها بوضوح وجلاء، تغلب عليه نزعة العلم الجافة التي لا تصلح كثيراً للشعر وأتى فيها من التداني والتدلي ما يقربها من الارض — ووالله ما عرفت الشعر نوراً الاّ في السماء !!

وهو -- الأوشال -- كأخوته دواوين الزهاوي فيه من الايمان آيات بينات ومن التحرر ضلالات ونزعات ومن اليقين حسنات طيبات ومن الشك شبهات وريبات ومن الفرح نغمات وصدحات ومن البكاء عبرات وزفرات ومن الربيع ورود وباقات ومن الخريف زوابع وسحاب ومن المنطق عدوات وأسباب ومن التمرد صرخات ووثبات وفيه من الحب أو الذكرى نفحات ومن الأوشال حصباء فالات ومن الهدى سرور و شهوات ومن الألم إعوال وحسرات وفيه من الشباب صبوات وجهالات ومن الشيخوخة آهات وشهقات، وفيه من الفجر أنوار ومن الظلام ... ومن الليل عشيات وظلمات وفيه ما يجمع الفن وما تقتضيه من سحر وروعة وما يشاء الخيال من فلسفة ومنطق وما يحتاجه الفيلسوف من استشفاف للغيوب وارتياد للمجاهل في قضايا الكون المجهول منها والمعلوم

— ٢ —

ليس لك يا صاحبي أن تقرأ ديواناً من دواوين الزهاوي الاّ بعد أن تقرأ رسائله العلمية التي أودعها خلاصة آرائه ومذاهبه في الكون والحياة ذلك لأنها بمنزلة الشرح والتفسير لشعره في مختلف أطواره وحديرٌ بك ان تتحرر كثيراً وتحصن وراء ثقافة علمية ومعلومات رياضية عالية قبل البدء في قراءة ذلك الرجل ومذهبه في الشعر ذلك المذهب العجيب، حتى

(١) — أحد فصول كتابنا « جميل صدقي الزهاوي » الذي لم يطبع بعد

لا تغرّنك سهولة ذلك الشعر وسذاجة ألفاظه ووداعتها فان وراء الاكمة ما وراءها ووراء تلك الالفاظ السهلة معانٍ بعيدة الغور وفلسفة للكون من العجب بمكان مبنية على استنتاجات منطقية وقوانين رياضية محتومة لا مفرّ منها ، حتى لا تستطيع ولا تطمع وتكون في تمكنك على هذا الرجل من الصائبين

افتتح الديوان بمقدمة أجمل فيها رأيه في الشعر وأبان عن وجهة نظره وأنهُ ذلك الطائر الفرد الذي يستوحي الطبيعة وجمالها ويغرد غير آبه بالقيود والاصفاد حاملاً رسالة التجديد والانشاء لا بناء الرافدين ولا يعترف في مقدمتهِ بالعاطفة التي هي قوام الشعر الصحيح ، وقد جرّه ذلك الى مشاكل جمة مع نقاده — وسنبينهُ كله في موضعه من الكتاب — ولا يحسب الشعر شعراً الاّ اذا كان لحمه وسداه مسائل العلم كشعراء العرب في هذه الايام على حد قوله ، واروع الشعر عنده ما كان علمياً فلسفياً « ولم يشتهر الخيام والمتنبي والمعري الاّ بشعرهم الفلسفي وهو الذي يجري على الالسنة كالامثال » والرد على ذلك في حينه لانا من مخالفي هذا المذهب ، وقد عرّف الشاعر وقال انهُ لايكون شاعراً الاّ اذا توفرت فيهِ ثلاث « الاول ان يكون لهُ استعداد ذاتي للشعر والثاني ان تغزر مادته في اللغة والعلم والثالث ان يكون قد مارسهُ طويلاً » الخ

وهذا كلام لا غبار عليهِ غير انهُ ينقصهُ شيء من التحديد والتعريف فكل شعرور يقسم لك اغلظ الايمان انهُ اوتي ملكة الشعر وانهُ يرى في نفسهِ القدرة على صوغ القلائد الجميلة لله على ارتجال عفويه ! ! ولكن العبرة روح الشعر روح الجمال والحب والحقيقة ذلك الروح المنطلق في الآفاق العاليه والاغوار البعيدة النائية والاجواء العاطرة الساحرة المجهولة القاع

لنترك هذا التعريف تعريف الشعر والشاعر — فله مكانه من الكتاب ، ونعود الى المقدمة هذه فنجد انها لا تنقع غلة ولا تشفي علة ويا ليتها شرحت لنا معميات شعره وأبانت عن مذاهبه الفلسفيه بعض الشيء واوضحتها كفلق الصبح ، كما يجب ان تكون الوضوح والبيان

— ٣ —

شعر هذا الديوان من الشعر الجديد لامشاحة غير انهُ تشوبهُ بعض قصائد من المديح والرثاء ولولا انها رثاء ولشخصيات تستحق التقدير لشنت الغارة عليهِ

وعلى ذكر هذا الشعر شعر المناسبات — نذكر حسناته ان كانت لهُ حسنات احقاقاً للحق رغم تحاملنا عليهِ وازدرائنا لهُ ، فمن حسناتهِ عند القدامى تلك الحكم العامرة والاوصاف الباهرة التي رصها أمثال المتنبي والنواسي والبحتري بين ثنايا قصائدهم الى ممدوحيهم والله لاأدري متى تحرر مدارسنا الشعرية الحديثه على حذف المدح من تلك القصائد وهاته

المطبوعات كي تعمل على هذا الشعر اشعف لانقل عن اهمالنا وشغفنا بالشعر العربي او الشعر الحديث في العالم العربي

ومن حساب شعر الزهاوي - رثاء ومديحا في ذلك الديوان وفي غيره ، رسمه صوراً مختلفة لصورته وشخصيته ونفسيته وأمانيه وآماله بحاسن شخصانية ، وانها لحسنة فضلى نسطرها له بمداد الاعجاب وحسنة اخرى كبرى نسطرها له بمداد الفخر والاشادة بذلك الشاعر الفحل ، الذي لم يمتهن كرامة الشعر والشاعر وسحر شعره ويتزلف به الى اولي الامر او الملوك والامراء على الاقل ، الذي حقق ان الشاعر بمثابة ملك غير متوج وحقق أيضاً - عملياً نظريتنا المنسية عدم الاعتراف بشعر الرثاء والمدح لعدم صدقه وروعته واسايته في معظم الاحايين فقد آثر المغفور له الملك فيصل عقب سويعة ان يجعل من المرحوم الزهاوي شاعره الخاص مقابل مكافآت مالية لامقطوعة ولا مرعية لفقره وعوزه يومئذ فرفض بأباء وشمم ان يكون — طيلة حياته — «العصفور السجين الذي يلقى اليه الحب في قفصه الصغير ليعش ويغرد مكرهاً وسوح مكرهاً» وألح عليه المغفور له الملك فيصل ان لا يخالفه في مسألة كهذي — وما اراد جلالته بهذا غير سد عوزه وفقره يومئذ لما نعلمه عن صلاته ومبلغ اعتداده بنفسه -- فلم يتزحزح عن رأيه قيد أنملة قائلاً له « ان مدحك يا مولاي فرض عليّ اذا ما ومنصب ناره امل للوطن العزيز في عهدك السعيد اما الذهب يا مولاي فلا حاجة للشعر به لانه لن يحمل نابه الحمل » ! !

— ٤ —

يطالعك هذا الديوان بقصيدة فلسفية عنوانها « منك انا » ومطلعها

يا روح هذه الدنى شرارة منك أنا
قد استطارت تبتغي لنفسها ان تعلما
ان اصطفي كله من بعض ذلك انما
انك انت الكون والذي له قد كونا

وقد يرتك هذا المطلع وتحسب ان ذلك كلام لا شيء فيه واذا بك تحار لمن وله فيه عرسه فيها منطق واضطراب وشك وايمان وتحرر من الايمان - الايمان الذي لا يسنده العقل ويقف حجر عثرة في سبيل تحقيقه — وفيها ترى فلسفة الرجل معقدة ، فهو هنا يؤمن بمذهب الدور العبير - ذلك المذهب القديم الذي انفرد به هو في العصر الحديث وكاد يصبح اصوله والذي يقول فيه انما سنموت هنا ونحيا هناك ، نموت هنا بصورة ونحيا هناك بصورة اخرى فلا فناء ولا عدم ونظل هكذا دواليك الى ما شاء الله ابد الآبدين وهذا المذهب لا يقرب من

مدهب الحلول كما هم نعصهم اد الاول مبي على قوانين علميه اما الثاني فمسائله افتراضية محصه قاله نعص المتصوفين في حالات عيدة نحو شاها وا في حلالها تصفاء ارواحهم كثيراً من عوامض الكون واسراره المحجوبه فاذا لمسوا عير واعين لما يقولون وقد وصل الرهاوي مدهب « الدور » هدا في رسالته العلمية الصغيرة « المحمل مما أرى » وسفصلهُ ورد عليهِ ندورنا في مكانه من الكتاب انظر اليهِ يخاطب هده الروح التي تمثلها في قصيدته مسيطرة آمرة

منك اشقي بعدما فيك كنت ارما
فكنت طرراً حامناً وكنت طوراً نسما
وسوف ابقى لك من بعد الردى مرسها
وليس موتي عير تعبير يّ فيك السكنا
وليس في انتقالي منك اليك من عنا
فلا انفصال عنك لي هناك كنت ام هنا

يقول ذلك في الوقت الذي لا تصدق فيهِ الاساطير والمعتقدات باسلوب تهكمي لاذع وبعقل متشكك حائر متحرر لا يعبأ الا بالمنطق والمادة وما يتبعها من قوانين واحكام

فهو لا يؤمن الا بتلك الومضات الكهربائية التي تنشق من فاعل المادة تلك التي تعزو اليها تنسيق الكون بما تنشهُ من حياة في هذه الاجزاء وانها ذلك الينبوع الذي يثرُّ عليهِ السحاب ماء فلا ينضب وسيظل نافعاً ما بقي ذلك السحاب عند قوله

ان الحياة ومصه منك انت ان نكما
الى ان يقول الكون قد سيه وانت خير من سا
لك الوجود واجب وليس نعل الصا
وليس كون ماله من اول مكونا

وهو هنا على ما تلوح لي يخاطب المادة او بعبارة اخرى يخاطب الاثير وهذا هو الصحيح فالاثير عنده هو كل شيء، وهو هنا يفترض الاثير كاداة خالقة مسيطرة وان كان الاثير كما نعتقد ليست له تلك القوة الفعالة القادرة التي ينسب اليها الرهاوي كل شيء في حين انها هي بعض الشيء وعلى حد قول العلماء المعاصرين « ان الاثير غير افتراض علمي لتفسير بعض مظاهر الكون العجيبة » وانه اي الاثير بعد تجربة ميكلسن - مورلي واضرابهما من العلماء المعاصرين فقد سحره القديم ومكانته التي كان عليها ولنا كلام طويل عن الاثير للحبر الكبير الذي شغله في حياة الرهاوي العلمية سننشهُ في مكانهِ من الكتاب ونعود لنحدثك عن ذلك الروح الذي عناه في ذلك الصدد فما هو الا الاثير وما الاثير عنده غير ما اثبتهُ

احدى مقطوعات ملحمته الخالدة « ثورة في الجحيم » التي سأذكرها في هذه الابيات الاربعة ما سأله المالك عن الذات الالهية

ما الشكل الاكوان الا إله واحد لا يزول وهو ( الاثير )
منه هذا الوجود فاض عمياً واليه بعد النوار نصير
ليس بين «الاثير» «والله» فرق في سوى اللفظان هذاك الشعور
وبحسبي اني صدعت بما ادري على علمي انه سيصير

ومن تحقيقاتي العلمية مع المرحوم الزهاوي نجد انه في تعليلاته لمظاهر الكون لا يخرج عن دائرة المذهب المادي الذي يؤمن به ويتعصب له ولا صبر عليه في ذلك لولا انه تبعاً لذلك يشير في هذا الموضع وفي غيره قضية من اكبر القضايا الفلسفية « اصل الحياة » و « غاية الحياة » ويعزو الى المادة كل شيء في حين ان الماديين انفسهم مع النشاط العجيب الذي ابدوه طوال قرون عديدة قد بهرهم عجزهم في مستهل هذا الفن واعترفوا بعجزهم المطلق عن تفسير بعض عجائب الكون ومظاهره وفي هذا ما نحدثه -- ان يهدمه غير أنهم لم ينسحبوا من الميدان بعد ولم يكف ايديهم الا ان دعواهم أساسها الغرور والعناء الى حد كبير

وسنرد عليهم وعن هذا المذهب ومدى تأثيره عند الزهاوي فيما سأطالعك به من فصول أثناء كتابي عنه ولا استطيع قولاً في هذا المجال الرحب الا ان الفلاسفة والعلماء طوال هاته القرون من عهد الانسانية الى اليوم سعاة في اماطة اللثام عن هاته الحقيقة الكبرى ولم تعلن الفاصلة بعد

كما نريد ان نمر كراماً على هذه القصيدة واشباهها فان للرجل تفكيره ومنطقه الخاص وقد أودع خلاصة آرائه في رسائله العلمية وناقشناه فيها وفي معتقداته واسهبنا من ذلك كله الا ان للحقيقة حرمة وللتاريخ حكماً ، ونرى ان تلك الآراء رغم طابعها العلمي لم تحقق علمياً ولذا ناقشها في حكايتها ونرد عليها رداً هادئاً ندحضها - في رأينا — من أساسها

ويجب ان لا يخالط بالك الامر يا صاحبي فتعتقد أننا نرفض الشعر الفلسفي او الشعر العلمي كلا بل بالعكس نعتقد أننا في حاجة ماسة الى شعراء علماء فلاسفة الا علماء يسبحون في أجواء الكون ويغوصون على اسرار رجالهم ويحلقون الا حواً عطراً عبق الشذى فواح العبير لا يقصون مشاهد العلم فحسب ، بل يصفون مشاهد الطبيعة ومشاهد الجمال ومشاهد الحب بعاطفة من الشعر الجميل

ويغوصون الى الاعماق باحثين عن الدر والذهب غير ناسين جمال البحر وسحره الرائع العجيب ، ثم يعرجون الى معارج الافلاك الدائرة فيصعدوا أبناءهم فوق الحقيقة المطلقة ويعلموا الناس معنى الحياة ومعنى الخلود وعندي أن الشاعر الفحل هو الذي لا ينسى الحب والجمال والعاطفة في قصائده العلمية والفلسفية ، حتى اذا فقده العلم أو أعملته الفلسفة يوماً ما لا تضيع

هناء ، وكذلك الشاعر الناشد الحب والخير والجمال بنوره العلم العزيز والمعرفة الانسانية والثقافة الدسمة حتى لا يقف أفكاره وأخيلته بحانب أفكار الشعوب وخيالاتهم

أما الشاعر الفرد فهو ذلك العالم الفيلسوف المعني دائماً بأشد الحب وأهازيج الجمال

— ٥ —

ايمان الرجل بالمذهب المادي مما لا ريب فيه ، وهذا المذهب من اعرق المذاهب الفلسفية القديمة وسنرد عليه في حينه كما اسلفنا — غير انا لا نرى مندوحة عن مناقشة بعض قصائده التي أودعها ناحية من ايمانه ونكتفي بمناقشة القصائد وتحليلها تاركين نقد معظم الكتب الالماطة لفرصة اخرى ففي قصيدته (الشاكية) التي مطلعها

بعد ان اردى فأهبط رمسي ... ستساوى عندي يومي وأمسي

حدث فيه كل دهري لنبل ... ما لاضواء فجره من محس

ظلمة فوق ظلمة انا فيها ... ابداً مصبح كما انا ممسي

نشم رائحة ايمان الرجل وسحره بالمعتقدات الفاشية في منطق محبب سكران احسع عليه الناس ويهدم آمال العامة جمعاء ولا عجب فهذا هو لباب المذهب المادي داعياً في الوقت نفسه الى الاستمتاع بطايب الحياة بما فيها قبل ان تأزف ساعة الرحيل الذي لا بد له من بعده من نشور

انما الدنيا جنة لسعيد ... وجحيم لذي شقاء وبؤس

لك فيها الحياة ما طبت عيشاً ... كل شيء ولا نعيها بمحس

وكلها على هذا النسق الابيقوري وليس فيها من جديد غير قوله

ما تطلب الفريض الا باله ... م جديد من السما لمقتبس

فسوه من قول من سبقوهم ... ومن الشمس والكواكب قدسي

وقصيدته (نظرات وبرعا ) التي مطلعها

أي شيء الاصحاب في سيره العمر ... ويرجع أحياناً اليهم من الذكر

كشفتها — الشاكي سين ما اسعر من معيا الرحل

ألا انما الارض التي نحن فوقها ... هي المهد للانسان ثم هي القبر

فان شئت فاجحدها وان شئت فاجحها ... فليس بذي بال عقوقك والبر

الى ان يقول يقولون في الايمان كل محاسن ... وما رد ايمان قوي هو الكفر

فيدلرون الحر في ليل فرهم ... ولكن ليال الفقر ليس لها فجر

وثالثة الاثافي قصيدته (الموت ) التي لولا الاستشهاد بها لما ذكرتها ذلك لانها توقع حملها الموت في طياتها مهلهلة الاسلوب مفككة الاوصال سقيمة المعنى ومطلعها

راعت زوال الحياة مشهي الحركات
اهوى الحياة ولكن ما للحياة ثبات

واما حقاً راعت منها الحياة فقصت خصها من غير دمعة رثاً او كلمة حزناً ، انظر اليها في الديوان تجده منها قد وصف الموت والاموات وخاف الموت خوف الشاة الذئب وقطع اننا بالموت نودع الآمال وننتهي وينتهي معنا كل شيء وفي القبور تتساوى الجموع لا فرق بين احد

وهذا كلام لا غبار عليه ولكن وما اقسى ولكن هذه تلك الكلمة التي ترد بها النافذ البرية الحق الى نصابه اين منه قول المعري « غير مجدٍ في ملتي واعتقادي »

فالمعري قد تصوف وتأمل وفكر ونظر الى الكون نظرة الفيلسوف الشاعر وأبدع في تصوير الحقائق الشعرية وفي تصوير الحقائق المادية وكانت قصيدته فتحاً جديداً في الشعر الفلسفي الممزوج بالعاطفة ذلك الذي تذوق الفن وتشهده وكأنما تشدو العفاء واخوتها

اما (الموت) عند الرجل فخال من كل شيء خال من العاطفة التي حاكت حوله من ملايين السنين اي من مهد الانسانية الى اليوم ، خال من الروح التي ليس لنا ان نحلي عنها قيد شعرة مهما تحللنا ، خالٍ من الحلم الجميل الحلم الذي يحبب لنا الحياة

ولا هم له غير تجديد الحياة بتجديد عادة في الوقت الذي ينكر فيه البقاء بعد الموت — الخلود — والبقاء بعد الموت حلم من احلام الانسانية العذاب ، ونحن نتشبث به لان الانسانية لو افتقدته لشقيت طويلاً وحل الوازع الاجتماعي وعمت الفوضى ارجاء الارض قاطبة وما اغنت القوانين الوضعية فتيلاً في كبح جماح الغرائز الشريرة التي تعمد — في جميع اطوارها — على الامل بالبقاء ، وهذه في الواقع — انكار البقاء بعد الموت — اهم شعب المذهب المادي ، ولنا كلام طويل للرد عليه في حينه وليس لنا في هذا المقام من عزاء نعزي به غير قول الشاعر « ما اضيق العيش لولا فسحة الامل »

— ٦ —

اهم ظاهرة في شعر الرجل وفلسفته — بل خير ظاهرة في فلسفته وشعره — التمرد والثورة ، التمرد على الطغاة والدجالين والمنافقين والمتعسفين والجهلاء والمتكبرين ، الثورة على الجمود والجهل ، والضعف ، ضعف الشرق واستكانته لما يحيق به من ظلم وينزل به من بلاء ، الثورة التي تشملنا من وهدتنا هذه الى الحق والحرية ، الثورة وخير شيء في الرجل تمثل فلسفته وتطبعها بطابعها الخاص « القوة » التي لا تعبأ بالسدود ولا بالقيود ، القوة التي تريد التحرر والانطلاق الى رحاب الارض بما وسعت وآفاق السماء بما اتسعت ، فتقدر انانيته أسلوبه ووداعته بجد قوته في معانيه هذه المعتدة بنفسها الشامخة بأنفها تروعك بكبريائها وتحملك على أجنحتها الى طريق المجد الذي عبّدته لنا الاحداث « الأمية في مكتبة المقتطف »

الى باحث روسيّ يدعى ايفانوفسكي ، ادهش بكربولوجي ذلك العهد بقوله إن العصارة المستخلصة من نبات التبغ المصاب بآفة الفسيفساء تبقى قادرة على احداث المرض حتى بعد ترشيحها بمرشح تشمبرلند ، وهو جهاز من خزف دقيق المسام جدًّا ، بحيث اذا وضعت فيه كوبين من الماء المقطر ، استغرق مرور هذا الماء من مسام المرشح اياماً ولم يكن ثمة ميكروب واحد معروف للعلماء يستطيع ان يجتاز هذه المسام ومع ذلك فالمادة الفعّالة التي تحدث «آفة الفسيفساء» تجتازها فتوالى العلماء التجارب فأسفرت عن تأييد النتائج التي خلص اليها ايفانوفسكي وفي سنة ١٨٩٩ اكتشفت اولى المواد الفعّالة الراشحة التي تحدث مرضاً في الحيوان ، وكان ذلك المرض الحمى القلاعية وقد تبين حتى الآن ان عشرات من الامراض التي تصيب الحيوان والنبات ترتد في نشأتها ونسبها الى مواد (فيروسية) راشحة وفيروس آفة الفسيفساء التي تصيب التبغ هو من خيرها للبحث علاوة على انهُ يمثل هذه الطائفة من المواد خير تمثيل

فزرع الدكتور وندل ستانلي ، التبغ في مساحات واسعة قرب برنستن ، وبث فيها المرض ثم جمع النبات المصاب وهرسَهُ حتى صار بمثابة الرُبّ ، ثم استخلص منهُ عصارته ان الفيروس في هذه العصارة ، ليس في وسعك ان تراهُ ، ولا ان تفصلهُ عن سائر العصارة بمرشح، لانهُ يخترق مسام المرشح ، ولا ان تستنبتهُ في المستنبتات المألوفة التي تستنبت فيها المكروبات ، ولا سبيل الى معرفة وجوده هناك الاَّ بأثره في احداث آفة الفسيفساء في تبغ سليم منها خذ قطرة واحدة من هذه العصارة ومُسّ بها ورقة نبتة من نبات التبغ ، تبدُ خلال بضعة ايام اعراض الآفة عليها لا غشّ فيها ولا ريب ان الفيروس هنا فتا السبيل الى دراسته من الناحية الكيميائية

تقسم المواد التي تدخل في تركيب الخلية الحية (البروتوبلاسمة) الى خمسة أقسام هي الاملاح المعدنية، والكربوهيدرات، والهيدروكربونات، والادهان ، والبروتينات والبروتينات هي أعقد هذه المواد تركيباً وثمة مواد تطلق عليها اسم انزيمات وهي نوع من خمائر تحل المواد البروتينية، فتوصف بأنها هاضمة البروتينات والبپسين يفعل ذلك في المعدة في اثناءِ عملية الهضم فاذا وضع البپسين في انبوب من انابيب التجارب ، ومعهُ مادة بروتينية ، حلها او هضمها

فسأل ستانلي نفسهُ وما يفعل البپسين بمادة الفيروس هذه؟ اخذ قليلاً من العصير المستخرج من نبات التبغ المصاب بالآفة المذكورة،ووضعهُ في انبوب التجارب وصب عليهِ البپسين ، وحفظ الخليط على درجة من الحرارة تواتي عمل البپسين الهاضم ثم بعد مدة معينة امتحن العصارة ، فلم يجد فيها اثراً للمادة المرضية فمسح بقطرات منها اوراق التبغ السليم فلم تصب بالآفة اذن يمكن القول ان البپسين قد اتى على فيروس الفسيفساء ولكن البپسين لا يهضم الاَّ المواد البروتينية ، ولبس يؤثر تأثيراً ما في الادهان او النشويات او الاملاح فيصح القول بأن الفيروس مادة بروتينية

في الكيمياء الحيوية تعرف مواد معينه ، ترسب البروتينات فلتجرب على عصارة نبات التبغ المصاب بآفة الفسيفساء فما كادت تضاف هذه المواد المرسّبة الى العصارة حتى بدأت كتل صغيرة في الرسوب في قعر الاناء فأخرجت منهُ وامتحن الباقي من العصارة فظهر انهُ لا يحوي المادة التي تحدث المرض ولما اضيف قليل من الكتل الراسبة الى العصارة السليمة ، عادت اليها قدرتها على احداث العدوى واذن يمكن القول ان عامل الآفة مستقرّ في هذا الراسب البروتيني

***

هنا توقف ستانلي قليلاً ، واعدّ عدّتهُ لتعقب عامل الداءِ الى عقر دارهِ

حلّ الراسب البروتيني في سائل متعادل واضاف احد مركبات النشادر — ومن خواصّهِ ترسيب مادة بروتينية من دون تغيير تركيبها — فتكوّنت بلورات دقيقة في قعر الانبوب الاّ ان ستانلي خشي ان لا تكون هذه البلورات تلك المادة البروتينية نقية من الشوائب ، فاخذ يكررها ، باذابتها ثانية وثالثة الى العاشرة في مقدارٍ كبير جدًّا من المحلول المتعادل وكان في كل مرة يبلورها باضافة مركب الامونيا الى المحلول فصار في آخرها بلورات يمكن ان يقال فيها انها خالية من اي الشوائب النباتية او الحيوانية بعد ذلك أخذ ستانلي حصة صغيرة من هذه البلورات بعد سحقتها وحلّها في مقدار كبير جدًّا من سائل معادل تبلغ مائة مليون مرة حجم البلورة نفسها ، ثم اخذ قطرات منهُ ومسح بها ورق تبغ سليم ، ولشدّ ما بطر الدهشة ، وفي الميعاد الموقع ظهرت على النبات اعراض اصابته حادة بآفة الفسيفساء اذن يمكن القول بأن هذه البلورات تحتوي على الفيروس ولما كانت البلورات قد نقيت من كل شائبة على قدر ما يستطيع علم الكيمياء ان ينقيها ، فمن المعقول ان يقال أن هذه البلورات هي الفيروس نفسهُ

ان بلورة السكر مؤلفة من عدّة جزيئات من السكر وكذلك نظن ان هذه البلورات الدقيقة كالابر مؤلفة من عدة جزيئات من البروتين وان كل جزيءٍ « فيروس » واحد

ويؤخذ من تحليل ستانلي الكيماوي ان جزيء هذا الفيروس مؤلف من كربون وايدروجين ونتروجين وكاوور وهو يختلف عن البروتينات الفعالة من الناحية الفسيولوجية في انهُ لا يحتوي على الكبريت ولا الفصفور أما عدد الذرّات في الجزيء ، وطريقة ترتيبها فيهِ ، فلا تزال من الأغراض التي يتجه اليها البحث وانما هناك ما يدلّ على ان الجزيئات ضخمة جدًّا

بعد عي حديثاً العلامة سفدبرج بجامعة أبسالا السويدية والدكتور ويكوف أحد علماء معهد ركفلر الطبي ، باستعمال طراز جديد من الآلات الطاردة عن المركز وقد بلغ من قوة هذه الآلات وسرعتها ، انهُ اذا وضع داخلها قطعة نقد من ذوات القرشين ودارت الآلة بسرعة عظيمة ليست بأقصى سرعتها ، بلغ ضغط قطعة النقد على جدار الآلة الداخلي نصف طن

ولكن الغرض من هذه الآلة ليس تجربة التجارب المستوفقة للأقطار وانما فصل الدقائق الجامدة التي تكون في المحلولات الغروية ( Colloidal ) وقد بلغ من دقة سفدبرج وسيطرته على جهازه انهُ يستطيع ان يصنع فيهِ محلولاً غروياً ويفصل منهُ الدقائق المختلفة المائعة فيهِ عند حدود معيّنة من سرعة دوران الآلة ، وبحسبان السرعة والوقت الذي يقضي قبل انفصال الدقائق يتمكن من تعيين اوزانها الجزيئية

وقد بعث الدكتور ستانلي الى سفدبرج وويكوف بنماذج من بلوراتهِ ليمتحناها بآلتيهما هذه لم ينشر تفصيلات التجارب التي قام بها سفدبرج وويكوف ، ولكن يمكن ان يقال ان اكبر الجزيئات البروتينية المعروفة هو جزيء « هيموسيانين » ( المادة الملونة في دم الحراطين اي دود الارض ) ووزنهُ الجزئي خمسة ملايين ولكن ظهر ان جزيء البروتين الذي يحسبهُ ستانلي فيروس الفسيفساء اكبر من ذلك

هل هذا الجزيء حيٌّ ؟ يقول ستانلي انهُ يمكن بلورتهُ وهذه صفة كيماوية بحتة ثم انهُ زرع في مستنبت بكتيريولوجي كما يزرع البكتيريا فلم ينمُ ولم يتكاثر ولكن العجب ما يقع لهُ عندما يتصل بنبات التبغ فانهُ لا يكاد يتصل بهِ حتى تبدأ جزيئاتهُ تتكاثر ان كسرة صغيرة جداً تكاد لا ترى لصغرها من بلورات هذه المادة كافية لبث العدوى في حقل خلال ايام معدودة ، اي انها تتصف في هذه الاحوال بقدرة محكمة على التكاثر والانتشار أوليست هذه الصفة من اخصّ صفات الاجسام الحيّة ؟ او لعلّ الفيروس ، كبعض الناس ، مزدوج الشخصية ، حي احياناً وغير حيّ احياناً اخرى فهو حيٌّ في نوع معيّن من الوسط ، وغير حيّ في سائر الاوساط

بين جزيء بروتين الفسيفساء وجرثمة[1] ( gene ) الخلية وجوه شبه كثيرة فانهما تكادان تكونان من رتبة واحدة في الحجم وكلاهما تتوقف مبدأ مقاومته عن الكاثر من دون ان ينحسر القدرة عليهِ فالجرثيمات تكمن في البويضات غير الملقحة او في البزور المخزونة ، وفيروس الفسيفساء تكمن كذلك في انبوب الباحث ، ثم يفيق كلاهما عندما تؤاتيهما الاحوال وأحدان في التكاثر ثم هناك وجه شبه آخر بينهما وهو انهما كلاهما غير مستقر التركيب وقد اثبتنا ذلك فيما يخص الجرثمة ، في مقتطف ابريل الماضي وبينا ان التغير في تركيب الجرثمة ، يحدث التحوّلات الفجائية mutations وقد لاحظ ستانلي ان فيروس الفسيفساء تصيبهُ التغير كذلك ويحدث ضروباً من آفة الفسيفساء تختلف في بعض مظاهرها وخواصها عن الآفة الاصلية

ويذهب الدكتور اوسكار ريدل رئيس قسم الوراثة في معهد كارنجي بوشنطن ان الجرثمة اعلى مرتبة في عالم السلم العضوي من فيروس الفسيفساء ويلحظ بين الاهتمام ان الجرثمة

---

(١) راجع مقال « ابن مبدأ الحياة » في مقتطف ابريل الماضي (١٩٣٧)

يجب ان تكون مقترنة بحريثيات أخرى لتقوم بعملها و رتاب اشد الريب في قدرة الحريثمة ان تقوم بعملها وهي وحدها بل نشك في امكان الحلاق صفة « الحي » على الحرشمة المفردة

وهو ما نقوله ستانلي في صدد حريء الفيروس الذي يسبب آفة الفسيفساء

من البكتيريا ما يعرف باسم « ازوتو باكتر » وهو كائن في حجم حلة الحميرة تقريباً يعش في التربة ويتنفس ويتناول الطعام من ماء ويمو ويتكاثر — اي ان هذا الكائن حيّ في نظر جميع الثقات بل انهُ يتصف بصفة يندر ما تتصف بها من الاحياء وهي صفة تثبيت النتروجين فهو يتناول النتروجين الصرف من الهواء ويركّب منهُ ومن بعض المواد التي يأخذها من الارض الاموبيا ومن الاموبيا يصنع الاحماض الامينية، ومن الاحماض يصنع بروتينات وهذه القدرة لا بدحة عنها للحياة كما نعرفها لان الحياة (البروتوبلاسمية) مستحيلة من دون بروتين حتى ليكاد يجري بالقول بان القدرة على صنع البروتين مقياس من اهم مقاييس الحياة ومن عهد قريب جرّبت طائفة من علماء الروس تجارب طريفة « بالازوتوباكتر » فانهم زرعوا طائفة نقية منهُ في وعاء زجاجي ، وغذوها بالسكر وولد قليلٌ من الاموبيا ثم اخذوا البكتيريا وفرثوها فرثاً واستخلصوا عصارتها منها ثم رشحوا هذه العصارة حتى لا تبقى فيها بقية من مادة الخلايا وامرّوا في هذه العصارة المرشحة فقاعات من غاز الاكسجين وغاز النتروجين فولد غاز الاموبيا اي انهم وجدوا في هذه العصارة ما يصنع الاموبيا كما كانت تصنعهُ البكتيريا الحية

ويفسّر هؤلاء العلماء ما شاهدوه بان تثبيت النتروجين في هذه البكتيريا تمّ بواسطة «انزيم» (نوع من الخمائر) وان فرث خلايا البكتيريا يطلق هذا الانزيم او يحرّره ، فيبقى في العصارة يقوم بعمله ، بل هو في رأيهم يقوم بعمله في اثناء التجارب على وجه اتمّ من قيامه به في جسم البكتيريا ، ولهم في ذلك جداول واحصاءات ويعللون هذا الفرق بأن الاجسام الحية تستهلك جانباً كبيراً من السكر الذي تناولهُ في أفعالها لا في توليد الاموبيا فقط

وقد زار دين برك احد علماء وزارة الزراعة الاميركية روسيا في الشتاء الماضي وقضى ثلاثة اسابيع يحادث هؤلاء العلماء وهو الآن يعيد تجاربهم ليرى هل تسفر عن النتيجة نفسها

***

ولعل النتيجة التي يخرج بها الباحث من هذه التجارب هي ان الحياة مرتبةٌ من مراتب تنسيق المادة ، فالكهارب والبروتونات تنتظم ذرات والذرات تنتظم جزيئات ومن الجزيئات ما هو كبيرٌ معقد التركيب ، وفي كل مرتبة من مراتب الانتظام والتنسيق تبرز صفة جديدة ، فالكهارب والبروتونات اذا انتظمت على نحو معين كانت حديداً وعلى نحو آخر كانت ذهباً والذرات تنتظم فتكون ماءً او ملحاً او بروتيناً من نوع معين تدبّ فيه دبيب الحياة

# تبادل الاحساس

## Reciprocal Feeling

لابراهيم مطر

ورث الانسان المدني عن الجماعة الانسانية الاولى احساساً نبيلاً وشعوراً سامياً حمله قديماً على مشاطرة الانسان في شتى مناحي الحياة فشعر بشعور غيره واشترك معهُ في احساسهِ سواء في الالم والفرح في الشدة والرخاء ، فساهمهُ اتعابه ومصاعبه وافراحه ومسراته وقد نما هذا الاحساس في الاسرة الانسانية نماءً تمشى مع سنن التطور والارتقاء حتى تشبعت بهِ النفس البشرية فأهابت بصاحبها لزيادة افراح الحياة وجلب الهناء للبائس ، وتخفيف آلام المكوب

وتكاد تنحصر هذه الحالة في الانسان فهي تقوى فيهِ على مقياس رقي دماغه وانطامه وهي من اسمى خصائص الدماغ واشرفها تزيد في صاحبها روح الشفقة والرحمة وتملأه بعناصر العدل والتعاون

وقد نشأ هذا الاحساس في احضان المجتمع ودرج في مهاد الحياة الانسانية الوادعة في حين انهُ تلاشى وانعدم عند الانسان المتوحش الذي آثر العزلة ولازم الانفراد واستسلم لغرائزه الحيوانية الاصلية وظلَّ هذا الاحساس في قرارة المجتمع البشري طيلة الاجيال الغابرة يعمل عمله الصامت المستمر في صقل شخصيات جاوزه هدفها الاعلى توثيق عرى المحبة وتوطيد اركان السلام وتمهيد سبل الخير والسعادة لابناء هذا العالم

والثابت ان هذا الاحساس مغروس في النفوس ، وهو من اقوى ما فطر عليهِ الانسان الاجتماعي ، واكثره تلبساً لسلوك الافراد والجماعات لانهُ يولد فينا انجذاباً في الشعور ورغبة في اندماج ذواتنا في الاشياء والاشخاص ، غير شاعرين بهذا الاشتراك حتى يعمق شعورنا من عفويتهِ وخيالنا من سذاجتهِ ، فندرك معنى ذلك الاندفاع الشديد وتركز ذواتنا بعد ذلك الانجذاب الخلي وبصدق قولي ارتياحنا الى الخطيب الذي يندفع في كلامهِ ، واندماج نفوسنا في سحر بيانهِ وعذوبة الفاظهِ ولن نصحو من سحرنا واندفاعنا الاَّ عندما تعتور الخطيب عقبة

لفظية او معنوية تقف سيل اندفاعه الخطابي عندئذ نشعر بالاحفاق ونغمض العين حياء وخجلاً ونخفض الرأس حزناً وغمًّا مشاطرينه حيرته وارتباكه ، وبمبادليه عوامل الخيبة وكذلك نظل نفوسنا تلوّن شعورها بحسب اندفاعه ، متشبعة بحالاته النفسانية فنسمو معه ساعات بوهج خيالات من التجلي والوحي ، وننخفض عند ما توقفه عقبات الحصر والارتباك

والظاهر ان هذا الاساس نوعان واقعي وتصوري وينشأ النوع الاول عن مشاهدة الحوادث والاحساس بالوقائع وهو اكثر شيوعاً بين طبقات البشر المؤلفة في حين ان النوع الثاني ينشأ عن تصور الحالات التي لا تقع تحت الاحساس المباشر بل تقتصر على قوة التصور وامتداد المخيلة الى الامور غير المنظورة ، كأن تهب الجماعات الى جمع الاعانات لقوم اصيبوا بقحط او مدنية دمرت بزلزال او مؤسسة التهمتها النيران وقد تجلّت ابلغ هذا الاحساس المتبادل في أعمال الرسل الكرام والانبياء العظام الذين أناروا سبل البشرية بنورهم الساطع وأقوالهم الصائبة وأفعالها من كونها بعالمهم وبدلهم وشرائعهم المقدسة

نقف في حلبة السباق أو أمام فريقين متباريين فيحار شعورنا تجاه فريق دون الآخر ونمضي في مشاطرة ذلك الفريق الاحساس عن طريق التشجيع والهتاف والاستمرار كأننا مأجورون لذلك ونشعر عند انتصاره بالغبطة والارتياح ، وننكمش عند الانكسار وتبقى نفوسنا تلوّن تبعاً لدرجات الانتصار والانكسار حتى ينتهي اللعب ، فنشعر ان لا علاقة لنا بالمنتصر سوى هذا الاحساس المتبادل الذي أشرك نفوسنا قهراً وقسراً في اللعب

واذا أشخصنا نظرنا الى العلاء وشاهدنا الطيور تسبح في الفضاء بعضها ينشد والآخر نشقشق، وفريق يطارد فرائسه وآخر يعتني بصغاره نشعر في جميع هذه الحالات مع سابحات الجو ، فمرح لدى سماعنا الأغاريد الجميلة ، وتتحرك فينا العطف وتمثل أمامنا غرائز الأمومة لدى رؤيتنا الطير يعتني بصغاره ، ونفر من ذلك الجارح الذي يطارد العصفور الصغير ، ونشعر مع ذلك المخلوق الذي يطلب النجاة وينشدها بكل ما أوتي من قوة ، اشبعها من حبه للبقاء والحياة لست أشك يا صاح انك تُحمل الى الفضاء وتشاطر العصفور الشفقة والرحمة وتتمنى لو أُوتيت أجنحة توصلك اليه لتخلصه من مخالب عقاب الجو الفاتك ولم يحرك مجال العطف في عروقك سوى هذا الاحساس المتبادل الذي استغرك لحماية صغير الطير وحقير الحيوان

وتندلع نيران في بلدتك تحرق الاخضر واليابس وتروع الكهل واليافع فتندفع من تلقاء نفسك الى تبادل الاحساس والتضحية السامية في تخفيف نتائج تلك الكوارث والمصائب والمآسي وتصيب فيضان احدى القرى المجاورة لمدينتك فتهرع بدافع الانسانية النبيل لتبادل الاحساس قوماً اكتسح السيل مأواهم وهدم مساكنهم وجرف ماشيتهم وفي الاعياد العامة والمهرجانات

الشعسة بأحدك نشوة الفرح فتشاطر اساء قومك مسرات العيد وافراح الوطن ولا تعرف لهذا تعليلاً سوى هذا الاحساس المشترك للجماعة الشرية نعكسه في شتى صروب الحياة

وقد يتعدى هذا الاحساس عالم الحياة الى الشعور مع الجماد وسرعان ما فطن لدلك رواد الفن وكبار الادباء فأودعوه قطعهم الخالدة اد اشركوا الطبعة حوادث قصصهم وتآليفهم فرسموها مشرقة زاهية عندما يحلي البطل ظافراً منصوراً وقرنوها بالاصطراب والظلمة ساعات الشدة والعسف فالقمر يتلألأ بأشعتهِ الفضية ساعة يناجي الحبيب معبوده ، والرعد يقصف والعاصفة تهب ساعة يوقع البطل المغوار فاجعة أليمة او مأساة مفزعة

وقابلية تبادل الاحساس والانحياز بالشعور لا تقف عند حد العلائق الانسانية بل تعداها الى الجماد ، وها نفوسنا تنكمش لدى مشاهدة صخرة شاهقة تنحدر على حصاة صغيرة او لدى رؤية عمود صغير يحمل عمارة كبيرة وقد نعجب بالبحر الواسع الذي يوحي الينا الاتساع والجبل العالي الذي يلهمنا العظمة والنهر الجاري الذي يدعونا الى الحركة فنحن في كل هده الحالات نبادل الجماد الاحساس فنرثي للحصاة المسكينة ونشفق على العمود الرازح تحت ثقل البناية وندهش لسعة البحر ونعجب بعظمة الجبل ونطفر مع حركة النهر وانسيابهِ البديع وتكون الطبيعة قد أستبنا دوننا فقرنا من مظاهرها وارتبطنا بأوصافها ودعمنا نفوسنا فيها

ويختلف هذا الاحساس في الناس قوة وضعفاً فهو أظهر في الانبياء والمشرعين منهُ في السوقة والعامة وهو عامل اساسي في بناء الشخصية وعنصر فعال في نمائها فهده شخصية عاجزة لا تبين احساسها وتلك اخرى تشع نبلاً وتشيع عاطفة تدفعها الى المثال الاعلى والكمال المنشود

اما الاحساس التصوري فقد شاع في نفوس هداة البشرية ومصلحيها فاستقروا آلامها في الماضي السحيق وتصوروا مصاعبها في المستقبل الغامض البعيد فعملوا على اصلاح اوضاعها واسكان اوجاعها وتحديد نظمها وسرعان ما سنوا الشرائع الحكيمة ليحولوا دون عسف الجماعات القوية وثراء افلياء معدودة ومن ثمار هدا الاحساس ماراه بين الآونة والاخرى من تحمّر الجماعات النائية لطلب المساعدة ، جمع التبرعات لقوم نكبوا في زلزال مدمر او فيض عميم او حريق شامل وقد نبين ان لا رابطة ربطتهم باولئك الاقوام عبر البحار الشاسعة والصحاري الواسعة سوى رباط الاحساس المشترك والشعور المتبادل الذي وقع على اوتار قلوبهم نغمات العطف والحنان وهزّ اعشية نفوسهم نقدس المحبة والاخاء واما على مثل النفس ان البشرية تصل مصاف الانبياء الاطهار وان ارضنا تصبح فردوس النعيم وجنة عدن، حالما تنظم البشرية علاقاتها وتسوّي مشكلاتها على ضوء هدا الاحساس المتبادل الساميّ وذاك الشعور المشترك الرفيع فنشعر اننا نعمل كافراد وجماعات لخير بلادنا واقوامنا ولاعادة امجاد اسلافنا ومرسلينا



جزء من طبق من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني عليه زخرفة من نباتات وأوراق شجر ورسم إنسان وفي الجزء الأيمن كلمة قد تكون ( جعفر ) ومما يستوقف النظر أن غطاء الرأس يشبه ما كان معروفاً عند بعض الفرسان الأوربيين في القرون الوسطى



جزء من طبق من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني عليه زخرفة من رسم فارس يقصد الصيد كما يظهر من صورة البازي الجاثم على يده اليسرى وعلى الفارس رداء من نسيج مزين بدوائر فيها صور طيور ومما تجدر ملاحظته شكل العمامة التي يلبسها والذؤابتان المتدليتان على خديه

# الخزف الفاطمي

للدكتور كارل جوهان لام
استاذ الفنون الاسلامية بمعهد الآثار

ترجمة وتعليق عبد الرحمن زكي

وجدت نماذج مختلفة من الخزف الفاطمي في الفسطاط معظمها قطع مكسورة والظاهر أنه ليس في الاستطاعة ان نصل الى معلومات أثرية تاريخية تعين على دراستها وتحديد تاريخها أما الخزف الذي وجد في حفريات قلعة بني حماد فيمكن ان ننسب الى القرن الحادى عشر ولم يعرف غير القليل عن الخزف السوري لذلك العصر وسنقصر دراستنا هنا على أهم أنواع الخزف المصرى

١ — الفخار غير المطلي ( Unglazed Pottery )

تتألف أهم مجموعات الفخار غير اللامع من شبابيك القلل المصنوعة من الصلصال (الطين) ذي المسام وأقدمها على ما يظهر من صناعة العصر الطولونى وأما القطع المصنوعة منها في العصر الفاطمي فكثير عددها . وأهم النماذج الخزفية تلك القطعة المحفوظة بدار الآثار العربية والمغطى سطحها الخارجي بطبقة مزخرفة ذات بريق معدنى على أرض بيضاء من طراز القرن الحادي عشر . أما شبابيك القطعة فغير لامع

٢ — الفخار المطلي ( Glazed Pottery )

ا — القسم الاول من هذا النوع عبارة عن فخار لامع عليه خطوط ظاهرة مفصولة بعضها عن بعض بمسافات من الطين المحروق

الطريقة الفنية لهذا الفخار على مثال الصناعة المراكشية المتأخرة Cuerda seca وفكرة الألوان التي تتألف من الابيض والاخضر والبنفسجي ذات شبه قريب بصناعة بعض القطع الخزفية الملونة البيزنطية التي عثر عليها في استانبول وباتليا في بلغاريا. ويمكن مقابلتها بآنية من

صناعة القرن الثامن او التاسع وجدت في سوس [1] . وبالخزف الذي يطلق عليه اسم (خزف جاروي) [2] وبعض الخزف المصنوع في الغرب الاسلامي وعلى الرغم من ان هذا الفخار المطلي لا نعرفه الا بواسطة قطع وجدت في مصر فليس من المؤكد انه صنع على ضفاف النيل . ويمكن ان ننسب هذا الفخار المطلي الى القرن العاشر الذي يشمل العصر الاخشيدي . وفي دار الآثار العربية نموذج رائع يتكون موضوعه الزخرفي من طيور على جانبي شجرة الحياة [3]

ب — القسم الثاني فخار مطلي في بعض أجزائه

أكثر هذا النوع من الفخار مستمد من الصناعة العراقية التي سارت على منوال النماذج الصينية وقد وجدت نماذج منه في سامرا [4] ومن هذا الفخار المصري لم يكن يعرف حتى الايام الاخيرة سوى أمثلة غير متقنة الصنع ولا عناية كبيرة بألوانها ثم اكتشفت حديثاً نماذج أدق صنعاً معظمها الآن معروض في دار الآثار العربية وفي متحف بناكي بأثينا وأغلب النماذج المذكورة من صناعة القرن الحادي عشر والنصف الثاني من القرن العاشر وفي هذه المجموعة نجد من الصعب التمييز بين قطع العصرين الفاطمي والسابق له

حـ — القسم الثالث فخار ذو زخارف محزوزة او محفورة ( Champlevé ) تحت طلاء ذي لون واحد

هذا النوع من الفخار المطلي مع النوع الآخر من الفخار ذي البريق المعدني يؤلفان أهم أمثلة صناعة الخزف الفاطمي ومعظم تلك المجموعة ان لم يكن كلها من عمل فخاري الفسطاط وقد عثر في سوريا على بعض نماذج من هذا الفخار قد يكون من أصل مصري

---

(١) مدينة قديمة في اقليم خوزستان بإيران بعيدة عن بغداد و ٢٥ ميلا الى الجنوب الشرقي . وقد ظلت زمناً طويلاً مقر ملوك الفرس او دولة عيلام وكان اول خراب اصاب المدينة عندما دخلها آشور بانيبال بين عامي ٦٤٢ و ٦٣٩ ق م على دولة العيلاميين ( تراث الاسلام — الجزء الثاني من الترجمة العربية للدكتور زكي محمد حسن ص ٣٨ )

(٢) خزف جاري هو نوع خزفي اشتق اسمه من اسم قبيلة الشمس الذين ظلوا في بعض جهات فارس وفي بعض جهات ايران متمسكين تمسكاً شديداً بدينهم القديم حتى بعد الفتح العربي بمدة طويلة وقد وجدت أمثلة من هذا الخزف عليها حروف كوفية من طراز القرن الحادي عشر والذي بعده ( تراث الاسلام — الجزء الثاني ص ٤٢ و ٤٣ )

(٣) شجرة الحياة ( Hom ) — هذا الموضوع الزخرفي الذي نشاهده كثيراً في آثار الفن الآشوري والفارسي عبارة عن حيوانين متقابلين او مولين أحدهما ظهره للآخر وقد تطرق من المنسوجات الزخرفية الى فن النحت الروماني

(٤) أسست سامرا (سر من رأى) على يد اشناس أحد قواد الاتراك بأمر الخليفة المعتصم سنة ٨٣٦ م وتقع على الضفة اليسرى لنهر دجلة على بعد مائة كيلو متر شمالي بغداد وترجع شهرتها في تاريخ الفنون الاسلامية الى القصور التي شيدها المعتصم وخلفاؤه قبل ان يهجرها المعتمد ويرجع مقر الحكومة الى بغداد سنة ٨٨٣ م

ثم عثر حديثاً في حفريات انطاكية (٥) على نوع من الفخار المحفور من صناعة ذلك العصر ولكن طرازه يختلف جداً عن ذلك وهناك نماذج بطلاء ذي لون او لونين او ثلاثة من الخزف السوري المنقوش عليه بالحفر بالطريقة المعروفة باسم (graffito) (٦). وهذه النماذج تنسب في الغالب الى العصرين الأيوبي، والمملوكي، المتقدم وتتصل تلك الصناعة بطبقات مختلفة من الفخار البيزنطي والقبرصي وبنوع من الفخار المملوكي وكل هذه المجموعات التي ذكرناها أخيراً لها طلاء أصفر خفيف فاتح (buff) أو أخضر وبنفسجي

ونلاحظ في الصناعة الفاطمية وفي الاساليب المتأخرة في العصر الايوبي تنوعاً كبيراً في التلوين فان بعض انواع الطلاء ذات ألوان غاية في النقاوة ونذكر من الالوان التي شاع استعمالها اللون الأخضر البحري (celadon) (٧) ذا الدرجات اللونية المختلفة على منوال الخزف والحجر الصيني والالوان الخضراء والزرقاء والصفراء والبنفسجية والصفراء الفاتحة والبيضاء (وكان اللون الأخضر مطلياً غير شفاف بينما كانت أكثرية الالوان الاخرى المستعملة شفافة الى حد ما) ونحن نعرف نموذجاً واحداً منها او نموذجين عليهما توقيع كما ان الكتابات المنقوشة التي قابلناها عليها اما ذات صبغة زخرفية خالصة وإما تشتمل على بعض التمنيات الطيبة

ولكي نصطلح على وضع تاريخ نسبي لهذه الصناعة الخزفية والتي ندر ان نجد منها قطعاً كاملة يجب ان نقابل موضوعاتها الزخرفية بقطع من الفخار ذي البريق المعدني فنجد على قليل من القطع التي تهمنا جداً في هذه المقابلة ان الزخارف المحفورة مختلطة بزينة معدنية ذهبية منقوش على الطلاء

ويمكننا القول بطريقة عامة ان الامثلة ذات الزخارف المحفورة أقدم عهداً من تلك الامثلة ذات الموضوعات الزخرفية المكونة من خطوط محفورة حفراً بسيطاً ونحن نلاحظ ان الاجزاء المحفورة أقتم لوناً من السطوح التي تجاورها ويرجع ذلك الى تجمع الطلاء فيها

وتظهر رسوم آدمية محلاة بموضوعات زخرفية نباتية جميلة على قطع كثيرة من الفخار يمكن ان تنسب الى أوائل العصر الفاطمي ويشاهد على نوع من هذا الخزف اوراق نباتية

---

(٥) انطاكية احدى مدن سوريا وتقع على الضفة اليسرى من نهر العاصي وعلى بعد ستين ميلا غربي حلب وقد أسسها سلوقوس نيقانور في عام (٣٠٠ ق. م) احد ملوك سوريا لذكرى أبيه أنطيوخوس ولقد نافست انطاكية مدينة روما في عظمتها ووصل عدد سكانها في عهد ما الى نصف مليون

(٦) Graffito كلمة ايطالية تستعمل غالباً في صيغة الجمع Graffiti والمقصود بها رسوم ترسم بآلة على الحجر او الجص ثم تحفر بالحك او المكشط وكانت هذه الطريقة شائعة في الشرق وليس من الضروري ان يكون قد نشأت هناك اذ أنها وجدت في مصر قبل الفتح الاسلامي ثم نجح صناع الخزف الايطاليون ابان القرن الخامس عشر نجاحا كبيراً في استخدام هذه الطريقة (تراث الاسلام — ج ٢ ص ٤٣ و ٤٤)

(٧) أطلق هذا الاصطلاح celadon في بادىء الامر على اللون الاخضر البحري الذي امتاز به الخزف الشرقي وصارت القطع الملونة بهذا اللون نادرة جداً وذات قيمة أثرية عظيمة وتم اخيراً استعمال الاصطلاح

خطوط مصرية وعلى فرع آخر نرى أزهاراً صغيرة مخروطية ذات رؤوس مستديرة متجهة في استدارتها الى فوق

وكثيراً ما نرى على بعض نماذج الفخار من صناعة القرن الحادي عشر رسوم الحيوانات والطيور المنقوشة عليها قريبة الشبه جداً ببعض الرسوم التي تصادفنا على الخزف ذي البريق من صناعة الصانع الماهر «سعد» وفي هذا النوع نشاهد ان الزخارف تكون داخل رسوم هندسية على شكل نجوم تتألف من عصابة منفردة او مزدوجة اما مستقيمة وإما منحنية ويمكن تمييز النماذج المتأخرة من هذا النوع بما نلاحظه في صناعتها من الاهمال أو بمشابهتها القريبة للخزف الصيني الذي كانت له منزلة سامية في الاسلام

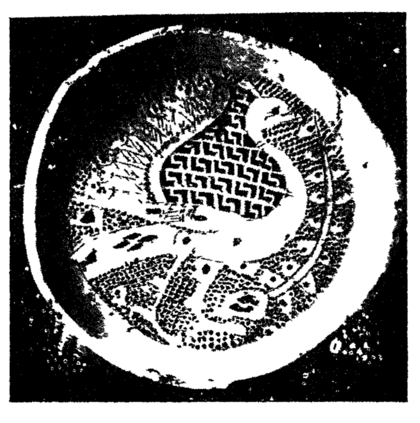
د — الخزف ذا البريق المعدني Lustered Pottery [8]

نرى ان البريق المعدني اختراع صناع الزجاج المصريين ففي العراق كان هذا البريق المعدني اللامع وضع على فخار مغطى بطبقة كثيفة من الطلاء الابيض غير الشفاف المحتوى على القصدير وكانت ترد الى مصر اثناء العصر الطولوني نماذج كثيرة من هذا الخزف ذي بريق متعدد الالوان وأقدم الامثلة التي لا شك انها صنعت في مصر انما ترجع الى القرن العاشر وبعضها ينسب الى العصر الاخشيدي[9]

وفي مجموعة الدكتور علي باشا ابراهيم بالقاهرة جام عليه رسم فيل وكتابة منقوشة يستدل منها انه من صناعة ابراهيم المصري ومن المؤكد ان تكون هذه القطعة من صناعة القرن العاشر مع ان هناك صانع آخر يعرف بهذا الاسم ايضا ترك بعض القطع الخزفية في القرن الحادي عشر وقد سبقهما صانعان آخران هما طيب علي و «ساجي» شوهد اسماهما على قطعة من الخزف محفوظة في دار الآثار العربية مشغولة على الطراز القديم العهد الذي ذكر بالفخار العباسي . وهناك قطعة في نفس المجموعة ذات زخرفة نباتية من الطراز الاخشيدي تحمل اسم الحاكم بأمر الله ويمكن ان نقابل هذه الزخرفة بزميلتها المنقوشة على الباب الخشبي الذي امر بصناعته الخليفة الحاكم للجامع الازهر وقد أشار الرحالة

(٨) يقصد بكلمة Lustre طبقة الدهان الرقيقة اللامعة التي يكسى بها الخزف ويكسبه سطحاً لامعاً براقاً والعلماء غير متفقين في تعيين التاريخ والاقليم اللذين نشأت فيهما صناعة الخزف ذي البريق المعدني في الاسلام وفي هذا الخزف ترسم الزخرفة بطلاء معدني على سطح لامع ثم تعرضها للنار بطريقة تكسبها بريقاً معدنياً (فنون الاسلام — الجزء الثاني ص ٤٤)

(٩) لاشك ان الدكتور الفاضل الاستاذ لام يقصد الفترة المحصورة بين عامي ٩٣٥ و ٩٦٨ التي تتوسط العهدين الطولوني والفاطمي، اذ من الصعب ان نوافق استاذنا على انه كانت هناك مميزات او مظاهر فنية لعصر لم يدم اكثر من ٣٣ عاماً وكل ما يمكن ان ينسب الى هذه الاسرة الاسلامية في الواقع يتصل بالعهد الطولوني او ممهداً للعهد الفاطمي



شباك [illegible] لماء
عليه زخرفة تمثل طاووساً
رافعاً ذيله



طبق من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني الذهبي وفي قعره
دائرة رسم عليها طائر في منقاره غصن وحول
الدائرة شريط من زخارف نباتية

ناصري خسرو (١٠) في سفره المشهور عن رحلته الى صناعة الخزف ذي البريق التي شاهدها زاهرة في مصر

كان مسلم وسعد أمهر صناع الخزف ذي البريق المعدني . وفي متحف بناكي باثينا قطعة زجاجية ملونة بنفس الطريقة من صناعة سعد ويرى الاستاذ المرحوم علي بك بهجت مدير دار الآثار العربية الاسبق ان « سعد » عاش في عصر سابق لعصر زميله مسلم ولكننا لا نتفق معه في رأيه ومن المعقول ان نحكم بان مسلم اشتغل في عصر الحاكم بينما عم نشاط سعد في عهد الحكم الطويل الذي تمتع به الخليفة المستنصر بالله ( أواسط العصر الفاطمي ) ولا نعلم تماماً لماذا كانت بعض قطعهما ممهوره باسميهما وأغلبها لم تكن ممهورة . ومن هذه الاخيرة أمثلة كثيرة ذات قيمة فنية عالية لا مجال للشك في انها من صناعة الصانعين المجيدين . ومع ذلك يجب ان لا نأخذ بسهولة بكل القطع الخزفية التي تظهر فيها اسلوبهما الصناعي على انها من عملهما او من اخراج مصنعهما ولكن نأمن الخطأ يجب ان نعتبرها ممثلة لمدرستين ويجب ان نتكلم عن طراز سعد او مدرسة سعد وعن طراز مسلم او مدرسة مسلم وليس عن صناعة سعد او مسلم نفسيهما

وسنصف الآن بعض المميزات التي اتصفت بها كلتا المدرستين

## مدرسة مسلم

في صناعة هذه المدرسة يغطي الطلاء أجزاء الآنية كلها بما فيها قاعدتها المحدودة بحرف قليل الارتفاع ويكون الطلاء دائماً ابيض اللون لكنه نادر ان يكون في نقاوة الطلاء الذي نجده على الخزف الأخشيدي أما البريق المعدني فدو لون واحد غالباً هو اللون الذهبي الا في احوال نادرة جداً يميل الى الاحمر النحاسي وفي هذا النوع من الخزف لا نرى الزخارف محفورة دائماً . أما توقيع مسلم فنجده منقوشاً محفوراً كتابة بسيطة تقرب احياناً من الخط النسخ ويرى في الغالب على قاعدة الآنية وفي بعض الاحيان نرى الاسم عالقرب من الحافة موضوعاً بطريقة زخرفية بديعة وتمتاز قطع الزخارف المصنوعة رسوم الحيوانات والطيور المختلفة والموضوعات الزخرفية النباتية والحروف الكوفية كما تظهر ايضاً بعض الصور الآدمية في قطع الخزف من صناعة مسلم ( التي شاهدها على خزف الصانعين ابراهيم وساجي )

( ١ ) ناصري خسرو هو رحالة وشاعر فرسي ولد في [illegible] خراسان ببلاد فارس سنة ٣٩٤ هـ واشتغل في شبابه [illegible] في الديوان [illegible] [illegible] ثم [illegible] طوف [illegible] العالم الاسلامي في منتصف القرن الخامس واعجب بما وجده في مصر من [illegible] واسمه في [illegible] ( ١٠٤٧ — ٤٩ ١م ) ووصفه للقاهرة المستنصرية [illegible] من اهم المراجع [illegible] [illegible] اهل القاهرة وصناعاتها [illegible] السلطانية والسنية [illegible] رحلته الى [illegible] [illegible] ١٨١١
Sefer Nameh Relation du Voyage de Nassiri Khosraw

## مدرسة سعد

وفي هذه الصناعة نجد الجزء الاسفل للاواني محتوياً على حلقة للقاعدة تشبه الشريط الا في احوال نادرة جداً عند ما تكون الاواني يغطيها الطلاء وهذا قلما يكون أبيض اللون فهو اما أزرق وإما احمر وفي نوع خاص يصادف الانسان رنكاً أنيقاً ذا لون رمادي لامع محلاة به القاعدة على مثال الخزف الذي نقابله في الخزف القبطي والقاعدة نولبة الشكل أفقية صنعت بالأصابع أثناء عمل الآنية وادارتها على عجلة الخزاف

وقد عم استخدام اللون الازرق في تلك الصناعة كما أننا في كثير من الاحوال نجد البريق المعدني الاكثر استعمالاً هو الزيتوني المائل الى الاصفرار

وفي مجموعة منسوبة الى مدرسة سعد وجدت نماذج ذات ألوان متعددة وبريقها المعدني مطبوع على زخارف نادرة في قوالب مصبوبة . والنقش الداخلي مكون في الغالب بواسطة الحفر في طبقة المادة ذات البريق بدون ان يصل الى المادة الطينية وتماثل مثل هذه «الحزوز» في أعمال الخزف المنسوبة الى «ساجي» اما توقيع سعد فنجده منقوشاً بالحروف الكوفية المزخرفة على جزء واضح من الآنية وفي الغالب على الوجه الخارجي للاناء . وهناك قطعة زخرفية في القسم الاسلامي من متحف برلين تحمل توقيع سعد والى جانبه توقيع لمصور (صانع) آخر اسمه (حسن) وهذا مما يدلنا على انه كان لسعد مساعدون في مصنعه وفي متحف فكتوريا وألبرت بلندن آنية عليها توقيع سعد وعلى سطحها الداخلي نقش يمثل قسيساً في يده مبخرة يترجح وبين الزخارف التي تملأ ارضية الآنية علامة الحياة المصرية او الصليب القبطي الذي كان يستعمله الاقباط كثيراً في اعمالهم الزخرفية

وفي دار الآثار العربية قطعة خزفية ليس عليها توقيع ولكن عليها صورة المسيح منسوبة الى مدرسة سعد وهذا مما يجعلنا نعتقد انه من المحتمل ان سعد كان من سلالة الاقباط

وقد اقتبس سعد بعض موضوعاته الزخرفية من موضوعات قديمة وفي كاتدرائية Sens قطعة قماش من الحرير تشبه القطعة التي عثر عليها في انطنو . . [11] عليها رسوم طيور متقابلة واشجار وسلال تحتوي على فواكه كثيرة الشبه بالرسوم التي نقابلها ونسبها بدون عناء الى مدرسة سعد ومن الصعب تفسير وجوه الشبه لاشياء يرجع تاريخها الى عصور متفاوتة

---

(١١) انطنو بولس او ادريانوبولس مدينة مصرية قديمة على الحدود الجنوبية لمصر الوسطى التي عرفت قديماً باسم هيبونومبد ثم انضمت بعد ذلك الى اقليم طيبة وكانت على الشاطئ الايمن للنيل على بعد ٩ كيلو مترات من هرموبوليس — وقد شيدها الامبراطور ادريانوس على انقاض مدينة تمرا القديمة وذلك تخليداً لذكرى صديقه الشاب الجميل انطونيوس الذي مات غرقاً في النيل بالمكان الذي شيدت عليه المدينة وقد اطلق الاقباط على انقاض هذه المدينة الجميلة اسم Ensench وهي اليوم بالقرب من قرية الشيخ عبادة انظر Description D'Egypt (t IV p 197)

ومن الرسوم التي شاهدها على فخار هذه المجموعة الاسماك التي يراها على آنية مشهورة في مجموعة كيليكيان المعروضة في متحف فكتوريا والبرت وكانت فيما قبل للدكتور فوكيه وطلاء هذه الآنية رمادي اللون ومشقق وإنا لنرى على السطح الداخلي لبعض الاواني الخزفية التي تنسب بسهولة الى صناعة سعد زخرفة لاسماك ثلاثة تماس رؤوسها في هيئة رائعة كما نرى بعض الرسوم الآدمية ايضاً وليس في طراز صناعة سعد تلك القوة والحركة التي نلاحظها في صناعة مسلم ومدرسته لكنها اكثر رشاقة وانسجاماً

ومن اراد الدرس استطاع ان يقابل اوجه الشبه والخلاف بين النقوش التي على لوح كنيسة ست بربارا بمصر القديمة والنقوش التي خلفتها قصور الفاطميين العربية

ولاشك ان بعضاً من الامثلة المتأخرة من هذه الطبقة صنع بعد وفاة سعد وتحدها غير متقنة وبدر فيها الرسوم كما انا نلاحظ ان حروف قاعدة الاواني مثلثة القطاع وليست مستديرة

***

ومن مجموعات الخزف ذي البريق المعدني الذي ينسب الى العصر الفاطمي الأخير ما نرى زخرفته ذات لون بنفسجي تحت سطح مصقول وشفاف ولا بد ان تكون هذه الطبقة والسابقة لها من عمل مصنع واحد

ومن بين الموضوعات الزخرفية التي استعملت جامات ( medaillons ) تحتوي على رؤوس من المحتمل انها تمثل الشمس وموضوعات مثلثة ومستطيلة ذات حواف منحنية وفروع اشجار مزهرة الخ ونشاهد امثلة اخرى عليها رسم الصليب ومن المحقق ان تكون من صناعة القبط

وقد وجدت قطع كثيرة من الاواني وترابيع الحيطان ذات البريق المعدني في حفريات قلعة بني حماد ومن المحتمل ان تكون في الاصل واردة من مصر لكن مما يجعلنا نعارض هذه النظرية انا لم نعثر على مثل تلك الترابيع في حفريات الفسطاط ونعتقد انه كان لخراب الفسطاط الشامل عقب حرقها الكبير عام ١١٦٩ ثم سقوط الدولة الفاطمية بعد ذلك باعوام قلائل — القضاء الاخير على صناعة الخزف ذي البريق في مصر وفي ذلك العصر نجد ان هذه الصناعة بدأت في الظهور في سوريا واسبانيا ( وكان يرد اليهما الخزف ذو البريق في القرن العاشر ) ووجود بعض الأواني اللامعة في سوريا التي ترجع الى زمن لا يتجاوز عصر سقوط الدولة الفاطمية لا يمكن ان يتخذ حجة نستعين بها ضد النظرية القائلة بأن صناعة الخزف قد ادخلت الى سوريا على يد الصناع المصريين والفخار السوري ذو البريق يكون احياناً مطلياً على سطح مصقول وشفاف يحتوي على مادة القصدير وهذه الطريقة في الطلاء ادخلت الى سوريا عن طريق مصر حيث تقدمت

لقد ذكر لنا المؤرخون في مناسبات شتى اهمال صلاح الدين للفن والترف وهذا ما

يسر لنا الى حد ما الانحطاط الوقتي الذي أصاب الفنون المصرية فيما عدا في صناعة الخشب الذي تبع سقوط الدولة الفاطمية

كلمة عامة في دراسة الخزف الاسلامي

الآن وقد انتهينا من عرض آراء الدكتور لام في الخزف الفاطمي يجمل بنا ان نلخص بعض الآراء الأخرى فقد حاول دراسة الخزف الاسلامي كثيرون من مؤرخي الفنون وما زالت امامهم نقط كثيرة غامضة وكان من الذين بحثوا موضوع الخزف الأسلامى العالم (Hobson) [١٢] فقال ان ليس ثمة اي دليل على وجود خزف ذي بريق معدني في الفسطاط قبل القرن التاسع ولاسيما قبل العصر الطولوني في نهاية هذا القرن وليست هناك أية قطعة اثرية تثبت شيئاً ان ذلك البريق المعدني كان معروفا قبل الاسلام

وكان من الباحثين الفرنسيين في الخزف الاسلامي المرحوم العالم علي بك بهجت والاستاذ فليكس ماسول[١٣] فقد نسبا الى العهد الطولوني نوعاً من الخزف ارق طينة من النوع الذي ينسبانه الى ما قبل العصر الطولوني تمتاز زخارفه ذات البريق المعدني ذي اللون الاصفر او الزيتوني على ارضية بيضاء او عاجية

وبعض العلماء ومنهم ميجون ومرسه Migeon وMarçais وويت Wiet وغيرهم اتفقوا على ان تلك المميزات نفسها هي مميزات خزف عثر عليه في سامرا وفي الري [١٤] وفي سوس وفي قلعة بني حماد وفي مدينة الزهراء (قرب قرطبة) ولكن الدكتور Diez وزميله الدكتور كويل Kühnel امين القسم الاسلامي بمتحف برلين يريان ان صناعة الخزف ذي البريق المعدني نشأت في العراق وثبت كويل ذلك بأن المنقبين لم يعثروا في اطلال سامرا على بقايا افران لصناعة الخزف، او قطع اصابها التلف في الافران اثناء العمل ولذلك ذهب الى ان بغداد كانت موطن هذه الصناعة ولاسيما ان المصادر التاريخية كثيرا ما تتحدث عن مدينة المنصور كمركز هام لصناعة الخزف والفخار [١٥] وهذا هو الرأي السائد

ومن المحتمل جدا ان نقل هذه الصناعة من العراق الى مصر جاء على يد ابن طولون وليس بعيداً ان يكون قد اتى معه من العراق بنماذج من الخزف العراقي او بصناع عملوا على احياء صناعتهم في مصر [١٦]

---

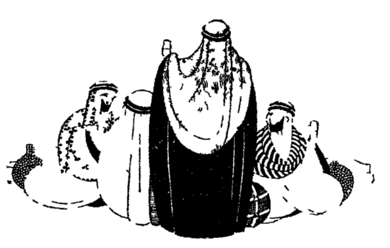
(١٢) انظر كتاب Hobson A Guide to the Islamic Pottery of the Near East

(١٣) انظر Ali Bahgat et Felix Massoul La Céramique Musulmane de l'Egypte

(١٤) مدينة الري ... وهي ... حتى بعد نصف اميال ا... جنوبي طهران وقد كانت في صدر الاسلام مدينة مشهورة ومركزاً كبيراً لصناعة الخزف وفيها نشأت نماذج عديدة خاصة بها وقد دمرها المغول سنة ١٢٢٠

(١٥) انظر كتاب « الفن الاسلامي في مصر » لمؤلفه الدكتور زكي محمد حسن امين دار الآثار العربيه

(١٦) المصدر السابق



# عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة

## — ٢ —

لجبرائيل جبور
احد اساتذة الادب العربي
جامعة بيروت الاميركية

﴿الناحية الجدية في حياة عمر﴾ لعلّ اخبار حب عمر للنساء وتغزله بهن ولهوه وعبثه طغت على سائر اخباره الاخرى بحيث كادت تستأثر بانتباه المؤرخين ولهذا فالمشهور عند الادباء اليوم ان احداً من الناس لا يستطيع ان يذكر شيئاً عن الناحية الجدية في حياة عمر

ولعل بعضهم يزعم ان عمر لم يجدّ في حياته وانما قضى عمره في عبث ومجون، ولكن الاقدمين ذكروا ان عمر قد نصف حياته ونسك نصفها الآخر، ومهما يكن من شأن هذه الرواية المضطربة فهي تدل على ان حياة عمر في زعم هؤلاء الرواة القدماء لم تمضِ كلها في اللهو

ولقد حاولت ان التمس هذه الجوانب الجدية من حياة عمر فلم ارَ في ما بقي من كتب القدماء ما ينفع غلة، والذي زاد امر ضياع بعض اخباره رواية اوردها السيوطي وهو من المؤرخين المتأخرين من رجال القرن العاشر للهجرة فيها ما ان صح فهو يفيد ان عمر جد كل الجد في بعض ظروف حياته ولعلك تستغرب اذا سمعت ان هذا النبأ هو ان عمر نقل الحديث النبوي عن امام مشهور هو سعيد بن المسيب، وقد عرف اتصال عمر به وبعبد الله بن عباس وهما من اعظم ائمة ذلك العصر، وان هناك محدثين نقلا عنهُ الحديث هما مصعب بن شيبة وعطاف بن خالد —

ولعلك لا تستغرب ان تسمع انهُ كان يعرف القراءة والكتابة فهذا بيّن من شعره وقد كان بالمدينة يومئذٍ كتاتيب يتعلم بها الصبيان وقد اتصل مع كثير من حبائبه بواسطة الكتب التي كان يردها اليهن وكنّ يكتبنَ اليهِ ايضاً وقد قال

انشأت ابك اذ اتاك كتابنا اعرضت عند قرائك العنوانا

ومن الممتع ان تعلم انهم كانوا يختمون كتبهم بالوف السلامات كما تفعل العامة في هذا العصر

سلم الله الف ضعف عليكم مثل ما قلتم لنا في الكتاب

وقد ألمّ بالقرآن واستعان بمعانيه في شعره الغزلي

وقد قال والله قد انزل في وحيه مبيناً في آيه المحكم

من يقتل النفس كذا ظالماً ولم يقدها نفسه نسلم

وله ان الوشاة كثير ان أطعتهم لايرقبون بنا الاًّ ولا ذمما

وله حدثونا انها لي نفثت عقداً يا حبذا تلك العقد

كلما قلت متى ميعادنا ضحكت هند وقالت بعد غد

وليس غريباً على عمر وقد ولد في جيل كانت الحجاز فيه موسماً لحركة دينية كبرى هزت اقطار العالم وكان العرب فيه قد اخذوا بدهشة هذا الدين الجديد، اقول ليس غريباً عليه ان يتصل باسباب هذه الحركة وان يلم بامورها وقد كان اخوه الحارث رجلاً صالحاً نقل الحديث عن الامام علي

وكانت المدينة كما ذكرنا مركزاً عظيماً لهذه الحركة ولهذه النهضة الجديدة بما استتبعتهُ من امور الاجتماع والتجارة وكانت جيوش النبي تعمل لهؤلاء العرب في سائر اعمالهم، وكان عمر احد الورثة لبيت تجارة وثروة كما رأينا فلم يكن غريباً ان يقع عليه، وقد مات والده وهو صبي، عبء مسئولية بعض الاعمال التجارية والصناعة والرواة يذكرون لنا ان كان لهُ عبيد يتصرفون في بعض المهن منهم يسعون في الحوك وان أم والده كانت تاجر في العطر ولم تنحصر اعماله التجارية على الحجاز فقد سار (فيما يظهر من شعره) في رحلة تجارية الى اليمن طمس الرواة أخبارها فذكروا ان أخاه أرسله الى اليمن ليمنعهُ من قول الشعر، وزعم آخرون ان رجلاً باسم مسعدة بن عمرو ارسله في أمر عرض لهُ، والراجح انهُ ذهب في تجارته وقد ندم على عمله حين عاقهُ هذه الرحلة عن حضور موسم الحج فقال قصيدته المشهورة

هيهات من أمة الوهاب منزلنا اذا حللنا بسيف البحر من عدن

وفيها يقول بلسان حبيبة يخاطب رفيقتها

بالله قولي لهُ في غير معتبة ماذا أردت بطول المكث في يمن

ان كنت حاولت دنيا أو رضيت بها فما أخذت بترك الحج من ثمن

ويظهر من شعره أن لهُ اكثر من رحلة الى اليمن عاقهُ في احداها مرض ثلاث سنوات وقام برحلة الى البصرة لمعالجة أشغاله كما ذكرنا وقال في لهوه فيها شعراً لم يحفظ لنا منهُ سوى

حبذا البصرة داراً في ليال مقمرات

وزار الكوفة ولا نعلم متى ولا لأي عرض فقد يجوز انهُ قصدها وراء احدى الغانيات العائدات من الحج وهناك اخبار تشير الى تتبعه عراقية الى العراق وقد يجوز انهُ كان يزور

أخاه الحارث والي الكوفة مدة لعبد الله بن الزبير وقد مكث فيها وأحب ليلها البارد وماءها وغناء مغنيتين فيها ، وقد قال في ذلك

يا أهل بابل ما نفست عليكم من عيشكم الا ثلاث خلال

ماء الفرات وطيب ليل بارد وغناء مسمعتين لابن هلال

وله زيارة او اكثر لسوريا لم يذكر الرواة شيئاً عنها ولكنه ذكرها في شعره في غير قصيدة وبث في هذا الشعر شوقه لمحبوبة حجازية كان قد شق عليها فراقه ، وراح يستحث نياقه ليصل الى حبيبه ولسنا نعلم غرضه في هذه الرحلة ولعله أحد امرين إما في تجارة وإما في غزوة ولا سيما وهو يذكر في شعره ان فتاته حين ودعته دعت الى الله ان يعيده سالماً مأجوراً ونحن لسنا نعد جهاد عمر في غير الحب ولكنا لا ننكر انه قال

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

وقد نشأ في المدينة نشأة أدبية وكان أولاد بعض الاشراف يأخذون على أيدي معلمين يروونهم الشعر ، فألم بشعر الكثيرين من سابقين ومعاصرين وتأثر بعضهم والذي يدرس شعره يرى انه قد أخذ عن امرىء القيس وحسان بن ثابت والاعشى وعنترة وزهير والنابغة وعلقمة وأبي القيس بن الصلت والخنساء والحطيئة والاسود بن يعفر والمثقب العبدي وعدي بن زيد وغيرهم وهذا يدل على سعة اطلاعه ولعله كان أميل الى تأثر امرىء القيس منه الى تأثر اي شاعر آخر ومن يقرأ قصيدة عمر

خليلي مرّا بي على رسم منزل

يتخيل انه يقرأ شعر امرىء القيس وكان لعمر أثر كبير في الحياة الادبية في ذلك العصر وكان يعارض بعض الشعراء من معاصريه ، وكان يعارضه آخرون وكان يعنيه من هذه الخصومة فيها الادبية والرواة يحدثوننا ان الحزين الكناني الشاعر لقي عمر وعارضه وهجاه وعيره بسواد ثنيته او كسرها وقال

فما بال سنك أم ما بال كسرتها أهكذا كسرا في غير ما بأس

أنفحة من فتاة كنت تألفها أم نالها وسط شرب صدمة الكأس

ولكن عمر لم يرد عليه باكثر من اذهب ! اذهب ! ويلك ! فانك لا تحسن ان تقول

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد وشفت انفسنا مما تجد

واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد

ولسنا نعلم تماماً متى كان اول عهده بالشعر وليس هناك أثر من الصحة للروايات التي تذهب الى ان اول قصيدة نظمها كانت

أمن آل نعم انت غادٍ فمبكر غداة غد ام رائح فمهجر

وانهُ انشدها لاول مرة امام ابن عباس عندما وفد عليهِ ابن الازرق وقد كان وفود ابن الازرق حوالي عام ٦٠ هـ وكان عمر عامئذٍ في السابعة والثلاثين من عمره وقد نسب اليهِ شعر قيل في واقعة الجمل التي وقعت وهو في الثالثة عشرة من عمره ولم يكن هذا بغريب على شاعر مطبوع مثل عمر ونظهر انهُ نظم في صباه وشبابهِ شعراً كثيراً غثًا حتى اذا نوت ملكة الشعر فيهِ ونظم الشعر الجيد قال جرير ما زال يهذي هذا الشاب حتى قال شعراً

وهناك شطر من حياتهِ قضاه بغير هذا اللهو الذي عرف بهِ وقد غالى بعض الرواة فجعلوه نصف حياته بل اكثر من النصف ، ذلك ان عمر لم يجاوز السبعين من عمره ولكن هؤلاء الرواة اطالوا عمره فجعلوه ثمانين ثم اتفقوا ان تمضي هذه السنوات كلها في الاثم والمنكر فأنابوه بعد الاربعين وقالوا فتك (٤٠) ونسك (٤) وهو لذلك قد فاز بالدنيا والآخرة والواقع انهُ لم يتب بعد الاربعين ولم يكن لهوه في سنواتهِ الاخيرة كلهو الشباب وكل ما في الامر ان عمر لها ما امكنهُ ان يلهو حتى اذ فترت سورة اللهو بهِ بكى شبابه ثم كبر فاخذ ينصرف الى ما يقتضيه وقار الشيوخ من هدوءٍ وسكون ولعلهُ مال الى امور الدين فأثر ما اثر عنهُ من حديث

ولعل اخفى ما في تاريخ عمر موته وهو شيء غريب فالرواة والمؤرخون قد عودونا ان يختلفوا في امر ولادة من يترجمون حياته لان احداً من الناس لم يؤت النبوة ليعلم ان هذا الصغير الذي يوضع سيكون له شأن اما ان يختلفوا في ظروف موت شاعر طبق العالم العربي صيته فهو امر ذو بال ولست ارى مجالاً لاسرد روايات موته المختلفة بالتفصيل فالبعض قد اماتهُ مجاهداً في دهلك (جزيرة في البحر الاحمر) وزعم ان عمر غزا في البحر مجاهداً فاحترقت سفينته وغرق شهيداً ولعل صاحب هذه الرواية هو من هؤلاء الذين اشفقوا على عمر فانابوه نصف حياته ودفعوه الى البحر غازياً ليستشهد وليفوز بالدنيا والآخرة

وزعم البعض الآخر ان عمر نظر الى امرأة جميلة شريفة في الطواف وذهب عقله وكلمها فلم تجبهُ وذكرها بشعره وقال فيها

الريح تسحب اذيالا وتنشرها يا ليتني كنت ممن تسحب الريح

وانها شعره وجزعت منهُ وقيل لها اذكريه لزوجك فانه سينكر عليهِ قوله فقالت كلاَّ والله لا اشكوه الاّ الى الله ثم قالت اللهم ان كان نوه باسمي ظالماً فاجعله طعاماً للريح فضرب الدهر من ضرباته ، ثم ان عمر غدا يوماً على فرس فهبت ريح فنزل فاستتر بسلمة فعصفت الريح فخدشه غصن منها فدمي وورم به ومات من ذلك ولعل اصحاب هذه الروايه هم من الذين شاؤوا ان ينتقم الله من عمر فاماتوه بدعاء امرأة شريفة حاول التعرض لها ولو شئت ان اعدد اخبار من

ماتوا في التاريخ العربي بدعاء احد الناس عليهم لطال بي المقام

وهناك روايه لا تشير الى شيء صريح مفصل عن أمر موته ولعلها أقرب الروايات الى الصواب قالوا لما مرض عمر مرضهُ الذي مات فيهِ جزع اخوه الحارث الخ وهذه الرواية ان صحت تشير الى ان عمر قد مات على الفقد في خلافة الوليد بن عبد الملك ويجب ان يكون قد مات من مرض لا من حادث مما ذكرنا وهناك اخبار تشير الى انهُ كان آخر حياته كالمقعد يتوكأ على مولى لهُ ولست ادري كيف يمكن لمثل هذا ان يعدو على فرسه او ان يغزو في البحر ومهما يكن في الأمر فان عمر مات قبل السبعين

ولعلّ للبرداء « الملاريا » أثراً في هدم جسم هذا الشاعر الجميل ، فقد كانت تنتابهُ من حين الى حين وكانت أقوى نوباتها لهُ في رحلة ارتحلها الى اليمن بعيداً عن اهله فلم تفارقه ثلاث سنوات

ولعلهُ مات غريباً عن وطنهِ فاني لا أرى أعظم من هذا سبباً يدفع الرواة الى الاختلاف في أمر موتهِ ذلك أهم ما في حياة عمر من حيث الأمر وما كنت أظن ان الناس يلتفتون الى عمر لو اقتصرت حياته على هذا بل انا أعلم ان بعضهم لا يهمه من امر عمر سوى ما اشتهر بهِ عمر ألا وهو حبه وشعره

﴿ حبه ﴾ يزعم البعض ان عمر لم يحب بقلبه وانما أحب بعقله ولسانهِ ويدللون على هذا بتعدد محبوباتهِ ويصرحون ان من أحب غير واحده فقلبهُ لم يحب وكنت اود لو كان المقام يتسع لي لأظهر فساد هذا المذهب ، ولكني أعلم ان كثيراً من الناس قد جمعت قلوبهم لأكثر من شخص واذا كانت العوامل التي توقظ الحب وتحرك القلب وتوقد الحس وتلهب العاطفة قد وجدت في شخص فلست أرى ما يمنع ان يحب الواحد اكثر من شخص ويتهمون عمر في حبه لأنهُ حضري لا بدوي ويدللون على ذلك في انهُ قلما صدق للحضريين حب أو بقي لهم صبابه وكل حضري يعلم فساد هذا القول

واذاً فرأيي انهُ ليس هناك من سبب يحملنا على اتهام عمر في حبه فليس الحضريون مكذبين في عشقهم ولا المعددون خائنين في حبهم ولم يكن عمر دعياً في حبه حينما ركب الحجاز وراء فتاة احبها الى العراق يشيعها ، ينزل بنزولها ويرحل برحيلها حتى يرد العراق فيرجعه بالتي هي احسن ويعود وقلبه معها بعد ان وعدته الموسم القادم ولم يكن عمر كاذباً في حبه حينما زوجت الثريا وانتقلت الى بلد بعيد فانهُ لم يهجر حبها ولا سلا ذكرها بل سار وراءها يلتمس خطاها على اديم البيداء الفاصله بين الشام والحجاز وكتب لها وقد بلغه فراقها . وجعاً

كتبت اليك من بلدي كتاب موله كمد
كئيب واكف العينين بالحسرات منفرد

يؤرقه لهيب الشوق بين السحر والكبد
فيمسك قلبه بيد ويمسح عينه بيد

واراد الثريا اختبار حبه فدس له من الطائف وهو بمكة من خدعه وانبأه انها ماتت فاعتلى صهوة جواده لساعته واستحثه الى الطائف وقد اقلقه النبأ وارمضه فرآها سطرة وادركت انه المحب الامين

اما هذه العوامل التي كانت تدفع عمر الى الحب فمتعددة شأنها اليوم وأهمها الجمال فقد كان مغرىً به او على تعبيره الخاص موكلا به يتبعه اني رآه وكان قلبه طوع هذا الشعور بالجمال فكان يخفق له ويظهر انهُ كان دقيق الحس في ادراك الجمال فلا تكاد يلمسه في وجه واه حتى يضطرب قلبه لهذا الشعور الذي غمره ولهذا النور الذي سطع له منه ويحاول في فنه ان يجلوه للناس كاملا هو خاف عن اعينهم فهو والحالة هذه قد احب بحبه ثم بقلبه

ولم ار في كل اخبار عمر ذكراً لفتاة احبها الا وقد ذكر الرواة عنه انها كانت من اجمل نساء دهرها واذا كنت تريد معرفة عدد محبوبات عمر فليس عليك الا ان تعدد الجميلات في ذلك العصر ممن كان يمكن ان تقع عينه عليهن او يتصل به علمهن واذا كنت تريد ان تعرف الجميلات في ذلك العصر فليس عليك الا ان ترجع الى شعر عمر فقد خلد ذكرهن بل لقد كان بعضهن يرين دليلاً على الجمال ان يذكرن في شعر عمر ولقد اعترضت الثريا ذات يوم على شعر قاله عمر في امرأة تظهر انها لم تكن جميلة الوجه او الثريا كانت تغار منها فقالت اف له ما أكذبهُ او ترجع حسناء بصفة لها بعد اليوم!

ولقد شهر في تقديره للجمال الى درجة ان احكمت اليه ذات يوم سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة في أيهما اجمل فقال لعائشة أنت اجمل وقال لسكينة أنت املح وأرضى كلا هما

ويطول بي المقام لو فصلت لكم حوادث عمر مع من زعم ان له علاقة بهن، فهن كثر وقد ذكر في شعره اسماء صريحة لاكثر من عشرين امرأة بعضهن من اشهر نساء الاسلام على الاطلاق ويكفي ان اذكر منهن الثريا بنت علي بن عبد الله وعائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وفاطمة بنت عبد الملك بن مروان، وكنى باكثر من خمسين اسماً عن واحدة حيل بينها وبين معرفتهن ولعل اصدق حب عرف عن عمر وافواه قد قسم بين ثلاث هن الثريا وعائشة وزينب بنت موسى الجمحية، وقد اقلتن من يده جميعاً فروحن وابقينهُ رواحهن لوعة وحسرة وقد كنى عن فتاة باسم نعم وكنى عن اخرى باسم هند وهما ان لم تكونا من النساء الثلاث اللواتي ذكرنا فقد شاطرناهن قلب عمر وقصص عمر مع حبيباته من اجمل القصص وقد انتشرت في اكثر كتب الادب العربي وارجو ان يكون في كلمتي هذه حافز للقارىء الكريم ان يطالع هذه القصص الشيقة الممتعة

# العقل والمادة

## في الفلسفة الحديثة

لعليموند موسى

من اهم القضايا التي اشتغل بها اهل الفلسفة منذ القدم ولعلها اهم تلك المسائل وأبعدها تأثيراً مسألة العقل والمادة وان الفلسفة لا تزعم انها توصلت فيها الى حقيقة راهنة او رأي حاسم الآن الفلاسفة في غضون معالجتهم هذه المشكلة الفلسفية تمكنوا من كشف النقاب عن حقائق هامة جدير بكل مثقف الاطلاع عليها والاستنارة بها اذ انهُ على معرفتها يترتب كثير من شؤون المرء ومعتقداته الخاصة

ان كثيرين ممن خاضوا عباب هذا البحث حتى من فريق الفلاسفة انفسهم توصلوا للاسف الى نتائج خبيثة كان لها الاثر السيء في حياة الذين أخذوا تلك الآراء واعتصموا بتلك المبادىء ويعلم الكثيرون من اهل الاطلاع انهُ طغت على العالم العربي في اواسط القرن الماضي موجة عظيمة من امواج المادية فاكتسحت ممالك العرب من اقصاها الى اقصاها واغرقت كثيرين في عبابها واتصلت اطرافها بعد ذلك بقليل بالبلدان الشرقية فهوى كثيرون ايضاً في لججها ومن يعلم ما يكون من اخطارها المقبلة وعواقبها الوخيمة في مستقبل الايام

ولا غرو ان يكون الامر كذلك فان البشر كما يقول العلامه الفيلسوف الاميركي هِمْس « لا يزالون تحت تأثير المنظور اكثر من غير المنظور وانهم لأخذون بالمحسوس اكثر مما لا يقاس مما يأخذون بالمعقول »

لذلك لا يلام البعض من غير طلاب الحقائق اذا اقتصروا على القدر اليسير من المعرفة ولكن يلام فريق المثقفين وطلاب الحقائق الكاملة اذا وقفوا عند حد المادة ولم يتجاوزوه الى الالمام بما اقرهُ اقطاب الفلسفة ورجال العلم بهذا الصدد بعد جهود القرون وتفكير الدهور وان المراد بهذا البحث الاشارة الى كيفية تطور هذه الفكرة فكرة المادة والعقل والأدوار التي مرّت عليها منذ القديم الى يومنا هذا

معلوم ان فلاسفة اليونان ومنهم خاص الفيلسوف أريسطاطاليس كانوا قد قسموا عناصر الوجود الى قسمين عظيمين المادة والعقل وهذا هو مذهب التثنية الذي لا يزال يقول بهِ الفريق الاكبر من الفلاسفة الى يومنا هذا وهو يناقض مبدأ ديمقريطوس في الوحدة المادية وديمقريطوس هو ابو المادية وزعيم الفكرة التي لا يزال عليها الماديون حتى اليوم الاَّ ان فلاسفة اليونان لم يحددوا المادة والعقل تحديداً جليًّا ولا فصلوا بينهما على النحو الذي قام بهِ الفيلسوف الفرنسي ديكارت (١٥٩٦ — ١٦٥٠) ولهذا بقي الرأي القديم في المادة والعقل على شيء من الابهام الى ان قام ديكارت فحدَّد كلاًّ منهما وميَّز بينهما تمييزاً تامًّا اذ قال ان العقل يختلف اختلافاً كليًّا عن المادة بل هو نقيض المادة وليس ثمة اي مماثلة او مشابهة بينهما - ان خاصة الجسم المادي الامتداد وخاصة العقل التفكير وكلاهما مستقل بدائرتهِ الخاصة ولا يمكن ان تكون بينهما شيء من التفاعل او العلاقة السببية هذا هو رأي ديكارت على سبيل الاختصار الاَّ انهُ لا ينطبق في بعض وجوهه على الحقيقة الواقعة فالانسان اذا أراد تحريك يده مثلاً فانهُ يحركها في الوقت الذي يشاء وعلى الصورة التي يريدها فبها واضح ان شيئاً عقليًّا هو الارادة يفعل او يؤثر في جسم مادي هو اليد اذاً كيف يمكن وقوع مثل هذا الامر والعقلي والمادي شيئان متناقضان حتماً وليس من علاقة سببية بينهما بوجه من الوجوه ان هذا الامر أوقع ديكارت في حيرة عظيمة وكان مشكلة فلسفية ربما طويلاً وهي الحيرة التي جعلت فولتير يلقب نفسهُ احياناً بالفيلسوف الجاهل وكان يطربهُ ان يلقب نفسهُ كذلك وكثيراً ما كان يردد هذه العبارة ويراسل بها بعض اصدقائهِ من اهل الفلسفة مثل ديدرو وغيره وهي « ما قيمة هذه الفلسفة التي لا تستطيع ان تعلمني كيف او لماذا احرك يدي »

***

وقد حلل الفلاسفة من اتباع ديكارت مثل مالبرانس وغالنكس وغيرهما هذا الامر بطرق مختلفة أشهرها الطريقة المعروفة بطريقة التعادل Parallelism ومؤدَّى هذه الطريقة ان المادي والعقلي كلاًّ منهما في دائرتهِ الخاصة مستقلٌّ عن الآخر غير انهُ عند حدوث اي حركة في الدائرة الواحدة تحدث التأثير الذي يشاكلها في الدائرة الاخرى على سبيل التعادل ولكن لا على سبيل ان حركات الواحدة هي علة الاحساس او التأثير في الاخرى بل ان كليهما يحصلان معاً باتفاق لا نستطيع ادراكهُ

ويمكن تمثيل ذلك باستماع عدد من الاصوات الدائمة والمتوافقة معاً فانهُ يقوم لكل صوت عند الاستماع معنى خاص في الذهن فلا يعلل ذلك بان الاصوات هي التي احدثت المعاني اذ

لا يوجد اي شبه بين الحركة الصوتية والمعاني العقلية بل ان الاصوات والمعاني قامت في ذهن السامع معاً وذلك باتفاق غريب لا ندرك كنههُ وهذا هو المراد بنظرية التفاعل هذه

بيد ان اهل الفلسفة لم يستطيعوا الوقوف عند حدود هذه النظرية اذ انهُ مع الاعتراف والتسليم بنظرية ديكارت من انهُ لا يمكن وجود اي مشابهة في الماهية او في العمل بين المحرك او المؤثر المادي والعمل العقلي الاّ ان الصلة بينهما اكيدة وتأثير احدهما في الآخر لا يمكن نكرانهُ فالفكر يؤثر في حالة الجسم واحوال الجسم تؤثر كثيراً في الحالات الفكرية اذاً لا بد ان يكون هنالك علاقة معينة لا مندوحة من التسليم بها او مخرج مشترك بين الاثنين يفسر هذا التفاعل بينهما وهذه الصلة القوية التي تربط احدهما بالآخر وهذا ما ادى الى نظرية سبينوزا[1] الفيلسوف الهولندي صاحب المذهب الحلولي ( Pantheism ) وهي ان المادي والعقلي هما وجهان او مظهران للمادة الواحدة الاصلية العامة والتي ليست في ذاتها لا مادة ولا عقلاً وتؤدي نظرية سبينوزا هذه ان العقلي والمادي شيئان متلازمان متلاحمان حيث يوجد مادة فهناك عقل ايضاً فلا مادة بلا عقل ولا عقل بلا مادة وان هذه النظرية هي ذات شأن خطير في عالم الفلسفة وكثير من فلاسفة هذا العصر يرجعون اليها في معظم ابحاثهم وكانت هذه النظرية في العصر الاخير موضع خاص مذهب الفيلسوف الانكليزي هربرت سبنسر والفيلسوف الالماني فخنر

اما الفيلسوف لبنتز ( ١٦٤٦ — ١٧١٦ ) فيرى ان جواهر المادة ليست الاّ مراكز قوة او مجموع قوى متعددة اما اذا اردنا تعريف هذه القوى فقال انها روحية اكثر منها مادية لهذا فان لبنتز تغلب العنصر الروحي كثيراً على المادي وقد كانت نظريتهُ هذه دعامة قوية لاصحاب المبدأ الروحي في الفلسفة

***

ونطول بنا المقام اذا اردنا ان نعدد آراء كل من اهل الفلسفة بهذا الصدد ولكن نقول بوجه الاجمال ان الاتجاه الفلسفي بعد عصر ديكارت ولبنتز وسبنوزا قد كان في جهة المبدأ الروحي وكان مد احد هذا المبدأ بالتقدم على المادي منذ وضعت نظرية التفاعل المذكورة آنفاً فلم يعد ممكناً اعتبار القوة العقلية نتيجة من نتائج الحركة المادية او اثراً من آثارها كما يزعم اصحاب

(١) هو الفيلسوف الهولندي الشهير ( ١٦٣٢ — ١٦٧٧ ) صاحب مذهب الحلول المعروف باسمه Spinozism

الرأي المادي واستمرت هذه الفكرة في نمو وازدياد الى ان بلغ المذهب اوج سيادته في النصف الاول من القرن الماضي في فلسفة الفلاسفة الالمان من كانت الى هيجل وفختي وشوبنهور وكانت فلسفة هيجل وشلنغ نوع خاص فلسفة عقلية محضة (Absolute Idealism) أي القول بوجود العنصر الروحي فقط دون المادي في الوجود

***

واذ شئت هنا نظرية الفيلسوف الفرنسي فوييه ( A Fouillée ) ١٨٣٨ — ١٩١٢ وهو يريد بها التوفيق او الجمع بين الرأيين المادي والعقلي فانما نعبر عن رأي الكثيرين من اهل الفلسفة في هذا العصر الاخير

يقول فوييه ان الماديين يخطئون بزعمهم ان كل السرّ في الحركة المادية بصرف النظر عن العوامل الاخرى كما يخطىء العقليون بحملهم العقل الكل في الكل بقطع النظر عن العنصر المادي ان العقل والمادة او الحياة والوجدان يعملان معاً في الطبيعة كمبدإ واحد شامل وما هما الا وجهان او طريقان لادراك الشيء الواحد كالمعنى المفرد يدل عليه لفظان مترادفان وما التأثيرات او الانفعالات العقلية الا مظاهر او نتائج لعوامل حسية مادية فيًّا اما الوجود العقلي فهو الحقيقة الواحدة التي اعطي لنا ان ندركها مباشرة لهذا يحق لنا ان نفسر هذا الوجود على هذا النحو اي انهُ مظهر الحركة او النشاط العقلي او انهُ قوى فكرية فقط — Idées-forces

اما فريق الماديين فاذ كانوا لا يستطيعون التحول عن وحدتهم المادية لئلا ينقض مذهبهم من اساسهِ فقد زعموا ان العقل ليس سوى نتيجة الحركة المادية في الدماغ وهي افراز دقائقه وما الفكر الا وظيفة الدماغ كما ان الهضم وظيفة المعدة بيد ان جمهور الفلاسفة لا يعيرون هذا القول التافه ولا يحسبون لهُ قيمة فلسفية لانهم يرون ان زعماء هذا الرأي يعكسون الآية فيجعلون العقلي تابعاً للمادي بينما الامر على العكس من ذلك تماماً

***

أقول وليت أدباء هذه البلاد وأعني منهم الغارقين في لجج المادية يقتدون على الاقل بفلاسفة العالم فلا يحتمون ويجزمون بأمور هي فوق طاقة العقل البشري ان يبتّ فيها حكماً جازماً ولا أخالهم ينكرون ان هذا الاغراق في المادية لهُ عواقبهُ السيئة في الآداب والمبادىء والاخلاق ولعلهم يذّكرون

# أثر نيتشه

## في العصر الحاضر

---

لابراهيم ابراهيم يوسف

ما كاد يبلغ نيتشه سن الرابعة والأربعين عام ١٨٨٩ حتى انتابهُ خبل عجز الطب عن علاجه ولم يمهلهُ الله بعد ذلك الاّ قليلاً ليتوفاه وهكذا لم يتيسر لنيتشه ان يرى بنفسهِ مبلغ ما أحدثتهُ كتاباته من أثر شامل في التفكير الانساني ، الاّ انهُ ما كان ليشك لحظة مدى حياتهِ الخصبة في ان اليوم الذي يروج فيهِ تعاليمه آتٍ لا شكّ فيهِ ، على الرغم من ان معاصريهِ أساءوا فهمه وهزءا ابهُ ، فضى لذلك وقد عبر في مقطوعة من الشعر عن مرهف احساسهِ قال فيها

« انقضى عشرون عاماً — »

« ولما تصلني قطرة ماء ، »

« أو نسيم بلبل ، أو ندى حب ، »

« — بلد لا مطر فيها »

وكتب في شهر فبراير ١٨٨٨ «على الرغم من اني بلغت الخامسة والاربعين من العمر ولي نحو خمسة عشر مؤلفاً ، منها كتاب لامثيل لهُ هو «زرادشت» ( Zarathustra ) لم يقدم شخص في المانيا لنقدها نقداً لهُ أي اعتبار ، بل ولا لنقد كتاب واحد من كتبي »

وكابد نيتشه صعوبات جمة ليجد ناشراً يطبع لهُ الجزئين الثاني والثالث من كتاب «زرادشت» واضطرَّ لان يطبع أعداداً محدودة من الجزء الرابع على نفقته الخاصة ، بعد ان أحجم الناشرون عن قبولهِ اما اليوم فالمطابع في المانيا تخرج مئات آلاف النسخ من مؤلفاتهِ في كل عام ، علاوة عن خطاباتهِ التي نشرها في ستة اجزاء وكتبت شقيقته تاريخ حياته مفصلاً أروع تفصيل وظهرت مئات الكتب تبحث في شخصيته وماهية تعاليمه ، ونشرت الجرائد والمجلات مئات آلاف المقالات عنهُ - ذلك في المانيا وحدها التي نكرت لهُ من قبل

هذا ما لقيهُ نيتشه من تعدوفانه عن طريق الكتابه والكتب ، اما عن طريق الخطابة فقد كان جورج براندس (Georg Brandes) الناقد الدنماركي العظيم ومؤرخ الادب العالي اول من حاضر عن نيتشه محاضرات عامة ، وكان ذلك سنه ١٨٨٨ وما اقبل عام ١٨٩٥ حتى بدأت المحاضرات العامه عنهُ تعدد في مختلف البلاد الاّ ان المحاضرات الجامعيه عنهُ لم تلق في المدارس العاليه في المانيا الا سنة ١٨٩٥ ، حيث بدأها الاستاذ اليوس ريل (Alois Riehl) في جامعة فرايبورج (Freiburg) وسرعان ما نحت الجامعات الالمانيه هذا النحو ، حتى اصبحت المحاضرات عن نيتشه من المقررات الجامعية مند ثلاثين سنة او يزيد ولم يقف تيار هذه المحاضرات عند هذا الحد بل سرى في المانيا الى المدارس الشعبيه العليا (Volkshochschule) والمدارس الاهليه العليا (Freien Hochschulen)

كذلك ترجمت جميع اعماله لعدة سنين خلت مختلف لغات فرنسا وانجلترا وبولونيا وايطاليا واسبانيا واليونان والسويد والدنمارك وهولاندا وروسيا وتشكوسلافيا والمجر ورومانيا وبلغاريا واليابان وغيرها كما ظهرت في تلك البلاد كتب ومقالات لا حصر لها عن نيتشه كذلك اصبحت المحاضرات الجامعيه عنهُ في تلك البلاد امراً مألوفاً

***

اما مدى تطور الحركة التي اوجدها نيتشه فالرأي فيها منقسم الى وجهين، فاصحاب المذهب الاول يرون ان الحركة قد ماتت عنفوانها في حياة نتشه وهؤلاء ينظرون الى الحركة في شخص زعيمها واصحاب المذهب الآخر يؤمنون بان الحركة لم تبلغ بعد منتهاها، اذ الاثر الميق لتعاليم نيتشه الصحيحه لم يبدأ بالظهور في التفكير الانساني الاّ حديثاً وما من احد يوفر على درس ومتابعة اثر نيتشه في الاتجاهات الروحانيه والفنيه والثقافية والاجتماعيه لعصرنا الحاضر الاّ ويقر بان الحركة النتشيه ما زالت سائره في طريق التقدم المضطرد ونظرة واحدة الى عدد الدراسات العلميه الخاصة بابحاث في تعاليم نتشه ، تلك الدراسات التي تتزايد عاماً بعد عام في كل بلد من البلدان المتحضرة ، لدليل على تغلغل آرائهِ في المجتمع الانساني ولحسن الحظ أخذ في الذبان على توالي الزمن عدد الذين اساءوا فهم نيتشه فشوهوا تعاليمه ورموه بالغلطه والفظاظه ومن ثم تجلى الفلسفه نتشه كافضل مدافع ضد الاستهتار وجموح النفس التي لا تعرف لها رابطاً ولهذا كانت حملته ضد الانانيه والدانية والاثرة شديدة قاسية قسوة لاهوادة فيها — الى حد انهُ كان صارماً مريراً في تديره اذ يقول

« اتمنى للذين يرتاحون لدعوتي ان تنتابهم الآلام والامراض والمحن ويصابون بسوء المعامله

والحقير والأوغاد من الناس — امنى لهم احتقاراً نصيبهم في انفسهم ، وعذاباً ، ولائمة لعدم الثقة بهم ، وان لايحرموا من بؤس حالات طور الاضمحلال لهؤلاء لا أحمل عطفاً ، لاني اريد لهم شيئاً واحداً يثبت ان كان للشخص منهم قيمة او لا — هنا ندين القوة وقوة الصمد »

ولمثل هذا أسيء فهم نيتشه ، بل واشتهر سوء الفهم الى دوائر العلماء انفسهم فلم يفهموا اذ ذاك نتشه كناقد اخلاقي ، وداعية لمكارم الاخلاق ، افضل في سل هكبره الا ان افراداً قلائل ملكت دعوات نيتشه الروحية الحارة عليهم كل مشاعرهم ، فراحوا يعملون لها

***

وكان نيتشه قد رأى ان الاسس الروحيه للمجتمع قد اصابها الشقق وحل بها الانهيار وطرأ عليها العفن ، فناقش هذه الاسس البالية وطبيعة الحياة ومن ثم بدأ بالاستعداد لبناء ثقافة اساسية شامخة ، جديدة في كل نواحيها ، اساسها الاول كبح النفس دون هوادة ، وترويضها على اقسى حالات الحياة ، والخروج بها من ذاتيتها الى التسامي واساسها الثاني الاستعداد المطلق للتضحية من دون شرط لبلوغ الغاية — اي البطولة في أقوى مظاهرها وفي ذلك كله شعار الذين يعتقدون فيما بينهم وبين انفسهم انهم المطالبون باقامة هذا البناء الجديد ، معتقدين في ذلك بامامهم نيتشه ، الذي تمكن بحياة البطولة المدة التي عاشها ، ان يشق طريقه الى صفوف القلائل الذين اتوا للعالم بديانات جديدة ومهما يكن مركزنا من تعاليم نيتشه فهي على اي حال تحوي عوامل عامة في القوة لتربية خلقية جديدة

وليس هنا مجال التحدث عن كل ما انتجهُ سوء الفهم لتعاليم نيتشه من افكار تختلف بين الخطورة وعدمها الا ان تفسير « قوة الارادة لبلوغ السيطرة » ( Der Wille zur Macht ) تفسيراً خاطئاً جرَّ كثيراً من الويلات على الناس فقد فسرها مثلاً اعداء المانيا خلال الحرب العالمية بانها دعوة صريحة الى الحرب وغزو العالم واشركوا الفيلسوف نيتشه مع المستعمر السياسي تريتشكة ( Treitschke ) والقائد العسكري فون برناردي ( von Bernhardi ) كدليل على ان الالمان فلاسفتهم وساستهم وقوادهم الحربيين يعدون الحرب لامتلاك العالم والغريب ان المانيا الهتلرية اخذت اليوم عما اخذ به اعداء المانيا خلال الحرب العالمية ولم تتورع في الاساءة الى نيتشه باظهار تعاليمه على غير حقيقتها ولعل نتشه لم يترفع عما هو اخطر من هذه الدعوى واذاً « فالحاجة حقاً ماسة » — كما يقول الدكتور ماكس براون Dr. Max Brahn في مقدمة وضعها لكتاب « قوة الارادة لبلوغ السيطرة » لمؤلفه نيتشه — « لكي نشير الى انهُ ليس من المقصود هنا القوة الظاهرية التي تتجلى في ادوات الحرب ، بل هي القوة الباطنية للنفس

البشريه ، تلك القوة الهائلة التي تأبى الاَّ ان تزايد ، ومن ثم توسع في سيطرتها ولا تمل في سحة شجاعتها التي تتشعب قوية ثم تدفع بعظمة فتحد قوتها في سيطرتها على نفسها وفي اداء واجباتها نحو الآخرين »

ولنطرح تلك الدعاوى السخيفة التي ارادوا ان يلصقوها بنتشه جانباً لنفقد اثره في الفكر الانساني ، سواء كانت ميادين هذا التفكير تشمل المسائل الفلسفية او الثقافية او الفنية او المسائل العلمية العامة وسواء كانت المشكلة هي مشكلة العلم أو التربية او الحركة النسائية او قانون الاقتصاد او المشكلة الاشتراكية — فكل هذه وغيرها من الامور نجدها الماً كموناً على دراسة نيتشه واضحة في كتاباته ولعل الاستاذ دكتور ورنر يجر ( Prof Dr Werner Jaeger ) قد افصح غاية الافصاح عن معالم تفكير نتشه في محاضرة له تكلم فيها عن « عمل الجامعة وموقفها من العصر الحاضر » فذكر فيها « اما فيما يخص نشأة تاريخ العلوم العقليه وتطورها اللغوي فان شأنها يزداد على توالي الايام »

ولا حاجة لمعالجة كل مسألة على حدة ، اذ يكفي ذكر اسم نتشه الذي لم يكن فيلسوفاً بالمعنى المدرسي القديم ، بل كان فيض بالحكمة لما كان عليهِ من قوة التنبؤ ، نظراً لالمامهِ بكل نواحي الفكر العملي لتاريخ العالم ، وخاصة المامه بكنوز الثقافات الاوروبية

ومع ان نتشه نشأ خلال العصر اللغوي الكلاسيكي ، فانهُ ارجح اول هادم عظيم اصيب به العصر اللغوي والعصر التاريخي الى الفلسفة المدرسية ، التي كانت لا تعرف قيم الاشياء الاّ عن طريق المعارف الصماء ، لا عن طريق التفسير والافصاح لاساليب الحياة الواقعية اثناء تطورها التاريخي وقواها فلما ان تبدل الرأي وتبدلت طريقة النظر الى الامور وهي الحال تغيير مقاييس الاشياء وموازينها ، وتبدل تبعاً لذلك الحكم على الاشياء وتقديرها ومن ثم بدىء بالنظر الى حوادث التاريخ والى الفن والادب من زاوية جديدة ويكفي ذكر اسم الفيلسوف « اسفالد اشبنجلر ( Oswald Spengler ) صاحب كتاب « سقوط الغرب » ( Untergang des Abendlandes ) لنعرف مبلغ أثر نيتشه في العصر الحاضر وما كان التفكير لنعود اشبنجلر الى مؤلفه الذى اثار بهِ صخباً في عالم الفكر لو لم يحرص على اقتفاء خطوات استاذه وامامه نيتشه

ولعل احصاء ما لنتشه من آثار في مختلف نواحي الفكر الانساني يستلزم استيفائها في مجلد ضخم ولهذا يجمل بنا ان نكتفي هنا بالاشارة الى بعضها فمن المشاهد ان العالم اليوم يتجه رأساً نحو المسائل الاجتماعية ، حتى اصبحت « مشكلة حياة الجماعة » لدى كل الشعوب المتحضرة رأس المسائل ولا عجب ان تكون هذه اكثر المسائل تناولاً بالبحث ، واغناها بوفرة الدين

يتنافسون في دراستها ويتهافتون على استعمالها ، كيما يتمكنوا من تفسيرها ، وحلها ، والادلاء برأي في تكوينها ، وتصويب صحيحها او تخطيئه ، وحصر عوامل نشأتها ، وشروط تطورها وبالانحصار بتحديد اصول الحياة الاجتماعية والتطورات الاجتماعية عامة واعراضها ولقد نجد فيما اصدره ناشر اعمال نيتشه تحت عنوان « كلمات نيتشه عن الدول والشعوب » ( Nietzsche-Woerten ueber Staaten und ) كل الآراء التي سطرها نيتشه في مؤلفاته في هذا الموضوع الخطير ويرجع فضل جمعها الى شقيقة الفيلسوف التي بقت زهاء ثلاثين عاماً توالي درس نيتشه من جميع نواحيه ولم يعد الامر مقتصراً اليوم على الاخصائيين في معرفتهم ان الفضل في تقدم علم النفس ( السيكولوجيا Psycolohgie ) وعلى الاخص « علم التحليل » النفساني على طريقة فرويد Freud Psychoanalyse راجع الى نيتشه ، الذي تمكن من العثور على نفائس هذا العلم اثناء بحثه عن الروح دون ملل ، وأثناء ارتياده « العالم السفلي للارواح وانصافاً للعلم لا بدَّ من القول بأن فرويد ( Freud ) تعد وريث نيتشه الأوحد، وان الفرد آدلر ( Alfied Adler ) ، وهو صاحب مذهب في علم النفس احد تلاميذه النجباء فقد رأى نيتشه في كتابه « قوة الارادة للوع السيطرة » صوراً خالدة في عالم الارواح

والى جانب هذا يزداد في كل يوم الدليل قوة على ان حركات الشباب بما فيها من طموح الى تكوين الشخصية العملية ، أخذت تعرف بنيتشه كداعية لهذه الحركات ان لم يكن بطلها وقائدها فهو الذي وجه من استفاده مذ نصف قرن او يزيد الى طرق التربية ورأى ان الحاجة تدعو الى ضم الشباب وحشدهم في أتون واحد بدلاً من تشتتهم في هيئات مختلفة ولقد أخذ بهذا الرأي اخيراً في بلاد مختلفة ذات نزعات فكرية متباينة ولسنا هنا في صدد بحث اختلاف اتجاه الشباب في مختلف الشعوب فذلك موضوع آخر

***

واخيراً يصح لنا ان نتساءل كيف يمكن عقل شخص فرد من الاحاطة بكل هذه الافكار الخصبة خلال وقت قصير ؟

قد يكون هذا السؤال من صميم علم النفس في فصل الحدث عن العبقرية والعباقرة ، الاَّ انهُ لا يصيرنا الاحتمال في الاجابة بأنهُ ليس كل الفضل في اباحة هذا يقتصر على قوة التفكير الحاد الذي يسر لنيتشه الانتاج القيم في نواحي عدة من التفكير ، بل تعدو هذه القوة قوة اخرى هي قوة حيوية الروحانية الباطنة ، التي جعلتهُ يتشبث بالحياة ليطوي في ثنايا نفسه كل احتمالات الفكر والاحساس البشري ، ليبعث بها من جديد في حرارة وقوة ايمان تأخذ بالعقول والانظار

من الادب الروسي

# المعطف ...!

**للكاتب الشهير نيقولاي جوجل**

**1809—1852**

**نقلها كامل محمود حبيب**

هو كاتب مغمور في احد دواوين الحكومة لم يحبه الله بميزة خاصة ، فهو قصير ، احمر الشعر ، ضعيف البصر ، أصلع ، منقبض الوجنات ، ممتقع اللون . ذلك هو اكاكي أكاكفتش الذي لا يعلم أحد متى عين في وظيفته ولا كيف كان ذلك . لقد كان ذلك منذ زمان حتى ليخيل الى الناس ان هذا الرجل قد خلق — منذ أن كان — في هيئته وجلسته وعمله . وكان الحجاب والخدم ينظرون اليه كما ينظرون الى ذبابة تسقط في الهواء فلا يعبأون به ، وكان الرؤساء يصبون عليه كثيراً من الظلم الهادىء في غير رفق وهو راض ، والمساعدون يلقون أمامه حزم الاوراق قائلين « حضر هذه من فضلك ! » أو « هاك عملا مسلياً ! » أو فيشير هو هذه الاوراق أمامه دائماً لا يرفع عنها بصره ، ثم يندفع في عمله . وكان الشبان من زملائه يهزأون به ويتندرون عليه ، ثم هم يتناولونه بالأقاصيص المضحكة ، يقصونها أمامه ومن خلفه في تبجح ، فيقولون « ان صاحبة الدار العجوز تضربه ، وهو يحبها وسيتزوج منها » ثم يسألونه عن يوم الزفاف ، ويقذفونه بقطع من الورق أو بعض حبات الارز وهو في مكانه صامت لا يتألم ولا يتململ ولا يغضب كأن الحديث لا يعنيه . لم يكن هذا ولا غير هذا ليحول بين أكاكي وبين أن يندفع في عمله لا يتلبد ولا يخطىء . وحين يحدثه أحد الماجنين من ذراعه لا يزيد على ان يقول « دعني وحيداً ! لماذا تريد ان تزعجني ؟ » يقولها في رنات تبعث في النفس الالم والشفقة ، والعطف في وقت معاً .

لم يكن أكاكي أكاكفتش مثلا أعلى من أمثلة الجد في العمل والدأب والنشاط فحسب ، بل كان عاشقاً لما يعمل . فهذه الأوراق التي تبعث في روح الكتاب السأم والملل كانت تفتح أمام عينيه دنيا ... دنيا جميلة مفعمة باللذاذات . وكان حين يجلس الى عمله ، يرتسم على وجهه أثر السرور والغبطة ، فهو يبتسم حيناً وحيناً يغمض عينيه ويحرك شفتيه حتى يستطيع الناظر اليه أن ينبىء بعض

ما يكتب . وقضى أكاكي عمره مغموراً بين أوراقه لا يتحول ولا يترقى ولا يكافأ وأراد أحد رؤسائه - ذات مرة - أن يرفعهُ فوق مرتبته ، فبعث اليهِ بوثائق يحلل منها فلمه ، فارتبك وأجهده العمل ، فردّها قائلاً « ألا تعطيني بعض الوثائق لأنسخها ؟ » فما كان له أن يحسن عملاً غير هذا وهكذا كُتب عليهِ أن يظل في عمله الاول ما عاش

وسيطر على أكاكي حبهُ لما يعمل فشغله عما عداه فأهمل ملابسه فلقد حال لون بدلتهِ الخضراء الى آخر أربد رديّ ، و (رقبةُ) القميص المحمص تبدو خلالهُ رقبته طويلة رفيعة مضحكة ، وسترته قد تناثرت عليها أعواد القش وقطع الخيط هنا وهنا ، ثم هو لكثرة ما يضرب في الارض على غير هدى تسقط عليهِ الفضلات الملقاة من النوافذ فلا يزيلها، فتلصق بنفسه وملابسهِ وكان هو على غير ما اطلع عليهِ زملاؤه ، فهم كانوا يحدّقون فيما يرون يلتمسون فيهِ لذة ومتعة ، أما هو فكان شارد البصر لا تثبتهُ على شيء وأمام عينيهِ — وهو في طريقه — ورقة من اوراقه ما برح مشغوفاً يريد ان ينسخها فلا يحس انهُ في عرض الطريق الا حين يشعر بانفاس حصان قوية تداعب وجههُ وحين يخلو الى نفسهِ في حجرتهِ ، يجلس الى طعامهِ فيلتهم الحساء وقطعة اللحم وأخرى من البصل لا يذب عنها الذباب او البعوض او مما يتهافت على مثل هذا الطعام القذر ، ثم هو لا تشغلهُ نوع الطعام ولا جودة الطهي ، ثم يقوم الى بعض وثائق يكتبها ، فان لم يجد فهو يكتب لنفسهِ وثيقة من نوع ما كتب في نهاره

وحين تنقشع غيوم سانت بطرسبرج وتبدو السماء زرقاء جميلة ، يخرج كل موظف يتناول عشاءه كلٌّ يقدر سعته ، وينتاب كل عامل الاستجمام ، فينطلق الجميع ينهبون اللذات يرجون بها فراغهم فهذا الى ملهى ، وهذا الى الطرقات ، وهذا الى جماعة من صحابه يتبادلون القيل أو يلعبون الورق او يملأون الدنيا ضجيجاً ، حين ينطلق كل هؤلاءِ الى التسلية والمرح تجد اكاكي اكاكيفتش جالساً في حجرته ينسخ ورقة ثم ثم يذهب الى فراشه وهو يقول « ترى ماذا أكتب غداً ؟ » تلك حياة رجل قنع بدريهمات ضئيلة تسد رمقه ثم هو لا يملك غيرها

***

وفي سانت بطرسبرج عدوٌّ لدود لكل رجل لا يبلغ دخله اربعمائة روبل في السنة ، ذلك هو الجليد المتساقط من الشمال هذا ولو ان كثيراً من الشبان يقولون انهُ صحّي وفي الساعة الثامنة صباحاً حين يهرع كل موظف الى عمله يكون البرد قارساً فينطلقون الى دواوينهم مهرولين وقد تلففوا في معاطفهم ، ثم هم يدفئون أرجلهم في حجرة البواب أحس اكاكي اكاكيفتش — هذا الصباح — ان البرد ينصب انصباباً على كتفيه وظهره وهو يسرع الى عمله، فتراءى لهُ ان يدا الى ما قد تمات في معطفهِ، وراح يتحسسهُ فوجد بهِ ثقوباً عند الكتفين والظهر لقد كان معطفه

هذا مادة سخرية وهزء بين رفاقه، فهدءاً رفقهُ يمعن رويداً رويداً الا انهُ يجري، منهُ ليرفع ثوباً هنا وهنا رقيعاً مهملاً وفي غير دقة وحين رأى اكاكي من معطفه ما رأى بدا له أن يعطيه الى بتروفتش الخياط وهو أعور دميم الخلق يدر عليه عمله ارباحاً ضئيلة لانهُ يصلح سراويل كثير من فقراء الموظفين وصغارهم، وهو سكير عربيد، يفرط في السكر في ايام الآحاد والاعياد حتى يذهل عن نفسهِ

وانطلق اكاكي الى بتروفتش وهو يحدث نفسه « ترى كم يريد مني بتروفتش؟ لن ادفع اكثر من روبلين ! » لقد كان الباب مفتوحاً وزوجة بتروفتش تطهي سمكاً وقد انبعث الدخان فانعقد سحباً كثيفة في نواحي المطبخ، وأظلم المكان، ومرّ اكاكي في صمت فما شعرت به المرأة، وأزعج الرجل ان يرى بتروفتش مضطرباً حرساً وهو كان يأمل ان يراه هادئاً منتشياً لينال منهُ مأرباً انهُ حين يكون كذلك يمعن في السهولة والتسامح فلا يطلب ثمناً، ثم هو ينحني امام زبائنه ثم يشكرهم رغم ما يبدو على وجه زوجتهِ من غضب، ان كانت هناك واراد اكاكي ان ينكص على عقبيهِ غير ان بتروفتش كان قد سدد اليه نظره، فقال « نعم مساء يا بتروفتش؟» قال « نعم مساء، سيدي ! » قال « لقد أتيتُ » واضطرب لسانه فما استطاع ان يتم حديثه، فقال بتروفتش « لنرى » وأخذ يقلب المعطف بين يديه في امعان وأكاكي يقول « لقد أتيتُ، يا بتروفتش المعطف العماش — كما ترى — متين ان الاقدار التي راكمت عليهِ تركتهُ يبدو بالياً ولكنهُ متين هو ممزق عند الكمين والظهر » ما زال بتروفتش يفحص المعطف ويهزّ رأسه، ثم تناول حقة السعوط ليشق بعض ما فيها وقد القى المعطف جانباً ونشر الخياط المعطف على عينيه مرة اخرى ثم القاه ليتنشق ثانيه قليلا من السعوط وهو يقول « لقد بلي القماش تماماً » واستشعر أكاكي شدة الصدمة في قلبه « بتروفتش، لماذا؟ انه ثقب صغير عند الكتف لا إخالك تعجز عن ان تجد قطعة » قال الآخر في هدوء « عندي قطع كثيرة غير ان القماش لا يحتمل الترقيع » قال « ولكنك تستطيع ! » وأصرّ بتروفتش « ان هذا القماش تعصف به الريح العاصفة اذا هبت عليهِ »

واستعطفهُ أكاكي « انك تستطيع، يا بتروفتش » قال « مستحيل، لا يمكن واذا جاء الشتاء مزّقهُ قطعاً تعطي بها رجليك فأن الجوارب التي جاء بها الالمان الى بلادنا ليسلبونا من كثير من مالنا لا تدفيء، اما المعطف فلا بد ان تشتري آخر جديداً »

وظلت الكلمة الاخيرة « جديداً » تضطرب في عيني أكاكي وقد امحى كل ما أمامهُ سوى حق السعوط وقد رسمت على غطائه صورة قائد عظيم، الصقت الى جانبها قطعة من الورق وانطلق يهذي « جديد؟ انا لا أملك شيئاً، واذا كان لا بد، فكم » قال بتروفتش « مائة وخمسون » ثم ضغط على شفتيهِ وحدق الى الرجل الذاهل امامهُ بصره ليستشف

اثر هذه الكلمات في نفسه وصاح اكاكي في فزع « مائة روبل وخمسون ثمناً لمعطف ! »
لقد صاح صاح اكاكي المسكين لاول مرة في حياته، لقد خرج عن هدوئه حين افزعته
الصدمة فأجاب بتروفتش « نعم ، ولا اقل من ذلك ، وتوقع أرقى يكلفك مائتي روبل »
قال الرجل « بتروفتش ، ارجو ان تبذل جهدك فأعش تعطي هذا ثمناً » قال « لا فائدة
اعمل واذ جر ! » خرج اكاكي خرساً وبتروفتش جالس يتبسم لانه استطاع ان لا ينزل عن رأيه

***

سار اكاكي مأخوذ اللب ، مشترك الخاطر، مملخ العقل ، يحدث نفسه « هذا حمل ، حقاً ،
انا لم افكر في انهُ يكلفني كيف ؟ أهذه هي النهاية ؟ عجباً ! » ثم صمت برهة واندفع
« عجباً ! من يستطيع ان يفكر ؟ اي حادث هذا ؟ » واختلط عليه الامر فما سار الى
داره وبينا هو يضرب في الارض ذاهلا انحط عليه دخان مدخنة ، ثم قذف عليه مكمل من
الجص من منزل يهدم ، وماكان هو ليشعر بهذا لولا ان الشرطي هجم عليه بالفاظ قاسية ردت اليه
بعض عقله ، فرأى ما حل به،فانطلق مسرعاً الى داره هنا في هذه الحجرة المظلمة استطاع
ان ينشر على عينيه جملة حاله في هدوء ومنطق،فراح يحدث نفسه « انا لااستطيع ان اقنع
بتروفتش اليوم بما يجب ان يكون انهُ لعل زوجته قد قست عليه وسأذهب اليه يوم
الاحد ، بعد مساء السبت العابث ، سيكون ثملاً ، لا هو بالنائم ولا هو بالمستيقظ ، ثم هو يكون
في حاجة الى درهمات يشتري بها قدحاً من خمر ، وزوجتهُ تأبى عليه ذلك » وفي يوم الاحد
التالي انطلق اكاكي يرقب دار بيتروفتش عن كثب، وحين رأى زوجتهُ تغادر الدار، ذهب هو الى
بتروفتش ليراه ثملاً عبر انهُ استطاع ان يذكر ما يريد صاحبهُ « ألا تستطيع ؟ يجب ان تشتري
آخر جديداً » فوضع اكاكي في يد صاحبه بعض درهمات ، فقال هذا « شكراً لك ياسيدي
سأشرب بصحتك ، لا ترعجك امر المعطف سأصنع لك معطفاً جديداً ، انت تستطيع ان
تطمئن الى ذلك ، سأبذل جهدي سيكون معطفك الجديد من أحدث طراز »
وطرب أكاكي لما سمع ، ولكن انى له المال ؟ لقد ادخر اربعين روبلاً في سنوات ،
فكيف يدفع ثمن المعطف وهو يحتاج الى سراويل جديدة وثلاثة قمصان ، والحذاء من ورائه
يتبعهُ يريد منه دَيناً قديماً ماذا تفيد الدريهمات القليلة التي ادخرها ؟ وانتهى بعد حين الى امر
سيخفض من نفقاته مدى سنة فألغى شاي المساء ، واستغنى عن الشمع، فاذا اضطر الى عمل في الليل
انطلق الى صاحبة الدار يعمل ما يريد على ضوء مصباحها ، وهو يسير على اطراف اصابعه خشية ان
يبلى الحذاء ؟ ثم هو يخلع ملابسهُ الداخلية عند النوم لتظل نظيفة فيدخر ماكان ينفقهُ في غسيلها
وشق هذا على نفس الرجل — بادىء الامر — ثم خف رويداً رويداً ، واستطاع ان

يقضي بعض الليالي طاوياً ، ثم هو يبدو مسروراً طروباً كأن صديقاً يرافقهُ يسرّي عنهُ بعض ما يؤلمهُ — ذلك هو خيال المعطف الجديد وترقرق ماء الحياة في وجهه لأنهُ اصبح يرمي الى غرض جميل في الحياة — ذلك هو المعطف الجديد وتوارى الشك والاضطراب من دنياه لتطوف برأسهِ الافكار السارة ، تبعث في نفسهِ النشوة والطرب ، وتلمع بها عيناه — وشعلتهُ الفكرة فأخطأ بعض مرة فيما نكتب، ولكنهُ كان يرتد الى خطيئته يصلحهُ وهو يقول « اوه ! » ثم هو يختلف الى ستروفتش كل شهر مرة يحدثهُ حديث المعطف — ومرت الايام سراعاً تحمل له على جناحيها بشرى — بشرى جميلة لقد زاد راتبهُ عشرين روبلاً — أكان ما عمل الرئيس عن علم بما هو فيه ، أم هي المصادفة الجميلة ؟ ومهما يكن الامر من شيء ، فهو الآن يستطيع ان يستحث الخائط حين يدفع له شيئاً — وبعد اسبوعين احضر بتروفتش المعطف الجديد — ما أجمل ذلك الصباح الذي رأى فيه أكاكي معطفهُ الجديد ! لقد كان البرد لاذعاً ، والسحب تتكاثف بشيء بامتلاء عظيم — وأثبت بتروفتش بما صنع — انهُ خياط ماهر يستطيع ان يحيك فيجيد كما انهُ يستطيع ان يرتق فيحسن ، ثم ألقى المعطف على كتفي أكاكي وهو يبسم ابتسام الظافر ويقول « ما أجمل ، ما أجمل ! » وحين استقر المعطف على كتفي أكاكي دفع عشرين روبلا وانطلق الى عمله يردد نظره في المعطف بين كل خطوتين وهو يبسم في قناعة ورضا لانهُ احس بالدفء والغبطة في وقت معاً ، اما بتروفتش فقد تبعهُ عن كثب يستمع بلذة النظر الى صنعهِ التي رفعتهُ من رأتق مهين الى خائط ماهر — وبلغ أكاكي ديوانه فخلع المعطف وأعطاه للبواب وهو يوسعه ويحذره — وما لبث الخبر ان دوى بين زملائه فاندفعوا يهنئونهُ وهو يشكرهم ويبسم لما يقولون ، وتقاطروا عليه فبدت عليه الحيرة فما استطاع ان يقول شيئاً — واشتملهُ زميل قائلا لا بأس ، اني ادعوكم الليلة الى منزلي احتفاءً بمعطف أكاكي الجديد ، ويحسن ان يكون هذا اليوم هو عيد ميلادي

***

وحاول أكاكي الامتناع فأراده اصحابه على ان يذعن ، وشعر هو حين وجد الفرصة تسنح فيستطيع ان يرفل في معطفهِ الجديد هذا المساء بين زملائه — وحين احس بهِ حجرته أخذ يلتهم طعامه وهو يقلب نظره بين معطفه الجديد ومعطفه القديم ويبسم — لم يجلس بعدهذا — الى اوراقه يحررها ، ولكنهُ استلقى على فراشه ينتظر المساء — وحان الموعد فانطلق يقطع طرق الناحية التي يسكن فيها وهي ضيقة مظلمة قذرة ، وحين اقترب من دار صاحبهِ رأى الحياة تدب في العالم — فالطرقات واسعة تسطع في نواحيها الانوار ، والناس يمشون ويذهبون في نشاط ، والعربات تنطلق هنا وهنا ، فراح يحدّق في كل شيء في دهشة : فهو لم يرَ شيئاً من

هذا منذ سنوات والى دار صاحبة جميلة سطعت منها الاضواء ، وولج الردهة الواسعة المزدانة فاختلطت الاصوات في مسمعيه ، ورأى الخادم منطلق من الحجرة المجاورة يحمل الاقداح الفارغة ، فعلم ان رفاقه قد تناولوا اول اقداح الشاي واستطاع اكاكي — وقد ادهشه ما رأى ان يخلع معطفه ويضعه بهدوء على المشجب ، ثم هو يدلف الى الحجرة ليرى صحابه في ضجيجهم ومرحهم ، وليرى الشموع مسأرة حول نضد الورق فيقف مضطرباً واحس صاحب الدار بالزائر يدلف الى الحجرة فانطلق اليه يحييه ويلتمس له مكاناً فالتفت الجمع يرحبون به ، ثم ما لبثوا ان عكفوا على ورقهم وهو يتأمل فيما يصنعون ومرت الساعات فسرى التعب في مفاصله ليتركه نائماً او كالنائم واراد ان يخرج فاضطره رفاقه ان ينتظر ليتناول قدحاً او قدحين من (الشمبانيا) فأذعن والزمن يمر وحتى ان تغلظ عليه صاحبة الدار في اللوم فانسلّ من بين صحابه يطلب المعطف ، ثم انطلق

لقد ابدأت الحياة تنفض احلامها في هذا الحي الصاخب وهو يسير ويئيد الخطو نشوان ثم ما لبث ان هبط ناحية ماتت فيها الحياة فلا هو يرى ضوءاً ، ولا هو يرى انساناً ويبدأ الظلام في عينه اسود مظلماً وقد نشر الضباب جناحيه ليزيد الظلام حلوكة ورأى — وهو يعبر ميداناً هناك — بصيص نور مصباح الشرطي كأنهُ في اقصى الارض وهو على بضع خطوات منهُ وتراءى له — وقد اضطربت اعصابه وزلزله الرعب — ان يغمض عينيه وهو يعبر الميدان ، وحين فتحهما ليرى مكانه من نهاية الميدان وجد امامه رجالاً ينصبون يضربون منهُ فزع ، غير ان واحداً منهم انقضّ عليهِ وهو يقول « هذا معطفي ! » واراد ان يستصرخ الشرطي فكممه آخر باحدى يديهِ وهو يقول « افتستطيع ان تفعل ؟ » واحس اكاكي بالمعطف ينساب منهُ ، وشعر بركله تدحرجهُ على الثلج في قسوة فتفقده صوابه وحين افاق استشعر لذع البرد في جسمهِ فأيقن انهُ قد فقد معطفهُ الى الابد فصاح ولكن صوتهُ المبحوح ما كان ليصل الى ادنى الشرطي الواقف هناك ، فانطلق هو اليهِ مغيظاً يغلظ لهُ في القول على ان يسلب معطفه وهو نائم على بضع خطوات منهُ واجابهُ الشرطي في هدوء « انا لم ارَ غير اثنين يمران قريباً منك ظننتهما بعض اصدقائك وانا لا استطيع ان اساعدك فلتذهب في صباح الغد الى الضابط لعلهُ يستطيع ان يجد لك معطفك ! »

وبلغ اكاكي منزله مهموماً يضطرب وقد تشعث واغبرّ ووقع نظر صاحبة الدار عليه ففزعت مما رأت ثم راحت تسألهُ فانطلق هو يحدثها حديث المعطف المفقود ، فنصحتهُ بأن يلجأ الى مفتش عرفتهُ نشطاً يقظاً وهو يستطيع ما لا يستطيعه الشرطي والضابط معاً ، ووجد هو فيما قالت حلاً لما اضطرب في خياله ، ولكنهُ قضى ليله قلقاً يتقلب في فراشهِ ما يهدأ ولا يستقر ثم بكّر الى المفتش فألفاه ما يزال نائماً ، وعند الحادية عشرة وجده قد غادر المنزل ، وعند الغداء

اراد ان يرى المفتش فمنع ، وكان صبره قد نفد فاندفع هائجاً يقول انهُ قد جاء من لدن أحد الدواوين الاميرية في امر خاص ولا بد ان يرى المفتش هناك جلس بعض وقته المعطف المسلوب وبدل ان يفي المفتش بامره راح يسألهُ « لماذا تأخرت في الرجوع الى دارك؟ هل كان المنزل الذي قضيت فيه ليلتك سيء السمعة ؟ » واضطرب اكاكي لما رأى من اهمال امره فخرج من لدن المفتش لايدري ماذا ؟ لقد غاب عن عمله لأول مرة في حياته وفي اليوم التالي بدا في معطفه القديم جرساً ممتقع اللون ، رزيّ الهيئة

ولست قصة المعطف المسلوب قلب كل زميل له في شدة وعطف ، وان كان بعضهم قد خرج عن اساليبه حيناً فتندر عليه ثم اجمعوا امرهم على ان يخرجوا جمعاً لاكاكي عن بعض مالهم وهزّت الشفقة واحداً منهم فراح ينصح له ألاّ يركن الى الشرطة والاّ تطمئن الى وعودهم فهم لا يستطيعون شيئاً ، غير انهُ يستطيع أن يلتمس المعونة عند رجل عظيم سماه له عظيم من عظماء المدينة لا نستطيع ان نقول باسمه او ان نشير الى مركزه ، وكل ما نستطيع ان نقوله إنهُ عظيم درج في مناصب الدولة إنهُ يستطيع ان يساعد المسكين عبر ان منصبه

قد ظن الرجل ان مظهر العظمة هو العظمة ، فيريد الناس على احترامه ويضطر مرؤوسيه ان يحيوه في خضوع وذلة ثم هو لا يسمح لمظلوم ان يلج حجرته او ان يرفع اليه شكاته دون واسطة ليبدو في الاعين عظيماً ويسري العدوى فيمن هو اول منهُ فيقلده فيصبح العمل صورة من عمل ، ويذهب الضعيف ضحية العظمة الكاذبة وهكذا اراد صاحبنا ان يبدو عظيماً فقسا وقسا القسوة الجامحة العمياء ، فساد عمله جوٌّ من القسوة لبلد الملاق والخداع في رؤوس مرؤوسيه وعلمهم حين سكن الرعب في قلوبهم ، فهم اذا رأوه بدا ... في ذلة وخضوع يحيونهُ ويملقونهُ ، فاذا ... ماكان لبدأ يحدثه الا بالفاظ جافة ... « كيف تجرؤ ؟ أتعلم من هو الذي ... أتدري من هو الرجل الذي يقف امامه ؟ » لقد كان ... على اصحابه ويحس اليهم غير ان منصبه ( العظيم ) قد عصف باسابيعه واريحيته ... لا يعدو عن ان يكون رجلا ، وهو بين رؤسائه ومن يرفعون عنهُ درجة واحدة ... لا يستطيع ان ينطق حرفاً ... وهنا فقط هو رجل ضعيف ... يستثير الشفقة والرحمة في القلوب الصلبة لقد كانت نفسهُ تحدثهُ بأن يندفع في الحديث وان يمشي المجتمعات ... عنها بعض ما يناله من عناء العمل ، ولكنهُ كان يخشى ان بعض من هيبته فيصمت ويستكين ... في داره لهذا ولهذا وحده بدا فيه الرجل الصعب الشديد

هذا هو الرجل العظيم في بلادنا ،ولمثل هذا الرجل انطلق اكاكي يطلب الانصاف والعدل

لقد وجده في حجرته يجلس الى صديق قديم يحدثه، فطلب الاذن بالمثول بين يديه ليقص امامه جملة حاله، وحين علم العظيم طرفاً من امره، قال «من يكون هذا ؟» قال الحاجب «هو موظف في احد دواوين الحكومة يا سيدي» قال القائد العظيم «فلينتظر، فانا لا أقابل احداً الآن» لقد كذب الرجل العظيم فهذه هي الساعة التي يستطيع ان يقابل فيها هذا الرجل المسكين وغيره. ولبث المسكين طويلاً ينتظر ودخل كاتم سر القائد العظيم يتأبط حزماً من الورق، فقال لهُ «ان كان ثمة منتظر هناك، فدعهُ يدخل» وحين وقع بصره على أكاكي قال له في قسوة «ماذا تريد ؟» وبدا اكاكي الجبان، جباناً بعيد فما استطاع ان ينشر القصة الا في صعوبة. وتمثلت الاهانة والاستهتار في عيني القائد العظيم يحملان اليهِ على لسان رجل ضعيف جاء يحمل شكاته ويستعينهُ على امر اهمهُ، فقال في غلظة وجفاء «سيدي، الا تعلم الطريق الذي يجب ان تسلكهُ لتبلغ ما تريد ؟ لماذا جئت تنشر قصتك امامي مباشرة ؟ الا تعلم ان شكاتك لا بد ان تقدم اولاً الى رئيس الكتبة، ومنهُ الى رئيس العمل، ومنهُ الى كاتم سري، وفي النهاية تصل اليّ ؟» واستطاع اكاكي ان يتماسك «لقد آثرت ياسيدي — ان اعرض عليك امري دونهم لأنك وحدك تستطيع ان تعطف علي، اما هؤلاء جميعاً فهم هم اناس لا غناء فيهم !» قال العظيم في غيظ وحدة «ما ذا ؟ ما ذا تقول ؟ أَلمثل هذا أنت؟ انى لك هذه الخواطر ؟ أهذه، العين ينظرون، انهم صغار الناس، الى رؤسائكم» واستمر في ثورته «أتعلم من هو الذي يحدثك ؟ أتعرف تماماً الرجل الذي تقف أنت أمامه ؟» ثم دق الارض برجله في شدة وكانت كلمات الرجل كأنما تصفعهُ هنا وهنا فذهل فزعاً يكاد يهوي الى الارض لولا ان حملهُ البواب في ذهوله الى خارج الحجرة. وابتسم القائد العظيم لما احدثتهُ كلماته القاسية من أثر في نفس المسكين، وابتسم مرة اخرى حين رأى سمات الرعب تبدو على وجه صاحبه الجالس الى جانبهِ. هذه هي العظمة في رأس العظيم الأحمق

لقد سقطت كلمات العظيم على اكاكي المسكين رجوماً رجوماً فقدته رشده، ولكنهُ استطاع، بعد لأي، ان يتكوء في طريقه الى الدار مستنداً الى جدار والرياح تناوحهُ رياح سانت بطرسبرج الباردة، فما بلغ الدار الا وقد اصابهُ المغص وآداد البرد فانطرح على فراشهِ لا يعي واشتدت وطأة المرض فانقلب حمى راحته تعرك الرجل عركاً، وجو سانت بطرسبرج القارس المتقلب يغوصها، والذين الى جانبهِ يمدون الأمل رويداً رويداً وأسرع المريض المسكين الى نهايتهِ وهو يهذي «المعطف سيدي القائد بتروفتش المعطف !» ثم نفس النفس الاخير مات الرجل لا يملك شيئاً ولا يجد من يجوع عليهِ سوى صاحبة الدار العجوز

لقد انطوت صفحة أكاكي أكاكيفتش دون ان يشعر بهِ انسان في سانت بطرسبرج

ومضت اربعة ايام وجاء الحاجب يريد أكاكي لأن الرئيس قد أصرّ على عودتهِ، ولكنهُ ارتد الى رئيسهِ يحمل خبر موت الرجل هكذا علم زملاؤه إن واحداً منهم قد مات

***

من ذا يستطيع ان يصدق أن عنده لم تكن نهاية أكاكي أكاكيفتش، وانهُ قد قدّر لهُ ان يبلغ أوج الشهرة بعد موتهِ؟ لقد زرت روحه الوادعة فأنجه تريد ان تنتقم، وطار الخبر ان شبحاً يتربص بالناس عند قنطرة كالنكن، ينزع منهم معاطفهم، لا تفرق بين كبير وصغير لقد رأى احد زملاء أكاكي في هذا الشبح أكاكي نفسه، فاضطرب وذعر وفرّ هارباً والشبح يهدده واضطربت المدينة جمعاً، فأصر الشرطة على أن يقبضوا على الشبح ويعاقبوه ليكون مُثلة وعظة و واستطاع شرطي أن يلبّث الشبح وهو يسلب معطفاً من صاحبهِ، وهو حين فعل صاح ينادي بعض رفاقهِ، فأدركه شرطيان ليعاوناه . وحين امسكا بهِ أطلقهُ الاول ليتشق بعض السعوط ولكن الشبح إستطاع ان ينثر ما في حق السعوط، في أعين الثلاثة وانطلق هو انطلق ليبعث الرعب في قلوب الناس

أما الرجل العظيم العظيم الذي قسا على أكاكي فقد أحسّ بالشفقة تستيقظ في قلبه بعد ان خرج أكاكي من لدنه، ولكن منصبه أراده على ان يكتم بعض ما يختلج في فؤاده ثم شعر بالندم يجري في قلبه فأرسل الى اكاكي، وارتد الرسول ينبئهُ بموت الرجل فساورته الافكار السوداء وأراد هو ان يدفعها عن نفسهِ فانطلق الى دار صديق ليخرج عن رزانتهِ عمراً من عمره لقد كانت ليلة جميلة وأصدقاء ظرفاء، ذاق فيها حلاوة السمر، ونعم بلذة الشراب والطعام ثم خرج في نشوتهِ يريد صديقة ليقضيا معاً وقتاً ليستمتع منها بلذة أخرى، وليتذوق حلاوة ثانية، فهو كان يحوها يكبر من وراءه ومن قلبه رغم انهُ كان أباً وزوجاً كأحسن ما يكون الاب والزوج وحين اطمأن العظيم في مركبتهِ تدثر بمعطفهِ الثمين وجلس منتشياً طروباً والمركبة تسير ومضت فترة احسّ بعدها الرجل ان يداً تحدبهُ في عنف، فنظر فرأى الكاتب المسكين في معطفه البالي انهُ هو، هو اكاكي اكاكيفتش ! فزلزل الرجل العظيم وامتقع لونه، ورنّ في اذنيه صوت مرعب «هاها، لقد استطعت ان اعثر عليك في النهاية، انه معطفك الذي اريد ! لقد ابيت ان تساعدني، فالآن تخرج لي عن معطفك عن يد » لقد كان القائد صعباً قاسياً يعتز بقوتهِ وصلابته عصلابهِ، اما الآن فقد ارتجف وسيطر عليهِ الذعر والخور فخلع معطفه وهو يقول للسائق، « الى الدار، الى الدار، اسرع ! » وذهل القائد العظيم عن نفسه فراح يهذي « كيف تجرؤ ؟ أتعلم من هو الذي يحدثك ؟ أتعرف تماماً الرجل الذي تقف انت امامه ؟ » واهله يعجبون مما يسمعون اما الشبح فقد اختفى لما عاد يسلب الناس من معاطفهم

# فوست العصرية

## او يوم في صحبة الشيطان

لرسلان عبد الغني البني

شخصية فوست من الشخصيات الخصبة التي عالجها المفكرون في غير عصر واحد فالشاعر الانكليزي مارلو Marlowe ، امس شكسبير كتب في القرن السادس عشر مأساة فوست فلبثت حيناً من الدهر تتلى على الناس حتى أنشأ الشاعر الالماني العظيم ( جوتي ) مأساتهُ فجرّت عليها ذيل النسيان وليست شخصية فوست وليدة الخيال من خلق شاعر بذاتهِ ولكنها شخصية انسان ولد وعاشْ في القرن السادس عشر وما هو الاّ جان فوست الذي تلقى دروسهُ في جامعة هيدلبرج ثم ولع بعلوم السحر فتعلمها وعمل بها ( ومع اعترافي بأن المأساة التي وضعها جيتي الفيلسوف قد كفل لها الخلود وان اليد التي اسداها المرحوم الفاضل الدكتور محمد عوض محمد للناطقين بالضاد تذكر فتشكر وتغبط ولا تغمط الاّ ان فيها تعقيداً وابهاماً وتفككاً وانقساماً وأداءً جافّاً ينفر القارىء ولا يستهويه ) ولكن الصورة الجديدة التي يقدمها في لباقة الكاتب الفرنسي المعاصر جان بدتيجان في ثوب قصصي أخاذ مع تصوير قوي خلاب وأدب عذب مساغ يجعل في القصة — لله ما حوت من موضوع فلسفي جدير بالدرس قصصاً عذباً محبباً الى النفس وجمالا فنيًّا يستهوي الحس ويكفل للقارىء لذة ليس وراءها لذة ومتاعاً ليس يشبههُ متاع

وليس فوست الا الانسان الذي يجد ويبحث في ظلمات هذا الكون يؤمهُ الشك ويمشي في أثره القلق لانهُ عاجز عن ان يكشف الغطاء عن سرّ حظهِ المشؤوم ، والذي ان حاولتْ ان تضله الانانية أو تصبيه الكبرياء عصمهُ الحب وحماه الايمان

## يوم في صحبة الشيطان [١]

— ١ —

انتصف الليل او كاد والفيلسوف ( فاوست ) لم يزل يتلو في اسفاره على نور مصباح ضئيل وكان من دابهِ ألا يخلد الى النوم فلما تصرم من عمر الليل نصفهُ وبغته طرق الباب طارق فكف الفيلسوف عن القراءة ولبث برهة ينظر ناحية الباب ثم نهض واقفاً ، ومشى متثاقلاً ولما فتح الباب صاح صيحة دهش ( البرابت ! ماذا حدث يا ابنتي حتى طرقت مسكني في هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟ )

أجابت الفتاة بصوت متطوع ( آه أيها السيد أمي ملاذي الوحيد تحتضر ليس لنا أمل الا فيك اذهب معي بربك ورد اليها الحياة) وبكت الفتاة في حرقة فأحدثت الشيخ عليها رقة ورحمة لقد حصد الطاعون الانفس كما تحصد المناجل سنابل القمح فأسر الفيلسوف الى نفسه

(مسكينة البرابت انها كبيرة الايمان بعلمي فأنّى لي ان اصارحها بأن رأس مالي العلمي وهمي مزعوم وأني كأجهل مخلوق لقطة العامة

( عاجز وابن عاجز وذو نسب في العاجزين عريق )

وألحت الفتاة على الشيخ وقد تناطأ وهوت على يديهِ تقبلهما ( لسنا ذوي سعة أيها السيد ولكنا نستطيع ان ندفع لك ثمن الدواء )

ومدت اليهِ يدها بدراهم معدودات كانت الصبابة الباقية من مال أبيها البر

فقال لها الشيخ ( بل احفظي عليها دراهمك فليس لدوائي ثمن وما أنا بمتخذ عليهِ أجراً )

وعاد فاوست المريضة في كوخها وقد حمل معهُ قنينة دواء وتقدم منها فرفع رأسها بيد ترعشها الشيخوخة والخوف وأدنى من شفتيها كأس الدواء ، وفتحت المسكينة عينيها في شوق ولما أبصرت الفيلسوف تجرعت الكأس التي قدمها اليها في ثقة وأمل

ومضت دقائق وفاوست يرمق المرأة في صمت وقلب البرابت يعلو ويهبط وسنة اسوب الام في فراشها الا قليلاً وارسلت أنة عالية تمزق لها فؤاد ابنتها ودل اتساع عينيها والتواء ثغرها على ما كانت تعانيه من ألم ومشت الرعدة في جسمها فسكنت لحظة ثم هوت رأسها على وسادتها في عنف وأسلمت الروح ! وطفقت الفتاة اليتيمة تصرخ كأن أفعى لدغتها وتراجع فاوست في ذعر ورمى بالقنينة وانسلّ من المكان عجلاً ، كمن أتى أمراً إدّاً !

ولما آب الى كنه ارتمى على مقعده يلهث من التعب وغمغم قائلاً

( لو رد دوائي اليها الحياة لما استطعت أن اقول لماذا وقد قضى عليها وما أدري السبب

(١) مقتبسة من رواية فوست التي وضعها الكاتب الفرنسي المعاصر جان بتيتهوجنان Petithuguenin

وهكذا ظهر لي أن ما كنتُ ادعيه من علم باطل لا محالة ويالي من أحمق! لقد أضعت شبابي بين دفات هذه الكتب وكان في مقدوري ان اتذوّق لذائذ الحياة ومتعها وضحك الفيلسوف ضحكة مرة

( أهذه دنياي ؟ بل من ورق ! وحزمة من أقلام ! وقنان من حبر ! وقنان من سم !

بدلاً من ان انشد الحقيقة في الطبيعة نفسها في مروج خضراء الجلباب ، ورياض مزدهرات رحاب ، وجنات من نخل وأعناب ، وأشهد الجبال في الشتاء مشتعلات الرؤوس ، وأنعم بالشموس وليدات يدللهن السحر ، وغدراوات تغازلهن الضحى ، وبالأمطار غريدات على أفنان الشجر ، وأخطر في هدأة الليل على شطآن النهر ، أشهدها راقصات على أنغام القمر ، وأنعم في طلاقة ورُحب بنسائم الربيع العلائل ، محملات بأريج متضوّع ، أنفاساً زكية تصاعدت من القلوب الشاعرة العاشقة فافتضها الأزاهير واحتز بها زماناً ، حتى اذا فتحت أكمامها نشرتها في الربى عطراً وبدلاً من أن أنشدها في الانسان في صداقة الرجل في حب المرأة أخدع نفسي فأصلها بين هذه الأسفار التي كتبها أناس حمقى ليقرأها أناس أشد حمقاً

فإلى النار ! إلى النار ! قد كنتُ أبحث في سطورك لعلي أكشف سراً وها هو ذا السر

( لا يدفىء المقرور الا نار مستعرة ولا تطوىء غلة القلب الا كأس خمر )

— ٢ —

ملأ الطاعون المدائن بضحاياه وفي الليل الغامض كنت ترى شيئاً غامضاً كالليل يروح ويغدو ويقبل ويدبر كان طويلاً أقرب شيء الى النحول محدودباً قليلاً ولكن أكان هذا طيفاً ؟ أم كان هذا بشراً ؟ سمع وقتئذٍ يقول

( إليّ إليّ أيتها الأنفس المتمردة التي لم تحاربك الدم ولا استهوتك المادة ، قبل أن تجنح شمس الحياة الى الإياب بسكون الليلة عند في الجحيم ) ومال الى حدث ممنوح وقال

( هو ذا يا فاجر أيها الشيخ البخيل لقد عشت حريصاً على درهمك حرص الجبان على دمه فهل عصمك كنورك من الفناء الم تمت كالحقير شحاذ ؟ ) أجابه صيحة وسمع أنيناً متصاعداً من قبل الحدث واتجه الشيطان شطر قبر آخر

( وأنت أيها العالم ( شوبلر ) ما الذي جنيته من خدمة الحق والفضيلة والنور ؟ حاولت نصف قرن أن تمحو من الخطيئة وان تعيش وفق نصوص الكتاب ولكني باغتك على حين غرة منك فلحقك الاثم فقد ما ولك الطاعون بامرأتك وفلذات كبدك شككت في عدل الله ها ها ! فرصة ذهبية لم أدعها تفلت مني خدعتك أثرتك وملأتك غيظاً وبأساً لا تحادل والى الجحيم ! »

وتسمّع الشيطان فلم يسمع شيئاً ولكنهُ رفع رأسه قلقاً إذ خيّل اليه أنهُ يرى طاووس

الملائكة يصوّب اليهِ سهماً من نور وان الريح تحمل اليهِ صوتاً يقول ( لست هذه النفس لك يا إبليس ولا أنفس كثيرة مثلها ولدى في طوقك يا مغرور ان تحكم عليها ولقد قضى الله فيها بالقسط فنجت من السعير) قال إبليس ( إنك تحاول إساءة سلطانك ، وتحاول مغالبتي ، الا انك لقد مات الاستاذ ( شوبلر ) دون توبة فهو لي )

— لا بل لك الأرواح التي تراءى أصحابها في احصائك ، واستمرأوا ضلالك رضاء غير مقسورين ولست تلك التي اغتنها سكرى من اليأس فأسقطتها في حبائلك —

— لا بد ثمن أغويت من البشر فما كانوا ناجين لولا فضولك

— كلاّ فما لك من حق على رجل لم تلوث روحه أدران الشرك ، ولا شابت أعماله ذنوب الافك لئن استحوذت على نفسه الامارة بالسوء فلقد ظل قلبه في اعتصامه بالله تسبح له

— دعني أفعل وسترى

— لك هذا ما دمت حيا هل تعرف الدكتور فاوست ؟

— الشيخ المهدم الذي أضاع زهرة شبابه بين القرطاس والقلم ، باحثاً عن الحقيقة ؟

أكبر ظني أنهُ قد هيأ نفسه لطاعتي ! لكن اسمع فقد ما يسرني فاست الحياة التي اصطفيها له تكون روحه ملكاً لي

لكن اذهب وغامر !

٣

لقي إبليس فاوست نجاه وتحدث اليهِ حديثاً كأنهُ منطق وكأنهُ إغراء ، وفاوست بين هارب مرةً وغاضب أخرى ولما رأى إعراض الفيلسوف عنهُ وتبرمه بحديثهِ لجأ الى وسيلة اخرى فأخرج من جيبه مرآة سحرية وقدمها لهُ وهو يقول انظر ! وانحنى فاوست وكم كانت دهشته حين رأى نفسه شاباً في سن العشرين يفيض صحة وجمالاً ورأى خلف المرآة فتاة شقراء تبتسم لهُ في سذاجة وطهر فرفع بصره عن المرآة وصاح ساخطاً

-- كفى أحابيل وأباطيل اما ان ربي حقائق ملموسة واما ان تدعني استريح

— اتدعوني رجل احابيل واباطيل اني امنحك كل ما في الحياة من لذة ومتاع

— حذار ! فأنا لا أنشد اللذة وحدها اريد ان اشعر بكل شيء وان اجمع العالم كله في صدري مسراته وأحزانه ، اريد اللذة بأفراحها والعمل ، والالم بصاحبة الامل ، ولكني لا اطيق الضجر والملل !

— فلسفة خاطئة تزعم انك تمقت الخيال وها انت تنشده فأين رجل الحقيقة ؟ مالك والعالم فكّر في نفسك الشباب الجمال الغنى المجد اني أهبك هذا كله

— يخيّل اليّ انك تبيعني هذا كسلعة فكم تبغي ثمناً لها ؟

– تعوِّض عادل لا أعبث فيه ولا تعدي أكون خادمك وعبدك في الحياة الأولى وتكون انت خادمي وعبدي في الحياة الاخرى

وأخرج ابليس عقداً مسطوراً ودعا فاوست لإمضائه . وردد الفيلسوف أول الأمر فقال له الشيطان وهو باسم

- لا شيء سأرد اليك شبابك النفيس دون شرط ولتكن هذه تجربة تبدأ الساعة وتنتهي في مثل هذه الساعة من غدٍ فاذا انقضت فترة العقد عُدْتَ كما انت

واذا راقتك التجربة ورغبت في شباب مقيم حق عليك ان تمضي هنا بدمك

وسقاه شراباً سرى في جسمه مشتعلاً كالنار وفي لمحة انمحت من حياة الفيلسوف اربعون حجة فعاد ابن عشرين ربيعاً

— ٤ —

رأى فاوست وهو عن كثب من الكنيسة فتاة عذراء في جمال البدر وسذاجة الطفل فأحبها كانت تشبه البنات وكانت تشبه في الوقت نفسه ذلك الطيف الذي رآه خلف مرآة الشيطان غير ان الفتاة الحسنة لم تأبه له ولم تكترث . كانت تمشي في طريقها على استحياء لا تكلم الناس ، لا ترنو اليهم وشكا فاوست امره الى ابليس فاصطنع له امرأة عجوزاً تدبث تغفل الفتاة فالتفت بها عن قصد وتملقتها وتحدثت اليها عن آمال الشباب واحلامه وعن فاوست الفتى الجميل ووصفت لها قامته ، ورشاقته ، ورخامة صوته ، وصفاء ابتسامته ، ودعتها لصداقته وهيأت لهما لقاء في مكان شاعر خلف الجبل واستسلمت مرغريت لفتاها رغبة وحسداً فعبث بها ، وحصرهما الشيطان في ليلة مقمرة فاستشهد عفافها

وارتاب قالنتين في سلوك اخته فبات يحرسها بعين لا تغمض ، وخشيت مرغريت مغبة عملها فلبثت في الدار ثمانية ايام وسبع ليال وتحرّق فاوست شوقاً اليها وكاشف الشيطان بشوقه فاصطحبهُ الى دارها ومرا بالدار فتواريا خلف دوحة مورقة وطفق الشيطان يغني في نغمة مغرية مسموعة وسمعهُ فالنتين فلم يطق صبراً فخرج الى الخلاء شاهراً سيفه يلعن ويسب ويهدد ويتوعد ولمحهُ ابليس فاختفى ووجد فاوست نفسه امام خصيم لا قبل له على اتقائه ولا طوق له على الفرار منهُ فصمد لهُ وأخذ يذود عن نفسهِ وباغت الشيطان فالنتين بطعنة في ظهره سقط على أثرها يتخبط في دمه وذعر فاوست وجمد في مكانه جمود الصنم في هيكله وابليس يصيح في السُبُل القاتل ! القاتل ! وافاق فاوست من ذهوله فأطلق لساقيه الريح واستتر في سُدْفة الليل ! وقضت مرغريت ليله مشئومة لم يشاركها في حزنها احد

لقد ماتت أمها وقتل اخوها وعائلها واختفى عشيقها ولا أمل لها في مآبهِ وتبرأت منها عمتها

لانها عدتها مسئوله عن مقتل احبها وخانور الحب في قلبها فهوت به في ظلمة اليوم ولم يبق لها بعد نجوى الليل ، وفلات الحب ، سوى الاثم والفزع ، والرزانة

وكانت الفتاة قد حملت من عاشقها سفاحاً وليس لها بعد موت فالاين عائل فاضطرت ان تترك البيت الذي ربت فيه ، وتعمت بالحياة في ظلال الشرف ، وراحت تلتمس قوتها من عرق الجبين ، ولكن الناس كانوا في مرية منها فلم يمدوا اليها يد بر ، ولا مسحوا عن عينيها دمعة ذل

وليلة باتت طاوية وطفلها ، حوت احشاؤها وجف ثدياها والليل مقرور ، والسماء مكفهرة وليس لها مأوى تلوذ به ، ولا غطاء حاولت ان تلج الدور فأوصدت دونها الابواب التي لم توصد في وجوه الهررة والكلاب ، ولم يقبل احد منها ذماماً حتى الكنيسة طردت منها ولم تجد فيها عاصماً !

حملت طفلها وانتبذت به حقل قمح حسباناً منها ان سنابله قد تعصمها من القرة ولكن الرياح عصفت بشدة فلم تجد بداً من التحول الى المدينة وماكادت تبعد بضع خطى عن الحقل حتى شعرت بيد تضغط على كتفها في عنف فرفعت طرفها في فرق فاذا بعض العسس ينظرون اليها في شرر وحنق ولما قلبوا الطفل الذي تحمله فاذا به صاحوا بها يا قاتلة !

صرخت رباه ! لقد قتله البرد

واخذت تبكي وتصيح والعسس ممسكون بخناقها يحدونها الى المحجر

ووجهت اليها تهمة قتل طفلها بتعريضه للبرد القارس فلم تشأ دفاعاً عن نفسها لانها كانت زاهدة في الحياة وثبتت اذانها بحكم عليها بالموت حرقاً

وتجمعت أمة من الناس تشهدون مصرع هذه الام الموءودة التي قتلت طفلها بلا رحمة وأخذوا يهددونها ويلعنونها ويودون لو تعجلوا الحكم فرفوها بأيديهم قبل ان تأكلها النار

وكان فاوست قد هبط المدينة بعد ان اختفى زماناً ونما اليه ان مرغريت ستحرق فطار له وافسم ان يسعدها او يكون معها من الهالكين — وأسرع فاوست فألفى الناس قد خطوا الارض كان اليوم يوم حشر ، ورأى النار تحدق بعشيقته فاندفع يشق طريقه اليها غير عابئ ولا وجل وصاح (مرغريت !) ونظر اليه الناس ساخرين (شيخ مجنون !) وصاحت به مرغريت ( مكانك يا أباه !)وردد فاوست قولها في عجب( مكانك يا ابتاه ؟) كيف ألم تعرفيني ؟

ونظر الى نفسه فراعته لحيته البيضاء المدلاة ويداه اللتان تتوارى منهما الدم

فصرخ كالمجنون وقد فضحه الجزع

— إبليس ! إبليس ! أين ذهبت بشبابي ؟ وابتسم اللعين في خبث وكان منه عن ام

— كانت مدة العقد يوماً وقد انتهى

على ذكر التعداد الاخير

# سكان مصر

من أقدم العصور الى ما بعد الفتح الاسلامي[1]

لعلّ المصريين أقدم الشعوب عهداً بالاحصاء او التعداد وفي فجر التاريخ ، كان الملك مينا يقوم باحصاء السكان في مملكته مرة كل سنتين ثم مرة كلّ سنة ( برستد ) وهو عمل كان يقتضيه نظيم مصر السياسي الدقيق حينئذٍ وفي ايام امنحتب الاول في سنة ٢٠٠٠ ق م نجد اشارات الى الاحصاء وكذلك في القرن السادس قبل الميلاد وكان الرومان يقومون بعمل التعداد مرة كل اربع عشرة سنة في اثناء حكمهم وفي ايام الرومان ثم العرب ثم العثمانيين كانت هناك قوائم للمكلفين يمكن أن تعتبر بمثابة احصاء

ولكن من المتعذر معرفة عدد السكان في مصر في تلك العصور لان ما وصل الينا من وثائق التعداد لا يقنع علة ، ولكننا نجد في آثار بعض الكتاب الفراعنة واليونان والرومان والعرب ، ارقاماً يمكن ان نحسب قريبة من الحقيقة

كان عدد المصريين في سنة ١٥٠٠ ق م نحو ثلاثة ملايين ولكن الاستاذ مصطفى عامر ذهب في رسالة لهُ عن مشكلة السكان في مصر الى ان القطر المصري كان يضم اكثر من ١٨ مليوناً من السكان في الالف الاولى ق م وقد بنى رأيهُ هذا على زيادة خصب الارض حينئذٍ في الدلتا ، التي كانت مساحتها الصالحة للزراعة اكبر جدًّا مما هي الآن قبل تكوُّن البحيرات المالحة والبطائح والصحاري فيها

ولكن ليس عندنا في الاسانيد القديمة ما يؤيد هذا الرقم وقد كتب المؤرخ ديودورس سكولوس في القرن الاول قبل المسيح فقال ان سكان مصر في عهد الفراعنة كانوا سبعة ملايين وفي العصر البطلميوسي ( وهو عصره ) ثلاثة ملايين

وفي سنة ١٨٨٦ ظهر كتاب لبوليوس بيلوخ Beloch وذهب فيهِ الى ان عدد سكان

(١) ملخص عن كتاب الدكتور ونل كليلند "The Population Problem in Egypt" راجع وصفه في مكتبة المقتطف

مصر عند وفاة اغسطس قيصر في سنة ١٤ ب م كان خمسة ملايين وان مساحتها كانت ٢٨ الف كيلو متر مربع ومتوسط عدد السكان في الكيلو متر المربع ١٧٩٫٠ نفساً او ٤٦٥ في الميل المربع وقدر المؤرخ بلخ عدد سكان مصر في عهد فسبسيانوس (٦٩ ب م) ثمانية ملايين وذلك اعتماداً على قوائم المكلفين (اي دافعي الضرائب) واورد المؤرخ يوسيفوس قولاً للملك اجريبا في القرن الاول الميلادي يستفاد منهُ ان سكان مصر كانوا سبعة ملايين ونصف مليون ماعدا سكان الاسكندرية وان حدود مصر كانت تمتد الى الاحباش وبلاد العرب السعيدة ومساحتها للهند

وفي القرن السابع الميلادي فتح العرب مصر وقد ذكر المؤرخ لاين بول في كتابه « تاريخ مصر في القرون المتوسطة » ان مؤرخي العرب اوردوا ان عمرو بن العاص جمع في سنة ٦٤٤م مال جزية قدرهُ ثمانية ملايين دينار من الذكور البالغين من اهل الذمة فاذا حسبنا انهُ جمع دينارين من كل ذكر وهو المبلغ المألوف في تلك الايام كان عدد الذكور الذين يزيد عمرهم على ١ سنوات اربعة ملايين واذا فرضنا ان هذا العدد كان ٣ في المائة من عدد السكان وهذه هي النسبة التي نستخلص من تعداد سنة ١٩٢٧ كان عدد سكان مصر غير المسلمين في سنة ٦٤٤م ثلاثة عشر مليوناً وثلاثمائة الف وهو قريب من عدد السكان في هذا العصر ولكن شيئاً من الريب يتطرق الى هذا العدد لان المؤرخ الذي أورد ما تقدّم أورد كذلك ان مال الخراج كان ثلاثة ملايين دينار بواقع دينارين للفدان الواحد اي ان عدد الفدادين المزروعة ما عدا المدن الكبيرة والاراضي التي تملكها عدد يسير من المسلمين كان ١٥ فدان واذا فرض عدد كبير من الناس يزيد على ١٣ مليوناً مساحة من الارض لا تزيد على ١٥ فدان كان ازدحامهم أربعة أضعاف او خمسة اضعاف ما هو الآن في مصر وهو ما لا يعقل

وفي القرن التاسع الميلادي جاء في كتاب بعض المؤرخين العرب ذكر خراج يبلغ ٤٬٨٥٧٬٠٠٠ دينار أي ان عدد الافدنة التي كانت مزروعة بلغ ٢٬٤٢٨٬٠٠٠ فدان فاذا فرضنا ان ازدحام السكان في هذه الاراضي كان كمتوسط ازدحامهم الآن في المناطق الزراعية كان عدد سكان مصر غير المسلمين في القرن التاسع الميلادي ٥٬٣٩٠٬٠٠٠ ويجب ان يضاف الى هذا الرقم عدد سكان الاسكندرية والفسطاط وكان معظم السكان المسلمين يقطنونهما حينئذ أما الاسكندرية فكان عدد سكانها في القرن الثامن خمسمائة الف على ما روي وأما الفسطاط التي أسست في القرن السابع فأصبحت بحسب قول المؤرخ ملر في مقدمة المدن الاسلامية واذن يصحّ القول بأن سكان مصر في القرن التاسع كانوا يتفاوتون بين خمسة ملايين وستة ملايين وهو رقم يتفق مع تقدير تلوح لعدد السكان فيها في القرن الأول الميلادي ومما يرتاب فيهِ الباحثون المعاصرون ان سكان مصر أربوا في العصور القديمة والمتوسطة على سبعة ملايين او ثمانية

# حديقة المقتطف

بيير لوتي

[illegible]

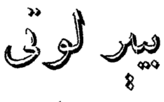
[illegible]

طبعة

[illegible]

[illegible] الاسود

[illegible]



## وما جيء من ذكرياته

في أوائل الجيل الماضي نشطتْ في فرنسا نزعةٌ الى الاصلاح والتجديد ، فكان لها أثرٌ متين لا يمحوهُ الدهر ولا يأتي عليهِ النسيان ومن نتائج ذلك الأثر البليغ ظهورُ المذهب الوجداني الذي طوّقَ جيدَ الادبِ العالمي بقلائدِ الفنّ والنبوغ والعبقرية

ولم تكدْ شمسُ ذاك الجيل تدرجُ من خدرها الأزلي وتغمرُ الحياة والأنظمه والقوانين فيضٍ من التطوّر والتجديد ، حتى استيقظ نفرٌ من هؤلاءِ المجدّدين واتجه نحو الشرق منقّباً عن الجمال الكامن وراءَ أكمهِ وجبالهِ ، والسحرِ المهوّم بين أوديتهِ ووهادهِ

وكان بين هؤلاءِ المجدّدين رجلٌ حسّاس تعلّقت عليهِ سآمته وإحساساته ، فجاءَ الشرق ليعالج تحتَ ظلالهِ الظليلة تلك السآمة الخرساء هذا الرجل هو — بيير لوتي — الكاتبُ الفرنسي الأنيق الذي عشق الشرق وأفسح لهُ مجالاً رحباً في كتاباتهِ وأقوالهِ

وقف — لوتي — في ظلال الشرق فكشف له خيالهُ النامي الخصب عن ذلك الجمال المتجسّم في كلّ مرتبة من مراتب الطبيعه ولذلك أكثر من وصف السماءِ الزرقاء ، ومطلعِ الفجر ، ومغيبِ الشمس ، ومن الجداول الشاردة بين الحقول والبطاح ، والجداول الهائمة في الأوديه والوهاد ، والانهر الجاريه الى أعماق البحار ، والأنين الشجيّ الموجع الموقّع على أوتار الرياح والعواصف

إنّ في الشرق جمالاً علويّاً كجمال المآسي الخالدة ومن الروعه والجلال أن يتمشّى ذلك الجمال في روح لوتي — فيجعله يسمّ اسم الشرق في الحياة وعند الممات !!

***

وبعد لقد عرفَ الشرق نفرٌ من أدباء الغرب وكتّابه ، ولكن هؤلاءِ

الكتّاب ما عموا ان صوّروا أحلاقهُ وعاداته ومشاربهُ صورة مماطلة لا أثر للفن والحقيقة فيها فسحوا من جماله ما استطاعوا إما عن تعصبٍ شائن ، وإما عن تجاهل لهم منهُ فائدة معنويّه أما — بيير لوتي — فقد جاله ، هؤلاء جميعهم اذ تغلغل في روح الشرق ودرس شعوره وعواطفه ثم تحدّث عنهُ حديثاً مترعاً بخمره الحبّ والصدق والاخلاص

ولأجل ذلك أعدّوا لوتي صديقاً مخلصاً للشرق

والذي نعجب لهُ كثيراً هو درسهُ للحياه الشرقيه حتى لقد يُخيّل إلينا ان الرجل أمعن في الاستيلاء على عناصر تلك الحياة بما في هذا من جهدٍ وعناء قبل أن يُقدم على تصورها ذاك التصوير الساحر الذي يخلبُ القلوب

فان من يقرأ كتابه ( موت أنس الوجود ) يشعر بحقيقه ما أكتب قال في فصلٍ من فصول الكتاب

« بين الفتيان المصريين من فتنتكَ بذكائه ونبوغه ، عرفت ذلك بعد ما وطأت قدماي تربه مصر الفوّاحه بالشذا والعبير ولأجل هذا أريد أن أخاطب هؤلاء الفتيان بعطف وحنان فاهتف بهم قائلاً أيها الفتيان ، ان المدنيّه ستمشي في عاداتكم عمّا قريب ولكن حذارِ أن تعبث بأخلاقكم عابث ، تلك الاخلاق التي اذكرها بهيب وافتخار »

على إنّ السرّ المعنوي في عبقريةِ هذا الكاتب الجليل المملّي قلبهُ بأمامل اليأس العميق والألم المحرق المديد ، هو حبّهُ لتركيا حبًّا قارب العبادة والتأليه

لقد تساءل نفر من الكتّاب الغربيين هل كان هذا الكاتب الرسام قد وقف على اسرار الحياه التركيه التي لم يقف عليها اديبٌ من الادباء اما الحقيقه فهي انهُ توفّق الى رسم تلك الحياة التي تجري في القصور التركيه رسماً لا شكّ خياله تدخله في شؤون هذه القصور المسربله بنقاب الاحلام

في تركيا ، عشقه الفسفور وموحية أسرار الحبّ والغرام للقلوب التوّاقه الى نور الخلود ، جمال يترك في النفوس نشوةً علويه كنشوة الوردة الحمراء الغافيه على سرير من صفاء الفجر والفرنسيون نازعون في الاستيلاء على كلّ ما يمتّ الى الفنّ بقرابة جميلة ولكن الاجمل من هذا ومن ذاك هو تلك الذكريات التي تركها —

لوبى — لسق مثالاً صادقاً للحياه التركيه بما فيها من آلام ومسرات ، وسعادة وكآبه ، وابتسامات ودموع !!

لقد نثر — بيبر لوتي — عموداً جمة من حنانه على شواطيء البوسفور التركي ، وسح عينيه بقطر الحاج الجميل ، وبمرأى البدر يصب انواره الفضيه فوق موجه الثمل الريان ، وأمرع كثيراً بعمرة تلك اللآلي الحصاء التي تسه في النفوس روافد الخشوع والروعة والبعد ولا عجب اذا اعرق — لوبى — بحب المرأة التركيه و بوصف احلامها وعاداتها وبكنفة معيشتها بين جدران القصور التركيه ، واذا اكثر عليه جمال فيه وأسق الوانه ، فاعلم انه طلى فيه بكل ما في الحياه من أدهية سحرية ورموز واسرار وما اعظم الادب الذي يجمع بين الفن والجمال !

***

وهنا يلوح لي ان فريقاً من القراء يطالبني بذكر ناحية من ذكرياته اما ذلك فحسبي ان اتناول روايته ( البائسات ) واقرأ فيها هذه الجمل الحزينه اللابسة ثوب الحداد على ماض حنون يوقظ معه الذكرى وترك في قلب الكاتب اللطيف هذه النعمه المؤثره الوجعة

« في ناحيه منفردة على شواطيء البوسفور ، وعلى نحو فرسخين من اسانبول المدينه الشعريه المائلة ماثلها في الفضاء معلنه لروع اللانهايه كل ما للدين الاسلامي من روعه واسرار ، كنت اصرف اكثر اوقاتي مع « ـان » فلا يعلم بنا احد ، ولا نسمع سمات قليلنا غير الامواج والطيور

« أنا لم يؤثر فيّ مشهد من مشاهد الشرق العربي مثل ان اتأمل البوسفور في ساعه المغيب وقد تلوّنت شواطئه بأشعه شمس الخريف الواهيه فكانت تذوب كانها وجنات العاشقين ممتعة بصفرة الفراق !

«وما — البوسفور — يعثر امواجه على صخور الشاطيء عن مشهد يروعك فيه انين المياه وحفيف شيرها الذابل يداعبه نسيم المساء ثم يرحيه فوق الحصى والاعشاب ، ولكنه مشهد خفاق يمشي في روحه الروح والحياه ، فهو جميعه خفقات أليمه تعرب عما تعاني من صبابة وكل موجة لها للفؤاد إشارات خفية مجهوله ، هي اسيه بعد العاسفة تمد مودّعة بعد ان تناصرت عن عناق الحبيب !

« اما الطيور المهاجرة ثملة رنّانه في تلك الامكنه اللطيفه الساحرة ، فكنتُ احصّها بكثير من آمالي واحلامي وكانت — جان — تحسبها ارواح البائسات التركيّات اللواتي أُعتقن من قصور ازواجهن النشوات الظالمين

« وفي اواخر — جمادى الاول — عند حلول الحرم ، كان بحزني ان ارى تلك الاماكن الشاهدة عليّ وعلى « جان » بما بينا من احانين شقه حيّمت فوقها اشباحُ الغرام نعم كان بحصّي ان اراها عارية جرداء فمشي مطرها الشاحب سكنه فرسه ، بمكّن من ساط فؤادي فتسحمها بالالم سحماً ، وتقصدُها نزوات دامية تمازحُ فيها سرات الحزن واصداء الموت

« وأحسَّتْ — جان — ذات يوم بما يخالجني من ألم مبرح تُسمّم عواطفي فأحزنها ان طيفاً حييًّا ينصب في اعماق نفسي منذراً بمجيء ساعة الفراق ، فارعت — جان — يتكسّب الانين فؤادها ، وتستشفّ عينيها الدموع ! !

«وشئتُ ان أساعدها على احتمال هذه الصدمة القسمة فوعدتها ان اعود الها وامضي باقي الحياة قريباً منها ولكني عندما شاهدتُ ارتعاشها المفجع لم أتمالك عن ذرف دموعي فعانقت جان وبكينا معاً امام الامواج المنحصره والبلابل المرتحلة الى الجنوب هرباً من عواصف الشتاء المتأهبة للخروج من سجن الابدية

«وعدنا الى اسطنبول مساءً ولأول مرة رأيتُ — جان — تأمل القمر بعينين مهوكتين ، فعلمتُ انها تريد التعبير عمّا في نظرات القمر من سهدٍ ووجوم، فضممتها الى صدري المعذّب وأشبعتها بقبلات الوداع ! !

* * *

بعد ان مضى زمن طويل على هذا الافتراق جمع — بيير لوتي — تذكاراته الماضيه ودوّنها كلها في روايته المسماه ( البائسات ) والعرب انهُ اعلن موت جان في آخر الروايه بصورة شعرية مؤثره ولكن الحقيقه — كما تقول مجلة الالستراسيون — ان جان ظلت حيّه ومضت طول ايامها على غرام الكاتب العمري الجميل

وقد وجدوا بين اوراقه بعد موته تذكارات جمة عن — الوسفور — مرسومة بدم قلبه ودموع عينيهِ ، وكانها تعبر عن نواحي حياتهِ فاليك هذه الكلمه المختصرة

« لست أنسى ما حييت تلك الليالي البيضاء التي صرفتها على ضفاف بحر مرمرا » والبدر يحدّق بالامواج كأنهُ يبثها سرًّا من الاسرار او لاعجه من لواعج الهوى

وكثيراً ما حركت هذه المناظر بواعث الحزن والكآبة في اطواء نفسي، وكنت أسمع أنغام الماضي توقعها الذكرى على أوتار الالم

«آه، ما أعذب الذكرى تعاودني من خلال خمائل الماضي، ولكن وا أسفاه ان عيني يكاد يغشاها ظلام الموت اني اراك يا — فروق — فوحين شوك الحماق كانك في ساعة عرسك فسلام عليك من رحل أحبك حتى العبادة والتأليه»

يقول — كلود فارر — الكاتب الفرنسي الكبير ان — بيير لوتي — ارسل هذه الالفاظ النارية وهو ممدد على سريره في باريس يعالج رجاء الألم ويتلمس مهاوي الابدية وكأن الاقدار شاءت ان تضرم لوعته وتشمله بالكآبة التي لازمته طول حياته، فقد أطفأت حياة حبيبته (جنان) في ليلة من تلك الليالي السوداء التي كانت تمرّ بالكاتب الملول الحزين

ولكن جنان المسكينة لم تكن تحلم وهي تنثر احلامها في ظلام أجنحة المنيّة الا بذلك الفرنسي الجميل الذي أحبته كما احبّها حبّاً قويًّا وناولت القلم ورسمت هذه الرسالة

«ايها الحبيب — ها انذا في مخدعي مسهّدة تولول اشباح الماضي في اودية الفؤاد وفيما الناس نيامٌ يرتشفون خمرة الرقاد، أبيتُ باكيةً تلك الاوقات الحبيبة التي مضت وتركتْ في مقبرة قلبي تذكاراً حزيناً ندّى بالدموع! نعم لقد تلاشت تلك الاوقات وتوارت وراء نقاب الموت لتسلي على مهل تحت اقدام الدهور ولكن نور النجوم، وحفيف الاوراق، وخرير الجداول وكلّ ما في الطبيعة من حسن وجمال لا يزالُ ينغّم على اوتار صدري توجيعه الصمت والسكينة

«ان نقاب المنيّة تكسي الآن بردائه الناعم الشفاف وعندما تخمدُ فيَّ شعلة الحياة وتسلُ الموت اجنحته فوق نعشي، ثم يدنو حفار القبور ليهيل على صدري التراب ستحومُ حولك روحي ايها الحبيب وتتلو على مسامعك كلّ رغائب القلب وأمانيه

«زهرة البنفسج التي كنا نستنشق عبيرها وتصفر اوراقها على صفحة — البوسفور — أغرسها ايها الحبيب فوق قبري لتعطر جسدي الناضر في سكينة الليل وعلى اضواء النجوم!!

— جنان —

مسكينة جنان كانت أمنيتها الوحيدة ان ترى — بيير لوتي — وتعانقه العناق الاخير في تلك الساعات الاليمة التي تكابد حرارتها في ظلام ليل تذكاراتها وفيما هي

تستشف كأس المنية تركت هذه الرسالة المحددة بالدموع (وهي مترجمة عن الانسات)

« أندري ! الآن وقد مرّ الهزيع الثاني من الليل ، أصغي الى حفيف أجنحة الموت فلا أسمع سوى زفرات متقطعة ترسلها روحي المفارقة في فضاء مخدعي فليتك كنتَ هنا يا أندري ! لأهمس في اذنك كلمة الوداع فلماذا لا تقترب مني أيها الحبيب لابوحَ لك بسرٍّ من أسراري الدفينة أريد أن أعترف لك بحبي الذي لا شائبة فيهِ إنّ من تفارقُ الحياة لأجل حبها تستطيع الاعتراف بخفاياها

« آه يا أندري أتذكرْ يومَ كنتَ في هذا المكان حيث أنا الآن ؟ يومَ ذاك خفق قلبي بحبك ، الا انني أطبقت عينيّ لأحلم وهكذا مرتْ أحلامٌ لذيذة وكانت يدي تمسح عن عينيك تلك العبرات المتساقطة حبذا لو قضيتُ في تلك الساعة اذاً ما كنتُ سكبت أشباحَ الحزنِ الطاغية ، وكأسَ الغرام المريرة !

«كل شيء تغير في نظري قالوا لي ان أنام ، ولكني لا أشعر بالنعاس زاود أجفاني غير اني أشاهد كل ما في مخدعي يهتز ويرتعش مثلَ شمعة روحي الذائبة إن الزهور البيضاء التي نثرها حول رأسي أهلها تسمو وتكاثر متحولة الى مرجةٍ كبرى مكتسية بالورود والبراعم

«والآن أراك تلهو بين الورود والبراعم فلماذا لا تقترب مني أيها الحبيب ؟ ألا تعلم انّ شفتي تحاول أن تلثما شفتيك ؟ وهنا حيث أحتضر أودُّ كثيراً لو شاهدتك لاقرأ في عينيك دمعة تدسُّها لاجلي تعالَ يا ملك الجمال وموئل الحبّ والغرام لأُسند رأسي الى ذراعك واعترف لك بحبي قبل ان تطوي الموت شمعة حياتي

« آهٍ يا أندري ! ! إن الأموات يحدقون نحوهم بعطف وشوق فأعطني يدك لأتساند عليها في المصرع الاخير !

ومثل الزهرة الرطيبة التي تنتعش صباحاً ثم تذوي في المساء بعد أن تلفحها الشمس بنورها الكاوي هكذا ذوت . اقفرت الحياة في قلب (أندري) وهو بعد لوقى نفسه وظلت هذه الذكرى حائمةً حول الكاتب الحسّاس حتى لفظ أنفاسه الاخيرة

فالى (بير لوتي) والى روحه العذبة التي انتسمت في ثناياها كواكبُ الفن والنبوغ سلامُ الشرق العظيم الذي ضمّهُ اليهِ وسكب في عروقهِ كل ما في الحياة من تشوّق وحرارة وايمان

البرازيل يوسف النعيمي

# لمن ؟

« مهداه من الشاعر الى الاستاذ
ميشال ابو شهلا صاحب مجلة الجمهور »

لمن تعصر الروحَ يا شاعرُ    أما لضلال المنى آخرُ ؟!
ألِلحب ؟ أين أكفُّ الهوى    ن لتدفع ما يحمل الخاطر ؟
أللهو ؟ كم دميةٍ صغْتها    ومزّقها طرفك الساخرُ
ألِلمجد ؟ هلاّ لمحت الدنا    ب، وقد عضّ طحوعها الكافرُ
ألِلخلد ؟ ماذا يفيد القتيل    إذا ماح أو هلل العابرُ

**

رويدك لا تسفحنّ الخيال    سيداء ليس لها آخرُ
سيرقصك الكون في صمته    كما رقص الحيّة الساحرُ
دع الحلم يخفق في خاطرك    فموعده عندك الساحرُ !

ن « الجمهور - بيروت »    عمر ابو ريشه

# العرس الاسود

الله ! مات الحلم في البرعم … وكان حلم الليل والأنجم

حكاية الورد لجاراته … حكاية المغرم للمغرم

قصّتها الأنسام في سكرة … في الغاب للغريدة الحوّم

فترقص الضحكة في مبسم … وتخمد الضحكة في مبسم

ويصبح الحلم حديث الرؤى … فافهمه رؤى لمستفهم

الله ! لم تطلع عليه الضحى … إلا صريع الغاب والمبسم

***

يا حلمي الأشقر ، يا روعة … طافت بقلب أخرس مغرم

يا ضحكة في خاطر المنتشي … يا نغمة في الوتر الملهم

لم تبق من عرسك إلا الرؤى … مخضوبة بالدمع في مرقمي

تموت في قلبي وفي مقلتي … على صراخ مفزع مؤلم

تصبح ماضيها على نعشها … تجرح الذكرى دميّ الفم

***

يا قلب ما تبغي وما ترتجي … من مأتم تمشي الى مأتم

يا جائعاً أطعمتهُ مهجتي … يا ظامئاً روّيتهُ من دمي

يا أحمقاً تمشي الى وتره … هدمت أضلاعي ولم ترحم

ابك ! أحس الموت في مضجعي … وفي زوايا المخدع المظلم

أحس في صدري دبيب الردى … ينسل في صدري كالأرقم

ليتك لم تخفق على ساعد … ليتك لم ترقد على معصم

يا كافراً ضيّع أحلامه … ليتك لم تعشق ولم تحلم

***

يا قلب ! مات الحلم في موسم … فانعهُ يا قلبي في موسم

عن « الجمهور » … فؤاد سليمان

# سير الزمان

---

## الامتيازات الاجنبية

في مؤتمر مونترو

---

## خطبة النحاس باشا

[illegible]

---

## امتيازات الملوك

[illegible]

# الامتيازات الاجنبية

## ومؤتمر مونترو

الامتيازات اسم يطلق على معاهدات تمنح بها دولة من الدول حقوقاً خاصة لرعايا دولة أخرى مقيمين في بلادها . وفي القرن التاسع عقد هارون الرشيد معاهدة من هذا القبيل مع «الفرنك» منحهم بها ضمانات معيّنة وسهّل عليهم سبل الاتجار . ثم منحت امتيازات من هذا القبيل لابناء بعض من المدن الايطالية وأمير انطاكية . ونال أبناء جنوى مثل هذه الحقوق في سنة ١٠٩٨ وجاراهُ ملك أورشليم في منح أبناء البندقية سنة ١١٢٣ وأبناء مرسيليا سنة ١١٣٦ وتبعهُ صلاح الدين فمنحها أبناء مدينة بيزا سنة ١١٧٣ . وقد جرى أباطرة بيزنطة على هذه القاعدة فمنحوا جنوى وبيزا والبندقية هذه الامتيازات . وفُسّر هذا العمل أولاً بأن سيادة الدولة تشمل ابناءها ومطوان ميزة الانتماء الى حكومة معيّنة كانت أثمن من أن يوسع نطاقها حتى تشمل الأجانب . فلما كثر عدد الاجانب القاطنين بعض البلدان ، قيل انهُ من الفطنة أن يخضعوا لقانون من القوانين ، وان خير قانون يخضعون لهُ هو قانون بلادهم الأصلية

فلما قامت الدولة العثمانية ، كان نظام الامتيازات قد رسخ فحافظت عليه . فعقدت الحكومة العثمانية معاهدة الامتيازات الأولى سنة ١٥٣٦ مع الفرنسيين فكانت معاهدة تجارية ومعاهدة إقامة تخول الفرنسيين الاقامة في تركيا وتعين نوع القضاء الذي يخضعون لهُ . وضمنت المعاهدة لهم الحرية الفردية والدينية ، وخوّلت حكومة فرنسا حق تعيين قناصل لها في تركيا تكون من اختصاصهم الحكم في القضايا المدنية والجنائية الخاصة بالفرنسيين المقيمين في تركيا وذلك وفقاً للقانون الفرنسي ، وأن يطلبوا من رجال السلطان مساعدتهم في تنفيذ الاحكام

وقد جرت جميع معاهدات الامتيازات التالية على هذه الوتيرة . ففي سنة ١٥٦٩ جدّد السلطان سليم الثاني الامتيازات الفرنسية التي منحها سلفهُ . وفي سنة ١٥٨٣ فازت انكلترا بامتيازاتها الاولى وقد كانت فرنسا حتى تلك السنة حامية جميع الاوربيين المقيمين في تركيا . ثم حاولت بريطانيا بعد ذلك أن تدعي لنفسها حق حماية الاجانب في تركيا فأُبي ذلك عليها في الامتيازات الفرنسية المجددة سنة ١٥٩٧ و ١٦٠٤ و ١٦٠٧ اذ نصت نصًّا واضحاً على ان فرنسا هي حامية جميع الاوربيين الذين ليس لدولتهم سفير في الاستانة

وفازت هولندا بامتيازاتها في سنة ١٦١٣ والنمسا سنة ١٧١٨ وروسيا سنة ١٧٨٤ واقتفت آثارها اكثر الدول الاوربية في خلال القرن الثامن عشر وتبعتها الولايات المتحدة الاميركية والبلجيك واليونان في القرن التاسع عشر

وكان من شأن نظام الامتيازات الاجنبية ان اصبحت كل جالية اجنبية في تركيا بمنزلة «دولة داخل دولة» يتمتع افرادها بحرية الاقامة وحصانة المنزل وحرية السفر في بلاد الدولة العثمانية وحرية التجارة وحرية الدين والخضوع لقانون دولتهم لا لقانون تركيا

## الامتيازات في مصر

طبق نظام الامتيازات على القطر المصري عند ما كان ولاية من ولايات السلطنة العثمانية، ولكنهُ عُدّل قليلاً في عهد الخديو اسماعيل عند ما أنشئت المحاكم المختلطة وبمقتضى هذا النظام كان للاجنبي المقيم في هذه البلاد حقوق تميّزه عن اهلها يمكن ان نلخص في ما يلي

اولا — لا يحق للحكومة المصرية ان تفرض على الاجانب المقيمين في مصر ضريبة على الدخل من دون موافقة الدول صاحبة الامتيازات ثانياً — جميع القضايا المدنية والتجارية بين الاجانب والمصريين او بين الاجانب من رعايا مختلفة تعرض على المحاكم المختلطة ثالثاً — جميع القضايا الجنائية التي يتهم فيها اجانب تعرض على المحاكم القنصلية الخاصة بالدول التي ينتمي اليها المتهمون رابعاً — لا يحق للحكومة المصرية ان تفتش مقرّ اجنبي الاّ بسماح من قنصله، ولا يجوز لرجال البوليس المصري ان يدخلوا دارهُ او مكان عملهِ من دون هذا السماح الاّ في احوال استثنائية وهي حالة التلبس بالجريمة

ولا يخفى ان هذه الامتيازات واسعة النطاق تفضي الى عقد كثيرة في اقامة العدل وكثيراً ما كانت باعثاً على الجور علاوة على ما تهدد بهِ سيادة مصر في نواحٍ مختلفة من حياتها القومية

ففي المقام الاول لا يسع الحكومة المصرية ان تبسط نظام الضرائب الذي لا قيام من دونهِ لأية حكومة عصرية، ما دامت الدول صاحبة الامتيازات تستطيع ان تأبى فرض ضريبة جديدة على دخل رعاياها، ورعاياها قابضون في الغالب على ازمة التجارة والصناعة في البلاد واذا خطر للحكومة المصرية ان تفرض ضريبة من هذا القبيل وجب ان تفاوض كل دولة من هذه الدول — وعددها اربع عشرة دولة — على حدة، وهو سبيل وعر طويل يعرف لهُ اول ولا تعرف لهُ آخر وقد نُظن ان المسألة شكلية فقط وما على الحكومة المصرية الاّ اعداد مذكرة تطلب فيها من الدول صاحبة الامتيازات الموافقة على الضريبة المقترحة فيأتيها الردّ بالقبول برجوع البريد ولكن الواقع ان المذكرة المصرية تفضي الى ردود عليها فيها مقترحات معدّلة ومناقشات في امور لها صلة بالموضوع الاصلي وقد لا تكون لها بهِ صلة، وقد لا تفضي المفاوضات الى نتيجة مقبولة الاّ بعد اشهر او بعد سنين اذا افضت اليها على الاطلاق

وفي المقام الثاني، لا ينكر منكر ان المحاكم المختلطة قد رفعت عن كاهل مصر حاجاً كبيراً من

عبء مفاسد الامتيازات كما كانت تمارس فيها قديماً او في السلطنة العثمانية بوجه عام ، ولكنها أصبحت وسيلة فعّالة تستعملها الحكومات صاحبة الامتيازات للضغط السياسي على الحكومة المصرية ، وللتدخل في التشريع المصري ، لان هذه المحاكم غير ملزمة بتطبيق أي تشريع جديد تصدره الحكومة المصرية ، الاّ اذا وافقت عليه الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف المختلطة فكأن هذه الجمعية اصبحت في مصر وفي عصر الدستور خاصة ، مجلساً تشريعيًّا ثالثاً في دائرة معيّنة

ومما قالهُ لورد كرومر في هذا الصدد في كتابهِ مصر الحديثة انهُ من المفارقات ان تطلب موافقة رئيس الولايات المتحدة الاميركية وملك السويد على قانون يطبق على رعايا امبراطور اليابان او ملك البلجيك ثم انها علاوة على ما تقدم قيد من قيود السيادة المصرية لانها تعني ان الحكومة المصرية لا حق لها في تعيين جميع قضاتها

وشبه التشريع بالمفاوضة الدبلوماسية فقام عقبات في سبيل التقدم وفتح الباب للمساومة

وفي المقام الثالث ، ان نظر القضايا الجنائية التي توجه فيها التهمة الى الاجانب ، في المحاكم القنصلية المختلفة ، افضى الى اختلاف بيّن في اقامة ميزان العدل في مصر ذلك ان كل محكمة قنصلية تطبق في نظر هذه القضايا القوانين المتبعة في بلادها ، والاساليب المعمولة في اقامة الدليل، فكان من اثر ذلك ، ان اجنبيين تابعين لدولتين مختلفتين ولكن متهمين بتهمة واحدة يقدَّمان كل الى محكمة بلادهِ القنصلية ، فتثبت التهمة عليهما فيعاقبان عقابين مختلفين او قد تكفي الادلة نفسها لادانة الواحد وعدم ادانة الآخر ، واذا كان لهما شريك ثالث وكان مصريًّا فقد يكون الحكم عليهِ ، من حيث الادانة ومدى العقاب ، مختلفاً عن حكم القنصليين

وفي المقام الرابع ان المفاسد التي نشأت عن حصانة الاجنبي من تفتيش البوليس المصري ، من دون سماح السلطات القنصلية ، كثرت وتعددت وجوهها ، بحيث اسبغت على الامتيازات الاجنبية صورة بشعة يحمل منها الاجانب ويتبرَّم بها اهل البلاد

ففي الجاليات الاجنبية في الاسكندرية والقاهرة وغيرهما ، عناصر من هذه الجاليات اصلاً او تنتمي اليها بالتجنُّس وهو الاكثر ، تحسب من اشدّ العناصر اقلاقاً للأمن وارتكاباً للمفاسد وكثيراً ما تعمد الى التجنُّس وراء هذا الحقّ — اي الحصانة من تفتيش البوليس المصري — للتفلّت من العقاب الذي تستحقهُ ثم ان هؤلاءِ كثيراً ما يشتركون مع بعض المصريين ليسبغوا على الاعمال المشتركة حقوق الامتيازات ، ويغلب ان تكون هذه الاعمال المشتركة اماكن للميسر او تعاطي المخدرات او الاتجار بالرقيق الابيض فاذا قرَّر البوليس المصري ان يفتش هذه الاماكن اضطرتهُ المعاملات الرسمية التي لا مندوحة عنها بحسب نظام الامتيازات الى التأخر فتتاح للمتهمين فرصة الهرب والنجاة والامثلة على ذلك كثيرة

## خطبة رفعة النحاس باشا
### في مؤتمر الامتيازات

[ وجهت الحكومة المصرية دعوة الى الدول صاحبة الامتيازات في مصر لتوفد مندوبيها الى مؤتمر يعقد للبحث في الغائها وقد بدأ المؤتمر عمله يوم ١٢ ابريل في مدينة مونترو بسويسرا تحت رئاسة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس الوزارة المصرية ورئيس الوفد الرسمي المصري رئيساً للمؤتمر فألقى رفعته خطبة جامعة بين فيها حقوق مصر وموقفها أبلغ بيان فنشرنا نص الخطبة كما نشرت في جريدة «المصري» مترجمة عن نصوص الفرنسية التي القيت بها بالتصرف ، وقد اضطررنا لضيق المقام الى الاكتفاء بكلمة الشكر التي وجهها النحاس باشا في ختامها الى الحكومة السويسرية ورئيس اتحادها وسكان مدينة عصبة الامم ]

ايها السادة اني واثق كل الثقة وأنا القي هذه الكلمة في مستهل المفاوضات التي بدأناها اليوم انهُ من المتحلي لكم ان حسن نية الحكومة المصرية متوفر لكم جميعاً كما اني واثق بان هذه النية الحسنة من جانبنا ستقابلها نية حسنة ايضاً من لدن الدول ذات الامتيازات

واننا ونحن اقوياء بحقنا واقوياء باعتدال المقترحات التي نقدمها واقوياء كذلك بروح التفاهم الذي يخالجكم فقد دعوناكم الى هذا المؤتمر الذي سيوثق على قاعدة اكثر مرونة وانسجاماً العلاقات بين مصر والاجانب ويبث في صلاتنا المقبلة روح حيوية جديدة

ان المشكلة التي سنبحث حلها ، هي بالاختصار من أبسط المشكلات ومن اكثرها وضوحاً ونحن نعرضها للبحث بصراحة تامة اذ نطلب الغاء الامتيازات حالاً واننا اذ نفعل ذلك لا نطالب بشيء من شأنهِ ان يثير المخاوف او الظنون وحسبنا لاقامة الدليل على عدالة قضيتنا ان نذكر ان جميع الدول تعمل على تحقيق المساواة في المعاملة لرعاياها وكل ما تطلبهُ مصر هو ان تعيد مساواة ابنائها الوطنيين بالاجانب المقيمين في أرضها

ايها السادة ان الامتيازات تؤلف نظاماً يتعارض تعارضاً استثنائياً مع روح العصر ولا ينسجم مع حالة مصر الحاضرة ومع حياتنا الوطنية بل هي اعتداء فاضح على كرامة البلاد وعلى تطبيق مبدأ سيادتها فضلاً عن انها تشل حركتها بين الدول المتحضرة

ثم ان هذا النظام قد زال نهائياً من جميع البلدان التي كان قائماً فيها ولاسيما في تركيا حيث كان منشأه وقد ورثناه عنها ، افلا يكون من العجب ان يظل قائماً في مصر في هذه الساعة

ولا يسع المرء ان يتصور ذلك عندما يذكر التقدم الذي تقدمتهُ مصر في جميع الميادين وفيهِ دليل على نموها وتطورها الى اعظم درجة وفي الواقع ان مصر قد بنت على احدث القواعد نظم التشريع وأداة القضاء ونظم المالية في الداخل وفي ادارتها وفي البوليس وعلاوة على ذلك فان مصر

حكومة بدستور مستمد من اكثر المبادئ الدستورية تحولا و...ا... انها البرلمانية حرة وثابتة ومصر بلاده بالماله الى امن حد وهي تحترم المصالح الا... ... صاحبها بمصر ، المثل ... ،
اذن ... الى هنا ولنا ثقة بان دوام الامتيازات سيبدو لنا امراً لا ... الاسلامية كما ... ولنا ...

لقد قلت ان الامتيازات اعتداء صارخ على سيادة مصر واقول هنا انها انشئت في الاصل لضمان الاجانب من كل حيف او غلو في المعاملة في الضرائب والرسوم وقد تحولت شروط اقامتهم في مصر على مر الزمان وتباعاً تحولاً اضاف الى هذا الضمان ما سمي ضمانات مالية جعلت الاجنبي غير خاضع لدفع ضريبة الا اذا وافقت الدولة التي ينتمي اليها على ذلك

وسيكون من رأي حضراتكم حتماً ان حالة كهذه لا يمكن السماح بها وستقدرون ما لقيود كهذه من نتائج في عالم اقتصادي معقد وارادة ... تزداد زيادة مطردة فانها -- اي تلك القيود -- لا يمكن من تحقيق اي تقدم مستمر كما انها تحول دون تحقيق اي عمل اجتماعي واسع النطاق بعيد الاثر ومن المساوئ التي ولدتها الامتيازات ... سيرها سيراً خاطئاً وتطبيقها تطبيقاً سيئاً فاسداً يجيء في الطليعة الاستعمار المالي فهو من أثقل تلك الامتيازات وطأة على حرية العمل في الدولة المصرية اذ لا يسع الدولة ان تفرض ضرائب على الوطنيين بدون ان تفرض الضرائب ذاتها على الاجانب وذلك تطبيقاً لمبادئ الانصاف الاولية ولتجنب المداورات والهرب من الضرائب

ويقال مثل ذلك عن الضمانات التشريعية والقضائية التي نشأت عن الاغلاط عينها وعن التفسيرات ذاتها فقد نشأت سلطة الفاصل القضائية في بادئ الامر نشأة متواضعة جداً في مستهل عهدها وكانت مقتصرة على الخلافات والمنازعات التي تقع بين اجانب من جنسية واحدة فانتهى الامر بواسطة سلسلة من الافتئاتات الفاسدة الى خلق حالة شبيهة بالفوضى وكان يكفي ان تمنح احدى الدول نفسها امتيازاً ما لا حق لها فيه لكي تسلك الدول الاخرى مسلكها مع اعترافها بعدم شرعية ذلك الامتياز ، وقد صحب هذا التوسع في الامتيازات تعمق في تطبيقها ، فانه منذ سنة ١٨٥ ... تردد الامتيازات فقط بل انها اصبحت تنطبق على عدد اكبر من الناس ، ومن هنا غدت العلاقات بين المصريين والاجانب اكثر تعقداً مما اوجد حالات جديدة للنزاع كانت تسوّتها درعة جديدة لافتئاتات جديدة

وافضى تراكم المخالفات ، الاساءات الى ان اصبح الامر سيئاً الى الاجانب انفسهم وهذا ما أدى في الواقع الى انشاء المحاكم المختلطة وبما خطر للدول ان تكون هذه المحاكم بمثابة هيئة تحت الحرية فرر ... حكومة الخديو ان تكون المحاكم المختلطة نظاماً مؤقتاً ربما تؤلف هيئة من القضاة الاجانب مدربين على النظم الاوربية و نظم السلطات القضائية الاهلية ، وفي تحديد مدة المحاكم المختلطة بخمس سنوات في بادئ الامر ثم ادخال نص حق الغائها بعد اعلان الدول

سنة من الزمان — حقق في نظر هؤلاء واولئك هذه الصفة الوقتية بوجه خاص

ان الغرض الذي اتجه اليه الخديو اسماعيل ونوبار باشا رئيس وزرائه اي انشاء قضاء يطابق روح العصر والعمل على انشاء هيئة قضائية وطنية منسجمة قد تحقق من زمان طويل فانشئت قوانين مستوحاة من الارتقاء الحديث في التشريع لكي تطبقها المحاكم الاهلية

وقد بدا في هذه القوانين وتنظيم المحاكم الحديثة تحسينات جمة بالقياس الى القوانين التي وضعت قبلاً فالمحاكم الاهلية التي انشئت منذ نصف قرن قد اجتازت دور التجربة ودلت على كفايتها والحكومة المصرية لم تكف مطلقاً من ناحيتها عن ادخال جميع وجوه الاصلاح التي دلت التجارب على وجوبها

واذن يحق لنا ان نقول ان مدة المحاكم المختلطة قد انتهت

ولكن لما كانت مصر ترغب في ان تقيم الدليل على اعتدالها وعلى محافظتها في نطاق امكانها على مصالح الافراد المرتبطين بطبيعة اعمالهم بهذه المحاكم لم تشأ ان تفكر في الغائها الغاء عاجلاً وقبلت الاحتفاظ بها خلال مدة معقولة على ان لا تطول اكثر مما يجب

ولكن ذلك لا يمكن ان يطبق على وظيفتها التشريعية ولا يسع المرء الاّ ان يدهش من ان محكمة للعدل مكلفة تطبيق القوانين يكون لها اختصاص تشريعي والواقع ان من نتائج الامتيازات غير الموفقة والتي لا يمكن تفسيرها انهُ بما كانت الدول غير معنية الا بالاختصاصات القضائية حملت مصر على طلب موافقة الدول على كل تعديل في القضاء المختلط وقد قامت هذه الدول بعدئذٍ بان تعهد في سلطتها الى الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف المختلطة ولكن في ذلك حالة لا تتفق مع مقتضيات حكومة عصرية

ان هذه الحالة حالة القاضي المشرع مناقضة بذاتها لمبدأ فصل السلطات ومن ناحية أخرى لا تسمح الوقت للقاضي ولا مؤهلاته ولا عدم حمله المسؤولية التشريعية بالنهوض بهذا العمل

وعلاوة على ذلك وبوجهٍ خاص ان هذا تحديد خطر للسيادة ليس أقل ما فيه انهُ يحول من المتعذر التفسير التشريعي للقوانين وهذا مخالف لروح التشريع اذ كيف يستطيع البرلمان وهو الاداة الطبيعية للتشريع ان يوفق بين عمله وبين حالة كهذه تنتقص من حقه العام

وان مصر التي في وسعها ان تضمن لسكانها الاجانب والوطنيين قوانين هي من أرقى القوانين ولها مجلسان تشريعيان ودستور هو من اكثر الدساتير حرية لا تستطيع ان تقبل الاحتفاظ بامتياز مرهق كهذا الامتياز فمن الطبيعي ان تشمل برنامجها على الغاء الامتيازات من جميع وجوهها ومنها الغاء عاجل لكل حصانة تشريعية عما فيها الحصانة المالية

أما المحاكم المختلطة فلا يمكن ان تبقى كما هي خلال فترة الانتقال لان هذه الفترة لم تقترح

الا " لمضي الى الغاء المحاكم المختلطة بتحويلها تحولاً تدريجياً ولولا ذلك لم يكن ثمة مانع من ان تلغى حالا ولكن الرغبة في ان تجعل هذه الفترة فترة انتقال حقيقية ولكي تصل تدريجاً الى الغرض المقصود نعني ان نسير بطريقة تجعل هذا الانتقال يتم من غير رجة

وهذه الطريقة تشتمل على اجراءين أولا - نقل اختصاص المحاكم القنصلية الى المحاكم المختلطة ثانياً — انشاء نظام للمحاكم المختلطة تقل فيه العناصر الاجنبية تدريجاً فيمهد السبيل لقيام المحاكم الاهلية بعملها

أما ما يتعلق بنقل اختصاص المحاكم القنصلية الى المحاكم المختلطة فيفسر بضرورة توحيد ادارة القضاء وليس ثمة ما هو أعظم خطراً من تعدد القضاء الجنائي في بلاد واحدة لان القانون الجنائي يجب ان يكون وحدة متماسكة بين الاجراءات الضرورية لحفظ الامن والنظام في بلاد ما في وقت معين وإذن لا يمكن للعقل ان يتصور الاعتماد على قوانين أجنبية ومحاكم أجنبية لحفظ النظام بمصر

وعندنا في هذا الصدد أمثلة تبعث على القلق تدل على عدم المساواة في الاحكام في قضايا حكم على أصحابها او المشتركين معهم أحكاماً مختلفة في جرائم واحدة او جنح واحدة

أما في ما يتعلق بنقل قانون الاحوال الشخصية الى المحاكم المختلطة فليس هناك أي صعوبة فعدا كون هذه المحاكم كانت تنظر الخلافات التي من نوع شخصي علاوة على غيرها من الخلافات المدنية التي من اختصاصها فانها لن تكون أقل قدرة على تطبيق القوانين الاجنبية من تطبيق القوانين المختلطة ثم ان مجموعة قواعد القانون الدولي الخاص تكفي لطمأنينة الجميع وتبديد كل المخاوف

أما الاجراء الثاني اي انشاء فترة انتقال فغني عن البيان ان الخطوة الاولى هي الغاء مبدأ اكثرية القضاة الاجانب ان هذا المبدأ لا يمكن ان يتفق وفكرة الانتقال نفسها فاذا بدأنا بفكرة الغاء القضاة الاجانب القائمين بالعمل الآن كان القول بالغاء مبدأ الاكثرية الاجنبية هو الصيغة الوحيدة التي تضمن الانتقال الحقيقي فالقوانين الخاصة بالقضاة في ما يتعلق بعدم نقلهم او عزلهم والضمانات الضرورية لصون استقلالها تبقى من دون تغيير تقريباً ولكن أهم التعديلات تتعلق بمادة الاختصاص وهي من نوعين مختلفين

فتعديلات النوع الاول تقصد الى توسيع نطاق القضاء والاخرى الى تحديده في بعض النقاط وهذه الاخيرة مرتبطة بمستحدثات قضائية في المحاكم المختلطة وهي تحديد معنى « الاجنبي » ومعنى « المصلحة المختلطة » وغيرها وان القاعدة الجديدة في النظم القضائي انما تعود الى الفكرة الاصلية التي توخاها واضعو لائحة ١٨٧٥ بنظامهم المساواة التامة بين القضاء الاهلي والقضاء المختلط وبالنص على انه من حق الاجنبي اذا شاء ان يخضع للمحاكم الاهلية

اما في القانون الجنائي فسحتفظ بالقوانين القائمة في المحاكم الاهلية ويضاف اليها الاختصاص في الجرائم والجنح التي يرتكبها الاجانب

أيها السادة هذه هي القواعد الاساسية للمشروع الذي سيشرف الوفد المصري بابداعه مكتب المؤتمر

فليطمئن الأجانب الذين لا يعرفوننا . في أي بلاد من بلدان العالم يرون انسجاماً بين الاجانب والوطنيين أتم مما يرونه في بلادنا ؟ أين يجدون حسن ضيافة وتساهلاً ولطفاً في العلاقات وظرفاً في المعاملات ومودة حقيقية تنبع من تعلقها في القلوب من زمن بعد ان أصبحت تقليدية وكأنها طبيعة . والى شعور الصداقة هذا ينضم عامل آخر هو عامل مصلحتنا في المحافظة على تعاون يؤدي في المستقبل بخير الثمار . ومن الواجب عليّ في هذا المقام ان اذكر بالاحترام العلماء والمعلمين والماليين والتجار وجميع اجيال الاجانب من اصحاب المواهب العالية والنية الحسنة الذين ما زالوا منذ قرن من الزمان ينقلون الى بلادنا كنوز معرفتهم وخبرتهم ونشاطهم ان ذكراهم ستبقى دائماً على العلاقات الودية المترتبة لحسن الحظ بين جميع سكان بلادنا وتبدو خاصة في الاحتفاء الطيب الذي تعده مصر لضيوفها الاجانب . ان تقاليد التساهل والتسامح التي اقامت مصر عليها الدليل دائماً في الماضي تسمح للمصالح الاجنبية المادية بل للمصالح الذهنية والمعنوية كذلك بأن تنمو نمواً حراً في ظل القانون

ايها السادة . بعد معاهدة الصداقة والتحالف التي عقدناها مع بريطانيا العظمى سوي مصر ان تدخل قريباً في جامعة الامم لكي تنهض بحربة بنصيبها من التبعات الدولية في خدمة السلام والانسانية على اساس من المساواة مع الدول الاخرى وان مصر لتشعر تماماً بالحقيقة ولكنها لا تكون حليفة ذات مكانتها الا اذا عنت دائماً بالعمل والتعاون مع الجميع لتنصيب العدل والسلام

وعلى كل حال فان مواطنيكم الذين يقطنون بلادنا قد ادركوا ذلك من زمن بعيد ولذلك اشتركوا بصدق وفعال في افراحنا القومية التي صحبت توقيع المعاهدة البريطانية المصرية

واذا كانوا وقد عاشوا في وادي النيل المطمئن ورأوا حتى في أشد الساعات حرجاً أشخاصهم وممتلكاتهم مصونة فكيف لا يستطيعون الاستيثاق من ان هذا الصون سيكون أتم في المستقبل في ظل حكم طبيعي سوي ؟

ومن بواعث سرورنا العظيم ان نرى مواطنيكم محتفظين بصلاتهم العاطفية والعقلية بأوطانهم لا يترددون مطلقاً في الدخول في نطاق الوطن المصري الذي ينوي ان يبسط من دون تمييز على جميع دوائر النشاط نعمة القوانين العادلة المعتدلة الحرة . اذا نريد ان نصل الى نتيجة ولا بد ان نصل

ومهما تكن المصالح التي يتناولها هذا المؤتمر كبيرة فان نجاح المؤتمر مصلحة اكبر لانه يقيم في مصر بأنه البرهان القاطع على روابط الصداقة القديمة التي تربط المصريين والاجانب

# امتيازات الملوك

بقلم امين العريب

مما يستحق الذكر ان الملوك لا يدفعون رسوماً ولا ضرائب لحصن ان هذه الضرائب قد فرضت على الناس لاجل تأييد العرش وتأمين معاش كافٍ وافٍ للجالس عليهِ سعيداً فلا يعقل ان يؤخذ من جيب الملك نفسهِ بعض المال ليوضع في الجيب الآخر

على أن هذا المبدأ قد تغير الآن وصار الملك يتناول مرتباً مخصصاً لهُ من الخزانة مثل باقي الواردات وبدلاً من ان يكون اليوم كما كان في الماضي مطلق التصرف بها يأخذ منها ما يشاء ويعطي ما يشاء — صارت الآن تحرمه عليهِ تنفق بمعرفة المجالس الساسة على مصالح الامة او — كما هي الحالة في بعض الاماكن البائسة — على مصالح الموظفين دون سواهم من الامة

فاليوم جورج السادس ملك الانكليز لا يستطيع ان يكافئ شاعراً مدحهُ بقصيدة مثلاً — بعشرة آلاف دينار كما كان الملوك يفعلون في صدر الدولة العربية او عند ما يسمع نكتة لطيفة من زائر غريب أن يصيح بأعوانهِ «زه زه املأوا فمهُ ذهباً» كما كان يفعل كسرى انوشروان ولئن اعطى احد ملوك اليوم شيئاً زهيداً فذلك من مخصصاته المعينة المستحقة لهُ. ان ملك الانكليز الاسبق جورج الخامس لما تبوأ العرش البريطاني سنة ١٩١ سئل هل يريد ان يقتفي آثار والده ادوارد السابع وجدته فكتوريا في عدم التمتع بحقهِ القانوني الذي يعفيه من دفع الضرائب فأجاب: «كلا بل اريد ان اتمتع بهذا الحق واعفى من جميع الضرائب والرسوم»

وقد قال ذلك بناء على رأي مستشاريهِ طبعاً اما الملكة فكتوريا فكانت قد تنزلت عن ذلك الحق ودفعت الضرائب لان الاحوال في بداية عهدها (سنة ١٨٤٢) اقتضت انشاء (بل اعادة) الضريبة على الدخل وهي ضريبة عادلة اشدّ انطباقاً على العقل والمنطق من سائر الضرائب المفروضة على الشعوب. فالذي يربح مالاً من اي وجهٍ كان يدفع الى الحكومة رسماً على ما ربح والذي لا يربح يعفى بطبيعة الحال. وهكذا لا يبقى الفقير مظلوماً والغني غير ممسوس بشيء كما هي الحال في البلدان المتأخرة لكن الانكليز ولاسيما اغنياؤهم لم يرتاحوا طبعاً الى القانون الجديد وكانت فكتوريا الفتاة الرصينة مقتنعة بصوابهِ فأعلنت انها تتنزل عن حقها في عدم دفع الضرائب وتخضع من تلقاء نفسها له قاصدة بذلك ان تخجل المتذمرين وتزول العقبات كلها من امام الجباة

ولما خلفها ادوارد السابع تابع العمل العظيم الذي بدأته والدته العظيمة وزاد على ذلك بعد عامين من جلوسه على العرش انه نزل عن حقه في اعفاء ما يرد باسمه من الخمور والمشروبات الروحيه والدخان من المكوس الجمركيه وكان هذا المبلغ حسناً لان هذه المكوس باهظه وما يرد من تلك الاصناف على البلاط الملكي مقادير كبيرة وقد استحسن الملك ادوارد السابع ان يخسر من مخصصاته ذلك المبلغ وهو نحو خمسين الف جنيه في السنه لكي يربحه بسد عوز واردات الحكومه

فلما جاء الملك جورج الخامس ودرس حسابات القصر ودقق في سجلات النفقات والواردات رأى الامور غير العين التي كانت لوالده لان جورج كان ساول في عهده الراس عمه الذي قرره القانون لجده فكتوريا عام ١٨٣٧ ووالده ادوارد السابع سنه ١٩ ومعلوم ان الحياة في عهد فكتوريا كان يشتري أكثر كثيراً من الحياة في عهد جورج ولهذا في الحد ان تابع الخطه التي درجت عليها جدته واقرته الحكومه على عمله بكل طيبه خاطر

على ان الملك جورج الخامس تخلص في هذه الخطوه من كل ملامه وعتب من جانب رعاياه باتفاقه مع الحكومه على ان تدير هي الاملاك المخصوصه به من أراض زراعيه ومسقفات كثيرة لحسابها لقاء ثلثمائه الف جنيه تدفعها له بدلاً كل سنه وهي ما زالت تدير هذه الاملاك وتربح لخزانه الدوله مبلغاً حسناً بعد حسم المال المدفوع على مخصصه له

وقد سببت هذه الأعمال في البلاط البريطاني مشكلات عديدة لملوك آخرين لأن صحافه ايطاليا وبلجيكا وهولندا وأسوج ونروج والدانمارك وفي العهد السابق المانيا والنمسا حملت حملات صادقه على ملوكها كي يقتدوا بملك الانكليز ويتنزلوا عن حقهم القديم في عدم دفع الضرائب لكن ملوكهم لم يسمعوا ولما جاء الملك جورج الخامس الانكليزي أيدهم هو أيضاً في عدم الاقتناع

على ان الشعوب أحياناً اذا أطمعت الكراع طمعت بالذراع فان الملكه فكتوريا الانكليزية نوقشت في صحف بلادها حسابات مرة ، مرة بعد مرة ، لانها لما نزلت عن حقها في عدم دفع الضرائب استثنت الرسوم البلديه خصوصاً وعمت عن دفعها وقد بلغ الجهد من بعض المجالس البلديه انها أقامت قضية على فكتوريا لدى المحاكم بطلب تلك الرسوم منها أسوة بسواها لكن المحاكم أسرعت الى رد هذه القضيه ضاربة بها عرض الحائط

وهذه الامتيازات الملكيه في انكلترا تجاوز شخص الملك وتشمل أبعد أنسبائه من ذلك ان والدة ماري الملكة الوالدة الحاليه ، وهي الدوقة تك ، استطاعت قبل موتها بقليل بتطبيل قضيه معاملة على زوجها الالماني في محكمه تشمونبد البريطانيه بطلب رسم بلدي على كلابه وقد سقطت هذه القضيه بمحض ان الدوق تك حمو جلالة الملك ، وبالتالي من السلالة المالكة أما ادوارد السابع فكان ، وهو ولي عهد ، يدفع للمجالس البلديه التي له أملاك في مناطقها خدمة مالية سنويه

لكنهُ امتنع بعد سؤال العرش عن ذلك لكثرة ما آل الى عهدته من الاملاك في مناطق عديدة
أما في ألمانيا فكان الامبراطور والملوك والصغار جميعهم يدفعون المكوس على واردانهم الاجنبية عند وصولها الى الحدود الخارجة عن حدود ممالكهم الخاصة. فالامبراطور لم يكن يدفع شيئاً لجمرك برلين لأنها في أملاكه. لكنهُ كان يدفع مثل رعاياه لجمارك البلدان الخارجة عن نطاق بروسيا. وقد عارضت الجرائد الالمانية كثيراً عند ما سنت حكومة سنة ١٩١ قانوناً رفع كثيراً المكوس المفروضة على الخمور الفرنسية. فأمر الامبراطور بالعجل في استجلاب ملء شاحنات حديدية ثلاث من اجود أنواع الخمور الفرنسية وأطيبها حتى تقطع او تكون بعد ظهر ٣ يونيه من تلك السنة. وذلك لابعادها من دفع الزيادة على المكوس التي كان مقرراً تنفيذها في الغد، اي من أول يوليه فصاعداً

وقد اهتمت صحف المانيا بذلك لما كان الامبراطور غليوم الثاني يدعي به من الكره لكل خمر غير الماني ولا سيما الشمبانيا الفرنسية. وهو كره لعطي لم تصدقه في وقته احد. وما كان يمرك عالماً بحقيقة ولاه في ابدال الورق الصق على القناني الفرنسية بورق الماني تمويهاً وتضليلاً للجالسين على مائدته الامبراطورية. لان ذلك السياسي الداهية كان يؤكد ان الشمبانيا الالمانية تفسد الأمعدته. وانه مع استعداده الدائم للتضحية بنفسه كلها في في سبيل وطنه لم يكن مستعداً على الاطلاق للتضحية بمعدته وحدها

والشيء بالشيء يذكر. فمعلوم ان تمنع الملوك الالمانيين عن دفع الرسوم في بلدانهم كان مع قانونيته غير علم صحف الرأي العام احياناً. فان دوق سكس مايننجن كان واسع الثروة جداً وقد ادى اعفاء املاكه من الضرائب الى فقر الخزانة عالماً حتى احدث الحكومة تثت روح الفتنة، وصار كل موظف يتأخر عنهُ مرتبهُ نصح الحق في ذلك على الدوق ويدعو لهُ باسماء كثيرة غير طول العمر

ومعلوم ان بعض الملوك كانوا ولا يزالون يتاجرون نظير رعاياهم لا رأساً وصراحة بل بالواسطة وفي الخفاء. فليوبولد الثاني جد ملك بلجيكا الحالي كان يدير اعمالاً عظيمة في ولاية الكونغو الحرة. والامبراطور غليوم الثاني الالماني وملوك اسوج وبافاريا وورتمبرج وغيرهم كانت لهم علاقات مالية كبيرة ببعض الفنادق الكبرى وسكك الحديد والمصارف. فلا غرو في ان ينكر الناس عليهم حق التمادي في الجمع عن تأدية الضرائب نظير سواهم من العباد

ولابد من الاشارة الى ان ليس بين ملوك الارض الذين تقوضت اريكتهم او سلمت في هذا العصر من يساوي ملك الانكليز في التخفيف عن عواتق رعاياه لاجل القيام بأوده. ولا نستثني ملك موناكو وملك لشتنشتين الصغيرين

ان جمهوريات فرنسا والولايات المتحدة حتى سويسرا نفسها التي رتب لرئيسها خمسين جنيهاً في الشهر فقط تنفق على رؤسائها اكثر من انكلترا على مالكها وامبرطها . اما المستعمرات البريطانية والدومنيون فلا تدفع فلساً قط لاعاشة الملك بيما املاكه الخاصة التي تديرها الحكومة تغلّ ثلثمئة الف جنيه في السنة تدرُّ لها فوق ذلك نصف مليون جنيه والملك يعلم ذلك كما كان والده وجده وجدته ايضاً يعلمون من قبله لكنهم رأوا ما يصيبهم من هذه النفقة كافياً فلم يشاءوا الزيادة وبدلاً من ان تكون الاسرة المالكة في انكلترا عبئاً ثقيلاً على عاتق الامة بلغ الربح الذي اصاب الامه من ادارة الاملاك الملكية من بدء هذه النفقة اي منذ مائة سنة نحو سبعة وسبعين مليون جنيه وهذا طبعاً في عداد الاسباب التي لاجلها يحب الانكليز ملكهم كثيراً ويدعون في نشيدهم الوطني « الله يحفظ الملك »

ومعلوم ان ملك انكلترا لا يزال بمقتضى القانون مطلق السلطة كما كان سلفهُ القديم وليم الفاتح فهو رئيس الاشتراع في البلاد وما المجلس النيابي الاّ من اعوانهِ ولا يصير القانون قانوناً بدون تصديقه ومفروضٌ حضوره في كل محكمة وهو قادر على العفو عن جميع المجرمين ولا سبيل الى معاقبتهِ او محاكمتهِ على ذنب لكن هذه الامتيازات كلها صورية فقط لم يسبق للملك أن استعان بها او أمر بامتحان قوتها لان الملوك في كل مكان رضوا بالتخلي عن كثير من امتيازاتهم الداخلية ، ورضوا بالتحوط التام لمركزهم العالي كي يحفظوا بالسلطة الظاهرة واللمعان الخارجي

على ان الملك الانكليزي مع افتراض حضوره قانوناً في كل محكمة لا يستطيع طبعاً ان يحضر بنفسهِ وقد امتنع الملوك من عهد فكتوريا عن حضور المناقشات في مجلس النواب وهم لا يشهدون المجلس الآن يوم افتتاحه فقط عند تلاوة خطاب العرش وفي نهايتهِ ينصرفون

ولكن لا يجوز لاحد الوزراء والنواب ان يشير ولو من طرف خفي اثناء المناقشات الى ما هي رغبة الملك او رأيه في موضوع البحث ففي اجتماع ١٧ دسمبر ١٧٨٣ قرر مجلس الامة البريطانية « ان اذاعة رأي خصوصي او مزعوم لجلالة الملك في اية مناقشة كانت من مناقشات المجلسين الاعلى والادنى بقصد التأثير في الاقتراع تعد جرماً كبيراً مضراً بشرف المجلس ومخالفاً لاساس الامتيازات السامية ومزعزعاً للقانون الاساسي »

ولما قال النائب تيرني في احدى الجلسات سنة ١٨٠٨ ان احد زملائهِ كان «قد خالف رأي البلاد في خطابه ورأي المجلس وفي اعتقادي رأي الملك » انتهره الرئيس ونبههُ الى ان لا حق لهُ في ادخال رأي الملك الشخصي في المناقشة

في عهد الملك جورج الثالث كان مفروضاً رسم خاص على كل من يعفر شعر رأسه وكان

الملك يصطاد الغزلان مع رفاق له فامسموا شطرين وطاردا احدهما غزالاً الى صفة النهر فسبح الغزال الى الصفة الثانية واسرع مطاردوه الى الجسر والا خشوا من التوقف لدفع رسم المرور ان يعدو الغزال نفسه في الجهة الاخرى فنادوا حارس الجسر « الملك الملك » ففتح الحارس الباب على مصراعيه ودخلوا كلهم بدون رسم ولكن بعد هنيهة جاء الملك نفسه ورهطه وقالوا للحارس « افتح للملك » فرفض الرجل قائلا ان الملك سبقهم ومر وبعد اللتيا والتي أفهموه انه مخدوع ففتح الباب متكدراً وقال « ان مر من هنا ملك فرنسا فلن أفتح له » على ان الغزال الذي كان الملك ورهطه يطاردونه نجا بحياته اثناء الجدال فغضب الملك واستدعى حارس الجسر ليوبخه لكنه عاد فاقتنع بصحة كلامه ودفع له الرسم المعين عن اربعين من رفاقه

وبعد يومين مر جورج الثالث من هناك وعبر الجسر صائحاً من مركبته بالحارس « ان ملك فرنسا لن يمر اليوم من هنا »

وملك انكلترا يعد صاحب مهود الانهر كلها وصاحب الجزر التي تكون على شواطئ بلاده وله الحق الخاص دون غيره في طبع التوراة وكتاب الصلوات الانكليكانية وكل سمكة « سلطان ابرهيم » (بوربوني) يصطادها الصيادون تكون له وكل حوت يكون رأسه له وذنبه للملكة بمقتضى القانون البريطاني

ثم ان الملك ادوارد السابع وحده كان كاهناً بحسب طقس الكنيسة التابع لها يأخذ حسباً واحداً في السنة من كنيسة القديس داود في وايلس لقاء حقه في القاء عظة واحدة كل سنة من فوق منبرها وكان محامياً قانونياً ودكتوراً في الطب على انه لم يرافع مرة في قضية لعجزه بمقتضى القانون عن الحضور الذاتي في المحاكم ولم يطبب احداً لان احدى الجامعات اهدت اليه لقب دكتور طب ، وهو ابلس من هذا العلم

ومما يستحق الذكر ايضاً ان لملك انكلترا حقاً قانونياً في ان يمنع ايًّا كان من رعاياه من مغادرة البلاد وان يستدعي ايًّا كان منهم اليها لان الدفاع عن الملك حق له على جميع رعاياه ولكن ليس له ان يخرج انكليزياً من انكلترا رغم انه لهذا الغرض لحق الدفاع عن ملك انكلترا يتناول انكلترا وحدها لا خارجها

وبالتالي كل انكليزي يخرج من بلاده للدفاع عن حقوق العرش والتاج يفعل ذلك من لطافة وكرم اخلاقه بمقتضى القانون الاساسي اذ لا حق في ذلك للملك عليه

ويعلم الله ان الانكليز قد تلطفوا كثيراً مع ملوكهم بخروجهم المتواتر حتى جعلوا الشمس لا تغيب عن املاكه

# باب المراسلة والمناظرة

---

نظرات لغوية في

## مختار الصحاح

للأب أنستاس ماري الكرملي

عضو مجمع اللغة العربية الملكي

---

### ١ — تمهيد

ألف الجوهري معجمه (الصحاح)، فذاع بين الناس ذيوعاً عجيباً وأصبح حجة، يستشهد به كل من أراد ان يدعم كلامه بدعامة متينة، او يصحح، او يزيّف قوله عن كل شائنة أو شائبة. ولما شاع في أندية الأدب، ومجالس العلم، حسده عليه جماعة، وحاولوا ان يحطوا من منزلة صاحبه، لكن ذلك النقص زاده علاء وسلطة على من ساوره وعاداه فكان كل ما أحدثوه عليه «قذفه شيطان رجيم رمى بها»

وأحدث طائفة أخرى تصنيف المعاجم، ومن وقت الى وقت نشير فيها الى ما في الصحاح من المعاثر والاوهام، فلم تؤثر تلكم النقد الى ما في بحار الجوهري من الدرر واللآلىء، بل الفرائد العوالى، وبقي مصنفه عالى المقام، كما ان القمر، لا يناله الضرر، اذا ما عابه الاطفال، أو شتمه الانذال

هذه هي منزلة ابي نصر اسماعيل من النصراء وفقهاء اللغة ثم جاء الامام زين الدين بن محمد بن ابى بكر بن عبد القادر الرازى في المائة السابعة للهجرة، (وهي المائة الثالثة عشرة للميلاد) واختصره اختصاراً حسناً سماه (مختار الصحاح)، فاتخذه كل متفقه أو أديب يجتزىء بالوشل عن الفيض، وبالقليل عن الكثير، فحلل الطلبة والمتمين الى المدارس، وتناولته أيدى الكبار والصغار، لأن صاحبه وضعه على طرف الثمام

وقد نسخ هذا السفر مراراً لا تحصى، وترى منه أمثلة في البلدان العربية اللسان، لا بل فى الديار الاعجمية، كايران والهند وربوع الترك، وارجاء الافرنج، ومطارحهم وكذا يقال عن طبعه، فانه نشر فى اصقاع شتى، وأفاد مطالعيه الفوائد الجلى وأحسن طبعاته ما برز بحلة قشيبة فى المطبعة الاميرية العامرة من وادى النيل المبارك، على ما رتبه صاحب العزة محمود خاطر بك، وقيده بالشكل الكامل صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ حمزه فتح الله المفتش الاول للغة العربية بوزارة المعارف العمومية سابقاً، وعني بتصحيحه وتنقيحه وتعليق بعض حواشيه حضرة الزميل الصديق صاحب العزة الشيخ احمد بك العوامرى، من أعضاء

مجمع اللغة العربية الملكي ولهذا السبب قررت وزارة المعارف العمومية المصرية طبعه على نفقتها ، واستعماله في المدارس الاميرية ، فجاء تحفة من التحف يتفاخر بها أرباب في الطباعة ، وأبناء المدارس

ولما كان هذا المعجم في منتهى النفاسة ، مع ما عليه من صغر الحجم ، كان من الحق ان يخلو من كل شائبة ، او وصمة ، او عيب أياً كان وقد رأينا في طبعته هذه ، بعض المعاثر نود ان لا تكون فيها في الطبعة الجديدة الآتية ، وتفضل بنشرها في المقتطف لما نالت هذه المجلة من الانتشار في الآفاق ، والذيوع بين ظهراني المنتمين الى الأدب الصحيح وعشاق اللغة المضرية

ونحن لا نتكلم هنا إلا عن اخلاص نية ، بغية الانتفاع بهذه الفريدة الخريدة صادق الانتفاع . وسعياً لأن تكون آية من آيات التحقيق والامعان في التدقيق

٢ — ملاحظات عامة

قال ناشر الديوان في المقدمة التي صدره بها ما هذا نصه بحروفه « هذا وقد اتى على ( المختار ) من تحريف النسخ والطبع ، ما ستكرت معه صورته ، ورثى له من أجله صاحب العطوفة الهمام ، « حسين فخري باشا » ، ناظر المعارف العمومية ، وصاحب السعادة « يعقوب ارتين باشا » وكيلها المفضال ، فاستقر رأيهما على اعادة طبعه بنفقة المعارف ، وعهدا في تصحيحه وضبطه الى حضرة فضيلة الاستاذ الثقة اللغوي « الشيخ حمزة فتح الله » المفتش الاول للغة العربية في النظارة ، ورغب سعادة الوكيل المشار اليه ان يستتم الفائدة من الكتاب ، وان يسهل على الطلبة تناوله ، فرأى ان يكون على اعتبار الحرف الاول والثاني كما هو ترتيب المصباح ، للامام الفيومي ، وان ترد الى كل مادة مشتقاتها التي يصعب على الطالب ردها اليها ، مع حذف ما لا ينبغي ان يطرق مسامع النشء ، بشرط المحافظة على أصل الكتاب وقد تمّ بحمد الله تعالى وفق المرام » اه

فهذا كلام يدل على ان في ( المختار ) تحريفاً كثيراً ، منه ما وقع من قلم النساخ ، ومنه ما جاء من الطبع ولهذا عني العلماء المذكورون فوق هذا بتصحيحه ، واعادة نصه الى نصابه بما في الامكان — الا ان هذا العمل او هذا المسعى الحميد لا يقفنا على ان المهذب موافق للاصل ، او مقارب له ، اذ لم يذكر لنا ان المصلحين عثروا على نسخة الاصل ، او على نسخة منقولة عن الأم . وكان يحسن بالناشرين او الطابعين ، ان يبحثوا عن مخطوط ، يكون احدى مزاياه ، هذه الحلة الكبرى ، اي ان يكون من نسخة هي ابنة الأم

وقد حصلنا نحن على مخطوط يحلى بهذه المزية ولهذا نرى من المستحسن ان ننشر بعض فصول تفيد متولي شؤون الأدباء ليستفيدوا منها اذا ما حاولوا اعادة طبعه وقبل ان نشرع في الكلام ونتصدى للغاية التي نرمي اليها ، يحسن بنا ان نقول كلمات ، توطئة للبحث فنقول

كان يحذر بالناشر او الناشرين ، ان يقولوا كلمة على النسخة التي اعتمدوها لطبع الكتاب ، ويذكروا اسم ناسخه والسنة التي كتبه فيها وإلا فمجرد اخراجه للقوم بهذه الصوره ، لا يوحي الثقة في صدر المطالع فيه

وكان يستحسن ايضاً ان يصدر السفر بترجمة المؤلف ، ترجمة مختصرة ، يذكر فيها ايضاً ولادته ومسقط رأسه ويوم وفاته ومنزلته من اللغة وبعد هذا ينتقل الى تدوين بعض النظرات

٣ نظرة عامة في النسخة المطبوعة

ا — نظرة اولى في رسم الحروف

حروف المطبعة الاميرية المصرية « الحاليه » مشهورة بانها من ابدع الحروف ، ومن اجمل الخط فهي لآلىء تزري بدر البحار — ان صغارها وان كبارها — الا ان فيها عيباً ، هو انها لا تنقط الياء التي تختم بعض الكلم ، وهي تفعل ذلك « قصداً وعن عمد » لا عن محض اتفاق وكذلك تفعل اغلب مطابع الديار المصرية ، واغلب طلبة المدارس والعلماء في ربوع وادي النيل ، زاعمين ان سبب اهمال النقط شهرة الالفاظ . ولاسيما لان التنقيط وضع للذين لايحسنون القراءة او انه يهين القارىء كأن الكاتب يحاول ان يبين جهل القارىء فلو كان الامر كما يدعون فليهملوا تنقيط جميع احرف الكلمة ، او لا اقل من ان تهمل الكلمة التي فيها ياء في رأس اللفظة او في ذيلها او حشوها

وقد كتبنا مرة في ( المقتطف ) الاغر ، وفي رسالة خاصة ، ان اعظم علماء العربية وأمعنهم في اسرارها لا يتمكن من قراءة بعض العبارات ، ان لم يقرأها مرتين او ثلاثاً ، بل ربما لا يمكنه ان يقرأها البتة ، ان لم ينقط آخرها ، ان كان فيها ياءات وقد عرضنا عبارة واحدة على عدة متخرجين في احكام اللغة واصولها فما اهتدوا اليها ولن يهتدوا ، ان لم تؤخذ بالاصلاح الذي نشير اليه ، ولا بد منه يوماً ، ولو طال الامد

زد على ذلك ان هذا الاهمال سبب اغلاطاً جمة في اللغة ، ووسع مدى التصحيف والتحريف فلا نعود الى هذا الموضوع ، وقد قلبناه بحثاً في ما كتبناه سابقاً ونتمنى ان تجاري مطابع ربوع ديار الفراعنة ، مطابع سائر البلاد العربية اللسان ، كسورية ، ولبنان ، وفلسطين ، والعراق ، الى غيرها ، فيسهل على المطالعين ، قراءة تلك الكلمات ، من غير ان يعملوا النظر فيها ثناء وثلاث ورباع ، ليهتدوا الى القراءة الصحيحة التي ارادها الكاتب

ولنأذن لنا ناشروا هذه النسخة ايراد مثل واحد من هذا المعجم المفيد فقد جاء في مادة ( دم ا ) ما هذا نصه « وتصغير الدم ( دمى ) وجمعه ( دماء ) » وضبطت ( دمى ) بضم الدال وفتح الميم والذي يعهده القارىء ان ( دمى ) جمع دمية وزان غرفة وغرف وتصغير دم ، دمي ، بضم الدال وفتح الميم وتشديد الياء المنقوطة فلو كانت الياء الخاتمة الكلمه منقوطة ، لكانت تقرأ ( دُمَيّ ) ولو لم تضبط اللفظة باي حركة كانت ، لكن اهمل تنقيطها ،

يحار النظر في امرها وكذلك الفكر فانظر بعد هذا الى ضرورة وضع التنقيط

وقائل يقول لو كانت الكلمة تقرأ ( دمى ) جمع دمية ، لوضع التنوين على الميم ، فوضع الفتحة وحدها عليها ، يدل دلالة صريحة على ان الياء التي تليها تقرأ ( دميّ ) اي بضم الدال وفتح الميم وشدة الياء — قلنا ولماذا ضبط الكلمة بالضم والفتح « وركش الكلمة بالابر الكريرة والحبة السوداء » في حين انا نختصر كل ذلك ، بتنقيط الياء فقط ، فنخفف على الطابع تشكيل حرفين ، ونقتصد في الوقت ، وندفع عن مصحح مسودة الطبع ( كما تقول العراقيون او التجربة كما يقول المترجمون في مصر ، او البروفة ، كما ينطق بها عمال المطابع ) اذ كثيراً ما تقع المصحح في الوهم حين يكثر بين يديه تبديد الالفاظ افليس الاحسن ان نختصر كل ذلك بتنقيط الياء — هذا الحرف المسكين المظلوم الذي بخس حقه بعض الادباء على غير اثم اجترحه — زد على ذلك ان تشكيل اللفظة بالصورة المعهودة ينشيء سطرا جديداً هو سطر الحركات والضبط ، فوق السطر الاصلي الذي هو سطر الاحرف اوليس الاحسن ان ننقط الياء — وتكون هذه الياء المنقوطة ميسرة لنا في منازل سائر الحروف التي في صندوق الطبع — فنخفف على القارىء ايضاً عناء اشغال النظر والفكر ونحن في مندوحة عنه

هذا مثال واحد لا غير من آلاف امثلة لا تحصى ونحن نشفق من الاسترسال في هذا البحث ، حرصاً على الوقت وامتناعاً من ان نعل ماء مشرعة كنا نهلناه في ما تقدم من العهد

ب - نظرة ثانية في رؤوس مواد المعجم

وامنيتنا الثانية او نظرنا الثانية ان نكون اصل الكلمة ، او رأس ترجمتها بحرف ممتاز ريان ، او ضخم ، حتى يسقط طائر الناظر او الباحث عن المادة ، سقوطاً قاصداً ، من غير ان يتصيدها في مطاويها او مثانيها انظر الى المطبعة الاميركية في بيروت ، فانها جارت المطابع الافرنجية جميعها التي تتخذ الحرف الضخم الممتاز في رأس كل مادة من مواد المعاجم التي تتولى نشرها ( فالبستان ) مطبوع على هذا الغرار ، وهو آية في الطبع ، لا في التحقيق وما يتلو اصل المادة مطبوع بحرف ادق وهكذا يفعل جميع اهل الغرب في طبع معاجمهم من صغيرة او كبيرة ، فاذا راجعتها على اختلاف قومات اصحابها ، فانك تلفيها جميعها على هذا الاسلوب البديع الذي اصبح ضرورة في هذا العصر الذي يرمى دائماً الى التسهيلات والمريحات وحسن الذوق وجمال المرئيات ، بل اصبح مثل هذا الطبع من اهم ضرائر المطبوعات في عهدنا هذا والمعجم المنشور بهذه الحلة البديعة رغب الناس في شرائه ولو لم يكن الشاري من القراء ولا من المحققين وقد نفق سوقه — ولو كان الكتاب مشحوناً اغلاطاً — وتكسد سوق الكتاب الصحيح التأليف ، او القليل الاوهام لانه لم يتحل بهذه الحلية العصرية والاختبار احسن دليل على ذلك ، او احسن داع لنشره فعسى ان لا نبقى في آخر الرعيل في هذا الامر وان نجاري الافرنج فيه كما جاريناهم في شؤون لا تحصى

## ح — الطرة الثالثه في الحروف المكسورة

يشوه بعض المطبوعات ولا سيما المصريه منها ، كأن هذه المزيه لحقتها دون سواها — الحروف المكسورة وهذا امر يجب ان نتلافاه ولا نبقي له اثراً . خذ اي معجم كان من معاجم اللغة الانكليزيه او الفرنسية او الايطاليه او الالمانية ، وفيها مئات الصفحات ، بل الوفها ، ولا تصيب فيها حرفاً واحداً مكسوراً او ممحواً او مقلوباً رأساً على عقب ، او معيباً باي صوره كانت ، بل ترى العكس ، اذ تجد جميع السطور كثغور الحسان ، سنة التناسق صحيحة ، سالمه من كل علة ولو طفيفه ، بل لا اعوجاج فيها ولا امت زد على ذلك ان حروف دواوينهم اللغوية ادق بكثير من حروف اسفارنا وكنا نتوقع ان نشهد هذا العيب في مطبوعاتهم لا في منشوراتنا ، والسبب واضح لان حروفهم دقيقة وتحتل مما نكاد نسمي « لاشيء » ومع ذلك فالامر بخلاف المنتظر

هذا ( مختار الصحاح ) فليس فيه إلا ٧٤٥ صفحة ، وقد وقعنا فيه على حروف مسحوقة او مهشمة نيف على المائة افليس هــذا مما يعاب عليه و يشين محاسنه ومصداقاً لقولنا نذكر هنا بعض هذه المشوهات ، مشيرين هنا الى صحته ويبقى على القارىء مراجعة الاصل لاصلاحه ونشير بالرقم الاول الى الصفحة وبالثاني الى السطر ، ولا نعنى بذكر العمود لان السطور متوازية . بعضها لبعض وكل املنا ان لا يعود الى هذا السفر الجليل مثل هــذا التشويه ودونك شيئاً من تلك الامثلة

سُمِّي الاسير ١٦ ٣ — وسمي البدر بدراً ٤٣ ١ — عليها ٦٤ ٩ — تأخرت ٧٣ ٢ — اسطرادى ٩٠ ٢٠ — ام روحها ١٥٨ ١١ — سمي ١٦٥ ١٤ — تصرنان ١٧٩ ١ والحلمة ١٨٥ ١٧ — والحنة ٣ ٢ ١٩ — الموالاة ٢٤١ ١ — فرصي ٢٤٦ ٢ — الحذى — ٣١٣ ١٩ — مارلنا ٣١٦ ٢ — عذاب ٣٢١ ١٣ — الهروي ٣٢٤ ١٩ — وترتم ٣٣٢ ١٧ — والمصونة ٣٧٢ ١٥ فقل ٣٧٢ ١٦ — الحطب ٣٨٠ ٧ — نيا ً ٤١ ٥ — نشبه ٤٢١ ١٠ — بات ٤٢٣ ١٩ — الشيء ٤٢٥ ١٧ الظلام ٤٤٨ ١٣ — ردأ ( مكرره في ) ٤٥٣ — الشيء ٤٥٩ ٧ — عيال ٤٦٦ ١١ — معي ٤٦٧ ٨ — وقصي ٤٨٤ ١٣ — كناية ٥١٢ ١٩ — يمين ٥١٣ ١٢ — والجهلة ٥١٣ ١٥ — بمعيص ٥١٦ ١٥ — ورند ٥١٧ ١٥ — الشيء ٥٢٤ ٥ والادلة ٥٤٩ ٥ — قوام ٥٥١ ٧ — اتجمع ٥٨٥ ١٧ — ريداً ٦١٠ ١١ — ثمن ٦٣ ٢٠ — التؤدة ٦٣٨ ١٥ — والمحدثون ٦٤٤ ٧ وبدّ ٦٥٢ ٥ — وهجيتها ٦٩١ ٤ — معناه ٤٠٢ ١١ — من اديم ٧٢٣ ٧ الكسائي ٧٣٩ ١٩ — وانقطه ٧٤٣ ٥ — تحالفوا ٧٤٥ ٣

فهذه خمسون كلمة مكسورة الحرف فنجتزىء بهذا القدر عن ايراد الكل ، اذ به مأنؤيد ملاحظتنا وكفى

د — الطرة الرابعة في رسم الهمزة

لم ير كتابنا اختلف كاتبه في رسم همزة كلمة مثلما الفيناه في هذا السفر الجليل ، فان طائفة صور الهمزات بخلاف القواعد المتعارفة عند الاقدمين من النصراء بالكتابة وتحويد الرسم والغريب في هذا الامر ان الناشر لم يخالف السلف وحسب في هذا الاسلوب ، بل ناقض نفسه بنفسه ، ولم يجر ابداً على اصول متبعة ، وربما انحاز الى مذهب طائفة لم يتفق عليه اغلب الصرفيين ، بل سار وراء بعض المتفردين في آرائهم لنشار اليهم بالبنان ، لمخالفتهم « اغلب » ارباب رسم الهمزة

فاما ما اختلف الناشر في تصويرها مع نفسه فكرسمه لاسرائيل واسرائين ( في اسر ) وجبرائيل ( في مادة روح ) بالوجه الذي ذكرناه هنا وهو الوجه الشائع عند اغلب الصرفيين وقد خالفه في تصوير ميكاءل وميكاءين في مادة ( م لك ا ) بهذا الرسم الغريب المنقول عنه وكذلك فعل في اسرائيل فانه من بعد ان صوره بهذا الشكل خالفه في ص ١٦ ٤ — وص ٢٨٣ ١ — و٢٩٨ — و٢٩٨ ٣ — و٦٣١ ٢ و٣ — الى غيرها ولم نفهم سبب هذا الاختلاف في الكلمة الواحدة — والمشهور ما ذكرناه اي ان الهمزة ترسم على صورة الياء وهكذا وجدناها في النسخة المنقولة عن الام

واما رسم الهمزة الذي خالف به القاعدة المطردة عند ارباب اصول اللغة فنرى في كثير من الالفاظ ونحن نذكر بعضها مشيرين الى ان الناشر رسم الهمزة الواردة في حشو الكلمة « على خط صغير مستقيم كالسين غير المسننة بل المسوطة سطاً » هذا اذا كان ما قبلها مفتوحاً اما اذا كان ما قبلها ساكناً او مضموما فيخالف طريقته هذه مرة بكتبها بلا قائمة تقوم عليها بل وحدها بين حرفي الكلمة ومرة يرسمها على خط مستقيم واحياناً على صورة الياء فالقارىء يحار في هذه التيه الذي دونه تيه بني اسرائيل ونحن نسرد هنا بعض هذه الحروف على ما جاءت بالصورة الواردة في هذا الكتاب

مؤود (ص ٣٢) — يئول مئوف (٣٣) — توءمان (٧٤) كؤوداً (وردت مراراً بهذه الصورة كما في ص ١٨٢، ٣٦٣، ٥٦ - رءوسهم في ١٨٣ و٢٦٨ و٢٩٢، و٩ ،٦ و٦٨٠ الى غيرها - ثئول ١٩٨ - مذءوم ٢١٨ — مرءوس ٢٢٧ - طؤور ٣ ٤ أطئار ٣ ٤ - ملحؤه ٤٦١ - كئوس ٥٦ - مشؤوسة ٥٧٥ كتبت مرتين اخريين في ص ٦١٢ ومرتين في ٦٤ و ٦٣٧ — الامئاق ٦١٢ - ائار ٦١٢ — مريأ ٢٦ — تمالئوا ٦٣١ المشئوم ٦٧٩ — تئوم ٦٨٦ ومن الغريب انه كتب هؤوراً في ص ٧٠١ ولم يكتبها على مألوف عادته هئوراً وكتب

موءوده ٧٠٥ – الشّور ٧٢٣ — تواطئوا وطئاً ٧٢٧ — ومئاً ومروؤها ٧٣٧ – يؤوس ٧٣٠ الى عيرها مما نطول نعداده

***

اما القاعدة العامة التي قررها الواقفون على احكام العربية وأصولها المتينة فتستخلص في ما يأتي فمل ان رسم الهمرة حاول ان تليبها — اذا كانت في الوسط ، الى أحد احرف العلة ثم اكتبها على صورة الحرف العلل الذى أملتها اليه وان لم تمل أكتبها بلا عماد ، اي وحدها بلا حرف علة اما اذا كانت في الاول فارسمها على الالف بلا شاد واما اذا كانت في الآحر ، فان سبقها حرف متحرك فاكسها على صورة حرف علة يجانس حركة ماقبلها واما اذا كان ماقبلها ساكناً ، فارسمها قائمة بنفسها اي بلا حرف عليل ودونك الشواهد على دلك

(الهمرة في الأول) أَحَد وأُحِد وإِحادة

(الهمره في الوسط) — الساكنة مثل نُؤمِن ويأمَن ، وبئر

( الهمرة المتحركة وهي في الوسط ) موؤود ، ومُؤونه وفيئه — وتوأم وتيأس وتأمن وأطآر - سؤول ميئين ، مئات سُؤال ودئاب وسآمة — جرائل ، روائم ، راؤول

الهمره في الآخر شطؤ و ِيء وأرأ - - شيء وسُوء ورداء ، حبء

فرسم هده الهمرات بالرسوم التي خططناها هنا منقولة عن مختار الصحاح وعن الصحاح نفسه ونسخة هذا الكتاب ايضاً منقولة عن الأم للجوهرى

ولهذا لا نكتب شؤون الأ بواوين وعلى الاولى همره ومن صورها على الياء فقد اخطأ وابتعد عن رسم الاقدمين لها وهو الرسم الصحيح الذي لا عار عليه

* * *

ولا ننس ان تصوير الهمر على ماساه هنا هو الذي انشأ لنا كثيراً من الالفاظ التي نقلت الينا بحروفها العليلة اى عير مهموره بسبب تلبسها مثل الخطيئة فانها تركت لنا الخطيه عير مهموره،والدؤنون الدونون بواو ممدوده ساكنة ، والقانىء القاني ، والدؤلي الدولى ، ومساوئه مساوىه ومن مضارع ؤكد وؤرخ ونحوهما جاءنا التواريخ والتواكيد الى آخر ماجاء من هذه الاشياء المسهلة الكثيرة العدد

( الباقي للآتي ) الاب انستاس ماري الكرملي

# باب الأخبار العلمية

## السيلوتكس

**Celotex**

خشب يصنع من مصاصة القصب وخواصهُ العجيبة

---

ما انتشر مقتطف ابريل الماضي بين مشتركيه وقرائه حتى جاءنا استيضاحات شتى بشأن مقال السيلوتكس اي الخشب الصناعيّ الذي نشرناهُ فيه بقلم عوض جندي الكاتب المعروف لقرائنا فرأينا لزاماً علينا استجابةً لاستعلاماتهم أن نقضي الموضوع من سائر نواحيه فنقول —

قد شاهدنا الواح السيلوتكس فاذا بها مختلفة طولا وعرضاً وثخانة ولا يزيد ثمن المتر المربع منها على ١٢ قرشاً صاغاً ومقاييسها كالآتي — العرض ٣ و ٤ اقدام والطول ٧ و ٨ و ٨½ و ٩ و ١٠ و ١٢ قدماً والثخانة نصف بوصة وكل ١٠٠ قدم مربعة منهُ تزن نحو ٦ رطلاً انكليزيًّا ودرجة توصيل السيلوتكس للحرارة تكاد تساويها في الفلين الصرف والسيلوتكس لا يحتوي على غراء ويكتسب السيلوتكس قوته من تماسك اليافه وفي أثناء صنعه تجعل تلك الالياف متماسكة لكي تصير اللوح كله المصنوع منها مقاوماً للماء في جميع نواحيه فاذا ما دهن اول (وجه) دهنة من البويه صلح جداً لواجهات المباني ويمكن تبييض السيلوتكس بالجبس والمصيص او بمشمّعه بطبقة تؤلف من جزء واحد من المصيص وجزءين من الجير وعلمنا ان مصنوعات السيلوتكس عرضت نماذج منها وبعض صورها الفوتوغرافية في المعرض الزراعي الصناعي الذي اقيم في شهري فبراير ومارس سنة ١٩٣١ بالجزيرة بضواحي القاهرة حيث نصب كشك كلّهُ من السيلوتكس وزخرف زخرفة انيقة أُعجب بها زائروه أجمعون ولا سيما حينما علموا انهُ يقاوم الحريق اكثر من الخشب الطبيعي مائة مرة لخلوّه من المواد الراتينجية التي تساعد على سرعة التهاب الخشب الطبيعي وانهُ لا يتعرض للتسوس ولا لغيره من عوامل الفناء، فضلاً عن رخص ثمنه والواح السيلوتكس الكبيرة تلصق بالقار أو الزفت على مباني الخرسانة المسلحة لوقاية السقف من أُوار الشمس والطريقة المثلى المستعملة الآن لذلك

ان سطح السقف المراد وقايته من الحرارة الشديدة ومياه الامطار الغزيرة، نظيفاً جداً من التراب وغيره من الانقاض، وتبسط فوقه طبقة من الزفت السائل

الساحر ويلصق بها الواح السيلوتكس بحث يترك بين كل لوح والآخر فراغ دقيق لا يجاوز اربعة ملمترات ،على ان يملأ هذا الفراغ ايضاً بالزفت ويلصق فوقهُ شريطٌ من الاقمشة السمراء المعروفة باسم الدمُّور او من الكتان عرضها عشرة سنتيمترات ثم يغطى الواح السيلوتكس بطبقة من الزفت ايضاً يلصق فوقها نوع من الورق المشمع يسمى سيرالكرافت Sisalcraft وهو ورق متين جدًّا لا يمكن تمزيقه ولا يخترقهُ الماء ولا الهواء ومعالج بطريقة كيميائية تحول دون استهدافه للتسوس والعفن والعطر ويساوي المتر المربع منهُ ٢٥ مليماً وهو مؤلف من طبقتين ملصقتين بالقار ويغطى السيرالكرافت بطبقة من الرمل توضع فوقها بلاط السقف المعتاد وبهذه الوسيلة تصبح درجة حرارة البيوت المسقفة بالسيلوتكس أقل من غيرها بنحو ست درجات سنتيغراد وقد استعمل السلوتكس في الاسكندرية لوقاية سقوف عدّة مبانٍ ومنها عمارة المؤاساة وفندق سيسل وكلية فكتوريا والمستشفى الايطالي وثكنات مصطفى باشا وغيرها واستعمل في القاهرة في كابينات التليفونات وقايةً لها من حرارة الشوارع وفي مستشفى رعاية الاطفال والولادة وعمارات وسط البلد وعرفات حمّة ومنها أوليمبيا ورويال ودولفي بلاس وذلك إما للسقف وإما للزخرفة وإما للحشو وإما لامتصاص الضوضاء الخارجية وتحسين سمع الاصوات الداخلية وقد بني بالسيلوتكس بيت في الصحراء للمهندسين المقيمين بمنجم السكري لاستخراج الذهب، فوقاهم وهج الشمس المحرقة هنالك فعسى ان تهتم الحكومة المصرية او نفر كبار رجال المال والاعمال في هذه البلاد باقامة مصنع للسيلوتكس من مصاصة القصب وعيدانه المعصورة ، فنستغني عن استيراده من الخوارج يوسف أرام وكيل الشركة الاميركية شارع الكنيسة الجديدة رقم ٦ بالقاهرة والخوارج مكس رقم ٣٨ شارع سعد زغلول بالاسكندرية

## الصاعقة الكهربائية
### تحرس السجون بدلا من حراسها

جاء في احدث الانباء من اميركا ان الصاعقة الكهربائية قد جرت لتحل محل الحراس الذين يغدون ويروحون تجاه اسوار السجون وذلك انهُ متى حاول مجرم الهرب تسلق حائط السجن تطلق الصاعقة عليه نوًّا مدفعاً فتجدلهُ في مكانهِ وفي الوقت عينه تعلن الصاعقة الكهربائية ضابط السجن بالحادث وذلك بأن تسلط عليها شعاعة من الضوء تمتد فوق سور السجن فاذا اعترض ظل السجين الفار تلك الشعاعة تأثرت توًّا الصاعقة الكهربائية فتتم الدائرة الكهربائية في باطنها ومنها ينبعث التيار الكهربائي المتصل بالمدفع فتسدده على قمة السور ويدق جرس التنبيه في الحال والصّاعقة هي البطرية الكهربورية

## هل عمل الاعصاب عمل الغدد

الجهاز العصبي يعمل عمل الغدد كذلك والخلايا العصبية تفرز مواد لها فعل فسيولوجي قوي كما تفرز الخلايا التي في الغدد النخامية والدرقية والكظرين وغيرها

هذه حقائق كانت معروفة عند العلماء في حياة الحيوانات الفقرية ولكن بحث الدكتورة برتا شارر وهي عالمة المانية تدل على انها تنطبق كذلك على الحيوانات غير الفقرية

كان العالم الالماني كرول في مقدمة من وجه النظر الى وجود مفرزات شبيهة بالمفرزات الغددية في داخل الدماغ ثم جاء العالم الاميركي الدكتور باركر احد علماء جامعة هارفرد فأثبت وجود مفرزات في اطراف الاعصاب دعاها المائيات العصبية ( نوروهومر )

وتلا ذلك بحث واسع النطاق عن الخلايا والانساج المفرزة في المراكز العصبية نفسها وقد امتد نطاق هذه البحوث حتى شمل بلداناً كاسبانيا واليابان

وكان في مقدمة الباحثين هذه العالمة الالمانية الدكتورة شارر فكشفت عن خلايا اطلق عليها اسم الخلايا العصبية الغددية وثبت انها كثيرة الانتشار في الجهاز العصبي في الحيوانات الفقرية

وفي السنوات الثلاث الاخيرة عنيت الدكتورة شارر ببحث هذا الموضوع من حيث علاقته بالحيوانات غير الفقرية كالديدان والحشرات والمحار وغيرها وكانت هذه الحيوانات تلتقط من اماكن متباعدة على سطح الكرة الارضية

وقد وجدت الخلايا العصبية المفرزة في الانساج العصبية في جميع هذه الحيوانات

هذه الخلايا لا تختلف على شريحة المكرسكوب عن سائر الخلايا العصبية ولكن عندما تعالج بالمواد الكيمياوية تظهر حول نواها ما اطلقت عليه الدكتورة شارر «قطيرات الافراز»

وهذا باب جديد في تركيب المادة الحية لا نعلم مدى ما يفضي اليه في المستقبل

## النصاحر الكهربائية

### معوان لدرس الخمائر

توسل عالم من علماء جامعة يايل بطائفة من الآلات الكهربائية الى اثبات نظرية كون المواد العضوية المعروفة باسم الخمائر ذات تأثير كيمياوي مباشر في حل المواد التي تستعمل غذاء، وفي احداث تخميرها وكانت النصاحة الكهربائية من هاتيك الآلات فست التفاعلات الكيميائية الناشئة من ذلك التصحم وتقوم بتسجيلها من تلقاء نفسه جهاز الالكتروكاردیوغراف، وهو الرسام الكهربائي الذي يرسم حركات القلب البشري

## اكتشاف قعر اليم بالراديو المبصر

اخترع عالم في ولاية اوهيو باميركا عيناً لاسلكية تكشف مكنونات قعر البحر، من سفن محطمة وكنوز غريقة ثم تنقل صورها الى آلة لاقطة توضع على ظهر باخرة الاستكشاف فتسهل أعمال مستكشفي أعماق البحار حيث تقوم المركب الرائد بسير اللجج وتركب العين اللاسلكية في وعاء كشاف لا يدخله الماء وهو شبيه بشكل الناقوس « الجرس » ويسهل توجيهه الى اية جهة وذلك بتحريك الاسلاك الاربعة الحاملة له وتضاء قعر البحر بقوابس كهربائية قوية ذات نوافذ كشفة من البلور الصخري يبعث نورها فيرى الاشياء جداً بوساطة طائفتي العدسات الكشافة المثبتة في الوعاء الحديدي الشبيه بالناقوس، ومن ثم تستحيل صور الاشياء التي في قعر اليم الملتقطة بالآلات الكشافة، نبضات كهربائية وضحم وتحدد بسلك موصل الى جهاز من اجهزة الراديو المبصر المستقبل يوضع في حجرة « قمرة » من الحجر التي على ظهر المركب حيث تؤلف الصور تأليفاً جديداً وتعرض من عدسة على ستار نصف شفاف للمشاهدة وذلك بمساعدة مجموعة من المرايا المائلة ثم تطبع من المشاهد المنقولة بالراديو المبصر شريط ثابت مسجل وذلك بتصوير ستار المشاهدة بآلة تصوير السينما

ويتوقع الخبيرون بأن هذا الجهاز سيمنع اخطار الغوص ويقلل نفقات استكشاف الاعماق

## كيف اخترعت شبكات المصابيح الغازية

كان الحظ والمصادفة حليفين عظيمين ومعوانين كبيرين في اختراع شبكات مصابيح غاز الاستصباح وذلك ان الغاز كان اولاً يشعل من طرف انبوبه المفتوح على ان يسد الفتحة متى اريد اطفاء ضوئه بسدادة خاصة فاتفق ذات يوم ان ضاعت السدادة حيناً وجب اطفاء الضياء بجلاء امرؤ بمدعس محرم فسد به فتحة انبوب الغاز المشار اليه فكان ذلك الحدث منشأ اختراع الترمسة القديمة التي كانت تسبب اسقاط لهب الغاز عند اشعاله ثم سمع العالم بنسن فاخترع مشعله المشهور الذي يجمع بين الغاز والهواء ليولد لهباً ساخناً يكاد يكون عديم اللون وهو في حد ذاته غير صالح للاضاءة ثم عقبهُ كارل فون ولزباخ فكان ذات مرة يجرب بعض التجارب الكيميائية في معمله فبرك محلولاً من الثوريوم والسيريوم وهما معدنان نادران نقليان نار مشعله بنسن على حشية من حجر الفتيلة (اسبستوس او الكتان الحجري) فشاهد اطرافها البالية تبيض ناصعاً ناصعاً فصمم ولزباخ مبدأ مشعلة بنسن الى تلك المعلومات التي اقتبسها اتفاقاً فكانت مصدراً لاختراعه رتاين المصابيح الغازية التي انتشر استعمالها في الآفاق من ديك الفلزين النادري الوجود

## الغذاء وصحة الانسان

### انذار طبيب

ان مكافحة حفر الاسنان عمل يستغرق الحياة كلها ولانقصد بالحياة مداها من ساعة الولادة الى ساعة الوفاة بل يمتد هذا المدى الى ما قبل الولادة عندما تكون الجنين في رحم الام

وقد القى الدكتور كوخلماس — وهو متخصص في امراض الاطفال — محاضرة في أكاديمية نيويورك الطبية قال فيها ان الغذاء الموافق الذي يقي من حفر الاسنان يجب اولا ان يعطى للحامل ثم يجب ان توجه عناية عظيمة الى الجانب الاول من حياة الولد اي من ساعة ولادته الى سن البلوغ لتعزيز قوته على مقاومة حفر الاسنان

ومما قاله ان نحو ٨ في المائة من الاطفال يرثون اسناناً جيدة او ضعيفة او فيها ميل الى هذا او ذاك وان ٨ في المائة ايضاً لا تتعلمون العناية الوافية بالاسنان

وان ٩ في المائة تنخر اسنانهم او تبقى سليمة لان غذاءهم سوية او مضطربة وان ١٠ في المائة تؤثر حالة التمثيل الغذائي في اسنانهم

ولكن الاكثرية الكبرى وهي نحو ٦٤ في المائة من الذين يصابون بضعف الاسنان ونخرها يرجع اصابتهم الى سوء التغذية

## الضجيج يبدد الضباب

### تجربة محيّرة

رأينا على لوحة الصور المتحركة من اسابيع صورة عالم اميركي يدعى سانت كلير وقد وضع في انبوب ضخم من انابيب الحارب ضباباً ثم جعل صفارة تصفر في زاويته بعيدة من الحجرة التي جرت فيها التجربة فاذا بالضباب في الانبوب يتبدد رويداً رويداً فتكون كتل صغيرة تهبط الى قعره ثم يصفو فضاؤه مما يشوبه

وهذه التجربة على اوضارها الآن على ارب البحث العلمي قد تكون سبيلاً في المستقبل الى تبديد الضباب الكثيف في المدن الصناعية التي يكثر الضباب في جوها

وتفسيرها العلمي يرجع الى اكتشاف تم من عهد غير قريب وهو انه اذا رشت برادة الحديد على لوح مسطح واحدث في جوارها صوت من نغم معين اضطرب دقائق البرادة وتجمعت اشكالاً وانماطاً معينة على سطح اللوح والغالب ان تكون تجمعها حول نقط تصطدم فيها امواج الصوت بعضها ببعض فيلاشي بعضها بعضاً فتكون تلك النقط حالية من تأثير الامواج الذي يهز الدقائق

وعلى مثال ذلك تهز الدقائق التي يتألف منها الضباب فتجتمع كما تجتمع دقائق البرادة ولكنها لا تجد سطحاً تستقر عليها فتسقط الى قعر الاناء

## عصير البابار في الفوارز
### وشيوع هذا الثمر في مصر

البابار شجر شبيه بالنخل ، ينمو في امريكا الجنوبيه وهو ذو ثمر وسيقان واوراق تحوي على عصارة لبنية تُليِّن اللحوم البارزه اذا ما دُهنت بها قبل طهوها

وقد جاءنا في احدث الانباء من امريكا أنهُ سيعمُّ استعمال تلك العصارة في الولايات المتحدة وغيرها وذلك ان احدى الشركات في مدينه سينسيناتي بولايه أوهيو قد شرعت في خزن عصير البابار في زجاجات معدلة الاحجام لتوزيعها على ربات البيوت ليستعملها في تحضير شرائح اللحوم القاسية تسهيلا لنضجها ومضغها وهضمها

والمشهور عن عصارة البابار أن أهالي جزائر المحيط الهادي مارجوا من قدم يوسلون بها لتليين اللحم الصيد قبل طبخه وهم لا يفقهون خصائص تلك العصارة المدهشة اذ تحتوي على مادة البابائين وهي عنصر نباتي معادل للبسين الهاضم للبروتين والبابائين papain معروف عند الصيادلة بأنهُ من العناصر الاصلية لتركيب الادويه الشافية للتخمة .

وقد زرعت أشجار البابار في ولايتي فلوريدا وكلفورنيا منذ بضع سنين من اجل ثمارها اللذيذة ، وهي رائجــة في اسواق الولايات الشمالية

ويزرع البابار في مملكتنا المصريه وقد بحثنا في شؤونهِ ثم نشرنا نتيجة بحثنا في المقتطف (وذلك بمناسبة عطلة المقتطف الصيفيه في السنة الماضية) فآثرنا اعادة نشر المقال المشار اليهِ اتماماً للفائدة قراء المقتطف واليك البيان —

ما كنت ادري حينما كتبت مقالي على البابار في مقتطف يونيه سنة ١٩٣٥ ان ذلك الشجر العجيب يزرع في بعض بلادنا المصرية العريقة في الزراعة بعد ان زارعي البابار وآكليه قلما يعرفون جميع مزاياه الرائعه التي اوصفنا في سردها في ذلك الجزء من المقتطف حتى اقيم معرضنا الزراعي الصناعي الحديث في الجــزيرة بأرباض القــاهرة ، فرأيت لزاماً عليّ ان اطوف بأرجائهِ باحثاً في معروضات بلادنا الزراعيه لعلي اعثر على ثمر البابار ، وهو ضالتي المنشودة ، اذ تذكرت اني كنت قد شاهدت الثمر نفسهُ في المعرض السابق ، بين معروضات السودان التي عرضها حينئذٍ المرحوم الشاهد باشا

وتحقق ظني اذ وجدت الفاكهه المسماة بين معروضات مدرسة دمنهور الزراعية المتوسطه فقط ، حيث رأيت ثلاث ثمرات من البابار معروضه في طبق وكانت مفاجأة لطيفه قوت عزيمتي على مواصله البحث والاستقراء افادة لقرائي الاعزاء فسألت مندوب المدرسة الزراعة المذكوره آنفاً ، وهو احد المستخدمين في حقولها ما اسم هذا الثمر؟ فقال « بابار » وهو يؤكل ناضجاً كالفاوون

والشمام فاستدركت عليه قائلاً « بل هو قاوون الشحر » ثم استرديته انصاحاً فأجاب « عليك يا سيدي بزيارة مشتل المدرسة في دمنهور فنظفر بعتك »

فاكتفيت بذلك وانصرفت ، عاقداً النية على السفر الى دمنهور متى حانت الفرصة ومضت اسابيع بعد ذلك وسدت في خلالها ، بحراً ، ذات يوم ، الى منرهات القناطر الخيرية ، فالتقيت في اثناء الرحلة بالدرجة الاولى باخرة سكة الحديد ، التي أقلتنا الى تلك الضاحية الجميلة ، راكباً فلسطينياً كهلاً ، توسمت فيه الفضل والنبل فعرفت به ، فاذا هو ( علي افندي المستقيم ) من كبار اصحاب البساتين وتجار الفاكهة في يافا وسافا الحديث ، وهو دو شجون ، الى دكر النابار ، فسألته رأيه فيه ، فقال زرعته في بساتي بيافا ولم أجن منه ربحاً يذكر لان اهل فلسطين لا يقدرونه حق قدره وهو يزرع بكثرة في ( ريحا ) فلاحظت عليه قائلاً — لعلك تقصد مدينة أريحا المشهورة فقال نعم — لان أريحا بلد رملي حارٌّ يصلح لزرع النابار ، فشجعته على الاكثار من زراعته داكراً له منافعه التي اسهبت في ايضاحها في المقتطف ، وأثنى على مجهودات هذا الكاتب الضعيف واستشرت خيراً

***

وأتيحت لي فرصة فاغتنمتها وسافرت الى دمنهور ابتغاء زيارة مشتل مدرستها الزراعية ، حيث تشرفت بلقاء بعض حضرات الاساتذة وكاشفتهم بأمنيتي ، فاحتفوا بي وتفضلوا وسمحوا لي بزيارة مشتل مدرستهم الذي يزرع فيه النابار وقمت شطره مع مندوب من قبل حضرة الفاضل ناظر المدرسة

ولقيت في المشتل حضرة ابرهيم افندي صالح ، رئيسه ، فصارحته بمهمتي ، فأحسن استقبالي وزودني بالمعلومات الآتية فاذكرها اتماماً لفائدة القراء -

ثمر النابار على مدار السنة متى بلغت شجرته ثلاث سنين من عمرها وتبدت أشجاره من البذور الناضجة الغضة وهي سوداء ، وتكون ملتصقة بلب الثمر وتكاد تشبه حب الفلفل الاسود ، غير انها ذات غشاء زلالي وتبذر البذور في مكان ظليل بذراً خفيفاً في الاصص أو في مواجير الزرع وذلك في تربة مؤلفة من رمل أصفر ناعم بمقدار الثلث ، ويحمل ثلثاها الباقيان من طمي النيل ، مخلوطاً بقليل من روث الخيل ، المتعفن ( السبلة القديمة ) ويغطى البذور بالمخلوط السمادي نفسه بطبقة توازي حجم البذور أي ثخانة نصف سنتيمتر وتتعهد بالري طبقاً للاحوال الجوية وتزرع البذور ابتداء من شهر مارس الى آخر شهر اكتوبر ويمكن استفراد النباتات بعد بلوغ طولها من ١٠ سنتيمترات الى ١٥ سنتيمتراً ومتى نمت في الاصص ، وضاقت بها ، تنقل الى مكانها الدائم وتصلح لها الاراضي الرملية فتزكو فيها ويحصل من البذور ذكور وإناث

من الاشجار ويمكن تمييز بعضها من بعض عند بدء الاثمار وبمعظم الذكور انها تقوم بتلقيح اناثها على ان تكون قريبة منها بحيث لا تبعد عنها أكثر من ثلاثة أمتار

***

والبابار يحمل ثماره تحت آباط الاوراق وبعضها يحمل ثمرة واحدة في حامل زهري ومنها ما يحمل ثمرتين او ثلاث ثمرات وهذه الحوامل لا يزيد طولها في الاناث على خمسة سنتيمترات اما في الذكور فتبلغ احياناً متراً او متراً ونصف متر واعناق الاوراق جوفاء ومتى نضجت الثمرة جفت الاوراق التي تحتها، وتذبل وتسقط بعضها والذكور لا تحمل ثماراً الا نادراً وتكون ثمارها خالية من البذور وطعم لبها شحمي، وهو أقل جودة من ثمر الاناث وأصغر منها حجماً

ويزرع البابار بكثرة في بلدة فاقوس بمديرية الشرقية «واول من زرعهُ هناك المرحوم امام بك محمد اسماعيل، جد حضرة الاستاذ ابرهيم افندي صالح» الذي اقتبسنا منهُ هذه المعلومات

***

ويباع البابار في تلك البلدة بسعر نصف قرش للثمرة الواحدة واذا قطفت البابارة من شجرتها خضراء قبيل نضجها وجب عليك حفظها في الحالة اسبوعاً حتى يتم نضجها واما اذا تركت على شجرتها حتى تستوي، اصفرّ لونها وصارت الذّ طعماً ويوجد البابار في قسم البساتين التابع لوزارة الزراعة وقد اخبرني حضرة مرشدي ايضاً انهُ هو اول من زرع البابار في مشتل دمنهور فزرع منه ثلاث شجرات فأثمرت وهي التي شاهدتها انا وتناولت منها ثمرة

والاشجار التي رايتها في مشتل دمنهور لا يزيد طولها على ثلاثة امتار واذا خدشتها هي او ثمارها،سال لبنها وهو كلبن الحميرالزيح، النافع لعلاج الاكزيما، كما ذكرنا في مقالنا السابق بالمقتطف

وعلمت ان البابار يزرع في جزيرة المتانيه ببستان السيدة الفاضلة هدى هانم شعراوي، وفي جهات أخرى من المملكة المصرية ويزرع أيضاً في بستان الدمناوي باشافي القرشيه

وقد اشرت على حضرة محمد افندي امين فؤاد (الفلاح المصري) تاجر البذور المعروف (بشارع طاهر بميدان ابراهيم باشابالقاهرة) بزراعة البابار فزرعه في بستانهِ في نوى مركز قليوب

***

ولا يسعني قبل ختم هذه المقالة الا الثناء المستطاب على حضرات معلمي مدرسة دمنهور الزراعية المتوسطة الذين تشرفت بلقائهم في المشتل ولاسيما حضرة ابرهيم افندي صالح الذي رحّب بي كثيراً واسدى اليّ المساعدة الواجبة خدمة للعلم

عوض حمدي

# مكتبة المقتطف

## في عالم السدود والقيود

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد — ٢١٩ صفحة من ورق مصقول حجم وسط

[illegible] النهضة بمصر

أصدر هذا المؤلف النفيس الكاتب الشاعر الأستاذ العقاد فأتحف العربية بذخر من أنفس الذخائر الأدبية الحديثة، كما أظهرنا على ناحية جديدة من أدبه الرائع وصورة من تفكيره العالي المتسم بنفاذ الفطرة وصدق التعبير، وقد تناول العقاد في كتابه هذا فترة شاذة من الفترات الخالدة في الحياة التي مر أشباهها قديما ببعض الفلاسفة والعلماء والشعراء فأنطقتهم بالنغمات الفريدة، وأطلعتهم على أبعد أسرار النفس وأطلقت خواطرهم بأسمى المعاني وأجرت ألسنتهم بآيات الحكمة. وإنك لتلمس في سطور الكتاب روحاً مبدعاً من التهكم الرفيع ونقرأ في فصوله تحليلا عميقاً للنفس البشرية، ونوازعها، واستقراء واسع الإحاطة بالجريمة ودوافعها، كل هذا في استطراد بديع ممتع وأسلوب رائق شائق شيق فيه الطلاقة والليونة والجمال والبساطة وتلك خصائص يمتاز بها أدب العقاد، ولكنها في كتابه هذا ممثلة أجمل تمثيل من بدئه إلى منتهاه. وأحسب أن أقول إنه قلما يتاح لمن عبر عالم السدود والقيود من الكتاب والشعراء أن يوفقوا توفيق المؤلف في استكناه أسراره وطلاسمه وأعاجيبه، في فترة مداها أيام أو شهور، من مرض غير رفيق، وضيق نفس شاعرة تضيق بفطرتها آفاق الدنيا الرحبة المترامية. ولكن الومضات الخاطفة التي تنطلق من العقول المتألقة تغني عن إدمان النظر في الصحوة الساطعة، للوصول إلى حقائق الحياة وطبائع النفوس. والأستاذ العقاد هو القائل

أنا المفرد الزاري على الكون كله ... بسيم حال أو تجهم كالح

فهو على ما وصف به نفسه، وما هو مبثوث في تضاعيف كتبه وأشعاره، رجل متمرد متوفر الشعور مرهف الحس، لا يطيق الحدود ولا أنه للقيود، فإذا اضطرت روحه الألم والنقمة على هذا العالم الذي قدر له أن يعبره فلا غرابة في ذلك ولا عجب، والمفكرون الجديرون بهذا الاسم متمردون بطبائعهم على الحياة يرون النقص والفساد شائعاً في أشكالها وأوضاعها حيث لا يرى الآخرون غير الصواب والتمام فيها. ولكن الجانب الإنساني المركب في نفس العقاد كشاعر قضى على هذه الخواطر، التي تقوم دائماً بين البيئات البعيدة التنافر والتناقض ووصل ما بينه وبين هؤلاء الذين يعيشون في عالم القيود والسدود فآنس فيهم مراداً لتأملاته وأفقاً جديداً لخطرات نفسه، فعاد المتمرد الزاري على الأشباح الهائمة في عالم الحرية والطلاقة، حانياً عطوفاً على هذه المخلوقات الهائمة في عالم القيود والسدود، يستروح متعة العقل والنفس في أحاديثهم وسمرهم وغنائهم ومجونهم وطيبتهم وخبثهم. وفي الكتاب شواهد على ما أسلفنا تطالعك في كل فصل بل في كل صفحة من صفحات الكتاب

علي محمود طه

## اسماعيل المفترى عليه

لا شك في ان الخديو اسماعيل هو أول بان لمصر الحديثة ، مصر الاوربية في مظاهرها فلقد كان طموحاً كل الطموح الى ان يجعل مقر سلطانه بعيداً البعد كله عن أن يعتبر جزءاً من القارة المظلمة افريقيا ، ولم يقصر في هذا السبيل ، ولم يضن على اخراج فكرته بالثمين

ولقد اجتمعت في هذا الرجل العظيم صفات نادرة من الشخصية القوية والعزم المتين والفكر السديد مما ضمن له السير بحكمه بين تيارات مختلفة من رغبات متنافسة شيرها فرنسا من ناحية وانجلترا من ناحية ثانية وتركيا من ناحية ثالثة

في اسماعيل بعد توليه العرش تركة ثقيلة أورثها اياه سلفه فوجد من الحكمة أن يقف حيال اطماع فرنسا التي زعمتها لنفسها بعد التفكير في حفر قناة السويس فحولها عن وجهتها وبذلك حفظ لمصر سيادتها على أراضيها وأبعد عنها الاستعمار الاجنبي — وقتذاك — وحافظ لها على مرافقها العامة بحرمانه شركة ترعة السويس امتيازاً يعتبر الآن من حق الدولة وهو ترعة المياه العذبة

ولقد كان بصيرته النافذة الى صميم السياسة الاستعمارية سبباً فيما لقي من عنت أوربا ومحاولتها الاساءة اليه والتشهير به فاندفع كثير من رجال السياسة الى تشويه وجه التاريخ في صفحات هذا الرجل ، ولصقوا به تهمة الاسراف والتبذير على بلاده وتحميل بلاده الدين الفادح في هذا السبيل

ارتدت مصر بعد اليقظة الاولى التي تنبهت فيها في عهد محمد علي الى رقدة طويلة وخمول عميق حتى آخر عهد سعيد فأراد اسماعيل ان يوقظها على نحو جديد وطبيعي ان مثل هذه اليقظة تحتاج الى البذل في نواح شتى لبعث الحركة والنهوض في كيان هذا البلد ونحن الآن في الوقت الذي اتصلت مصر بالعالم الأوربي أوثق اتصال لا نزال نبذل آلاف الجنيهات في الدعاية كل عام من طبع النشرات واستضافة الصحفيين الاجانب وعقد المؤتمرات الى غير ذلك من ضروب الاعلان عن مكانة مصر الادبية والاجتماعية ورفعها الى المستوى اللائق بها بين أمم العالم اذا كانت هذه حالنا الآن فما بالنا بمصر منذ سبعين عاماً ، ألم تكن وقتذاك بأشد حاجة مما في وقتنا الحاضر الى الدعاية الطويلة والعريضة معاً وهي في دور التكوين والخلق في كل نواحيها ؟! لقد أراد اسماعيل إنهاض مصر ولكن تلك النهضة غالية الثمن فهل يضن عليها بذلك ؟ ان نفسه العظيمة الفياضة بالطموح لتستصغر كل شيء وتسترخص كل غال غير ان الحاجة الى المال ألجأته الى معاملة شر المرابين الدوليين فكانت النتيجة القاسية ، ولكنها اذا قيست بما أسدى للبلد من ضروب الاصلاح في مرافقها العامة مع مثيلة ذلك بما فعلته دول العالم في هذا السبيل لهانت تلك النتيجة شيئاً ما

تاريخ اسماعيل صفحة شوهتها الاباطيل حتى أصبح صاحبها في نظر المصريين قبل الاجانب المبذر المتلاف الشهواني ذا الرغبات الذاتية وأصبح كل مؤرخ لعصره يستجمع أقوال كرومر وملنر وكولفن واضرابهم ويستعرضها في بحثه ويرجع اليها كقضايا مسلم بها على فساد التدبير في حكم هذا العاهل

ولكن الحق هو الحق ، وان طال على جحوده الزمن ، فلقد أتيح بعد نصف قرن لهذا الرجل

العظيم مؤرخ قانوني نافذ البصيرة نقادها ، تتبع الحجة بالحجة حتى تتكشف له من بين ثنايا السطور التي خطها هؤلاء الساسة عن حجج قوية في مصلحة قضية اسماعيل المفترى عليه

ذلك هو القاضي الاميركي بيير كراستيس الذي تصدى لانتقاد سمعة الحاكم المصري فاستطاع ان يخرج لنا صفحة نقية بدّلت وجه التاريخ المصري في ذلك العهد من ذلك انه اضعف الدعوى الشائعة عن اسماعيل الشهواني الغارق في لذاته فأثبت ان اللذة والاستمتاع وليدا الكسل ، وكان الكسل أبعد الصفات عن هذا الرجل الذي كان يقضي كل يوم من اثنتي عشرة الى اربع عشرة ساعة في القيام بأعمال الدولة ، ولو فرض انه استطاع ان يترك العنان لنفسه في الملذات لأثر ذلك بمرور الأيام على ذاكرته التي شهد موبرلي بل بقوتها

ومن ذلك ايضاً انه رفع عن عاتق اسماعيل تبعة عدم ملكية مصر اليوم حصصها في أسهم القناة فقرر من دائرة المعارف البريطانية ثبت ان حصته في ارباح الشركة التي بيعت بعد نزول اسماعيل عن عرشه تمت صفقتها حين كان لورد كرومر صاحب السلطان المطلق في الرقابة الثنائية ،وكان في وسعه ان يعقد بكل سهولة قرضاً بضمان تلك الحصة لو انه ادرك ما في بيعها من الخطر العظيم وعرض المؤلف امامنا بعضاً من محامد اسماعيل في مقدمتها استفادته من الشركة الفرنسية ستين الف هكتار من الارض تساوي الآن اضعاف قيمتها التي قدرها نوبليون الثالث في سنة ١٨٦٤ بمليون ومائتي الف من الجنيهات وكذلك استعادته لامتياز ترعة المياه العذبة

وأطلعنا بالبيانات والارقام الثابتة ما لاقته مصر من ضروب الاصلاح في المرافق العامة في عصر اسماعيل كحفر الترع ومد السكك الحديدية والاكثار من دور التعليم الى غير ذلك مع مقابلتها بمثيلاتها حتى آخر عهد سعيد وهذا غير ما قام به من مساعدات جمّة لبيكر وامثاله من رحال الاستكشاف العلمي في مجاهل افريقيا ومحاربته للنخاسة في السودان وبذله في هذه السبل ما اثقل ديونه فأسدى الى العلم يداً جليلة

وصوّر لنا المؤلف في فصول مختلفة كتبها بروح فصصية جذابة ما كان يتبعه رسل السلطان العثماني مع اسماعيل مما دعاه الى تقديم هدايا ورشاوى كلفته اموالاً طائلة ، كانت سبباً في اتهامه بالتبذير فيما لا يجدي وقد دلل المؤلف على ان هذه الهدايا والرشاوى وان بلغت قيمتها ما بلغت يومذاك فانها لا تساوي ما كان يصرفه اسماعيل لو انه حارب تركيا ، فكانت هذه الهدايا والرشاوى سبباً في خطب ود السلطان وحقن الدماء وايقاف خطر مالي جسيم والفوز بالاصلاح القضائي والاستقلال الذاتي . وقد أورد المؤلف ما كان عمد اليه بعض الوكلاء الدبلوماسيين الاجانب في استعمال نفوذهم لينتزعوا بالاكتوفيه اوقح المطالب واستشهد على ذلك بما ورد في كتاب لورد ملنر « انجلترا في مصر » من حوادث هؤلاء الوكلاء مما يبعث الدهشة ويدعو الى الضحك والسخرية وهذا دليل بالقياس الى ما انفق على اشياع السلطان

هذه لمحة سريعة الى هذا الكتاب النفيس الذي غير صفحات التاريخ المصري الحديث لحياة عاهل مصر المفترى عليه وكشف عن نواح خفية جديرة بالاطلاع وجديرة بالدرس على ضوء الحجج التي انار بها كراستيس السبل على الباحثين ومهّدها لهم حسن كامل الصيرفي

## مشكلة السكان في مصر

The Population Problem in Egypt, by Wendell Cleland, 1936

يجد القارىء في مكان آخر من هذا الجزء من المقتطف مقالاً في عدد سكان مصر من العصور القديمة الى ما بعد الفتح العربي في القرن السابع الميلادي وهذا المقال ملخص من كتاب الدكتور وندل كليلند « مشكلة السكان في مصر » ولا يظنّ القارىء ان هذا الكتاب يعنى بالموضوع من ناحيته التاريخية فقط ، لأن جميع فصوله ما عدا الفصل الأول وقف على دراسة مشكلة السكان من نواحيها المختلفة في مصر الحديثة فهو يعالج مسائل حيوية ، بدأنا ندرك شيئاً من خطرها منذ شرعنا نعالج شيء من الصراحة موضوع تحديد النسل في الشهور الأخيرة ومن محاسن الصدف ان يصدر هذا الكتاب والعقول متنبهة للموضوع الذي يعالجهُ بوقوع الاحصاء العام في بدء هذه السنة واهتمام الصحف والجمعية الطبية وعلماء الاجتماع ببحث مشكلة تحديد النسل التي صدر في صددها فتوى شرعية

والدكتور كليلند ، أهلٌ لمعالجة الموضوع فقد تدرّب على اساليب هذا البحث الاجتماعي السولوجي الاحصائي ، في خيرة معاهد امركا وهو مقيم في مصر من عشرين سنة استاذاً في جامعة القاهرة الاميركية فمدرساً لقسم الخدمة العامة فيها وقد اتصل في خلالها بممثلي جميع طبقات الشعب المصري من كبار رجال الحكومة والتربية الى صغار الفلاحين واولاد الفقراء والمعوزين في مراكز رعاية الطفل فاتجهت عنايتهُ الى دراسة موضوع السكان دراسة علمية عملية منظمة ، كان حادينهُ عليها ما شعر بهِ من العطف على الفقراء واولادهم ... تعاونهُ من الفاقة والمرض، وغرضهُ فهم هذه المشكلات الاجتماعية الخطيرة بغية الوصول الى ما قد ييسر الطريق الى حلها

ان عدد سكان مصر قد زاد زيادة سريعة في نصف القرن الماضي حتى بلغت الزيادة بين سنتي ١٨٩٧ و١٩٢٧ ، ٤٧ في المائة والازدحام في سنة ١٩٢٧ بلغ ١٠٤٥ في الميل المربع من الاراضي المزروعة ، ومع ان مساحة الاراضي المزروعة لم تزد في المدة عينها الا ٨ في المائة فان تحسين وسائل الريّ جعلت الزيادة في مقدار المحاصيل ٢٨ في المائة ولذلك زاد ازدحام السكان في ، ١٢ في سنة ١٨٩٧ الى ٢٢٦ في سنة ١٩٢٧ اي ان زيادة الازدحام بلغت ٣٧ في المائة فمن الواضح ان الزيادة في مقدار الحاصلات الزراعية كان اقلّ من الزيادة في نموّ السكان وازدحامهم

ولما كان ثمانون في المائة من اهل البلاد يشتغلون بالزراعة ، والحاصلات الزراعية هي مورد الثروة الاول فمن الواضح ان زيادة نموّ السكان على نموّ ما يجنى من الارض ، لا بدّ ان يفضي الى خفض مستوى المعيشة ، وهو ليس بالمستوى العالي على كل حال ثم ان توسيع نطاق الاساليب الحديثة في الري ، افضى الى زيادة انتشار البلهارسيا والانكلستوما فأضعف انتشارها من حيوية

الفلاحين ونشاطهم فالزيادة في عدد السكان قد قابلها هبوط في مستوى المعيشة من الناحيتين الاقتصادية والصحية

هذا هو قلب مشكلة السكان التي تعانيها مصر ولما سكر لها سل . عرض هذا الكتاب توجه النظر اليها ، وبحث العوامل الاساسية فيها

لحسنا في غير هذا المكان نص ما جاء في الفصل الاول وهو عرض تاريخي ولكن الفصول الباقية وهي ثمانية تقسم بوجه عام الى قسمين فالقسم الاول يعالج مشكلة السكان من الناحية العددية أو الاحصائية ، وهو تشتمل على الفصل الثاني وفيه بحث في المصادر التي تصح الاعتماد عليها وتعددها والفصل الثالث وهو يتناول ازدحام السكان والرابع وهو يتناول المواليد والخامس وهو يتناول الوفيات اما القسم الثاني فيعالج مستوى المعيشة من حيث الملبس والمأوى والغذاء والثقافة العامة ( الفصل ٦ ) والصحة العامة وصلتها بنظام الري ( الفصل ٧ ) وهل سكان مصر اكثر مما تتسع لهم اراضيها ( الفصل ٨ )

وقد وقف الفصل التاسع على الاحكام العامة التي خلص اليها من بحثه

---

## مصطفى النحاس أو الزعامة والزعيم

### درس بحث وتحليل

صفحاته ٥٤٣ من القطع الكبير طبع في مطبعة مصر

هذا كتاب نفيس أصدره الاستاذ عباس حافظ من اشهر كتاب العربية واطولهم باعاً في ضروب البلاغة والفصاحة تناول فيه زعامة حضرة صاحب المقام الرفيع دولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا ذي الرآسات الكثيرة بالتحليل والشرح فوضع بكتابه دروساً في الوطنية اقتبست من سيرة زعيم البلاد الكبير وأوحت بها فعاله الغر الميامين ولقد اتى المؤلف الفاضل على تاريخ نهضة مصر في عهدها الاخيرة بأسبابها وشرح ما استلزمه البحث من سير النهضات المجاورة لمصر وتكلم عن نهضة ايطاليا بزعامة السنيور موسوليني ونهضة الهند بزعامة مهاتما غاندي وغيرها

شرح المؤلف كثيراً من خصائص صاحب المقام الرفيع عند ما كان حديثاً في ميدان الجهاد الوطني وهو قاض وكيف كان يحمل المنشورات الوطنية ويوزعها على نقابة المحامين وروّاد المحامين بالاوامر وأسهب في فصل نشأته الدينية وطهارته الخلقية والنفسية وقوة ارادته وعمله الحالي في رفعة شأن البلاد وظفره بمحاربة خصمه القوي الشديد وحسب القارئ الكريم أن يطلع على بعض الموضوعات التي درسها الكتاب ليعلم ما وراءها وها نحن نذكر منها شيئاً —

«سر الزعامة والعوامل والمؤثرات في نشأتها والصفات والخواص المشاهدة في الزعامة والزعماء والشخصية البارزة وصفاتها ومختلف مظاهرها وقوة الارادة وضبط النفس واللباقة والروح المرحة والأسلوب والتنظيم وحاجة الزعامة اليهما واخطار الزعامة والعوامل السيئة التي تأثر بها والزعامة والزعماء في النظام الديموقراطي والمروءة والزعامة في الشرق وظهور غاندي والثورة المصرية في أدوارها الأولى وسعد زغلول في دور الكون وزعامة سعد وظهور مصطفى النحاس ونشأته ونكوصه وحياته العملية وفي عهد الثورة وسعد ومصطفى بيان الديمقراطية والدستور ومصطفى النحاس زعيم الامة وقائد الشعب وفي الكفاح للدستور والاستقلال ونوادر صفات الزعامة فيه» فهي هذه الموضوعات تدرس القارئ النواحي التي درسها المؤلف الفاضل بأسلوبه الشامل وعقله المفكر وسعة معلوماته ودقيق اطلاعه فجاء كتابه درساً مفيداً للجيل الحاضر والاجيال القادمة

وقد حلل المؤلف نفسية دولة الرئيس الجليل فبين ما فطرت عليه من فضائل وحب الخير وبين قوتها وعزمها وصلتها بالله العلي العظيم واثر الزعيم الديني ودوره في معترك الحياة لانه يستمد ايمانه وثقته من الله وطهارة ذمته وقوة ارادته وحصافة رأيه وكيف ادعى الجمع لزعامته ونختم كلمتنا هذه الجملة نقتبسها من قول المؤلف قال حضرته في صفحة ٥٤٠ مايلي

«ولقد اتاح الله لنا في مصطفى النحاس زعيما مؤمناً ورئيساً وطنيًّا به دائماً وفي ذلك قوة اخرى تجاب قوات جهادنا ، فما به من اليأس والوهن تجمع الى ماعندنا كأنه شارة مستبسلة وحصانتنا وفصل ايمان ر ، ما نحونا من تجربة اعدائنا وظللنا نكافح الى الآن نداننا وثقتنا بالله وقوة صبرنا ومراسنا وما دمنا مع مصطفى النحاس ، ومادام هو المستلهم السماء من اجله ومن اجلنا فلن يقهرنا خصومنا ، ولن تغلب على امرنا مهما تألبت علينا جموع الاعداء والمحاربين

«ولقد تقدم بنا في الجهاد على نحو ايمانه ، وساق بنا الى النصر على هداه وهدايته فصار في كل خطوة خطاها يمعن حديد من معانيه ، كلما اشتدت الحلكة على طريقه لتغريه بالعدول عن مسيره والرجوع عن وجهه ، انشق الضياء فبدد الظلام ودياجيه ، وكشف عن جديد من فضائل حصمه وتحاديه وكلما وسوس الامل في صدر اعدائه انهم قد تمكنوا منه او كادوا يتغلبون عليه ، دهمهم داهم من القدر ، وفاجأهم مفاجأة جديدة من السماء فاتعلموا من بعد الامل يائسين»

***

والكتاب مطبوع طبعاً متقناً في مطبعة مصر ومزدان بصور الزعماء فهو درس مفيد في باب الوطنية العصرية

## شوقي او صداقة اربعين سنة

تأليف الامير شكيب ارسلان — صفحاته ٣٠٤ قطع المقتطف — مطبعة عيسى البابي الحلبي

كلُّ ما يكتبهُ الامير شكيب ارسلان جدير بالاهتمام وامعان النظر لانهُ وليد الخاطر ووعاء الذهن، ولا بدع في ذلك فالامير شكيب بحري النسب بحريُّ الفكر بحريُّ العلم وقد اتصل برجالات الشرق العربي وسائر العالم الاسلامي اتصال ود واحترام ومبادلة، واشترك في اعمال النهضة الادبية والحركة السياسية خلال الاربعين السنة الماضية اشتراكاً فعالاً، فهيأ له ذلك من مرور كثير مما اتيح لغيره بالنظر الى ... الادباء الذين لازمهم وصاحبهم وراسلهم في حقبة من الاسمد الى الذاكرة ام رجع الى اوراقه، حوادث ونوادر هي في الطليعة الاولى ... عند ما حين الوقت لكتابة تاريخ هذه النهضة

... الحال لو اتيح للامير ان يفرغ لكتابة ذكرياته الادبية والسياسية، فان اقطاب العرب حروا على كتاباتها في مجلدات هي من انفس ما ينشر على الناس

وهذا الكتاب الذي نحن في صدده اليوم خاص في قسمه الاول بما لايزال عالقاً بذهنه عن صداقته لشوقي، وقد بدأت من ... واربعين سنة، واتصلت خلالها اوثق اتصال، ويحتوي في قسمه الثاني، على دراسات ادبية بيانية في امهات قصائد شوقي ومميزاتها

***

روى الامير انهُ جاء مصر اولاً سنة ١٨٩٠ وكان حينئذٍ بين العشرين والواحدة والعشرين فمكث شهراً في الاسكندرية ثم جاء القاهرة واقام شهراً الى ... الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، ولم يكن احد قد سمع حينئذ «بشخص يقال لهُ شوقي ولا احسسنا لهُ ركزاً»

ثم غادر مصر في تلك السنة ولم يسمع بشوقي، وكان ... الاهرام، وكانت تصلهُ اعدادها فوقع في احد الايام على ابيات لامية في مدح الخديو ذيلت بتوقيع «احمد افندي شوقي» قال الامير «ولما كان الناظم مجهولاً عندي لم اتمالك ان اسرع في قراءة الابيات» ولكنهُ لم ... الا حتى رأى ابياتاً اخرى لاحمد افندي شوقي فحرص ان يطالعها فلم يعجبها ووضعهُ حينئذٍ في طبقة الشعراء الذين يقال فيهم «من حقهِ ان يسمعهُ» وبعد قليل قرأ لهُ قصيدة ثالثة وهي التي مطلعها

ان الوشاة وان لم أحصهم عدداً ... تعلموا الكيد من عينيك والفندا

فطرب لها وأعاد قراءتها وعلم ان هناك شاعراً مطبوعاً وأصبح كلما رأى شعراً لأحمد شوقي

يتهافت عليه «سهام الطاعن على عبير الماء لاني رأيت الشاعرية تجمع شروطها النسج الرقيق المتين والاسلوب الرشيق الرصين ، اللغة العربية الفصحى التي لا تؤتى من جهة ، والمعنى المتناهي في الدقة اللابس من اللفظ أجمل حلة والانسجام المطرد من الأول الى الآخر في سبك واحد وسلك متوارد »

ولكن الأمير وشوقي لم يجتمعا الا سنة ١٨٩٢ في باريس وكان الامير قد ذهب اليها مستشفياً ، وشوقي جاءها من مونبلييه حيث كان يتلقى علم الحقوق وتم الاجتماع في الحي اللاتيني ولكن الامير يقول «وكنا متعارفين قبل ذلك بالمراسلة » «ولكن لم نجتمع حتى صرنا كأخوين» وكان منتاهما مقهى دار كور « وفي أثناء لقائنا الاول كنا نتذاكر حول أمور كثيرة ولكن أهم حديث كنا نخوض فيه هو حديث الشعر وكان مع شوقي ديوان المتنبي » ويروي الامير أنهُ الذي أشار على شوقي حينئذٍ بأن يجمع قصائده ويجعل منها ديواناً فلما سألهُ وأي اسم ٍ أعطيهِ قال الامير سمهِ الشوقيات فنسبة هذا الشعر اليك هي عندي كافية وقد ذكر شوقي هذه القصة في ديوانهِ الطبعة الأولى سنة ١٨٩٨

***

ومن النوادر اللطيفة التي جرت لهما ان شوقي ذهب الى لبنان ووصل عاليه وكان الامير مصطافاً في صوفر فقيل لهُ ان شوقي في عاليه وانهُ يريد مشاهدتهُ وكان الامير موعكاً فبعث الى شوقي ان ينتظرهُ وانهُ يكون في الغد عنده وبكر اليهِ في اليوم الثاني ، ذكر لهُ سبب تأخرهِ فقال شوقي على الفور رجوت ان تكون كاذباً ولا تكون مريضاً فقال الامير المرض احب اليّ من الكذب

وكان آخر اجتماع لهما عند عودة الامير شكيب من الحج ، سنة ١٣٤٧ هـ ، فذهب شوقي الى مقابلتهِ فيها ، وكانت قصيدة شوقي في دمشق ذاعت على الالسن ، من ابياتها في بني معروف والبهم نسب الامير

لكل لبوة ولكل شبل نضال دون غابتهِ ورشق

قال الامير وقد جرّنا الحديث الى هذه القرينة فقلت لهُ عندما بدأت بقولك ( لكل لبوة ولكل شبل ) حسبت انك تكون جواب هذه الجملة ( نضال عن مغارتهِ ورشق ) والذي ( وهي ابيه ) قلت لهُ هي ( نضال دون غابتهِ ورشق ) والغابة هي والمغارة كلاهما مأوى للاسد ولكن الغابة احف وقعاً على السمع واقرب الى الالسن

رحم الله شوقي ومدّ في عمر الامير ونفعنا بعلمهِ وفضلهِ

## تاريخ الفلسفة اليونانية

تأليف يوسف كرم — مدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية — صفحاته ٣٠١ قطع المقتطف
أصدرته لجنة التأليف والترجمة والنشر وقد طبع بمطبعتها

هذا كتاب مدرسي ممتع في تاريخ الفلسفة اليونانية . ومقام الفلسفة اليونانية في تاريخ الفكر لا يحتاج الى شرح او بيان . ويكفي ان يذكر القارئ اسماء اعلامها كهرقليطس وفيثاغوراس وانكساغوراس ولوقيبوس وبرمنيدس الايلي وسقراط وانبادقليس وديمقريطس وأفلاطون وأرسطوطاليس وأرسطبس القوريني وديوجينس وزينون الكتي ليعلم اي درى بلغتها الفلسفة اليونانية ، في تعاليم هؤلاء الرجال وأحكامهم والفلسفة اليونانية هي على ما قال المؤلف «واسطة الشرق الادنى منذ فتح الاسكندر ، وفلسفة الغرب منذ استولى الرومان على بلاد اليونان في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد . . . اصطنع المفكرون المسيحيون هذه الفلسفة ثم اصطنعها المفكرون المسلمون ، ودخلت المدارس في الشرق والغرب وكونت العقول وهيمنت على وضع العلوم»

ليس ثمة مسألة من مسائل الفلسفة لم يعالجها اليونان ، ولم يتجدد أثر ما قالوه فيها الى العصر الحديث «فقد نظروا في اسمى المسائل مثل الوجود والتغيّر والخير والشر والاصل والمصير» فكانوا «اساتذة الانسانية»

« وقد اجتازت الفلسفة اليونانية ثلاثة ادوار هي دور النشوء ودور النضوج ودور الذبول

«والدور الاول فيه وفي الوقت المسمى بما قبل سقراط وهو يمتاز بالخلط والتوثيق بين العلم الطبيعي والفلسفة . ووقت السوفسطائيين وسقراط يمتاز بتوجه الفكر الى مسائل المعرفة والاخلاق

« والدور الثاني يملأه افلاطون وارسطو . اشتغل افلاطون بالمسائل الفلسفية كلها ووجهها همه في تمحيصها ولكنه مزج الحقيقة بالخيال والبرهان بالقصة ، حتى اذا جاء ارسطو عالجها بالعقل الصرف ووفق الى وضعها الوضع النهائي

« الدور الثالث يمتاز بتجديد المذاهب القديمة وبالعود الى الاخلاق والتأثر بالشرق والميل الى التصوف مع العناية بالعلوم الواقعية »

وهذا الكتاب من أوّله الى آخره شرح لهذا الايجاز

هنا اقطاب الفلسفة اليونانية ، في ابواب وفصول وفقرات مرتبة منسّقة على خير ما تروم من ترتيب وتنسيق ، بعد موجزه في سيرهم متى ولدوا واين نشأوا وعلى من تلقوا العلم والفلسفة

هنا آراؤهم الفلسفية مبسوطة في دقة ، يسيغها قارئ لم يدخل صروح الفلسفة من أبوابها ، ويرضى عنها الاستاذ ، وهذا عمل شاقٌ لا يتاح النجاح فيه الا لمن كان كمؤلف هذا الكتاب

أحد الفلسفة عن أساطيرها ثم قضى العمر بعد الاجارة في درسها وتدريسها

معظم الفلاسفه بجميع طوائف في هذا الكتاب وفقاً للرأي الفلسفي الذي يؤلف بينهم فالطبيعيون الاولون هم طالس وانكسمندرس وانكسمانس وهرقليطس الاول يقول ان الماء اصل الاشياء والثاني ... تكون الاشياء ... اي بحركة اجتماع عناصر مادية وافتراقها بتأثير الحركة والثالث ان الهواء اصل الاشياء والرابع ان النار اصل الاشياء

وكذلك فعل المؤلف بسائر الفلاسفه اما افلاطون وارسطوطاليس فأورد لكل منهما باباً خاصاً به وفصّل آراءهما الفلسفية وحلل اشهر مؤلفاتهما

ولعل القارىء يطالب ... بعد وصف الكتاب ... مثالاً على اسلوب المؤلف وهو اسلوب جمع بين ... فاليه نسوق الفقرة التالية ... هذا الكتاب ... لعل شيء منه فاذا هي ... «الفضيلة» وهي في سياق الكلام ... افلاطون صفحة ١١٨

... الفضائل ثلاث ... النفس الثلاث الحكمة فضيلة العقل ... والعفة فضيلة القوة الشهوانية ... الأهواء فتترك النفس هادئة ... وتتوسط هذين الطرفين الشجاعة وهي فضيلة القوة الغضبية تساعد العقل على الشر ... وعلى ... مخافة الألم والحكمة ... الفضائل ومبدؤها فلولا الحكمة لجرت الشهوة ... واهادت لها العفة ولولم ... الشجاعة شرطين للحكمة تمهدان لها السبيل ... فان بحدهما الا جرحا من دائرة ... الى ... الهرب من ... سعة مصدرها الشره، وما حوض الخطر لاجل ... خطر آخر ... الفضيلة هذه الحسنة ... تستبدل لذات بلذات وأحزاناً بأحزان ومخاوف بمخاوف كما تستبدل قطعة من النقد أخرى فان النقد الحقيقي الوحيد الذي يجب ان تستبدل بسائر الاشياء هو الحكمة بها نشتري كل شيء ونحصل على كل الفضائل اما الفضيلة الخالية من الحكمة ناشئة عن التوفيق بين الشهوات وهي «فضيلة عبيد» فالفضيلة ادنى من جنس العقل والنفس ولا نستطيع ان ندرك ... والحياة الفاضلة لا ... فيها ... من هذه الاصناف ... يبلغ الى ... الفضيلة

... هذه الفضائل الثلاث للنفس خصصت الشهوانية للعفة و ... للعقل تحقق في النفس النظام والتناسب وسمى افلاطون حالة التناسب هذه بالعدالة اشار ان العدالة توجه عام اعطاء كل شيء ... فليست العدالة عنده فضيلة خاصة ولكنها ... الصلاح والبر الناشئة عن اجتماع الحكمة والشجاعة العفة اما العدالة الاجتماعية وهي تحقق مثل هذا النظام في علاقات الافراد

تابع المنشور على الصفحة ٥٥٧

وهو في الشرق حتى في هذا العصر — لمسته في العرب عاماً الا ان الثاني أي بيشه رام المجد عن طريق المحموم لحص على الحرب والكفاح والثورة وكان من مفاخر شعره الحرب الكبرى بالامس ، والدم نظر الاحساس الشائع في البلاد ودعوة الثورة المعسه وطرد اليهود واضطهادهم و ... الثورة شر بين الا ه كالكهربائيه والحجر للوثوب نحو المجد والامل والنضال أما الاول اي الزهاوي فقد رام المجد عن طريق الدفاع الدفاع عن الشرق المهض احماح ، الشرق لدي ر د له اعرب وسد له لسل وسعي أن يجعله لقمة سائغه في حوفه الوسع الذي لا ... وهو ... الزهاوي في يوم ما احياء الهمم الراكدة وادكاء روح القوه في النفوس الخامده ... دكير ا ماضيها المجيد عن ... الوبهلم يحل لا اسيده تلك العدويه التي ... مسعها كل لسان و تشيع بين الناس كالامثال ... فقد دان في بعض الاحايين مصب على رجال الدين، وذلك ... العالم اساده المعري ولان كلا لرجاين لا في الامرين من بعض رجال الدين الذين لا يفقهون حظا من العلم ويفهمون بيه ومن الدين

وعلى الرغم من ان بعض ... ارس الا بيه نظر ... هذا انما هو ... الدين هسه فان اناشيده الثورية التي ادى ... سعر الهمم وقد نار او طه في الصدور وشعر با لكرامتنا المهدورة وحقنا ... ما ... مستسلا ... دعوا به الاعلام الحديه فيه ترددها ألسنة الشباب ، ... اولئك ابعاد احرار الدين يحملون اليوم عبء المجد الثقيل

انظر الى قصيدته « ... الاقدار » التي وجهها الى ابناء الشرقيين والتي بدأها بقوله

> ... لكم من نار ما في حماكم من الافكار
>
> سيروا الى غاياتكم في حراه كالسيل هداراً وكالاعصار
>
> ثوروا على العادات ثورة حانق وتمردوا حتى على الاقدار
>
> كونوا جميعا سادة لنفوسكم فالعصر هذا سيد الاعصار

الى ان ... وهذا ... لا نغره عليه بعض الشيء .

> لا ... في الدين ... روية الا ... صح في الانظار

الى ان يقول ... فقد كل ... ردا ... فيها هدى للساري

> ... هـ ... و ... فيها من ... كمار ؟

وهذا ... الشباب ، لكنه عند قوله

> ... والندم ... وشحوا حتام تحالون في الاطمار

حكم خاطيء ، ون كان يهدي بهدى المنطق العلمي المنطلق من عقاله على حد زعمه — فما كل جديد صحيح وما كل قديم ... كما اسلفنا القول من قبل « للحديث صلة »

# فهرس الجزء الخامس من المجلد التسعين